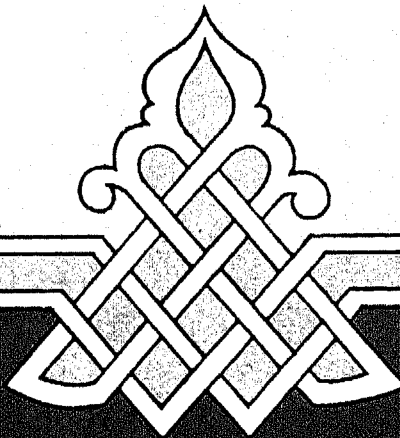
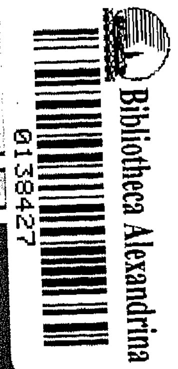
موسوعة

مختصر التاريخ القديم

هارفي بورتر





مكتبة مدبولي
القاهرة

موسوعة

مختصر التاريخ القديم

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

الناشـــر

مكتبة مدبولى

ميـدان طلعت حـرب بالقاهـرة -ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

موسوعة

مختصر التاريخ القديم

هارڤي بورتر

مكتبة مدبولي
القاهرة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس

الكتاب الاول

في تاريخ ممالك افريقية واسيا القديمة من اول عهدها الى زمان اسكندر الكبير

القسم الاول

في تاريخ مصر

القسم الثاني

في تاريخ مملكة الكلدانيين الاولى

القسم الثالث

في تاريخ مملكة اشور

القسم الرابع

في مملكة بابل او مملكة الكلدانيين الثانية

القسم الخامس

في تاريخ مملكة مادي

القسم السادس

في تاريخ سورية

فهرس

القسم السابع

مملكة الفرس

القسم الثامن

القسم التاسع

تاريخ العرب القدماء

فهرس

الكتاب الثاني

في تاريخ اليونان القدماء من بداءة امرهم الى زمان اسكندر الكبير

الكتاب الثالث

في تاريخ مكدونية والممالك التي نشأت عنها

القسم الاول

تاريخ مكدونية الى حين انقسامها

القسم الثاني

في تاريخ الممالك التي انقسمت اليها مملكة اسكندر

الكتاب الرابع

تاريخ رومية منذ اول امرها الى سقوط المملكة الغربية

القسم الاول

في تاريخ رومية وما يتعلق به

القسم الثاني

تنبيه. انظر فهرس مطوّل في المواضيع في آخر الكتاب

ديباجة الكتاب

الحمد لله المجري الحوادث بالقدرة الازلية ومعيّن الدول والملوك بالحكمة السرمدية حمدًا يضيق به الزمان والمكان ويزلف بنا الى حضرة السعادة والرضوان

اما بعد فاني الفت هذا الكتاب في تاريخ العالم القديم لطلبة المدارس فاقتصرت فيه على ذكر الحوادث ذات الشان واعتمدت به اقوال اكابر المورخين وذكر بعضهم في تاريخ كل بلاد واسندت اليه الاصول التي بنيت عليها الكلام تسهيلاً لمن اراد التحقيق من المطالعين . ولم التفت فيه الى تاريخ الصين والهند لقلة ما تحقق من احوالهما في العصور الخالية ولقلة فائدته في تاريخ الازمنة القديمة لكنني اشرت الى شيء من امور الهند في ايام اسكندر الكبير . ووكلت تصحيح عربيته الى جناب المعلم ابرهيم افندي حوراني وسألته ان يجعل عباراته مما تفهمه العامة ولا تنكره الخاصة ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة فله عليَّ وافر الشكر والمنة

المقدمة

التاريخ علم يبحث فيهِ عن حوادث البشر في الزمن الماضي وهو من اهم العلوم التي يفتقر اليها الانسان لأنهُ بمعرفتهِ امور جنسهِ يعرف امور نفسهِ. قال احد الفلاسفة القدماء "اعظم أمرٍ يبحث عنهُ الانسان هو الانسان". فبهِ يتحقق على قدر الطاقة مصدرهُ واخبارهُ وغايتهُ القصوى وشأنهُ في هذه الارض. فليس التاريخ مجرد سرد الاحاديث وانباء الحوادث. فهو يتضمن ذكر ذلك مع تعيين اوقاتهِ وبيان اسبابهِ. فيعرف منهُ سبب ارتقاء الانسان وانحطاطهِ وعلل سعادتهِ وشقائهِ على توالي الايام والسنين الى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي ليس استيفاؤُها من شأن هذا المختصر فانّا لم نقصد بهِ الّا الاشارة الى علم التاريخ وذكر مبادئهِ التي لا بدَّ منها لكل طالبٍ ليرتقي بها الى مباحثهِ القصوى

حقيقة التاريخ

وجل ما يبحث التاريخ عنهُ يتعلق بالشعوب والقبائل والممالك وذلك لان الانسان مائل بالطبع الى الالفة والمعاشرة فتآلفت من ذلك الفصائل والبطون والافخاذ والعمائر والقبائل والشعوب فافتقر الانسان الى الاحكام للدفع عن الحقوق والوقاية من ظلم الظالمين واعتداء المعتدين. فاقام الملوك ورتب الممالك فترى ذلك في الناس من بدء التاريخ فلا يمكننا ان نقتفي آثار الانسان الّا في اخبار الشعوب والممالك . ويجب في البحث عنها الالتفات الى امورها الداخليّة كسياستها وعوائدها وشرائعها وآدابها وامورها الخارجية لتعلقاتها بعضها مع بعض وحروبها وتجاراتها وما اشبه ذلك

مدار التاريخ

وينقسم التاريخ الى قديم وحديث والاول موضوع هذا المختصر وهو يتضمن انباء

البشر من اول عهدهم الى سقوط مملكة رومية الغربيَّة سنة ٤٧٦ للميلاد باجماع اشهر المؤرخين لان في تلك السنة انتهت غزوات البرابرة لمملكة رومية فزالت وخلا عصرها وانتثر عقد نظامها وترتيبها واخذت اوربا تدبر الامور على نظام جديد نشأت منهُ ممالكها المعروفة في هذه الايام

مصدر التاريخ — وتنظيم الممالك في اقدم الازمنة لا علم لنا باصول تاريخهِ الَّا كتب الوحي فلا افتقار الى ابرادها هنا سوى انَّ بعض الحوادث العظمى العامَّة كالطوفان وتفرق الجنس البشري بعدهُ جاء في تقاليد القرون الخالية المتداولة على الالسنة وتلك التقاليد ليست بتاريخ يعتمد

التقاليد — لما فيها من التخرصات والاقوال الملفقة فيجب فيها مراعاة شروطٍ لا بد منها خشية الخطإِ واعتماد الباطل . الاول ان يكون حديث التقليد ممكنًا موافقًا للاحوال . الثاني ان يكون متواترًا لا يمكن التواطؤ على انَّهُ مفترًى ولا سبب لهُ الَّا أمر حدث . الثالث ان يكون مويدًا بالبرهان فاذا روعيت هذه الشروط في التقاليد امكن الوقوف على

الطوفان — الصحيح منها ومن التقاليد ما يثبت حدوث الطوفان غير ان تفاصيلهُ لا يستند عليها المتباين فيها ومنها ما يستنتج منهُ ان وطن الناس الاصلي ومُتفرَّقهم كان في اواسط اسيا

الوطن الاصلي — لكنَّهُ لم يعين ذلك الوطن حق التعيين والمرجح انهُ كان في الجهات الشرقية من بحر الخزر ولا ينافي ذلك قول موسى بان الفلك استقرَّ على جبل اراراط (تك ٨: ٤) لان موقع هذا الجبل غير متحقق ويمكن ان يكون غير اراراط المعهود في ارمينية ويتحقق من التقاليد ان اهل اوربا وافريقية خرجوا اليها من اسيا وان اهل غربي اسيًّا اتوا من الشرق واهل الهند من الشمال الغربي واهل الصين من الغرب وذلك يستلزم ان مُتفرَّق البشر كان في اواسط اسيًّا

اصول التاريخ — واصول تاريخ الممالك القديمة كتب القدماء والآثار. والمراد بالآثار هنا ما تركه القدماء من الاطلال كخرب مدنهم وهياكلهم وقصورهم وبقايا مصنوعاتهم كالمنقوشات والآنية الخزفية والحجرية وعلى كثير من تلك الآثار كتاباتٌ بخطوط غريبة يستفاد منها اخبار ذات شأنٍ جهلت ازمانًا طويلة لكنَّ علماء عصرنا انتهوا الى قراءة اكثرها بعد تعبٍ شديد فنتج عنها تواريخ مستوفية لبعض الممالك كمصر واشور وغيرها وكانت اخبارها قبل ذلك الا يعتمد بهِ ولا سيَّما ما يتعلق باوائل امورها فضلاً عمَّا فيها من الريب والابهام وستذكر

المقدمة

هذه الاثار كثيرًا في اخبار تلك الممالك

اقسام التاريخ القديم

وقد قسمنا التاريخ القديم الى اربعة اقسام كبرى تسهيلاً للبحث والمطالعة وعيّنا لكلٍّ منها كتابًا كما سترى

الكتاب الاول . تاريخ ممالك افريقية واسيا منذ اول عهدها الى زمان اسكندر الكبير

الكتاب الثاني. تاريخ اليونان من اول عهدهم الى ذلك الزمان

الكتاب الثالث . تاريخ مملكة مكدونية والممالك الناتجة عن فُتُوح اسكندر الى حين خضعت لرومية

الكتاب الرابع. تاريخ رومة منذ اول امرها الى سقوط المملكة الغربية

الكتاب الاول

تاريخ ممالك افريقية واسيا القديمة من اول عهدها الى زمان اسكندر الكبير

القسم الاول

في تاريخ مصر

الفصل الاول

في حدود مصر وخواصها الطبيعية

هذه البلاد في قارة افريقية على الطرف الشمالي الشرقي يحدها شمالاً البحر المتوسط وجنوبًا بلاد النوبة (المسماة قديمًا بلاد كوش) وغربًا الصحراء وشرقًا البحر الاحمر وخط مفروض من السويس عند راس هذا البحر الى البحر المتوسط فهي بلاد ضيقة على جانبي نهر النيل ولا يصلح منها الا وادي النهر طولها من الشمال الى الجنوب ينوف على خمس مئة ميل ومعدل عرض الوادي من الطرف الجنوبي الى نواحي القاهرة لا يزيد على خمسة عشر ميلاً ويجري النهر من دخوله ارض مصر عند اصوان الى القاهرة بين جبلين شرقيهما ممتد الى البحر الاحمر وغربيهما ينتهي الى الصحراء الغربية ويتسع الوادي من القاهرة وعند ما ينتهي النهر الى مكان يقال له بطن البقرة ينقسم الى شطرين احدهما يصب في البحر بقرب مدينة رشيد والآخر يجري الى دمياط وسمى الافرنج ما بين الشطرين الدلتا

لشبهه بحرف الدلتا (Δ) عند اليونان وسمَّاه العرب بالجبيرة (انظر المرآة الوضية فصل ٢٧)

تربة وادي النيل وتبلغ الاراضي المحروثة من البلاد نحو ٦٠٠ ميل مربع وربما بلغت ٨٠٠ ميل في القديم وهي مُكوَّنة من الاجراف التي تحملها مياه النيل بفيضانها كل سنة فصدق المصريون القدماء بقولهم "ارض مصر هبة النيل" وهي مخصبة جدًّا تكفي السكان الكثيرين دون حاجة الى المطر فانهُ هناك نادر ولا يقع من سنة الى سنة الا عند الارياف البحرية وانما تروى الاراضي بفيض النيل او بالنواعير وكلما زاد فيضان النهر زاد خصب الارض فكان المصريون يعتنون بهذا الامر كل الاعتناء ويبنون كثيرًا من اعمالهم عليهِ . وهذه البلاد

اقسام مصر قسمان كبيران مصر العليا (وتسمى الآن الصعيد) ومصر السفلى والفاصل بينهما خط مفروض يقطع الوادي في نواحي القاهرة وقُسِمت ايامَ الرومانيين الى ثلثة اقسام كبيرة . ثم قُسِمَ كل منها الى اقسام شتى سموها اقاليم فبلغت سنة وثلاثين اقليمًا في القديم وقيل سنة واربعين

المدن الشهيرة وقيل غير ذلك . ومن مدنها القديمة في مصر العليا ثيس ولعلها اقدم مدنها وكانت عاصمة مينيس الملك الاول للمصريين وثيبه (واسمها في التوراة نو) وهي على جانبي النهر عند موقع كَرْنَك وأُقْصُر وكانت عظيمة جدًّا ومركز المملكة حين زهوها وآثارها كثير الاعتبار . ثم مدينة هِرَكْلِيوبُلِس وهي مركز دولة من الملوك ايضًا ثم ممفيس (واسمها في التوراة نوف) قرب مدينة القاهرة وقد اشتهرت جدًّا في القديم اكثر من غيرها سوى ثيبة وحكم فيها بعض دوَل من الملوك . ومنها في مصر السفلى هِليوبُلِس وهي اشهر مدن هذا القسم القديمة (واسمها في التوراة اون) وهي بيت شمس لان معنى الاسم مدينة الشمس وسميت بذلك لانهم كانوا يعبدون الشمس فيها ومن بنات احد روسائها اخذ يوسف امرأتهُ (تك ٤١: ٤٥) ثم بوباسطس وتسمى اليوم تل بسطة ثم تانيس وسميت في التوراة صوعن ثم مدينة رعمسيس ثم بلوسيوم على التخوم نحو البرية الشرقية وكانت مدينة حصينة ولا موضع هنا لذكر كل مدنها لكثرتها فانها على ما قال هيرودوتس عشرون الفًا . وهذه البلاد تستحق الاعتبار لأقدمية عمرانها وتمدنها وتعلقاتها بشعب الله وذكرها كثيرًا في الكتب المقدسة

الفصل الثاني

في تاريخ مصر القديم من اول امرها الى عهد اسكندر الكبير

اصول هذا التاريخ. (١) الآثار وهي بقايا الهياكل والقصور والقبور والاهرام المشهورة وما اشبه وعلى كثير من هذه الآثار اخبار وتواريخ مكتوبة بخط المصريين القدماء المسمى هيروغليف اي خط الكهنة لان الكهنة استنبطوهُ وزاولوهُ ومنها كتب كثيرة من ورق البردي مدروجة كتبت بذلك الخط واكثر اخبار المصريين القدماء واحسنها من هذه الآثار. (٢) كتب هيرودوتس اليوناني الذي عاش في القرن الخامس ق. م. وسافر الى مصر وجال فيها واستخبر عن احوالها وتواريخها وسطر ما حصل عليهِ من اخبارها غير ان كثيرًا منها تخرصات اخذها عن الكهنة بواسطة ترجمان والظاهر انهم لفقوا لهُ قصصًا كثيرة تتعلق باسلافهم اما اخبارهُ المتعلقة باحوال مصر في ذلك الزمان حين سافر اليها فصحيح ومفيد. (٣) تاريخ منثو في اللغة اليونانية في نحو ٢٨٠ او ٢٦٠ سنة ق. م. ومؤَلفهُ منثو كان كاهنًا مصريًّا عرف سرّ خط الكهنة ولذلك كانت لهُ الوسائط لمعرفة تاريخ الامة من قديم عهدها اذ كان دأب الكهنة والملوك ان يكتبوا اخبارهم واخبار اسلافهم كما نعلم من الآثار الباقية ولا ريب في ان منثو اطلع على كثير من تلك الاخبار حين الف تاريخهُ فكان ما كتبهُ ثمينًا جدًّا متضمنًا ما نحتاج اليهِ الآن لاستيفاء تاريخ هذه البلاد غير انهُ لسوء الحظ فقد ولم يبقَ لنا منهُ الاَّ ما اوردهُ بعض المورخين كمختصرات يوسيبيوس وافريكانس. (٤) التوراة فان فيها بعض اخبار ثمينة غير انها لا تصرح باسماء ملوك المصريين الى ايام رحبعام ملك يهوذا وانما تشير اليهم جميعهم باسم فرعون وهو لقب عامٌّ فلا نقدر ان نعيّن الذين عاشوا قبل عهد رحبعام الاَّ على سبيل التخمين اما اخبار التوراة المتعلقة بعوائد المصريين فثمينة جدًّا. (٥) كتب ديودورُس اليوناني والظاهر انهُ بنى ما كتبهُ في شان المصريين على تواريخ هيرودوتس فليس لهُ اعتبار كثير ومن الكتب الحديثة في تاريخ مصر القديم ما ياتي

الآثار — هيرودوتس — منثو — التوراة — ديودورس

المصريون القدماء لولكنسون في الانكليزية

Wilkinson, Sir G. Ancient Egyptians.

مصر في ايام الفراعنة لبروغش باي في الالمانية والانكليزية

Brugsch Bey, H. Egypt under the Pharaohs.

شرحهُ لشمپوليون بالفرنسوية

Champollion le Jeune. L'Egypt sous les Pharaohs.

مقام مصر في تاريخ العالم للبارون بونسن في الالمانية والانكليزية

Bunsen, Baron. Aegyptens Stelle in der Weltgeschichte.

مختصر تاريخ مصر لمريت باشي في الفرنسوية

Mariette-Bey, A. Aperçu de l'histoire d'Egypte.

تاريخ مصر القديم لرولنصن في الانكليزية

Rawlinson, G. History of Ancient Egypt.

السكان **١. سكان مصر الاولون**. اجمع علماء المؤرخين على ان بني حام استوطنوا هذه البلاد اولاً وعلى ذلك ادلة كثيرة . منها ان اسمها في كتب موسى (في العبرانية) مصرايم وهو اسم احد بني حام (تك ١٠: ٦) ومنها ان اسمها في الزبور ارض حام (١٠٥: ٢٣) ولغتها اسم البلاد مختلفة اصلاً عن لغات الامم السامية واليافثية ولعلّ لفظة مصر عند العرب من مصرايم او لعلها عربية سموا بها تلك البلاد للون تربتها لأنّ من معاني المصر في اللغة الطين الاحمر وهذا يصدق على تربة وادي النيل بعد فيضان النهر واسم البلاد في اللغة المصرية القديمة كَمْ او خَمْ اي اسود وربما يشير ذلك الى لون التربة ايضًا

سكناها اما دخول الناس الى مصر اولاً فلا شك انهُ كان من اسيا وهل كان في طريق برزخ السويس من الشمال او في طريق جزيرة العرب وبوغاز باب المندب من الجنوب ذلك لم يُعرف لان اثار التمدن والعمران من القديم في كلٍ من مصر العليا ومصر السفلى والمرجح انهُ كان في الطريق الاولى. وزمان ذلك مجهول لقدمهِ لكن يتبين من الآثار انّهُ بداءة المملكة كان منذ ٣٠٠٠ سنة ق. م على الأقلّ . والبعض يظنون ان بداءة المملكة كانت منذ نحو ٥٠٠٠ سنة ق. م. على فرض تتابع الدول المصرية المعروفة من الآثار ومن تاريخ منثو فعدد هذه الدول احدى وثلثون دولة قبل عهد اسكندر الكبير ومجموع سنيها ٤٦٧٣ سنة ولكن لنا ادلة قوية على ان بعض هذه الدول عاصرت البعض فتكون مدة بقاء المملكة اقل من ذلك وظن بعض المحققين ان الدولة الاولى ملكت منذ نحو ٢٧٠٠ سنة او ٣٠٠٠ سنة ق. م. ولم يزل العلماء يبحثون عن الآثار بغية ان يروا ادلّة صريحة على ذلك ولكن لا ريب في ان مملكة المصريين قديمة جدًّا لانهُ لمّا نزل ابرهيم الخليل الى مصر منذ نحو ٢٠٠٠ سنة ق. م. كانت عامرة ودولتها معتبرة وذلك يقتضي زمنًا طويلاً قبل عهدهِ وذهب العلماء من هيئة الهرم الكبير ووضعهِ الى انهُ بُني في نحو ٢١٧٠ سنة ق. م. والمحقق ان بانيَهُ الملك الثاني من الدولة الرابعة فتأمل

مينيس **٢ تاسيس المملكة والدول الثلاث الاولى**. اجمع المورخون على ان مؤسس المملكة وراس الدولة الاولى ملك يسمى مينيس كان عرشهُ اولاً في ثيس من مصر العليا ثم نقلهُ الى ممفيس بعد ان بناها . قال هيرودوتس انهُ سد مجرى النيل وحوّل النهر الى مجرى جديد ثم بنى المدينة حيث كان يجري سابقًا وانهُ ادخل عوائد جديدة الى البلاد وابطل القديمة فعظم ذلك على المصريين فلعنهُ بعض من خلفوهُ كانهُ جلب غضب الآلهة

على المملكة ولعلّ العلّة الصحيحة انهُ رقّى شان نفسهِ وحط شان الكهنة شيئًا والظاهر مما قالهُ الكهنة لهيرودوتس ان البلاد كانت في سلطانهم قبل زمن مينيس اذ اخبروهُ ان دولة من الآلهة ملكت مصر قرونًا كثيرة قبل عهد مينيس وربما اشاروا بذلك الى سلطان الكهنة ثم قام مينيس وابطل سلطانهم السياسيّ فلعنوهُ كأثيم. لكن قيل انهُ اول من وضع للمصريين شريعة الآلهة ورتب خدمة العبادة. والخلاصة ان اعظم ما نعرف من امرهِ انهُ بنى ممفيس وزخرفها اما من خلفوهُ من دولتهِ فاخبارهم قليلة لا يعتدُّ بها وكذلك اخبار الدولة الثانية والدولة الثالثة قيل ان الملك الثاني للدولة الاولى (اسمهُ اثوتس في اليونانية وتوتا في المصرية) كان طبيبًا والف كتابًا في التشريح غير ان الآثار لا تنبئنا بشيء من ذلك والملك الخامس من هذه الدولة سابتي ذُكر في درج كُتب في ايام رعمسيس الثاني موضوعهُ البرص ذكر مؤلفهُ ان جزءًا من هذا الكتاب مبنيٌّ على كتاب أُلِّف في ايام سابتي المذكور فيظهر من هذا ان المصريين القدماء اعتنوا بعلم الطب قال منثو ان ملوك الدولة الاولى تسعة ومدة حكمهم ٢٥٣ سنة ثم خلفتها الدولة الثانية وعاصمتها ثيس وملوكها تسعة كالاولى وسنو حكمهم ٣٠٢ وليس منهم من يستحق الذكر سوى اثنين كابخوس او كاكو الملك الثاني الذي اقام عبادة الثور ابيس المشهور وعبادة حيوانات اخرى مقدسة كان المصريون مولعين بها وبنوثرس الملك الثالث واضع القانون الذي مفادهُ ان لبنات الملك حق الملك ان لم يخلف ابنًا . اما الدولة الثالثة فعاصمتها ممفيس وملوكها تسعة على قول منثو ومدتهم ٢١٤ سنة. قال هذا المورخ ان الليبيين خرجوا على المصريين ايام الملك الاول لهذه الدولة فالظاهر ان ملوك مصر من هذه الدول الاولى اخضعوا بعض الامم المجاورين لهم ومما علمناهُ من الآثار ان الملك سنوفرو (وهو الملك الذي قبل الاخير من ملوك هذه الدولة على ما في قائمة منثو) استولى على جانب من جزيرة طور سينا واستخرج من جبالها النحاس والحجارة الكريمة وذكر في كتابة على الصخور في وادي مغارة وهناك آثار المعادن التي عمل فيها المصريون ولنا كثيرٌ من الادلة على انهم عرفوا قيمة المعادن في ذلك العهد البعيد واستخدموها كثيرًا في صنائعهم . وظن بعض المورخين ان هذه الدولة كانت معاصرة للدولة الاولى

اثوتس

سابتي

الدولة الثانية

الدولة الثالثة

٣ **الدولة الرابعة عاصمتها ممفيس** ولها ثمانية ملوك على قول منثو ومدتها ٢٨٤ سنة قال بعضهم انها كانت معاصرة للدولة الثالثة اما آثارها فعظيمة كالاهرام الغربية

التي لا نظير لها في الارض وهي دليلٌ على ان ملوك هذه الدولة كانوا اقوياء اغنياء متسلطين على الامم وانّ بلاد مصر كانت متقدمة جدًّا في العلوم والصنائع . واول ملوك هذه الدولة في قائمة منثو سورِس او شوري ولم يُذكر من امرهِ الا قليل والثاني سوفيس الاول او خوفو وهو الذي بنى الهرم الاكبر في نواحي ممفيس بارض الجيزة واشتهر بهِ ولهذا الملك آثار في وادي مغارة تنبئُ بأنهُ اهلك اعداءهُ في ارض طور سينا وبنى في مصر بعض مدنٍ لم تزل اسماؤها على الاثار . اما الهرم الكبير فبناهُ مدفنًا لنفسهِ فجرى على سنتهِ ملوك مصر بعدهُ . قيل ان كلاًّ من اولئك الملوك كان يشرع في بناء هرمهِ في اول ملكهِ ولا يزال يزيد عليهِ الى حين موتهِ فيمكن ان تُعلَم مدةُ مدة ملكهِ تقريبًا وذلك وفق قول منثو بان سوفيس الاول ملك ٦٣ سنة فان هرمهُ كبير جدًّا طول كلٍّ من جوانبهِ ٧٤٦ قدمًا وعلوهُ ٤٥٠ قدمًا وكان اكثر من ذلك لأنهم نزعوا حجارة كثيرة من جدرانهِ فيظن ان علوهُ كان ٤٨٠ قدمًا وطول كل جانب ٧٥٦ فتكون مساحة ارضهِ ٥٣٦ ٥٧١ قدمًا مربعة وفي احد جوانبهِ مدخل ودهليز يتحدر الى جوفهِ حيث المخدع المعد لضريح الملك .

سورِس وسوفيس

الهرم الكبير

قال هيرودوتس "ان بناء ذلك الهرم العظيم اقتضى مئة الف فاعل نحو ثلاثين سنة تنقضي عليهم عشر سنين منها في تمهيد الطريق لجلب الحجارة من المقالع" وزاد على ذلك أنهُ رأى على بعض حجارتهِ كتابة بخط الكهنة تنبئُ بان قيمة ما انفقهُ على الفعلة من الفجل والبصل والثوم مدة بنائهِ ١٦٠٠ وزنة من الفضة اي نحو ٣٠٠ ٠٠٠ ليرا انكليزية فكم تكون كل نفقة بنائهِ فتأمّل . قيل ان المصريين ابغضوا هذا الملك لانهُ سخرهم في ذلك العمل وعاملهم بالجور لكن لا يحسن ان نحسب كل هولاء الفعلة من المصريين لامكان ان يكون اكثرهم من الاجانب الذين سباهم الملك في حروبهِ . والذي يظهر من مشاهدة ذلك الهرم انهم بنوا اولاً مخدع الضريح وزخرفوهُ ثم اخذوا يزيدون عليهِ من الخارج فجعلوهُ هرمًا مدرجًا ليتمكنوا بالدرج من رفع الحجارة الى راس البناء لانها كانت كبيرة ومما يحير الالباب انهم مكّنوا سقوف المخادع والدهاليز حتى لا تسقط من ضغط كل تلك الحجارة على مرّ القرون . ولما بلغوا من البناء غايتهُ وضعوا في خلل الدرجات حجارة مثلثة فكمل كل وجه من الهرم وصار سطحًا مستويًا . وقطعوا تلك الحجارة في اسوان على حد مصر الجنوبي واتوا بها على النيل في الارماث ولما كان حجر اسوان شديد الصلابة صار بالصقل كالمرآة فكانت اوجه الهرم لامعة كالبلور ولا يخفى ما تكلفهُ الفعلة من التعب في قطع تلك الحجارة وصقلها

وجلبها الى مكانها وملك بعد سوفيس الاول سوفيس الثاني. قيل انهُ اخو الاول وقيل انهُ ابنهُ والظاهر انهُ شارك الاول في ملكهِ وملك ٦٦ سنة ومع ذلك لم يبقَ الاَّ قليلاً بعد الاول وبنى هرماً كبيراً ولعلهُ هو الذي نصب قرب الاهرام تمثال الاسد الكبير ذي الرأس البشريّ المعروف باسْفِنْكس لانهُ وُجد اسم هذا الملك مرسوماً عليهِ. وخلفهُ مخيريس او منقارا وملك ٦٣ سنة على قول منثو وبنى هرماً كبيراً ايضاً لكنهُ دون اهرام سالفيهِ حجماً وبقي تابوتهُ داخل الهرم الى عصرنا ونقلوهُ بغية ان يضعوهُ في المشهد البريطاني فانكسرت السفينة التي حملتهُ عند جبل طارق فغرق لكنَّ غطاءهُ طفا لانهُ من خشب فاخذوهُ الى لندن قال هيرودوتس "ان هذا الملك كان تقيًّا وحسن السيرة تحرَّى خدمة الآلهة خلاف ابيهِ فان ذاك اغلق الهياكل وكفر وكانت لهُ ابنة وحيدة احبها محبة شديدة فلما ماتت صنع لها خير جنازة واعدَّ لها ضريحاً غريباً فصنع بقرة من خشب وجوَّفها وطلاها بالذهب ووضع جثة ابنتهِ فيها ووضعها في قصرٍ واخذ يبخّرها كل يوم" وقال "ان الآلهة جلبوا المصائب على منقارا مع كل تقواهُ فقدَّرت لمصر ١٥٠ سنة من التعب والعناء بسبب جور اسلافهِ وكفرهم". قلت والحق ان في الآثار ما يدل على اضطراب الدولة وانفلاتها بعد ذلك فان اهل البحث والتفتيش وجدوا عدَّة تماثيل لسوفيس الثاني في قعر بئر عميقة مكسَّرةً فاتخذوا ذلك امارةً على ان الاعداء خرجوا على الدولة وقاموا عليها وارادوا ان يمحوا آثارها. وليس بعد منقارا من يستحق الذكر من هذه الدولة. ولا ريب في ان عظمتها كانت ايام الملوك الثلاثة الاولين وارتقت مصر يومئذٍ وبلغت اسمى المراقي في العلوم والصنائع والسلطان وغيرها وذلك يظهر جليًّا من امعان النظر في آثارها فانها اعظم آثار الدنيا القديمة. والاهرام اصدق شاهدٍ بعظمة اعمال المصريين في ذلك العهد فقطعوا الحجارة الكبيرة من بعيدٍ ونقلوها ورفعوها الى العُلَى واتقنوا ترتيبها فجاءت الاهرام على احسن وضع هندسيٍّ مُحكَم على الجهات الاربع. وخطهم في تلك الايام ورسومهم ونقوشهم على غاية الاتقان. وكثرة كتاباتهم على الآثار واستعمالهم اياها في كل امورهم اقوى دليل على تقدمهم في سبل التمدن ويظهر من امارات كثيرة انهم حرصوا على التجارة والفلاحة وغيرها من الاعمال التي من شانها ترقية البلاد. ولم يزل من بقايا مصنوعاتهم ما لم يهر بهِ المتاخرون اكثر منهم

سوفيس الثاني

منقارا

تقدم مصر ايام الدولة الرابعة

٤ الدولة الخامسة وما بعدها الى الدولة العاشرة وتأخر المملكة

احوال الدول الستّ التالية للرابعة واخبارها ليست بذات شأن ولم يعلم من امورها

ما يعتدُّ بهِ وهذا جدولها على ما رآهُ منثو

الخامسة .	مركزها منفيس .	عدد سنيها	٢٤٨
السادسة .	" أَلِفَنتين (جزيرة اسوان)	"	٢٠٣
السابعة	" منفيس	"	(٧٠ يوماً)
الثامنة	" منفيس	"	١٤٢
التاسعة	" هيرَكْلِيوبُولِس	"	١٠٩
العاشرة	" "	"	١٨٥

وظن بعضهم الخامسة عاصرت السادسة والتاسعة والثامنة عاصرتا العاشرة في بعض مدتها . ومما اجمع عليهِ المحققون ان تلك المدة كانت مدة قلق وانحطاط وانهُ لم تقم فيها دولة قادرة على ضبط المملكة كلها فحدث من ذلك الانقسام والاضطراب غير ان بعض ملوك الدولة الخامسة ظلوا اقوياء فاستولوا على كل البلاد لكنَّ اخبارهم قليلة فمنها ذكر ثاني ملوكها على صخور وادي مغارة . وفيهِ انهُ الهٌ يقهر الامم ويسحق الممالك وفي كتابات الوادي ذكر عدة ملوك من ملوك هذه الدولة ويستدل من ذلك ان سلطتهم بلغت ما وراء بلاد مصر وشوهد اسماء كل ملوكها على الآثار وفي جدول منثو وعددهم تسعة . اما عدد ملوك الدول الخمس الباقية فلم يزل مجهولاً ولم يشاهد على الآثار سوى اسماء عشرين منهم وفي جدول الملوك في طرس تورين المشهور فسحة تختص بتلك الدول تسع نحو اربعين اسماً محاها البلى وذهب بكل ما رسم عليها . وما لنا من انباء اولئك

ببي الملوك الاَّ ما ندر فمنهم ملك يسمى ببي استولى على كل مصر لأَنهُ حارب امم البادية شرقيَّ مصر السفلى وهي بلاد هاروشة وجمع جيشهُ من كل البلاد فبلغ ربوات كثيرة ولم يكتفِ بذلك فجمع كثيراً من الجنود من بلاد السودان . فالظاهر انها كانت تابعةً لمصر حينئذٍ قيل ان هذا الملك حارب بلاد هاروشة خمس مرات وقيل انهُ سار بجيوشهِ في السفن وحارب بلاداً غيرها ظنها المورخون في نواحي سورية وبنى مدينةً سماها باسمهِ وملك مئة سنة

نتوكريس وفي ايام الدولة السادسة استولت نتوكريس على زمام الملك وملكت اثنتي عشرة سنة على ما قال منثو وكانت اشرف نساء عصرها واجملهنَّ . قال هيرودوتس ان اخاها كان ملكاً قتلهُ الاعداء فملكت مكانهُ وعزمت على الانتقام فكتمت غيظها وبنت مجلساً عظيماً تحت الارض اولمت فيهِ وليمة فاخرة دعت اليها قاتلي اخيها ولمَّا هزَّ الطرب اعطافهم

ادخلت عليهم ماء النهر في سرب اعدته لذلك فهلكوا عن آخرهم اه ولا دليل يقينيّ على صحّة هذه القصة لكنّها تبين قلق الامور في ذلك العهد وفقًا لما سبق وفي نحو ذلك الزمان انتهت سلطة المصريين على مصر السفلى اذ اخضعهم الرعاة كما سياتي وربما كانت ملوك الدولة التي بعد السادسة الى الحادية عشرة خاضعة بعض الخضوع لهولاء الرُّعاة وآثارهم قليلة جدًّا

البلاد في قلق

٥ **الدولة الحادية عشرة والدولة الثانية عشرة** تقدُّم مدينة ثيبه (مدينة ابو) قامت الدولة الحادية عشرة في هذا المقام الجديد الذي صار عظيمًا فيما بعد واشتهر اشتهار منفيس اما ملوك هذه الدولة فغير معروفين لان منثو لا يذكر اسماءهم ولا يتميزون على الآثار عن ملوك الدولة الثانية عشرة وظنهم البعض ستة اما مدة ملكهم فلم تُحقق ولعلّ جملة مدتهم ومدة ملوك الثانية عشرة ٢١٣ سنة ومن ملوكها منتوهوتمب الذي فتح التجارة في الجنوب فارسل عبيدهُ الى بلاد بونت وهي في جنوب جزيرة العرب على ظن البعض او شطوط افريقية على البحر الاحمر مقابلَ جزيرة العرب على ظن الآخر فاتوا من تلك البلاد بالذهب والحجارة الكريمة والطيوب وربما عاصرت هذه الدولة الدولة التاسعة ثم خلفتها الثانية عشرة وكانت اقوى منها كثيرًا وفي ايامها ارتقت مصر كثيرًا فوصلت الى ما كانت عليهِ من الزهو والشهرة ايامَ الدولة الرابعة لانها تقوت في الداخل وانتشر سلطانها في الخارج أكثر من ذي قبل فاستردت اراضي طور سينا واستولت على بلاد كوش التي لم يستول عليها احدٌ من ملوك مصر في ما سبق

بلاد بونت

الدولة الثانية عشرة

وكانت عاصمة هذه الدولة ثيبة التي زهت في ايامها حتى فاقت منفيس . اما ملوك هذه الدولة فثمانية ومدة ملكهم على قول منثو ١٦٨ سنة اولهم ملك يسمى أَمَنَمْهَه والظاهر انهُ تبوأَ تخت المملكة على رغم جماعة من الزعماء لكنهُ بذل الجهد في ذلك او قاومهُ الروساء في اطراف البلاد فاخضعهم وتسلط على كل بلاد مصر وغزا بلاد كوش ايضًا كما يظهر من كتابة كتبها على صخرة في تلك النواحي وشارك ابنهُ في الملك عشر سنين قبل موتهِ ثم خلفهُ ابنهُ أُسورْطاسن وملك نحو ٤٥ سنة وآثارهُ كثيرة يظهر منها انهُ غزا بلاد كوش كابيهِ وزاد عليهِ فيذكر خمس قبائل او خمسة اقاليم غزاها واخضعها واقام هذا الملك ابنية معتبرة في مدينة اون وثيبة وغيرها اكثرها هياكل الآلهة وآثارهُ في اماكن شتى من مصر السفلى ومصر العليا غير آثارهِ في وادي النيل جنوبي مصر وفي وادي مغارة فكان ملكًا قويًّا

أَمنمهه الاول

أسورطاسن الاول

أمنيهه الثاني — ثم ملك أمنيهه الثاني ومدة ملكهِ نحو ٣٨ سنة ولا نعرف كثيرًا من أمرهِ غير انهُ حذا حذو ابيهِ في غزواتهِ فوسع تخوم المملكة جنوبًا واقام ابراجًا على الحدود ليمنع هجمات الكوشيين وليتمكن من التسلط على بلادهم التي استخرج منها الذهب والحجارة الكريمة ثم ملك ابنهُ

اسورطاسن الثاني — أسورطاسن الثاني الذي شاركهُ ابوهُ في الملك قبل موتهِ بست سنين ومع ان اخبارهُ قليلة نعلم من الآثار ان مصر كانت في اسمى زهوها في ايامهِ وانهُ لم يزل متسلطًا على الامم التي اخضعها اسلافهُ وبلغ صيتهُ اما آخر فمن آثار عهدهِ رسم معتبر على صخور بني حسن يستفاد منهُ ان عائلة كبيرة عددها ٣٧ نفسًا انتقلت الى مصر من ارض مديان في بلاد العرب آتية بهدايا فقُبلت باكرام على نوعٍ يذكرنا بامر يعقوب وعائلتهِ غير ان زمان هذا الملك قبل زمان يعقوب بمدة طويلة وملك اسورطاسن الثاني ثلاث عشرة سنة وحدهُ حسب الآثار

اسورطاسن الثالث — وثمانية وعشرون على قول منثو ثم خلفهُ اسورطاسن الثالث الذي ملك ٢٦ سنة حسب الآثار واشتهر كاسلافهِ اذ بالغ في غزواتهِ كل مدة ملكهِ وحدود سلطتهِ وادي النيل الى ما وراء الجنادل الثانية اما خليفتهُ فكان أمنيهه الثالث الذي اشتهر لمآثرهِ السلمية النافعة ومن اعظم آثارهِ بحيرة ميرس واللابرنثوس

بحيرة ميرس — اما بحيرة ميرس فكانت في اقليم الفيوم وغايتها جمع مياه النيل لترويه الاراضي بعد ارتداد فيضان النهر اذا لزم لان المصريين القدماء اعتنوا كل الاعتناء بهذا الامر لان خصب ارضهم يتوقف عليهِ وكان الملوك يرسلون الخدم الى شواطئ النهر على التخوم الجنوبية ليراقبوا ارتفاع الماء فيخبرون الملك بكل سرعة من يوم الى يوم لكي يعلن لاصحاب الاراضي في مصر السفلى ما ينظر من أمر الفيضان فان كان الارتفاع قليلاً اتخذوا الوسائط لزيادة الفيض وان كان كثيرًا اتخذوا الوسائط لدفع قوة المياه التي كانت احيانًا تجرف البيوت والمواشي والناس . اما امنيهه فحفر هذه البحيرة للغاية المذكورة فكانت سعتها نحو ٩٠٠٠٠٠٠٠ قدم مربعة وسماها اليونان ميرس لانهم ظنوا الذي حفرها ملكًا اسمهُ ميرس والآثار تبين ان حافرها امنيهه واما ميرس فمن ميري في المصرية القديمة ومعناها بركة او بحيرة

اللابرنثوس او الالغاز — اما اللابرنثوس اي الالغاز فهو بناء عظيم عجيب اقامهُ هذا الملك قرب قناة البحيرة ولهُ طبقتان وفيهِ اثنتا عشرة دارًا و ١٥٠٠ غرفة من حجر صلب جدًّا متقن النحت وكانت الغرف والدهاليز عجيبة التركيب فسمى اليونان هذا البناء لابرنثوس اي الغازًا لاشتباكهِ لانهُ كان من يدخلهُ وهو يجهلهُ لم يقدر ان يجد مخرجًا منهُ . رآهُ هيرودوتس حين سفرهِ الى

مصر فدهش كل الدهش وقال انهُ اعظم بناء في العالم

ومن الآثار نعلم انهُ ملك ٤٣ سنة وهذا لا يوافق قول منثو ثم خلفهُ ابنهُ الرابع وملك نحو ٩ سنين ولا نعرف من امرهِ غير ذلك ثم خلفتهُ الملكة سِبِكْ نوفْرو وملكت ٤ سنين وبها انقرضت الدولة الثانية عشرة

٦ الدولة الثالثة عشرة والدولة الرابعة عشرة

كانت عاصمة الدولة الثالثة عشرة ثيبة ايضاً وملوكها على قول منثو ستون ومدة ملكهم ٤٥٣ سنة اما في طرس تورين فعددهم اكثر من ذلك كثيرًا غير ان اكثر الاسماء بالٍ ولعلها بلغت نحو ١٥٠ اما مدة ملكهم فالظاهر انها لم تكن اكثر كثيرًا مما ذكر لان مدة كل ملك منهم في الطرس قليلة جدًّا فمنهم من ملك بضعة اشهر او بضعة ايام فلنا دليل من هذا ان مدة هذه الدولة مدة اضطراب وقلق كثيرة الفتن وقتل الملوك ولذلك كانت اخبارهم قليلة جدًّا وآثارهم نادرة والظاهر ان منثو لم يعرف الا القليل من اخبار هولاء الملوك واسقط كثيرين منهم في قائمتهِ لقصر ملكهم وقلة اعتبارهم ومع ذلك كان منهم من تسلطوا على كل بلاد مصر لان آثارهم وتماثيلهم في اطراف البلاد جنوبًا وشمالاً مدة الانقلاب

اما الدولة الرابعة عشرة فاخبارها اقل من اخبار السابقة. قال منثو عدد ملوكها ٧٦ ومدة ملكهم ٤٨٤ سنة وعاصمتهم خاسو وهي مدينة في مصر السفلى واسمها في اليونانية خويس خرجوا على ملوك الدولة الثالثة عشرة على ما يظن وتمكنوا من التسلط على مصر السفلى بينما كان اولئك يحكمون في مصر العليا فكانوا معاصريهم والظاهر من الآثار ان سلطة بعضهم بلغت الجنوب والله اعلم الدولة ١٤

٧. الدول الثلاث الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

وهي دول الهِكْسوس اي الرعاة فالاضطراب الذي وقع في مصر كما ذكرنا فتح بابًا لهجوم الاعداء فغزوها ودوَّخوها مدة سنين كثيرة ودخلوا البلاد من الشمال الشرقي فكانوا من غربي اسيا ومن الاسم الذي اطلقهُ المصريون عليهم اي الهكسوس نستنتج انهم من جرَّة العرب ولنا أدلة كثيرة من اسماء الاماكن في مصر السفلى شرقي البحيرة (الدلتا) ان اناسًا من الساميين ترددوا اليها ولعلهم عدوا الى الغزو لما رأوا البلاد في القلق كما مر فاستولوا اولاً على الشمال الشرقي من البلاد وجعلوا عاصمتهم تانيس (صوعن) على قول منثو وكانوا ثلاث دول كما ذكر ومدة ملكهم اكثر من ٥٠٠ سنة. واخبارهم قليلة وذلك لسببين قلة آثارهم

دخول العرب

الاول انهم كانوا غير متمدنين فلم يهتموا بتشييد الابنية ولا برسم الحوادث على العُمُد والقبور ليخلدوا ذكرهم كالمصريين والثاني ان ملوك الدولة الثامنة عشرة الذين طردوهم بذلوا كل الجهد في محو آثارهم ليزيلوا عار تسلط الاجانب على الوطن. قال منثوان الرعاة عاملوا المصريين بالقساوة والظلم وحرقوا المدن وخربوا الهياكل وحملوا الناس على عبادة آلهتهم الغريبة وذبحوا الرجال واستعبدوا النساء والاولاد فمقتهم الناس كل المقت وكانوا رجساً عند المصريين (راجع تك ٤٦: ٣٤) واستولوا اولاً على مصر السفلى ثم مصر العليا كما علمنا من الآثار وربما كان في عصرهم دول وطنية في اماكن مختلفة خاضعة لهم ففي رقيم البرديّ الذي في مشهد الآثار البريطاني ان بعض ملوك ثيبة كان بمثابة والٍ على ذلك الاقليم يطيع امر ملك يسمى ابوبي عاصمته مدينة أوارس في الاقليم الشمالي الشرقي وهو واحد من الرعاة ولعلَّه من الدولة السابعة عشرة والظاهر ان ملوك هذه الدولة تمدنوا واتخذوا عوائد المصريين واستعملوا لغتهم وعبدوا الهتهم ورمموا هياكلهم حتى صاروا مصريين مع انهم حسبوا من الرعاة ونستدل من آثارهم انهم كانوا من غير قبيلة الرعاة الاولين وانما انتموا الى قوم الحثيين الذين سكنوا فلسطين وسورية الى الفرات وهم اعظم شعب تلك النواحي وذكروا كثيراً في تواريخ اشور ومصر بعد الايام التي نتكلم عليها هنا وقد اجمع المورخون على ان تغرب بني اسرائيل في مصر كان ايام الرعاة لان احوال مصر في زمانهم كاحوالها حين كان العبرانيون فيها ففي التكوين ان الملك الذي رحَّب بهم كان في مصر السفلى وعين لهم مسكناً ارض جاسان وهي في التخوم الشرقية وفي كتابة على صخر في مصر العليا على قبر رئيس اسمهُ بابا عاش ايام الدولة السابعة عشرة انهُ صار في ايامهِ قحط عدة سنين متوالية فتعين هو لتوزيع القمح على الناس في مدينتهِ لئلا يهلكوا جوعًا ولعلَّ ذلك كان الجوع المذكور في قصة يوسف والله اعلم

التغرب

ذكرنا ان بعض المورخين ظنَّ ان جملة من دول مصر القديمة كانت متعاصرة غير متتابعة فنتج من ذلك تباين عظيم من جهة ازمنتها فلم نذكرها دولة فدولة وانما التفتنا الى الاخبار دون ازمنتها ولا ريب في ان بعد الدولة السابعة عشرة كانت بقية الدول متتابعة ونقدر ان نعين اعصارها باكثر تدقيق وقد رتب بعضهم الدول السبع عشرة الاولى كما يأتي

نحو ٢٧٠٠ ق٠م

العاصمة ثيس	العاصمة ممفيس	العاصمة الفنتين	العاصمة هيركليوبلس	العاصمة ثيبة	العاصمة خويس	العاصمة تانيس	العاصمة اوارس
دولة ١	دولة ٣	دولة ٥	دولة ٩	دولة ١١	دولة ١٤	دولة ١٥	دولة ١٦
دولة ٢	دولة ٤		دولة ١٠	دولة ١٢		دولة ١٧	
	دولة ٦			دولة ١٣			
	دولة ٧						
	دولة ٨						

نحو ١٧٠٠ ق٠م

تنبيه . الخطوط العمودية تفصل بين العواصم والافقية بين الدول الحاكمة في عاصمة واحدة وطول كل مستطيل يدل على طول مدة الدولة المرقومة فيهِ على معدل نحو ١٠٠٠ سنة للجدول كلهِ فيظهر منهُ عدة الدول التي حكمت في وقت واحد. غير ان هذا الترتيب ظنيٌّ لا يقينيٌّ

٨. **الدولة الثامنة عشرة نحو ١٧٠٠ ق.م. عميس محرر مصر**

عاصمة هذه الدولة ثيبة وكانت مستولية كل مصر وحررتها من الاعداء الاجانب واول ملوكها عميس او اموسيس وهو ليس من نسل الملوك على ما يظن بل حسب منهم لاقترانه بامرأة من النسل الملكي الوطني كانت وارثة الملك فانها رسمت على الآثار بالمدح والاكرام مثله وكان عميس بطلاً صنديدًا حارب العدو في حصنه فركب النهر ونزل الى ممفيس وفتحها ثم تقدم الى عاصمة الرعاة وفتح اوارس مدينتهم الحصينة وطردهم من البلاد طرد الرعاة وسحق قوتهم حتى لم يستطيعوا القيام بعد وجعل من بقي من الرعاة في مصر عبيدًا ولم يكتفِ بذلك بل شن الغارة على وطنهم الاصلي ارض الحثيين في سورية ففي بعض كتاباته انه طردهم وتبعهم الى هناك ليشفي غيظه وانه بلغ ارض النهرين في غزواته وهكذا فتح بابًا لحروب كثيرة في تلك الاقطار كما سياتي ولم يشتهر هذا الصنديد بمجرد انه طرد الرعاة بل أنه حارب الكوشيين واثخن في بلادهم واخضعهم وهكذا اصبحت مصر بعد ليلها الطويل في نهار ابهج كثير الرونق والمجد فان عميس ومن خلفوه رقوها الى اعلى درجة من درجات مجدها القديم ومن الغريب انها ارتقت حالاً عند ما تحررت من ظالميها وظهر نشاطها في غزواتها البعيدة ومآثرها المدنية ولم تزل آثارها الى هذا العهد كثيرة ثمينة وكادت لا تنقطع الى حين انقراض امرها. ثم مات عميس وخلفه ابنه أمنوف (أمنوفس) الاول الذي حذا حذوهُ في محاربة الكوشيين وحارب اللبيين في الشمال الغربي

٩. **ثوطميس الاول وثوطميس الثاني في نحو ١٦٥٠ ق.م.** في السنة الاولى من ملكه ثوطميس ١ ثوطميس ٢ حارب بلاد كوش وغنم فنهب كثيرًا من الحيوانات والعبيد والعاج والذهب والحجارة الكريمة ثم توجه الى الشرق وغزا بلاد الروتنو اي بلاد سورية وقال في اخباره انه بلغ النهرين وغنم من تلك القبائل. وقال انه شفى غليله مما أتاهُ اهل تلك البلاد من الأذى لاسلافه ورجع منصورًا بالغنائم وكان منها الخيل والمركبات ولم تعرف الخيل في مصر قبل هذه الدولة لانها لم تصوَّر على الآثار ولأنهم سموا الفرس سوسًا وهو اسم ساميّ الاصل. وملك ثوطميس الاول ٣١ سنة وخلفه ابنه ثوطميس الثاني لكنه لم يملك الاَّ قليلاً ثم خلفه

١٠. **ثوطميس الثالث في نحو ١٦٣٥ ق.م.** واشتهر اكثر من اسلافه وقبضت ثوطميس ٣ اخته هتسو او هشوب على زمام الملك لانه كان صغيرًا وظلت مالكة ١٥ سنة وكانت امرأة عاقلة مولعة بالمجد وبالمآثر العظيمة واذ لم تقدر ان تتقدم جنودها في حومة القتال

اخذت بما يزيد مجدها ويخلد ذكرها على طريقة اخرى فبعثت سفنها الى بلاد بونت على البحر الاحمر او بحر الهند ولعلها هي ارض أُوفير المذكورة في التوراة وكانت تأتي المصريين بالبخور العطر واشياء كثيرة عزيزة غريبة فرجعت السفن بنجاح ووفد على الملكة هتسو بعض روساء الارض حاملين الهدايا الثمينة فامرت بتصوير كل هذه الامور على بعض ابنية كَرْنَك وزخرفت المدن واقامت الاعمدة وتصرفت مثل ملك مع ان حق الملك كان لاخيها الذي منعته من ان يتداخل في الامور غير انه لما نشأَ طالب حقهُ فتُوِّج. اما هتسو فلم تترك مقامها وانما تمسكت بالملك الى حين موتها وذلك بعد سنتين من تتويجهِ ولم يزل اسمها مع اسم اخيها على بعض الآثار

اما ثوطميس فحسب ملكهُ منذ تبوأَت اختهُ التخت فمدتهُ ٤٧ سنة بدليل ذكر السنة السابعة والاربعين على الآثار وكان محاربًا عظيمًا فاق كل من سبقهُ وبلغ اقاصي الارض المعروفة في تلك الايام فكانت صوائفهُ ما ينوف على ثلث عشرة صائفة اولها في سورية وما يليها في السنة الثالثة والعشرين من ملكهِ والظاهر ان الامم التي خضعت لمصر قبلاً أَبت ان تعطي الجزية فسار لتاديبها وفي الصائفة الاولى لقي العدو في فلسطين عند مجدُّو وكان قد اجتمع عليهِ هناك قبائل كثيرة من اقاصي البلاد فكانت الحرب شديدة لكنهُ انتصر وغنم وقهر الاعداء في كل حرب وضرب عليهم الجزية وامر بتسجيل هذه الحروب على حيطان الهياكل وغيرها في بلادهِ ومنها توصلنا الى كثير من اموره ومن الامم التي غلبها واستيلائهِ على ١١٩ مدينة في سورية او بلاد الرُوتَنُو منها يافا وصور ومجدُّو وعكا وبيروت ودمشق وارواد وحماة وقادش على نهر العاصي عاصمة امَّة الروتنو او الحثيين في الشمال وكركميش على الفرات وكانت امة الروتنو متقدمة على الجميع حينئذٍ وذكر الملك ايضًا كثيرًا من الغنائم والهدايا ولاسيما الغريبة منها فنرى الحيوانات التي لم تعرف في مصر والأثمار والمصنوعات الاجنبية وغيرها كلها مصورة ومقيدة بعددها ومقاديرها على الجدران وبنى هذا الملك ابنية كثيرة كما تشهد آثارهُ الوافرة المعتبرة في كرنك وغيرها ومنها قصر الاعمدة وهيكل امون واثمنها من جهة التاريخ قائمة الملوك التي رسمها على حائط بعض الهياكل ليبين سلسلة نسبهِ واستقصى فيها الى سنوفرو احد ملوك الدولة الثالثة وعلى تلك الآثار الاسرى يصنعون اللبن وعليهم مسخرون كما في ايام بني اسرائيل ولهُ آثار في بلاد كوش على أمدٍ بعيدٍ من تخوم مصر ولعلَّ آثارهُ اكثر من آثار كلٍّ من اسلافهِ وخلفائهِ

آثار ثوطميس ٣

١١. **بقية ملوك الدولة الثامنة عشرة .** ثم خلفهُ امنوف الثاني وملك عشر سنين وخلفهُ توطميس الرابع وملك ٢١ سنة وبذلا الجهد في حفظ تخوم المملكة كما كانت ولم يشتهرا بالنسبة الى اسلافهما الاّ ان توطميس الرابع عزل الرمل عن تمثال الاسفنكس وكان الرمل طمر جانبًا منهُ وبين ذلك برسمٍ على التمثال لم يزل الى ايامنا . وقد ظن البعض ان هذا الملك هو الذي صنع الاسفنكس والصحيح انهُ عمل سوفيس الثاني من الدولة الرابعة

توطميس ٤

امنوف ٣ ثم ملك امنوف الثالث وكان مثل توطميس الثالث في فتوحهِ وسلطتهِ فآثارهُ تدلُّ على ان مملكتهُ كان مما بين النهرين الى اواسط بلاد الحبش وانهُ شاد على شواطئ النيل ابنية عجيبة النقش عظيمة الحجم من اعظمها واشهرها تمثالان نصبهما لنفسهِ في كرنك علوّ كلٍّ منهما نحو ٤٠ ذراعًا . واشتهر احدهما عند اليونان والرومانيين لاعتقادهم انهُ كان يصوت او يغني صباحًا عند طلوع الشمس ورجَّح بعضهم ان ذلك من حيل الكهنة والارجح انهُ من سبب طبيعي وبيانهُ انهُ كان فيهِ شقٌّ عمودي دقيق فكان حين يحمى اعلاهُ من حرارة الشمس واسفلهُ لا يزال باردًا يخرج الهواء منهُ بسرعةٍ فينتج الصوت وقد تحقق هذا الامر في الصخور الكبيرة والحيطان الحجرية ومما يثبت ذلك ان لا ذكر لصوت التمثال قبل سنة ٢٧ ق . م . وان في تلك السنة عينها حدثت زلزلة كسرت اعلاهُ وضرَّت بهِ وبعد ذلك اخذ الناس يخبرون بتصويتهِ . ثم ان سبتميوس سويروس الامبراطور الروماني أصلح اعلاهُ بعض الاصلاح ومن ذلك العهد لم يذكر احد من المشاهدين انهُ سمع صوتًا

امنوف ٤ منهُ . وسمى اليونان هذا التمثال ممنون المصوّت . وملك بعد امنوف الثالث امنوف الرابع وابغضهُ المصريون لان أُمهُ كانت اجنبية على ما يظهر وليست من نسل ملكيّ ولأنهُ جاء بدين غريب الى مصر فانهُ عبد الشمس واهمل عبادة امون الاله ثيبة الموقر فبنى مدينة جديدة في مصر الوسطى في مكانٍ يسمى تل الأمَرْنا وسمى المدينة خوأتن على اسم الهه العظيم

هوروس وجعلها مركز العبادة ثم ملك بعدهُ ملوك غير مشهورين الى ان ملك هوروس وكان وطنيًّا على ما يظهر فخالف امنوف الرابع ومن بعدهُ في الامور الدينية وغيرها فخرب معابدهُ واكرم امون . وتسلط على بلاد بونت وغزا السودان كما بينت الآثار وكان قويًّا غير انهُ لم يملك بسلام اذ عصاهُ بعضهم ونازعوهُ الملك فاضطربت البلاد فتغيرت الدولة عند موتهِ بعد ان ملك ما بين عشرين سنة وثلاثين سنة

١٢. الدولة التاسعة عشرة في نحو سنة ١٣٥٠ ق.م. سيتي الاول . هذه الدولة معتبرة جدًّا كالسابقة في زمانها بلغت مصر اعلى زهوها . واول ملوك هذه الدولة رمسيس او رعمسيس الاول ولم يملك الاَّ قليلاً ثم خلفهُ سيتي الاول المسمى سيسوستريس سيتي ١
عند اليونان الا انهم نسبوا اليهِ بعض افعال خليفتهِ رعمسيس الثاني . وفتح سيتي الحروب على الامم كاسلافهِ واضطر في السنة الاولى لملكهِ ان يحارب العرب البدو شرقي مصر والارجح انهم هجموا يومئذٍ على التخوم الشرقية طالبين املاك اسلافهم الهكسوس الذين طردهم عميس كما مرَّ فغلبهم سيتي ولما اعانهم الفينيقيون هجم عليهم ايضًا واخضعهم ولم يزل متقدمًا في البلاد حتى انتهى الى تخوم الحثيين على نهر العاصي واثخن فيها وبلغ النهرين واستولى على كل ما تسلط عليهِ ثوطميس الثالث . ومرَّ في بعض اسفارهِ على جبل لبنان وامر بقطع شجراتٍ من الارز واخذها الى مصر لاجل سفن النيل وغيرها من الابنية واشتهر بالأبنية الفاخرة المزخرفة كقصر الاعمدة في كرنك وضريحهِ الحسن وصوَّر على هيكلٍ في أبيدوس سلسلة اسلافهِ مبتدئًا من مينيس وهم ٧٦ ملكًا والظاهر ان الناس لم يسرُّوا بهِ مع انهُ ملك عظيم لانهُ لم يكن من نسل ملوك الدولة الثامنة عشرة لكنهُ تزوج امرأة من نسلهم فنسب ابنهُ اليهم ولما رأى سيتي عدم عطف الناس عليهِ شارك ابنهُ في الملك وهو صغير فملكا معًا سنين كثيرة

١٣. رعمسيس الثاني . آثار هذا الملك كثيرة جدًّا في كل بلاد مصر وفي سورية رعمسيس ٢
وبلاد كوش وغيرها فيكاد اسمهُ يرى على كل هيكلٍ او طالٍ في مصر وبلغ خبرهُ كلَّ دانٍ وقاصٍ واخبر اليونان بامرهِ كثيرًا غير انهم سموهُ سيسوستريس ولم يميزوا بينهُ وبين ابيهِ وربما خلطوا اخبار ثوطميس الثالث باخبارها فان رعمسيس ضاهى ثوطميس في جبروتهِ وشهرتهِ وربما زاد عليهِ ولما انفرد في المملكة بعد موت ابيهِ لم يلبث ان حارب الحثيين وغيرهم من قبائل غربي اسيا اذ اجتمعوا وتعاهدوا ليخرجوا المصريين من تخومهم وكانت عاصمتهم قادش المذكورة على نهر العاصي فجمع رعمسيس جيشًا وقدم عليهم وهاجمهم هناك وكانت الحرب شديدة جدًّا واوشك رعمسيس ان يهلك اذ وقع بكمين فاحدق الاعداء بهِ وهو في مركبتهِ . قال في تاريخ هذه الحرب انهُ اضطر ان يحارب ٢٥٠٠ مركبة وحدهُ ونجا لفراستهِ ولمعونة الالهة فغلب الحثيين واحلافهم وهو على غاية الجد والجهد لكنهُ لم يخضعهم ففي اخبارهِ بعد ذلك انهُ عاهد ملك الحثيين على سواءٍ وصاهرهُ واخذ بنتهُ . ومن اعظم آثار

هذا الملك ما كتبهُ في حرب الحثيين وهو قصيدة لبعض الشعراء نظمها في شأن تلك الحرب وهي باقية الى اليوم وتعدُّ من احسن بقايا اللغة المصرية القديمة. وترك هذا الملك آثارًا تشهد لافعالهِ العظيمة في المحال البعيدة ولم يزل بعض تلك الآثار في اسيا الصغرى وفي سورية فصورتهُ وتاريخ حربهِ على صخور نهر الكلب غير ان الكتابة قد مُحيت تقريبًا من طول المدة ومن آثارهِ الآبار العميقة التي حفرها في النوبة لفائدة الذين كانوا يستخرجون الذهب من جبالها ومآثرهُ في مصر عظيمة جدًّا حتى قيل انهُ جددها وبنى مدينة رعمسيس في مصر السفلى وجعلها عاصمة تلك الارض. وقد تحقق حديثًا من الآثار انهُ احد الملوك الذين ظلموا بني اسرائيل (انظر خروج ١: ١١) وكان لرعمسيس هذا اولاد كثيرون قيل انهم ٥٩ ذكرًا و٦٠ انثى وقيل ١٧٠ ذكورًا واناثًا ومن المآثر المنسوبة اليهِ حفر ترعة للسفن بين النيل ورأس البحر الاحمر لايصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر فالمتأخرون لم يسبقوا المتقدمين في هذا الامر. وملك رعمسيس ٦٧ سنة منذ مشاركتهِ اباهُ وقد وجدت جثة هذا الملك المحنطة مع جثث عدة ملوك من الدول الثلاث الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والحادية والعشرين

منفثا ١٤. مَنَفْثا. ويظنهُ المؤرخون الملك الذي خرج بنو اسرائيل في ايامهِ ولا عجب من عدم ذكر هذه الحادثة في الآثار لان الملوك لم يكتبوا اخبار مصائبهم فآثار تلك المدة قليلة لانها كانت مدة قلق واضطراب فانهُ في السنة الخامسة من ملكهِ اضطر مَنَفْثا الى المدافعة عن تخومهِ الشمالية الغربية لان الليبيين كانوا قد استنجدوا قبائل كثيرة من غربي افريقية ومن جزائر البحر ومن شمالي بحر روم وهجموا على مصر وضايقوا سكانها فاستصرخوا ملكهم فعبَّى جيشهُ وسار اليهم وطردهم ورجع منصورًا وذكر هذه الحرب على الآثار ولا ذكر لغيرها من حروبهِ فنستنتج انهُ لم يعمل ما يستحق الذكر بعد ذلك وحوادث اواخر ملكهِ مجهولة

اواخر الدولة اما اخبار الذين خلفوهُ فقليلة ولا تستحق الذكر ولا ريب ان الزمان كان زمان فتن وعصيان حتى انقرضت الدولة ومنها ان قومًا من الفينيقيين هجموا على الشمال الشرقي وملك رئيس لهم اسمهُ أَرِيسُو تلك الجهات الى ان طردهم رعمسيس الثالث. واستبدت هذه الدولة ١٧٤ سنة على قول منثو

رعمسيس ٣ **١٥. الدولة العشرون في نحو سنة ١٢٠٠ ق. م. رعمسيس الثالث**

ثم دخلت الدولة العشرون وسمت مصر سموًّا عظيمًا في اولها واول ملوكها رعمسيس الثالث واسمهُ عند اليونان رَمْبْسِنِيتُس وكان كالثاني في الفتح حارب في الخامسة

من ملكهِ الليبيين الذين غزوا غربي مصر كما في ايام منفثا وسحقهم فبلغ قتلاهم ١٢٥٣٥ كما يظهر من عدد الايدي وغيرها من الاعضاء التي قطعت وأتي بها الى مصر بيانًا للغلبة وكانت عادة المصريين ان يعدوا القتلى هكذا . وشن رعمسيس الغارة عليهم مرة اخرى في السنة الحادية عشرة ثم قدم على مصر قومٌ من اسيا الصغرى وما يليها ومن قبرس وغيرها من الجزائر ولعلَّ بعضهم من بلاد اليونان فأَتى فريق منهم برًّا والفريق الآخر بحرًا. والتزم رعمسيس ان يقاتلهم بحرًا وبرًّا لكنهُ قهرهم قهرًا عظيمًا والظاهر من آثاره انهُ سار الى بلادهم ايضًا واخضع مدن كثيرة في قبرس وكيليكية وما يليها وقاتل رعمسيس الادوميين في جبل سعير واخضعهم وأتى ما يأول لنفع بلاد مصر وبنى المراكب لتوسيع نطاق التجارة وارسلها في البحر الاحمر الى بلاد پونت وشطوط بحر الهند وغرس اشجارًا كثيرة في بلاده اذ لم يكن فيها الاَّ ما قلَّ وكانت ابنيتهُ فاخرة . وملك رعمسيس ٣٢ سنة ثم شارك ابنهُ في الملك وهلك بعد قليل وخلفهُ ابنهُ رعمسيس الرابع ولم يشتهر وكذلك سائر ملوك هذه الدولة الذين سُمِّيَ كلٌّ منهم رعمسيس واخرهم رعمسيس الثالث عشر وكان خامسهم مغتصبًا وزمانهم زمان انحطاط ويظهر من الآثار ان الكهنة ارتقوا قوةً وشأنًا حتى صاروا كالملوك وعند انقراض هذه الدولة تبوَّأُوا تخت الملك فصارت الدولة الحادية والعشرون دولة كهنة كما سترى وكانت مدة الدولة العشرين ١٧٨ سنة على قول منثو

قدوم اهل الشمال واهل البحر على مصر

١٦ الدولة الحادية والعشرون في نحو سنة ١١٠٠ ق.م. عاصمتها تانيس (صوعن)

ذكرنا ان الكهنة تقووا على الملوك وظن البعض ان كهنة امون اله ثيبة العظيم طردوا نسل الملوك واغتصبوا المملكة ولا شك في ان ملوك هذه الدولة من الكهنة لانهم سمَّوا انفسهم احبار امون واولهم هِرْهور او سي امون اي ابن امون والظاهر ان السلام لم يكن في المملكة وقتئذٍ فحدثت الفتن وقصد نسل رعمسيس استرجاع ملكهم ورأى البعض ان المملكة انقسمت فانها كانت مضطربة وهدفًا لسهام الاعداء فهجم عليها من غربي اسيا اناس من الساميين وذهب بعض المورخين الى انهم من الاشوريين لان اسماءهم تشاكل اسماء الاشوريين ولنا دليل على انهم اخضعوا البلاد مدة الدولة الحادية والعشرين لكنهم لم يملكوا عليها راسًا في اول الامر بل اقاموا نوابًا ثم ملكوا هم انفسهم وبقيت الدولة الحادية والعشرون ١٣٠ سنة على قول منثو وفيها عدة ملوك غير معتبرين هرب في ايامهم هدد

دولة كهنة

هجوم الاسيين

الادومي الى مصر فرحب بهِ ملكها (راجع ١مل ١١:١٧ . وما بعدهُ) وكان داود وسليمان معاصرين لهم واخذ سليمان بنت احدهم (انظر ١مل ٣:١)

١٧. الدولة الثانية والعشرون في نحو سنة ٩٨٠ او ٩٩٠ ق . م . عاصمتها بوبسطس . شيشنق الاول

شيشنق الظاهر ان هذه الدولة اشورية النسل كما مر ودخلوا المملكة بالغلبة على الملوك الكهنة الضعفاء . واول ملوكها شيشنق الاول المسمى شيشق في التوراة وهو اول الفراعنة ولهُ اسم شخصي فيها ويجب ان يكون هذا الملك هو الذي رحب بيربعام بن نباط لما هرب من وجه سليمان (١مل ١١:٢٦—٤٠) وبعد ان ملك رحبعام بن سليمان سار شيشنق بجيشهِ ونزل على اورشليم وافتتحها ونهبها (١مل ١٤:٢٥—٢٨) وذكر ذلك لم يزل على الآثار وكذلك ذكر المدن التي اخذها وهي ١٧٣ مدينة وجانب من اسمائها موافق اسماء مدن يهوذا المعروفة وكان شيشنق هذا بطلاً رقى مصر بعد انحطاطها وارجعها الى بعض رونقها القديم كما يظهر من بقاياهُ في ثيبة وتل بسطه (بوبسطس) وملك ٢١ سنة . واخبار من خلفوهُ من ملوك هذه الدولة قليلة لقلة الآثار وهذه اسماؤهم ومدات ملكهم

اوسركون الاول ملك ١٥ سنة وفيهور ملك سنة او سنتين واوسركون الثاني ملك ٢٣ سنة وشيشنق الثاني ملك قليلاً وتكلوث الاول ملك ٢٣ سنة واوسركون الثالث ملك ٢٨ سنة وشيشنق الثالث ملك ٢٨ او ٢٩ سنة وتكلوث الثاني ولا تعرف مدة ملكهِ وقيل ان مدة الدولة كلها ١٧٠ سنة وقيل اقل من ذلك . وهذه الاسماء تدل على ان الدولة كانت غير وطنية النسل لانها تشابه الاسماء الاشورية فاوسركون كسرجون وتلكوث كتغلث فهي اسماء اشورية محضة ويظن البعض ان زارح الكوشي الذي سار لمحاربة آسا ملك زارح يهوذا هو اوسركون الثاني من هذه الدولة واذ ذاك لا نعلم كيف يسمى ملكًا كوشيًّا الا بانهُ دخل الدولة المصرية بالزيجة وربما كان قائد جيش للمصريين كثر فيهِ الجنود الكوشيون فظنوهُ ملكًا والله اعلم

١٨ الدولة الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون في نحو سنة ٨٥٠ ق.م

ضعفت المملكة مدة هذه الدولة ولعلها انقسمت فملك عليها اكثر من ملك في وقت واحد وكانت عاصمتها تانيس وملوكها اربعة اولهم بتوبسطس ملك ٤٠ سنة وثانيهم اوسركون

الرابع ملك ٨ سنين وثالثهم ابْساموس ملك ١٠ سنين ورابعهم زِبت ملك ٣١ سنة فكانت مدة الدولة ٨٩ سنة ثم هجم الكوشيون على مصر واخذوها واسسوا الدولة الخامسة والعشرين اما الدولة الرابعة والعشرون فعلى ما في تاريخ منثو لم يقم منها سوى ملكٍ واحد اسمهُ بُثورِس أقام في سائس وهي مدينة في الدلتا وملك نحو ٤٤ سنة ولعلَّ الدولة الكوشية بثورس كانت يومئذٍ حاكمة على اكثر المملكة فوقع بُثورس في يد سَبَقُو احد ملوكها فقتلهُ

١٠٩. الدولة الخامسة والعشرون في نحو سنة ٧٣٠ ق.م. وهي كوشية

ذكرنا ان ملوك الدولة الحادية والعشرين كانوا من الكهنة وانهم طردوا اخيرًا من البلاد والمظنون انهم انتقلوا الى بلاد كوش وملكوها ثم رجع نسلهم بعد حينٍ واسترجعوا ملك مصر وهم الدولة الخامسة والعشرون وكانت البلاد منقسمة الى اقسام عليها رؤساء شيبق ١ فانتهز هولاء الملوك فرصة الاستيلاء عليها وملوكها على ما في صحيفة منثو ثلاثة اولهم سَبَقُو او سبقو ١ او شَبَق الاول ويظن انهُ خاف مملكة اشور التي عظم امرها حينئذٍ فعاهد هوشع ملك اسرائيل على ملك اشور (كما جاء في سفر الملوك الثاني ١٧: ٤) وكان ذلك في نحو سنة ٧٢٤ ق.م. وجاء في اخبار اشور ان سرجون ملكها حارب مصر وربما كان ذلك في سبقو ٢ ايام سبقو المذكور وخلفهُ سبقو الثاني فملك نحو ١٤ سنة نهايتها في نحو ٦٩٠ ق.م. وخلفهُ ترهاقة ترهاقة اعظم الملوك الكوشيين وهو المذكور في ٢مل ص١٩ اذ جاء على سنحاريب ملك اشور حين غزا يهوذا وسيذكر في تاريخ اشور ان شاء الله فهجم أَسَرْحَدّون على مصر وطرد ترهاقة وولى على البلاد نوابًا وولاة اما ترهاقة فاسترجع سلطتهُ في نحو ٦٦٨ ق.م. ثم حاربهُ اشور باني بال خليفة أسرحدون نحو سنتين وطردهُ وقسم المملكة وولّى الولاة كابيهِ وبقيت مصر مدةً خاضعة لملوك اشور هذا ما يستفاد من آثار اشور اما آثار مصر فتذكر ملكًا كوشيًا اسمهُ بِيَنْخي من نسل الكهنة دخل مصر من الجنوب واستولى اولاً على بلاد الصعيد بينخي ونزل في ثيبة ثم قدم على ممفيس وغلب من قاومهُ من رؤساء مصر السفلى ولاسيما ملكًا او رئيسًا يسمى تَفْناخ كان قد هيّج الرؤساء عليهِ واستولى على سائس وممفيس ثم قدم على مصر العليا وهدد ملك كوش حتى قام هذا وطردهُ. وكتب تاريخ هذه الحرب على عمود باقٍ الى هذا اليوم والظاهر ان استيلاءهُ على مصر لم يدم كثيرًا لان اخبار من خلفهُ تفيدنا انهُ ميامون نوت اخضع البلاد ثانيةً واسم هذا الملك مِيامون نوت فعل كما فعل سابقهُ وخسر ما استولى عليهِ ثم خلفهُ ترهاقة وكان اقوى منهما فقاوم ملوك اشور مقاومة شديدة ونجح بعض النجاح

اولاً لان كثيرين من الولاة انحازوا اليهِ اذ خرجوا على ملوك اشور الآن ترهاقة طُرد اخيرًا ثم رجع ثم طُرد كما مر وفي هذه الاخبار تباين عظيم من جهة الملكين الاولين لهذه الدولة والى الآن لم يتضح الاتفاق ولكنا نقول ان البلاد كانت في حال اضطرابٍ وانقسام ولعل الملكين اللذين ذكرها منثو وسمّى كلاًّ منهما سَبَقو لم يملكا الاّ على جزءٍ من البلاد حين كان بيخي وخليفتهُ مالكين في الجنوب فغلبهما بعض الغلبة ثم قام ترهاقة واستولى على كل

امرداماية مصر كما ذكر منثو وعلى الآثار الاشورية ملك اخراسمهُ أمرداماية قام بعد موت ترهاقة وحذا حذو سلفائهِ وحارب مصر ووصل الى ممفيس ثم طُرد كالذين سلفوهُ وانقرضت الدولة الخامسة والعشرون سنة ٦٦٥ او٦٦٦ ق ٠ م

٠٤٠ الدولة السادسة والعشرون في نحو٦٦٦ ق ٠ م٠ عاصمتها سائس

ذكرنا ان ملوك اشور لما اخضعوا مصر ولوا عليها الولاة لكن منثو قال ان اثني عشر

ابسمتخوس ملكًا تسلطوا وقتئذٍ على البلاد منهم واحد يسمى إبْسَمتِخوس اخضع سائرهم بمساعدة اليونان ورأس الدولة السادسة والعشرين والذي نعلمهُ انهُ كان ابن نخو احد ولاة ملك اشور فنستنتج انهُ كان كذلك في اول الامر ومثلهُ رفقاؤهُ لانهُ يوم ملك وذلك في نحو٦٦٦ ق٠م٠ كان اشور باني بال صاحب مصر كما نعلم من اخبار اشور ثم استقل ابسمتخوس حين انحطاط اشور وقوي على سائر الرؤساء وذلك بمساعدة اليونان كما ذكرنا فانهُ استاجرهم واكرمهم ورقّاهم في الخدمة العسكرية واعطاهم امتيازات التجارة ومساكن في البلاد خلافًا لعادة المصريين فمن هذا العهد لنا كثير من اخبار مصر في كتب اليونان ٠ ولما تمكن ابسمتخوس من التسلط على كل بلاد مصر بذل الجهد في سبيل ما يقيها من ملوك اشور فسار بجنودهِ الى فلسطين ونازل مدينة اشدود وجدّ في حصارها زمنًا طويلاً ذهب بعضهم الى انهُ ٢٩ سنة واخذها عنوةً بعد مشقات عظيمة لكنّ عسكرهُ الوطني سئم من

ارتحال العسكر الوطني محاباتهِ اليونان فهجرهُ ٢٠٠٠٠٠ جنديٍّ ورحلوا مع عيالهم الى بلاد كوش غير ملتفتين الى توسلاتهِ اليهم ليرجعوا ولم ينتدم ابسمتخوس في اسيا بعد ذلك ولما اتى عليهِ قوم من السكيثيين البرابرة بعد غزوهم غربي اسيا لم يناوشهم بل صرفهم عنهُ بمال كثير وكان هذا الملك يحبُّ الصنائع والاختراعات وكل ما فيهِ نفع بلادهِ وملك نحو ٥٤ سنة لكنهُ كان خاضعًا لاشور بعض هذه المدة

٣١. **وملك بعدهُ نخو ابنهُ سنة ٦١٢ ق . م .** ولما ملك شرع يرقي بلادهُ ومن اعمالهِ المعتبرة تعزيل الترعة التي حفرها سيتي او رعمسيس الكبير كما مر وارسالهُ السفن من البحر الاحمر لتدور حول قارة افريقية على طريق راس الرجاء الصالح وزقاق جبل طارق وذلك من اعظم اعمال زمانهِ وبنى السفن الحربية في البحر الاحمر وبحر الروم ثم حارب بابل وسار بجيشهِ الى فلسطين حيث واجههُ يوشيا ملك يهوذا في مجدّو وقُتِل (راجع ٢ اي ٣٥: ٢٠—٢٤) ثم تقدم الى الفرات وافتتح كركميش وحين رجوعهِ اخذ اورشليم وعزل يهوآحاز واخذهُ الى مصر واقام اخاه مكانهُ واخذ فدية البلاد ثم ذهب الى مصر ولم يستولِ على غربي اسيا الاَّ قليلاً لان نبوخذنصر استردهُ سريعًا ولعلهُ دخل بلادهُ غير ان ذلك ليس بمثبتٍ وهلك نخو بعد ان ملك ١٦ سنة

نخو سيَّر السفن حول افريقية

قتل يوشيا

٣٢. **إبسَمِّس او ابسمتخوس الثاني في نحو سنة ٥٩٦ ق . م . وأبريس او حفرع في نحو سنة ٥٩٠ ق . م .** اما ابسمس ابنهُ الذي خلفهُ فلم يشتهر الاَّ انهُ حارب بلاد كوش ووفد عليهِ وفد من اليونان وبعد ان ملك ست سنين خلفهُ ابنهُ ابريس واسمهُ في التوراة فرعون حفرع وكان محاربًا سار الى فينيقية وافتتح غزة وصيدا وقاتل صور بحرًا وغزا قبرس كما ذكر هيرودوتس ولما استصرخهُ صدقيا ملك يهوذا توجه الى فلسطين واجبر نبوخذنصر ان يعدل عن حصار اورشليم مدةً ثم بعث ابريس جيشًا لغزو كيرين وفشل فسئم العسكر ملكهُ وخرج عليهِ ثم وجَّه اليهِ المستاجرين من اليونان فهزمهم واقام ملكًا غيرهُ او املّ نبوخذنصر قوي عليهِ وعزلهُ وكان ملكهُ ١٨ سنة . ثم قام أمَسيس في نحو سنة ٥٧٢ ق . م . ويظن انهُ كان خاضعًا لنبوخذنصر اولاً فانهُ قدم على مصر عند افتتاحه اورشليم وهذا يوافق قول النبي ارميا (راجع ار ٤٣: ٨—١١) . وبعد موت نبوخذنصر استقل أمَسيس واستبد بالملك وغاظ امرهُ وبنى المدن وزخرفها وآثارهُ في اماكن شتى قال هيرودوتس ان مدن مصر بلغت حينئذٍ ٢٠٠٠٠ مدينة ولا ريب في ثروتها حينئذٍ كما يظهر من كثرة غنائم الفرس حين غزوهم تلك البلاد كما سياتي . وانشأ امسيس التجارة والالفة مع اليونان في كيرين وغيرها ودعاهم الى بلاده وغزا قبرس ثم لما عظم عليهِ امر كورش الفارسي وتوقع منهُ الشر عاهد كريسس ملك ليديا وبولكراتيس ملك ساموس فلم يجدهِ ذلك نفعًا لان كمبيس بن كورش توجه الى مصر وغزاها ومات امسيس حين قدومهِ بعد ان ملكَ نحو ٤٦ سنة وقام ابنهُ ابسمتخوس الثالث فناوش كمبيس عند قدومهِ

ابريس او فرعون حفرع

امسيس

قدوم كمبيس

الشرقية قرب مدينة پلوسيوم وانهزم الى ممفيس فأتى كمبيس وافتتحها عنوةً وقتل كثيرين من الناس واستحيا ابسمتخوس اولاً وربما كان يقصد اقامته والياً على البلاد لكنهُ وجدهُ خائناً فقتلهُ وانقرضت الدولة السادسة والعشرون في نحو سنة ٥٢٧ ق م. وقيل ٥٢٥

٣٢. الدولة السابعة والعشرون وما بعدها

الدولة السابعة والعشرون دولة فارسية سنذكر ملوكها في اخبار الفرس ان شاء الله وهنا نقول ان كمبيس ظلم المصريين جدًّا فابغضوهُ ومن خلفوهُ من دولتهِ فعصوهم في كل فرصة فخرجوا عليهِ اولاً في ايام داريوس سنة ٤٨٧ ق م. واخضعهم زَرْكسيس خليفتهُ سنة ٤٨٥ ثم لما انكسر هذا الملك حين هاجم اليونان قام انسان يسمى على الآثار خبّاش طرد الفرس بمساعدة اليونان وملك مدة في سائس لكن الفرس استرجعوا ملكهم بعد قليل ثم
امرتيوس خرجوا ايضاً ايام أَرْتَزَرْكسيس في نحو سنة ٤٦٠ ق م. وقام رئيس العصاة أَمِرْتيوس
الدولة ٢٨ وملك نحو ٥ سنوات وهو صاحب الدولة الثامنة والعشرين في قائمة منثو ثم استرجع الفرس ملكهم وخضعت لهم مصر الى سنة ٤٠٥ او ٤٠٠ ق م. ثم عصت ايضاً وقامت الدولة
الدولة ٢٩ التاسعة والعشرون وحاربت الفرس وكان فيها اربعة ملوك ملكوا نحو عشرين سنة واخبارهم سقيمة جدًّا لا تذكر وهم (١) نَفَريتيس. و(٢) آكورِس. و(٣) إِبسمّوثِس
الدولة ٣٠ و(٤) نفريتيس الثاني. ثم قامت الدولة الثلاثون في نحو سنة ٣٧٨ ق م. وملوكها ثلاثة
نقتنبو ١ اولهم نَقْتَنِبو الاول الذي في أيامهِ جدَّ الفرس في استرجاع سلطتهم واستأجروا اليونان عليهِ لكنهُ دافعهم بنجاح وملك نحوًا من ١٨ سنة ثم خلفهُ تاخوس الذي اجترأ ان يسير من بلادهِ الى غزو املاك الفرس في سورية واستعان باليونان فاغاثوهُ بعسكرٍ وبسفنٍ فخانهُ
نقتنبو ٢ ابن اخيهِ فاركن الى الفرار وكان ملكهُ نحو سنتين فقط ثم ملك نَقْتَنِبو الثاني الذي حذا حذو سابقهِ في مقاومة الفرس وعاهد الفينيقيين عليهم وهيجهم الى الخيانة وبعث اليهم النجدة اما الفرس فاخضعوا الفينيقيين ثم توجهوا الى مصر فقام نقتنبو وعبّى جيشاً جرارًا قيل ١٠٠٠٠٠ وسار الى پلوسيوم لمقاتلة الفرس لكنهُ لم يحسن التدبير فانهزم وهرب الى بلاد كوش واسترجع الفرس ملكهم على مصر وكان ذلك نحو سنة ٣٤٠ ق م. وبقوا مستولين عليها الى حين طردهم اسكندر الكبير سنة ٣٣٢ ق م. كما سيذكر قيل ان الفرس ظلم المصريين واهانوا دينهم وكهنتهم والهتهم وان احد ملوك الفرس ذبح الثور ابيس اله المصريين الكبير وشواهُ ثم اكلهُ مع اصحابهِ وذلك امر يقشعرّ منهُ كل مصري فلذلك خانهم القوم

كما مرّ غير انهُ وُجد على الآثار حديثًا ما يخالف ذلك بل يفيد ان كمبيس اكرم آلهة المصريين وبعد الدولة الثلاثين لم تقم في مصر دولة وطنية وفقًا لقول النبي حزقيال (انظر حز ٣٠: ١٣) وبقية اخبار مصر في اخبار الدول الاجنبية التي تسلطت عليها. اما عظمة هذه المملكة القديمة ودوامها وعدد دولها وشهرتها ومآثرها وكثرة آثارها المعتبرة فمما يذهل عقل البشر ويرقّي مصر الى المقام الاسمى بين الممالك القديمة

الفصل الثالث

في لغة المصريين القدماء وعلومهم وصنائعهم ودينهم وما اشبه

لغة المصريين

١. لغة المصريين تجانس اللغات الكوشية او الحبشية في اصولها اما في الاعراب وتركيب الضمائر مع الكلمات فتجانس العربية شيئًا والظاهر ان اصولها وضعت قديمًا حين كانت قبائل افريقية الشمالية الشرقية متحدة اللسان ثم تغيرت لغة المصريين شيئًا بمخالطتهم الساميين من غربي اسيا فمن المعلوم ان كلمات كثيرة مولّدة ساميّة الأصل ظهرت بعد ملك الرعاة ثم تغيرت هذه اللغة شيئًا فشيئًا الى ان اصبحت لغة القبط التي لا تبعد كثيرًا عن لغة مصر القديمة وكتب بها الكهنة كما مر فتشاهد على الآثار الكثيرة وكانت مكتومة تمامًا من بعد سقوط الكهنوت المصري الى عصرنا هذا واول من فتح سرها شمبوليون الفرنسي الذي عاش في اوائل القرن الحاضر (١٧٩٠–١٨٣٢ م) فانهُ بعد النظر الطويل في الهيروغليف او خط الكهنة بلغ كشف سرهِ من كتاباتٍ على الآثار مختلفة اللغات متحدة المعنى وكانت لغاتها اليونانية والمصرية القديمة والقبطية فتوصل بها الى المراد من الصور والعلامات المستعملة في خط الكهنة ومن ثم تقدم الى قراءة آثار مصر الثمينة

خط المصريين

٢. وهذا الخط اقدم خط في العالم وكان في الاصل من صور كاملة تعبر عن المصوَّر فكان المراد من صورة الانسان الانسان ومن صورة المرأة المرأة وهلمّ جرًّا. ثم اتخذوا الصور للتعبير عما يتضمنهُ المصوَّر مجازًا فاتخذوا صورتي رجل وامرأة للتعبير عن جنس

الانسان وصورة هلال للتعبير عن الشهر وما اشبه ثم انتهوا الى ان كنوا بصورة الشيء عن الصوت الاول في اسمهِ فكانت الدائرة تدل على الشمس التي اسمها را او ري فاتخذوا هذه الصورة كناية عن صوت الراء فصارت مثل حرف في استعمالها فبالصور الحقيقية والمجازية وصور الكناية عبّروا عن المعاني ولا يخفى ما في هذا الاسلوب من الصعوبة في الكتابة والقراءة ولا عجب من انهُ لم يقدر عامّة الناس على كشف سرها ثم اخذوا يغيرون الاشكال ويوصلونها في الخط لتسهيل الكتابة فامسى هذا الخط مختلفًا جدًّا عن اصلهِ حتى صار اخيرًا ثلاثة اشكال اما زمان اختراع هذه الكتابة بصور فغير معروف تمامًا والذي علمناهُ انهُ كانت من ايام الدولة الرابعة فتأمل

علوم المصريين ٢. اما علوم المصريين فليست قليلة بالنسبة الى زمانهم ومنها علم الهيئة ونستنتج انهم راقبوا الافلاك بتدقيق لانهم عرفوا السنة الشمسية تقريبًا فانهم حسبوها ثلاث مئة وخمسة وستين يومًا وربع يوم وكانت لهم مهارة معتبرة في امر البناء كما لا يخفى لمن يمعن النظر في اهرامهم وهياكلهم وقصورهم الى غير ذلك ويستدل من احكام وضع ابنيتهم معرفتهم بالهندسة فانهم وضعوا جوانب الهرم الكبير على الجهات الاربع تمامًا ورسموا حدود اراضيهم الاتاوية بتدقيق فكان رب الارض اذا جرف النهر شيئًا من ارضهِ حين فيضهِ يشتكي الى من نيط بهِ الامر فيرسل مهندسًا ليحسب مقدار الضرر فتنقص الاتاوة حسب تعديلهِ واستعملوا ايضًا اقيسة متقنة لتحقيق ارتفاع مياه النيل حين الفيض فكانوا ينبئون الناس باحوال السنة القادمة لان نجاح البلاد توقف على فيضان النهر.

الطب اما علم الطب فسبقوا فيهِ كل العالم القديم الى حين زها اليونان الذين ذهبوا الى مصر في اول الامر وتعلموهُ وقال هيرودوتوس ان بعض ملوك الفرس كان يستدعي اطباء مصر لمعالجتهِ وعائلتهِ وقال ايضًا ان كل طبيب كان معيّنًا لصنف واحد من الامراض ولم يتعاطَ غيرهُ واذا عالج مريضًا معالجة غير قانونية كان مسؤولًا فيها وان مات العليل قُتل ولكن اذا عالجهُ قانونيًّا فمات كان الطبيب بريئًا. ومن العجب انهم علموا تطبيب الاسنان وحشوا النخرة منها ذهبًا والشاهد على ذلك بعض جثثهم المحنطة التي اكتُشفت في ثيبة وهذه الصناعة حديثة عند المتأخرين ومن صنائعهم المعتبرة صناعة الزجاج المتنوع الحسن الالوان فمنهُ ما يحاكي الحجارة الكريمة ومنهُ ما يختلف لون الخارج منهُ عن لون داخلهِ ومنهُ ما كان داخلهُ من الوان شتى خطوطها لولبية كعمل الماهرين في ايامنا واجادوا في بعض انواعهِ الى الغاية فلا

يقدر المتاخرون ان يماثلوهم بهِ

التحنيط ٤. اما صناعة التحنيط فبلغوا فيها مبلغًا عظيمًا من المهارة واتقنوها كل الاتقان حتى ان عددًا جزيلاً من جثثهم باقية بكمالها الى عهدنا هذا اما كيفية التحنيط فقال هيرودوتوس ان لهم فيهِ ثلاث طرق تختلف بحسب الاجر المتفق عليهِ فان الطريقة العليا لم يقدر على التصبير فيها غير الاغنياء وهي انهم كانوا يخرجون الدماغ من الانف بواسطة آلة مخصوصة ثم يغسلون جوف الراس باصناف من الادوية ثم يشقون الخاصرة ويخرجون الاحشاء ويغسلونها بخمر النخل ثم يملأون الجوف مرًّا وفلفلاً وكل نوع من الكثيراء ثم ينقعون الجثة في النطرون سبعين يومًا وبعد ذلك يغسلونها ويلفُّونها بلفائف مصمَّغة ثم يضعونها في تابوت على هيئة الانسان اما الفقراء فكانوا يحنطون موتاهم بالغمس في النطرون لانهُ على ما قيل يزيل اللحم ويبقي العظام والجلد. والظاهر مما مرَّ في الفصل الثاني ان المصريين استخرجوا المعادن كثيرًا ولا ريب انهم استخدموها في الصنائع وعرفوا طريقة تقسيتها لانهم لم يستعملوا الفولاذ يومئذٍ ومع ذلك نحتوا اصلب الحجارة ونقشوها على صورٍ عجيبة يقصر عنها احسن آلات المتاخرين وطريقة تقسيتهم المعادن لم تزل مجهولة والآلات المستخدمة لرفع الحجارة ووضعها في ابنيتهم لم تكن قليلة الاعتبار نظرًا الى عظمها ومن اعجب ما فعلوهُ انهم صنعوا في بعض هياكلهم بيوتًا كل منها حجر واحد قطعوهُ مربعًا ثم نقروهُ وصيّروهُ بيتًا كاملاً ثم نقلوهُ الى مكانهِ المعين قال هيرودوتوس ان من تلك البيوت ما طول جانبهِ اربعون ذراعًا

مهارتهم في استخراج المعادن

الهيئة الاجتماعية ٥. اما الهيئة الاجتماعية عند المصريين فكانت مرتبة بكل تدقيق وبعض طبقاتها مميَّزًا عن بعض بكل حرص وكان على كل انسان ان يلازم طبقتهُ الى حين موتهِ والظاهر ان طبقتهُ لم تعيَّن لهُ بالوراثة بل كان يختارها لاننا نرى اعضاء عائلة واحدة من طبقات مختلفة فكان الولد او الشاب يختار مهنتهُ او صناعتهُ التي بها يعيش ثم يلازمها ضرورةً مدة حياتهِ ومن سنتهم ان على كل انسان ان يبين للحاكم سنويًّا مهنتهُ وحال معاشهِ وان لم يفعل او كان بطالاً قتل. والطبقة الاولى بين المصريين الكهنة الذين كانت صولتهم على الناس عظيمة جدًّا وكانت لهم امتيازات كثيرة وكان الملك احيانًا يجعل نفسهُ كاهنًا وعين لهم ثُلث ارض مصر فملكوهُ بلا اتاوة ولهم من الخزانة الملكية رواتب فوق ذلك فرحبت حالهم الاَّ انهم منعوا الترف والتزموا العيشة الطاهرة والزهد وعلى ما ظهر كانوا في غالب الامر الكهنة

العسكر متعففين صالحي السيرة والطبقة الثانية العساكر الذين عظم شانهم ايام زهت المملكة فكانت لهم امتيازات شتى واكرموا اكرامًا جزيلاً وتعلموا قواعد الجندية من صغر سنهم وتمرّنوا بها فامسوا اشداء الباس والطبقة الثالثة قيل انها اصحاب الاملاك او ضامنوها لان الاراضي على الارجح كانت للملك سوى ما كان لاصحاب الطبقتين المذكورتين (انظر تك ٤٧: ٢٠) وقيل انها اهل القنص والملاحون والطبقة الرابعة الصناع والتجار وما اشبه والطبقة الخامسة الفعلة وصيادي السمك والرعاة ومن شاكلوهم وكانت حالهم دنية (انظر تك ٤٦: ٣٤)

الملك واحترموا الملك كل الاحترام واتخذوهُ الهًا وهو حيٌّ وكان بلا قيد الاَّ في الامور الدينية وكلمتهُ مُنجزة كالشريعة لانهم اعتبروهُ اصل الشريعة. وكانت شرائعهم واحكامهم مرتبة ترتيبًا محكمًا فالتزم كلُّ واحدٍ ان يقدم للقضاة الدعوى مع اسماء الشهود كتابةً والتزم القضاء القضاة ان يقدموا احكامهم كتابةً ايضًا وكانت الشرائع صارمة جدًّا ولاسيَّما شريعة الدين فانها سمحت باخذ جثة ابي المديون المحنطة وجثة غيرهِ من الاصحاب رهنًا فما كان له ان يدفنها حتى يوفي الدين وكان ذلك عيبًا عظيمًا على المديون

مقام النساء وكان مقام النساء عند المصريين ساميًا جدًّا فكانت المرأة راس العائلة وكان الرجل يسلم امرأتهُ عند الزيجة نفسهُ واملاكهُ فلم يقدر ان يبيع شيئًا منها الاَّ بامرها فكانت تتسلط عليهِ التسلط التام وتشهد لذلك صكوك كثيرة موجودة بين الآثار

الديانة ٦. اما ديانة المصريين فلنا دلائل على ان عقيدتها الاصلية التوحيد ثم لما اخذوا بالتعبير عن صفاة الله صيَّروها مستقلة وجعلوا كلاًّ منها الهًا فكانت خالقية الله الهًا وحكمتهُ الهًا آخر ورحمتهُ الهًا آخر وعنايتهُ الهًا آخر وقس على ذلك ولم يقفوا عند ذلك بل ذهبوا الى ان لكل شيء جزءًا من الالهية فيستحق العبادة فاجازوا السجود لكل مخلوق تقريبًا ولا سيما الحيوانات حتى الدنية منها كالحية والتمساح وما اشبه. ومنها الثور الذي اعتبروهُ من اعظم الالهة وكان الكهنة كلما مات ثورٌ عبدوهُ فتشوا في الارض عن خليفتهِ لان الاله كان ينتقل منهُ على زعمهم الى عجل صغير يعرفونهُ بعلامات معينة ثم ياخذونهُ الى هيكلٍ معدٍّ لهُ باحتفالٍ وابتهاجٍ عامّ ويعتنون بهِ هناك مدة حياتهِ فيتقضى عليهِ الزمان بارغد عيشةٍ ومن اعظم آلهتهم الشمس وسموها را والظاهر انهم اتخذوا منها عقيدة خلود النفس والقيامة لانها تتوارى كل يوم ثم تظهر فقالوا كذلك نفس الانسان. اما اعتقادهم القيامة

فظاهر من تحرّيهم التحنيط لحفظ اجسادهم لانهم ظنوا النفس ترجع الى الجسد كما كان . واعتقدوا ان لا بدَّ لكل نفسٍ من دينونة في ديوان الالهة بعد الموت فمن تبرر دخل في معاشرتهم ومنادمتهم ومن ثبت انهُ كان اثيمًا في هذا العالم هلكت نفسهُ او رجعت الى بعض اجساد الحيوانات الدنسة بالتناسخ فعُذّبت

ومن عقائدهم العجيبة عقيدة الثواليث اي مجموعات الالهة ثلاثة ثلاثة كما في الثالوث المسيحي الاَّ ان المشابهة بالظاهر فقط لانهم اعتقدوا ان في كل ثالوث ابًا واَمًّا وابنًا وانهم ليسوا الهًا واحدًا بل ثلاثة غير انهم يعملون معًا وكان لكل مدينة معتبرة ثالوثٌ يحرسها ويستحق عبادتها على نوع خاص . ولا يخفى ان للمصريين آراءً معتبرة في الديانة تستحق الذكر ويقرب البعض منها الى الحق غير انهم افسدوها كبقية الوثنيين

القسم الثاني

في تاريخ مملكة الكلدانيين الاولى

الفصل الاول

في حدود البلاد وخواصها الطبيعية

١. هذه المملكة في غربي اسيا اسفل ما بين النهرين وما يلي الدجلة بعد التقائهما الى مصبّهِ في خليج العجم وتقابل تقريبًا العراق العربي واذا التفتنا الى ما بين النهرين رأينا اختلافًا واضحًا بين اعلاها واسفلها لان اراضي القسم الاول متسعة مرتفعة في الشمال منخفضة في الجنوب وكلها وعر وعند نحو ٣٤° من العرض الشمالي حيث يقترب النهران تنخفض ومن هناك الى راس خليج العجم ليست الاّ بطاحًا سهلة والخط الفاصل بين هذين القسمين كان الحد الشمالي لمملكة الكلدانيين وهو خط مفروض من مدينة هيت على الفرات في عرض ٣٣° و٤٥َ شمالي الى مدينة سامرّى على دجلة في عرض ٣٤° و١٥َ (تقريبًا) وحدها شرقًا الدجلة الاّ انها تشتمل في النواحي الجنوبية على جانبٍ من اراضي عيلام شرقي النهر وحدها غربًا البادية وجنوبًا خليج العجم وكان متغيّرًا لامتداد اليابسة في البحر بسبب ترنوق النهر وقد تحقق من الامتحان ان معدّل الامتداد نحو ميل في كل سبعين سنة وان راس خليج العجم كان قديمًا على نحو مئة وعشرين او مئة وثلاثين ميلاً الى الشمال من موقعهِ الحالي فكل هذه اليابسة (وطولها نحو مئة وعشرين ميلاً وعرضها نحو ستين ميلاً) قد تكوّنت منذ عهد الطوفان ولم تكن ارض الكلدانيين القديمة واسعة اذ كانت تشتمل على نحو ٢٣٠٠٠ ميل مربّع فقط وهو نحو نصف ارض سورية اتساعًا فنتعجب من شهرتها وقوتها كما نتعجب من مصر التي تشابهها موقعًا وتربةً وفي قدم عمرانها. اما النهران دجلة والفرات

امتداد اليابسة في البحر

وصف الفرات ودجلة

فيستحقان الاعتبار لطولها وعظمها فانهما يخرجان من جبال ارمينية واصلهما في جبل نيفاتيس القديم وهو فرع من طورُس ومخرج الفرات من شماليهِ ومخرج دجلة من جنوبيهِ وكلٌّ منهما قريب من الآخر والفرات يجري غربًا في اول الامر ثم الى الجنوب ثم الى الجنوب الشرقي اما الدجلة فيجري اولاً الى الشرق ثم الى الجنوب الشرقي الى ان يلتقي النهران عند مدينة قُرنة في طول شرقي ٤٧° و٣٠َ تقريبًا وعرض شمالي ٣١° وطول الفرات الف وسبع مئة وثمانون ميلاً وطول الدجلة الف ومئة وستة واربعون ميلاً ويتقاربان كثيرًا في نواحي بغداد ثم يتباعدان قليلاً ثم يتقاربان الى ان يلتقيا عند شط بحر العرب وكانت عدة تُرَع بين الفرات والدجلة تسقي الاراضي فكان خصبها غريبًا قال هيرودوتس ان القمح كان ياتي بمئتي ضعف واحيانًا بثلاث مئة. وهذه الارض شديدة الحرّ فلا يحتمل سكانها حرّ الشمس صيفًا في الظهيرة فيأوون الى السراديب ولا يقع المطر فيها الاّ في فصل الشتاء

٣. اما مدن هذه المملكة المعتبرة فكانت بابل وكوثا (ماي ابرهيم) وسفروايم (مسيَّب)

مدن البلاد

(٢مل١٧:٢٤) واور (إم قير) وارَك (ورقه) وكلنة (نفر) (انظر تك١٠:١٠) والآسار

اور

(تك ١٤:١) اما اور فهي اقدم هذه المدن وكانت قديمًا على البحر لما كان دخولهُ في اليابسة اكثر منهُ الآن كما مرّ والظاهر من آثارها انها كانت فرضة معتبرة ومن هذه الآثار تحقَّق انها اور الكلدانيين وطن ابرهيم الخليل وانما تسمى الآن أُم قير لكثرة القير في

الآسار

نواحيها اما الآسار فكانت على الفرات فوق اور تبعد عنها نحو ثلاثين ميلاً وهي خراب

ارك

اما أرَك فموقعها على الفرات وتبعد عن الآسار نحو خمسة عشر ميلاً وفي الشمال الغربي

كلنة

مدينة كَلنة وآثارها تدل على اقدميتها وبابل العاصمة التي اشتهرت في كل القرون ووصفها

الآثار

سياتي ان شاء الله اما اثار عمران هذه المملكة فاكثرها من اللبن ولما كان اكثرهُ غير مشويّ لم نستفد منهُ الاّ قليلاً اما المشويّ فصلب وقد بقي منهُ اثار ثمينة لما على اكثرهِ من الكتابة ولنا منها اصول تاريخ الكلدانيين الاوّلين

الفصل الثاني

في اخبار الكلدانيين الاولين

اهم اصول هذا التاريخ . (١) بقايا المدن القديمة وابنيتها اكثرها من لبن مكتوب عليهِ بالخط الكلداني القديم المسمى الخط الاسفيني وسيذكر و(٢) بقايا بروسس المؤرخ الكلداني الذي الف تاريخ بلادهِ لكنهُ فقد الاَّ بعض اقتباسات منهُ في كتب القدماء و(٣) التوراة و(٤) هيرودوتس وطيسياس من اليونان و(٥) كتب المتأخرين ونذكر منها ما ياتي

الممالك الخمس العظيمة يعني الكلدانية والاشورية والبابلية والمادية والفارسية . لرولنصن الانكليزي

Rawlinson, G., Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World.

تاريخ ممالك الكلدانيين والاشوريين حسب الآثار لاوبرت الفرنسوي

Oppert, J., Histoire des Empires de Chaldée et d'Assyrie d'après les monuments.

١. لا ريب ان ارض الكلدانيين سكنت قديمًا بعد الطوفان بقليل لان موقعها
سكنى البلاد مناسب لارتحال الناس اليها من متفرّق الجنس الذي كان في هضاب ارمينيا او شرقيها كما مرَّ لانهم يلتقون حالاً بنهر دجلة وينزلون عليهِ الى البقعة الواسعة المخصبة الواقعة بين النهرين والظاهر من نص الكتاب (تك ١١: ١ و٢) ان قومًا ارتحلوا الى ارض شنعار اي ارض الكلدانيين قبل ان اختلف البشر لسانًا اما مَن استوطنوا بابل ونواحيها فبحسب
لغتها قول التوراة هم نمرود وقومهُ اي بنو كوش وهم من نسل حام غير ان امة الكلدانيين ولغتهم المعهودة ساميَّتان محضتان بخلاف نص الكتاب وتاريخ بروسس وقد تحيرَّ ارباب التحقيق كثيرًا في هذه المسألة الاَّ انهُ قد ظهر حديثًا من اثار هذه المملكة القديمة المكشوفة في عصرنا ان لغتها تغيَّرت كثيرًا منذ انشائها فمع كونها ساميَّة محضة صارت في منتصف زمانها واواخرها غير ما كانت عليهِ فان فيها اصولاً تشبه اصول لغات افريقية الكوشيَّة وأُخرى تشبه اصول اللغات الطورانيَّة وفي تقاليد اليونان وغيرهم ما يشير الى قِدَم امَّة كوشية في افريقية وغيرها في اسيا فالظاهر من هذا ان نسل كوش او حام سكن ارض

الكلدانيين اولاً ثم اتى اناس من جنس الطورانيين والآريين والساميين ايضاً حتى ان بعض ملوك هذه المملكة يسمّون انفسهم في كتاباتهم ملوك اللغات الاربع كنايةً عن الاجناس الاربعة وفي نفس اللغة ما يؤيد ذلك التركيب والظاهر ان هذه المملكة تأسّست قبل ان اختلفت الاجناس واللغات كثيراً

الكوشيون

٢ واما **الكوشيون** الذين سكنوا هذه الاراضي فلم يرتحلوا اليها على ما يظهر من الشمال بل اتوها من ناحية خليج العجم واستوطنوا ما يليهِ اولاً ففي تلك الناحية اقدم الآثار ومن ذلك ظنَّ الحاميون ارتحلوا اولاً الى افريقية ولا سيما مصر كما مرّ وامتد الكوشيون فيها ثم رجعوا على طريق بوغاز باب المندب الى جزيرة العرب ولازموا شطوطها الشرقية حتى وصلوا الى راس خليج العجم فان لهم اثاراً على شطوط الجزيرة ولا ريب ان الآثار في جنوبي ارض الكلدانيين لهم وعمران تلك الجهات اول عمران المملكة. اما الطورانيون وغيرهم فاتوا من الشمال والشمال الشرقي واختلطوا معهم وتغلب الساميون اخيراً على الجميع

انشاء المملكة

٣. اما **انشاء** هذه المملكة فلا يمكن تعيين زمانهِ لكن يستفاد من اخبار بيروسس والآثار انهُ كان منذ اكثر من ٢٣٠٠ سنة ق٠ م٠ كما يظهر من الجدول الآتي

جدول دُوَل مملكة الكلدانيين على قول بيروسُس

الدولة الاولى	(غير تاريخية)				انتهت في نحو	٢٢٨٦ ق٠ م
" الثانية مادية .	عدد ملوكها	٨	مدتها	٤٨ سنة	اي الى	٢٠٥٢ ق٠ م
" الثالثة (مجهولة)	"	١١	"	٤٨ سنة	"	٢٠٠٤ ق٠ م
" الرابعة كلدانية	"	٤٩	"	٤٥٨ سنة	"	١٥٤٦ ق٠ م
" الخامسة عربية	"	٠٩	"	٢٤٥ سنة	"	١٣٠١ ق٠ م
" السادسة (مجهولة)	"	٤٥	"	٥٢٦ سنة	"	٧٧٥ ق٠ م
ملك واحد كلداني اسمهُ فول	ملك نحو			٢٨ سنة	"	٧٤٧ ق٠ م

الدولة الاولى

اما **الدولة الاولى** ابروسس خرافية كما يظهر مما يُنسَب اليها من الزمان فانهُ يقول انها حكمت ٣٤٠٨٠ سنة وعدد ملوكها ٨٦ اولهم ملك ٢٤٠٠ سنة وخليفتهُ ٢٧٠٠ سنة فالظاهر ان كل هذا من قبيل الوهم فلا يعتدّ بهِ اما بقية هذا الجدول فتاريخية وتثبتها

ما يعوزه جدول بيروسس

اخبار مملكة اشور الماخوذة من آثارها فانها تخبرنا بان ابن اسرحدّون ملك اشور افتتح مدينة سوسا عاصمة مملكة عيلام وان ملكاً من سوسا افتتح بابل منذ ١٦٣٥ سنة قبل ذلك اما افتتاح سوسا على يد ملك اشور فكان على الارجح سنة ٦٥١ ق٠ م٠ فافتتاح بابل على يد

ملك سوسا سنة ٢٢٨٦ ق.م. اي سنة انشاء الدولة الثانية لبيروسس وتخبرنا ايضًا بان ملكًا اشوريًّا افتتح بابل منذ ٦٠٠ سنة قبل افتتاح سنحاريب اياها وحدث هذا سنة ٧٠٢ ق.م. فيكون ذلك الافتتاح سنة ١٣٠٢ ق.م. اي زمان انشاء الدولة السادسة لبيروسس والفرق سنة واحدة فقط فنستنتج من هذه المطابقة صحة الجدول البيروسيّ فبناء على ما سبق نقول ان مملكة الكلدانيين أُنشئت قبل سنة ٢٣٠٠ ق.م. ومؤسسها نمرود حسب

نمرود نصّ التوراة فبنى بابل وأرك وأكد وكلنة فاشتهر كثيرًا حتى قيل انه في ايام موسى نمرود جبّار صيد امام الرب (تك ١٠: ٩) وبعد موته الّهه قومه وسمّوه بيل نيبرو او بيل نمرود ودامت شهرته الى القرون المتأخرة حتى ان العرب حكوا فيه حكايات كثيرة منها ما نصّه لابن خلدون. "وكسر ابرهيم الاصنام وأُحضر عند نمرود وقذفه في النار وصارت بردًا وسلامًا وخرج منها ولم تعد عليه كما نص ذلك القرآن ثم تدبّر النمروذ في امره وطلب من ابرهيم ان يقرّب قُربانًا يفتدي ما دعاهُ اليهِ فقال له ابرهيم انه لن يُقبل منك الا الايمان فقال لا استطيع وترك ابرهيم وشانهُ". انتهى. والمظنون ان صورة النجوم المسمّاة بالجبار سمّيت بلقبه وينسب اليه بعض الخرب غير انه لم يشاهد من الآثار ما اسمهُ عليهِ ونستنتج من

ارتحال اناس من ارض الكلدانيين التوراة وغيرها ان بعضًا من الساميين وهم الاشوريون هجروا ارض الكلدانيين نحو ذلك العهد ورحلوا الى الشمال وابرهيم وقومهُ الى الغرب والشمال وربما حدث في ذلك الزمان ان الفينيقيين رحلوا من شطوط بحر فارس الى ارض كنعان كما سيذكر اما الكوشيون

خلفاء نمرود فتقوّوا في الارض وتقدموا في الفنون وبنوا مدنًا معتبرة ذُكر بعضها. اما خلفاء نمرود من دولتهِ فاخبارهم سقيمة جدًا فنضرب عنها صفحًا وكانت اور عاصمة المملكة بعض تلك المدة واكثر اعتبارًا من بابل وفيها اكتُشفت آثار كثيرة مختصة بملوك هذه الدولة ولا سيما أُوروخ او أُورْخمْ وابنهُ أَنجي

٤. الدولة الثانية العيلاميون ٢٢٨٦ — ٢٠٥٢ ق.م

ثم قدمَ على المملكة قومٌ من الشرق وهم الماديون على قول بيروسس ولعلهُ ألحق بهم اسم مَن ملكوا تلك النواحي فيما بعد فيُظنّ انهم العيلاميون وملكهم وقتئذٍ كُدُرْناخُنْتا الذي

كدرناخنتا فتح بابل في نحو ٢٢٨٦ ق.م. وانشأ الدولة الثانية وهو المشار اليهِ في مكتوبات اشور كما مرّ (انظر رقم ٣) ومن ملوك هذه الدولة كُدُرْلَعُومَر خليفة السابق وهو مذكور في تك ١٤: ١ وكان متسلطًا على البلدان المجاورة وتعظّم الى ان شن الغارة على الامم الغربية واستعبد ملك سدوم

ورفقاءهُ اثنتي عشرة سنة ثم عصوا فهاجمهم ايضًا وغلبهم وكان راجعًا مع الغنيمة والاسرى لما اوقع بهِ ابرهيم وهزمهُ لانهُ اخذ لوطًا اسيرًا والقصة معهودة اما الملوك رفقاؤهُ فلا ريب انهم كانوا خاضعين لهُ لان اثنين منهم وهما أَمْرافِل ملك شنعار وارِيوك ملك ألاسار من نفس مملكة الكلدانيين التي استولى عليها كدرلعومر اما خلفاؤهُ فلا يُعرف من امرهم الاَّ قليل ومنهم كُدرمابوك وهذا لقب نفسهُ بقاهر الغرب اما كيفية انقراض الدولة العيلامية في نحو سنة ٢٠٥٢ ق٠م٠ فمجهولة ثم قامت **الدولة الثالثة** وملوكها احد عشر لكن لم تكن مدة ملكها الاَّ ثمانيًا واربعين سنة فنستدل من ذلك على ان المملكة كانت في اضطراب عظيم ولعلَّ هولاء الملوك كانوا ولاةً فقط ولأهم على البلاد ملوك عيلام

٥. الدولة الرابعة. كلدانية ملكت منذ سنة ٢٠٠٤—١٥٤٦ ق٠م

ثم قامت الدولة الرابعة وهي كلدانية وعدد ملوكها تسعة واربعون ملكوا ٤٥٨ سنة ذكر بعضهم على الآثار العاديَّة ومنهم ملك يسمَّى إسي داجون ملك في نحو ١٨٥٠ ق٠م٠ اسي وامتدت سلطتهُ الى الشمال وغزا بلاد اشور واخضعها وولَّى عليها ولاة اما سائر ملوك داجون هذه الدولة فاخبارهم سقيمة ولا يهمنا ذكرهم ونستفيد من اخبار ملوك مصر ان بعضهم غزوا ما بين النهرين في اواخر هذه المدة والظاهر ان ملوك الكلدانيين كانوا قد ضعفوا فلم يستطيعوا دفاع ملوك مصر الاقوياء (انظر تاريخ توطيس ١و٣) وتقدمت بابل في هذه المدة وصارت عاصمة المملكة

٦. الدولة الخامسة. عربية ملكت من سنة ١٥٤٦—١٣٠١ ق٠م

ثم قامت الدولة الخامسة وهي عربية وعدد ملوكها تسعة على قول بيروسس ولكن عُرِف من العاديات او الآثار خمسة عشر ملكًا ظنّوا من هذه الدولة راسها ملكٌ يقال لهُ خمُّورابي والارجح انهُ كان عظيم بعض قبائل العرب فرأَى ضعف ملوك خمورابي الارض حينئذٍ ودوَّخها واستولى عليها او لعلهُ كان ملكًا اقامهُ ملك مصر بعد غزوهِ البلاد كما مرَّ وهو اول من سقى الاراضي بقنوات من النهر فذكر في بعض مكتوبات الآثار نهر خمُّورابي الذي عملهُ خيرًا لاهل بابل فحوَّل القفار الى اباطح مخصبة وكان هذا الملك بنَّاء ايضًا فبنى هيكلاً كبيرًا للشمس في ألاسار وقصرًا قرب موقع بغداد وآثارهُ في اماكن مختلفة وملك نحو ٣٥ سنة وخلفهُ ابنهُ واخبارهُ قليلة وبعدهُ تنقطع اخبار المملكة ٦٠ او ٧٠ سنة ثم تأتينا اسماء بعض ملوك كلدانيين مقترنة باسماء ملوك اشُّور المستقلّين وتوجد هذه

مقابلة تاريخ الكلدانيين والاشوريين

الاسماء في كتابة اشورية وهي ثمينة جدًا لما فيها من المقابلة في تاريخ المملكتين فيبيّن ان اشور كانت قد استقلت وعاهدت مملكة الكلدانيين بدلاً من ان تكون خاضعة لها كالسابق وصاهر ملكُ بابل واسمهُ فورنا فورياس ملك اشور المسمّى اشورأُبلت ورُزق هذا اولادًا ولما مات ملك بابل خلفهُ ابنهُ فعصاهُ بعضهم وقتلهُ فصعد على العاصي ملك اشور جدُّ المقتول وعزلهُ وأَقام على بابل حفيدًا آخر من بني ابنتهِ اسمهُ دُرِّيغَلْزُو بنى مدينة معتبرة بالقرب من بغداد وُجد في ردمها خاتمهُ وكان ملكهُ منذ ١٤٠٠ سنة ق. م. اما سائر ملوك هذه الدولة فلا نعلم الاَّ اسماءهم ولا حاجة الى ذكرهم

٧. الدولة السادسة والدولة السابعة

جنس الدولة السادسة غير معروف ولعلهُ كان اشوريًا فان امور المملكة من هذا الوقت تتعلق كثيرًا بامور اشور وستُذكر ان شاء الله في تاريخ اشور

ونقول في ختام اخبار ملوك الكلدانيين انهُ قد تحقق من الآثار المكشوفة حديثًا اسماء نحو ثلاثين ملكًا من دول الكلدانيين القدماء لم تكن معروفةً سابقًا وللبعض من هولاء الملوك اخبار كثيرة قد اوردنا في هذا المختصر اهمها ومن اراد الاستيفاء فعليهِ بالمطولات وكان اكثر هذه الاخبار مجهولاً سابقًا وتاريخ الكلدانيين الاولين سقيمًا جدًا وما نعرفهُ منهُ الان انما استفادهُ العلماء من الآثار فاذا قيل ان عدد الملوك المعروفة اسماؤهم اقل من عددهم في قائمة بيروسس قلنا يحتمل ان ملوكًا كثيرين لم تُكتشف اسماؤهم بعد ويحتمل ايضًا وقوع التحريف في اخبار بيروسس اذ ليس لنا شيء من قلمهِ وما وصل الينا من اخبارهِ الاَّ ما نقلهُ بعض المؤرخين وذلك قليل جدًّا ونتوقع اكتشاف آثار أُخرى تزيد بها معرفتنا لحوادث تلك الازمنة الغابرة فان الاكتشافات جارية على الدوام وقد وجدوا حديثًا آثارًا كثيرة مكتوبة لم يتمّ العلماء قراءتها بعد غير انهم قد تحققوا انها ثمينة جدًّا وهم ينتظرون منها معرفة ما لم يعرف من امور الازمنة الاولى فانهم اكتشفوا من تآليفهم في حرب مدينة الشمس ان زِسُثْرُوس (والمراد بهِ نوح) صاحب الفلك طمر سجلاّته المتضمنة اخبار العالم قبل الطوفان فان صحّ ذلك وبقي شيء منها فلهُ من الاهمية ما لا يخفى وربما سيأْتينا من تلك الآثار ما يحيّر العقل

خلاصة اخبار الكلدانيين

الفصل الثالث

في صنائع الكلدانيين وعلومهم ودينهم الخ

١. **صنائع** الكلدانيين لم تكن كثيرة الاعتبار لان بقاياها زهيدة ويظهر ان المصريين سبقوهم فيها غير ان الآثار تبيّن انهم كانوا متمدنين ونقدموا شيئًا في الصنائع والعلوم فكانت ابنيتهم فاخرة وليست بقليلة الاَّ ان موادها كانت على الغالب قصيرة الامد وبقاياها قليلة بالنسبة الى بقايا ابنية مصر اما ما يستحق الاعتبار من ابنيتهم فالهياكل وانكشف منها علة خرب في إم قير ولارسا وغيرها وكان في إم قير هيكل طوله نحو ٨٥ ذراعًا وعرضه نحو ٦٠ ذراعًا جوانبه موضوعة على خطوط فلكيَّة اي متجهة الى الجهات الاربع بكل إحكام ونُظن هذه الهياكل كانت للعبادة والمراقبات الفلكيَّة كما سنذكر وكانت ذوات طبقتين وربما كان بعضها ذا ثلاث طبقات ولم تكن جميعها متساوية المساحة بل كلٌّ منها اصغر ما تحتها فكان الهيكل على شكل درَج ارتفاعًا والمقدس في الطبقة الاعلى وهو مزخرف جدًّا — الهياكل

٢. وكان اكثر آلاتهم بسيطًا ومنها ما كانت صوَّانية وهي الاقدم ثم نحاسيَّة اما الحديد فكان قليلاً عندهم والظاهر انهم اعتبروهُ بمثابة الجواهر الفانية كالذهب الذي استعملوهُ حُليًا واقراطًا وما اشبه ووُجد ايضًا القصدير وقليل من الرصاص اما الفضة فلا اثر لها . ولم يبقَ لمنسوجاتهم من أثر وقلما عُرف من امرها الاَّ انما نستنتج من بعض الصور المنقوشة انهُ كان لهم انسجة رقيقة حسنة وممَّا يثبِّت ذلك ذكر رداء شنعاريّ نفيس ايام يشوع العبراني (يش ٧: ٢١) فان شنعار كناية عن ارض الكلدانيين — المعادن — المنسوجات

٣. الظاهر ان الكلدانيين زاولوا علم الهيئة قديمًا ولم يسبقهم احد اليهِ وانما اخذهُ اليونان عنهم وقد ذكرنا ان هياكلهم كانت موضوعة للمراقبات مع العبادة وذلك ليس ببعيد لانهم كانوا يعبدون الاجرام السماوية فانهُ لما افتتح اسكندر الكبير بابل سنة — علم الهيئة

٢٢٢١ ق٠م٠ وُجد هناك كتابة فيها ذكر مراقبات فلكية متوالية مدّة ١٩٠٣ سنين فعلى ذلك يكون ابتداؤُها سنة ٣٢٣٤ ق٠م٠ فتأمل٠ ومن آثارها مكتوبات أُخرى تتضمّن حسابات دقيقة تدل على مهارتهم في العلوم الرياضية

٤٠ ولا ريب في انهم زاولوا الكتابة اذ لنا بقايا منها ويسمى خطهم بالاسفيني والظاهر ان الكلدانيين اول من استخدموهُ ولا يُظن انهم حصلوا عليهِ دفعةً واحدة بل استعملوا الصور في الاول كما فعل المصريون ثم عوَّضوا عنها بعلامات ولنا دليل على ذلك ان اقدم اشكال هذا الخط تشبه الصور مثال ذلك العلامة التي تدل على احدى او واحدة وتستعمل للتأنيث وهي هذه واصلها كذا ويُظن انها صورة مشط ذي اسنان على الطرفين ويرى على البقايا تغيُّرات هذه الصورة الاصلية حتى حصلت على الشكل الاسفيني المرسوم اعلاه اما سبب استعمالهم صورة المشط للتأنيث فربما لانهُ اكثر من يستعملهُ النساء ومما يستحق النظر ان هذه العلامة متى استُعملت حرفًا كانت مثل التاء التي هي علامة التأنيث في العربية ايضًا وفي غيرها من اللغات السامية٠ ومن اشكال كتاباتهم علامة البيت وهي هذه واصلها كذا وهو رسم اساس بيت وهلمَّ جرًا اما اغلب العلامات والحروف فقد تغيَّر شكلها عن الاصل حتى خفي فاصبحت علامات مركَّبة من خطوطٍ اسفينيَّة الشكل تدل احيانًا على المعنى الاصلي اي اسم الشيء المصوَّر بها واحيانًا على الصوت الابتدائي لذلك الاسم فصارت حرفًا يدل على صوت معين

الخط الاسفيني

٥٠ وديانة الكلدانيين وثنية وكان لهم آلهة كثيرة لا تُحصى لكن لنا دليل على انهم اعتقدوا في الاصل التوحيد لان اعظم آلهتهم اسمهُ را وال فالاول اسمهُ في اللغة الاصلية اي اللغة الكوشية وهو كذلك في اللغة المصرية كما مرَّ والثاني اسمهُ في اللغة الساميَّة التي خلفت الاولى والظاهر ان هذا الاسم هو إلْ العبرانية و إله العربية ونراهُ ايضًا في كلمة بابل اي باب إل وإل هذا رئيس الآلهة عندهم وابوهم فنستنتج انهُ كان الاول ووحدوهُ الى حين فسدوا فاشركوا بهِ ثم لما كثرت الآلهة جعلوا بالمقام الثاني ثالوثًا مركبًا من ثلاثة آلهة كبار وهم آنو وبيل وحيا اوحُوَا اما الاول فهو رب الهاوية واما الثاني فيلقب غالبًا بيل نِبرُ او نِفْرُ ولعلَّ معنى ذلك نفر او دفع فيدل على اقتدارهِ في الحرب

ال

او الصيد فهو رب الحرب والصيد وهذا يذكرنا نمرود الذي قيل له جبّار صيد كما مرّ وربما ألّهوهُ بعد موته أكونو موسس الملكة واطلقوا عليهِ هذا الاسم اما حُوا الثالث في الثالوث فهو رب اليابسة ولقّبوهُ باله العِلم وقالوا انهُ معلّم البشر والمرشد الفهيم ولعلّ اسمهُ مشتق من اصلٍ يدل على الحياة او يشير الى معنى الحيّة كناية عن الدراية والفهم (انظر تلك ص٣) وقد تكون علامة هذا الاله صورة الحية ثم بعد الثالوث الاول ثالوث ثانٍ اولهُ سين الاله القمري وعلامتهُ هلال ثم سان او سان سي الاله الشمسي وعلامتهُ دائرة ثم فول او أيقا اله الهواء ولهم عدة آلهة يظن انهم كناية عن السيارات مثل نين (زُحَل) وبيل مَرُودَخ (المشتري) ونرجَل (المريخ) ونبو (عطارد) ولا محلّ هنا لذكر اعمال تلك الآلهة ولا لذكر اسماء غيرهم لانهم كثيرون جداً

٦. ونذكر الآن بالاختصار بعض تقاليد الكلدانيين الدينية المتعلقة بالخليقة والطوفان وهي تستحق الاعتبار لموافقتها الاخبار الموسويّة وما نذكره منها مستفاد من اخبار بيروسس والآثار فمن ذلك قولهم انهُ في البدء لم يكن الاّ ماء وظلام وهناك تولد كل نوع من الوحوش الغريبة والكائنات العجيبة فمنها شبه اناس ذوي اجنحة ووجهين وراسين والبعض لهم قرون والبعض لهم ارجل كالفرس وما اشبه وكانت اسماك وحيّات وزحافات مخلوطة البنية او الصورة فالبعض لها خواصّ الآخر وكانت تتسلط امرأة على هذه الكائنات جميعها ثم جاء بيل وشق المرأة شطرين وجعل من الشطر الواحد سماء ومن الشطر الآخر ارضاً واهلك الحيوانات التي فيها ثم شق الظلام ايضاً وفصل بين السماء والارض ورتب العالم ثم امر واحداً من الآلهة ان يقطع راسهُ ويخلط دمهُ مع تراب الارض ويصنع الانسان والحيوان فخلق الانسان وكان مشتركاً في الحكمة الالهية وصنع بيل الشمس ايضاً والقمر والسيارات انتهى. ولا يخفى ما في هذه القصة مع ما فيها من الخرافات من المطابقة للقصة الموسوية من قبيل الخليقة لان في القصتين ذكر الارض على حالة متشابهة اي خالية وخربة عليها وعلى الغمر ظلمة وكان كل شيء مخلوطاً ثم يذكر فصل هذا الخليط وتكوين السماء والارض منهُ وفيهما ذكر النور قبل تكوين الشمس والقمر ووجود حيوانات قبل وجود الانسان وفيهما ذكر تكوين الانسان من تراب الارض واعطائهِ شيئاً من النفس الالهي

تقاليدهم في الخلية

٧. اما من جهة الطوفان فقيل ان الله ظهر لزسُثْرُوس (نوح) في حلمٍ وانذرهُ بانهُ في الخامس عشر من شهر دسيوس يهلك الانسان بالطوفان فامرهُ ان يصنع سفينة ويُدخلها

تقاليد الطوفان

عائلتهُ واقرباءهُ ويشحنها لحماً وشرباً ويدخل اليها طيورًا وحيوانات واذا تهيأ كلُّ شيءٍ يُقلع وامرهُ ان يكتب اخبارهُ واخبار العالم القديم في سجلاّت ويدفنها في مدينة الشمس ففعل وصنع سفينةً طولها خمسة فراسخ وعرضها فرسخان وادخل اليها كلَّ ما أُمِر به ثم جاء الطوفان ولما خفَّ اطلق بعض الطيور فرجعت اذ لم تجد مقرًّا ثم بعد ايامٍ اخرج الطيور ايضًا فرجعت وعلى ارجلها وحل ولما ارسلها ثالثةً لم ترجع فعلم ان اليابسة ظهرت فنظر الى خارج واذا بالسفينة قد استقرَّت على جبلٍ فخرج وقدم ذبيحة للالهة على مذبحٍ بناهُ هناك ثم اختفى ولما فتشوا عنهُ ونادوهُ جاءهم من الهواء قائلاً اعبدوا الله اني انا عبدتهُ واخذني لاسكن مع الآلهة ثم امرهم ان يرجعوا الى بلادهم وينبشوا السجلاّت التي دفنها في مدينة الشمس فامتثلوا أمرهُ وكانت الارض حينئذٍ لسانًا واحدًا وطفق الناس يفتخرون بجسومهم وقواهم ويستخفون بالآلهة فبنوا برجًا عاليًا جدًّا ليصعدوا الى العلاء ولما قرب البرج من السماء جعل الله الريح تهب فقلبت البرج على الناس وبلبلت السنتهم فدُعيت المدينة بابل انتهى وهذه القصة وفق اخبار موسى مع بعض زوائد خرافيَّة مثل المبالغة في طول الفلك وعرضهِ فان قولهم من هذا القبيل ما لا يصدَّق لكنهُ لا ينكر ان هذه التقاليد تؤيّد اقوال موسى كثيرًا وتثبّت صدق كتاب الله

القسم الثالث

في تاريخ مملكة اشُّور

الفصل الاول

في حدود اشور وخواصها الطبيعيَّة

١. هذه المملكة شمالي مملكة الكلدانيين. وكانت بلاد اشُّور الخاصَّة شرقي دجلة وتعرف الآن بكُردستان وفيها نينوى وغيرها من مدن اشور العظيمة الَّا ان المملكة كانت ممتدة غربي دجلة الى الفرات ومشتملة على ما بين النهرين من حدود ارض الكلدانيين الى جبال ارمينيا. فكان حدها الشمالي هذه الجبال وحدها الشرقي سلسلة الجبال الفاصلة بينها وبين ايران وتسمَّى جبال زاغروس وحدها الجنوبي خطٌّ يفصلها عن ارض الكلدانيين وحدها الغربي نهر الفرات. وهذه البلاد فيما بين النهرين اي الجزيرة سهلٌ لكنها ليست بطاحًا واطئة كارض الكلدانيين بل انجادًا مرتفعة قليلا وفي شماليها عدَّة جبال منها جبال سنجار الممتدة من ناحية السنّ على دجلة الى نهر خابور الذي يجري الى الفرات ومنها فروع جبال ارمينيا مثل جبل ماردين وجبل طور وغيرها اما الارض شرقي دجلة فتخترقها جبالٌ متفرعة من جبال زاغروس المذكورة

٢. ومن انهر هذه البلاد الفرات ودجلة المذكوران وشرقي دجلة جملة انهر ونهيرات مخارجها الجبال المذكورة ومنها نهر خابور الشرقي يصب في دجلة شمالي الموصل ونهر الزاب الاعلى قال العلَّامة الدكتور فان ديك في كتابهِ المرآة الوضيَّة "ومخرجهُ في الجبال على حد اذربيجان ومجراهُ الى الجنوب وهو يصب في الدجلة بقرب موضع يقال لهُ السنّ ويسمَّى ايضًا الزاب المجنون لحدَّتهِ وشدة جريانهِ". وهو جنوبي الموصل والزاب الاسفل الانهر

قيل في ذلك الكتاب "وهو يخرج من الجبال على حدود بلاد العجم ويجري الى الجنوب الغربي ويصب في الدجلة". والديالة في الجنوب وهو مركّب من نهرين الحلوان والشروان ومخرجاهما في الجبال الشرقية ويجري الى الجنوب الغربي ويصب في الدجلة جنوبي بغداد. والانهر ما بين الفرات والدجلة قليلة لا يستحق ان يذكر منها الاّ نهر خابور الغربي ومخرجهُ بقرب الجبال الشمالية عند مكان يسمى راس العين ويجري جنوبًا ويصب في الفرات قرب مدينة قرقسيًا (كركميش) وللشمال منهُ نهر آخر يسمى بيلك مخرجه قرب مدينة أُرفا يصب في الفرات عند مدينة الرقّة

اقسام البلاد — ولا يعتبر في التاريخ القديم من اقسام هذه البلاد سوى اثنين الغربي وهو ما بين النهرين والشرقي وهو ما بين دجلة والجبال الشرقية اي بلاد اشور الخاصّة

مدينة اشور — ٣ واقدم مدنها اشُور لا نينوى كما ظهر من الآثار وهي غربي الدجلة وعلى امد ٦٠ ميلاً من جنوبي موقع نينوى وكانت عاصمة البلاد الاولى والى الشمال منها وعلى امد ٣٠ ميلاً جنوبي نينوى مدينة كالح او نمرود شرقي دجلة وكانت مربّعة الشكل ومدينة عظيمة كما يظهر من خربها وكانت عاصمة المملكة بعد اشور. اما نينوى المشهورة فعلى الشط الشرقي من دجلة مقابل مدينة الموصل الحديثة واطلالها ظاهرة منها تل يُسمّى النبي يونس لزعمهم انهُ مدفن ذلك النبي ومنها تلّ آخر يسمّى كويونجِك يشغل نحو مئة فدان من الارض وهو مصنوع لاجل رفع موقع الابنية وعلوّهُ نحو ٤٠ ذراعًا قبل ان بناء مثلهِ يقتضي عمل ١٠٠٠٠ فاعل اثنتي عشرة سنة. اما النبي يونس فيشغل نحو ٤٠ فدانًا وهو اعلى من ذاك وتقتضي اقامة مثلهِ عمل ١٠٠٠٠ فاعل خمس سنين وستة اشهر. وعلى هذين التلّين كانت قصور ملوك اشور وهياكل الآلهة وآثارها كثيرة مدفونة كشفها بعض العلماء واستخرج منها فوائد ثمينة جدًّا ونستدل من خرب نينوى ان مساحتها كانت نحو الف وثماني مئة فدان وكانت متينة عالية فكان ارتفاع اسوارها ١٠٠ قدم وعرضها نحو ٥٠ قدمًا وعليها ابراج عند الابواب. ومما يدلّ على عَظَمَة نينوى قول يونان النبي انها مسيرة ثلاثة ايام وان فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم. ولم يُعلم مراده بقولهِ الاخير العلم اليقين وراجح الظن انهُ الاولاد الصغار فان صحّ ذلك نتج ان سكانها كانوا نحو ٦٠٠٠٠٠ نفس وكانت شماليّ نينوى مدينة تُسمّى دور سارجينا اي دار سارجون التي بناها سارجون وتسمّى الآن خورسآباد تشغل خربها ارضًا مربعة الشكل

(في الهامش: كالح او نمرود — نينوى — دور سرجينا)

كلٌّ من جوانبها نحو ٢٥٠٠ ذراعٍ وفي هذه البلاد مدن عديدة لا محل لذكرها هنا



الفصل الثاني

في اخبار الاشوريين القدماء

اصول تاريخ اشور هي ما ذكر في تاريخ الكلدانيين فاطلبها هناك غير ان اثار اشور اكثر جدًّا من اثار تلك المملكة لان موادها حجر صلبٌ فابقى واستفيد اكثر هذه الاخبار الآتية من الاثار المكتوبة بالخط السفيني المذكور

١. قال موسى في (تك ١٠: ١١) "من تلك الارض (اي شنعار) خرج اشُّور وبنى نينوى". وكان اشور من بني سام فلا ريب في ان الاشوريين من جنس الساميين ولغتهم على الآثار تثبّت ذلك كما سترى ولا نعلم متى خرج الاشوريون من مملكة الكلدانيين وكيف خرجوا ولماذا ولعل بني سام انفوا من ان يتسلط بنو كوش عليهم فهاجروا او استحسنوا الرحيل لضيق المقام. فابرهيم وقومهُ هاجروا الى بلاد غريبة ولنا ادلة على ان بطونًا أُخر فعلت كذلك وسترى انهم كانوا في ارض كنعان وغيرها. اما ابتداء امر الاشوريين فعلى قول هيرودوتس انهم تسلّطوا على غربي اسيا ٥٢٠ سنة ثم ضعفوا شيئًا وضاقت دائرة سلطتهم غير انهُ لم ينتهِ امرهم الّا الى غاية ١٢٠ سنة بعد ذلك. ويتحصل من قولهِ ان اول ملكهم في نحو سنة ١٢٥٠ ق.م. ونهايتهُ في نحو ٦٠٠ ق.م. ويستفاد مما نقلوا عن بيروسس ان مدة تسلطهم نحو ٦٧٥ سنة وسقوط مملكتهم في نحو سنة ٦٢٥ ق.م. فاول دولتهم قبل الميلاد بنحو ١٣٠٠ سنة. وقال طيسياس ان مدة دولتهم ١٣٠٠ سنة وهو ليس بثبتٍ بل قد تحقق خطأهُ ويستفاد من الآثار ان بداءة امرهم منذ سنة ١٥٠٠ ق.م. او قبل ذلك واستقلالهم في نحو سنة ١٣٠٠ او ١٢٥٠ ق.م. فالظاهر ان هيرودوتس وبيروسس أشارا بقولهما الى مدة ملكهم الاستقلاليّ من اخضاعهم بابل كما سياتي وقد اكتشف العلماء من الآثار اسماء اكثر ملوك هذه الدولة العظيمة وتحققوا سنيهم الى غاية سنة ٩١١ ق.م. وليس

سكان اشور

ابتداء المملكة

لنا قبل ذلك العهد سوى الاسماء فلا نعلم السنين الاّ على سبيل الترجيح وهاك قائمة ملوكهم حسب الآثار

قائمة ملوك اشور حسب كتاب العلامة رولنصن الانكليزي المشهور

بيل سُيل كابي	عصرهُ مجهول
إربا فول	" "
اشور الدين اخي	" "
اشور بيل نيسو	قام في نحو ١٤٤٠ ق.م
بزور اشور	" " " ١٤٢٠ " "
اشور أُبلّت	" " " ١٤٠٠ " "
بيل لوش	" " " ١٣٨٠ " "
بود أل	" " " ١٣٦٠ " "
فول لوش اول	" " " ١٣٤٠ " "
شلمناصر اول	" " " ١٣٢٠ " "
تغلث نن اول	" " " ١٣٠٠ " "
(ساقط)	
بيل كدُر أُزور	" " " ١٢٣٠ " "
نن بالا زيرا	" " " ١٢١٠ " "
اشور دبان اول	" " " ١١٩٠ " "
متغيل نبو	" " " ١١٧٠ " "
اشور رس إيلم	" " " ١١٥٠ " "
تغلث فلاسر اول	" " " ١١٣٠ " "
اشور بلكالا	" " " ١١١٠ " "
شمس فول اول	" " " ١٠٩٠ " "

اشور مزور	زمانهُ مجهول
اشور دبان ثانٍ	قام في نحو ٩٣٠ ق.م
فول لوش ثانٍ	" " " ٩١١ " "
تغلث نن ثانٍ	" " " ٨٨٩ " "
اشور ازير بال	" " " ٨٨٣ " "
شلمناصر ثانٍ	" " " ٨٥٨ " "
شمس فول ثانٍ	" " " ٨٢٣ " "
فول لوش ثالث	" " " ٨١٠ " "
شلمناصر ثالث	" " " ٧٨١ " "
اشور دبان ثالث	" " " ٧٧١ " "
اشور لوش	" " " ٧٥٣ " "
تغلث فلاسر ثانٍ	" " " ٧٤٥ " "
شلمناصر رابع	" " " ٧٢٧ " "
سرجون	" " " ٧٢٢ " "
سنحاريب	" " " ٧٠٥ " "
اسرحدّون	" " " ٦٨١ " "
اشور بانبال	" " " ٦٦٨ " "
اشور أمد إلن	" " " اول ملكهِ
مجهول وملك الى حين سقوط نينوى في نحو سنة ٦٢٥ ق.م	

ذكر ما يثبت هذه القائمة

٢. ومن الادلة على صحة هذه القائمة قول سنحاريب في ما ذكرهُ من أمر تغلث نِنْ سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد فالمحقّق ان سنحاريب افتتح بابل سنة ٧٠٣ او ٧٠٢ ق.م. قال ان تغلث نن فعل كذا وكذا قبل ذلك بست مئة سنة فينتج من ذلك ان تغلث نن كان سنة ١٣٠٣ قبل الميلاد. ومنها ان بعض الاقدمين ذكر حدوث كسوفٍ في السنة الثانية من مُلك اشور ديّان الثالث وقد تحقق من علم الهيئة ان الشمس كسفت في الخامس عشر من حزيران سنة ٧٦٣ ق.م. ومنها ان تلك القائمة موافقة ايضًا قائمة بطليموس

صاحب علم الهيئة المذكور فيها اسماء ملوك بابل كما سياتي فمن هذه الدولة نستنتج صحة هذه القائمة على وجه العموم وان وقع فيها بعض الخطإ في السنين واسماء الملوك التي لم تضبط كل الضبط لصعوبة قراءة الخط السفيني. وقد ذكرنا اخبار هولاء الملوك بالاختصار وقسمنا تاريخهم الى ثلاثة اقسام كبرى. القسم الاول من بداءة امرهم الى افتتاح بابل نحو سنة ١٣٠٠ ق.م. والقسم الثاني من افتتاح بابل الى مُلك تغلث فلاسر الثاني نحو سنة ٧٤٥ ق.م. والقسم الثالث من ملك تغلث فلاسر الثاني الى انقراض امرهم في نحو سنة ٦٢٥ ق.م

٣. **القسم الاول**. لا يُعلم من امور الاشوريين في هذه المدة الّا القليل لقلّة الآثار وليس لنا سواها لمعرفة تاريخهم. والذي استفادهُ التاريخ منها اسماء بعض ملوكٍ اخبارهم سقيمة جدًّا. والظاهر انهم كانوا خاضعين لملوك بابل اولاً ثم تقوّوا شيئًا فشيئًا حتى غلبوهم فاستقلوا. وكانت عاصمة المملكة في هذه المدة مدينة اشور التي آثارها اقدم من غيرها من مدن المملكة. ومن ملوك هذه المدة اشوراُفلّت الذي صاهر ملك بابل كما مرّ (راجع تاريخ الكلدانيين رقم ٦) ولعلهُ كان سنة الف واربع مئة قبل الميلاد. ثم قام في نحو ١٣٢٠ ق.م. شلمناًصر الاول الذي بنى مدينة كالح او نمرود فيتبين من هذا ان المملكة قد امتدت شمالاً ومن ثمَّ صارت عاصمتها شرقي دجلة فاستولت على تلك الاقطار وقد انبأتنا الآثار ان شلمناًصر هذا غزا في ناحية ارمينيا وبنى مدنًا هناك

اشورافلت

شلمناصر ا

٤. **القسم الثاني**. في هذا القسم مدّتان مميّزتان اولاهما من نحو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٩١١ ق.م. وفيها سلسلة الملوك غير كاملة وازمنتهم مظنونة واخبارهم متقطّعة. والثانية من سنة ٩١١ الى سنة ٧٤٥ ق.م. وفيها سلسلة الملوك كاملة وسنوهم معروفة وان وقع فيها خطاٌ فهو زهيد. واول ملوك المدة الاولى تغلث نن فهذا غزا كثيرًا ووسع حدود المملكة حتى شن الغارة على مملكة الكلدانيين ولقب نفسهُ قاهرَ بابل واكتشف خاتمهٌ فيها والارجح انهُ اقام ولاةً اشوريين عليها ولعلّ بيروسس اشار الى ذلك بدولتهِ السادسة الكلدانيين غير ان بابل لم تخضع كل الخضوع لاشور فقاوم ملوكُها ملوكَ اشور كثيرًا وخرجوا عليهم غير ان اشور سبقت مملكة بابل من عهد تغلث نن وبعدهُ سلسلة الملوك متقطعة واخبارهم قليلة الى امد ١٧٠ سنة واكثر ما ورد من امرهم في التاريخ ذكر حروبهم مع ملوك بابل الذين عصوهم كما مرّ وغلبوهم احيانًا

تغلث نن

تغلث فلاسر

٥. ثم قام تغلث فلاسر الاول في نحو سنة ١١٣٠ واخبارهُ مستوفاة مدة خمس

غزواته في السنة الاولى السنين الاولى من ملكهِ وهي مستفادة من كتابتهِ الرسمية التي كشفوها في خرب مدينة اشور. منها قولهُ انهُ اخضع جميع الممالك والشعوب المجاورة. فغزا في السنة الاولى بلاد ماشك وقموخ في ناحية ارمينية وقاتل ملوكهم الخمسة ومعهم ٢٠٠٠٠ مقاتل فهزمهم شرَّ هزيمة. قال اوقعت بهم كعاصفة حتى غطَّت جثثهم الاودية وقمم الجبال وقطعت رؤوسهم وصيَّرت أسوار مدنهم كومًا وغنمت من امتعتهم وثروتهم ونفائسهم ما لا يحيط الوصف بهِ واستعبدت ٦٠٠٠ من عسكرهم. انتهى وغزا في السنة الثانية تلك الاطراف وزاد فهاجم قبائل أُخر

في السنة الثانية منها الحثيون في شمالي سورية وكانوا قد غزوا املاك اشور فانتقم منهم نقمة شديدة وغزا في تلك السنة عينها نواحي جبل زاغرُس. وغزا في السنة الثالثة بلاد الثائرين الممتدة من

السنة الثالثة غزوة الثائرين الفرات الى خليج اسكندرونة في بحر الروم فجمع الثائرون المحالفين وقاتلوا ملك اشور اشد قتال لكنهُ هزمهم الى البحر واخذ منهم ١٢٠ مركبة وضرب عليهم كل سنة ١٢٠٠ فرس و٢٠٠ بقرة. وحارب في السنة الرابعة الاراميين والسوريين الحاليين في وادي الفرات

السنة الرابعة غزوة مصر واحرق مدنهم وآب بالغنائم الوافرة. وغزا في السنة الخامسة مصر وهي قطيعة بين جبال زاغرُس لا مصر المشهورة وكانت مسالك تلك القطيعة صعبة واهلها اشداء البأس لكنهُ دوَّخها في مدة قصيرة وضرب عليها الجزية. ثم قدمَ على القومانيين حلفائهم وقهرهم. قال الملك تسلطت من بداءة ملكي الى السنة الخامسة على اثنتين واربعين بلدًا مع ملوكها من شطوط نهر الزاب الى شطوط نهر الفرات والبحر الغربي الاعلى وجعلتهم تحت حكم واحد واخذت منهم رهائن وضربت عليهم الجزية. انتهى. ثم ذكر

صيد الوحوش بعد ذلك ما صادهُ من الوحوش الضارية وغيرها من جملتها انهُ صاد ٩٢٠ اسدًا قتل كثيرًا منها بيدهِ ولم يذكر ذلك الّا لان ملوك اشور كانوا يُفاخرون بالقَنص ثم ذكر

ابنيته ما شادهُ من الابنية كالهياكل والقصور وغيرها. وذكر ترميمهُ هيكلين في مدينة اشور واطال الكلام على ذلك ومدح الآلهة كثيرًا لانهُ كان متدينًا جدًا ونسب اليها كل نجاحهِ في حروبهِ وذكر عنايتهُ بالحراثة وادخالهِ الدواجن الغريبة الى بلادهِ. وليس لنا بعد

غزوة بابل خمس السنين الاولى من ملكهِ الّا ذكر بعض مساعيهِ واهمها حروبهُ مع مملكة بابل في اواخر ملكهِ فانهُ غزاها وحرق مدنها ثم نازل بابل نفسها وافتتحها ثم عصتهُ. ولما كان راجعًا من محاربة بعض القبائل على الفرات في نواحي هيت اوقع بهِ اخو ملك بابل وضايقهُ وسلبهُ تماثيل الآلهة التي كان يحملها للحرب حيثما توجَّه واخذها الى بابل ولم يسترجعها

الاشوريون الى نهاية ٤٠٠ سنة . فتبيّن من ذلك ان بابل لم تخضع لاشور الاّ بعد مدة طويلة ومن آثار تغلث فلاسر غير المذكورة رسمٌ على صخرة كبيرة في مغارة على امد نحو ٥٠ ميلاً شماليّ ديار بكر وهو صورة الملك وكتابة تنبئ بمهاجمته الثالثة لقبيلة النائرين ومات تغلث فلاسر في نحو سنة ١١١٠ ق.م. اما خلفاؤهُ فتنقطع اخبارهم مدة تقرب من ٢٠٠ سنة ولعلّ المملكة انحطّت حينئذٍ وقلّت مآثرها . ومما يستحق الاعتبار انهُ في اواخر هذه المدة قامت الدولة الثانية والعشرون في مصر واسماء ملوكها اشورية كما ذُكر (راجع تاريخ مصر رقم ١٧) فظن البعض ان الاشوريين غلبوا مصر حينئذٍ وانشأُوا فيها هذه الدولة غير ان ذلك بعيد لما ذكرناهُ من انها كانت ضعيفة ولعلّ ملوك مصر تزوجوا اشوريات سمّين اولادهنّ باسماء اشورية والله اعلم ونتوقع حلّ هذا الاشكال من الاكتشافات المستقبلة

آثار تغلث فلاسر في ارمينية

دولة اشورية في مصر

٦. **المدة الثانية** قد وقف المورخون بعد الفترة المذكورة في اخبار اشور على اسماء الملوك بالتتابع كما يظهر من قائمتها الاّ انهُ لا شيء من اخبارهم من اول عهدهم الى زمن الملك اشور أزِربال الذي قام سنة ٨٨٣ ق.م. وملكَ ٢٥ سنة وآثارهُ كثيرة جلية وفي ايامهِ أخذت مملكة اشور في الارتقاء فان هذا الملك وسع دائرتها كثيرًا حتى بلغت ما كانت عليهِ ايام تغلث فلاسر وكانت القبائل التي خضعت لتغلث فلاسر قد خرجت على اشور فالتزم هذا الملك ان يخضعها فغزا اشور ازِربال اطراف ارمينية وجبال زاغرُس وتوغل فيها اكثر من اسلافهِ ومن غزواتهِ المعتبرة غزوة الشوحيين وحلفائهم اللاّ كيين في نواحي الفرات فانتصر عليهم نصرًا عظيمًا واعمل في بلادهم السيف والنار وأسر وقتل ونهب وغنم وبنى مدينتين على جانبي الفرات واسكنها فرقًا من عسكرهِ للمحافظة ومع ذلك عصوهُ فاضطرّ أن يخضعهم ايضًا . ثم غزا سورية وما يليها وتوغل فيها فقطع الفرات عند مدينة كركميش التي كانت للحثيين فخضعت لهُ قبيلة الحثيين حالاً ثم جدّ في السير الى جبل لبنان وبلغ البحر واقام هناك مذابح واصعد عليها محرقات شكرًا للآلهة ثم خضعت لهُ المدن الفينيقية صور وصيدا وجُبيل وارواد وغيرها ثم رجع الى بلادهِ مؤيّدًا منصورًا وآب بالغنائم ولا سيما خشب البناء ولعلهُ كان من ارز لبنان . وليس ما ذكرناهُ سوى قليلٍ من غزواتهِ اذ لا محل لذكرها في هذا المختصر وكان هذا الملك مولعًا بصيد الوحوش في اسفارهِ وجاء بكثير منها الى عاصمتهِ فوضعها في ساحة واسعة مسوّرة ليمكنهُ قنصها من دون ان يسير طويلاً . وكان هذا الملك فارسًا شجاعًا شديد البأس وكان الصيد والحرب

اشور ازِربال

غزوة ارمينية وزاغرُس ونواحي الفرات

غزوة سورية

صيد الوحوش

ابنيته من اول مقاصده وكان مع ذلك يحب البناء وما اقامهُ من الابنية المشيَّدة ينيف على كل ما اقامهُ اسلافهُ فبنى صرحا في كالح طولهُ ١٦٠ ذراعًا وعرضهُ ١٣٢ ذراعًا وطول ساحتهِ نحو ستين ذراعًا وعرضها ٤٤ ذراعًا ونقش الحيطان باشباه حيوانات غريبة كثيران ذوات اوجه انسانية واجنحة نسرية وما اشبه وهذه النقوش متقنة الصناعة تبيّن تقدم البلاد العظيم

عموده في هذا الفن. وبنى عدة هياكل وزيّنها كثيرًا. ومن اعظم آثارهِ عمودٌ من حجر ابيض مكتوب عليهِ مساعيهِ المارّ ذكرها. وهذا العمود اليوم في المشهد البريطاني. ومع ان كالح كانت مقر ملكهِ اعتبر نينوى وشاد فيها الابنية فزهت واصبحت عاصمة البلاد. وهلك اشور ازير بال سنة ٨٥٨ ق.م. بعد ان ملك ٢٥ سنة

شلمناصر ٢ ٧. ثم خلفهُ شلمناصر الثاني وكان محاربًا عظيمًا كابيهِ غزا في مدة ملكهِ ثلاث وعشرين غزوة لا محل لذكرها كلها فنقتصر على ذات الشان منها. وكانت غزوتهُ الثامنة في ارض الكلدانيين حيث التحمت الحربُ الاهلية. وقام احد الخانة واخذ المُلك فهاجم شلمناصر

غزوة بابل وسورية بابل وقتل مَن ادّعى بالملك وغزا البلاد. قال ان قوة جيشهِ اخافت الناس من هناك الى البحر ثم توجّه في السنة التاسعة الى سورية. وقد مرّ ان اباهُ استولى على الاقطار الشمالية فايقنت القبائل الجنوبية انهُ لا بد من المقاومة الشديدة لكي تنجو من مخالب ملك اشور

بنهدد وسائر ملوكهم فتعاهد بنهدد ملك دمشق وصكهولينا ملك حماة واخاب (ويظنّهُ البعض ملك اسرائيل غير ان زمان هذا غير زمان ذاك على ما يظهر) وملوك الحثيين في الجنوب وملوك الفينيقيين فتأهبوا لمدافعة ملك اشور وقد جمعوا جيشًا عرمرمًا فحملوا بنحو ٧٧٩٠٠ من المشاة والف جمل و٣٩٤٠ مركبة لكنهم انهزموا وهلك منهم نحو ٣٠٠٠٠ غير انهم لم يخضعوا لشلمناصر خضوعًا كاملاً فحاربهم بعد ذلك. اما بنهدد فعبى جيشهُ وبارز شلمناصر بقوة ونشاط فغلبهُ ملك اشور لكنهُ لم يخضعهُ فكانت الحرب بينهم سجالاً وزحف في نحو سنة ٨٤٦ ق.م. بجيش عرمرم ينيف على ١٠٠٠٠٠ مقاتل. ولما توغّل في سورية التقى بالمحالفين وهزمهم شرّ هزيمة حتى لم يعودوا الى المحالفة على مقاومتهِ الاّ ان بنهدد ملك دمشق لم يطعهُ بعد ذلك فاتى شلمناصر بعد اربع سنين ولم يناوشهُ احد الاّ ملك دمشق وهو حزائيل

قهره حزائيل الذي كان قد غدر ببنهدد واختلس المُلك ولم يكن كسابقهِ فانكسر تمام الانكسار حتى كفّ عن المقاومة فاستولى شلمناصر على املاكهِ. ولما رأى ذلك الفينيقيون وغيرهم من اهل سورية اطاعوا ملك اشور. وممّن خضعوا لهُ وقتئذٍ ياهو ابن عمري ولعلهُ احد ملوك

اسرائيل وانما ظنهُ ملك اشور ابن عمري اذ كان من خلفائهِ وكرسيهُ في السامرة مدينة عمري. وفي هذا الامر نظر لان زمان هذه الحادثة غير زمان ياهو على ما في تواريخ بني اسرائيل ولعل الغلط في تواريخ اشور لان ازمنة تلك الدولة لم تحقق والظاهر ان شلمناصر غزا مملكة اسرائيل لان في احد النقوش التي نقشها في شان هذه الحرب صور اناس يشاكلون بني اسرائيل صورةً يقدمون له الهدايا علامةً لطاعتهم . ومن آثار هذا الملك المعتبرة عمود مكتوب عليهِ تاريخ فتوحهِ وهو الآن في لندن ويعدّ من احسن آثار الاشوريين الباقية. ولما شاخ شلمناصر لم يبقَ في مكنتهِ ان يخرج الى الحرب فكان يجهز قائدًا لهُ وثق بهِ فغزا وتقوّى وبلغ مقامًا ساميًا في المملكة ولما راى ذلك بكر الملك خاف ان يختلس المُلك فحاول ان يسبقهُ وهيّج فتنة وادّعى بالملك وابوهُ حيٌّ وانتدب اليهِ كثيرين اما ابوه فلم يرضَ بما فعل وجهّز عليهِ ابنهُ الاصغر شمس فول فقوى هذا على البكر واسترد المدن التي اخذت من ابيهِ وسكّن الفتنة. ولعلهُ قتل اخاهُ فورث المملكة وهلك ابوهُ سنة ٨٢٣ ق.م بعد ان ملك ٣٥ سنة

ياهو

خيانة بكره

٨. ثم تبوّأ شمس فول الثاني ولم يشتهر كثيرًا في حروبهِ ولا في سياستهِ وما لنا من انباء حروبهِ سوى ذكر غزواتهِ مدة اربع سنين من ملكهِ . والظاهر ان بعض القبائل خرجت عليهِ فالتزم ان يردها الى الطاعة قهرًا . فهاجم ارض بابل في السنة الرابعة وهزم الكلدانيين مرتين ولعل بابل ذاتها خضعت له لانها دفعت الجزية لخليفتهِ . وملك شمس فول ١٣ سنة وخلفهُ ابنهُ فول لوش الثالث سنة ٨١٠ ق.م. ويقال له ايضًا فول نراري. اما آثار هذا الملك فقليلة جدًا واخبارهُ موجزة. وما علمناهُ من امرهِ انهُ كان شديد البأس وكثير الحروب كاسلافهِ . ووسّع تخوم المملكة بان علا جبال زاغرُس وهاجم بلاد مادي سبع مرات وبلاد ارمينية مرتين وسورية ثلاثًا واخضع دمشق وصور وصيدا والسامرة وفلسطين وادوم وخضع له النائرون والمادِيون والفرس والكلدانيون . والظاهر انهُ اقام ابنهُ ملكًا في بابل فامتدّت سلطنتهُ من بحر الروم الى خليج العجم ومن ارمينية الى بلاد العرب وتخوم مصر

شمس فول

مهاجمته بابل

فول لوش ٣

غزواته

٩. اما امورهُ الداخلية فقلما علمت لكن لنا امرًا يستحق النظر لعلاقتهِ بهذا النبأ وهو ما يأتي : ذكر بعض المؤرخين القدماء ملكةً للاشوريين اسمها سَمِرميس . وهي امرأة نينس احد ملوكهم وكانت على جانب عظيم من الشجاعة وفاقت بعلها في شدة البأس ولما مات

سمرميس

اشتهرت جدًا بفتوحها . قيل انها استولت على بابل ومصر وبلاد كوش وسارت بجنودها الى الهند الاَّ انها انهزمت هناك . ثم عادت واقامت ابنية عظيمة فنسبوا اليها اكثر مآثر اسيا . وقصوا كثيرًا من انبائها الخرافية وربما ظن بعضهم اخبارها صحيحة الآن . ارباب التحقيق في عصرنا بيَّنوا فسادها جملةً وذهبوا الى ان سمرمس امرأة وهمية لا وجود لها . اما اثار فول اوش فتحقق وجود هذه الملكة على ان اخبارها المعهودة على غاية الفساد والصحيح من امرها انها كانت زوجة لفول لوش اذ وجد بين الآثار بعض تماثيل الاله نبو وقفها صانعها لفول ارش وزوجته سمرَّمتْ فظهر انها كانت معتبرة اكثر من سواها من نساء الملوك لان ملوك اشور لم يذكروا نساءهم في كتاباتهم ولم يعتبروهنَّ فنستنتج من ذلك ان سمرمس اختصت بمقام سامٍ وظنها البعض بنت ملك بابل فتزوَّج بها فول لوش ليورث ابنهُ تخت بابل بلا خلاف فتنقطع الحرب السجال بين المملكتين . واعتبر الكلدانيون هذه الملكة اكثر من فول لوش فعظم صيتها وانتشر في الآفاق وكل ما نسبوهُ اليها سوى ذلك من الغرائب باطلٌ . فانقرض مُلك فول لوش سنة ٧٨١ ق.م. ولم يشتهر بعدهُ احد الى

شلمناصر ٣ حين مُلك تغلث فلاسر الثاني سنة ٧٤٥ ق.م. وقام في هذه المدة ثلاثة ملوك وهم شلمناَّصر

اشوردیان؟ الثالث ملك سنة ٧٨١ الى ٧٧١ ق.م. واشوردَيان الثالث ملك سنة ٧٧١—٧٥٣ ق.م.

اشورلوش واشورلوش ملك سنة ٧٥٣—٧٤٥ ق.م. والظاهر ان هذه المدة كانت مدة تأخُّر فلم تنجح امور المملكة داخلًا ولا خارجًا . وكانت مدة فتن واضطراب حتى ظن بعضهم ان العصاة قووا على اشورلوش واهلكوهُ ومنهم فول ملك بابل المذكور في قائمة بيروسس كما مر . قيل

مدة تأخر ان اشورلوش قعد عن الحرب وامور السياسة ولزم مقاصير النساء وصرف زمانهُ باللذات والكسل ولما رآهُ احد قوَّاد جندهِ على تلك الحال ظنهُ بلغ غاية الخَنَث فلا يقدر ان يخضعهُ اذا عصاهُ فخرج عليهِ وجاهر بالعصيان . ولما كان ماديَّ الاصل خرج معهُ عسكر الماديين الذين كانوا في جند اشور . فترك اشورلوش ما كان عليهِ من التنعم وعبَّى جيشًا جرارًا من الاشوريين وحارب العصاة وغلبهم لكنهُ لم يقدر ان يخضعهم كما ينبغي فخرجوا عليهِ ثانيةً ثم خرج عليهِ فول ملك بابل وغلظ امره حتى غلب ملك اشور في حومة القتال وحاصرهُ في نينوى سنتين فضاق الامر باشوراوش فانتحر اي قتل نفسهُ . قيل انهُ جمع امواله ونساءَهُ في قصرهِ واضرم بهِ النار فهلكوا جميعًا . ثم افتُتحت المدينة وخرَّبها العصاة كل التخريب واستولى فول على البلاد . ولكن هذه الاخبار لم تثبت ونسبها اليونان الى سرقس اخر

ملوك الاشوريين. والذي ظهر من الآثار ان هذه المدة مدة تأخُّر وعصيان وانقلاب ومع ذلك لم تنقطع سلسلة الملوك ومما حمل بعضهم على القول بسقوط اشور حينئذٍ ما ذُكر في الكتاب (٢مل ١٥: ١٩) من ان فول ملك اشور جاء على ارض اسرائيل وغرّم منحيم. والظاهر ان فول هذا هو الملك المذكور في قائمة بيروسس على انهُ ملك بابل لا ملك اشور فرأوا انهُ اخضع اشور. وارتأى بعضهم ان فول لوش هو المذكور في الكتاب لان اسمهُ يوافق اسم ذاك ولكن ترك الجزء الاخير منهُ لكنّ الظاهر ان هذا الملك مات قبل مُلْك منحيم بنحو عشر سنين وتبين من الآثار ان فول لوش لم يمت سنة ٧٨١ بل اعتزل امور الملك للشيخوخة ووكلها الى ابنهِ فربما ادرك زمان منحيم ورأى آخرون ان فول المذكور هو ملك بابل وان بني اسرائيل لم يميزوا بين ملوك بابل واشور حينئذٍ فظنوهُ ملك اشور وما ذلك ببعيد لان ملوك اشور كثيرًا ما تسلطوا على بابل والله اعلم والارجح انهُ في تلك المدة ذهب يونان النبي الى نينوى وانذرها بالهلاك فخاف ملكها واهلها وتابوا اليهِ تعالى فنجوا فلعلّ ما حملهم على ان صدقوا وعيد يونان حينئذٍ ضيق الحال وكثرة الفتن كما عرفت

ذكر فول

١٠. **القسم الثالث**. ثم تبوّأ سرير اشور تغلث فلاسر الثاني سنة ٧٤٥ ق.م. وظنهُ المورخون مختلسًا لانهُ لا يذكر نسبهُ خلافًا لعادة ملوك اشور ولعلهُ كان دنيًّا لكنّ اعمالهُ كانت على غاية العظمة يضيق بذكرها المقام. وكانت بابل قد خرجت ايام فول فهاجمها تغلث فلاسر في السنة الاولى لملكهِ وكانت امورها مضطربة اذ قام عدة زعماء يدّعون الملك ومنهم مرُودَخ بلادان فقهر ملك اشور جماعة من هولاء الزعماء فاطاعه مرودخ بلادان ودفع الاتاوة ولُقِّب تغلث فلاسر ملك بابل لكنَّها خرجت عليهِ بعد ذلك فاخضعها ثانية في السنة الخامسة عشرة من ملكهِ. وغزا سورية مرارًا من سنة ٧٤٣ الى سنة ٧٣٢. واخضع في هذه المدة السامرة ودمشق وصور وحماة وعرب البادية بين فلسطين ومصر وكانت عليهم يومئذٍ ملكة اسمها حبيبة. وادّعى ملك اشور انهُ اخضع ملك يهوذا ايضًا. وفي نحو سنة ٧٣٧ ق. م. كان فقح ملك السامرة ورصين ملك ارام اي دمشق فتحالفا على اخضاع احاز ملك يهوذا ليقيما مكانهُ ملكًا يطيعهما في قتال ملك اشور فاستنجد آحاز تغلث فلاسر (انظر ٢مل ص١٦) فاتى لنجدتهِ وافتتح دمشق وقتل رصين ثم ضرب فقح وأسر الذين كانوا شرقي الاردن واجلاهم الى ما بين النهرين وصار اجلاء الشعوب بعد ذلك دأب

تغلث فلاسر ٢

حرب بابل

وسورية

والعرب ويهوذا

سبي الناس

ملوك اشور وبابل منعًا للخيانة. ثم توجَّه تغلث فلاسر الى الجنوب وعزل حبيبة ملكة العرب وولى عليهم احد روسائهم ثم عاد الى دمشق واقام بها مدةً واستدعى الذين اخضعهم وامرهم بان يفدوا عليهِ ويقدموا لهُ الهدايا وكان ممن وفدوا وقتئذٍ احاز ملك يهوذا ومِتْحِنْنا ملك صور وفقح ملك السامرة وحانون ملك غزَّة وغيرهم فخضعت لهُ سورية لكنهُ خرج عليهِ ملك صور نحو سنة ٧٢٤ او سنة ٧٢٣ ق.م. فاضطر ان يسير اليها ولعل ملك اسرائيل خرج عليهِ حينئذٍ لكنهما اطاعا حالاً فرجع وغزا ارمينية والجهات الشرقية لكنهُ لم يخضع مادي

وشاد تغلث فلاسر قصرًا في نمرود وزيّن قصر شلمنأصر الثاني وهدم من خلفوهُ ما بنى فامست آثارها قليلة ومات تغلث فلاسر سنة ٧٢٧ ق.م. وخلفهُ شلمنأصر الرابع

شلمناصر٤ ١١. ونظر المورخون في ان شلمنأصر هذا هل كان ابن الملك السابق او لا فلم يتوقفوا احد الامرين لكنهم رجحوا انهُ كان ابنهُ . ولما ملك رأى امارات الخيانة في السامرة فحاربها

حصار السامرة فخضع لهُ هوشع ملكها لكنهُ نكث عهدهُ بعد قليل واستنجد سِوا (او سَبَقو. انظر تاريخ مصر رقم ١٩) ملك مصر (راجع ٢مل ١٧: ٤) وعصى ملك اشور فلم يحمل اليهِ الإتاوة فزحف عليهِ شلمنأصر واسرهُ واعتقلهُ لكنهُ لم يستولِ على السامرة حينئذٍ واضطرَّ ان يحاصرها نحو سنة ٧٢٤ ق.م. وبقي الحصار سنتين او ثلاث سنين وافتُتحت سنة ٧٢٢ او ٧٢١ ق.م. اما شلمنأصر فالارجح انهُ هلك قبل ذلك لان سرجون خليفتهُ قال في كتاباتهِ انهُ اخذها السنة الاولى من ملكهِ وكان سرجون مغتصبًا على ما ظهر ولعلهُ علم ان شلمنأصر كان منهمكًا في

مهاجمة صور سورية مدة حصار السامرة فانتهز الفرصة في غيابهِ واختلس الملك وشرع يخضع صور وجهَّز البوارج لمحاربتها بحرًا لكنهُ انكسر فتعذَّر عليهِ افتتاحها ثم نازلها برًّا ومنع عنها الماء العذب فجمع اهلها ماء الشتاء واحتملوا هذا خمس سنين وهل خضعت بعدهُ او لا فذلك لم يعلم. ولا عجب من ان يكون الاشوريون قد ضجروا من عدم نجاح شلمنأصر وغيابهِ الطويل

سرجون فملكوا غيرهُ فكان ما كان. وملك سرجون سنة ٧٢٢ ق.م. ولم يعلم كيف هلك سالفهُ

مهاجمة عيلام و بابل ١٢. وحين تبوأ سرجون السرير باشر الحروب وما انفك يغزو نحو ١٥ سنة. فغزا مملكة عيلام في السنة الاولى وهزم مرُودخ بلادان وكان قد استرجع ملك بابل وفيها

افتتاح السامرة خضعت لهُ السامرة وهو غائب وانما افتتحها جيش الاشوريين المحاصر لها ايام شلمنأصر وأجلى سرجون اهلها واسكن البلاد اناسًا من عيلام وغيرها من مملكتهِ واقام عليها واليًا

اشوريًا وضرب عليها الجزية ثم اضطر في السنة التالية ان يسير الى سورية ليخمد ثورة ملك حماة فانهُ كان اغرى بعض المدن ان تقاوم اشور فاتى سرجون حالاً وبدّد شملهم وقتل ياهو بِدْ ملك حماة ثم زحف الى الجنوب وحارب حانون ملك غزّة وكان قد حالف ملك مصر وهو سبقو او شيشق الاول على الارجح غير ان سرجون لم يسمِّهِ ملكًا بل سلطانًا او واليًا وتقابل الفريقان عند مدينة رافيا جنوبي غزة وانهزم حانون وسبقو جميعًا اما حانون فاعتقلهُ سرجون واخذهُ الى اشور واما سبقو فنجا وهذا اوّل ما تعدّى ملك اشور على مصر ومساعي سرجون لم تكن ذات شان من ذلك الوقت الى سنة ٧١٥ ق.م. حين غزا عرب البادية الذين كانوا قد غزوا بلاد السامرة فسار سرجون لتأديبهم واخضع بعض قبائلهم ومنها قبيلة ثمود واخذ منهم قومًا واسكنهم ارض السامرة وسلّط عليهم ولاة اشوريين وهذه الغلبة اخافت القبائل المجاورة حتى وفدوا على سرجون بالهدايا آية لخضوعهم. ثم سار سنة ٧١١ لتاديب اشدود اذ كانت قد خرجت عليهِ وطردت ملكها الذي اقامهُ سرجون في ما سبق وملّكت حينئذٍ يامان فهذا لما سمع بقدوم سرجون هرب الى مصر واستصرخ شيبق. ثم حاصر ملك اشور اشدود وافتتحها ولما بلغ الخبر مصر خاف شيبق وبعث وفدًا يقدم الهدايا فتركهُ سرجون ثم جمع جيشًا عرمرمًا وسار بهِ الى بابل فكان مرودخ بلادان عدوُّهُ السابق قد عاهد ملك عيلام اذ خشي من سرجون الشر ولم يبقَ مرودخ بلادان في بابل فلجأ الى حصنٍ لهُ يسمى بيت ياكين عند مصب الفرات. اما سرجون فافتتح بيت ياكين واسرهُ واستحياهُ فاستولى على بابل نحو سنة ٧٠٨ ق.م. وبينما كان هناك وفد عليهِ القبائل البعيدة بالهدايا لان رعبهُ قد استولى على الامم ومن جملتهم سكان احدى جزائر خليج العجم ولعلها جزيرة البحرين وسبعة روساء من قبرس وعادوا الى الجزيرة بتمثال الملك مكتوبًا عليهِ اسمهُ والقابهُ واقاموهُ في وسط الجزيرة علامة لخضوعهم. وقد اكتشف هذا التمثال وأُخذ الى برلين وكانت لسرجون حروب كثيرة شديدة في ارمينية ومادي وغيرها من بلاد الشرق والشمال اما مادي فدوَّخها كثيرًا واضاف عدة من مدنها الى اشور واقام فيها المحافظين وضرب عليها الجزية. ولما شاخ سرجون امتنع عن قيادة الجيش وكان يجهّز قوادهُ للغزو ولما حدثت لهُ حرب مع ملك عيلام وجّه اليهِ سبعة من قوادهِ فغلبوهُ لكنهُ هاجم اشور السنة التالية وافتتح بعض مدن ولم يردّهُ سرجون فارتخت يدهُ فلا ذكر لفتوحهِ بعد ذلك اما سياستهُ ففيها ما يستحق الاعتبار

محاربته حماة وغزة

عرب البادية

اشدود

مهاجمة بابل الثانية

حروبهُ في ارمينية ومادي وعيلام

سبي الشعوب لانهُ كان ينقل الامم التي يجليها الى مساكن جديدة في حدود المملكة لمنع الثورة والخيانة ومثال ذلك ما فعلهُ في بني اسرائيل وغيرهم من القبائل وذلك أثّر تأثيرًا عظيمًا في المملكة

ابنيته اما ابنيتهُ فمن احسن الابنية واعظمها القصر الذي بناهُ في دورسرجينا وهي مدينة بناها مسكنًا خاصًّا بهِ وكانت شمالي نينوى وبلغت نحو نصف تلك المدينة اتساعًا . وكان ذلك القصر حسنًا جدًّا محكم النقوش والرسوم خارجًا وداخلًا . وكل اخبار هذا الملك من آثارهِ ولولاها جهلنا امرهُ اذ لم يذكرهُ المورخون القدماء الا ان اشعياء ذكرهُ في آية واحدة

ذكر اشعيا لهُ (راجع اش ٢٠: ١) فظنهُ البعض لم يصب بذكرهِ لانهُ لم يذكر في التواريخ اما آثارهُ فقد بينت وجودهُ وعظمتهُ وصدق قول اشعياء وادرك الاجل سرجون سنة ٧٠٥ ق م . وخلفهُ ابنهُ سنحاريب

سنحاريب ١٣ . اما هذا الملك فهو من اشهر ملوك اشور لمآثرهِ العظيمة وآثارهُ الكثيرة ولنصّ التوراة في شأنهِ ولما ذكرهُ اليونان من امرهِ فلنا من اخبارهِ كثيرٌ نقتصر على اهمّها فنقول : ان هذا الملك لم يباشر الحرب الا بعد سنتين من ملكهِ وكانت بابل قد خرجت عليهِ وتولى امرها مرودخ بلادان المذكور فانهُ رجع بعد موت سرجون . وفي سنة ٧٠٣ ق م .

حرب بابل حشد سنحاريب جيشهُ وقدم عليهِ وافتتح بابل وغزا كل ارض الكلدانيين قال : "هم ست ٧٦ مدينة و٤٢٠ قرية" . اما مرودخ فالتجأ الى بلاد عيلام واقام سنحاريب واليًا على بابل ثم

وارام النهرين وزاغرس وسورية سار الى ارام النهرين وغزاها واجلا نحو ٢٠٠٠٠٠ من اهلها ونهب مواشي كثيرة وغزا سنة ٧٠٢ قبل الميلاد جبال زاغرس وما يليها وسار سنة ٧٠١ ق م . بجيشهِ الى سورية وهاجم فينيقية وكان اولها او أولوبوس ملك صور قد خرج عليهِ فلما سمع بقدوم سنحاريب هرب الى بعض جزائر البحر فاستولى ملك اشور على البلاد وولّى عليها رئيسًا اسمهُ توبال او

واشقلون وعقرون إثبعل وقدم لهُ اكثر الملوك المجاورين الطاعة لكن ملك اشقلون ابى ذلك فحاربهُ سنحاريب وقبض عليهِ فخضع لهُ تبعة اشقلون ثم قدم على عقرون وكان ملكها قد حالف ملك مصر ولعلهُ شبتق الثاني فسار في جيش كثيف ومركبات وفرسان وعلى قول سنحاريب ان جنودهُ كانت لا تحصى وحدث القتال في سواد عقرون وتمّت الهزيمة على المصريين فخضعت عقرون وما يليها لملك اشور وكان لعقرون سابقًا ملك اسمهُ بادي كان صديقًا لملك اشور ولما نوي اهالهُ الخيانة قبضوا عليهِ واعتقلوهُ وارسلوهُ الى حزقيا ملك يهوذا للحفظ فاستشاط

ويهوذا سنحاريب غضبًا ولما اخضع عقرون صعد على يهوذا فاخذ حزقيا الرعب ودفع لهُ ٣٠ رزنة

من الذهب و٣٠٠ وزنة من الفضة واستولى سنحاريب على المدن الحصينة (انظر ٢مل ١٨: ١٣—١٤). اما ما كتبهُ سنحاريب في هذا الشان فيختلف شيئًا عن نص التوراة اذ يقول انهُ سبى ما ينيف على ٢٠٠٠٠٠ انسان وانهُ احاط باورشليم تمام الاحاطة وجعل حزقيا كعصفور في قفص فدفع لهُ ٣٠ وزنة من الذهب و٨٠ وزنة من الفضة وكنوزًا كثيرة وسلَّم اليهِ بادي ملك عقرون فارجعهُ سنحاريب الى مقامهِ السابق. ثم عاد ملك اشور الى نينوى واضطر في السنة التالية ان يؤدّب بابل ايضًا اذ كان مرودخ بلادان يهيج الثورة فقهرهُ سنحاريب واقام ابنهُ على ولاية بابل اما مرودخ فالتجأ الى بعض جزائر خليج العجم

وبابل

١٤. ثم سار سنحاريب سنة ٦٩٩ ق.م. او نحو ذلك الزمان بجيشهِ الى فلسطين لان حزقيا كان قد رفض الطاعة واستغاث ملك مصر وهو ترهاقة ولما اتى سنحاريب نزل على لبنة ولخيش وهما مدينتان في اطراف ارض يهوذا الى جهة مصر. وفي اثناء ذلك بعث معتمدًا الى اورشليم يهدّد حزقيا آملاً ان يطيعهُ قبل قدوم ملك مصر. فابى حزقيا طاعتهُ واتكل على الرب فلما علم سنحاريب ذلك وان جنود مصر قادمة عليهِ بعد ان افتتح لبنة توجَّه الى حدود مصر وكان المصريون كامنين عند مدينة بلوسيوم حين وصول الاشوريين وهم يتيقنون النصر. ولما ادركهم الليل جاء ملاك الرب واهلك ١٨٥٠٠٠ من الاشوريين. ولما اصبح الناجون ولوا الادبار واسرعوا في الهرب الى ان بلغوا بلادهم فأُفرج بذلك عن مصر واورشليم معًا (راجع ٢مل ص ١٩) وقد ذكر المصريون هذه الحادثة في اخبارهم قالوا "ان الالهة بعثوا الفيران تاكل اوتار القسيّ فاصبح الاشوريون غنيمتهم لفقد الاسلحة". وكان ملك مصر حينئذٍ حسب قول التوراة ترهاقة لكنهُ لم يتبوَّأ تخت مصر على ما ظهر للمورخين الَّا سنة ٦٩٠ ق.م. ولعل الصحيح ان ترهاقة كان وقتئذٍ قائد جيش مصر فقط وصار ملكها فيما بعد

وفلسطين

مصيبة الاشوريين

ذكر المصريين هذه الحادثة

ولا ذكر لمصيبة سنحاريب فيما كتبهُ لان الملوك لم يكتبوا الَّا ما يتعلق بعظمتهم من الفوز والنجاح فهذه الحرب الثانية في ارض يهوذا لا ذكر لها في كتابات سنحاريب ولا ريب انهُ تجنب تلك النواحي بعد هذه النازلة الفظيعة. اما غزواتهُ في غير جهات فلم تنقطع. وفي نحو سنة ٦٨٨ ق.م. حارب بابل محاربة شديدة اذ خانهُ اهلها ولما ايقنوا قدوم ملك اشور رحل قومٌ من جنوبي البلاد الى عيلام وقبلهم ملكها اما سنحاريب فسار بجنودهِ وركب سفنًا فينيقيَّة على الدجلة ونزل بها الى خليج العجم ومن ثمَّ حمل على شطوط عيلام اذ كانت

محاربة بابل ايضًا وعيلام

المسالك بين الدجلة وارض عيلام صعبة ونهب وغزا كثيرًا اذ لم يكن ملك عيلام متوقعًا شيئًا من ناحية البحر. اما اهل بابل فاتفقوا على العصيان متوقعين انكسار سنحاريب بحرًا وانامول عليهم ملكًا اسمهُ سوسب وحشدوا جيوشهم وناوشوا الاشوريين عند رجوعهم فعاد الاشوريون منصورين خلاف ما توقع الاعداء فهزموا العصاة واسروا ملكهم ولما قدم عسكر عيلام لنجدتهم هزموهُ ايضًا فخضعت بابل . وجزم سنحاريب بعقاب عيلام لنجدتها بابل . وقد ذكرنا ان ملكها هاجم اشور واخذ بعض مدنها ايام سرجون فاسترجع سنحاريب هذه اولاً ثم توغَّل في ارض عيلام عينها وخرَّب اربعًا وثلاثين مدينة عظيمة وقرًى كثيرة واخذ العاصمة ففرَّ ملكها الى الجبال

اما سوسب ملك بابل المأسور فنجا الى بابل واخذ يتهيأ للقتال ثانيةً فاستجاش ملكَ عيلام والاراميين الساكنين في نواحي الفرات فاجابوه جميعًا لقتال سنحاريب فالتظت نار حربٍ شديدة بين الفريقين فانتصر الاشوريون كعادتهم وهرب سوسب وملك عيلام فخضعت بابل وعوقبت عقابًا غايظًا فهُدِمت اسوارها وحُرِقت هياكلها بعد نهبها وديست

كيليكية تماثيلها . ثم غزا سنحاريب كيليكية حيث التقى بقومٍ من اليونان وغلبهم وبنى هناك مدينة طرسوس وقيل انهُ رسمها على هيئة بابل اما بابل فكانت على الدوام تعصيهِ وتخرج عليهِ فلم تحمل نير الاشوريين الاَّ على رغمها ولم تخضع الاَّ بعد موت سنحاريب وذلك سنة ٦٨١ ق.م.

موتهُ ولعلهُ ضعف في اواخر ملكهِ لشيخوختهِ ولم يستطع القيام للقتال كذي قبل على انهُ كان من اعظم ملوك اشور فانهُ وسَّع حدود المملكة وزاد على سلفائهِ في غزواتهِ حتى انهُ حارب بحرًا كما ذكرنا

ابنيتهُ ١٥. واشتهر سنحاريب في البناء وفاق فيهِ كلَّ من سبقهُ واعظم ما شادهُ الصرح الكبير في نينوى واتساع اساسهِ ينيف على ثمانية فدادين وكان فيهِ ثلاث أدوُر طول احداها ١٥٤ قدمًا وعرضها ١٢٥ قدمًا وقاعتان طول احداها ١٨٠ قدمًا وطول الاخرى ١٥٠ قدمًا وعرض كلٍّ منها ٤٠ قدمًا . ودهليز طولهُ ٢١٨ قدمًا وعرضهُ ٢٥ قدمًا . اما مخادعهُ فلم تُكتشَف جميعها وظنها البعض نحو ٨٠ وكان على جدرانهِ صوَر كثيرة تشير الى

صور قصره مساعيهِ العظيمة في الجهات وامور الاشوريين المدنية والحربية ومنها اصناف كثيرة من الدبابات المختلفة والطيور وهناك صوَر جنَّاتٍ فيها اشجار وازهار واعشاب وانهر عليها سفن واناس يجذفون واسماك كانها تلعب ومنها صور تشير الى امور القصر اليومية والخدم يأتون

باصناف الطعام واللحم والفاكهة وغيرها من المأكولات التي كانوا يعدونها للملك . وهنالك صوَر تشير الى تقطيع الحجارة الكبيرة من المقالع وهي التي نحتوا منها الثيران العظيمة التي نصبوها عند مدخل القصر ومنها صوَر تشير الى طريقة نقل تلك الحجارة الى محالها والخلاصة ان تلك الجدران كانت بتلك الصور في احسن زينة توضح لنا كثيرًا من احوال حياة الاشوريين وعوائدهم وقد أُخذ كثير من الحجارة التي عليها تلك الصور الى لندن وهي في المشهد البريطاني اما هلاك سنحاريب فنعلم من التوراة (٢مل ١٩: ٣٧) ومن بعض المؤرخين ان ابنيهِ أدرَمَّلك وشرآصر فتنا عليهِ وقتلاهُ وكان لهُ بنون كثيرون منهم اسرحدُّون الذي كان مع جيش يحارب على حدود ارمينية فلما سمع بما كان في نينوى زحف اليها وقوي على اخويهِ اللذين كانا قد استوليا على زمام الملك فهربا الى ارمينية وملك اسرحدون عوضًا عنهما في سنة ٦٨١ ق.م

كيفية هلاك سنحاريب

١٦. واول ما اتاهُ اسرحدون انهُ قاتل اخويهِ المذكورين لانهما حشدا جيشًا في ارمينية وشرعا يستردان الُملك فسار اسرحدون في عسكرهِ الى ارمينية وقهرهما قهرًا لم يستطيعا بعدهُ ان يقاوماهُ فلاذا بملك ارمينية فوهب لها قطائع كثيرة . ثم هاجم اسرحدون فينيقية لان ملك صيدا وملك لبنان كانا قد تحالفا وخرجا عليهِ فاستولى على صيدا وهدم اسوارها فلجأ ملكها الى بعض جزائر البحر فتبعهُ اسرحدون وأَسرهُ . ثم عاد وحارب ملك لبنان وقهرهُ وقتلهُ مع ملك صيدا وأجلى السكان واسكن البلاد اناسًا من اشور وولى عليهم اشوريًّا . ثم غزا اقطار ارمينية وحرق المدن واجلى وسبى وكان ذلك بين سنة ٦٨٠ وسنة ٦٧٦ ق.م. ثم اوقد نيران الحرب على الكلدانيين وعلّة ذلك ان احد بني مرودخ بلادان استولى على ما يلي خليج العجم بمساعدة ملك عيلام ولاذ اخوهُ بنينوى وخضع لاسرحدون فحارب اخاهُ وقهرهُ ثم هاجم ادوم وغزاها وسبى كثيرين من اهلها واخذ كثيرًا من الهتها الى نينوى فبعث ملكها حزائيل يتضرع اليهِ لاجل الالهة فردَّها اسرحدون على شرط انهُ يخضع لهُ كل الخضوع ففعل اما بعد ذلك فزاد على مَن سبقهُ وغزا بلادًا بعيدة تسمَّى في كتاباتهِ بازو ولا يُعرف اين هي الَّا انهُ يستفاد من نبإِ سيرهِ اليها انها جزيرة العرب ولعلها في حضرموت قال انهُ قطع في سيرهِ فلوات بلغت مسافتها ١٤٠ فرسخًا وارضًا مخصبة طولها ٢٠ فرسخًا ثم كدَّى وتسمى بلاد حازو وكانت بلاد بازو وراءها وكان اسم ملكها لَيلي وعاصمتهُ ديه فقتل اسرحدون ثمانية من ملوك تلك البلاد واجلى اهلها الى اشور وغنم كنوزهم واخذ

اسرحدون مقاتلة اخويه

مهاجمة فينيقية

حرب الكلدانيين وادوم

غزوة بلاد بازو

الهتهم اما ابلي فنجا وقيل انهُ تبع اسرحدون الى نينوى وسأَلهُ ان يعطيهُ الهتهُ ووعدهُ بالخضوع التام لاشور فاعطاهُ اياها. وصعوبة هذا السير تدلنا على ان اسرحدون أَتى ما لم يباشرهُ غيرهُ لان بلاد العرب صعبة المسالك فلم يجسر على ان يتوغل فيها صناديد الملوك . وغزا

حروب مصر بعض بلاد مادي اكثر من جميع سلفائهِ وادار رحى الحرب غربًا في نحو سنة ٦٧٣ ق.م.
سنة ٦٧٣ لان ترهاقة ملك مصر كان قد اغرى اهل فلسطين بالخروج والعصيان فشارك قبل ان ذهب الى مصر ابنهُ اشور بانبال في الملك وسار لقتال ترهاقة فقهرهُ وردَّهُ الى بلادهِ وفي السنة التالية حمل على مصر ففرَّ ترهاقة الى كوش ثم نظم اسرحدون سياسة مصر فقسم البلاد الى عشرين قسمًا وعيَّن لكلٍّ منها واليًا وقدَّم عليهم والي ممفيس وهو نخو ابو ابسمتيخوس

رسمهُ عند الاول (راجع تاريخ مصر رقم ٩ او ٢٠). ثم عاد اسرحدون الى بلادهِ وحين مرورهِ في سورية
نهر الكلب رسم صورتهُ على الصخور عند نهر الكلب حذاء رسوم رعمسيس الكبير وكتب معها تاريخ مهاجمتهِ مصر وقد كادت تلك الرسوم تمحي ومع ذلك استفيدت منها ومن رسوم أُخر الاخبار المار ذكرها وكانت نهاية هذا الحادث سنة ٦٧١ ق.م. وظن المؤرخون انهُ عند رجوعهِ

اسر منسى من مصر منصورًا ارسل قوادهُ الى اورشليم واخذ منسَّى ملكها اسيرًا الى بابل لعدم طاعتهِ حين عصيان فلسطين. وانما اخذهُ الى بابل لانهُ كان يقيم بها اكثر الايام ولا سيما ايام آخر ملكهِ حين بنى صرحًا لسكناهُ هناك وكل ذلك مثبَّت من الآثار . اما منسَّى فرجع بعد قليل اذ فكهُ اسرحدون او فكهُ ابنهُ الذي خلفهُ سنة ٦٦٨ ق.م. ومرض اسرحدون سنة

وفاتهُ ٦٦٩ ق.م. ولما كان ترهاقة قد عاد من كوش واسترجع مصر استعفى اسرحدون وسلَّم
٦٦٨ لابنهِ المملكة كلها سوى بابل فذهب واقام بها الى حين موتهِ وذلك سنة ٦٦٨ ق.م

ابنيتهُ ١٧ . وابنية اسرحدون من احسن الابنية وهي اربعة قصور و٣٦ هيكلاً واعظم قصورهِ القصر الذي بناهُ في كالح وكانت قاعة ذلك القصر كبيرة جدًّا بلغ طولها ١٦٥ قدمًا وعرضها ٦٢ قدمًا ولذلك لم يستطع البنَّاء ان يسقفها من دون ان يقيم الدعائم في الوسط . ونصب في هذا القصر كثيرًا من الحجارة المرسوم عليها اشباه الحيوانات العظيمة ومنها الاسفنكس وهو تمثال اصلهُ من مصر لهُ بدن اسدٍ وراس انسان. وزخرف الهياكل التي بناها احسن زخرفة وغشى بعضها بصفائح الذهب والفضة وأَتى بمواد البناء من بعيدٍ منها خشب الارز فانهُ اتى بهِ من لبنان

اشور بانبال
سنة ٦٦٨ ١٨ وملك اشور بانبال سنة ٦٦٨ ق.م. واضطر ان يذهب الى مصر لان

ترهاقة كان قد عاد من بلاد كوش واستولى عليها ايضًا فطردهُ وارجع الرؤساء الذين اقامهم ابوهُ الى مقامهم لكنَّ بعضهم خانهُ بعد ذلك وقبض البعض على الخانة وبعثوهم مقيَّدين الى نينوى ومنهم نخو رئيس ممفيس فهذا عفا عنهُ اشوربانبال وجهَّزهُ لمحاربة ترهاقة فقهرهُ نخو لكنَّ خليفة ترهاقة غلب نخو ومن معهُ فلم يبقَ للملك اشوربنبال الاَّ ان سار الى مصر ثانيةً فقهر العدوَّ وبلغ ثيبة ونهبها ورجع منها بغنيمة وافرة من الذهب والفضة والعاج والحجارة الكريمة والحيوانات الداجنة كالافيال والقرود وبكثيرٍ من الاسرى وولى ولاة على تلك البلاد وذهب وقد اشرنا الى هذه الامور في تاريخ مصر (راجع رقم ١٩ منهُ) وكان في هذه المدة ان اشوربانبال حاصر صور اذ عصاهُ ملكها فاطاع ودفع غرامة باهظة واستولى على جزيرة ارواد بعد ان قاومتهُ مقاومة شديدة وفتح كيليكية واخذ ابنة ملكها زوجة لهُ وبعد ان غزا كثيرًا في الاقطار البعيدة عاد الى نينوى واتاهُ هناك وفدٌ من مملكة ليديا وكان ملكها وقتئذٍ غيجيس فهذا لما بلغهُ خبر اشوربانبال خافهُ وسالهُ المعاهدة وهذا اول ذكر لمملكة ليديا في اخبار اشور. وكانت تلك المملكة في غربي اسيا الصغرى

حرب ترهاقة

نخو

اطاعة صور وارواد وكيليكية وفد ملك ليديا

١٩. ثم غزا اشوربانبال جوانب بحيرة وان في ارمينية وبحيرة أُرْمِيَه في بلاد مادي ثم قامت لهُ حرب شديدة مع مملكة عيلام وسببها ان قومًا من عيلام نزحوا الى بلاد اشور حين وقوع القحط في وطنهم فاسكنهم اشوربانبال في حدوده ولما حاولوا المعاد بعد حين أَبى فغضب ملك عيلام وعزم على ان ينتقم منهُ فهاجم ارض بابل وعاونهُ بعض قبائل الفرات وكان وقتئذٍ ساول مُجينا اخو اشوربانبال نائبهُ في بابل فاستصرخهُ فأَمدَّهُ بعسكرٍ فقوي على ملك عيلام فهرب ومات على اثر ذلك وحدثت مشاجرات كثيرة في بلاد عيلام من جهة الملك فاستنجد الفريق الواحد ملك اشور فدخل البلاد بجيشهِ واخضعها وعذَّب من قاوموهُ عذابًا غليظًا فاستأْصل السنة البعض وسلخ البعض احياء وجدع انوف اخرين وقتل كثيرين فعظمت هذه القساوة على السكان فابغضوهُ وعصاهُ اخوهُ وشاركهُ كثيرون من القبائل ولاسيما اهل عيلام فخرج الجميع عليهِ وحاربوهُ فكانت تلك الحرب من اشدّ حروبهِ لكنهُ انتصر على اخيهِ فعاقبهُ بان حرقهُ حيًّا فاضطربت عيلام فهاجمها اشوربانبال ايضًا ودوَّخها مرَّات لان اهلها كانوا يعصونهُ مرارًا فقتلهم اخيرًا واذن لعسكرهِ ان ينهبوا مدنهم ثم جعل البلاد ولاية من مملكتهِ واستعبدها ولم يسمح لها بشيء من الحرية وعلى ذلك انتهت حروبهُ مع عيلام بعد ان بقيت من سنة ٦٥٥ الى سنة ٦٤٦ ق.م.

غزوة وان وارميه

حرب العرب

وسنة ٦٤٥ ق.م. شنَّ الغارة على العرب لانهم كانوا قد اعانوا اخاهُ يوم خيانتهِ ودارت رحى الحرب جنوبي الفرات وغربيهِ من راس خليج العجم الى حدود سورية. وحدثت معركة شديدة في سواد دمشق فقهر هناك العدوَّ. وقال بعضهم انهُ توغَّل في جزيرة العرب وانتهى الى الحجاز وافتتح جدَّة ويثرب وغيرها بناء على ما استفادهُ من كتابات اشور بانبال التي كشفت حديثًا. وانقطعت اخبار هذا الملك بعد سنة ٦٤٥ ق.م. وذهب البعض الى انهُ مات نحو ذلك الزمان وقال آخرون انهُ عاش نحو ٢٠ سنة بعد ذلك والله اعلم وظهر لنا من اخبارهِ السابقة انهُ كان من صناديد الاشوريين واتسعت المملكة في ايامهِ

شهرتهُ

اتساعًا لم يكن مثلهُ في ايام سلفهِ وبلغ خبرهُ اليونان فسموهُ سردنبلس ولهم فيهِ روايات كثيرة وكان مقتدرًا في صيد الوحوش كما في الحرب وآثارهُ تبين امور القنص كثيرًا فصُوِّر الملك فيها حال طعنهِ اسدًا بيدهِ وكان يجلب الحيوانات الضارية من بعيد ويحبسها في سواد نينوى ويطلقها ويلهو بقنصها ايام السلم

اعتناؤهُ بالعلوم

٣٠. وزاد اشور بانبال على ما ذُكر انهُ سبق كل ملوك اشور بعنايتهِ بالعلوم فجمع كتبًا كثيرة واكرم العلماء ورفع قدرهم فألفوا لهُ مؤلفات شتى في النحو واللغة والفلك

كتبهُ

والدين وغيرها وجمع الوفًا من تلك الكتب في المكتبة الملكية وكانت مكتوبة على الواح من الخزف وقد فنى كثير منها وحسب العلماء ما بقي كنزًا ثمينًا هذا علاوة على انباء اعمالهِ التي رسمها على الاعمدة وجدران الصروح واشتهر كسلفائهِ فيما بناهُ ولكن الصرح الذي شادهُ

ابنيتهُ

في نينوى ربما فاق بهاء كل ما سبق ذكرهُ فانهُ زينهُ وزخرفهُ باصناف المرمر والرخام والحجارة المختلفة الالوان والصور وقد رسمها على الحجارة بغاية الاتقان. وبلغ طول احدى قاعات ذلك الصرح ١٤٥ قدمًا وعرضها ٢٨ قدمًا وبلغ طول اخرى ١٠٨ اقدام وعرضها ٢٤ قدمًا ولهُ غير ذلك من الابنية ما يضيق بهِ المقام فنجتزئ بما ذكر عما لم يذكر

اخلاقهُ

٣١. وكان شرس الطباع سيء الاخلاق فلم يراعِ حقوق الناس وكان يلهو بقتل مَن اسرَهم خلافًا لآبائهِ فانهم كانوا يحقنون دماء الاسرى غالبًا اما هو فكان يقتلهم بعد شرّ الاهانة واليم العذاب وخلاصة ما يصدق عليهِ في هذا الشان انهُ كان غليظًا جافيًا ظلومًا قاسيًا فكانت نينوى في ايامهِ مدينة الدماء (ناحوم ٣: ١) والله لا يترك الناس يظلمون اخوتهم بلا عقاب فانزل الويل في نينوى ومملكة اشور وظهرت بداءة الانتقام

مهاجمة مادي
في اواخر ملك اشور بانبال فان بلاد مادي بعد ان دوّخها الاشوريون اخذت تتقوّى الى ان طفقت تشن الغارة على عدوّها الالدّ. وفي نحو سنة ٦٢٤ ق.م. هاجم الماديون اشور لكنهم فشلوا يومئذٍ واشور لم تستطع الانتقام من العدو كعادتها لانها لم تكن حينئذٍ على ما كان لها من الشوكة والاقتدار فخلت له السبيل فغلظ امرهُ ثانية وبعد نحو سنتين الى الماديون وهزّموا جنود اشور في الميدان ونازلوا نينوى ولولا وقوع المصيبة الهائلة على بلادهم وعلى كل غربي اسيا لأخذوها. وهي هجوم السكيثيين وهم قوم من اقطار اسيا الشمالية حذاء سيبيريا. ومن اعجب الامور انهُ خرج من تلك الاقطار المجمدة مرارًا كثيرة اقوام لا تحصى

هجوم السكيثيين
شديدة البأس سريعة الانتقام كانت تهبُّ على الممالك كالعاصفة وتجرف وتدوس وتدوّخ وتغزو وتذبح وتغنم كان لا مانع لها ثم تتفرّق او تزول وتفنى آثارها فتنتعش الممالك التي سحقتها. وكذلك اتى السكيثيون يومئذٍ وانكبّوا على بلاد مادي وشرعوا يغزون ويقتلون فاضطرَّ الماديون المحاصرون نينوى ان يعودوا الى بلادهم قبل بلوغ مآربهم منها. اما السكيثيون فبعد ان غزوا مادي اجتازوا الى اشور وغزوها فضروها ضررًا جسيمًا لكنهم لم يقدروا ان يستولوا على المدن المحصنة لعدم اختبارهم الحصار ولانهُ لم يكن لهم شيء من آلات هدم الاسوار فنهبوا ما ملكت ايديهم مما غلا ثمنهُ وخفَّ حملهُ وانصرفوا. وقدموا بعد غزوة اشور على سورية وقصدوا مصر الا ان ملكها وقتئذٍ صالحهم ودفع لهم غرامة وافرة (راجع تاريخ مصر رقم ٣٠) فاعتزلوا وعادوا وتفرقوا فدرست آثارهم لكن هيرودوتس

ضعف اشور
قال انهم ملكوا غربي اسيا ٢٨ سنة وظهر بهذه المصيبة ان اشور ضعفت كثيرًا في اواخر مُلك اشور بانبال او في اوائل ايام خليفتهِ فاشرفت على السقوط ولم يُعلم زمان موت اشور بانبال حق العلم ولعلهُ هلك سنة ٦٢٦ ق.م. كما رُسم في القائمة

اشور امد الن
٣٢. ثم خلفهُ ابنهُ اشور إمِد إلِن وسماهُ اليونان سَرَقُس وأَخبارهُ سقيمة جدًّا لان آثارهُ قليلة وكانت المملكة في ايامهِ مشرفة على الهلاك كما ذكرنا لان الماديين لم يكفّوا عن مقصدهم السابق فلما انتعشوا بعد هجوم السكيثيين حشدوا جنودهم وانكبوا على اشور وكان

مهاجمة كيكسارس
ملك مادي حينئذٍ كِيَكْسارِس فحين هاجم اشور من الشرق ضايقها العيلاميون من الجنوب فلما رأى سرقس ذلك ارسل قائدًا اسمهُ نبو بلاسّر الى بابل للمدافعة عن الحدود الجنوبية فخانهُ وحالف ملك الماديين واخذ ابنتهُ زوجةً لابنهِ نبوخذنصر ثم اجتمع الى ملك مادي هو وجنودهُ. وكان سرقس غالبًا كيكسارس في اول الامر لكنهُ لم يستطع مقاومة الاثنين

فانحصر في نينوى وكانت مدة حصارها نحو سنتين وحينئذٍ ارتفعت مياه دجلة وطمّت وجرفت جانبًا من اسوار المدينة فايقن الهلاك فجمع نساءهُ في قصرهِ وشبَّ فيهِ النار فاحترقوا جميعًا ونُسب مثل ذلك الى اشور اوش كما مرَّ (راجع رقم ٩) فاستولى العدوّ على نينوى وانقرضت دولة اشور. واختلف في زمان هذه الحادثة فقال قوم انها حدثت سنة ٦٢٥ — ٦٢٤ ق.م. وقال آخرون انها حدثت سنة ٦١٠ — ٦٠٩ ق.م. وذهب هؤلاء الى ان الملك الذي يسميهِ اليونان سرقس غير اشور إِمِد إِلِن وانهُ ملك من سنة ٦٢٥ الى نحو سنة ٦٠٩ ق.م. وهلك فيها

عظمة هذه المملكة وصفاتها

٣٢. ودامت هذه المملكة العظيمة نحو ٧٠٠ سنة بعد استقلالها اي من نحو ١٣٠٠ قبل الميلاد الى نحو سنة ٦٢٤ ق.م. ومدة هذه المملكة وان تكن اقل من مدة مملكة المصريين ومن مدة مملكة الكلدانيين كانت اعظم من كلٍّ منهما واوسع فكانت حدودها حين زهوها من اواسط ارمينية واسيا الصغرى في الشمال الى مصر وبلاد العرب في الجنوب ومن بلاد مادي شرقًا الى البحر غربًا واستولت زمانًا على مصر وعلى قبرس في البحر. ولم تكن سياستها حسنة فالقبائل والشعوب التابعة لها اطاعتها قهرًا لا حبًّا فدفعت الجزية مدة ارتقاء الاشوريين ولكن لما تهيأت لها الفرصة انتهزتها وابت الطاعة وعصت.

نقل الشعوب

وفيها امرٌ آخر ذو شان وهو اجلاء الشعوب من اماكنهم وتفريقهم. واتى بعض ملوك اشور ذلك كثيرًا فنتج عنهُ تأثير عظيم في احوال الشعوب والاجناس اذ اختلطت وتغيرت صفاتها واخلاقها ومن ذلك ان اسباط اسرائيل العشرة التي جلاها ملوك اشور توارت ودرست آثارها فعظم سقوط اشور وعقابها كعظمة ظلمها وشرها اذ جازاها الله على افعالها كما اوعد بفم النبي ناحوم والذي يراجع نبوءتهُ يرى موافقتها لاحوال نينوى

الفصل الثالث

في لغة الاشوريين وعلومهم وصنائعهم ودينهم الخ

١. اتفق المؤرخون ان لغة الاشوريين سامية وثبت ذلك من آثارها الكثيرة ولا يسع المقام وصفها بالتفصيل فنقتصر على ذكر قليلٍ من اوصافها وبعض الأدلة على مقاربتها للعربية ومن ذلك الكلمات التي تشترك فيها اللغتان ومنها أَب وأُم واخ ومالك ودعيان وشمس وشهر ويوم وبيت وباب ولسان وما واكثر الاعداد اللغة

والكلمات المتقاربة ومنها الواي اله ونيسو اي انسان وشُمو اي اسم وسامي اي سماء وإلامو اوعلامو اي عالم ومتو اي موت وطابو اي طيّب وربو اي ربّ وانكو اي انا وأتّا اي انت وأتِي انتِ وشو اي هو وشي اي هي وأنحني اي نحن وأتُن اي انتم وأتِن اي انتنَّ وشون اي هم وشين اي هنَّ وأُلو اي ذلك ودين اي دان وغير ذلك وتركيب كلام اللغتين متشابهٌ

٢ وخط الكلدانيين هو الخط السفيني وقد بسطنا الكلام عليهِ في محلهِ فلا حاجة الى التكرار واخذهُ الاشوريون عن الكلدانيين بعد اتقانهِ فخط الاشوريين مركّبٌ من حروف او علامات حقيقية على هيئة السفين وهي كثيرة تنيف على ٣٠٠ حرف او علامة اذ كل صوت اصليّ عندهم يتركب مع الحركات او ما يقابل حروف العلة مثل بَ وبِ وبُ وأَبْ و إِبْ وأُبْ ولكلٍ منها علامة خاصّة وقس على ذلك بقية الاصوات الستة عشر الاصلية في لغتهم ثم يركب حرفان او صوتان مع كلٍ من الحركات في الوسط ولكلٍ من هذه التراكيب علامة خاصّة ايضاً ولهذا كثرت العلامات وتعسرت قراءتها الخط الحروف

٣ وكتب الاشوريين كثيرة جدًّا بالنسبة الى زمانهم فلهم مطوّلاتٌ في التاريخ وروايات وتقاليدات متداولة وصكوك وكتب في الدين والعلم والحراثة وكانوا في آخر عهدهم يجمعونها في مكاتب ويوكّلون بها الرقباء وكانت تلك الكتب مختلفة الصوَر والاشكال الكتب

كالاعمدة وجدران الابنية والواح من حجارة مختلفة الاقدار وصفائح او الواح من الخزف كانوا يكتبونها وهي لينة ثم يشوونها فتصلب وتبقى طويلاً لكنها كانت سريعة الانكسار. ومن اغرب امورهم ان من رسومهم خطوطاً لم تستطع قراءتها الاّ بالمجهر (اي المكرسكوب) وذلك دليل على انهم صنعوا تلك الآلة. ومن اعظم آثار الاشوريين عمود شلمناصر الثاني الذي اقامهُ في نمرود او كالح تذكاراً لغزواته وهذا العمود لم يزل كاملاً ورسومهُ واضحة وعلوهُ نحو سبع اقدام او ثلاثة اذرع بلغت سطور كتابتهِ على جهاتهِ الاربع ٢١٠ واستفاد العلماء منها كثيراً

عمود شلمناصر ٢

العلوم

٤. وعلوم الاشوريين لم تكن الاّ ما اخذوهُ عن الكلدانيين وكانوا ينسخون كتبهم العلمية والدينية وغيرها ويزاولون ما يعلمونهُ منها فتكون علومهم كعلوم الكلدانيين الذين سبقوهم اليها. وكما اخذوا العلوم عن الكلدانيين اخذوا عنهم الصنائع لكنهم زادوا عليها وحسَّنوا بعضها ولاسيما البناء والنقش وقد ذكرنا ما شادوهُ من الابنية والصروح الفاخرة وكانت نقوشهم حسنة متقنة ومنها صوَر حروبهم وزحف جيوشهم وقطعهم الانهر وحومة القتال وحصار المدن وآلاتهم الحربية ومركباتهم والحيوانات الداجنة والحيوانات الآبدة ووحوش الوعر الضارية وصور الاعشاب والازهار والاشجار والبساتين والمياه والاسماك تلعب فيها والصيادون يصيدونها وصور كل ما كانوا يشاهدونهُ يوماً فيوماً تقريباً فقد علمنا من هذه النقوش عوائدهم وعلومهم وصنائعهم وغير ذلك من الفوائد التاريخية. ومنها انهم صنعوا الزجاج شفافاً وغير شفاف ولونوهُ كثيراً وقد ذكرنا انهم صنعوا المجهر (اي المنظار المكبر) ووجد بعضهم في خربهم بلورات مكبرة فأيَّد ذلك. ومنها انهم اتقنوا التطريز والتمويه بالذهب والفضة وغيرها من المعادن واحكموا صقل الحجارة الكريمة المختلفة الانواع وتشكيلها ولا يخفى ما يقتضي ذلك من الآلات المحكمة فظهر من هذا ان الاشوريين مهروا كثيراً بالصناعة

الصناعة

الصور

الديانة

٥. ولا حاجة الى استيفاء الكلام على دين الاشوريين لانهم اخذوهُ عن الكلدانيين ولم يغيروا منهُ الاّ قليلاً فنقتصر هنا على ان نقول اعظم آلهة الاشوريين اشُّور وكانوا يعبدونهُ كثيراً والظاهر ان هذا الاله هو اشور بن سام ابو الاشوريين فانهم لما نسوا الله الوحيد وافسدوا الدين الحقّ ألّهوهُ وعظّموهُ ورفعوهُ على سائر آلهتهم وهي مثل آلهة الكلدانيين وقد تقدم الكلام عنها وكان الاشوريون متديّنين كثيراً ونسبوا كل ما لهم من

خير الى الآلهة . وكان الملك حين يعود من غزواته منصورًا فيكتب اخبارها يفتتح الكلام بشكر الآلهة على تأييدها اياهُ ويتوسّل اليها ويسألها النجدة والاسعاد في الحروب التي يتوقعها. ومن آثار الاشوريين الدينية اناشيد وصلوات تشبه مزامير انبياء اليهود واشعارهم على ان دينهم كان كثير الفساد والمفاسد الموافقة شهوات الناس وظلمهم وجورهم وكانت آلهتهم هائلة فيها تناين مخيفة المنظر كانوا يعبدونها عبادة كريهة . والخلاصة ان ذلك الدين لم يكن الاّ نتيجة نسيان الاله الوحيد الحيّ الحقيقيّ الذي شريعتهُ طاهرة تنهى البشر عن مثل فسادهم الفظيع تقوى الملوك

القسم الرابع

في مملكة بابل او مملكة الكلدانيين الثانية

الفصل الاول

في حدود هذه المملكة ومدنها

١. عاصمة هذه المملكة مدينة بابل وكانت في اول الامر ارض الكلدانيين التي
اقسامها ذكرناها ولكن لما سقطت اشور اخذت بابل جانبًا منها فاتّسعت ارضها حتى اشتملت على ارض عيلام شرقي دجلة وسمّيت سوسيانا نسبة الى عاصمتها سوسا المسماة في التوراة شوشن (استير ١:٢) وعلى وادي الفرات الى نواحي كركميش ثم سورية وفينيقية وفلسطين الى حدود مصر وعلى تدمر وما يليها وعلى بعض البادية. وسمّيت ارض الكلدانيين الخاصّة
سوسيانا بابلونيا وقد مرّ وصفها. اما سوسيانا فتخترقها سلسلة جبال زاغرس في الانحاء الشرقية ومنها تخرج عدة انهر اكثرها صغير منها نهر قارون ويصب فيهِ نهر دِزْفل ونهر أُولاي المشار اليهِ في نبوة دانيال (٨:٢) ويجري بقرب سوسا وبعد ان يلتقيا يصيران نهرًا كبيرًا يصب في خليج العجم ومنها نهر آخر غربيّهُ سمي قديمًا خواسپس يصب في البحر عند بلاد العرب. وانحاء هذه المملكة الغربية سورية وما يليها وسيأتي الكلام عليها في محلهِ

بابل ٢. كانت مدينة بابل على جانبي الفرات يحيط بها سوران احدهما ضمن الآخر قال هيرودوتس طول الخارج منهما ٥٦ ميلاً ولعل ذلك من باب المبالغة لانهُ يلزم منهُ ان طول كل جانب من المدينة ١٤ ميلاً وان مساحتها ١٩٦ ميلاً مربعًا وذلك يزيد على مساحة اكبر مدينة في الارض وقال غيرهُ ان محيطها نحو ٤٢ ميلاً ولعلهُ اقرب الى الصحة من الاول لكن يلزم منهُ ان مساحتها كانت تنيف على ١٠٠ ميل مربع وهذا يقتضي انها

كانت أكبر المدن على انهُ لا يقتضي ان كل ما هو داخل الاسوار مشغول بالبيوت ولنا ما يمنع من ذلك وهو ان أكثر داخلها كان معيّنًا للفلاحة ليكون لاهل المدينة طعامٌ منهُ حين الحصار فلا يضطرون الى التسليم جوعًا وكانت اسوارها في غاية العلوّ والمتانة قال هيرودوتس علوّها ٣٠٠ قدم وعرضها ٨٠ قدمًا وعليها ٢٥٠ برجًا وفيها ١٠٠ باب ٢٥ من كل جانب لان المدينة كانت مربعة وكانت الطرق تمتدّ من هذه الابواب على خطوط مستقيمة فيقطع بعضها بعضًا على زوايا قائمة. وكان على كلٍّ من جانبي النهر سور لمنع العدوّ من دخول المدينة اذا اتى في السفن وكان في كل جانب من ذلك السور ابواب من النحاس تفتح في النهار لعبور القوارب وتُوصد ليلاً وكان على ذلك النهر جسرٌ عظيم وتحتهُ سرَبٌ موصل بين قسمي المدينة لكنهُ لم يوجد لذلك السرب من اثر ومن اعظم ابنية بابل هيكل بيل وكان ثماني طبقات مربعة كلٌّ منها اصغر مما تحتها ومحيط اسفلها نحو ١٢١ ذراعًا وعلى قمتها مقصورة فيها تماثيل من الذهب وهي تمثال بيل وتمثالان لغيرهِ من الآلهة واسدان ومائدة مغشاة بالذهب فكان الهيكل على غاية الحسن والاتقان فعدّهُ بعضهم من عجائب المصنوعات

هيكل بيل

٣. وكان في بابل قصر الملوك طول السور المحيط بارضهِ سبعة اميال وفي ارضهِ بستان سمّي البستان المعلّق لانهُ كان مرفوعًا فوق الارض بقناطر بعضها فوق بعض وكان مربعًا طول كل من جوانبهِ على الارض نحو ٤٠٠ قدم وعلوّهُ نحو ٧٥ قدمًا وكان في اعلاهُ اكبر الاشجار وكثير من النباتات المختلفة الاجناس. قيل ان نبوخذنصر بناهُ لتسلية امرأتهِ عن وطنها مادي فانها لما تاقت الى جبال الوطن اقام لها البستان المعلّق تشبيهًا بتلك الجبال اذ لم يكن في سواد بابل وانحائها جبل ولا اكمة وتعدّهُ القدماء من عجائب العالم السبع وكانت في بابل ابنية اخر فاخرة يضيق بذكرها المقام فنقول بالاجمال ان تلك المدينة عظمت كثيرًا وسما شانها حتى فاقت سائر المملكة فلقبت ارضها الخاصّة ببابلونيا ولقب سكانها بالبابلونيين وسميت كلها مملكة بابل بدلاً من مملكة الكلدانيين ولم يُطلق اسم الكلدانيين الاّ على طبقة واحدة من الامّة وسنوضح ذلك في الكلام على دين البابليين

البستان المعلق

وآثار تلك المدينة قليلة بالنسبة الى سعتها وعظمتها وما ذلك الاّ لان اكثر موادها

اثار بابل

لبن غير مشويّ ففتنت على طول العهد فعادت ترابًا واصبحت تلك المدينة رسومًا بالية ولم يبقَ من اطلالها الاّ قليل يستدل بها على انها كانت هناك فتمّ عليها قول النبي "وتكون بابل كومًا ومأوى بنات آوى ودهشًا وصفيرًا بلا ساكن (ار ٥١: ٣٧) واجعلها ميراثًا للقنفذ وآجام مياه وأكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود (اش ١٤: ٢٣) وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة لا تُعمر الى الابد ولا تُسكن الى دورٍ فدور (اش ١٣: ١٩ و٢٠)" آه

الفصل الثاني

في اخبار مملكة بابل

١. جاء بعض اخبار بابل في تاريخ ملوك اشور ومن ذلك أنهم حاربوها كثيرًا وتسلّطوا عليها بعض التسلط من زمان تغلث نن الاول لكنهم لم يتمكّنوا من تمام السلطة عليها الى ايام سرجون ومَن خلفوهُ. وكانت ملوك بابل وولاتها يخرجون كثيرًا على اشور كما مرّ فكانت الحرب بين المملكتين سجالاً وممّن قاموا ورفضوا سلطة اشور رجل اسمهُ نابونَصّر والظاهر انهُ استقلّ فأرّخوا من حين استيلائهِ وذلك سنة ٧٤٧ ق. م. وذكر بطليموس الفلكي المشهور سلسلة ملوكهم من ذاك العهد الى حين خربت المملكة لكنّ كثيرين منهم لم يكونوا الاّ ولاة استولى عليهم ملوك اشور ولم يشتهر احد منهم الى ان قام مرودخ بلادان الذي ذكرناهُ في تاريخ اشور. والظاهر انهُ ملك اولاً اسفل البلاد ثم استولى على بابل في نحو سنة ٧٢١ ق. م. وبقي على ذلك اثنتي عشرة سنة وظنّ انهُ سأل حزقيّا ملك يهوذا المعاهدة ليساعدهُ على دفع ملك اشور (راجع ٢مل ٢٠: ١٢). وقهرهُ يومئذٍ سرجون ملك اشور وأسرهُ لكنهُ عاد بعد موت سرجون وملك بابل ثانيةً. ولما قام سنحاريب طردهُ واقام على بابل ولاة الى ان قام اسرحدون واخضعها تمام الاخضاع لانهُ

تسلط الاشوريين على بابل

مرودخ بلادان

هو نفسهُ قام بسياستها وبقيت خاضعة لملوك اشور الى حين سقوط نينوى يوم كان نبوبُلَسَّر واليها فخرج على مولاهُ وساعد كَيَكْسَارِس على مهاجمة نينوى فكان نصيبهُ عند نهاية الحرب بابل ومعظم ما بين النهرين والنواحي الغربية الى تخوم مصر

نبو بلسر

واستقلَّ هذا الملك في نحو سنة ٦٢٥ كما يرجَّح وبقي ملكهُ الى سنة ٦٠٤ ق.م. وليس لنا من اخبارهِ الاَّ القليل فالظاهر انهُ اعتزل الحرب واحب السلم الاَّ انهُ ارسل جيشًا لمعونة كيكسارس على ملك ليديا وربما سار هو نفسهُ الى الحرب . وقيل انهُ اصلح بين الفريقين وذلك نحو سنة ٦١٠ ق.م. وبعد قليل من ذلك خرج فرعون نخو ملك مصر واستولى على سورية وبلغ الفرات وافتتح مدينة كركميش ولم يستردَّها ملك بابل الاَّ بعد ثلاث سنين وكان قد شاخ فلم يخرج الى الحرب فجهَّز ابنهُ نبوخذنصر بجيشٍ سنة ٦٠٥ ق.م. فسار هذا الى كركميش واخذها ثم استرد سورية وكان قد بلغ ثغور مصر حين سمع بوفاة ابيهِ فتقهقر راجعًا الى بابل ليتولى المُلك خيفة من ان يتولاَّهُ غيره فحصل على ما رغب فيهِ بلا ممانعة

نبوخذنصر ٦٠٤ ق.م

٢. وامسى **نبوخذنصر** ملكًا قويًّا لم يكن نظيرهُ على تخت بابل لا قبلهُ ولا بعدهُ واوَّل حرب أثارها بعد ارتقائهِ كانت في سورية وفينيقية اذ خرجت عليهِ صور واورشليم

حصار صور واورشليم

فسار سنة ٥٩٨ ق.م. بجيش جرَّار ونازل صور وترك جانبًا من عسكرهِ يحاصرها ثم سار الى اورشليم وكان يهوياقيم ملكها حينئذٍ فخضع حالاً وعزلهُ ملك بابل واقام ابنهُ يهوياكين مقامهُ لكنهُ عزلهُ بعد ثلاثة اشهر واخذهُ الى بابل واقام صدقيا مقامهُ فبقي امينًا لهُ بضع

خيانة صدقيا ٥٨٨ ق.م

سنين. وخرج عليهِ سنة ٥٨٨ ق.م. واستنجد ملك مصر وهو فرعون حفرع او ابريس فصعد عليهِ نبوخذنصر حالاً وعزم على ان يعاقبهُ عقابًا شديدًا واحاط باورشليم . واجاب ابريس صدقيا فسار بجيشهِ لنجدتهِ. فلما سمع نبوخذنصَّر بقدومهِ افرج عن المدينة لقتالهِ

تسليم اورشليم ٥٨٦ ق.م

فانهزم ابريس الى مصر فعاد ملك بابل وأحكم الحصار حتى يئست المدينة فسلَّمت بعد نحو سنة ونصف اي في سنة ٥٨٦ ق.م. وبقيت جنود بابل تحاصر صور كل تلك المدة اي

حصار صور الطويل

منذ سنة ٥٩٨ ق.م. ولم تسلّم وكان السبب في ذلك ان المدينة كانت قسمين احدهما على البر وهو صور القديمة والآخر على جزيرة في البحر وهو صور الحديثة ولما لم يكن ملك بابل مقتدرًا في البحر كان اهل صور يخرجون ويدخلون الجزيرة بلا مانع واذ كانت على غاية من التحصين تجاه البرّ لم يقدر العدوّ ان يضرَّها الاَّ قليلاً . وهل افتتحها نبوخذنصر أو لا ذلك لم يعلم العلم اليقين والظاهر انهُ استولى على المدينة القديمة دون الجزيرة . قبل ان

كتابات نبوخذ نصر عند نهر الكلب — الحصار بقي ثلاث عشرة سنة اي منذ سنة ٥٩٨ الى سنة ٥٨٥ ق . م . ولعلهُ كتب ما كتبهُ على صخور نهر الكلب في اثناء حروبهِ في سورية فانهُ اكتُشف سنة ١٨٨١ ب . م . على الشط الشمالي من هذا النهر خمسة مكتوبات كبيرة محا الملاء اكثارها فتحقق ما قُرئَ منها انها لنبوخذ نصَّر ولا نزال نتوقع ان يقرأ باقيها ونأمل منها ما هو ذو شأنٍ من اعمالهِ في سورية

واستولى نبوخذ نصر على سورية وفلسطين ولم تخرج عليهِ بعد ذلك . ثم حاول الانتقام من مصر فقيل انهُ استولى عليها وقتل ملكها او عزلهُ واقام اماسيس مقامهُ وذلك نحو سنة ٥٧٠ ق . م . لكن ذلك لم يثبت وقيل انهُ غزا جزيرة العرب وبلغ الحجاز واليمن فغزا كثيرًا واجلا السكان واسكنهم في مملكتهِ وشغلهم في اقامة ابنيتهِ اذ كانت عظمتهُ تقتضي فعلة كثيرة ومن اعمالهِ سور بابل المذكور وطولهُ ينيف على اربعين ميلاً وابنهُ يزيد على ٥٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ قدم مكعَّبة ومنها البستان المعلَّق وقصر حسَن في بابل وتزيين هيكل بيل وبحيرة انشأها لجمع مياه النهر حين فيضهِ ليسقي بها الاراضي في الصيف فجعل محيطها ١٤٠ ميلاً وعمقها ١٨٠ قدمًا وانشأ ترعًا عديدة منها نهر الملك الموصل بين الفرات ودجلة وقيل انهُ حفر ترعة من مدينة هيت شرقي الفرات في انحاء البادية الى راس خليج العجم وطولهُ نحو ٤٠٠ ميل . وقيل انهُ بنى هيكل نبو ولم تزل آثارهُ كثيرة في بُرْسِيبا ويسميها العرب برج نمرود ولنبوخذ نصر غير ذلك من المآثر ما لا يحيط بهِ وصف . ومما يشهد لعظمتهِ ان اكثر اللِّبنات المكتوبة في نواحي بابل موقَّع بطغرائهِ

غزوتهُ مصر وجزيرة العرب

سور بابل والبستان المعلق وبحيرة النهر والترع

اخلاقهُ — ٣ . واخلاق هذا الملك العظيم مختلفة فبعضها حسن ممدوحٌ وبعضها قبيحٌ مذموم فنراهُ من انباء سفر دانيال سريع الغضب يطرح من خالف امرهُ الى النار المتقدة ولا يقبل عذرهم ومفتخرًا متعجرفًا يأبى كل ما لا يوافق مجدهُ النفساني ولكنهُ مع ذلك لم يكن على غاية العناد فانهُ لما تحقق قوَّة اله اليهود اكرمهُ واتضع امامهُ ونراهُ ظالمًا قاسيًا لانهُ قتل بني صدقيا على مرأى منهُ ثم قلع عينيهِ وسجن يهوياكين زمانًا طويلاً لغير ذنب ظاهر . ومن اعجب امور

مرضهُ الغريب — نبوخذ نصر مرضه الغريب الذي ذكرهُ دانيال (ص ٤) وهو انهُ جنَّ وظنَّ نفسهُ بهيمة فاصبح يرعى كالبقر فطُرد من قصرهِ ولم يعاشر الناس والمظنون انهُ بقي هكذا نحو ٧ سنين ثم عاد الى الصحة وتولى اعمال المُلك وفي بعض كتابات نبوخذ نصر ما ظنَّ انهُ يشير الى هذه المصيبة وذلك قولهُ "نقضى عليَّ اربع سنين ومجالس مملكتي في المدينة لم يفرّح قلبي فلم ابنِ في كل مملكتي في تلك المدة مرتفعة للقوة ولم اخزن نفائس املاكي الثمينة ولم انشئ

ابنية في بابل لاجلي ولاجل مجد مملكتي ولم استح مرودخ ربي وبهجة قلبي في بابل مدينة سلطاني وعاصمة مملكتي ولم اذبح على مذابحهِ ولم اعزّل الترع". وقال غير ذلك ما يدل على مدة انقطاع اعمالهِ العظيمة الا ان اقوالهُ مبهمة ولعلها تشير الى مصيبة غير تلك . وعظم شانهُ بعد تلك البلية فصار الى ما كان عليهِ قبلها واشتهر وبلغ اعلى درجات المجد والكرامة وهلك سنة ٥٦١ ق . م . بعد ٤٣ سنة من ملكهِ

اويل مرودخ ٥٦١ ق . م — ٤. ثم خلفهُ ابنهُ **اويل مرودخ** وملك سنتين فقط وكان حليمًا محسنًا ففرج عن يهوياكين وكان ابوهُ قد سجنهُ منذ ٣٥ سنة لكنَّ كثيرين لم يسرُّوا بهِ فقاموا عليهِ وقتلوهُ وملك بعدهُ **نيرغاسر** احد الثائرين وهو الذي اشار اليهِ ارميا النبي (في ٣٩ : ٣ و ١٣) وسماهُ ترجَل شراصر رئيس المجوس كما دعا نفسهُ وملك ثلث سنين او اربعًا وليس لنا غير ذلك من اخبارهِ ولم يشتهر الاَّ قليلاً وخلفهُ ابنهُ سنة ٥٥٦ ق . م . وهو ولدٌ ولم يملك الاَّ بضعة اشهر اذ قاموا عليهِ وقتلوهُ وملك بعدهُ رجل يقال لهُ **نبوناديوس** او نابونيدُس سنة ٥٥٥ ق . م . ولم يكن من النسل الملكيّ ولعلهُ تزوج امرأة من نسل الملوك ليرضي الناس بملكهِ ويكون لولدهِ منها الحق الشرعي في السلطنة بعدهُ . وحدث ان كورش الفارسيّ استولى على مملكة مادي وكان قادمًا لمحاربة انحاء المغرب فعلم ملك ليديا أن لا بد من مقاتلتهِ فاستصرخ ملك بابل وملك مصر لمدافعتهِ فحالفهُ نبوناديوس واذ عرف ان كورش ملك مقتدر وانهُ لا بد من ان يهاجمهُ اذا بلغ غايتهُ من محاربة ليديا اخذ يتحصَّن استعدادًا لذلك فقيل انهُ بنى سورين من لبن على جانبي نهر المدينة وانشأ الخنادق في بعض سواد المدينة ليعيقهُ واما كورش فهاجم ليديا واخضعها سريعًا كما سيذكر لكنهُ لم ينتقم وقتئذٍ من ملك بابل اذ كان مشتغلاً في الجهات ولم يأتِ ذلك الى السنة السابعة عشرة من ملك نابوناديوس اي في سنة ٥٣٩ ق . م . فانهُ قدم يومئذٍ على بابل وكان نبوناديوس على غاية الاستعداد لهُ ولم يكن يتوقع ان يُغلَب اذ جهل بأس عدوهِ وظن اسوار بابل المتينة تمنعهُ والمؤونة التي اعدها تكفيهِ فلا يمكن كورش ان يفتتح المدينة ولو غلبهُ في الميدان

نيرغاسر ٥٥٩ ق . م

نبوناديوس ٥٥٥ ق . م

تحصينهُ بابل

قدوم كورش على بابل

محاصرتهُ اياها — ٥. وعلى قول بيروسس وهيرودوتس انهُ لما اقترب كورش وقطع دجلة خرج نبوناديوس لمحاربتهِ فانهزم والتجأ الى مدينة بورسبّا (اي برج نمرود) وكانت في الجنوب الغربي من بابل فامتنع فيها ولم تعرف غايتهُ من ذلك فان بابل لأقوى من بورسبا واحصن ولعلهُ خاف من ان يلحقهُ كورش قبل وصولهِ الى المدينة فيدخل معهُ وظن

امر بيلشاصر

بعضهم ان ابنهُ بيلشاصَّر كان يومئذٍ شريكه في الملك فناب منابهُ في غيبتهِ فثبت وقاوم كورش حتى لم يستطع ان يتقدم شيئًا في الحصار . فايقن كورش ان لا نجاح لهُ في ما كان عليهِ ما لم يستنبط طريقة جديدة لافتتاح المدينة فحفر ترعة واسعة من النهر فوق المدينة يتمكن بها من تحويل كل الماء او اكثره اليها فيجفُّ النهر. وفي احدى الليالي بلغهُ ان تلك الليلة ليلة عيد كبير في المدينة فاوقف عسكرهُ عند النهر قريب المدينة وحوَّل النهر الى الترعة ولما قلَّ الماء في النهر عبرهُ بجيشهِ وبلغ الابواب النحاسية على جانبي النهر كما مرَّ وكان سكان بابل آمنين لاهين برشف المسكرات واللذات من الملك الى الصعلوك فتركوا الابواب مفتوحة بلا حراس فدخلوا ولم يمانعهم احد ولم يشعر بيلشاصَّر بشيء حتى أُخبر بان المدينة قد أُخِذت فقُتِل كما انبأَهُ دانيال واصبحت بابل غنيمة والناس قتلى اذ لم يكونوا مستعدّين للدفاع فاخذ كورش تلك المدينة في تلك الليلة وامر بهدم السور الخارجي او جانب منهُ وسار لمقاتلة نبوناديوس الذي كان في حصن برج نمرود لكنهُ لما سمع بما كان في بابل أَبى القتال وسلم فاستحياهُ كورش واكرمهُ وقيل انهُ اقطعهُ ولايةً من مملكتهِ. وقال دانيال ان بيلشاصر ابن نبوخذنصر والمكتوبات البابلية تثبت انهُ ابن نبوناديوس فالظاهر ان دانيال اراد بلفظة ابن واحدًا من نسلهِ او خلفائهِ وجاء معنى هذه اللفظة كذلك مرارًا كثيرة في العهد القديم وعلى ذلك انقرضت مملكة الكلدانيين الاخيرة اي مملكة بابل لانهُ لما سقطت بابل سقطت المملكة كلها لان بابل كانت عزها ومجدها وبمثابة المملكة كلها كما كانت نينوى لاشور. ولا بدع فان تلك عاقبة المملكة التي رعاياها من قبائل مختلفة خاضعة قهرًا لا حبًّا . ولما هلك الملك لم يتصدَّ احد للمحاماة عن سلطانهِ وهذه نهاية كل مملكة لم يكترث ملوكها بمنفعة اهلها ويقتصرون على العناية بانفسهم ولم يسودوا على سوقتهم بالمحبة

حيلة كورش

بيلشاصر

حقيقة هذا الامر

واكتشف حديثًا كتابة لكورش تبين منها انهُ استولى على بابل بدون ادنى حصار وانما سلمت لقائد جيشهِ قبل وصولهِ اليهِ والظاهر ان هذا الحصار كان ايام داريوس هِستاسْبِس او داريوس الكبير الذي ملك بعد كمبيز ابن كورش كما سيأتي في محلهِ فان بابل خرجت عليهِ فالتزم ان يخضعها فحصرها وافتتحها حيلةً كما تقدم اما اليونان فنسبوا هذا الحصار الى كورش وتبعهم فيهِ سائر المورخين حتى ايامنا هذه حين تبينت حقيقة الامر من الآثار العادية وعليهِ يكون داريوس المادي الذي ذكرهُ دانيال في قصة بيلشاصر

(دا ٥: ٣١) هو داريوس هستاسپس المذكور وانما سماهُ المادي اذ كان ملك مادي وفارس كما لا يخفى (انظر تاريخ الفرس)

الفصل الثالث

في علوم بابل وصنائعها ودينها الخ

علم الهيئة

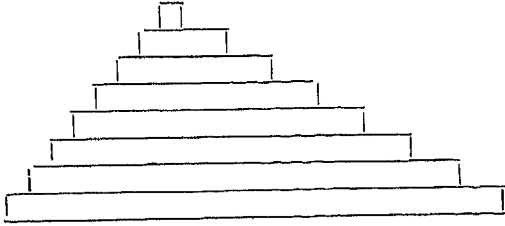
١ وعلوم هذه الامَّة مما يستحق الاعتبار ولا سيما علم الهيئة الذي اخذوهُ عن الكلدانيين القدماء وتحرَّوهُ حتى بلغوا ما لم يبلغهُ اسلافهم وسبقوا العالم فيهِ واستفاد اليونان وغيرهم كثيرًا مما عرفوهُ من ذلك العلم من علماء بابل. وكان موقع المدينة مناسبًا لمراقبة الاجرام السموية لان البلاد سهلة لا مانع لنظر الافق فيها وجوّها نقيٌّ لعدم الابخرة والغيوم في تلك الاقطار في اكثر السنة فتكون النجوم لامعة متلألئة تسرُّ الناظر وتجذب العيون اليها. ولنا ادلة قويَّة على انهم عرفوا السيَّارات وميزوها باسماء منذ عهدٍ بعيد وعينوا الابراج وسموها بيوت الشمس وكان لهم منازل لفلك القمر سموها بيوت القمر وعينوا اوقات الكسوف والخسوف قبل حلولها لكنهم لم يعينوها كمال التعيين لاعتقادهم ان الارض مركز العالم على انهم مع ذلك عرفوا ان علَّة كسوف الشمس توسُّط القمر بينها وبين الارض ورتبوا صور الثوابت وكانوا يراقبون دوران الشمس والقمر بكل حرصٍ وتحققوا السنة الشمسية تقريبًا ولهم تاريخ مقوَّم سنة فسنة منذ تاريخ نابونصَّر سنة ٧٤٧ ق م. وظنهم المورخون انهم صنعوا المرقب (التلسكوب) واستعانوا بهِ في مراقباتهم

الصنائع

٢ ولم يحكموا من الصناعة الا قليلاً ومن هذا القليل الانية الخزفية وبعض المعدنيات وكانت رسومهم ونقوشهم ما لا تستحق الذكر مع انهُ سبقهم اليها الاشوريون ولعل علَّة ذلك قلة الحجارة المناسبة للنقش في ارض بابل ومنسوجات بابل على غاية من الحسن والاتقان فكان ملوك الامم يشترونها ويفتخرون بها ومما احكموهُ صناعة البناء وخالفوا سائر اهل

الارض في هيئة الهياكل فبنوها على هيئة الاهرام الاَّ انهم لم يجعلوا جوانبها متساوية المساحة مثل الهرم المصري بل جعلوا الوجه كهيئة الدرَج واعظم مثالٍ لذلك هيكل بيل في بابل وهيكل نبو في برج نمرود وهو ذو ثماني طبقات وعروشهُ مربعة وطول جانب الطبقة السفلى ٢٧٢ قدماً وطول جانب الثانية ٢٣٠ قدماً وطول جانب الثالثة ١٨٨ قدماً وهلمَّ جرًّا فطول جانب الطبقة العليا ١٥ قدماً فقط. وكانت الطبقات الثلاث السفلى متساوية العلوّ وعلوّ كلٍّ منها ٢٦ قدماً وما بقيت منها متساويةٌ كذلك وعلوّ كلٍ منها ١٥ قدماً وعلوّ البناء كلهِ مع عروشهِ ١٥٦ قدماً اي نحو ٦٨ ذراعاً ولم يكن كلٌّ من هذه الطبقات في وسط ما تحتها بل كانت اقرب الجانب الواحد مما للجانب الآخر كما ترى في هذا الرسم وكانت المقصورة في الطبقة العليا والمظنون انها مزخرفة جدًّا وكان لكلٍّ من جوانب الطبقات لونٌ خاص بهِ وغاية ذلك الاشارة الى الشمس والقمر والسيارات فانهم عينوا لكلٍّ منها لوناً

هيكل بيل



التجارة

٣. وكانت تجارتهم واسعة في البرّ والبحر وكانوا يتجرون في البحر على طريق الفرات والدجلة الى خليج العجم ومن ثمَّ الى بحر الهند فبلغت تجارتهم البحرية الهند وجزيرة العرب واتجروا في البرّ في جهات مختلفة فاتجروا شرقاً في بلاد مادي وهركانيا وبكتريا والهند فانهم قطعوا نهر الهند وما يليهِ شرقاً حتى بلغوا وادي الكنك. واتجروا غرباً في فينيقية وآسيا الصغرى حتى بلغوا ساردس عاصمة مملكة ليديا قرب بحر ايجيان واتجروا شمالاً في ارمينية فكانت القوافل تسير على هذه الطرُق حاملة مصنوعات بابل ولا سيما منسوجاتها النفيسة من كتان وصوف وغيرها وتفرقها على شعوب تلك البلاد وقبائلها وتعود حاملة مصنوعاتهم وحاصلاتهم الى بابل فصارت متجر كلّ غربي آسيا

الديانة

٤. وديانة بابل لم تختلف كثيرًا عن ديانة الكلدانيين القدماء فلا حاجة الى ان نذكر منها سوى ترتيب الكهنوت لانهُ من الامور ذات الشان في تاريخهم. وقد ذكرنا (في الفصل ١ الرقم ٢) ان اسم الكلدانيين لم يُطلق الاَّ على طبقة واحدة من البابليين وهي الكهنة فانهُ لما غلب تعلق العلوم في القديم بالدين امست تلك الطبقة طبقة العلماء ايضاً والظاهر

الكلدانيون

ان اصلها من الطورانيين او العيلاميين الذين ذكروا في اخبار الكلدانيين القدماء (راجع تاريخهم فصل ٣ رقم ١) فان لغة كهنة بابل وعلمائها غير لغة عامة الناس اي اللغة الكلدانية المعهودة واغلب الظن انها كانت طورانية ثم لما تغيرت لغة الأمة فصارت سامية محضة بقي الكهنة والعلماء يستعملون لغتهم القديمة حفظًا لعقائدهم وفرائضهم وعلومهم لانها كانت سرّية عرافية مجوسية. وهذا دأب الكهنة القدماء فكانوا ياخذون من بنيهم او من اختاروهم من اولاد العامّة ويعلّمونهم هذه العلوم السرّية ويحلّفونهم على كتمها فتسلّطوا بذلك على عقول البشر فاصبح الكلدانيون طبقة مميّزة عن عامّة الناس كما مرّ وكان لهم اعتبار عظيم عند الجميع حتى الملوك لانهم ظنوا لهم سلطانًا على القوى الروحية والقوى الطبيعية جميعًا ومعرفة امور المستقبل من حركات الافلاك لانهم كانوا منجّمين واعظم شاهد على ذلك ما قاله دانيال عليهم في سفره فاطلبهُ هناك واكثر ما جاء من امرهم في الاصحاح الثاني من ذلك السفر

القسم الخامس

في تاريخ مملكة مادي

الفصل الاول

في حدود مادي وخواصها الطبيعيّة

١. هذه البلاد شرقي اشور والشمال الشرقي منها وهي القسم الشمالي والغربي من مملكة ايران المعهودة ويحدها شمالاً ارمينية وبحر الخزَر وغربًا جبال زاغرُس وجنوبًا بلاد فارس ولم يتعين حدها شرقًا لان الاراضي هناك كانت سبخة لم تُسكن. وكان اكثر اراضي مادي واحسنها جبليًّا لامتداد فروع جبال زاغرُس شرقًا الى الصحراء وسلسلة جبال على شطوط بحر الخزَر تسمَّى البُرز (او البرج) تحيط بالبحر على القرب منهُ جنوبًا وغربًا وتتشعَّب جنوبًا. ومن هذه الجبال ما يزيد علوهُ على ٢٠٠٠٠ قدم وتظل الثلوج على بعضها كل ايام السنة فالهواء هناك على غاية من البرد. وفروع جبل زاغرس تمتد شرقًا ومعدل علوها فوق سطح البحر نحو ٣٠٠٠ قدم وبينها اودية مخصبة معتدلة الهواء وهنالك اكثر السكان الجبال

٢. واكثر انهر هذه البلاد صغيرة تجف في الصيف او تنقص مياهها كثيرًا واكبرها في الشمال حيث مخارجها بين الثلوج الدائمة. ومنها نهر قزل اوزان ومخرجهُ في الجبال الشمالية ويصب في بحر الخزَر وطولهُ مع تعاريجهِ نحو ٤٩٠ ميلاً ومنها نهر الرّسّ او آرَاس مخرجه في ارمينية ينعطف جنوبًا ويجري في شمالي بلاد مادي ويصب في بحر الخزر. وهناك انهر تخرج من جبل زاغرُس وتجري شرقًا فتتوارى في الصحاري مثل نهر اصفهان. ومن غريب امر مادي ان انهرها لا تصل الى البحر الكبير بل تتوارى في الصحاري او تصب في الانهر

بحيرات لا مخرج لها واكبر تلك البحيرات بحر الخزر شمالي البلاد طوله نحو ٧٥٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٢٥٠ ميلاً وهو اوطأ من البحر الكبير بما ينيف على ٣٠٠ قدم ومياههُ مالحة. ومنها بحيرة أُرميه في الشمال الغربي طولها نحو ٨٠ ميلاً وعرضها نحو ٣٥ ميلاً ومياهها مالحة جدًّا حتى لا يعيش فيها السمك البحيرات

٢. وانقسمت مادي قديمًا الى مادي أَتروبَتِينة وهي القسم الشمالي ومادي الكبرى وهي القسم الجنوبي وتسمّى اليوم العراق العجمي اقسام مادي

ومن اكبر مدنها القديمة أَكْبَتَنا وهي في مادي الكبرى شرقي جبل زاغرس وتسمى هَمَذان. قيل انها كانت كنينوى اتساعًا وكان اهلها كثيرين وانهُ كان فيها قصرٌ يعجز عن وصفهِ اللسان محيطهُ نحو ميل وفيهِ اروقة ودور واعمدة كثيرة وسطحهُ مغطًّى بالفضة بدلاً من القرميد وجوائزهُ وروافدهُ واعمدتهُ وسائر خشبهِ مغشّاة بالفضة. وقيل ان بعضها مغشًّى بالذهب وإثارهُ قليلة وعلّة ذلك انهُ كان جانبٌ عظيم منهُ خشبًا. ومنها مدينة اخرى في الشمال اسمها أَكْبَتَنا ايضًا عند مدينة تسمى تخت سليمان والظاهر من الآثار انها هي المدينة التي وصفها هيرودوتس بقولهِ انها مبنية على تلٍّ ولها سبعة اسوار تحيط بالتل كلٌّ منها أَعلى مما خارجهُ فصارت كانها درجات. وشرفات كلٍّ من تلك الاسوار ذات لون مخصوص فشرفات الادنى بيضاء وشرفات ما فوقهُ سوداء وشرفات ما فوقهُ قرمزية وشرفات ما فوقهُ زرقاء وشرفات ما فوقهُ برتقالية وشرفات ما فوقهُ فضية وشرفات ما فوقهُ ذهبية فكان منظر المدينة بذلك يبهر العيون. وكان على راس التلّ داخل السور السابع قصر الملك وجميع كنوزهِ. وكان في الشمال الشرقي مدينة أُخرى تسمى راجس او راجا اشتهرت كثيرًا في القديم وهي اليوم خربة ولم يتحقق موقعها المدن

الفصل الثاني

في اخبار مادي

اصول تاريخها. (١) الآثار وهي قليلة للماديين ولكن كثير من آثار الاشوريين يفيدنا كثيرًا من امورها بعد ان اخذ ملوك اشور بغزوها (٢) تاريخ هيرودوتس وتاريخ قطيسياس وهذا لا يعتدّ بهِ كتاريخ هيرودوتس وكتب الماديين الدينية ولا سيما ما يسمى الفندداد الذي يتضمن ذكر بعض امورهم غير الدينية كاما كنهم ورحلاتهم (٣) بعض الكتب الحديثة وهو كتاب رولنصن الانكليزي

١. الماديون جيل من بني يافث بخلاف من وقفنا على تاريخهم فيما مضى ويتضح ذلك من لغتهم وتقاليدهم فيسمون انفسهم اريانيين او ايرانيين وهم قسمٌ من الصنف الهندي الاوربيّ كنسل يافث ولا ريب في انهم دخلوا مادي من الشرق وان كان مُتَفَرَّع البشر في اوربية كما يظن البعض فالظاهر ان شطرًا من بني يافث ارتحل شرقًا وسكن اواسط قارة اسيا ودخل بعضهم الهند ثم هاجر قومٌ منهم فسكنوا بلاد مادي وفارس ومجيئهم من الشرق مثبت من تقاليدهم وآثارهم. وابتدأت عظمة الامة المادية في بلاد مادي في القرن الثامن او التاسع قبل الميلاد اي بعد قيام الاشوريين والكلدانيين بزمان طويل ووجودها في الزمان القديم امر لا ريب فيهِ فانها ذكرت في سفر التكوين وفي تاريخ بيروسس المورخ الكلداني فذكر موسى ماداي بين بني يافث فحسبهُ جدًّا امة الماديين فثبت انها كانت في ايامهِ وذكر بيروسس استيلاء دولة مادية على ارض الكلدانيين في القرن الثالث والعشرين ق.م. (كما مرّ في تاريخ الكلدانيين رقم ٤) ولنا غير ذلك امارات في تقاليد اليونان تشير الى امتداد امة الماديين في قديم الزمان فلنا من ذلك انهُ وجدت امة من نسل ماداي قبل القرن العشرين قبل الميلاد ثم توارت ودرست آثارها واما امة الماديين الحديثة فظهرت اولًا في القرن التاسع ق.م. وذهب بعضهم الى ان الاريانيين لما دخلوا هذه البلاد وجدوا فيها الطورانيين فحاربوهم وبقيت الحرب بين الفريقين قرونًا فانتصر الاريانيون اخيرًا فتحالف الفريقان فكانت من ذلك امة الماديين

الايرانيون

ذكر موسى وبيروسس الماديين

٢. واول ما تحققناهُ من اخبار هذه الامة مستفاد من اخبار ملوك اشور فان

شلمناصر الثاني الذي ملك بين سنة ٨٥٩ وسنة ٨٢٤ ق.م. ذكر انهٔ في سنة ٢٤ من ملكهِ غزا بلاد مادي مرارًا وتبيّن من ذكرهِ تلك الغزوات ان الماديين كانوا قبائل ضعيفة متفرقة فلم يقاوموا شلمناصر الاّ قليلاً فاحتقرهم وورد ذكرهم في اخبار شَمس فول ابنهِ الذي حذا حذوهُ وغزاهم فخضعوا لهُ ودفعوا الإتاوة لكي يكف الاشوريون عن غزوهم وبقي الماديون على هذه الحال نحو مئة سنة ثم قام سرجون ملك اشور سنة ٧٢٢ ق.م. وعزم على اخضاعهم التام واضافة بلادهم الى اشور فدوخ البلاد واقام فيها حراسًا وسبى من اهلها واسكن اماكنهم بعض اهل السامرة وغيرها وبقي الماديون خاضعين لاشور ٦٠ او ٧٠ سنة ولم يحارب ملوك اشور الاّ الذين سكنوا جوانب البلاد البعيدة منهم ولم يخضعوا لهم سابقًا وذكر عدة روساء اخضعهم وضرب عليهم الجزية وانقطع ذكر الماديين بعد ملك اسرحدون في اخبار اشور لان ملوك اشور لم يكونوا متسلطين عليهم يومئذٍ وعلّة ذلك تحالفهم واجتماعهم تحت لواء رئيس واحد هذبهم وجعلهم امة قوية غازية فاشتهرت من يومهِ واعتبرها الشعوب فزاد تاريخها وضوحًا

خضوع مادي لاشور ايام شلمناصر وشمس فول

استقلال الماديين

ولكن في اخبارهم خرافات كثيرة لا توافق اخبار الاشوريين المستفادة من الآثار فقال قطيسياس ان الماديين كانوا امة قوية في القرن التاسع ق.م. وذكر اسماء ملوكهم على التوالي الى ان انقرضت دولتهم ولكن تبيّن لنا مما تقدم ان امّة الماديين لم تتقوَّ الاّ بعد القرن التاسع بنحو مئتي سنة. وقال هيرودوتس (ولم يصب وان كانت اخبارهُ اصح من اخبار قطيسياس) ان ملكًا يسمى ديوكيس (ولعلهُ الضحاك) ملك على الماديين في نحو سنة ٧٠٨ ق.م. ونظم المملكة وجعلها قوية وملك ٥٣ سنة ثم قام بعدهُ ملكٌ يسمى فراُورتِس (او فراوَرْتيش) ملك ٢٢ سنة. وما اخبار هذين الملكين الاّ من صور الخيال لان عصر الاول هو عصر سرجون وسنحاريب واسرحدّون ملوك اشور الاقوياء الذين دوّخوا مادي اكثر من غيرهم ولم يجدوا فيها مقاومة تذكر ولا ملكًا قويًا وانهٔ في اوائل مُلك ابن اسرحدون لم تكن مادي قوية ولا مستقلة فما كانا من عظماء تلك الامة قويا اكثر ممن سلفهما من الروساء ودبرا الامّة فاخذت تتقدم الى أن قهرت القاهر واستولت على اشور كما مرّ في محلهِ وكان ملكها يومئذٍ كيكسارِس وهو اول ملوكها اخبارهُ صحيحة

اخبار قطيسياس وهيرودتس

الضحاك

فراورتيس

٣ وسبب بلوغ الماديين وقتئذٍ ذلك المقام السامي هو على الارجح مجيءُ قومٍ منهم من الشرق كما اتى اجداد الماديين فيما سبق وانضمامهم اليهم ولعل كيكسارس كان قائدهم

سبب ارتقا الماديين

كيكسارس وهجومه على اشور — فصار بحكمتهِ ملكًا على جميع الماديين ولما استفحل الامر اراد توسيع دائرة ملكهِ فحشد جنودهُ وهاجم اشور في نحو سنة ٦٣٤ ق.م. لكنهم هزموهُ وقتلوا اباهُ في الحرب فايقن كيكسارس انهُ لا يفوز ما لم يهذب عسكرهُ احسن تهذيب فاتى ذلك وهجم على اشور وقهر جنودها وانحصر ملكها في نينوى وفي اثناء ذلك انكبَّ السكيثيون على مادي فالتزم ان يكف عما كان عليهِ كما مرَّ (راجع تاريخ اشور رقم ٢١) فلما عاد الماديون الى بلادهم

هجوم السكيثيين على مادي وطردهم — قاتلوا الاعداء مقاتلة شديدة وكادوا يغلبونهم لكنهم انهزموا اخيرًا وخضعوا للسكيثيين بضع سنين واحتال بعد حين كيكسارس على روسائهم فاولم لهم ثم قام عليهم وقتلهم. وقام الماديون على ظالميهم وقهروهم وطردوهم فقويت بذلك مادي وغلظ امرها وجدَّ كيكسارس في محاربة اشور وعاهد يومئذٍ عيلام ونبوبلاسر والي بابل فقوي على نينوى وافتتحها بعد سنتين كما مرَّ (راجع تاريخ اشور رقم ٢٢) فاقتسم مملكة اشور كيكسارس ونبوبلاسر اما كيكسارس فاخذ بلاد اشور الخاصَّة وما تبعها في الشمال والشمال الغربي لكنهُ لم تخضع لهُ

اتساع مملكة مادي — جميع القبائل فجدَّ في محاربتها حتى تسلط على كل ما بين بلاد مادي ونهر هاليس المسمى الآن قزل ارمق واكثر هذه الاراضي تابعة لارمينية وكبدوكية وما اتم كل ذلك الا بعد مضي عشر سنين ثم حارب مملكة ليديا وهي اقوى من ارمينية وكبدوكية فقاومتهُ اشد مقاومة وكانت وقتئذٍ اول مملكة غربي نهر هاليس في السعة والاقتدار وسنذكرها في محلها ان شاء الله

حرب ليديا — ٤. ولما قدم كيكسارس على حدود الليديين لم يخضعوا بل عزموا على القتال وعلة تلك الحرب على قول هيرودوتس هي ان قومًا من السكيثيين الذين اخضعهم كيكسارس أطاعوهُ وبقوا في مادي مدة ثم سئموا سلطتهُ فهربوا والتجأوا الى ملك ليديا المسمى اليانس فلما علم بذلك ملك مادي طالبهُ بهم لكنهُ ابى فاشهر كيكسارس الحرب عليهِ ولما عرفت

محالفة ملك بابل وملك مادي — قبائل اسيا الصغرى بقدوم الماديين على الليديين عاونتهم فاستدعى ملك مادي لمساعدتهِ نبوبُلاصر فأمدَّهُ بفرقةٍ من العسكر فالتقى الفريقان واحتدمت الحرب فظلت نحو ست سنين ولم يغلب احدها الآخر واتفق يومًا وقد حمي وطيس الحرب أن اظلم النهار لكسوف الشمس فخافوا جميعًا وبادروا الى المصالحة فتم الصلح على المساواة وتحالف الملكان واعطى

نهاية الحرب سنة ٦١٠ — اليانس بنتهُ زوجةً لاستياجس ابن ملك مادي فكان السلم بين ثلث ممالك قوية وهي مادي وليديا وبابل والمرجح ان ذلك كان سنة ٦١٠ ق.م. لانهُ في تلك السنة كسفت

الشمس وظهر كسوفها في تلك النواحي لكن بعض علماء الفلك ذهب الى انهُ حدث سنة ٥٩٧ ق.م. ولم نقف بعد هذا على شيء من اخبار كيكسارس الى حين موتهِ وذلك سنة ٥٩٣ ق.م. وكان ملكهُ ٤٠ سنة على ما نصَّ هيرودونس وكان ملكًا مقتدرًا في الحرب كما اتضح مما ذُكر ورفع مملكة الماديين من حضيض الدناءة الى اوج المجد فبلغت المقام الاول بين ممالك اسيا ولكنهُ لم يعلم ان يبنيها على اساس متين فلم تبقَ على تلك الحال طويلاً كما سيأتي

موت كيكسارس سنة ٥٩٣ ق.م

أسنياجس

٥ وملك أسْنياجس حينئذٍ مملكة مادي وبقي ملكهُ طويلاً لكنهُ لم يشتهر لكسلهِ وتقاعدهِ عن العمل والحرب فانهُ ظن مملكتهُ على قوةٍ كاملة واتساع كافٍ فتمتَّع برفاهة العيشة وملأ قصرهُ من اسباب الرغد ومن ذلك اليوم ضُرِب المثل في رفاهية ملوك الشرق ولم يكن لأسنياجس ابنٌ وقيل انهُ لم يرزَق نسلاً من ابنة ملك ليديا فتزوَّج غيرها قال هيرودونس انهُ رُزِق اخيرًا ابنة اسمها مَنْدَانة زوَّجها من كمبيز امير الفُرس اذ رأَى حلمًا ينبئهُ ان ابن بنتهِ يعزلهُ فلم يزوِّجها احد الملوك قصد ان يبطل النبوة وكان الفرس وقتئذٍ من توابع مادي. ثم رأَى حلمًا آخر اخافهُ فاستدعى ابنتهُ من بيت زوجها فولدت ابنًا في قصرهِ عمد الى اهلاكهِ لكي يُبطِل الرؤْيا فدفعهُ الى رجل من حاشيتهِ اسمهُ هَرْبجس وامرهُ بان يهلكهُ فاعطاهُ هربجس أحد الرعاة وامرهُ بذلك فاخذهُ الراعي الى بيتهِ وربَّاهُ كابنهِ واخفى امرهُ الى ان كبر وكان قد سُمِّي كورش فكُشِف امرهُ وعلم الملك بما كان فاستدعى هربجس وأولم لهُ كانهُ يريد اكرامهُ وامر الخدم ان يقبضوا على ابن هربجس من غير علمهِ ويذبحوهُ ويطبخوهُ ويقدموهُ لهُ طعامًا وهو لا يعلم بذلك ففعلوا واكل منهُ هربجس ثم امر الملك فأُتي براس الولد وأُخبر هربجس بما كان فسكت راضيًا طائعًا وهو على غاية من الحقد وتوقع نهزة الانتقام الشديد اما كورش فلم يقتلهُ الملك بل حافظ عليهِ وربَّاهُ في بيتهِ ولما كبر اظهر من الحذاقة وحسن الاخلاق ما سرَّ بهِ الناس والملك جميعًا فلم يتوقَّع منهُ شرًّا واذن لهُ في الذهاب الى ابيهِ اما هربجس فرآهُ احسن واسطة لانتقامهِ من الملك فهيج العظماء وبعث الى كورش ينبئهُ بأنهُ عزم على تمليكهِ وحضَّهُ على ان يهيج الفتنة على أسنياجس لان كثيرين من الماديين قد كرهوهُ وقال لهُ ان فعلت ذلك وقدمت بجيشٍ انحازوا اليك من فورهم فحشد كورش جيشًا من الفرس وهاجم مادي وصار كما قال وأَسر أسنياجس

قصة هيرودونس في امر كورش

حقيقة اخبار كورش

هذا خلاصة ما نصّهُ هيرودوتس من أمر كورش ولعل اكثرهُ تخرُّصات لان ما علمناهُ من اثار كورش المكشوفة حديثًا انهُ كان من نسلٍ ملكيّ وان اباهُ كمبيز كان ملك عيلام لا ملك الفرس وان كورش افتتح مادي اولاً وتسلط عليها ثم بلاد فارس فصار المورخون يلقبونهُ بملك الفرس فقط اذ سبقت هذه الامة سائر الامم في الشهرة والمآثر غير انهُ من الممكن ان بلاد عيلام خضعت بعض الخضوع لمادي قبل ايام كورش. اما بقية القصة فمن قبيل التخرصات كما ترى في اخبار كورش . والخلاصة ان كورش استولى على مملك مادي بلا خلاف وانقرضت دولة مادي في نحو سنة ٥٥٨ ق . م. غير ان في هذه القصة نظر لان آثار كورش لا توافق اخبار هيرودوتس البتة من جهة اوائلهِ

خلاصة امر الماديين

٦. فزالت سلطة الماديين بعد ان بلغوا اسمى مقام بتدبير كيكسارس الذي وسّع تلك المملكة حتى كادت تساوي مملكة اشور وكانت قوتها كقوتها ولم يجد الذين تسلط عليهم الاَّ قهرًا بدليل انهُ لما قام على المملكة ملكٌ ضعيفٌ خانوهُ فسقط هو وكل مملكتهِ واخذ مقامهُ من هو اشد منهُ بأسًا وذكاء

الفصل الثالث

في لغة الماديين ودينهم وما يتعلق بهِ

اللغة

١. ولغة الماديين من اللغات الاريانية اي الهندية الاوربية وتختلف كثيرًا عن اللغات الساميّة المار ذكرها وتعرف من كتابهم زَنْدَاڤِسْتَا وهي قريبة من لغة الفُرس فلا تختلف عنها الاَّ قليلاً وكلٌّ منهما يشبه لغة السنسكريت وهي لغة الهند القديمة ولنا منها بعض ما ذُكر من اسمائهم وهو ديوكِس او الضحّاك ومعناهُ العاض واستياجس اي أَجِيس ضحّاك ومعناها الحيّة العاضّة وفراوَرْتيش اي الحامي او الحارس وكيكسارس اي حسن العين .

الكتابة

وهل كانوا يكتبون ذلك لم يعلم العلم اليقين والارجح انهم استعملوا الكتابة وكان

خطهم السفيني كالاشوريين وحروفهم سبعة وثلاثون والاصوات الاصلية ثلاثة وعشرون وعلومهم ما لا يعتدّ بهِ فنضرب عنها صفحًا

دين المادين

٢ ودينهم من اهم الاديان التي وضعها البشر واصولهُ مبينة في كتابهم الزند افستا وهذا الكتاب قديم جدًّا الفَ قبلما هجر المادبون وطنهم الاصلي او قبل ان عرفوا الكتابة وعقيدتهم الاصلية عبادة المادَّة كانَّ الله ذاتهُ فيها ونجم عن تلك العقيدة عبادة الاصنام المفسدة ولكن بعضهم لم يسلم بتلك العقيدة فعمد الى اصول ذلك الدين واصلحها فكان من عقائدهِ ان المعبود ينبغي ان يكون ذاتًا مجرّدةً عن المادة ومتسلطًا عليها ونسبت هذه العقيدة الى رجل يقال لهُ زُورواسْتِر او زرادُشْت وقال بروح صالح خالق الانسان وكل ما يتمتع بهِ وسماهُ أَهُرامَذْزا واثبت لهُ كل الصفات الحسنة وجعل لهُ جنودًا من الارواح الصالحة تخدمهُ كالملائكة ولم يقف زرادشت او من خلفوهُ عند هذا الاعتقاد الصحيح فانهم لما رأوا شرور العالم والنوازل اللاحقة بهِ من كل جهة وان مقابل كل خير او بركة شرًّا ومصيبة وان الناس يزدادون شرًّا طفقوا يتفلسفون وقالوا علّة ذلك روح شرير يقابل الروح الصالح بالقدرة ياتي ويفسد كل اعماله وكلما خالق ذاك شيئًا جيدًا خالق هذا رديئًا كفوًا لهُ يفسدهُ ويحوّلهُ الى لعنة او مصيبة ويعمل الشرير كل ذلك بالاختيار وليس للروح الصالح قوة على ان يبيدهُ وان للشرير عبيدًا ايضًا يقضون اوامرهُ ويحاربون خَدَم الصالح الّا ان هولاء اقدر قليلاً فيضرُّون بهم اكثر مما يُضَرُّون منهم

الروح الشرير

مشابهة ديانتهم لديانة اليهود

٣. فنرى في كل ذلك مشابهة عظيمة لديانة اليهود الّا ان اليهود لم يعتقدوا ان الشيطان كالله قدرةً كقول اولئك بالروح الشرير وبانهُ يعمل ما يشاء على رغم الروح الصالح. وماثلوا اليهود في انهم نهوا عن عبادة الاصنام لكنهم بعد حين افسدوا هذه العقائد الممدوحة فاخذوا يعبدون الارض او تربتها كاصل الحياة ثم عبدوا الشمس او النور والنار والهواء واعتبروا النار جسدًا طاهرًا ولم يسمحوا باطفائها على مذابحهم فظنوها نازلة من السماء والذين ادخلوا الفساد في ديانة المادبين هم كهنة المجوس وعلماؤهم فانهم تسلطوا على عقول الناس تسلطًا عظيمًا فاحترموهم كل الاحترام حتى تسلطوا على الملك فكان يستشيرهم ولم يجسر على انكار شيء من ارائهم وهم الذين سجدوا للنار ومن شرّ عوائدهم انهم كانوا يقدمون المسكرات على مذبح الاله السكر ثم يشرب الكهنة منها حتى يغيبوا عن الوجدان وعلّموا غير

عباد العناصر الاربعة المجوس

الخلود والمجازاة بعد الموت

ذلك من العقائد المفسدة . والظاهر ان الماديين اعتقدوا الخلود والثواب والعقاب بعد الموت فان الصالحين على ما يقولون يستقبلهم الروح الصالح ويُرحِّب بهم فيدخلون الديار السعيدة اما الاشرار فيطرحون الى الهاوية مملكة الروح الشرير ويأكلون الاطعمة السامَّة وذهب بعض العلماء الى ان في اعتقادهم ما يشير الى قيامة الاموات لكن ذلك لم يبيَّن.

وخلاصة ما يقال في دين الماديين انهُ غريب لما فيهِ من صحة الاعتقاد
وانهُ احسن الاديان التي اخترعها البشر ولعلهُ احسن ما يمكن
الانسان ان يصل اليهِ بدون اعلان الله ووحيهِ
سبحانهُ وتعالى رب السرائر
والمعلنات

القسم السادس

في تاريخ سورية

الفصل الاول

في حدود البلاد ووصفها واقسامها

حدود البلاد واتساعها

١. سورية والمراد بها هنا سورية الرومانيين يحدُّها شمالاً اسيا الصغرى وشرقًا الفرات والبادية وجنوبًا جزءٌ من بلاد العرب يسمى التِّيه وغربًا بحر الروم فطولها ينيف على ٤٠٠ ميل وعرضها يختلف كثيرًا ومعدَّلهُ نحو ١٢٠ ميلاً ومساحتها نحو ٥٠٠٠٠ ميل مربع وارضها في الغالب جبليَّة واكثر جبالها يمتد في طولها متوازيًا الى شط البحر كجبل لبنان والجبل الشرقي وجبال النصيرية وبين هذه الجبال اودية مخصبة جدًّا كالبقاع بين جبل لبنان والجبل الشرقي. وسمى اليونان والرومانيون هذه البقعة وما يتصل بها الى نواحي حمص وحماة كيلي سوريه (اي جوف سورية او وادي سورية)

هيئتها

العاصي، الليطاني، الاردن، بحر طبرية، بحر لوط

٢. واعظم انهرها نهر العاصي يخرج من شمالي بعلبكَّ ويجري شمالاً ويصب في البحر قرب السويديَّة ونهر الليطاني ومخرجهُ قرب بعلبكَّ ايضًا لكنهُ يجري جنوبًا في البقاع ويصب في البحر قرب مدينة صور ونهر الاردن ولهُ مخارج عديدة عند حضيض جبل الشيخ ويجري جنوبًا ويصب اولاً في بحيرة الجليل او بحيرة طبرية وهي اوطأ من البحر المتوسط بنحو ٦٥٠ قدمًا ثم يخرج وينحدر كثيرًا الى ان يصب في بحيرة لوط او البحر الميت وهو من اغرب بحور الارض فانهُ اوطأ من البحر المتوسط بنحو ١٣٠٠ قدم ولا مخرج لهُ وطولهُ نحو ٤٦ ميلاً وعرضهُ نحو ١٠ اميال ومياههُ مالحة جدًّا حتى لا يعيش فيهِ السمك

٣. وكانت اقسام هذه البلاد عديدة اذ كان سكانها اجنادًا مختلفة فمنهم الحثيون

وكان اكثرهم في الشمال لكنهم انتشروا في الجنوب وانقسموا الى عدة اقسام . القسم الاول
الحثيون الحثيون الشماليون وعاصمتهم مدينة كركميش . والثاني الپاتينيون وعاصمتهم مدينة كنلوا
اسفل نهر العاصي . والثالث الحموتيون وعاصمتهم مدينة حماة وكان للحثيين على العاصي
مدينة أُخرى اسمها قادش ذُكِرت كثيرًا في حروب المصريين معهم . والرابع الحثيون
الجنوبيون وانتشروا من ارض حماة الى فلسطين وذكروا في اخبار بني اسرائيل ولعل
الاراميون عاصمتهم مجدو في وادي نهر المقطع . ومن اجناد سورية الاراميون وكانوا اقسامًا ايضًا فمنهم
اهل ارام دمشق واهل ارام معكة واهل ارام صوبة واهل ارام النهرين وسكنوا الجوانب
الشرقية من سورية وما يليها ما بين النهرين وعاصمتهم الخاصّة دمشق . ومن اجنادها
الفينيقيون الفينيقيون وكانوا يسكنون الشطوط البحرية من يافا الى اللاذقية وكانت بلادهم ضيقة لانها
لم تكن سوى السواحل الواقعة بين الجبل والبحر وكانت لهم عدة مدن معتبرة مثل صور
وصيدا وبيروت وجبيل وارواد وغيرها

ومنهم الفلسطينيون وكانوا يسكنون الجنوب الغربي من تخوم الفينيقيين الى تخوم مصر
ومنهم عدة اجناد في الجنوب والجنوب الشرقي كالكنعانيين وغيرهم الذين طردهم بنو
اسرائيل وسكنوا اماكنهم كما سيذكر في انباء العبرانيين او بني اسرائيل الذين سكنوا
فلسطين

الفصل الثاني

في اخبار سورية القديمة

اصول تاريخها (١) الاثار خاصة آثار مصر واشور وفينيقية وقد وُجدت اثار قليلة للحثيين ولكن كتابتها لم تزل مبهمة (٢) كتب قديمة وهي التوراة وهيرودوتس ومقتبسات من كتب مناندر وديوس في تاريخ فينيقية ويوسيفوس

(٣) كتب حديثة وهي تاريخ فينيقية لكنريك الانكليزي Kenrick, J. Phœnicia.
وتاريخ فينيقية لمفرس الالماني Movers, Die Phönizier.
وتاريخ اليهود لملمان الانكليزي Milman, H.H., History of the Jews.
وتاريخ شعب اسرائيل لاڤالد الالماني Ewald, Geschichte des Volkes Israel.

ولم تكن هذه البلاد مملكة واحدة كما رأيت فما لنا الآن نبحث عن تاريخها حسب اجنادها المختلفة فناتي به اجزاء

الجزء الاول

في اخبار الحثيين

١. الحثيون من نسل حام وبنو حام هم اول مَن استوطنوا البلاد لكنّا لم نعرف شيئًا من أمر مجيئهم اليها ولا زمان ذلك ولعلّهم اتوا حين رحل اخوتهم الى مصر او نحو ذلك واشتهر الحثيون بالشوكة مدةً لكنهم لم يبلغوا غاية قوتهم الاّ في ايام الدولة الثامنة عشرة من دول مصر حين التحمت الحرب بينهم وبين ملوك مصر وقد ذكرنا في تاريخ مصر ان ثوطميس الاول هاجم غربي اسيا وحين مروره في سورية التقى بقبيلة تسمى على الآثار الرتنو وهم من أُمة الحثيين على الارجح وكانت الحرب في نواحي دمشق وانهزموا (راجع تاريخ مصر رقم ٩) ثم اوقع بهم ثوطميس الثالث في بقعة مجدّو في فلسطين وكان معهم عددٌ وافر من القبائل كانهم روساء كل البلاد وكانت الحرب شديدة فبدد ثوطميس شملهم واستولى على مدن كثيرة (راجع تاريخ مصر رقم ١٠) وقد رأينا في اخبار الدولة الثامنة عشرة ان الحثيين من اشد اعداء المصريين وقد غلظ امرهم وعظم جاههم كثيرًا مع ان سيتي الاول قهرهم وتوغّل في بلادهم حتى بلغ ما بين النهرين وكان لرعمسيس الكبير حرب شديدة معهم وادّعى بالفوز والواقع على ما تبين لنا جليًا انهُ لم يتمكن من اخضاعهم التام اذ استمرّت الحرب نحو اربع عشرة سنة وحالفهم اخيرًا على السواء (راجع تاريخ مصر رقم ١٢—١٣) فلا يخفى ما في هذا من البرهان الصريح على قوة الحثيين وقتئذٍ فان مملكة مصر كانت اعظم مملكة في العالم ايام رعمسيس الكبير وهو اعظم ملوكها واشدهم بأسًا وقدرةً ولو وردت الينا اخبار الحثيين منهم كما وردت اخبار المصريين لرأينا من امرهم زيادة المجد والقوة

ثوطميس والرتنو

ثوطميس ٣

رعمسيس الكبير

رعمسيس ٣ لا محالة وكان هذا نحو سنة ١٢٠٠ ق ٠ م ٠ وسار رعمسيس الثالث بعد ان طرد جنود الشمال الذين هجموا على مصر للانتقام منهم وحين مروره في سورية قاتل الحثيين وغلبهم وادّعى انهُ اباده وخرب بلادهم لكنهُ قال ذلك على سبيل المبالغة وبقي الحثيون في محلاتهم وتقووا ايضًا اذ ضعفت مصر ومملكة اشور لم تكن قد بلغت قوتها ولم تكن قادرة على غزوة سورية ولما تناقم امر الاشوريين وشرعوا يغزون الاقطار البعيدة هاجموا هذه البلاد فوجدوا

مهاجمات الاشوريين الحثيين مقاومين لهم واول من حاربهم من ملوك اشور تغلث فلاسر الاول الذي ملك في نحو سنة ١١٢٠ ق ٠ م ٠ وهاجم المجاورين الفرات منهم ثم تقدم وبلغ البحر وغزا بلادهم (راجع تاريخ اشور رقم ٥) ثم دوّخ اشورازربال بلاد الحثيين وتوغل فيها واخذ الجزية من ارواد وجبيل وصيدا وصور والظاهر ان اكثر اجناد سورية خضع لاشور يومئذٍ وكان ذلك من نحو سنة ٨٨٢ الى ٨٥٨ ق ٠ م ٠ الَّا ان الحثيين وغيرهم خرجوا عليها كثيرًا كما يتضح من مهاجمات ملوك اشور العديدة في بلادهم فان شلمناصر الثاني قاتلهم سنين متوالية كما مرّ في اخباره

الجزء الثاني

في اخبار الاراميين

١٠ الاراميون من بني سام استوطنوا الانحاء الشرقية من سورية منذ عهدٍ قديم فان

دمشق دمشق عاصمتهم الخاصّة بنيت قبل ايام ابرهيم والظاهر انها كانت ذات شان حين رحل الى ارض كنعان٠ قال يوسيفوس ان بانيها عوص بن ارام بن سام فتكون قد بنيت في القرن الثالث بعد عهد الطوفان ولعل المراد بذلك ان نسل عوص بنوا المدينة فلا يُعلَم زمان تأسيسها الَّا انها اشتهرت نحو ٢٠٠٠ سنة ق ٠ م ٠ ولم يشتهر من الاراميين الَّا اهلها ولم يُذكَر الاراميون في التواريخ من عهد ابرهيم الى زمن مُلك داود الَّا قليلًا وذُكر الرتنو

الاراميون الاولون والحثيون كثيرًا في اخبار مصر ولم يرد فيها ذكر الاراميين صريحًا ولعل سبب ذلك كونهم في الجوانب الشرقية من بلاد سورية فلم يكونوا في طريق ملوك مصر حين كانوا يسيرون الى الشمال وما بين النهرين لانهم ساروا في طريق السواحل البحرية او البقاع الى حمص

وحماة ومن ثمَّ الى الفرات وقلما اجتازوا جانب البلاد شرقي الجبل الشرقي حيث سكن اكثر الاراميين وقويت شوكة دمشق في ايام داود وسليمان فلم يستطيعا الاستيلاء عليها مع ان داود غلب جنود ارام معكة وارام صوبة وارام النهرين (٣صم ص ١٠) وملك سليمان تدمر في البرية شرقي دمشق وقد راينا قوة هذه المدينة في اخبار ملوك اشور فان شلمناصر الثاني قاتل ملك دمشق مرارًا واشتدَّ القتال بينهما كثيرًا فسلم ملك دمشق ولكن بعد حروب كثيرة (راجع تاريخ اشور فصل ٢ رقم ٧) وكان ذلك في نحو سنة ٨٥٠ الى سنة ٨٤٠ ق.م. ثم ان فول لوش حارب دمشق واخذها على قوله غير ان الاشوريين لم يتمكَّنوا من ذلك الى ايام تغلث فلاسر الثاني في نحو سنة ٧٣٢ ق.م. وبعد هذا ضعفت دمشق ولم تذكر الى حين قوة دمشق

٣. ملوك دمشق على ما جاء في التوراة وانباء اشور

(١) **هدد.** ملك في ايام داود نحو سنة ١٠٤٠ ق.م. وربما شارك الاراميين الآخرين في محاربته

و(٢) **رَزون.** ملك في ايام داود وسليمان في نحو سنة ١٠٢٠ الى سنة ١٠٠٠ ق.م. وكان من رجال هدرعزر نجا وجمع غزاة واستولى على دمشق (امل ١١: ٢٣ — ٢٥)

و(٣) **طبريون.** ملك في نحو سنة ٩٦٠ الى سنة ٩٥٠ ق.م. (امل ١٥: ١٨)

و(٤) **بنهدد.** ابنه ملك في نحو سنة ٩٥٠ الى سنة ٩٢٠ ق.م. حارب بعشا وعمري

و(٥) **بنهدد ٢.** ابن السابق حارب اخاب ملك اسرائيل وقتله حزائيل

و(٦) **حزائيل.** ملك في نحو سنة ٨٥٠ ق.م. وحارب شلمناصر الثاني ملك اشور

و(٧) **بنهدد ٣.** ابنه ملك في نحو سنة ٨٤٠ ق.م. وضايق اسرائيل غير ان يواش ملكها غلبه ثلاث مرات ومن ثمَّ انقطعت سلسلة ملوك دمشق الى ايام رصين

و(٨) **رصين.** ملك في نحو سنة ٧٤٥ ق.م. وهو الذي اخضعه تغلث فلاسر الثاني وقتله

الجزء الثالث

في اخبار الفينيقيين

١. الفينيقيون من بني كوش وجزء من الكنعانيين الذين سكنوا شطوط البحر وأودية ارض كنعان وسهولها وتفوّقوا اكثر من اخوتهم وانتشر صيتهم في الارض اكثر من كل اجناد سورية سوى العبرانيين فيهمنا ان نستوفي اخبارهم بالتدقيق

وطنهم الاصلي وزمان ارتحالهم

وطن الفينيقيين الاصلي شطوط خليج العجم حيث سكن بعض بني كوش كما مر ولعلّهم اتخذوا البحرين عاصمة لتسهيل اعمالهم البحرية التي سبقوا اهل الارض بها ايام عظمتهم . ولم يعرف زمان ارتحالهم من الوطن ومجيئهم الى ارض كنعان ولكن يجب ان يكون منذ اكثر من ٣٠٠٠ سنة ق.م . لانهُ لما اتى ابرهيم الى البلاد كان الكنعانيون فيها وقال هيرودوتس ان هيكل ملكارث (اي هرقل) في صور بُني منذ ٢٣٠٠ سنة قبل زمانهِ اي في نحو سنة ٢٧٠٠ ق.م. لكن ارباب التحقيق حملوا ذلك على المبالغة. واذا نظرنا في احوال الكوشيين في وطنهم حق النظر وبحثنا عن علة مهاجرة الكنعانيين والفينيقيين رأينا ان التشويش وقع بينهم حين مهاجمة الاريانيين او العيلاميين لمملكة نمرود وان الكوشيين ضُويقوا حينئذٍ فلعل ذلك سبب مهاجرة بعضهم الى شطوط بحر الروم فان صح هذا الظن فارتحالهم في نحو سنة ٢٣٠٠ ق.م . (راجع تاريخ الكلدانيين رقم ٤)

مدن فينيقية

٢. ولما وصل الكوشيون الى سورية نزلوا في الارياف لانهم كانوا مولعين بالاعمال البحرية في وطنهم وبنوا هناك عدة مدن أولها صيدا كما سيأتي

ارواد

فاول مدينة لهم في الطرف الشمالي أرْواد على جزيرة ارواد وكانت مدينة مستقلة قوية ناجحة التجارة معتبرة الآثار. ولها جملة من المدن على الشطوط المجاورة كمدينة انطرطوس (وهي طرطوس) تجاهها . ومدينة مرَثوس (وهي عَمريت) الى الجنوب منها . وسِمِيرا قرب النهر الكبير. وسمرون او ارَثوسيا في ارض عكّار. ومن مدنهم طرابلس بناها جماعة من

طرابلس

ارواد وصيدا وصور فكانت المدينة ثلاثة أحياء ولذلك سمّيت تريبولس اي المدينة المثلثة ثم قيل لها طرابلس . والى الجنوب منها بَتْرِس وهي البترون . والى الجنوب منها بِبْلُس اي

جبيل

جبيل وكانت مدينة ملكية مستقلة وكانوا يعدونها مقدسة لان أدُونس احد الهتهم كان

هناك . ومنها بيروت بناها اهل جبيل على ما قيل ولهذا كانت في اول امرها تابعة لمدينتهم.
اما صيدا فاقدم مدن الفينيقيين بناها صيدون بن كنعان بن حام فسماها باسمهِ وبقيت زمانًا طويلاً متقدمة على كل مدن فينيقية حتى دُعي كل اهل فينيقية صيدونيين كما ورد في التوراة وفي اشعار هوميروس الشاعر اليوناني المشهور ولعل اسم صيدا مشتق من الصيد لان اهلها كانوا صيادي سمك صيدا

واما صور فاسسها الصيدونيون وكانت خاضعة لهم زمانًا الَّا انها استقلت اخيرًا وسبقت امها صيدا وكانت مبنية اولاً على البرّ ثم بنى اهلها على جزيرتين صغيرتين تجاهها واوصلوا بينها فصارت مدينة قوية. ومنها عكا وهي بطلمايس وربما امتدت سلطة الفينيقيين الى نواحي يافا وكانت لهم مدن أُخرى والتي ذكرناها اكبر ما سواها واشهر وكانت كلها على شط البحر او على القرب منهُ واراضيها ضيقة. وبلغ اهل صيدا الحولة واستولوا على نواحي تل القاضي وكانت لهم مدينة تسمّى لايش كما نستنتج من التوراة (قضاة ص١٨) وتسلط الفينيقيون على اماكن مختلفة في الابحر بغية ترقية التجارة وسنذكر بعضها في محلهِ صور

٣. ولم تكن سياسة الفينيقيين قوية لعدم اعتصابهم فكانت كل مدينة ذات شان مستقلة ولها ملك خاصّ بها فلذا في تاريخها ذكر ملوك ارواد وجبيل وبيروت وصيدا وصور وغيرها غير ان بعض المدن تقوّت اكثر من غيرها ورأستها في بعض الامور ولاسيما صيدا وصور اللتان قويتا اكثر من سائرها على التوالي فتقوّت صيدا اولاً ثم سقطت وخلفتها صور في ذلك كما سيأتي سياسة الفينيقيين

٤. وصيدا اقدم مدن الفينيقيين كما ذكرنا وغلظ امرها كثيرا في الزمن القديم فكانت مدة قوتها نحو ١٣٠٠ سنة ق . م . وسبب نجاحها ونجاح كل مدن الفينيقيين التجارة فانهم اعتنوا بها اكثر من غيرهم في تلك الايام حتى قام اليونان فخاطر الفينيقيون كثيرًا في البحر وسافروا اسفارًا طويلة وخاضوا الابحر البعيدة وكان ذلك من اعظم الامور في تلك الايام اذ لم يعرف الناس يومئذٍ من سلك الابحر الَّا قليلاً ولم تكن عندهم ابرة الملاحين المعروفة اليوم ولا سفن كبيرة تحمل دفع القواصف فكانوا يلازمون الشطوط ولا يتوغلون في البحر. والفينيقيون اول من جاوزوا ذلك الحدّ وبلغوا الاماكن البعيدة بحرًا فاتسعت تجارتهم وكثرت ثروتهم وشهرتهم وكان لصيدا التقدم في هذا اولاً فعظمت الى ان رأست سائر مدنهم لكنها لم تتسلط عليها كل التسلط فبقيت تلك المدن على نوع من زهو صيدا ورياستها

الاستقلال غيرانها سلمت اصيدا بالرئاسة في دفع الاعداء وبعض امور التجارة ولم تتمكن صيدا من امتداد سلطانها برًّا ولما عظم امر المصريين ايام الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين من القرن السابع عشر الى نحو القرن الثاني عشر ق.م. خضع الفينيقيون بعض الخضوع لهذه الدول على ما يظهر ودفعوا الجزية او انهم قاموا بخدمة ملوك مصر في البحر بدلاً من الجزية وكانت سفن المصريين حينئذٍ فينيقية وملاحوها فينيقيين وما اتوا ذلك الاّ بشرط ان تطلق لهم الحرية في امور التجارة ومما يؤيد القول بان صيدا صالحت الفراعنة يومئذٍ أنها لم تذكر في سجلّ فتوحاتهم في سورية

خضوع الفينيقيين لملوك مصر

وظلت صيدا متقدمة على سائر مدن الفينيقيين بضعة قرون ثم سقطت وكان سبب سقوطها ان اليونان ومحالفيهم اخذوا يباشرون امور البحر ومنعوا الفينيقيين واستولوا على بعض عواصمهم واتى الفلسطينيون وسكنوا الشطوط البحرية بين فينيقية ومصر واعتنوا بالملاحة وتقوّوا حتى عزموا على مقاومة صيدا فجمعوا سفنًا كثيرة وركبوها واوقعوا بصيدا بغتةً والظاهر ان الصيدونيين لم يكونوا على حذرٍ فظنوا انهم اقوى من سواهم في البحر فلا يجسر احد على ان يحاربها فيه اما الفلسطينيون فانكبّوا عليهم بقوة لا تُرَدّ وافتتحوا صيدا وخربوها وقتلوا سكانها وهرب من نجا منهم الى صور فامست صيدا بلا ساكن مدةً

سقوط صيدا

٥ ثم اخذت صور تتقدم الى ان بلغت مقام صيدا في الرياسة على بقية مدن فينيقية وكان تسلطها اعظم من تسلط صيدا فكانت عدة من المدن التي خضعت لها مستقلة في امورها الداخلية. وكانت المدن الباقية ترسل معتمدين الى صور ليبحثوا عن الوسائط اللازمة لوقايتها كلها فنجح امر الفينيقيين بعد سقوط صيدا او ايام رياسة صور وزادوا نجاحًا بان مصر اخذت تضعف فاستقلوا ولكنهم لم يظهروا حينئذٍ شيئًا من بأسهم لان بني اسرائيل دخلوا بلاد كنعان وضايقوا اخوتهم الكنعانيين ولم يهمهم ذلك فهاجر كثيرون من الكنعانيين الى فينيقية وسكنوا الجزائر وشطوط البحر فاتسعت تجارة الفينيقيين وكثرت اتباعهم. ثم عاهد حيرام ملك صور داود وسليمان فتوطدت اركان المودة بينه وبين بني اسرائيل واتجرت امته في بلادهم وانتفع بحاصلات اراضيهم لان اراضي الفينيقيين لم تكن كافية لان يحصل منها ما يفي بحاجة اهلها وكانت مدة رياسة صور منذ نحو ١٢٠٠ سنة ق.م. الى ايام سرجون الاشوري اي نحو ٥٠٠ سنة. ولا ريب في ان المورخين القدماء اعتنوا بتسطير حوادث تلك السنين واعتبروها كل الاعتبار وطالع انباءها مناندر في كتب الصوريين وألف في

ارتقاء صور وتقدم الفينيقيين

اخبارها كتاباً لم يبقَ منهُ الاَّ قليل ومن بقاياهُ اسماء ملوكهم من نحو سنة ١٠٥٠ الى نحو سنة ٨٣٠ ق٠م

ملوك صور من نحو سنة ١٠٥٠ الى نحو سنة ٨٣٠ ق٠م

٦٠ **ملوك صور.** (١) **ابيبعل** في ايام داود . و(٢) **حيرام** ابنهُ قام في ايام داود وسليمان في نحو سنة ١٠٣٥ ق٠م، وملك ٣٤ سنة . و(٣) **بعلعازر** ابنهُ قام في نحو سنة ٩٩١ ق٠م، وملك سبع سنين. و(٤) **عبد عشتاروث** ابنهُ قام في نحو سنة ٩٨٤ ق٠م، وملك تسع سنين ثم قُتِل. و(٥) **دليلعشتاروث** مغتصب الملك بعد عبد عشتاروث. و(٦) **عشتاروث**. و(٧) **عشتوريم** . و(٨) **فاليس**. و(٩) **اثبعل** قاتل فاليس قام في نحو سنة ٩٤١ ق٠م، وملك ٣٢ سنة. و(١٠) **بادزور** ملك ست سنوات. و(١١) **متغن** او متان قام في نحو سنة ٩٠٣ ق٠م، وملك ٣٢ سنة و(١٢) **بغماليون** او بيماليون بن متغن او متان وخليفتهُ ملك ٤٧ سنة . اي من نحو سنة ٨٧١ الى سنة ٨٢٤ ق٠م

اخبار حيرام

واخبار هولاء الملوك قليلة ومنهم حيرام واشتهر اكثر من خلفائهِ فزخرف صور وكانت مبنية على الجزيرتين فاوصل بينهما وحصنهما واصلح المرفأ فامنت فيهِ السفن وبنى هيكل ملكارث واحكمهُ احسن إحكام وبنى هيكلاً آخر لعشتاروث وبنى قصرًا حسنًا لسكنى ملوك صور واقام كل تلك الابنية في الجزيرة فكانت يومئذٍ اكثر اعتبارًا من المدينة على البرّ ولا يخفى ما فعلهُ حيرام من اعانتهِ لسليمان في بناء هيكل الرب وقصر الملك وغيرهما من الابنية المشيدة في اورشليم كما نصَّ ذلك الكتاب (امل ص ٥) وتسلط حيرام على الصيدونيين وغيرهم من الفينيقيين (ولكن ملوك صور كانوا يلقبون احيانًا بملوك الصيدونيين) واستولى على جانبٍ من جبل لبنان واتسعت تجارتهُ كثيرًا وشاركهُ فيها سليمان وصاهرهُ فقويت رُبُط المودة بينهما

وقلما ورد ذكر ملوك صور بعد حيرام لكنهُ حدثت فتنة ايام عبد عشتاروث قُتِل فيها هذا الملك وخلفهُ واحد من العصاة فنتج عن ذلك اضطرابٌ وقلق في السياسة حتى

اثبعل

قام اثبعل الذي كان حبر الالاهة عشتاروث وانشأ دولة جديدة وهذا هو الملك الذي اعطى ابنتهُ ايزابل زوجةً لاخاب ملك اسرائيل (امل ١٦: ٣١) فانقطعت كل مودة بين ملوك صور وملوك يهوذا من نسل سليمان. واخذ ملوك اشور في هذه المدة يغزون سورية كثيرًا ولم تنجُ فينيقية من مهاجماتهم . وادَّعى اشورازيربال ان صور وصيدا وجبيل وغيرها

من المدن خضعت لهُ (راجع تاريخ اشور فصل ٣ رقم ٦)

٧. اما بادِزور ومتّان فلا يُعرَف من امرها ما يستحق الذكر. وقبلما هلك متان

بغماليون اوصى بملكهِ بغماليون وابنتهُ أليسّار اما اهل صور فلم يرضوا ذلك ومنعوا أليسّار عن المُلك وكان اخوها اصغر منها. وتزوجت السّار رئيس الكهنة وكان سامي المقام وحسب ثاني الملك فحسدهُ بغماليون وقتلهُ بعد سنين قليلة فحمي غيظ السّار ورامت الفتنة وحالفها كثيرون من الاعيان الذين لم يكونوا من حزب الملك لكنهم لم يقدروا على تتميم مقاصدهم فعمدوا الى

المهاجرون الى قرطاجنة الارتحال من المدينة ولما استولوا بغتةً على بعض السفن في المرفإ ادخلوا اليها اموالهم واصحابهم واقلعوا وأليسّار في مقدمتهم وحدث هذا في نحو سنة ٨٦٠ ق.م. وتوجهوا غربًا ونزلوا على شطوط افريقية الشمالية وبنوا هناك بعد حين مدينة قرطاجنة المشهورة وملكت فيها السّار وسماها الرومانيون ديدو وملك بغماليون بعد هذا نحو ٤٠ سنة

٨. ولم يُعرَف تتابع ملوك صور بعد موتهِ ولم تكن امورها يومئذٍ بذات شان ولعلهم

تاخر صور اطاعوا اشور واخذت تجارتها بالتناقص اذ قام اليونان وتقوَّوا بحرًا واستولوا على بعض عواصم الفينيقيين في الجزائر ولا سيما سيسيليا كما سيذكر وبقيت الاحوال هكذا نحو مئة سنة وخضعت صور لصولة اشور اذ طفق ملوكها يهاجمون نواحي سورية كثيرًا فورد من اواسط القرن التاسع الى اواسط القرن الثامن ق.م. في آثار اشور ذكر خضوع الفينيقيين والارجح انهم لم يخضعوا كل الخضوع وربما كان لهم رؤساء وطنيون يدفعون الجزية لاشور. ومن نحو

خيانة الوليوس ملك اشور سنة ٧٤٣ ق.م. اخذ الفينيقيون يرومون الاستقلال فعصوا اشور مرارًا وخرجوا عن طاعتها ايام شلمنأصر الرابع نحو سنة ٧٢٧ ق.م. وكان في مقدمتهم حينئذٍ الوليوس ملك صور. ولما قام سرجون في نحو سنة ٧٢١ ق.م. عزم ان يخرب صور فنازلها واستولى عليها وجمع سفنًا من بقية مدن فينيقية وشرع يهاجم الجزيرة فخرج الصوريون في ١٢ سفينة وكسروا العدوّ ولم يقدر ان يفتتح الجزيرة مع انهُ حاصرها خمس سنين فافرج عنها سنة ٧١٥ لكنهُ اخضع سائر فينيقية وركب بجيشهِ البحر وهاجم قبرس واستولى على توابع صور هناك

اخضاع سنحاريب فينيقية ولما هلك سرجون انتهز ألوليوس ملك صور الفرصة وتسلط على مدن فينيقية ومنع دفع الإتاوة لاشور ولكن سنحاريب المشهور لما صعد على سورية في نحو سنة ٧٠٠ او ٦٩٩ ق.م. اخضع هذه المدن وهاجم صور فهرب ملكها الى احدى الجزائر ولعلها قبرس واخضع سنحاريب كل فينيقية واقام عليها ملكًا يسمى اتبعل او توبال عوضًا عن الوليوس وظن

البعض ان سنحاريب رسم صورتهُ وكتب كتابةً على صخور نهر الكلب تذكارًا لهذه النصرة

اسرحدون ومن هذا الزمان ضعفت صور وزالت رئاستها على مدن فينيقية ولما خرجت بعد ذلك على اسرحدُّون في نحو سنة ٦٨٠ ق.م. لم تتقدم في الخروج عليهِ بل تبعت صيدا فانها كانت قد استرجعت بعض قوتها القديمة ولما قدم عليها ملك اشور افتتحها وخربها حتى غلب مَن التجأُوا الى السفن وتمكن من طاعة كل فينيقية وذكر ان من الذين اطاعوهُ ملك صور

اشور بانبال وملك جبيل وملك سمرون وملك ارواد ثم خرجت فينيقية ايضًا على اشور بانبال وعاهدت مصر وبعد اخضاعهِ مصر اخضع فينيقية وقال ان ملك صور (ويسمى بعل) ممَّن ضرب عليهم الجزية ولم يذكر صيدا ولعل علة ذلك انها لم تتقوَّ بعد مصيبتها السابقة اما ارواد فقاومت ملك اشور مقاومة شديدة ولما تيقن ملكها انهُ لا بد من التسليم قتل نفسهُ وقتل ملك اشور سبعةً من بنيهِ واقام الاكبر ملكًا على ارواد بشرط انهُ يخضع لهُ وبقيت فينيقية خاضعة لاشور الى حين سقوط هذه المملكة

نخو ونبوخذنصر ٩. ولا ريب في ان الفينيقيين قصدوا الاستقلال حينئذٍ لكن لما قام نخو ملك مصر وحارب مملكة بابل خضعت لهُ فينيقية نحو ثلاث سنين ولعلها اتت ذلك طوعًا ليرفع عنها نير ملوك الشرق. فطردهُ نبوخذ نصر ملك بابل من سورية وشرع يخضع فينيقية فاطاعتهُ مدنها سوى صور فانها قاومتهُ مقاومة شديدة فاضطر ان يحاصرها طويلاً قيل انهُ بقي محاصرًا لها ١٣ سنة ثم افتتحها وهرب بعض اهلها الى قرطاجنة (راجع تاريخ بابل فصل ٣ رقم ٣)

اسمونازر ملك صيدا ١٠. وقويت صيدا بعد سقوط صور لكنها اطاعت بابل واخذت تتقدم في التجارة وقام فيها يومئذٍ ملوك منهم اسمونازر وجد بعضهم تابوتهُ منذ بضع سنين في صيدا وكانت عليهِ كتابة فينيقية وهي من اعظم آثار لغتهم تبين منها ان صيدا اتسعت سلطتها يومئذٍ واعطاها ملك بابل جانبًا من سهول شارون في فلسطين. ثم اخذت صور تتقدم كذلك وكان لها ملوك غير ملوك صيدا لكنهم لم يملكوا بسلامٍ وكانت المدينة كثيرة الاضطراب والانقلاب في امورها السياسية

ملوك صور وقضاتها من نحو سنة ٥٩٧ الى سنة ٥٣٢ ق.م

قائمة ملوك صور وقضاتها في هذه المدة اي من نحو سنة ٥٩٧ الى نحو سنة ٥٣٢ ق.م.

(١) اثبعل الثاني ملك من نحو سنة ٥٩٧ الى سنة ٥٧٣ ق.م. و(١) بعل ملك من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٦٣ ق.م. و(٣) اكنيبعل وهو قاضٍ قضى ثلاثة اشهر

و(٤) خلبيس وهو قاض قضى عشرة اشهر و(٥) أباروس وهو حبرٌ وقاضٍ كهّن وقضى ثلاثة اشهر و(٦) و(٧) متغون وجرعشتاروث قاضيان مدتهما من نحو سنة ٥٦٣ الى سنة ٥٥٧ ق.م. و(٨) بلاطور ملك نحو سنة. و(٩) مربعل ملك اربع سنين وذلك من سنة ٥٥٦ الى سنة ٥٥٢ ق.م. و(١٠) حيروم ملك ٢٠ سنة وذلك من نحو سنة ٥٥٢ الى سنة ٥٣٢ ق.م. وفي السنة الرابعة عشرة من ملكهِ افتتح كورش بابل واستقلّ حيروم

ايام الفرس ١١. وبعد استيلاء الفرس على بابل خضعت لهم فينيقية وكانت سفنها تسير في خدمتهم وساعدت كمبيز بن كورش في اخضاع مصر لكنها ابت المسير الى قرطاجنة اذ كان اهلها من نسل الفينيقيين وبقوا على طاعة الفرس الى حين انقرضت دولتهم الّا انهم عصوهم مرارًا وسيرد ذكر امورهم في تلك المدة في تاريخ دولة الفرس ان شاء الله ثم ذكر مقاومة صور المشهورة لاسكندر الكبير حين ذهابهِ لحرب الفرس كما سيأتي

تجارتهم ١٢. وكانت تجارة الفينيقيين واسعة جدًّا كما تقدم وسبقوا فيها كل العالم حتى قام اليونان وجاروهم في الامور البحرية وكان اكثر بضائع التجارة الفينيقية منقولاً فكانوا ينقلون البضائع من كل اقطار الارض ويتاجرون بها لكنهم صنعوا بعض النفائس كالارجوان الذي رغب فيهِ الملوك حتى صار ارجوان صور كناية عن اللباس الملكيّ. وكانوا يتجرون بابدال بضاعة ببضاعة اذ لم تكن النقود يومئذٍ فاضطروا ان يستبدلوا ما اشتهوهُ من حاصلات الاقطار بمصنوعاتهم او بمنقولاتهم من البضائع. ومن اثمن الحاصلات التي رغبوا فيها القصدير والنحاس الاحمر فصنعوا منهما خليطًا صلبًا يصلح للآلات المحددة اتخذوهُ بدلاً من الحديد لقلتهِ في تلك الايام فاضطروا ان يسافروا بعيدًا ليجدوا ما رغبوا فيهِ فوصلوا اخيرًا الى اسبانيا (واسمها القديم هسبانيا) وبريطانيا غربًا واطراف البحر الاسود شمالاً وسافروا برًّا فبلغوا الاقطار البعيدة. وكان لهم ثلاث طرُق معتبرة لتجارتهم بالبر اولاها في الشمال وتؤدّي الى كبدوكية وارمينية حيث كانوا يبدلون مصنوعاتهم من النحاس والخيل والبغال والعبيد. وثانيتها تؤدّي الى تدمر ومن ثمّ الى تبسكس على الفرات حيث تفترق فساروا من الجهة الواحدة في شمالي ما بين النهرين الى نواحي اشور ومن الجهة الاخرى ملازمين الفرات الى بابل وراس خليج العجم ومن ثمّ ركبوا السفن الى البحرين والهند. وثالثتها في الجنوب وتؤدّي الى بلاد العرب. وكانوا يركبون السفن من خليج العقبة ويقطعون

طرق تجارتهم

البحر الاحمر ويدورون بجزيرة العرب وربما بلغوا الهند على هذه الطريقة. وكانت البضائع التي تاجروا بها كثيرة جدًّا ومتنوعة ذكر النبي حزقيال جانبًا منها في دعائهِ على صور (حز ص ٢٧) . ولا ريب في ان الفينيقيين استغنوا بتجارتهم ولا سيما اهل صور فاشتهى الملوك ثروتهم وكان هذا من اسباب سقوطها

١٣. وكانت مهاجر الفينيقيين التي نجمت عن تجارتهم عديدة واثرت كثيرًا في احوال الامم المجاورة لها اذ كان الفينيقيون متقدمين في التمدن قديمًا فامتد تمدنهم الى المهاجر ومن ثم الى الامم المجاورة فبنوا مدنًا في قبرس وكان جانب عظيم من عمران هذه الجزيرة فينيقيًّا وآثارهم باقية فيها ومن اقدم مهاجرها مدينة ثيبة في بيوتيا من بلاد اليونان ذهب اليها قدموس وقومهُ ولهم قصة معتبرة ستذكر في اخبار اليونان ان شاء الله وكانت لهم مهاجر كثيرة في جزائر الارخبيل الرومي وعلى شطوطهِ وشطوط البحر الاسود فعظم امر اليونان فطردوهم من تلك الجهات وكانت لهم مهاجر معتبرة على شطوط بحر الروم الغربية منها مسّاليا (وهي مرسيليا) في فرنسا وترْشُوس في إسبانيا (ولعلها ترشيش المذكورة في الكتاب (انظر حزقيال ٢٧: ١٢ و٢٥) وقادس وجملة مدن في سيسيليا واعظم مدنهم على شطوط افريقية قرطاجنة وهذه عظمت اكثر من سائر تلك المدن حتى سبقت صور امها وسياتي ذكرها مهاجرهم

١٤. وكانت صنائع الفينيقيين محكمة لكنها قليلة واعظمها الارجوان وهو صبغ استخرجوهُ من بعض الاصداف البحرية ويُعرف عند العلماء بالموركْس والبقسينوم وكان لونًا فاخرًا جدًّا صبغوا بهِ منسوجاتهم فعدَّت حينئذٍ من نفائس الارض ومن صنائعهم صناعة الزجاج بلغوا فيها غاية الاحكام ظن البعض انهم هم الذين اخترعوها لكنَّ ذلك لم يثبت لانهُ ظهر من الآثار ان المصريين سبقوهم في هذه الصناعة ومنها آلاتهم وآنيتهم المعدنية من الذهب والفضة والنحاس وغيرها . واشتهروا كثيرًا في صنع خليط من القصدير والنحاس الاحمر وهو المعروف بالبرنز وكانوا يقسّونهُ كثيرًا فيقوم مقام الفولاذ عندنا وهم لم يعرفوهُ يومئذٍ واستعملوا العاج وصنعوا منهُ نفائس مختلفة ولعلهم اتوا بهِ من افريقية او الهند صنائعهم

١٥. ولا يستحق الذكر من علوم الفينيقيين سوى علم الكتابة بحروف هجائية وليس هم اول من استعملوا الكتابة لانَّا علمنا من الآثار انها كانت عند المصريين والكلدانيين قبل عهدهم غير ان كتابتهم لم تكن بحروف وفق الاصوات البشرية الاصلية كالحروف الهجائية التي استنبطها الفينيقيون واعتُبروا بذلك كل الاعتبار لانهم اتقنوا الكتابة ونشروها بين علومهم حروفهم الهجائية

اكثر الامم المتمدنة لاتساع تجارتهم فان الحروف الهجائية في لغات اوروبا وغربي اسيا وشمالي افريقية مشتقة من حروفهم وكان عددها ٢٢ حرفًا وهذه صورتها

X	توافق	ا	𐤋	توافق	ل
9	"	ب	𐤌	"	م
7∧	"	ج	𐤍	"	ن
4	"	د	𐤎	"	سْ
𐤄	"	ه	O	"	ع
𐤅	"	و	𐤐	"	ف
Z	"	ز	𐤑	"	ص
𐤇	"	حٌ	𐤒	"	ق
⊕θ	"	ث	4	"	ر
𐤉	"	ي	W	"	ش
𐤊	"	ك	+t	"	ت

لغتهم — ولغة الفينيقيين سامية اقرب من العبرانية كثيرًا كما يتضح من آثارها وقد تحيَّر العلماء من هذا الامر لان هذه الامة كوشية كما تقدم ولعل علّة ذلك ان اكثر جيرانهم بعد انتقالهم الى ارض سورية كانوا ساميين فخالطوهم فقربت لغتهم شيئًا فشيئًا من اللغة الساميّة والله اعلم

ديانتهم — **١٦. ودين** الفينيقيين وثنيٌّ فاسدٌ لاافبح منهُ في الاديان الباطلة والههم الاعظم البعل وذكر كثيرًا في الكتاب ادخلت ايزابل بنت اثبعل عبادتهُ الى اسرائيل مع كل الفساد فجلب ذلك على بني اسرائيل توبيخ الرب الشديد حتى اهلكهم. ومن آلهتهم مولَك وكانوا يقدمون لهُ الذبائح البشرية من العبيد والاحرار وتوغلوا في اودية ذلك الضلال حتى ذبحوا لهُ اولادهم (لا ١٨: ٢١) وكانت لهم الاهة تسمى عشتاروث اقاموا عبادتها بالزناء وشرّ العوائد فلا عجب من ان الله حذر شعبهُ من فسادهم واجرى عليهم اخيرًا ما اجراهُ من قضائهِ الذي لا يُرَدّ

ملحق تاريخ الفينيقيين

في اخبار قرطاجنة من تاسيسها الى حروبها مع رومية

١. ذكرنا أنَّ قومًا من اهل صور هاجروا في نحو سنة ٨٦٠ ق.م. الى شطوط افريقية وبنوا قرطاجنة (انظر الرقم السابع السابق) وكان موقع هذه المدينة في ارض تونس على شاطئ البحر وعلى امد نحو عشرة اميال من الشمال الشرقي من مدينة تونس وكانت قرطاجنة على راس بل شبه جزيرة ذات فرضة حسنة لامور التجارة بحرًا فكان موقعها موافقًا لمهاجري صور كما لا يخفى ولما وصل الصوريون اليها استحسنوهُ فاتخذوهُ برضى اصحاب الارض بشرط ان يدفعوا مبلغًا معينًا في السنة اجرة ما يسكنونهُ من تلك الارض ولم تكن قرطاجنة وحدها مدينة الفينيقيين في تلك الاطراف فكان لهم عدة مدن منها أُوتِكا وزاما ولِبتِس وهِبُّو وغيرها وكان بعضها اقدم من قرطاجنة واعظم في اول الامر لكن قرطاجنة فضلتها بعد حين ورأستها كلها

تاسيس قرطاجنة وموقعها

٢. ولم يكتفِ اهل قرطاجنة بالتجارة فقصدوا البرّ ومالوا السكان الاصليين وحملوهم على الحراثة وقبول المهاجرين الفينيقيين بينهم يدبرون امورهم وصاهروهم فنشأ من ذلك جيلٌ مختلط يعرف بالفينيقيين الليبيين فتكلموا بلغة الفينيقيين وخضعوا لاهل قرطاجنة تمام الخضوع واخضعوا اهل الوبر داخل البلاد بعض الاخضاع وتسلطوا على الشطوط البحرية شرقًا وغربًا الى حدود ارض كيرين من الشرق واعمدة هرقل اي زقاق جبل طارق من الغرب واحبوا الشطوط اكثر من غيرها من الاراضي لانها اوفق للتجارة ثم تسلطوا على المدن الفينيقية كما تقدم لكنها بقيت مستقلة في امورها الداخلية فكان اهلها بمنزلة محالفين لاهل قرطاجنة الّا انهم كانوا في المقام الثاني واهل قرطاجنة في المقام الاول

الفينيقيون الليبيون

٣. ولم يكتفِ القرطاجنيون بالاستيلاء على شطوط افريقية بل طمعوا بجزائر البحر فنزلوا في صقلية اي جزيرة سيسيليا في الاطراف الغربية منها ونازعوا اليونان فيها كما سياتي

امتداد سلطة قرطاجنة — وفتحوا سردينيا بعد حروب شديدة في اواخر القرن السادس ق.م. واتخذوا مراكزهم في اسبانيا وكورسيكا واخضعوا الجزائر الصغيرة في الجنوب الغربية من بحر الروم وبعض جزائر الاوقيانوس الاتلنتيكي فكانت سلطتهم عظيمة جدًّا فاقتضت الحال ان يكون لهم جيشها — جيش وافرٌ وبوارج كثيرة. وكان اكثر جيشهم من رجالٍ استأجروهم ونظموا بعض فرق وطنية لحراسة المدينة واراضيها الخاصة وكانت تلك الفرق على غاية التمدن والتهذيب.

بوارجها — وكان قواد الجيش من القرطاجنيين وكانت بوارجهم قوية جدًّا وانشأوا البوارج في اول امرهم لانهم كانوا اهل التجارة بحرًا وكانت لصوص البحر كثيرة في تلك الايام فاضطروا الى انشاء السفن الحربية لصيانة سفنهم التجارية فاستولت تلك البوارج على توالي القرون على غربي بحر الروم وكان جاذفوها من العبيد وملاحوها وقوادها من اهل قرطاجنة

٤. وكان في نحو اواسط القرن السادس ق.م. ان قوة اليونان زادت في البحر

حرب قرطاجنة والفوكيين — فطفقوا ينازعون الفينيقيين في الشرق والقرطاجنيين في الغرب فان الفوكيين اخذوا يتاجرون في ترتِّسوس في اسبانيا وبنوا مدينة مسّاليا عند مصب نهر الرون وحاولوا النزول في كورسيكا فهاجمهم القرطاجنيون مع الترينيين من ايطاليا وكسروهم في نحو سنة ٥٥٠ ق.م. ولم يمضِ قليل من ذلك الاّ اتقدت نار الحرب بين القرطاجنيين واليونان في سيسيليا ولم تكن رومية حينئذٍ قوية فعاهدت قرطاجنة في نحو سنة ٥٠٨ ق.م

٥. وكانت جزيرة سيسيليا كبيرة ذات شان وخصب ولما كانت قبالة قرطاجنة

حرب قرطاجنة واليونان في سيسيليا — وقريبة منها رغبت وطمعت في اخضاعها وزادوا رغبة في ذلك لما استوطنها اليونان وشرعوا يسابقونهم في التجارة وفي نحو سنة ٤٨٠ ق.م. اثار القرطاجنيون الحرب عليهم وكانت هذه السنة سنة هجوم زركسيس العظيم على اليونان في بلادهم كما سياتي (انظر تاريخ الفرس رقم ٢١ وما بعدهُ) وزعم البعض ان اهل قرطاجنة اتفقوا معهُ فهاجموا اليونان في سيسيليا تلك السنة وما ذلك ببعيد لان اخوتهم الفينيقيين كانوا يومئذٍ خاضعين للفرس. فحشدت قرطاجنة جيشًا جرارًا وبعثتهُ الى الجزيرة وفي مقدمتهِ هَمِلْقار بن ماكو فنزل هو ومن معهُ في مدينة بَنورْموس وكانت على الشط الشمالي من تلك الجزيرة ومن توابع قرطاجنة فيها. ثم تقدم

معركة همرا سنة ٤٨٠ ق.م — الى مدينة هِمِرا المختصة باليونان وهاجها فاستصرخت اهل سرَقوسا اخوتهم فاجابوا وسار جيلون رئيسهم في العسكر لنجدتها ولم يكن معهُ اكثر من خمسين الفًا وكانت جنود قرطاجنة نحو ثلاث مئة الف لكنهُ كسرهم وظفر ظفرًا عظيمًا. قيل انهُ قتل ١٥٠٠٠٠ منهم ومن

جملتهم هملقار القائد فاخلى اهل قرطاجنة اراضي اليونان وتركوا امور سيسيليا مدةً وعمدوا الى تأييد سلطانهم في افريقية فبعثوا عساكرهم يغزون قبائلها ويحملونها على الطاعة ورفضوا ان يدفعوا اجرة الارض التي تعهدوا بها حين بنوا المدينة كما مرّ وحاربت جنودها كثيرين من اليونان في غزواتها شرقًا وغلبتهم فغلظ امرها في افريقية كثيرًا

حروب قرطاجنة مع قبائل افريقية

الحرب الثانية مع اليونان في سيسيليا

٦. وبعد نحو سبعين سنة بعد كسرتهم المذكورة اوقعوا بيونان سيسيليا ثانيةً والذي دعاهم الى ذلك ان اهل مدينة إيجستا اليونانية استغاثوهم على مدينة سلينوس لوقوع الوحشة بين المدينتين فاجابوا حالاً وجهّزوا كثيرًا من البوارج والجنود الى الجزيرة في سنة ٤٠٩ ق . م . وكان في مقدمتها هنّيبال حفيد هملقار المذكور فقهر اليونان مرارًا ورجع الى بلادهِ منصورًا مويّدًا غير انهُ لم يخضع اليونان كل الاخضاع ولم يمكث حتى شبّت نيران الحرب ثانيةً فجهزت قرطاجنة جيشًا آخر الى الجزيرة سنة ٤٠٥ ق . م . فافتتح أغرِجنتم وجيلا وكَمَرِينا من مدن اليونان لكنهُ تفشّى في الجيش وباء شديد في اثناء ذلك فهلك بهِ خلقٌ كثير فكفّوا عما كانوا عليهِ وعقدوا الصلح مع ديونيسيوس صاحب سرقوسا سنة ٤٠٥ ق . م .

الصلح في سنة ٤٠٥ ق م

الحرب الثالثة سنة ٣٩٦ ق . م

٧. ونكث ديونيسيوس العهد في سنة ٣٩٧ ق . م . وغزا املاك قرطاجنة واستردّ المدن المذكورة وافتتح موتيا احدى مدنها فانت جنودها ايضًا وفي مقدمتها هَملقو سنة ٣٩٦ ق . م . فاسترجع موتيا واخذ بعض مدن اخر لليونان ونزل على سرقوسا وكاد يفتحها لولا وقوع الوبإ في جيشهِ فانهُ اشتد كثيرًا حتى لم يقدر الاحياء على دفن الموتى ولما علم صاحب سرقوسا بما كان خرج بعسكرهِ وبطش بهم وطردهم وهزمهم شرّ هزيمة فهرب هملقو ثم قتل نفسهُ اذ ايقن الهلاك لان اهل قرطاجنة كانوا يقتلون القائد اذا فشِل ثم بعثوا قائدًا آخر في عسكر جرار الى سيسيليا سنة ٣٩٣ ق . م . فغلب اليونان بعض الغلبة وصالحهم في السنة التالية وقام ديونيسيوس صاحب سرقوسا وحاول طرد القرطاجنيين من الجزيرة مرارًا بعد ذلك لكنهُ لم يفز بمرامهِ وهلك سنة ٣٦٧ ق . م . وقام بعدهُ ديونيسيوس الثاني فظلم اهل سرقوسا فطردوهُ ثم ملك عليهم وعاملهم بالجور فكانت امور المدينة مضطربة فانتهز اهل قرطاجنة الفرصة وضايقوها جدًّا وكادوا يستولون عليها الَّا انها استصرخت اخوتها في بلاد اليونان فبعثوا قائدًا يسمى تيموليون الى سرقوسا فأيّدها ولما نازلها العدو قام تيموليون وشجع اهل المدينة فحملوا على القرطاجنيين وهزموهم شرّ هزيمة وكان ذلك في

هلاك الجيش من الوباء

ارسال جيش اخر سنة ٣٩٣ ق . م

مساعي تيموليون

وهزيمة القرطاجنيين سنة ٢٤٠ ق.م

نحو سنة ٢٤٤ ق.م. وغلظ امر تيموليون حتى انهُ قدم على مدن القرطاجنيين وهاجمهم فجهزت قرطاجنة بوارج كثيرة وبعثت فيها جيشًا عرمرمًا في مقدمتهِ قائدان من اشهر القواد وهما هسدروبال وهملقار فجرى القتال فغلبها تيموليون وكان ذلك سنة ٢٤٠ ق.م. ثم بعثت قرطاجنة جيشًا آخر فلم يجدها نفعًا فعقد الصلح بين الفريقين على ما كانا عليهِ سابقًا

مساعي اغاثكليس من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٠٤ ق.م

٨. ثم شبت نيران الحرب في سنة ٣١١ ق.م. بقيام رجل في سرقوسا اسمهُ اغاثكليس عظم امرهُ وتعدى على املاك قرطاجنة. فقدم هملقار في عسكرهِ واشتد القتال عند مدينة هيمرا فانهزم السرقوسيون وكان ذلك سنة ٣١٠ ق.م. فتقدم هملقار ونازل سرقوسا وضايقها فساءت حالها حتى عزمت على التسليم فحث اغاثكليس الناس على الصبر وعمد الى غزو املاك قرطاجنة في افريقية فركب السفن وتخلل بوارج العدو ليلاً ونجا وسبقهم الى شطوط افريقية ولما نزل بعسكرهِ من السفن امر باحراقها حتى لا يكون لعسكرهِ سبيل الى النجاة سوى النصر ثم قدم بهِ الى قرطاجنة وكسر من قاتلوهُ وأحاط بالمدينة ولم يتمكن من الاستيلاء عليها لكنهُ حملها على ان تسترد جنودها من سيسيليا فأُفرج عن سرقوسا. ثم انهزم وهرب الى بلادهِ فتصالح الفريقان سنة ٣٠٤ ق.م.

نزولهُ مع جنوده في افريقية

٩. ولم تحصل قرطاجنة على ما رغبت فيهِ بعد كل هذه الحروب الشديدة فلم تتمكن من اخضاع اليونان او طردهم من الجزيرة وكانت قد خسرت كثيرًا من السفن والرجال وكانت تدور الدوائر على جنودها غالبًا واختبرت بأس اليونان ومهارة قوادهم ومع ذلك استبدت بما كانت عليهِ ولما مات اغاثكليس سنة ٢٨٩ ق.م. وضعفت سرقوسا شيئًا باشرت قرطاجنة مهاجمة اليونان ايضًا واستولت على جانب عظيم من املاكهم وكادت تستولي على سرقوسا ولكن برُّوس ملك ابيروس اتى ونجَّاها من ايدي القرطاجنيين سنة ٢٧٩ ق.م. ثم قامت رومية وتعرضت لامور سيسيليا فعاهدت قرطاجنة اليونان على مدافعتها وحينئذٍ شبَّت نار الحروب مع رومية وسنذكر ذلك في الكلام على تلك المملكة ونستوفي بقية اخبار قرطاجنة في الكتاب الرابع

عدم نجاح قرطاجنة في سيسيليا

١٠. وكانت حكومة قرطاجنة ضربًا من الحكومة الجمهورية فعيَّن اهلها اصحاب المناصب بالانتخاب وكانوا غالبًا من ارباب الاملاك او الاغنياء لانهُ لم يرتب لهم معاش والتزموا ان يعولوا انفسهم مدة خدمتهم فلم يستطع الفقير ان يتقلد منصبًا سياسيًّا وكانت

سياسة قرطاجنة

اول الرتب عندهم رتبة القضاة وكان لهم في كل محكمة اثنان يقضيان معًا وكانوا ينتخبون القضاة مدة الحياة. وكان القاضي عندهم في اول الامر ربَّ السياسة وقائد فرقة من الجنود ثم اقتصر على السياسة المدنية . وكانت الرتبة الثانية في سياستهم عضوية الشورى وكان اعضاء مجلسها كثيرين وكان هذا المجلس يعين بالانتخاب سائر ارباب الرتب ومنها المشيخة وكانت مؤلفة من مئة عضو برأسهم القاضيان وينضم اليهم رئيسا الكهنة وكان ارباب مجلس الشورى الكبير يعين اعضاء مجالس مختلفة كل منها مؤلف من خمسة اعضاء يفوض اليهِ امر معيَّن من امور السياسة وكان المجلس الكبير يهتم بالامور ذات الشان كالحرب والصلح والمعاهدات وما اشبه ويفحص عن سيرة القواد وكان يحكم على من فشل منهم بالقتل احيانًا

اموراالتجارة ١١. وكانت تجارة قرطاجنة متسعة جدًّا كتجارة صور امها فبلغت سفنها بريطانيا شمالاً وفينيقية شرقًا وشطوط كوينيه في الاوقيانوس الاتلنتيكي جنوبًا وبعض جزائره غربًا وبلغت تجارتها برًّا الصحراء الكبيرة وفزان وكيرين ومصر فكانت القوافل تتردد بين قرطاجنة وهذه الاماكن وكانت بضائع قرطاجنة مختلفة فمنها المنسوجات والآلات والآنية المعدنية والخزفية والحلى والمصاغ وادوات الخيل وكانت تبدلها من الخمر والزيت والثمر والمعادن المختلفة والعاج والحجارة الكريمة والعبيد وغيرها مما كانت تفتقر اليهِ في صنائعها ومعاشها فسابقت صور في تجارتها حتى مانعها اليونان والرومانيون

الجزء الرابع

في تاريخ الفلسطينيين

اصل الفلسطينيين لم يعرف من امر الفلسطينيين الا القليل والظاهر انهم من بني يافث ودخلوا بلاد سورية بعد زمان طويل من دخول بني حام وبني سام اليها. قال الرب أَ لم اصعد اسرائيل من ارض مصر والفلسطينيين من كفتور (عا ٩: ٧) ويتبين من قول ارميا النبي ان كفتور هذه جزيرة (ار ٤٧: ٤) والارجح انها جزيرة من جزائر بحر الروم ولعلها قبرس او كريتش ولم يعلم متى دخلوا الى سورية لكن نعلم انهُ كان فيها بعض منهم في ايام اسحق (تك ٢٦: ١)

وقد ذكر في تاريخ مصر ان بعض قبائل اسيا الصغرى وجزائر البحر هاجمتها بحرًا وكان معظم ذلك في ايام رعمسيس الثالث (راجع تاريخ مصر رقم ١٥) ولعل الفلسطينيين من جملة تلك القبائل واتوا مع نسائهم واولادهم بغية السكنى مع اخوتهم في سورية فقاتلهم رعمسيس وقهرهم ومن معهم وقتل الوفًا منهم واسر كل الفلسطينيين واسكنهم نواحي غزة وجت واشقلون فتأصلوا هناك ونقووا برا وبحرًا حتى قدموا على مهاجمة صيدا وخربوها كما تقدم وصاروا بعد ذلك اكبر اعداء بني اسرائيل كما يظهر من اخبارهم

الجزء الخامس

في تاريخ العبرانيين

تاريخ العبرانيين — اخبار العبرانيين اوضح من سائر اخبار اجناد سورية واكثر منها ابقاء كتبها المطولة في امورها السياسية والدينية وتاريخها ذو شان عظيم لعلاقته الدينية بسائر الامم فيجب ان ناتي اولاً ببعض ما يتعلق بمقامهم وجوهر تاريخهم

تمهيدٌ في مقام العبرانيين وجوهر تاريخهم

مقام العبرانيين وجوهر تاريخهم — لا يخفى ان العالم القديم توغل في الشر والبعد عن الله حتى اهلك الجنس البشري الفاسد بالطوفان سوى اصل مختار يتقي الله ويبقي ذكرهُ في الارض فاصطفى نوحًا ومَن لهُ لهذه الغاية لكنَّ الشر كان قد تأصَّل في طبيعة البشر بقوةٍ حتى لم يخلُ بنو نوح من اصولهِ فنشأ فيهم بعد قليل. ولما كثر نسلهم وامتدت بطونهم في الارض فسدوا كل الفساد ولم يبقَ من يذكر الاله الوحيد وعبادتهُ الطاهرة كما تبيَّن من اخبار المصريين وغيرهم من الامم القديمة فقصد الله ان يتخذ الوسائط لابقاء ذكرهِ في الارض ولاصلاح الجنس الفاسد اذ لم يقصد ابادتهُ ثانيةً فاختار ابرهيم بن تارح ليُعلِن لهُ نفسهُ ويبقي بهِ وبنسلهِ ذكرهُ بين البشر الى ان يجيء من يخلصهم من الشر والفساد ومما يبيّن فساد العالم الفظيع حينئذٍ أنَّ اهل ابرهيم خليلهِ كانوا عبدة أوثان (يش ٢٤: ٢) ولعل ابرهيم نفسهُ كان كذلك في صغر سنهِ قبل ان دعاهُ الله فنرى عنايتهُ تعالى بأنهُ افرز هذا الانسان من اهلهِ واخرجهُ من وطنهِ

وعلَّمهُ وأدَّبهُ حتى لا ينساهُ هو ولا نسلهُ اذ لم يبقَ غير ذلك السبيل لمنع الانسان من العبادة الباطلة فهذا ما جعل تاريخ ابرهيم وامة العبرانيين تاريخًا فريدًا لا نظير لهُ بين التواريخ فالذي لا ينظر الى هذه الغاية في اخبارهم لا يمكنهُ ادراك جوهرها فتفوتهُ الفائدة. ومن هذا الامر يتضح لنا اسلوب موسى وغيرهِ من مؤرّخيهم في ايراد الاخبار فانهم نظروا في بعضها بكل تدقيق واستوفوا الكلام عليهِ مع انهُ قليل الفائدة باعتبار التاريخ العامّ وغضوا النظر عن امورٍ كثيرة الاهمية بالنظر الى سياق الوقائع التاريخية. فاذا التفتنا الى الغاية العظمى من اخبار هذه الامة رأَينا مناسبة اسلوبهم للغرض وان لم نفهم هذا الجوهر تعذَّر علينا ان نفهم تأثير امورهم في تاريخ العالم فعلى القارئ ان يطالع اخبارهم بعين البصيرة والانتباه. ونحن نقسمها الى انباء مداتٍ ذات شان تقوية للايضاح وتسهيلاً للادراك

المدة الاولى

من دعوة ابرهيم الخليل الى التغرُّب في مصر

١. اخبار اوائل امَّة العبرانيين قليلة لكنها صريحة وكان اول رجالها ابرهيم بن تارح وهو من وِلْد سام (تك ١١: ١٠—٢٦) واخواهُ ناحور وهاران وكان وطنهُ اور الكلدانيين واختلف في موقعها فقيل انها اورفا في الشمال الغربي ما بين النهرين وقيل انها أُم قير قرب راس خليج العجم وقيل غير ذلك ولكن ثبت من الاكتشافات الحديثة انها أُم قير (انظر تاريخ الكلدانيين ف ١ رقم ٢) واسمها اكثر موافقةً لقولهِ اور الكلدانيين. ولا يعرف من امورهِ وهو في اور الكلدانيين الاَّ القليل

اور الكلدانيين

٢. وارتحل تارح ومَن لهُ من اور الى حاران التي هي قرب أُورفا (تك ١١: ٣١) ولعلهُ اتى ذلك لجور العيلاميين والطورانيين على بني سام في وطنهم وقيل في (اع ٧: ٢و٣) ان الله دعا ابرهيم قبل ان ارتحل من اور فقصد ارض كنعان حينئذٍ ولم يكن ارتحالهُ الى حاران بعيدًا عن الغاية لأَن البرية الواقعة بين اور وبين ارض كنعان مياهُ لا تُقطع فمن

الارتحال الى حاران

قصد تلك الارض لزم ان يسير على طريق الفرات حتى يصل الى نواحي حاران

٣. هذا خلاصة ما قالتهُ التوراة في اوائل حياة ابرهيم وزادت التقاليد على ذلك **التقاليد في امره** كثيرًا كما جرى لهُ مع نمرود (راجع تاريخ الكلدانيين ف ٢ رقم ٢) وما جاء في القرآن (سورة ٦) من نبإ اتخاذهِ الله الههُ الوحيد ودعوتهِ قومهُ الى التوحيد ورفضهم اياهُ الى غير ذلك مما يدلُّ على اعتبار اهل الشرق لابرهيم. ثم هلك ابوهُ تارح في حاران وكان عمر ابرهيم حينئذٍ ٧٥ سنة فدعاهُ الله وامرهُ ان يترك اقرباءهُ ويذهب الى حيث يرشدهُ **توجههُ الى ارض كنعان** فامتثل أمرهُ وسار معهُ لوط ابن اخيهِ هاران (تك ١٢: ١—٥) وعبر الفرات فرأى البعض ان الكنعانيين سموهُ لذلك بالعبراني ولم تذكر الطريق التي سار فيها والمرجح انهُ مرَّ على دمشق اذ كان وكيل املاكهِ من تلك المدينة (تك ١٥: ٢) وفي التقاليد انهُ استولى على **نزولهُ في شكيم** دمشق وصار ملكها ثم سار ابرهيم في وادي الاردن شرقًا وقطعهُ ونزل اولاً في شكيم (نابلوس) من ارض كنعان (تك ١٢: ٦) وكان الكنعانيون قد نزلوا في تلك الارض كما تقدم في تاريخ الفينيقيين (راجع تاريخهم رقم ١—٢) وحدث ذلك منذ اكثر من ٢٢٠٠ سنة ق م. اما مجيء ابرهيم ففي نحو ٢٠٠٠ سنة ق م. وسكن الكنعانيون الاودية والسهول. وانتقل ابرهيم **ثم بين بيت ايل وعاي** من شكيم جنوبًا الى الجبل ما بين بيت ايل وعاي (تك ١٢: ٨) ولعلهُ اتى ذلك احترازًا من الكنعانيين وارتحل من بيت ايل الى نواحي حبرون بغية المرعى لمواشيهِ على ما يظن **نزولهُ الى مصر** ولما حدث الجوع في تلك الارض ذهب الى مصر (ع ١٠) وكانت يومئذٍ مملكة معتبرة كما ظهر مما تقدم وتحقيق زمان ذهاب ابرهيم اليها وتعيين ملكها في ذلك الوقت من الامور الهامَّة ولكن ما لنا في ذلك الاَّ الظن فزعم البعض انهُ كان قبل دولة الرعاة والبعض انهُ كان في ايامها ولعل هذا هو الاصحّ والله اعلم. وحدث لابرهيم هناك ما حدث من جهة امرأتهِ وملك الارض (تك ص ١٢) ومن هذه الحادثة نتحقق صحة اخبار التوراة فانها لا تصوّر لنا ابرهيم قديسًا كاملاً لا عيب فيهِ بل تذكر خطاياهُ مع فضائلهِ كما لا يخفى فتأمل

عودتهُ الى ارض كنعان ٤. ثم رجع بعد حين الى ارض كنعان وكان قد اقتنى مقتنيات كثيرة والظاهر ان لوطًا صاحبهُ في مراحلهِ حتى رجعا الى ارض كنعان ثم افترقا كما ذُكر في (تك ص ١٣) **امر لوط** ونرى كرم اخلاق ابرهيم واتكالهُ على الرب من سيرتهِ مع ابن اخيهِ فانهُ لم يطمع بالاراضي الجيدة المخصبة فتركها لهُ بغية السلام متحققًا ان الرب يدبّر امورهُ فعاد الله وبشّرهُ بان نسلهُ الكثير سيرث الارض. ثم وقعت حرب بين ملوك الشرق وملك سدوم واربعة من محالفيهِ

الذين انهزموا وأُسر لوط فجدَّ ابرهيم في اثر ملوك الشرق وهزمهم في الحولة عند تل القاضي واقتفاهم الى حوبة ظاهر دمشق وارتجع لوطًا والغنيمة والقصة معروفة (تك ص ١٤ وتاريخ الكلدانيين ف ٢ رقم ٤) فنستنتج من هذه الحادثة انهُ كان لابرهيم شوكة واقتدار وقد اصبح من اعظم روساء البلاد. ثم ظهر الرب لهُ ايضًا وقطع معهُ ميثاقًا فوعدهُ انهُ يعطي نسلهُ الارض بعد ان يَستعبَدوا في ارضٍ غريبة ٤٠٠ سنة وعيّن حدود الارض التي يعطيهم اياها بانها من نهر مصر الى الفرات فصدَّق ابرهيم الوعد مع انهُ لم يكن لهُ ولد وهو شيخ (تك ص ١٥). ثم ولد لهُ اسمعيل من جارية امرأتهِ ولما انتقل اسمعيل الى البرية دخل ما بين العرب وانتمى أليهِ بعض قبائلهم فامسى اسمعيل وابوهُ بمنزلة سامية جدًّا كما يظهر من تقاليدهم ومن القرآن. ثم حدث ما حدث في امر سدوم وعمورة (تك ص ١٨) ونرى في هذه القصة عظمة اعتبار الرب لابرهيم فاصبحت تلك المدن عبرةً للفجار في كلّ حين ولم يعرف موقعها حق المعرفة والقول بانهُ بحر لوط وان ذلك البحر تكوّن حينئذٍ فاسد. لأنهُ تبيّن من علم الجيولوجيا ان ذلك البحر كان قبلها ولعل موقعها عند الطرف الشمالي منهُ

الوعد لابرهيم

اسمعيل

سدوم وعمورة

٥. اما ابرهيم فارتحل بعد هذا جنوبًا وسكن جرار (تك ٢٠: ١) ووُلد اسحق هناك وهو ابن مئة سنة والظاهر ان ابرهيم سكن في الجنوب مدة سنين وصار ما صار بينهُ وبين ابيمالك وفي تلك المدة حدث ذلك الامتحان العظيم لابرهيم من قِبَل الرب أن امرهُ ان يذبح ابنهُ اسحق ذبيحةً على احد جبال المُريّا (تك ص ٢٢) وظنهُ بعضهم جبل جرزّيم والارجح انهُ ارض المُرِيّا حيث بُني هيكل سليمان (٢ اي ٣: ١) والله اعلم. وهذه الحادثة تبين لنا امرين الاول قوة ايمان ابرهيم والثاني لزوم سفك الدم لاجل غفران الخطايا ولكن ليس **دم الانسان** فان الله قد نهى شعبهُ عن تقديم بني آدم ذبيحة نهيًا قاطعًا. ثم ماتت سارة واشترى ابرهيم مغارة مكفيلة مدفنًا لها فكانت هذه المغارة ملكهُ الوحيد في ارض الميعاد وهي في حبرون وموقعها مشهور في ايامنا (تك ص ٢٣) وبعد موت سارة اخذ ابرهيم رفقة بنت بتوئيل بن ناحور زوجةً لاسحق ابنهِ (تك ص ٢٤) واخذ لنفسهِ قطورة زوجةً فولدت لهُ ستة بنين صرفهم الى ارض المشرق فصاروا امًّا هناك (تك ص ٢٥) وهذه هي علاقة اخرى بين ابرهيم وقبائل جزيرة العرب ومات ابرهيم وهو ابن ١٧٥ سنة ودفنهُ اسحق واسمعيل في مغارة مكفيلة اما اسمهُ فلم يمت ولن يموت الى الابد وصيتهُ شائع بين

ولادة اسحق

امتحان ابرهيم

موت سارة

اولاد قطورة

موت ابرهيم

اكثر اهل المشرق ولا سيما العرب الذين يعتبرونهُ اكثر من غيرهِ

اخبار اسحق

٦. اما اسحق فاخبارهُ قليلة بالنسبة الى اخبار ابرهيم وقضى اكثر حياتهِ بسلام ولم يبتعد كثيرًا عن مكان ولادتهِ غير انهُ رام النزول الى مصر مرةً لوقوع الجوع في الارض وامتنع لامر الله (تك ٢٦: ٣) وبقي في نواحي جرار من املاك الفلسطينيين ايام ابيمالك ملكهم (ولعلهُ ابن مَن كان ملكًا ايام ابرهيم) ويتضح مما حدث في امر اسحق وابيمالك ميل

يعقوب وعيسو

اسحق الشديد الى السلام (تك ص٢٦) ولم يكن ولداهُ عيسو ويعقوب كذلك فوقعت الوحشة بينهما طويلاً واشتد البغض كثيرًا فتألم اسحق بذلك واوشك بيتهُ ان يخرب (تك ص٢٧) فهرب يعقوب الى ما بين النهرين الى لابان خالهِ خوفًا من اخيهِ ولا نمدح يعقوب على معاملتهِ اباهُ واخاهُ لانهُ كان مخالفًا الشريعة ولكن عيسو لم يكن احسن منهُ خلقًا فكان مستحقًا ما وقع عليهِ لانهُ احتقر بكوريتهُ وباعها بلقمة طعام وكان ذلك اهانة لله لان البكر كان بمثابة كاهن الله لعائلتهِ ومَن احتقر هذه المنزلة احتقر الله فاختار الرب يعقوب وربث العهد وسار يعقوب الى لابان وحدث ما حدث هناك (تك ص ٢٩—٣١) وبعد ان مكث نحو ٢٠ سنة في ما بين النهرين رجع الى ارض كنعان وكان عيسو قد استغنى وتقوَّى واتى ليلاقيهُ بجيش فخاف يعقوب اذ لم يبرح من بالهِ اساءتهُ الى اخيهِ فصالحهُ بتوفيق الله واهدائهِ لهُ كثيرًا من المواشي وغيرها (تك ص ٣٣)

سكنى يعقوب في سكوت وشكيم

٧. ثم رجع عيسو الى جبل سعير ميراثهِ ولم يدخل بعد ذلك ارض الميعاد. وتقدَّم يعقوب ونزل اولاً سكوت ثم ذهب الى شكيم وابتاع حقلاً من حمور صاحب الارض وحدث هناك ان قتل بنو يعقوب كثيرين من اهل شكيم واستولوا على المدينة ويعقوب لم يكن رجل حرب فخاف مما فعلهُ بنوهُ ان يجتمع عليهِ الكنعانيون ويبيدوهُ (تك ص ٣٤)

وبيت ايل

فانتقل الى بيت ايل وبنى مذبحًا للرب وعبدهُ والظاهر ان اهل بيتهِ تدنَّسوا بآلهة غريبة (تك ٣٥: ٢) وارتحل من بيت ايل جنوبًا وفي اثناء الطريق ماتت راحيل ثم جاء الى

وحبرون موت اسحق

حبرون وكان ابوهُ يومئذٍ حيًا لكنهُ مات بعد سنين قليلة واتى عيسو ودفنهُ الاخوان في مغارة مكفيلة وكان عمرهُ ١٨٠ سنة. (تك ص ٣٥)

بيع يوسف

٨ وحدث قبل هذا امر كان كثير الاهمية لمستقبل يعقوب ونسلهِ تغيَّر بهِ سياق تاريخهم ومتعلقات حياتهم وهو بيع يوسف الى مصر فكانت نتيجتهُ تغرُّب بني اسرائيل في تلك البلاد وقصتهُ معروفة فلا حاجة الى ذكرها بالتفصيل فمن يردها فليراجعها في محلها

(تك ص ٣٧ وما بعدهُ) فنرى في هذا الامر شرَّ نتيجة المحاباة في العائلة ولطالما نشأ منها الحسد والبغضة بين الاولاد فاهلك بعضهم بعضًا ولكنَّ الله جعل شرَّ ذلك في امر يوسف سبيلاً الى الخير. وكانت غاية الله من تغريب الاسرائيليين في مصر حفظهم من الهلاك زمن الجوع الطويل الذي كان يتوقع ان يصيب البلاد (تك ٤٥: ٥و٦) وتأديبهم وتعليمهم في مصر وفي البرية وحفظهم امَّة لا تختلط بغيرها الى ان سكنوا ارض الميعاد ولذلك بقوا امةً منفردة في مصر لان المصريين كانوا يحسبونهم نجسين فلم يخالطوهم ولو بقوا في ارض كنعان لاختلطوا بقبائلها كما حدث مرارًا بعد رجوعهم وكثيرًا ما فسدوا لذلك. وكان الاسمعيليون (او المديانيون تك ٣٧: ٣٦) الذين ابتاعوا يوسف تجارًا قادمين من جلعاد شرقي الاردن الى مصر بكثيراء وبلسان ولاذن واصناف أُخر يرغب فيها المصريون لتحنيط الموتى وكانت مصر مملكة عظيمة وقتئذٍ. وباع الاسمعيليون يوسف من رئيس شرط ملك مصر فكان في اول امره بمنزلة وكيل عند سيده ثم ساءت حالهُ بان القاهُ ذلك الرئيس في السجن بعد حين والظاهر انهُ بقيَ فيهِ عدة سنين لانهُ كان ابن ٣٠ سنة حين اطلاقهِ ونزل الى مصر وهو ابن ١٧ سنة واظهر يوسف من الحكمة والامانة ما أثر في كل مَن عرفهُ تاثيرًا عظيمًا حتى اخرجهُ الملك من السجن ورأسهُ على كل البلاد (تك ٣٩: ٥)

غاية التغرب

الاسمعيليون

يوسف في مصر

٩. وهذا الملك لم يُسمَّ في الكتاب سوى فرعون فلم يعرف اسمهُ الشخصي لان فرعون كان لقبًا لكلّ من ملوك مصر وكثيرًا ما بحثوا عنهُ رجاء ان يقفوا على اثرهِ في اخبار هذه المملكة فلم يعرفوهُ ولم يجدوا الى الآن بين الآثار ادنى ذكر لبني اسرائيل وهم في مصر ولعلَّ علّة ذلك ان تغرب الاسرائيليين في مصر كان في عصر دولة الرعاة وهذه الدولة لم تترك آثارًا يعتدّ بها فلا عجب من انهُ لم يكن فيها ذكر لبني اسرائيل وآثار من قبلها كثيرة فلو كان بنو اسرائيل في مصر يومئذٍ لكان عدم الاشارة الى تغرّبهم فيها من اغرب الامور فلهذا نرجح انهم تغربوا في مصر في عصر دولة الرعاة ومما يقوي ذلك موافقة الزمان فاننا اذا راجعنا تاريخ مصر (ف ٣ رقم ٧) رأينا ان عصر الرعاة كان قبل عصر الدولة الثامنة عشرة التي قامت في نحو سنة ١٧٠٠ ق.م. ويظن ان مدة ملك الرعاة نحو ٥٠٠ سنة اما زمان نزول يوسف اليها فكان بين الالفين والالف والسبع مئة قبل الميلاد. فيوافق مدة الرعاة. ومنهُ ان فرعون هذا لم يكن من المصريين بدليل انهُ رأس يوسف على مملكتهِ ورحّب باخوتهِ والمصريون القدماء كانوا يبغضون الاجانب ويعتزلونهم ولا سيما

فرعون يوسف

الرعاة اذ هم رجسٌ عندهم (تك ٤٦: ٣٤) وان قيل ان فرعون كان مصريًّا اصلاً لانهُ لم يسمح لبني اسرائيل بان يسكنوا بين شعبهِ فوضعهم على جانب قلنا ان المصريين الاصليين كانوا في الارض والملك لم يرِد ان يقلقهم ويقلق بني اسرائيل ايضًا باسكانهِ هولاء بينهم

الجوع ١٠. ولا ريب في ان علَّة الجوع الذي حدث ايام يوسف (تك ص ٤١) نقص فيضان النيل وقد حدث نظيرهُ مراتٍ عديدة كما تبين من التواريخ فحدث جوع سبع سنين من سنة ٤٥٧ الى سنة ٤٦٤ للهجرة في ايام المستنصر بالله واشتد حتى اكل الناس كل الحيوانات الدنية فبيعَ الكلب بخمسة دنانير والقط بثلاثة ولم يقتصروا على هذا بل اكلوا جثث الموتى فمن هذا نقدر ان نتصوَّر ما كان يصيب المصريين ايام يوسف فبتدبيرهِ المحسن خلَّصهم من الموت واعظم نتائج ذلك الجوع هبوط بني اسرائيل مصر وسكناهم فيها كما ذكر في (تك ص ٤٢ وما بعدهُ) ولما اتى يعقوب وكل مَن لهُ (وهم مع يوسف واولادهِ ٧٠ نفسًا) عين لهم الملك جاسان مسكنًا وهي ارض في الشمال الشرقي تجاه البرية وكانت مناسبة لرعي مواشيهم وانفرادهم عن المصريين كما تقدم وكان هذا الامر مفيدًا لهم ويبيّن دراية الملك بان جعل بني اسرائيل وقايةً لارضهِ من الغزاة الذين طالما جالوا في البرية واخافوا سكانها

نزول بني اسرائيل الى مصر

المدة الثانية

في التغرُّب والخروج (الى نحو ١٥٠٠ سنة ق. م.)

موت يعقوب ١١. ومات يعقوب بمصر وهو ابن ١٤٧ سنة فحنَّطوهُ كعادة المصريين واخذهُ يوسف واخوتهُ الى ارض كنعان ودفنوهُ في مغارة مكفيلة وناحوا عليهِ مناحة عظيمة واعتنى يوسف واخوتهِ الى ان ادركهُ الاجل وعمرهُ ١١٠ سنين وحنطوهُ ووضعوهُ في تابوت وبقي في مصر الى حين الخروج فاخذوهُ ودفنوهُ في الارض التي اشتراها يعقوب في شكيم (انظر

ويوسف

يش ٢٤: ٣٢) ولم يذكر بعد موت يوسف شيءٌ من امور بني اسرائيل في مصر الى حين
ولادة موسى وكنّا نودُّ الوقوف على اخبار هذه المدة ولكن الى الآن لم تُفِدْنا الآثار شيئًا ولادة موسى
والظاهر انهم سعدوا كثيرًا وكثروا حتى ان الملك الذي قام حينئذٍ ولم يكن يعرف يوسف
خاف منهم واراد اذلالهم لئلّا ينضمّوا الى اعدائه حين الحرب (خر ١: ٩—١٠) فضايقهم
بالاعمال الشاقة وامر بقتل الذكور من اولادهم ولم نعرف من هو هذا الملك القاسي الظالم
غير ان بعضهم زعم ان قول الكتاب "وقام ملك جديد" (خر ١: ٨) يشير الى دولة جديدة فرعون موسى
فظنها الدولة الثامنة عشرة التي طردت الرعاة ويُستنتج من اخبار منثو ان الخروج كان
ايام عميس اول ملوك الدولة ولكن اخباره لا توافق اخبار الخروج فلا يركن اليها وقد
ذكرنا في تاريخ مصر (انظر رقم ١٤) ظن البعض أن منفتا احد ملوك هذه الدولة هو
ملك الخروج وزعم آخرون انهُ رعمسيس الثاني ومن الاكتشافات الحديثة يرجّح انهُ هو
الذي جار على بني اسرائيل واستدل بعضهم على ان ملك الخروج لم يكن من هذه الدولة
بان الملك الذي جار على بني اسرائيل انما جار عليهم خوفًا منهم اذ كانوا اكثر من قومهِ
(خر ١: ٩) وكان عدد رجال الاسرائيليين يوم خروجهم ست مئة الف وكانت بداءة
جورهِ قبل الخروج بما ينيف على ثمانين سنة فكان عددهم حينئذٍ اقل من ذلك بكثير
وعلى كل حال اقل جدًّا من اهل كل بلاد مصر فنستنتج ان ملك الخروج لم يكن مالكًا
على كل ارض مصر اما الدولة الثامنة عشرة فكانت قوية جدًّا وطردت الرعاة واستولت
على البلاد اجمع وزعم البعض ان الخروج كان ايام الرعاة كالنزول الى مصر لكن زمان
هذه الحادثة لا يوافق زمان حكم الرعاة

١٣. واختلف في مدة تغرب الاسرائيليين في مصر فقيل انها ٤٠٠ سنة (تك ١٥: مدة التغرب
١٣) وقيل انها ٤٣٠ سنة (خر ١٢: ٤١) وحسب قول بولس الرسول (غل ٣: ١٧) ان
المدة من العهد مع ابرهيم الى الناموس ٤٣٠ سنة فمدة التغرُّب في مصر لم تزد على ٢١٥ سنة
ودليل ذلك ان ابرهيم كان حين مجيئهِ الى ارض كنعان ابن ٧٥ سنة وصار العهد وهو
ابن ١٠٠ سنة حين ولادة اسحق وكان اسحق ابن ستين سنة حين ولادة يعقوب وكان
يعقوب ابن ١٣٠ سنة حين نزولهِ الى مصر و٢٥+٦٠+١٣٠=٢١٥ و٢١٥ من ٤٣٠=
٢١٥ وذلك زمن غربتهم في مصر وهذا اكثر موافقةً الاجيال بين يعقوب وموسى فانها
ثلاثة فقط (١ اي ٦: ١ الى ٣) لكن يمكن انهُ تُرِكَ بعض الاجيال والله اعلم. والظاهر ان مدة

التغرّب كانت مدة راحة لبني اسرائيل الى ان قام الملك الذي لم يكن يعرف يوسف

موسى فظلمهم واستعبدهم فصرخوا الى الله فاقام موسى لينجيهم واشتهر هذا الانسان وما فعلهُ في كل

قول منثو فيهِ العالم وروى عنهُ كثيرًا وكذلك أمر الخروج لانهُ كان من اعظم الامور. قال مَنثو مؤرّخ المصريين ان موسى كان كاهنًا من كهنة مدينة اون وتعلّم جميع علومهم وصار رئيس قوم من البرص والمتنجّسين فالتزم المصريون ان يطردوهم من البلاد فهذه الاخبار على ما فيها من التحريف تثبّت حقيقة الخروج اما موسى فكبر في دار الملك وكان كابن لبنت فرعون (خر ٢: ١٠) وتعلم كل حكمة المصريين (اع ٧: ٢٢) ثم قام لنصر اخوتهِ ولا بد من انهُ بذل ما كان لهُ من اسباب الراحة والسعادة في سبيل اراحة اخوتهِ الاسرائيليين فترك مقامهُ السامي في دار من كان اول ملك في الارض وقتئذٍ وهرب الى البرية خوفًا من غضبهِ وكان عمره ٤٠ سنة وبقي في برّية مديان يرعى غنم كاهن مديان ٤٠ سنة (خر ص ٢—٤) وكان هذا زمان استعدادٍ لهُ مهيأ فيهِ لاعظم رتبة ولله طرق مختلفة في تعليم خدمهِ. ثم رجع الى مصر ووقف امام فرعون وحدث ما حدث من العجائب والضربات على المصريين حتى نجا بنو اسرائيل من ظلمهم (خر ص ٥—١٢)

طريق الخروج ١٢. واختُلف في الطريق التي خرجوا فيها من مصر والارجح انها كانت من مدينة رعمسيس الى راس البحر الاحمر في نواحي السويس حيث قطعوا البحر اذ شقّ الله لهم مسلكًا غير ان برُغش باي صاحب تاريخ مصر ايام الفراعنة رأى ان البحر المشار اليهِ خليج على شاطئ بحر الروم شمال برزخ السويس لكنّ ذلك يحتاج الى التثبيت نعم ان الطريق القربى الاعتيادية كانت من مصر الى ارض كنعان على شاطئ بحر الروم كما رأى برُغش باي لكنّ الله أراد اخراج شعبهِ على منوالٍ غريب بهِ يقاصّ الظالمين ويبقي ذكرهُ في شعبهِ حتى لا ينسوهُ فاجرى بهم وبعدوّهم ما اجراهُ. وزمان الخروج لا يزال غير معين بسوى الظن ولعلهُ كان منذ ١٥٠٠ سنة ق. م. وسار بنو اسرائيل على شاطئ البحر الاحمر بعض مراحل ثم مالوا الى برّية سين نحو طور سيناء وفي هذه البرية اخذ الله يطعمهم المن ولما لم يكن ماء هناك اجراهُ لهم من الصخرة ثم وصلوا الى رفيديم حيث انتشبت لهم حربٌ مع العمالقة من نسل عيسو ونصرهم الله فقهروا العمالقة (خر ص ١٧) ثم ارتحلوا ونزلوا عند طور سيناء

ارتحالهم الى طور سينا لمضي شهرين من الخروج (خر ١٩: ١)

المدة الثالثة

التيه في البرية ومدتهُ ٤٠ سنة وذلك من نحو ١٥٠٠ الى نحو ١٤٦٠ ق ٠ م٠

الشريعة الموسوية

١٤. اعظم ما حدث في هذه المدة واهمّهُ اعطاء الشريعة عند طور سيناء حيث استمرَّ بنو اسرائيل نحو سنتين وسميت تلك الشريعة بالشريعة الموسوية اذ اعطيت على يدهِ واعتبرها الناس كل الاعتبار في كل زمان لما فيها من الحكمة الالهية التي تميّزها عن شرائع جميع الامم وقد حاز موسى المقام الاول بين المشترعين ففاق مينوس وليكورغس وصولون وغيرهم من المشهورين في ذلك وما يعتبر خاصةً في هذه الشريعة التعليم الصريح بوحدانية الله وانهُ لا يرى ولا يمكن تصويرهُ او تمثيلهُ بشيءٍ من الموادّ الارضية وهذا خلاف ما ظنهُ الامم وبنو اسرائيل انفسهم في ذلك الوقت لانهُ لما ابطأ موسى في الجبل فظنوهُ هلك اتخذوا لانفسهم الهًا العجل (خر ص ٣٢) مثل ما عرفوهُ من معبودات المصريين ولا شك في انهُ تمثال الههم العظيم ابيس فاضطر موسى ان يؤدّبهم تأديبًا شديدًا ليردهم الى التعليم الحقيقي الذي هو جوهر الشريعة الموسوية وجوهر تاريخ هذا الشعب ولا يخفى ما في هذه الشريعة ايضًا من الاشارة الى يسوع المسيح الذي وُعِد بان يعطي العالم شريعةً تفوق شريعة موسى كما تفوق تلك غيرها

مسير بني اسرائيل الى قادش

١٥. وبعد اقامتهم في سيناء وانشاء تراتيبهم الدينية والسياسية ارتحلوا نحو ارض الميعاد وساروا شمالاً قاصدين حدود فلسطين الجنوبية بين بحر لوط وبحر الروم ولا نقدر ان نعيّن طريقهم لان مراحلهم غير معروفة لكنهم قدموا على طريق جبل سعير الى مدينة قادش برنيع وذلك مسافة ١١ يومًا وظن ان موقع هذه المدينة كان قرب جبل الاموريين الى الجنوب الشرقي من بحر لوط ومن تلك المدينة بعثوا الجواسيس الى ارض كنعان (عدد ص١٣) فرجعوا بعد اربعين يومًا واخافوا الشعب باخبارهم الهائلة ووصفهم اهل الارض فجبن الاسرائيليون وابوا ان يتقدموا فغضب الله عليهم وحكم بتيههم اربعين

سنة الى ان يموت كل ذلك الجيل ما عدا كالاب ويشوع (عدد ٢٩:١٤ و٣٠) فلما عرف

هزيمة بني اسرائيل بنو اسرائيل جهالتهم راموا الدخول حالاً على رغم المشيئة الالهية فلما تقدموا لاقاهم العمالقة والكنعانيون وغيرهم وكسروهم فرجعوا عن مقصدهم كرهًا (عدد ٣٩:١٤—٤٥) وارتدوا على أعقابهم وتاهوا في البرّية بقية السنين الاربعين فتقضت عليهم بين مصر وارض كنعان ولا حاجة الى ذكر مراحلهم وامورهم في هذه المدة . ومن اراد مطالعتها يجدها في سفر العدد (ص ١٥—١٩)

موت مريم وهرون ١٦. وفي نهاية هذه المدة كانوا في قادش كأنهم يقصدون ارض كنعان ثانيةً من ذلك الطرف وهناك ماتت مريم اخت موسى وهرون ومات هرون عند جبل هور وعمرهُ ١٢٣ سنة (عدد ص ٢٠) وكان قد هلك اكثر الجيل الخارج من مصر. ثم راموا المرور

ممانعة الادوميين والكنعانيين لهم بارض ادوم جنوبي بحر لوط فأبى الادوميون ذلك فنهاهم الله عن ان يقاتلوهم لأنهم من نسل عيسو (عدد ١٤:٢٠—٢١) ومنعهم ملك عراد الكنعاني ايضًا (١:٢١) فالظاهر انهُ سدَّ عليهم الطريق القريبة غربي بحر لوط فالتزموا ان ينزلوا في العربة غربي جبل سعير ارض ادوم ليدوروا حولها فيصعدون شرقيها فتقدم بنو اسرائيل الى راس خليج العقبة الى ايلة وعصيون جابر ثم مروا شمالاً في برية موآب (تث ٨:٢)

ارض الاموريين والموابيين وكان طريقهم على طرف ارض ادوم الشرقي حتى وصلوا الى ارض مواب وقطعوا نهر ارنون وكان حينئذٍ تخم موآب الشمالي وارضهم على بحر لوط الى الجنوب الشرقي منهُ وكان قبل ذلك ان الاموريين اتوا من غربي البحر وطردوا الموآبيين من تخومهم الشمالية واستولوا على البلاد من نهر ارنون (عدد ١٣:٢١) وكان ملك الاموريين يومئذٍ سيحون. فدار بنو

حرب سيحون وعوج اسرائيل بارض موآب شرقًا لانهم كانوا من ذوي قرابتهم وسألوا المرور باملاك سيحون فأبى وخرج لمحاربتهم فهزموا جيشهُ وقتلوهُ واستولوا على ارضهِ من نهر ارنون الى نهر يبّوق تخمهم الشمالي (عدد ٢١:٢١—٣٠) وكان شماليّ يبوق بنو عمّون القاطنون ارض باشان وكان ملكهم حينئذٍ عوج الجبار فضربوهُ مع قومهِ واخذوا ارضهم (عدد ٣١:٢١—٣٥) وكان سرير عوج من حديد طولهُ ٩ اذرع وعرضهُ ٤ (تث ١١:٣). ونسبوا الى هذا الملك غرائب كثيرة منها انهم اخذوا احد عظامهِ وصنعوهُ جسرًا على نهر ما. فاستولى بنو اسرائيل على شرقي الاردن وبحر لوط من نهر ارنون جنوبًا الى جبل حرمون شمالاً

١٧. ثم نزلوا في عربات موآب مقابل اريحا (عدد ١:٢٢) فلما رأى بالاق ملك

موآب ما كان خشيَ منهم فاستجاش بني مديان وجمع جنودهُ على الجبال خلف بني اسرائيل لكنهُ لم يجسر ان يهاجمهم بل سأَل بلعام بن بعور ان يأتي ويلعنهم والقصة معروفة (عدد ص٢٢-٢٤) وكان بلعام من فتور على نهر الفرات او فيما بين النهرين والظاهر ان خبرهُ شاع كثيرًا حتى بلغ قبائل بعيدة ونستنتج من قصتهِ انهُ كان نبيًّا حقًّا مع انهُ كان بين الوثنيين نشغل بالعرافة والسحر فلنا فيهِ دليل على ان الله لم يترك العالم بلا شاهد لهُ بين الامم كما كان من امر ايوب واما بالاق فلم يدرك غايتهُ من استدعائهِ بلعام بل سمع منهُ خلاف ما رام فاغتاظ. فانطلق بلعام لكنهُ اشار على بالاق بما يجرّب بني اسرائيل ويوقعهم في الخطية (عدد ٣١: ١٦) لانهم اخذوا يزنون مع بنات موآب ويعبدون آلهتهم فاهلك ٢٤٠٠٠ منهم بالوباء (عدد ص٢٥). ثم ضرب بنو اسرائيل المديانيين لما فعلوهُ في معاهدة موآب عليهم وكان حينئذٍ بلعام نفسهُ (عدد ٣١: ١-١٢) من جملة من هلك منهم. ثم اقتسم سبط راوبين وسبط جاد ونصف سبط منسّى الاراضي التي غزاها بنو اسرائيل شرقي الاردن على شرط انهم يسيرون مع اخوتهم لمحاربة الامم في ارض كنعان ولا يطلبون نصيبًا فيها (عدد ص٣٢) ثم عيَّن موسى يشوع قائدًا لجماعة بني اسرائيل واخبرهم انهُ سيموت اذ منعهُ الرب من الدخول الى ارض الميعاد واعاد كل الشريعة التي اسمعهم اياها في سيناء وحرّضهم على حفظها وانذرهم بما يصيرون اليهِ اذا نسوها ونسوا الله ثم صعد الى جبل نبو وهو راس فغور حيث كان معبد آلهة موآب ورأَى موسى منهُ كل ارض فلسطين وهناك مات ودفنهُ الله ولا يُعرَف قبرهُ لكن ذِكرهُ لا يزول الى الابد فلم يكن اعظم منهُ من بني البشر وكان عمر موسى ١٢٠ سنة نقضي عليهِ اربعون منها في مصر واربعون في برّية مديان واربعون في رئاستهِ لبني اسرائيل

بالاق ملك موآب

امر بلعام

وقوع بني اسرائيل في الخطية

نصيب راوبين وجاد ومنسى

موت موسى

المدة الرابعة

من موت موسى الى موت يشوع . افتتاح ارض كنعان . من نحو سنة ١٤٦٠ الى نحو سنة ١٤٣٠ ق.م

يشوع

١٨. وخلف يشوع موسى في الرئاسة ولم يكن مشترعًا او نبيًّا كسالفهِ بل قائدًا حربيًّا شجاعًا شديد الباس. والحروب العظيمة التي أتاها تبيّن نشاطهُ وبأسهُ ومهارتهُ لان افتتاح ارض كنعان لم يكن امرًا هيّنًا لانها كانت ذات جبالٍ وحصون طبيعية وكان سكانها ارباب حرب اعتادوها منذ القديم ومنهم جبابرة اشداء وكانت مدنهم كثيرة في احسن تحصين فحالت دون من يريد فتحها مصاعب واهوال ولو قصدها باعظم جيوش المجرّبين واتقن الآلات الحربية . اما رجال يشوع وان كانوا نحو ٦٠٠٠٠٠ فلم يكونوا من مزاولي الحروب المجربين لانهم لم يأتوا حربًا قبل ذلك الاَّ قليلاً ولم يتعوّدوا مهاجمة الحصون ولا دكها بالمجنيق ولذلك كان على يشوع ان يقوم باعظم الامور واصعبها ولولا معونة الرب ما امكنهُ ان يتمّ ما أتمّ ومع انهُ علم كل تلك المصاعب حل على الاعداء مستغيثًا بالرب فظفر واسى بطل اسرائيل الصنديد ولا حاجة الى ذكر حروبهِ بالتفصيل لانها فُصّلت في التوراة (انظر سفر يشوع) فنقتصر على ما يهمنا منها فنقول

عظمة افعالهِ

عبور الاردن

قام يشوع بعد وفاة موسى وقاد الاسرائيليين الى الاردن فقطعوهُ كما قطع اباؤُهم بحر سوف فتشجعوا من ذلك اذ كان بيّنة على ان الرب معهم فاقاموا تذكارًا على ضفة الاردن. والقى الله الرعب في قلوب سكان الارض بدليل انهم لم يناوشوا بني اسرائيل البتة ولم يقاوموهم الى ان قدموا على اريحا ونازلوها وكانت حصينة جدًّا وكان اهلها واثقين بحصانتها لكنهم لم يجسروا على ان يخرجوا للقتال وبعد سبعة ايام سقطت المدينة كما ذكر في التوراة (يش ص٦) وكانت مدينة غنية فيها الذهب والفضة والحديد والنحاس والمنسوجات الكلدانية (يش ٢١:٧) وذلك دليل على تمدُّنها واتساع تجارتها فعجب بنو اسرائيل غاية العجب وما ذلك الاَّ لانهم كانوا يومئذٍ من اهل الوبر مولودي البرّية ولذلك لا نستغرب

خوف السكان

سقوط اريحا

ان عخان اشتهى بعض نفائسها خلافًا لامر الرب (يش ص٧)

خداع اهل جبعون

١٩. وافتتحوا عاي بعد الانكسار الاول الناتج عن خيانة عخان (ص ٨) فارتعد اهل البلاد جميعهم واجتمعوا لمحاربة يشوع فاحتال اهل جبعون على يشوع بغية الحصول على معاهدتهِ فعاهدهم ولما عرف الحقيقة لم ينكث عهدهُ فاستبقى جبعون ومتعلقاتها الثلاثة ولم يخربها (ص ٩) فكان خير مثالٍ لارباب السياسة والدين الذين لا يعتبرون عهد الكفرة او الخانة

وكانت جبعون في الجبل غربي اريحا وشمالي اورشليم فهي كباب للجهات الغربية فلما خضعت لبني اسرائيل مُهِدت لهم الطريق الى مهاجمة تلك الجهات فلما سمع الملوك بما كان اعتمدوا على افتتاح جبعون ليسدوا هذه الطريق على يشوع فاستغاثهُ اهل جبعون فاجابهم فصعد من الجلجال ليلاً واوقع بالملوك والجنود المحاصرين وبدَّد شملهم فجفلوا الى بيت حورون وهي غربي جبعون ودارت عليهم الدائرة فجدَّ يشوع في اثرهم واخذ الملوك الخمسة وقتلهم (يش ص١٠) وحدث في هذه المعركة تلك العجيبة التي لا تزال تحيّر عقول البشر وهي وقوف الشمس والقمر ولا يلزم ان يكون المراد ان الشمس وقفت حقًّا او ان الارض تركت دورانها الجوازان يكون ذلك مجرد ما ظهر ليشوع وقومهِ على أنَّ للخالق حق التصرف في مخلوقاتهِ

اجتماع الملوك على اهل جبعون

حرب ملوك الشمال

٢٠. ولما تمَّ افتتاح جنوبي الارض (١٠: ٤٠) اجتمع لمحاربة اسرائيل ملوك الشمال وكان كبيرهم على ما هو الظاهر يابين ملك حاصور (١١: ١٠) ولا يعرف موقع هذه المدينة ولكن رأي الاكثرين انها كانت غربي الحولة اذ التحمت الحرب عند مياه ميروم (وهي الحولة) فانتُدِب الى يابين جميع ملوك الكنعانيين واجتمعوا مع جنودهم وهم خلق كثير ومعهم خيل ومركبات وهذا اول ذِكر للمركبات في حروب كنعان وهو دليل على تقدُّم الكنعانيين في امور الحرب . ولما سمع يشوع بما كان عبّى جنودهُ واتى بغتةً الى ميروم واوقع بهم وهزمهم الى كل جهة فهرب البعض غربًا الى صيدون والبعض شرقًا فتشتت شملهم (ص ١١) وعرقب يشوع الخيل وحرق المركبات وكأن بني اسرائيل نفروا من استخدام الخيل في الحرب وظلوا كذلك الى ايام داود ولم يستعملوها لغير حاجةٍ ولما عاد يشوع عنهم خرب حاصور وقتل يابين ملكها واستولى على ارض الشمال كما فعل في الجنوب سابقًا وقسم الارض بين الاسباط الاثني عشر كما ذكر في التوراة (يش ص ١٣ الخ) وعلى

هزيمتهم

قسمة البلاد بين الاسباط

ذلك اقام بنو اسرائيل في تلك البلاد لكنهم لم يطردوا جميع الكنعانيين الوثنيين الذين كانوا لهم بعد ذلك فخًا وتجربةً وكانت عاصمة الشعب الدينية شيلوه (يش ١٨: ١) والعاصمة السياسية شكيم (٢٤: ١) حيث جمع يشوع الاسباط قبل موته لينصحهم وينذرهم كما فعل موسى في عربات موآب وحلّفهم على حفظ شريعة الله ونستدل من كلامهِ انهم فسدوا شيئًا في ايامهِ (يش ٢٤: ٣١) ثم مات يشوع وهو ابن مئة وعشر سنين

المدة الخامسة

القضاة من نحو سنة ١٤٢٠ الى سنة ١٠٩٥ ق م

حالة البلاد في هذه المدة

٢١. هذه المدة زمان اضطراب وقلق وكثيرًا ما شقيت البلاد فيها وفسدت احكامها وقلّ أمنها لانهُ لم يكن حينئذٍ ملك في اسرائيل وكان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيهِ (قض ١٧: ٦) وقد ثبت من كل تواريخ الارض انهُ "لا تصلح الناس فوضى لا سراة لهم" فالشعب بلا حاكم عرضة لكل فسادٍ وتعدٍّ وكذا كانت حال بني اسرائيل منذ وفاة يشوع الى قيام عالي وصموئيل وانشاء المملكة وكل ذلك مبينٌ في سفر القضاة ولا عجب من ذلك لان بني اسرائيل كانوا عبيدًا في مصر ثم تاهوا اربعين سنة في البرية ودخلوا ارض كنعان يجهلون كل تمدنٍ واضطروا ان يحاربوا سكان البلاد ويطردوهم ولما لم يطردوهم كلهم من الاول لم يمكنهم السكنى بالسلام لكي يتمدنوا فبقوا رجال حرب خشني الطباع والاخلاق . ولما كانوا غير مؤتلفين عرضوا انفسهم للتعدي من خارج والتشويش من داخل وكان في امكانهم ان ينجوا من هذه المصائب او اطاعوا شريعة الرب وقبلوا نصائح من اقامهم لارشادهم لكنهم نسوا الله فسلّط عليهم من يؤذيهم فصرخوا اليهِ فاقام لهم من يخلصهم وكان يسمى يومئذٍ قاضيًا ولم يكن ملكًا ولا قاضيًا بالمعنى المتعارف بل رئيسًا وقائدًا في الحرب لدفع المعتدين وكانوا اذا مات ذلك القاضي لا يقيمون غيرهُ مقامهُ حتى يتعوا في الشرّ ايضًا فيستعبدهم عدوٌّ آخر فيقيموا قاضيًا آخر ثم يفعلوا كالسابق وهكذا الى آخر

تلك المدة. وما ذكرناهُ ملخص تاريخها

٣٣. وقدر تلك المدة لم يعرف حق المعرفة. ونعرفها بالتقريب ممَّا سترى وذلك انهُ قيل في (١ مل ٦: ١) ان ابتداء بناء هيكل سليمان كان في السنة الرابعة من ملكهِ وهي السنة ٤٨٠ بعد الخروج وكان ابتداء ملك سليمان في نحوسنة ١٠١٥ ق.م. وسبقهُ داود وشاول ومدة ملكهما ٨٠ سنة وسنو التيه ٤٠ سنة ولنفرض مدة افتتاح ارض كنعان الى موت يشوع وجيلهِ ٤٠ سنة فاذا طرحنا مجموع ذلك من اربع مئة وثمانيين بقي ٣٠٦ سنة فقط وهي مدة القضاة ولكنا اذا جمعنا السنين المذكورة في سفر القضاة بالتفصيل بلغت نحو ٤٥٠ سنة لان تلك السنين لم تكن متوالية ولعلَّ الحوادث المذكورة لم تكن عامَّة بل محلية فيصحّ انهُ حين كان احد القضاة في مكان كان غيرهُ في مكان آخر ولعلهم قصدوا بقولهم كان فلان قاضياً ٤٠ سنة مثلاً او عشرين سنة ان تلك السنين مدَّة رئاستهِ مع مدة العبودية التي انقذ الشعب منها على ان الازمنة لم تضبط من ذلك الوقت الى ايام شاول

دوام هذه المدة

ويتعلق بهذه المدة ما ذكر من امر ميخا (قض ص١٧ و١٨) وقصة تهلكة سبط بنيامين (ص ١٩—٢١) وانباء سفر راعوث. وكل هذه القصص مفيدة جدًّا لانها تبين ما كانت عليهِ البلاد من امورها الداخلية والهيئة الاجتماعية في ذلك الزمان الذي لم يكن فيهِ ملك في اسرائيل وكان يعمل كل واحدٍ ما يحسن في عينيهِ

قصة ميخا وتهلكة بنيامين راعوث

٣٤. واول قضاة الاسرائيليين عثنئيل بن قناز من سبط يهوذا وهو آخر مَن اشتهر من هذا السبط الى ايام داود وقام ليخلص اسرائيل من يد كوشان رشعتايم ملك ارام النهرين الذي استعبدهم ثماني سنين ولم يُعرَف شيءٌ من امر هذا الملك غير المذكور في التوراة (قض ٣: ٨—١٠). فاستراح اسرائيل ايام عثنئيل ٤٠ سنة ثم عادوا وعملوا الشر فسلمهم الرب ليد عجلون ملك موآب وحلفائهِ (٣: ١٢ الخ) فملكوا اريحا وما حولها وربما لم يستعبدوا كل الارض والظاهر ان النير كان ثقيلاً على سبط بنيامين فدفعوا الجزية نحو ثماني عشرة سنة ثم حدث انهم بعثوا جزية السنة على يد بطل اسمهُ اهود قام على عجلون وقتلهُ وضرب الظالمين وطردهم واستراحت الارض ثمانين سنة (٣: ١٣—٣٠) واخذ الفلسطينيون يضايقون اسرائيل الاَّ انهم لم يتقوَّوا كثيراً في هذا الزمان والارجح ان تسلطهم كان في الجنوب الغربي فقط فقام شمجر وضربهم (٣: ٣١)

عثنئيل

اهود

شمجر

٣٥. وبعد موت اهود وقع بنو اسرائيل بيد الكنعانيين وكان ملك كنعان حينئذٍ

يابين ولعلهُ من نسل يابين المذكور في حروب يشوع (راجع رقم ٣٠) لان عاصمة حاصور وكانت يدهُ ثقيلة جدًا على البلاد لانهُ كان لهُ جيش وافر وتسع مئة مركبة فتضايق بنو اسرائيل جدًا وانقطعت الطرق خوفًا من العدوّ وارتخت ايديهم فلم يجسر احد ان يقدم لتنجيتهم وسلبهم العدوّ اسلحتهم لئلاّ ينهضوا للحرب (٥: ٨) فجبنَ الناس ولم يجسر احد منهم

دبورة وباراق على ان يشجع اخوتهُ على المقاومة حتى قامت دبورة النبيّة وحثّت الناس على محاربة العدوّ ودعت باراق ليحشد جيشًا ويقاتل يابين. فخشِيَ منهُ كثيرًا ولم يُرِد ان يتقدم لمحاربتهِ الاّ بان تذهب دبورة معهُ فجمع ١٠٠٠٠ مقاتل عند جبل تابور. فلما سمع الاعداء بما كان

الحرب عند نهر قيشون حشدوا جنودهم الكثيرة ومركباتهم في مجدّو في الجنوب الغربي من وادي يزرعيل عند نهر قيشون المسمّى الآن بالمقطّع واختاروا هذا المركز لمناسبة السهل الواسع هناك لمركباتهم وكان مركز بني اسرائيل شرقي هذا الوادي فلما زحف باراق ومَن معهُ لمهاجمة العدوّ عصفت الرياح وغزرت الامطار ووقع البرَد وكان في وجوه الاعداء ففاض النهر وجرف رجالهم وارتبكت مركباتهم فانكسروا انكسارًا هائلاً وتشتّت من نجا منهم وهرب سيسرا قائدهم ووقع في يد ياعيل امرأة حابر القيني فقطع الاسرائيليون بذلك نير الكنعانيين (قض ص ٤ وترنيمة دبورة وباراق ص ٥) واستراحت الارض اربعين سنة

٣٥. وارتكب بنو اسرائيل المعاصي بعد ذلك وزادوا على كل ما سبق وادخلوا عبادة البعل الى وسط البلاد واقاموا لهُ مذبحًا وسارية (٦: ٢٥) فسلّط الله عليهم المديانيين والعمالقة وبني المشرق وهم اهل الوبر وكانت مواشيهم لا تحصى فكان كلما زرع بنو اسرائيل وحان الحصاد تأتي تلك القبائل بلادهم وتنتطف اثمارهم وتنهب غلالهم فكاد ينفد القوت

جدعون من ارض اسرائيل فتضايقوا جدًا الى ان اقام الله جدعون لانقاذهم. والظاهر ان المديانيين كانوا قد قتلوا اخوتهُ في تابور (قض ٨: ١٨ و١٩) فخاف منهم كبقية الناس حتى نبّههُ الله وشجّعهُ وبعد ان نزع عبادة البعل ندب اهلهُ فانتدب اليهِ ٣٢ الف رجل لكن الله لم يقصد غلبة العدوّ بهذا العدد لئلاّ ينسبوها لانفسهم فاطلق جدعون كل خائف فرجع عنهُ ٢٢٠٠٠ رجل وبقي ١٠٠٠٠ رجل عدد جنود باراق كما تقدم وكان هولاء كثيرين ايضًا في عيني الرب فارجع جدعون كثيرين منهم حتى لم يبقَ سوى ٣٠٠ رجل وكان المديانيون

كسرة المديانيين نحو ١٣٥٠٠٠ مقاتل ومعهم جميع مواشيهم فاوقع بهم جدعون وقومهُ القليل ليلاً فاضطرب الاعداء فقاتل بعضهم البعض فهلك منهم الوف وربوات ولما سمع بنو اسرائيل بما كان اجتمع

افرايم عند مخاضة الاردن حيث شرع الاعداء يعبرون فقتلوهم فلم ينجُ الى العبر الاَّ ١٥٠٠٠ لجأوا الى البرّية الشرقية فتبعهم جدعون واهلكهم جميعًا فانقذ بني اسرائيل من اولئك الاعداء الاقوياء الظالمين فطلبوا منهُ ان يملك عليهم هو واولادهُ بعدهُ فأبى ذلك اذ حسبهُ خيانة للرب ملكهم الوحيد لكنهُ بقي قاضيًا لهم اربعين سنة في احسن مقام وكان لهُ سبعون ولدًا واستراحت البلاد تمام الاستراحة مدة حياتهِ

٢٦. ونسي الاسرائيليون بعد موتهِ الله وعبدوا الاصنام فحق عليهم القصاص ووقع ابيمالك
وذلك ان ابيمالك ابن جارية لجدعون قتل اخوتهُ وتسلَّط على الناس واقام دارهُ في شكيم والظاهر ان اكثر اهلها كان من نسل الذين سكنوها في ايام يعقوب فسئموا سلطة ابيمالك اذ كان ابن جدعون فخانوهُ فالتزم ابيمالك ان يخضعهم فضربهم وخرب مدينتهم لكنهُ وقع قتيلاً في احدى الوقائع بان طرحت احدى النساء من البرج حجرًا على راسهِ فشدخهُ (ص ٩) فانتهت دولتهُ لمضي ثلاث سنين من ملكهِ وهو اول من سمي ملكًا من بني اسرائيل
وقام بعده تولع وياثير واعمالها لا تذكر ومدة قضائهما خمسٌ واربعون سنة (قض ١٠: ١-٥) تولع وياثير

٢٧. ثم عاد بنو اسرائيل وعملوا الشر وعبدوا الآلهة الغريبة فسلط الله عليهم الفلسطينيين وبني عمون فحطَّوهم ورضضوهم ١٨ سنة (١٠: ٦-٨) فخلصهم من ظلم بني
عمون يفتاح وكان جبار بأس لكنهُ رئيس اناس بطّالين غزاة عاشوا بالسلب والنهب اذ يفتاح
كان اخوتهُ قد طردوهُ (١١: ١-٣) ولما ضايق بنو عمون بني اسرائيل ولا سيما اهل جلعاد استغاثوهُ اذ لم يكن من يتقدمهم للحرب فاجابهم الى ذلك على شرط انهم يقيمونهُ رئيسًا على جلعاد اذا ردَّ العدوّ فسار بجيش جلعاد لمحاربة بني عمون وغلبهم غلبة عظيمة وانقذ اخوتهُ من شرهم واصبح رئيسهم فاكرموهُ لبأسهِ الاَّ انهُ كان شرس الاخلاق لا يبالي
بالعواقب ياتي الامور على غير رويَّة ومن ذلك انهُ خرج يومًا للحرب فنذر للرب ان يقدم نذر يفتاح
الخارج من بيتهِ لاستقبالهِ حين رجوعهِ ذبيحةً وحدث ان ابنتهُ الوحيدة خرجت للقائهِ فذبحها (١١: ٣٠-٤٠) وذلك امرٌ لا يرضاهُ الرب كما لا يخفى اذ نهى عن مثل تلك
الذبيحة ومنهُ ان بني افرايم تظلَّموا منهُ لانهُ لم يستدعهم للحرب كما فعلوا بجدعون عند قهرهِ تهلكة بني
المديانيين فلاطفهم جدعون وسالمهم (قض ٨: ١-٣) اما يفتاح فلم يعرف اللطف وقام افرايم
على افرايم وضربهم عند مخاوض الاردن وقتل منهم ٤٢٠٠٠ رجل (١٢: ١-٦) وقضى يفتاح لاسرائيل ست سنين وقام بعدهُ ابصان وايلون وعبدون ولم يكونوا ممن يعتدّ بهم

ومدة قضائهم ٢٥ سنة

شمشون ٣٨. ذكرنا ان الفلسطينيين ضايقوا الاسرائيليين في تخوم يهوذا ودان فاقام الله لهم منقذًا من دان وهو شمشون الشهير. وكان الفلسطينيون ساكنين في السواحل عند غزة واشقلون وعقرون (راجع الجزء الرابع) وكانوا قد اشتدوا قوةً كما يتضح من افتتاحهم صيدا (راجع اخبارها) ولهم مركبات وخيل واسلحة متقنة وكان بعضهم من الجبابرة فلم يطرد بنو اسرائيل الاَّ قليلاً منهم عند دخولهم ارض الميعاد وفي اواخر زمان القضاة اخذوا يتسلَّطون على اسرائيل وامسوا الدّ اعدائهم الى ايام داود ولم يخضعوا تمام الخضوع الى ايام حزقيا وكان لهم تأثير عظيم في تاريخ بني اسرائيل حتى اطلق اسمهم على البلاد فسمّيت فلسطين

ولا شكَّ في ان نيرهم كان ثقيلاً على بني اسرائيل ولا سيما رجال يهوذا فاعترفوا بتسلط الفلسطينيين عليهم (قض ١٥: ١١) اما شمشون فكان فريد عصرهِ وابدى من البأس والجراءة ما لم يسبق له مثل كما يبيّن من قصتهِ (قض ص١٤–١٦) فقام على الفلسطينيين وحدهُ وقتل منهم الوفًا ولكن مع كل باسهِ لم يقدر ان يخلص بني اسرائيل من العبودية لانهم لم يعملوا معهُ فسقط اخيرًا بيد العدوّ وقُتِل. وكان قد قضى شمشون مدة عشرين سنة ايام تسلط الفلسطينيين وقد تسلَّطوا على اسرائيل ٤٠ سنة (قض١٣: ١) وكانت هذه الامور محلّية حدثت في الجنوب الغربي والظاهر انهُ كان في ذلك الزمان حاكمٌ آخر في البلاد فاق بقية القضاة في السلطان وهو عالي الكاهن. والدليل على ذلك قول التوراة ان الفلسطينيين تسلطوا على البلاد ٤٠ سنة كما مرّ وكان حكم شمشون في هذه المدة اما عالي فمات حين زهو قوتهم وهو طاعن في السنّ بعد ان قضى اربعين سنة (١صم ٤: ١٨) فلزم من ذلك انهُ كان معاصر شمشون

(بأس شمشون) (عالي)

مقام عالي ٣٩. وكان عالي خلاف مَن سبقهُ من القضاة لانهُ كان قاضيًا ورئيس كهنة ولما كان سلطان الكهنوت عامًّا اصبح سلطان قضائهِ كذلك فصار اكثر بني اسرائيل يتوجهون اليهِ للحكم ولا سيما بعد موت شمشون وكان مقام عالي في شيلوه في ارض افرايم حيث كان تابوت الرب وخيمة الاجتماع فكان الشعب يجتمعون هناك للعبادة وللقضاء (١صم ص١).

بنو عالي وكان عالي تقيًا عادلاً غير انهُ لما شاخ اخذ اولادهُ يعاون مكانهُ فافسدوا وظلموا وارتكبوا الرذائل في الدنيويات والدينيات (١صم٢: ١٢ و١٤ و٢٢) ولم يقدر عالي على ردّهم عن فواحشهم فحكم الله باهلاكهم واقام صموئيل مكانهم يسوس شعبهُ بالعدل والاستقامة ولم يكن

كاهنًا ولعلهُ لم يكن لاويًا فكان نبيًا وآخر القضاة قضى لاسرائيل الى ان اقيمت المملكة

وكان الفلسطينيون متسلطين على البلاد كما مرَّ ونحو الزمان الذي نحن في صدده
اشتدوا كثيرًا ودخلوا البلاد فحدثت حربٌ في افيق شمالي اورشليم في ارض بنيامين وانكسر بنو اسرائيل وهلك منهم ٤٠٠٠ رجل فحزنوا شديد الحزن واحضروا تابوت الله من شيلوه ظانين ان الله ينصرهم اكرامًا لتابوته فحدث غير ما ظنوا فانكسروا وانهزموا وهلك ٣٠٠٠٠ رجل منهم مَن جملتهم حفني وفنحاس ابنا عالي ولما اتصل الخبر اليهِ وعرف ان الاعداء اخذوا تابوت الله سقط عن كرسيهِ في باب المدينة ومات وهو ابن ثمانٍ وتسعين سنة (١صم ص ٤) ثم صار صموئيل قاضيًا على كل الشعب وحسنت سيرتهُ واستقامت سياستهُ فاخذت الامور تحسن والناس يردعون الفلسطينيين وينتقمون منهم وجمع صموئيل الشعب في المصفاة وانذرهم وحثهم على طاعة الرب فاجابوهُ ولما سمع الفلسطينيون باجتماعهم حشدوا جنودهم وهاجموهم فنصر الله بني اسرائيل لدعاء صموئيل فاوقعوا بالعدوّ وبددوا شملهم وهكذا انفكَّ عنهم نير الفلسطينيين شيئًا وعظم شان صموئيل واعتبرهُ كل الشعب واحترموهُ فكان يجول بين الاسباط يقضي للناس حتى شاخ فعيَّن ابنيهِ قضاةً ايضًا لكنهما لم يسيرا سيرة ابيهما بل افسدا القضاء فاخذ بنو اسرائيل يتظلمون منهم الى صموئيل ويطالبون ان يقيم لهم ملكًا كسائر الامم اما هو فاقشعرَّ من ذلك اذ حسبهُ نوعًا من الكفر لان الله كان ملكهم وقد اختارهُ آباؤُهم في البرية ملكًا لهم فعيَّن الله مَن يترأس عليهم ويرتب سياستهم كأنهُ نائبهُ بين الشعب غير انهم اهملوا ترتيب الله ونظامهُ فوقعوا في ضيقاتٍ شتَّى فظنوا ذلك ناتجًا عن عدم وجود ملك عليهم ولا يخفى ان امورهم السياسية كثيرًا ما كانت في ما مرَّ رديئة الَّا ان ذلك حصل لهم بسبب عدم مراعاة القوانين التي وضعها الله لهم فكان يمكنهم ان يستخبروهُ في كل شيءٍ وينجحوا في امور السياسة والدين لولا فسادهم اما صموئيل فكان منصبًّا على شريعة الله وترتيبهِ فلما طلبوا ملكًا حزن جدًّا واراد ان يصرفهم عن هذا الشرّ الَّا ان الله رأى ان زمان طاعتهم لنظامهِ القديم قد مضى وان زمان المملكة قد حان فاخبر صموئيل ان يقيم لهم ملكًا فاطاع وفي هذا نرى حسن اخلاقهِ اذ انهُ سلَّم وقبل النظام الجديد مع انهُ احب القديم واحترمهُ كل الاحترام ولكن لما رأى ان التغيير واجب سلَّم وعمل بمقتضى الحال

حرب الفلسطينيين في افيق

موت عالي

قضاء صموئيل

ابنا صموئيل

فساد سياسة بني اسرائيل

٣٠. وانتهت باقامة المملكة دولة القضاة وكانت مدة ذل وهوان لبني اسرائيل لكنها

حقيقة مدة القضاة كانت عظيمة الفائدة لمن ينظر فيها بغية الوقوف على الحق فيرى فيها عاقبة نسيان الله في امور السياسة التي لا تجري مجرى النجاح بدون مراعاة المبادئ الدينية الالهية كما يتضح جليًا من اخبار بني اسرائيل في هذه المدة ونرى فيها ايضًا رحمة الله وطول اناتهِ في معاملتهِ شعبهُ فانهُ تداركهم بلطفهِ مرارًا عديدة اذ خانوهُ فادركهم الضيق ثم اقام منقذًا لهم وافرج عنهم ورحمهم وهو ارحم الراحمين

المدة السادسة

مدة المملكة من انشائها الى انقسامها (من سنة ١٠٩٥ الى سنة ٩٧٥ ق.م)

تقدم البلاد العظيم في هذه المدة ٢١. في هذه المدة صعد بنو اسرائيل من حضيض الذل والضعف الى ان بلغوا قمة العز والقوة في ايام سليمان لانهُ لما ملك شاول اول ملوكهم كانت الامة على ما كانت عليهِ ايام يشوع تقريبًا او اقلّ قوةً وتمدنًا اذ كان بعض القبائل التي غلبها يشوع متسلطًا عليها وكانت عوائد الناس غير ذات تهذيب والهيئة الاجتماعية في تشويش ولكن في نهاية هذه المدة امتدت المملكة من تخوم مصر الى الفرات وارتقى الملك الى مقام سامٍ بين ملوك الارض واستغنى وكانت دارهُ مزخرفة وعاصمتهُ مشيَّدة وذاع صيتهُ في الدنيا واتسعت تجارتهُ وخضعت لهُ الامم المجاورة ودفعت الجزية وكثر الذهب والفضة في اورشليم. فعظم الفرق بين اوائل ملك شاول واواخر ملك سليمان

٢٢. وملك شاول من سنة ١٠٩٥ الى سنة ١٠٥٥ ق.م. ومسحهُ صموئيل بامر الله

ارتقاء شاول وكان ذلك سرًّا ولكن بعد حين جمع الناس في مصفاة والقى القرعة فتعيَّن شاول علانية (١صم ص ١٠) ولم يسرَّ بهِ الجميع مع انهُ كان طويل القامة جميل الصورة جبَّار بأس قادرًا على قيادتهم في الحروب لانهُ كان من اصغر سبط من الاسباط وعائلتهُ ليست بذات شان فتذمر البعض ولم يقدموا لهُ الاكرام اما شاول فلم يكترث بذلك بل صبر وبعد قليل جذب قلوب الناس اليهِ بافعالهِ اذ اظهر بأسهُ وبسالتهُ بتخليص اخوتهِ فان العمونيين

حرب العمونيين حاصروا يابيش جلعاد عبر الاردن وعزموا على ان يقلعوا العين اليمنى من عيني كل انسان من اهل تلك المدينة اذا سلموا فاستصرخوا شاول وبني اسرائيل فجمع شاول كل جنوده واوقع بالاعداء وبدد شملهم ففرح الناس به (١صم ص ١١) وكان ذلك في السنة الاولى لملكه (١٣: ١) اما صموئيل فجمع الشعب الى الجلجال وخاطب الناس وطلب منهم ان يقدموا الشكوى ان كان لاحد عليه شيء يشتكي منه فمدح الجميع سيرته وقالوا انه لم يظلم احدًا منهم ثم تنحى صموئيل عن رياسة الشعب (١صم ص ١٢) الا انه بقي ينذرهم وينصح لهم ولم يخف من توبيخ الملك نفسه عند الحاجة — استقالة صموئيل

حرب الفلسطينيين ثم حارب شاول الفلسطينيين الذين لم يزالوا يضايقون الناس في بعض اطراف البلاد حتى لجأوا الى الكهوف والمغاير بغية النجاة وكان لشاول ابن اسمه يوناثان فلما عبّى شاول جنوده في الجلجال قام يوناثان ابنه وهاجم حصن الفلسطينيين في جبع هو وحامل سلاحه واخذ يقتلهم فلما سمع شاول ومن معه بما كان تبعوهم وقهروا الفلسطينيين قهرًا عظيمًا وهكذا ابتدأ ان يرد هذا العدو الذي طالما ضايق بني اسرائيل (١صم ص ١٣ و١٤)

٣٣. ثم دارت رحى الحرب على القبائل المجاورة موآب وبني عمون وملوك صوبة والعمالقة اما العمالقة فامره صموئيل من قبل الله ان يبيدهم وكل ما لهم ففعل الا انه خالف امر الرب اذ استحيا اجاج الملك واستغنم من المواشي فاغتاظ الرب واخبره على يد صموئيل ان بيته لا يملك على اسرائيل (١صم ص ١٥) ثم ذهب صموئيل ومسح داود بن يسّى ليكون الملك بعده (١٦: ١-٣) اما شاول فلما عرف ذلك اخذ يحسده ويطلب هلاكه اما يوناثان ابنه فكان يحب داود محبة اخوية لم تنفك الى حين موته. وحدث ان الفلسطينيين عادوا وضايقوا اسرائيل وكان في مقدمهم الجبار جليات الجتي وكان من الشدة وطول القامة بمكان عظيم فبارز بني اسرائيل يومًا ولم يجترئ احد ان يجيبه الى ان اتى داود وقتله كما ورد في (١صم ص ١٧) فاطلب القصة هناك اما الفلسطينيون فولوا منهزمين وضربهم بنو اسرائيل ضربة شديدة فاستعظم الناس بأس داود واكرموه لكن هذا الامر ما زاد شاول الا حسدًا وغيظًا عليه (ص ١٨) وتسلط على الملك روح رديء (١٦: ١٤) والظاهر انه افضى اخيرًا الى الجنون. واشتدت علته حتى لم يعد يسمع ليوناثان ولا يعتبر مناسبة الاحوال وخاطر بنفسه في طلب داود حتى وقع بيده ولو اراد هذا قتله لقتله لكنه ابى اما شاول فلم يكف عن مطاردته حتى لم يأمن داود المكث في الوطن فلحق

حرب قبائل مختلفة

مسح داود

قتله جليات

مرض شاول الوحشة بينه وبين داود

بالفلسطينيين (١ ٣١: ١٠) ومما يظهر جنون شاول حينئذٍ وشدَّة حقده لهُ انهُ قتل الكهنة الذين قدَّموا لداود خبزًا في الطريق ولولا قليل لابادهم جميعًا ولم ينجُ منهم الاَّ ابياثار الذي هرب الى داود (ص٢٢) وكان ذلك امرًا هائلاً جلب عليهِ غيظ الرب ونفور الناس منهُ ولما مات صموئيل لم يبقَ من يستخبر بهِ الرب فامسى في شرّ حالٍ وحدث

حرب الفلسطينيين عند جبل جلبوع

ان الفلسطينيين حملوا على البلاد ولعلهم كانوا قد عرفوا حال شاول وتحققوا ضعف البلاد لجنونهِ وغباوتهِ . وجمع شاول جنودهُ على جبل جلبوع واحتسب الشر في هذه الحرب فاراد ان يستخبر عن نتيجتها وكان قد اهلك من يستخبر بهم الرب فطلب الى ساحرةٍ في

طلب شاول الى ساحرة

عين دور. مع انهُ كان قد قتل كل من طالت اليهم يدهُ من العرّافين واصحاب الجان (١صم ص ٢٨) ولا ريب في انهُ كان في تلك الحادثة عجبٌ اذ تبين منها ما يوهم ان الساحرة استحضرت روح صموئيل حقيقةً فكيف سمح الله بذلك والسحر ممنوع في شريعتهِ . وندفع شبهة ذلك بان الله اتى ساعتئذٍ معجزة لانذار شاول وتوبيخهِ ولا يبعد ان ذلك كان تخيلاً من شاول فانهُ كان كثير الاوهام وقد تسلط عليهِ الرعب فكان في تلك الحال عرضة لأن يتصوَّر كل شيء وكان ما ظهر لهُ مطابقًا لاحوالهِ كما لا يخفى والله اعلم . ثم رجع شاول

موت شاول

وصار القتال فانهزم جيشهُ وقُتِل بنوهُ فلما ايقن الهلاك خرَّ على سيفهِ فمات

ارتقاء داود

٢٤. **داود** (ملك من سنة ١٠٥٥ الى سنة ١٠١٥ ق.م.) اما داود فكان قد التجأ الى الفلسطينيين كما مرَّ وسرَّ بهِ ملكهم كثيرًا حتى أمَّنهُ وأمِنَهُ واستحضرهُ لما صعد لمحاربة اسرائيل اما الرؤساء فقلما أمنوهُ فاقنعوا الملك اخيش ان يفصلهُ عن الجيش ففعل ونجا

قهره العمالقة

من مقاتلة اخوتهِ (١صم ص ٢٩) ولما رجع عنهم وجد ان العمالقة قد نهبوا صقلغ المدينة التي اعطاهُ اياها اخيش ولما عرف ما كان أخذ رجالهُ وتبع العمالقة وقهرهم تمامًا واسترجع الغنيمة

حزنهُ على شاول ويوناثان

(١صم ص ٣٠) ثم سمع بمصيبة اسرائيل وبموت شاول وبنيهِ فناح عليهم كثيرًا ويظهر انهُ لم يرد قتلهم فلما اتى عماليقي من جيش الفلسطينيين واخبرهُ بانهُ قتل شاول بيدهِ قاصَّهُ بالموت (٢صم ص ١) ورثا شاول ويوناثان برثاةٍ بليغة شديدة التأثير قد اشتهرت في كل الايام (٢صم ١: ١٧—٢٧) ثم حدث انقسام وقتي في المملكة لان داود اقام دارهُ في حبرون وسلّم

ملك ايشبوشت

بملكهِ حينئذٍ سبط يهوذا (٢صم ٢: ١—٧) اما سائر الاسباط فتبعوا ايشبوشت بن شاول الذي اقام دارهُ بمحنايم عبر الاردن (٢صم ٢: ٨) وكان وزيرهُ وقائد جيشهِ ابنير اما قائد جنود داود فيوآب واقتتلا وانهزم ابنير ومن معهُ (٢صم ص ٢) وبقيت الحرب سنتين

وآخر الامر ان تبعة ايشبوشت يئسوا وانحازوا الى داود وقتل بعضهم سيدهم واتوا براسهِ اليهِ اما داود فضرب اعناقهم اذ لم يرِد غلبة عدوّهِ غدرًا (٢صم ص ٤) ثم اجتمع جميع الاسباط على داود فاستوثق لهُ ملك البلاد اجمع (٥: ١—٣) موته

٣٥. واول ما باشرهُ داود بعد هذا افتتاح اورشليم اذ قد بقي اليبوسيون مستولين عليها ومن يومهِ جعل المدينة عاصمة فاصبحت قوية ومشتهرة وكانت حبرون مركزهُ سبع سنين واشتدّ داود سلطةً واعتبارًا وصالحهُ حيرام ملك صور وعاونهُ في بناء دارهِ التي بناها في اورشليم (٥: ١١ و١٢) ولما علم الفلسطينيون ما كان عليهِ من القدرة ارادوا اخضاعهُ فهاجموا بلادهُ لكنهم فشلوا وتذللوا حتى لم يعودوا يضايقون داود (٥: ١٧—٢٥) ثم نقل داود تابوت الله الى اورشليم فاصبحت مركز الدين والسياسة ورتّب داود خدمة الدين ترتيبًا جديدًا متقنًا (ص ٦) وكان يقصد بناء هيكلٍ للرب الا انهُ امتنع لامر الله لانهُ كان رجل حرب (ص ٧) والحقّ ان داود كان كثير الحروب وبعد ان استقام لهُ الامر اخذ يهاجم الامم المجاورة فغلب الفلسطينيين ايضًا واستلحم الموآبيين وضرب الخراج على الاراميين وذلّل عماليق والادوميين واستاق غنائم وافرة (٢صم ص ٨) افتتاح اورشليم مصاحبة حيرام لداود نظم امور الدين اخضاع داود الامم

ولما سمع توعي ملك حماة بنصراتهِ ارسل يهنّئهُ لانهُ قهر هدرعزر ملك ارام صوبة عدوّ توعي (٨: ٩—١٠) وكان سلمٌ بين داود وناحاش ملك بني عمون ولكن عند موت هذا قام ابنهُ حانون واساء الى رُسل داود فالتحمت الحرب بينهما واستصرخ حانون الاراميين فاجابوهُ واعانوهُ وحدثت ثلاث حروب شديدة بين الفريقين واشتدّ القتال حتى خرج داود نفسهُ وقاد جنودهُ وضربهم ضربة عظيمة فخضع لداود بنو عمون والاراميون فامتدت تخومهُ الى الفرات (٢صم ص ١٠) وجنوبًا الى خليج العقبة اذ كان قد ضرب ادوم فاصبحت مملكتهُ متسعة وفي تلك المدة حدث ما حدث في امر قتل اوريا الحثّي (٢ صم ص ١١) الّا ان داود ندم على ذلك وتاب توبة الاخلاص وقصتهُ مثالٌ من امثلة كثيرة في كتاب الله تظهر انهُ لا يقتصر على ذِكر الصفات الحُسنى لمن يكرمهم بل يذكر عيوبهم ايضًا وهذا دليل قاطع على صدقهِ وصحة اخبارهِ وفد توعي حرب داود مع بني عمون امر اوريا الحثي

وعوقب داود بان خانهُ ابنهُ ابشالوم وكاد يهلكهُ فنجا بباس بوآب اذ اعانهُ الرب غير انهُ غُمّ وضويق كثيرًا واخبر بسوء عاقبة ما فعلهُ وهذا الامر يبين ان داود تاب اليهِ تعالى حقّ التوبة لانهُ احتمل بالصبر ما اجراهُ عليهِ من اقتصاص (٢صم ص ١٥—٢١) واكثر خيانة ابشالوم

مصيبة الوباء ما بقي من ايام داود بعد هذه الخيانة تقضى عليهِ بالسلام الاَّ انهُ وقع عليهِ وعلى المملكة مصيبة شديدة بان ضرب الله شعبهُ بالوباء فاهلك بهِ سبعين الفًا وكان ذلك عقابًا على ان داود احصى الشعب مفتخرًا بقوتهِ ومجد ملكهِ (٢صم ص ٢٤) وأُصيب داود بخيانة اخرى في آخر حياتهِ اذ قام عليهِ ادونيا اكبر بنيهِ وطلب الملك واتخذ الوسائل ليتمكَّن منهُ قبل ان يموت ابوهُ ولما سمع داود امر بان يتوَّج سليمان وينادى بملكهِ فخشيَ ادونيا وكفَّ عمَّا كان عليهِ (١مل ص ١) ثم ادرك داودَ الاجل بعد ملك ٤٠ سنة منها ٧ في حبرون و٣٣ في اورشليم وكان انسانًا معتبرًا لاقتدارهِ وعلمهِ وتقواهُ فانهُ أيَّد امور اسرائيل احسن تأييد مدة ملكهِ وهو من اوسع حدود المملكة في الشمال والجنوب الى ما وعد الله بهِ للآباء وجعل كل الامم المجاورة يهابونهُ وسما بصفاتهِ العقلية والروحية على سائر البشر كما يظهر مما كتبهُ فان مزاميرهُ احلى ما صدر من قلم الانسان وقد استحسنها جميع الناس وكان مع كل عيوبهِ تقيًّا اذ كان يندم على خطاياهُ ويتوب توبة حقيقية ويحتمل بصبر وتواضع التأديب الذي ادَّبهُ الله بهِ فحاز عندهُ القبول

خيانة ادونيا

موت داود

عظمة سليمان ٣٦. **سليمان** (ملك من سنة ١٠١٥ الى سنة ٩٧٥ ق.م.) ثم ملك سليمان بن داود وبلغت المملكة في ايامهِ اعظم سموها ومجدها وكان ملكهُ بالسلام لان داود كان قد اخضع الامم والقى في قلوبهم الرعب حتى لم يتجاسر احد على مقاومة سليمان واحترمهُ الملوك العظماء فاعطاهُ ملك مصر ابنتهُ زوجةً وعاهدهُ حيرام ملك صور وشاركه في تجارتهِ الواسعة. فاستغنى سليمان وباشر الاعمال العظيمة وشاد الابنية في اورشليم وضاهى ملوك الارض في مجد ملكهِ وبهاء دارهِ. واول ما فعلهُ قصاص ادونيا لانهُ ما برح يحاول المُلك ويوآب لانهُ تعلَّق بادونيا وكان داود قد انذرهُ بفنائهِ لشرورهِ العظيمة (١مل ص٣) وكان أخذ سليمان بنت ملك مصر زوجةً خلاف الشريعة فكانت عاقبتهُ ان نسي الله وزاد ذلك وضوحًا بعد حين ويُظَن ان حماهُ كان آخر ملوك الدولة الحادية والعشرين من دُوَل مصر (راجع تاريخ مصر رقم ١٦) واعطاهُ مع ابنتهِ جانبًا من ارض الكنعانيين التي كان قد افتتحها (١مل ٩: ١٦) وكان سليمان احكم الناس (١٠: ٢٣) فانتشر صيتهُ في الممالك البعيدة وشاورهُ الملوك وراسلوهُ وقصدوهُ (١مل ١٠: ٢٤) وممن وفد عليهِ ملكة سبا (١مل ص ١٠) وهي بلاد في جزيرة العرب ولعلها اليمن ورُوي ان اسمها بلقيس وبنى سليمان الهيكل في اورشليم فشغل ببنائهِ سبع سنين وابتدأ بناءهُ في السنة الرابعة واكملهُ في السنة

قتل ادونيا ويوآب

سليمان صهر ملك مصر

حكمة سليمان وشهرته

بناء الهيكل

صرح سليمان الحادية عشرة من ملكهِ على احسن احكام وكان في غاية المجد والبهاء (امل ص ٦-٨) وشاد سليمان صرحًا لنفسهِ وقصرًا لبنت ملك مصر والظاهر انها كانت متكبرة أكثر من بقية نساء سليمان فلم ترد ان تعاشرهنَّ (٩:٢٤) وادخل سليمان الى مملكتهِ الخيل والمركبات **خيلهُ ومركباتهُ** الحربية (١٠:٢٦) وهذا كان خلاف السُّنة لئلا يتكل بنو اسرائيل على قوتهم وينسوا الله فوقعوا في ما كان يُحذَّر منهُ . وهاب سليمانَ كل الناس من تخوم مصر الى الفرات **تدمر** واستولى على ارض حماة وبنى تدمر في البرية بين الشام والفرات تمهيدًا لطرق التجارة فكانت من خيرة المدن وانشأ تجارة مع اوفير في نواحي الهند (٩:٢٦-٢٨) وكانت فرضتهُ على خليج العقبة وبعث سفنهُ ايضًا مع سفن حيرام ملك صور الى ترشيش (١٠:٢٢) ولعلها كانت في **تجارة سليمان** اطراف اوربا في اسبانيا وكانت ارباح هذه التجارة الواسعة ما لا يحصى من الذهب والفضة والحجارة الكريمة والعاج والمنسوجات والحيوانات الغريبة وما اشبه (امل ١٠:١٤-٢٩) **فساد سليمان** فغني سليمان كثيرًا ولا يخلو ذو الغنى من الخطر والمجد العالي من مغامرة الفساد فأثر سليمان وفسد فاتخذ سبع مئة زوجة وثلاث مئة سريَّة من الامم فاغوتهُ وقادتهُ الى العبادة المحرَّمة وظهر سوء عاقبة ذلك في آخر ملكهِ وضعفت المملكة وقرب سقوطها فقام الاعداء **هدد الادومي** واشتدوا عليهِ كهدد الادومي الذي هرب الى مصر ايام داود ثم رجع في ايام سليمان (امل ١١:١٤-٢٠) **رزون** ورزون الذي تسلط على دمشق وانشأ تلك المملكة التي ضايقت بني اسرائيل كثيرًا وكان رزون خصمًا لسليمان (امل ١١:٢٣) **يربعام** وخاف سليمان من خيانة يربعام بن نباط فاراد سليمان قتلهُ فهرب الى مصر فقبلهُ الملك شيشق وأمَّنهُ (امل ١١:٢٦-٤٠) **موت سليمان** ووقع الاضطراب في اواخر ملكهِ شيئًا غير انهُ عاش بسلام ومات سنة ٩٧٥ ق.م

انقسام المملكة ٣٧ . تقدم ان الفساد دخل المملكة في ايام سليمان فلما مات ظهرت نتيجتهُ لأن الفساد لا بدَّ من ان يثمر شرًا وانشقت المملكة لان خليفتهُ رحبعام لم يسر في سنن الحكمة بل هام في تيهِ الجهل فلما جلس على كرسيِّ المملكة ذهب الى شكيم ليتمكَّن من طاعة الاسباط الشمالية التي كانت غير راضية بملك ابيهِ لاعتقادها ان يدهُ ثقيلة عليهم (امل ١٢:٤) ولا يبعد ان يكون في ذلك شيء من الحق لان عيش سليمان كان رافهًا جدًا فانفق نفقات فاحشة فثقل ذلك على مملكة كمملكة اسرائيل فسأل الاسرائيليون ابنهُ تخفيف نير ابيهِ فلم يصغِ اليهم بل حقق لهم انهُ يزيد حملهم فانفصلوا عنهُ وكان اهل الشمال قد استدعوا يربعام المذكور من مصر فاقاموهُ حينئذٍ ملكًا عليهم واجتمع اليهِ عشرة اسباط وتبع السبطان

الباقيان اي يهوذا وبنيامين رحبعام فانقسمت المملكة الى مملكتين سميت مملكة الاسباط العشرة بمملكة اسرائيل ومملكة السبطين بمملكة يهوذا ونحن نتبع آثار الاولى الى حين انقراضها ثم نرجع الى مملكة يهوذا

المدة السابعة

مملكة اسرائيل . من سنة ٩٧٥ الى سنة ٧٣١ ق.م

وصف مملكة اسرائيل

٣٨. كانت مملكة اسرائيل من قرب اورشليم الى تخوم دمشق وحماة فاشتملت على ما كان لداود وسليمان شرقي الاردن وكان عدد سكانها مضاعف سبطي يهوذا وبنيامين لكنها امست اضعف من مملكة يهوذا اذ افسدت الدين من اول امرها فعبدت الاوثان وبقيت على تلك العبادة الى النهاية مع ان الله بعث الى اهلها انبياء اقوياء واجرى على ايديهم المعجزات العظيمة ليردهم عن اباطيلهم فلم يسمعوا ولما كان الفساد قد تأصّل في قلوبهم اسرعوا الى الهلاك وانقرضت مملكتهم قبل انقراض مملكة يهوذا بنحو ١٢٥ سنة وكانت سياستها كثيرة التقلب والاضطراب كما تبين من ان دالت عليها تسع دول في نحو ٢٥٠ سنة وكان عدد ملوكها ١٩ قُتِل ثمانية منهم ولم يزد معدل ملك كلٍّ منهم على نحو ١٢ سنة ومن خالف شريعة الله ادركهُ العقاب

٣٩. (١) يربعام (ملك من سنة ٩٧٥ الى سنة ٩٥٤ ق.م.) كان يربعام بن نباط شريرًا مع ان الله عينهُ واشتهر بانهُ الذي جعل اسرائيل يخطئ فانهُ لما رأى صعود الشعب الى اورشليم في الاعياد للعبادة بحوّل قلوبهم عنهُ اعتمد على ان منعهم من ذلك واقام في بيت ايل وفي دان اطراف مملكتهِ عبادة العجل ولا ريب انهُ تعلمها وهو في مصر فظن ذلك يُشغِل الناس عن عبادة يَهوَه فلا يذهبون الى اورشليم وكان كذلك ففسد عامة الناس. ولكن الكهنة واللاويون سئموا وهرب اكثرهم الى يهوذا فزادت قوتها وضعف يربعام واضطر ان يقيم كهنة من ادنياء الناس لخدمة تلك العبادة في بيت ايل ودان

عبادة العجل

ولما اتى نبيٌّ من الله وانذرهُ تصلَّب ولم يمتنع عن شرهِ فجاب على نفسهِ وبيتهِ الهلاك (١مل ص١٣) والتحمت الحرب بينهُ وبين ملوك يهوذا وفي السنة ١٩ لملكهِ غُلب وانكسر اشدَّ انكسارٍ ولم يتقوَّ بعدُ وهلك بعد ان ملك ٢٢ سنة

انكسار يربعام وموتهُ سنة ٩٥٤ ق٠م

(٢) ناداب (ملك من سنة ٩٥٤ الى سنة ٩٥٣ ق.م.) ثم ملك ناداب ابنهُ وحذا حذوهُ فتبَّ والظاهر انهُ ذهب لمحاصرة مدينة جبثون التي للفلسطينيين وهناك قام عليهِ بعشا وقتلهُ لمضي نحو سنتين من ملكهِ (١مل ١٥: ٢٧) فانتهت الدولة الاولى لاسرائيل سنة ٩٥٣ ق٠م٠

نهاية الدولة الاولى سنة ٩٥٣ ق٠م

(٣) بعشا (ملكهُ من سنة ٩٥٣ الى سنة ٩٣٠ ق.م.) ثم ملك ملك بعشا بن اخيا وكانت عاصمتهُ ترصة واقتفى آثار يربعام ولما اتقدت نيران الحرب بينهُ وبين آسا ملك يهوذا اخذ يحصن الرامة على حدودهِ ليمنع الناس من الصعود الى اورشليم فاستنجد آسا بنهدد ملك دمشق فضرب بعض مدن بعشا واخذها فامتنع عن تحصين الرامة ولم يقدران يحارب يهوذا ومات بعد ملك نحو ٢٤ سنة (١مل ص ١٦ و٢ اي ص١٦)

تحصين الرامة

(٤) ايله (ملك من سنة ٩٣٠ الى نحو سنة ٩٢٩ ق.م.) وخلفهُ ابنهُ ايلة وهو شرير مثلهُ وملك نحو سنة أو سنتين ثم قام عليهِ زمري احد قوَّادهِ وقتلهُ وهو سكران وقتل كل بيتهِ (١مل ١٦: ٨–١٤) فانتهت الدولة الثانية سنة ٩٢٩ ق٠م

نهاية الدولة الثانية سنة ٩٢٩ ق٠م

(٥) زمري (ملك سنة ٩٢٩ ق٠م٠) وخلف ايلة زمري ولم يملك الَّا سبعة ايام فان الجيش نادى بملك عمري قائدهِ فلما عرف زمري وهو في ترصة اضرم النار في قصرهِ وهلك فيهِ

(٦) عمري (ملك من سنة ٩٢٩ الى سنة ٩١٨ ق.م.) ولم يملك عمري بسلام لان تبني جاهدهُ في المُلك وبقي الجهاد اربع سنين حتى قُتل تبني وبقي عمري ملكًا بلا خلاف واعظم ما عملهُ بناؤُهُ مدينة السامرة التي صارت عاصمة المملكة من ذلك الوقت الى حين انقرضت وعمل عمري الشر كمن سبقوهُ بل زاد عليهم (١٦: ٢٣–٢٨) والظاهر ان بنهدد ملك دمشق تسلط عليهِ بعض التسلط اذ اخذ منهُ بعض مدنهِ واتخذ لنفسهِ اسواقًا في السامرة (١مل ٢٠: ٣٤)

بناء السامرة

(٧) اخاب (ملك من سنة ٩١٨ الى سنة ٨٩٧ ق.م.) ثم ملك آخاب ابنهُ وزاد شرًّا على كل من سبقهُ وتزوَّج امرأة شرًّا منهُ وهي ايزابل بنت اثبعل ملك الصيدونيين

ايزابل

(راجع اخبار الفينيقيين رقم ٦) فأدخلت عبادة البعل المكروهة الى المملكة وقتلت كهنة يهوه وقصدت نسخ كل اصول الدين الحق الاَّ ان الله لم يسمح بذلك فاظهر قوَّتهُ وارسل

ايليا في تلك الايام ايليا النبي وهو من اعظم الانبياء فاثر في اسرائيل تاثيرًا عظيمًا واخبارهُ مشهورة (١مل ص ١٧ وما بعده) غير انهُ لم يقدر ان يرد اخاب عن الشرّ لتسلط ايزابل

الحروب بين اخاب وبنهدد عليهِ . وكان بين اخاب وبنهدد الثاني ملك دمشق حروب عظيمة وكان ملكًا عظيم السلطان في تلك الايام فجمع ٣٢ ملكًا مع جنودهِ وقادهم الى مقاتلة اخاب لكنَّ اولئك الملوك لم يكونوا سوى روساء قبائل ليسوا من ارباب الجاه والاعتبار وزحف بنهدد ومن معهُ على السامرة ونازلوها لكنهم فشلوا وانهزموا لكنَّ بنهدد لم يكفَّ عمَّا كان عليهِ فهاجم اسرائيل في السنة التالية فنصر الله اخاب فقتل من الاراميين خلقًا كثيرًا . وخضع بنهدد لآخاب كل الخضوع وعهد بانهُ يرد لهُ جميع المدن التي اخذها ابوهُ من اسرائيل (١مل ص ٢٠) ونكث بنهدد عهدهُ ولم يرد المدن فحمي وطيس الحرب ايضًا وصعد اخاب بعد ثلاث سنين ليسترد راموث جلعاد شرقي الاردن واغوى يهوشافاط ملك يهوذا ان يذهب معهُ فخاب سعيهُ وحبط عملهُ واصابهُ سهمٌ اثناء الهجوم على العدوّ فمات وانهزم جيشهُ وكان ذلك لمضي نحو ٢٢ سنة من ملكهِ (١مل ص ٢٢) سنة ٨٩٧ ق.م.

(٨) **أخزيا** (ملك من سنة ٨٩٧ الى سنة ٨٩٦ ق.م.) ثم ملك ابنهُ أخزيا ولم يعمل

خروج مواب ما يستحق الاعتبار فضعف وخرجت عليهِ موآب وكان مولعًا بعبادة الاوثان فانهُ سقط يومًا من الكوة ومرض فبعث الى اله عقرون يسألهُ عن حالهِ ومات في السنة الثانية لملكهِ (٢مل ص ١)

(٩) **يهورام** (ملك من سنة ٨٩٦ الى سنة ٨٨٤ ق.م.) ثم ملك يهورام اخو اخزيا

اليشع وفي زمانهِ صعد ايليا الى السماء وخلفهُ اليشع (٢مل ص ٢) وبقي يهورام على معاهدة يهوشافاط ملك يهوذا وكان اصلح من ابيهِ شيئًا لانهُ ازال تمثال البعل لكنهُ التصق بخطايا يربعام

حرب مواب وسار يهورام ويهوشافاط لمحاربة مواب اذ كانت خرجت كما ذكرنا فانتصرا لان الرب كان معهما من اجل ملك يهوذا فدوَّخا مواب وخرَّبا مدنها (٢مل ص ٣) وكان اليشع النبي مع الجيش في هذه الحرب واخبرهم بالنصرة فعطف عليهِ يهورام وشاع صيتهُ حتى اتصل

ودمشق خبرهُ الى دمشق كما نرى في قصة نعمان (٢مل ص ٥) ونجا يهورام بمعونة الله على يد اليشع مرارًا كثيرة من يد ملك دمشق (٢مل ص ٦ و٧) وحالف يهورام اخزيا ملك يهوذا

فانطلقا لافتتاح راموث جلعاد وهناك جُرِح يهورام فرجع الى يزرعيل للشفاء وفي اثناء ذلك خانهُ ياهو فقتلهُ واهلك كل بيتهِ وهكذا انتهت الدولة الرابعة لاسرائيل سنة ٨٨٤ ق.م. (٢مل ص ٩) نهاية الدولة الرابعة سنة ٨٨٤ ق.م

(١٠) **ياهو** (ملك من سنة ٨٨٤ الى سنة ٨٥٦ ق.م.) ثم تبوَّأ ياهو تخت المملكة وشرع يبيد كل نسل اخاب فقتل ٧٠ رجلاً من بنيهِ في السامرة واخزيا ملك يهوذا اذ كان من نسلهِ ايضاً وكان قد اتى لعيادة يهورام اذ سمع بجرحهِ وقتل ٤٢ رجلاً من اخوة ملك يهوذا واهلك ايزابل ام يهورام فماتت شرَّ ميتةٍ اذ اكلتها الكلاب فانقذ الارض من شرّها. ثم شرع ياهو يبيد عبادة البعل وجمع جميع كهنتهِ في هيكلهِ كأنهُ يريد اكرامهُ ثم اوقع بهم واهلكهم عن آخرهم (٢مل ص ٩–١٠) لكنهُ لم يتقِ الله حق التقوى انما تمَّم اوامرهُ من جهة اخاب والبعل لما في ذلك من الفائدة له لانهُ تمكَّن بهِ من المُلك لكنهُ كان وثنيًا وتبع خطايا يربعام فلم يملك براحة فضايقهُ حزائيل وسلبهُ املاكهُ شرقي الاردن (٢مل ١٠: ٣٢–٣٦) ويتبيَّن من اخبار ملوك اشور انهُ خضع لهم ودفع الجزية وذلك ايام شلمناصر الثاني (راجع تاريخ اشور ف ٢ رقم ٧). ومات ياهو لمضي ٢٨ سنة من ملكهِ وذلك سنة ٨٥٦ ق.م قتل نسل اخاب وكهنة البعل خضوع ياهو لاشور

(١١) **يهواحاز** (ملك من سنة ٨٥٦ الى سنة ٨٣٩ ق.م.) ثم تولّى يهواحاز بن ياهو وحذا حذوَ يربعام بن نباط فسلط الله عليهِ حزائيل وابنهُ بنهدد الثالث فضعف وذلَّ حتى خضع لملك دمشق فلم يُبقِ لهُ من الجنود الاَّ خمسين فارسًا وعشر مركبات و ١٠٠٠٠ راجل وسلَّم بعض مدنهِ ومات يهواحاز بعد مُلك نحو ١٧ سنة (٢مل ١٣: ١–٩) خضوع يهواحاز لملك دمشق

(١٢) **يواش** (ملك من سنة ٨٣٩ الى سنة ٨٢٣ ق.م.) وخلفهُ يواش ابنهُ والظاهر انهُ ملك نحو سنتين مع ابيهِ وفي ايامهِ انتعشت مملكتهُ شيئًا اذ احترم اليشع واحبهُ فاعانهُ النبي الشيخ ووعدهُ بالغلبة على ملك سورية فانتصر على بنهدد ثلاث مرات واسترد المدن التي اخذها حزائيل من ابيهِ ومات اليشع في ايام يواش (٢مل ١٣: ١١–٢٥) وكانت حربٌ ليواش مع امصيا ملك يهوذا فظفر يواش واخذ اورشليم ونهبها وهدم بعض اسوارها (١٤: ٨–١٦) ومات بعد مُلكه ١٦ سنة غلبة ملك سورية موت اليشع افتتاح اورشليم

(١٣) **يربعام الثاني** (ملك من سنة ٨٢٣ الى سنة ٧٨٢ او ٧١٣ ق.م.) ثم تبوأ تخت الملك يربعام الثاني بن يواش وملك طويلاً وأفلح اكثر من جميع ملوك اسرائيل واسترد

امتداد تخوم المملكة كل ما اخذهُ ملوك سورية من املاك آبائهِ واستولى على النواحي الشرقية من حماة الى بحر لوط وخضعت لهُ دمشق وحماة وكان من جملة ما مهّد لهُ السبيل الى النصر والفتح ضعف ملك سورية وملك حماة من مهاجمات ملوك اشور فان مملكة اشور كانت قد عظمت كثيرًا

يونان النبي كما ذكرنا في اخبارها وفي هذه الايام قام يونان النبي وشجع بربعام في حروبهِ وذهب الى نينوى وانذرها كما نص الكتاب وهلك بربعام لمضي ٤١ سنة من ملكهِ (٢مل ١٤: ٢٣—٢٩) والظاهر ان القلق دخل المملكة في اواخر ملكهِ فظن انهُ حدث فترة عشر سنين بعد

الفترة الاولى موتهِ فلم يملك ابنهُ زكريا الاَّ نحو سنة ٧٧٣ ق.م. لكن في ذلك نظرًا فلا يزال تحت الشك

نهاية الدولة الخامسة (١٤) **زكريا** (ملك سنة ٧٧٣ ق.م.) فلم يملك زكريا الاَّ ستة اشهر اذ قام عليهِ شلُّوم وقتلهُ (٢مل ١٥: ٨—١٢) فانتهت بموتهِ الدولة الخامسة التي رأسها ياهو وبقيت ١٢ سنة

الدولة السادسة (١٥) **شلوم** (ملك سنة ٧٧٣ ق.م.) وملك شلوم فقتلهُ منحيم بعد شهرٍ من ملكهِ وانتهت بهلاكهِ الدولة السادسة

(١٦) **منحيم** (ملك من سنة ٧٧٣ الى سنة ٧٦٣ ق.م.) وملك منحيم عشر سنين واراد ان يقتفي اثار بربعام الثاني في الحرب والغزو فقيل انهُ هاجم تفسح على الفرات واخذها

هجوم فول فغضب عليهِ فول ملك اشور او لعلهُ ملك الكلدانيين (راجع تاريخ الكلدانيين ف٣ رقم ٣) واخذ منهُ الف وزنة من الفضة فخضع لهُ (٢مل ١٥: ١٧—٢٢) ومات منحيم في نحو سنة ٧٦٣ ق.م. وخلفهُ فقحيا بن منحيم

نهاية الدولة السادسة (١٧) **فقحيا** (ملك من سنة ٧٦٣ الى سنة ٧٦٠ ق.م.) وملك فقحيا سنتين فقط فقتلهُ فقح (٢مل ١٥: ٢٣—٢٦) فانتهت الدولة السابعة بقتلهِ

(١٨) **فقح** (ملك من سنة ٧٦٠ الى سنة ٧٤٠ ق.م.) وحارب فقح مملكة يهوذا

معاهدة فقح ورصين وكان ملكها وقتئذٍ احاز وقطع فقح عهدًا مع رصين ملك دمشق فهاجما يهوذا وقهرا جنود احاز ونهبا وغنما وقتل فقح من رجال يهوذا ١٢٠٠٠٠ وأسر منهم ٢٠٠٠٠٠ واخذهم الى السامرة الاَّ انهُ اطلقهم بامر الله (٢اي ٢٨: ٦—١٥) ولم يستطع فقح محاربة يهوذا اذ استنجد آحاز ملك اشور فاجابهُ واخضع رصين وفقح وملك فقح نحو عشرين سنة (٢مل ١٥: ٢٧)

نهاية الدولة الثامنة ثم قام عليهِ هوشع وقتلهُ فانتهت الدولة الثامنة. والظاهر ان هوشع لم يتبوَّأ تخت المملكة حالاً اذ قيل في (٢مل ١٧: ١) انهُ ملك في السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا وفي

(٢مل ١:١٨) ان حزقيا ملك في السنة الثالثة لهوشع فلنا من ذلك ان حزقيا ملك في نحو سنة ٧٢٦ ق.م. وهوشع في نحو سنة ٧٢٩ ق.م. اي بعد ١٠ سنين من مقتل فقح فظن بعضهم ان تلك السنين فترة شغلتها المشاجرات ولم يتمكَّن احد من الملك حتى تقوَّى هوشع فتمكن منهُ كما ذُكر وزعم بعضهم مما وقفوا عليهِ من مكتوبات اشور ان ملكًا آخر اسمهُ منحيم وعرف بمنحيم الثاني استولى على المُلك في هذه المدة اذ اقامهُ تغلث فلاسر ملك اشور بعد عزلهِ فقح ثم استرجع فقح المُلك في نحو سنة ٧٣٠ ق.م. وقتلهُ هوشع بعد ذلك ولكن لا أثر لشيء من ذلك في العهد القديم والله اعلم. والدليل على ان هوشع لم يملك الَّا في سنة ٧٣٠ او ٧٢٩ قبل الميلاد هو ان ملك اشور افتتح السامرة في السنة التاسعة من مُلك هوشع (٢مل ٦:١٧) وكان ذلك في سنة ٧٢١ ق.م. باجماع المورخين — الفترة الثانية

(١٩) **هوشع** (ملك من سنة ٧٣٠ الى سنة ٧٢١ ق.م.) وخضع هوشع لملك اشور في اول امرهِ وادَّى الجزية وعصاهُ بعد ثلاث سنين فأَتى شلمناَّصر واخضعهُ فصار لهُ عبدًا وعصاهُ بعد ثلاث سنين أُخرى فاتى ملك اشور واوثقهُ ولعلهُ استدعاهُ الى نينوى ليعتذر عن عدم تأدية الجزية وكان لما خرج عن طاعة اشور انهُ استغاث بِسَوا ملك مصر احد ملوك الدولة الخامسة والعشرين (راجع تاريخ مصر رقم ١٩) فلم يستفد من ذلك شيئًا وحاصر شلمنأَصر الملك السامرة فقاومتهُ بقوة ونشاط وبقي الحصار ثلاث سنين وفي هذه المدة تبوأَ سرجون تخت اشور فافتتح المدينة كما عُلِم من آثار تلك المملكة (راجع تاريخ اشور رقم ١١–١٢). وظاهر كلام التوراة أَنَّ شلمنأصر افتتحها لكن من امعن النظر في ذلك الكلام رأى انهُ لا يستلزم ذلك لانهُ قيل في (٢مل ٦:١٧) ان **ملك اشور** اخذها وفي (٢مل ١٠:١٨) **انهم اخذوها** اي الاشوريون ولا يصرّح بان شلمناصر اخذها فلا مخالفة لما ورَد في تواريخ اشور. اما سرجون فبعد ان افتتح البلاد جلا اهلها الى اشور وقال في مكتوباتهِ انهُ جلا ٢٧٢٨٠ منهم وكان تغلث فلاسر قد جلا كثيرين من اسرائيل سابقًا فلم يبقَ منهم الَّا الشاردون — افتتاح السامرة

٤٠. وعلى ما ذكرنا انقرضت مملكة اسرائيل وليس في التواريخ ما يبين نتائج الشر كتاريخ هذه المملكة. وخالط اهلها الذين سباهم ملوك اشور الامم حيث سكنوا فتواروا ولم يوقف لهم على اثر الى الآن والمرجح ان قومًا منهم بقوا يعرفون الله اله اسرائيل ولما أُطلق اليهود بعد سبي بابل رجعوا مع اخوتهم وانضموا اليهم. — انقراض مملكة اسرائيل

سكان بلاد السامرة واسكن ملك اشور بلاد السامرة اناسًا وثنيين من اماكن مختلفة في مملكته (٢مل ١٧: ٢٤) فبعث الله عليهم الاسود فخشوا وطلبوا كاهنًا من بني اسرائيل ليعلمهم عبادة الله فبعث ملك اشور كاهنًا علمهم شيئًا من عبادة يَهوَه لكنهم لم يتركوا خدمة آلهتهم بل كانوا يتّقون الرب ويعبدون آلهتهم (٢مل ١٧: ٢٤ — ٣٣) وبقوا على ذلك وصاروا امّة مخصوصة عرف اهلها بالسامريين فابغضهم اليهود واشتدت العداوة بين الفريقين ولا يزال الامر كذلك الى هذا اليوم

المدة الثامنة

مملكة يهوذا من سنة ٩٧٥ الى سنة ٥٨٦ ق٠م

٤١. كانت مملكة يهوذا اصغر من مملكة اسرائيل واقل سكانًا كما تقدم لانها لم وصف المملكة تكن سوى سبطين وكانت مملكة اسرائيل عشرة اسباط ومع ذلك اصبحت مملكة يهوذا اقوى من مملكة اسرائيل وزادت مدتها على مدة مملكة اسرائيل نحو ١٢٥ سنة ولذلك اسباب اولها واعظمها ان اكثر ملوكها اتقوا الله فلم يقع الشعب في العبادة الباطلة كبقية بني اسرائيل حتى اواخر المملكة فحفظهم الله وتشددوا لمقاومة اعدائهم وكان اعداؤهم كثيرين احاطوا بهم من كل جهة كالاراميين وبني عمون والعرب والموابيين والفلسطينيين واهل مملكة اسرائيل انفسهم وكان ملوك مصر واشور يغزون اطراف مملكتهم ومع ذلك ثبتت مملكة يهوذا مدة بقائها امينةً للرب ومن اسباب قوتها ان عاصمتها اورشليم كانت اقوى التمييز بين المملكتين من السامرة وكانت مركز الدين الحقّ فكان بنو اسرائيل يصعدون اليها لحفظ الاعياد ولما فسدت مملكة اسرائيل هاجر جانب من اهلها الى يهوذا ولاسيما الكهنة واللاويون كما مرّ فازدادت يهوذا قوةً واسرائيل ضعفًا ومما يبيّن الفرق في حالة المملكتين ان ملوك يهوذا من دولة واحدة من نسل داود (سوى عثليا) ومعدّل ملك كلٍّ منهم نحو ١٩ سنة

وزيادة　اما ملوك اسرائيل فتسع دول ومعدّل ملك كلٍّ منهم نحو ١٢ سنة وقتل علة منهم

(١)　**رحبعام**　(ملك من سنة ٩٧٥ الى سنة ٩٥٨ ق.م.) واول ملوك يهوذا رحبعام لم يكن حكيما ولا صالحًا لانهُ ترك شريعة الرب فسلط الله عليهِ شيشق ملك مصر فصعد عليهِ في السنة الخامسة لملكهِ واستولى على المدن الحصينة حتى اورشليم ونهب الهيكل ولعلهُ اتى ذلك اسعادًا ليربعام لانهُ كان قد رحّب بهِ وعاهدهُ وذكر شيشق هذه الحرب في ما كتبهُ في كرنك (انظر تاريخ مصر رقم ١٧) وذكر هذه الحادثة في كلٍّ من تاريخ مصر وتاريخ اليهود افادنا تحقيق الكلام في تاريخ المملكتين ولم يعمل رحبعام ما يستحق الاعتبار وهلك لمضي ١٧ سنة من ملكهِ　هجوم شيشق

(٢)　**ابيًا**　(ملك سنة ٩٥٨ الى سنة ٩٥٦ ق.م.) وملك ابيا بعد رحبعام واتقدت نيران الحرب بينهُ وبين يربعام فنصر الله ابيا فغلب يربعام وقتل ٥٠٠٠٠٠ من جنودهِ واخذ بعض مدنهِ فوهن يربعام ولم يستطع محاربة يهوذا (٢ اي ص١٣) وملك ابيا ثلاث سنين او اقل　حربه مع يربعام

(٣)　**آسا**　(ملك من سنة ٩٥٦ الى سنة ٩١٦ ق.م.) ثم تولى آسا بن ابيا وكان صالحًا تقيًّا فازال الاصنام واخلص الدين والعبادة لله فتقدمت البلاد بعد تأخرها والظاهر انها لم تزل غنية الى ذلك اليوم ولعلّ التجارة التي انشأها سليمان بين مملكتهِ والبلدان البعيدة كانت من اسباب ذلك الغنى　وقطع آسا نير ملك مصر وتشدد ولما هاجمهُ زارح الكوشي (ولعلهُ هو ملك مصر راجع تاريخها رقم ١٧) في الف الف لم يخف فقاومهُ بنشاط ونصرهُ الله نصرًا عظيمًا وكانت جنودهُ ٥٨٠٠٠٠ اي نحو نصف عدد العدوّ وكانت الحرب في وادي صفاتة عند مريشة وهي في الجنوب الغربي من اورشليم فانكسر عسكر زارح شرَّ انكسار وقيل انهم "سقطوا حتى لم يبقَ منهم حيٌّ" (٢ اي ١٤: ٩—١٥) وعاد آسا بغنيمة وافرة . ولما رجع الى اورشليم طهّر البلاد وابطل العبادة الفاسدة وجمع اهلهُ الى اورشليم لتقديم الذبائح وتجديد عهد الرب فاجتمع اليهِ كل يهوذا وبنيامين والغرباء معهم من افرايم ومنسي وشمعون لانهم سقطوا اليهِ من اسرائيل بكثرة (٢ اي ص ١٥) فخاف بعشا ملك اسرائيل من ذلك لئلاَّ ينحاز رجالهُ الى يهوذا فشرع ببناء الرامة وتحصينها ليمنع الناس من اورشليم فخشي آسا فعلهُ واستأجر بنهدد ليغزو تخوم بعشا ففعل فكفَّ بعشا

هجوم زارح — نجاح يهوذا ايام اسا — تجديد العهد — بناء الرامة

عمّا كان عليهِ واحتمل آسا غيظ الرب اذ اركن الى بنهدد في ضيقهِ (٢ اي ص ١٦) ومات لمضي ما يزيد على ٤٠ سنة من ملكهِ

(٤) **يهوشافاط** (ملك من سنة ٩١٦ الى سنة ٨٩٢ ق.م) وخلفهُ يهوشافاط بن آسا وكان تقيًا بذل جهدهُ في اصلاح الشعب وارجاعهم الى الله واحسن ترتيب الجيش واتقن تهذيبهُ فنجحت اموره حتى احترمتهُ القبائل وادّى الفلسطينيون والعرب الجزية وكان السلام بينهُ وبين الجميع لكنهُ عاهد اخاب الشرير ملك اسرائيل وزوّج ابنهُ يهورام من عثليا ابنة ايزابل التي كانت تشبه امها فجلبت مصائب كثيرة على يهوذا كما سترى

نجاح يهوشافاط

وشارك يهوشافاط اخاب في حرب راموت جلعاد كما مرّ وكاد يهلك في تلك الحرب لكنهُ نجا اخيرًا وعاد سالمًا. ثم بعد ذلك صعد عليهِ اهل مواب وعمون وجبل سعير وكانوا قد اجتمعوا غربي بحر لوط وهم جيش كثيف وخرج يهوشافاط للقائهم مستصرخًا الرب فنصرهُ وقبل ان وقع القتال القى الرب الانشقاق والرعب في قلوب الاعداء فقاتل بعضهم البعض حتى مُحقوا فلم يكن على رجال يهوذا سوى ان جمعوا الغنيمة وكانت وافرة جدًّا حتى لم يستطيعوا حملها فهالت هذه الحادثة الامم حتى لم يعودوا الى ان يهاجموا يهوذا وزادهم هولاً هلاك مواب ثانيةً اذ عصت يهورام ملك اسرائيل فضربها بمساعدة يهوشافاط كما مرّ

حرب راموت جلعاد ومواب وعمون

ولم تنجح مساعي يهوشافاط التجارية فانهُ شارك أخزيا في ارسال السفن من عصيون جابر قصد التجارة مع ترشيش فتكسّرت فامتنع لكنهُ نجح في سائر اموره ونفوّت مملكتهُ كثيرًا ومات بعد ان ملك نحو ٢٥ سنة (٢ اي ص ١٧—٢٠)

تجارة يهوشافاط

(٥) **يهورام** (ملك من سنة ٨٩٢ الى سنة ٨٨٥ ق.م.) وولِيَهُ في الملك يهورام ابنهُ والظاهر انهُ ملك في ايام ابيهِ (٢مل ٨: ١٦) وكان قد تزوّج عثليا بنت اخاب كما مرّ فاغوتهُ حتى ادخل العبادة الفاسدة الى يهوذا وزاد شرًّا على توالي الايام حتى قتل اخوتهُ فلم يفلح وادركهُ العقاب سريعًا فخرجت ادوم على يهوذا ولم تخضع الى حين خراب المملكة. ثم عصتهُ لبنة وهاجمهُ الفلسطينيون والعرب فغزوا ونهبوا اورشليم وقتلوا رجالهُ وسلبوا نساءهُ واولادهُ ما عدا أخزيا ابنهُ الاصغر فكاد ينقرض النسل الملكيّ اذ كان يهورام اهلك اخوتهُ كما مرّ ثم ضربهُ الله بمرضٍ عضال ليس لهُ شفاء فخرجت امعاؤهُ فهلك لمضي نحو ثماني سنين من ملكهِ (٢ اي ص ٢١)

شر يهورام خروج ادوم وغيرها

(٦) **أَخَزْيا** او عَزَرْيا (ملك سنة ٨٨٥ الى سنة ٨٨٤ ق.م.) وخلف يهورام ابنهُ اخزيا فملك يهوذا ايام يهورام اخي اخزيا ملك اسرائيل وقتلهُ ياهو بن نمشي كما مرَّ في اخباره وذلك بعد مُلك نحو سنة فقط

(٧) **عَثَلْيا** (ملكت من سنة ٨٨٤ الى سنة ٨٧٨ ق.م.) ولما علمت امُّهُ عثليا بنت اخاب بما كان قامت على النسل الملكيّ في يهوذا وأبادتهُ فلم ينجُ سوى يوآش بن أخزيا الاصغر فان يهوشبعة امرأة يهوياداع الكاهن سرقتهُ وخبأتهُ ست سنين واختلست عثليا الملك (٢ اي ص ٢٢) ولا ريب في أنها حذت حذو ايزابل امها لكنَّ اهل اورشليم لم يخضعوا لها طوعًا ولا سيما الكهنة فانهم ازالوا سلطانها بعد ان ملكت ست سنين وكان يواش قد بلغ من العمر سبع سنين فاخذهُ يهوياداع واظهرهُ للناس وتوَّجهُ في الهيكل فتلقاهُ الشعب بفرحٍ وهتاف اذ مسكوا عثليا وقتلوها (٢ اي ص ٢٣)

ابادة النسل الملكي

(٨) **يوآش** (ملك سنة ٨٧٨ الى سنة ٨٣٨ ق.م.) ثم ملك يواش بن أخزيا ولما كان صغيرا اخذ يهوياداع الوكالة على المملكة وساسها بالعدل والاستقامة ونجح امرهُ. ولما بلغ يواش سن الرشاد استولى على زمام الملك واحسن السيرة مدة حياة يهوياداع وجدَّ في اصلاح امور الدين وكان قد فسد شيئًا ايام يهورام وعثليا كما مرَّ . وتسلط عليهِ بعد موت يهوياداع بعض الرؤساء الاشرار فانقاد اليهم وسقط في عبادة الاوثان وفسد الناس فانذرهُ انبياء الرب ولا سيما زكريا بن يهوياداع الكاهن فسخط عليهِ يواش وقتلهُ ولم يذكر معروفَ ابيهِ العظيم فادركهُ جزاء ما فعلهُ لانهُ صعد عليهِ جيش ارام وفي مقدمتهم حزائيل وكان قد غزا اراضي اسرائيل شرقي الاردن وحارب الفلسطينيين واخذ مدينة جتّ (٢مل ١٢: ١٧) ومن هناك صعد الى اورشليم بشرذمةٍ قليلة وافتتحها واهلك روساء الشعب الذين خدعوا يواش واستاق غنيمتهم وذخائر الهيكل وغنيمة قصر الملك الى دمشق وضرب الله يواش بامراضٍ كثيرة ثم فتن عليهِ عبيدهُ وقتلوهُ في السنة الاربعين لملكهِ (٢ اي ص ٢٤)

حسن سيرتهِ اولاً ثم فسادهُ

قتل زكريا

غزو حزائيل البلاد

(٩) **أَمْصِيا** (ملك سنة ٨٣٨ الى سنة ٨٠٩ ق.م.) كان هذا الملك صالحًا لكنهُ لم يستقم في كلّ شيء ولما استقام لهُ الامر عاقب قاتلي ابيهِ ثم اشهر الحرب على ادوم وجمع عسكرًا جرَّارًا من يهوذا وبنيامين واستاجر ١٠٠٠٠٠ رجل من اسرائيل لكنهُ اطلقهم قبل مسيرهِ للحرب اذ امرهُ الله بذلك ثم سار الى أدوم وغلب الادوميين وعاد منصورًا مويدًا لكنهُ اتى

حرب ادوم

عبادة الاوثان بآلهة بني سعير وعبدها فحمي غضب الله عليهِ ولما رجع من هذا الغزو وجد ان غزاة اسرائيل الذين اطلقهم قد اقتحموا مدن يهوذا ونهبوها فاغتاظ أمصيا وبارز يواش ملك اسرائيل انتقامًا ولم يرد ملك اسرائيل ان يحاربهُ لكنهُ لما رأى ان ملك يهوذا لا يرجع عن الحرب

محاربة اسرائيل وانكسار امصيا سار في جنودهِ ولما وقع القتال بينهما هزم جيشهُ واسرهُ وسار بهِ الى اورشليم ودكَّ اسوارها دكًّا ونهب الهيكل واخذ رهناء معهُ الى السامرة. وعاش امصيا بعد ذلك نحو ١٥ سنة ولم يحسن السيرة فسئم الناس ملكهُ فخشي على نفسهِ فاركن الى الفرار ولاذ باخيش حيث قُتِل وكان ذلك لمضي ٢٩ سنة من ملكهِ (٢ اي ص ٢٥)

(١٠) عزّيا او عزريا (ملك من سنة ٨٠٩ الى سنة ٧٥٧ ق.م) وملك عزيا وكان تقيًّا

ترميمهُ ايلة وتنظيمهُ الجيش اخضاعه القبائل فنجحت امورهُ ورمَّم أيْلة على خليج العقبة لاجل تجارة المشرق واحكم نظام جيشهِ وكان عددهُ ٣٠٧٥٠٠ مقاتل ورؤساؤهُ ٢٦٠٠ وبعثهم فرَقًا الى الحرب والغزو واعتنى باسلحتهم وعمل آلات منجنيقية لرمي السهام والحجارة الكبيرة فاشتدَّت قوتهُ واخضع الفلسطينيين والعرب وبني عمون واعتنى بامور الفلاحة فبنى ابراجًا لحفظ مواشيهِ في البرية وحفر لها آبارًا. فبلغت المملكة درجة عالية من سلَّم الارتقاء فافتخر بعظمتهِ ونجاح امورهِ وتعرَّض لما لا يعنيهِ فقام باتمام اعمال الكهنة بنفسهِ فضربهُ الله بالبرص فاخرجوهُ خارجًا فاضطر ان يسكن بيتًا منفردًا ولا يعاشر الناس الى حين موتهِ وسدّ مسدَّهُ في الملك ابنهُ ثم مات عزّيا لمضي نحو ٥٢ سنة من ملكهِ (٢ اي ص ٢٦)

(١١) يوثام (ملك من سنة ٧٥٧ الى سنة ٧٤٣ ق.م.) وكان يوثام تقيًّا الّا انهُ لم

تحصينهُ اورشليم تعدي رصين وفقح عليهِ ينزع المرتفعات وبقي الشعب يفسدون وحصَّن اورشليم وجبال يهوذا وبنى ابراجًا في الغابات وضرب الجزية على بني عمون فتشدَّد يوثام جدًّا لانهُ هيأ طريقهُ امام الرب وكان في آخر زمانهِ ان رصين ملك دمشق وفقح ملك اسرائيل اخذا يتجاوزان الحدود الى تخومهِ (٢مل ١٥: ٣٧) فاقلق ذلك خليفتهُ كثيرًا ومات يوثام بعد ملك ١٦ سنة (٢ اي ص ٢٧)

(١٢) احاز (ملك من سنة ٧٤٢ الى سنة ٧٣٦ ق.م.) ثم ملك احاز بن يوثام وكان شريرًا عبد الاوثان وعمل تماثيل للبعل حتى احرَق بنيهِ بالنار لمولوك رجس الامم

مضايقة احاز من رصين وفقح وغيرهما فسخط الله عليهِ وعاجلهُ بذنبهِ فان رصين ملك دمشق وفقحًا ملك اسرائيل هاجماهُ وارادا عزلهُ ووضع غيرهِ مكانهُ وضايقاهُ فهلك من شعبهِ خلق كثيرٌ وسبي كثيرون ثم هاجم يهوذا الاراميون من الشرق والفلسطينيون من الغرب والادوميون من الجنوب وعظمت

امتغاثة تغلث فلاسر — الشدائد على اهلها فلم يطلب الرب في ضيقهِ بل استغاث تغلث فلاسر ملك اشور واهدى اليهِ خزائن بيت الرب وقصرِ الملك وخزائن الروساء ولم يسمع نصح اشعياء النبيّ يوم حثّهُ على طاعة الرب واجاب تغلث فلاسر طلبهُ واتى وقتل رصين واخضع فقحا (راجع رقم ٣٩) واضطر احاز ان يخضع كل الخضوع لملك اشور اذ استدعاهُ الى دمشق (راجع تاريخ

خضوعه له — اشور رقم ١٠) ورجع الى المملكة بعبادة غريبة ولعلهُ اتى ذلك امتثالاً لامر تغلث فلاسر وجعلهُ آية خضوعهِ لالهة اشور وملك احاز ١٦ سنة ثم مات وخلفهُ ابنهُ حزقيا

اصلاح حزقيا — (١٢) **حزقيا** (ملك من سنة ٧٢٦ الى سنة ٦٩٧ ق.م.) وسار حزقيا غير سيرة ابيهِ واتبع شريعة الله وجدّ في تطهير المملكة من الفساد وجمع الناس في اورشليم لحفظ الفصح ولم يقتصر على ان دعا اهل مملكتهِ بل دعا مملكة اسرائيل ايضًا بان ارسل اليها رسولاً ينذر الناس من كل الاسباط ان يرجعوا الى الله ابائهم ويحضروا العيد فأبوا كلهم لانهم كانوا

سحقهُ حية النحاس — قد فسدوا كل الفساد ومما عملهُ حزقيا لتطهير المدينة من العبادة الفاسدة انهُ سحق حية النحاس التي نصبها موسى في البرية لشفاء الناس من لدغ الحيّات وكان الشعب قد اعتبروها جدًّا وسجدوا لها فظهرت بذلك شجاعة حزقيا وشدة عزمهِ واخلاصهِ لله لان تلك

رفضهُ طاعة اشور — الحية كانت قد اصبحت على غاية الاحترام عند الجميع فافلح وقهر الفلسطينيين ودفعهم الى غزّة بعد أن قتل منهم كثيرين وتشدد حتى طرح نير ملك اشور وكان ذلك امرًا عظيمًا كما يظهر من النتيجة ولعلهُ عصى اشور في اوائل ملكهِ وربما حالف هوشع ملك اسرائيل على مقاومة ملك اشور ثم فشل هوشع وأُخذت السامرة (راجع رقم ٣٩) والظاهر ان سرجون الذي ملك اشور حينئذٍ لم يضايق حزقيا وبقي مسالمًا لهُ حتى قام سنحاريب فهاجمهُ كما ذُكر

هجوم سنحاريب على يهوذا — في اخبارهِ (راجع تاريخ اشور رقم ١٣ و١٤) واختُلف في سنة هجومهِ ففي التوراة (٢مل ١٨: ١٣) انها السنة الرابعة عشرة لملك حزقيا اي سنة ٧١٢ ق.م. لكن سنحاريب لم يملك الى سنة ٧٠٢ ق.م. فذهب بعضهم الى ان سنحاريب كان قائد جنود ابيهِ سرجون فظنوهُ ملكًا. وقال آخرون ان بدل العدد ٢٤ في التوراة بالعدد ١٤ سهوًا من الناسخ فتكون السنة الاولى لسنحاريب. وذهب آخرون الى غير ذلك والله اعلم واختُلف في انهُ هل صعد سنحاريب على البلاد مرة واحدة او مرّتين فقيل في (٢مل ١٨: ١٣ الخ) انهُ اخذ مدن يهوذا الحصينة ودفع لهُ حزقيا الجزية وذكر ذلك سنحاريب ايضًا فيما كتبهُ كما تقدم ولكن ما حدث في (٢ اي ص ٣٢) لا يوافق هذا فينتج مما ذكر انهُ حدث في وقت آخر وما ذلك

ببعيد اذ اتضح من اخبار سنحاريب انهُ زحف على سورية وفلسطين غير مرّة . وما قيل في
وفد مرودخ بلادان على حزقيا بعد مرضهِ وشفائهِ العجيب وفق ما تقتضيهِ الاحوال لان وفد مرودخ بلادان
مرودخ كان عدوًّا شديدًا لملك اشور (راجع تاريخ اشور رقم ١٢ وتاريخ بابل ف ٢ رقم ١)
ولما كان حزقيا كذلك اراد محالفتهُ فبعث يهنئهُ . وافتخر حزقيا يومئذٍ فاظهر للرسل مجدهُ
وبهاء ملكهِ وكان ذلك خلافًا للشريعة لان كل مجدهِ كان من الرب فوبّخهُ اشعياء ومات
حزقيا بعد ٢٩ سنة من ملكهِ

(١٤) **منسّى** (ملك من سنة ٦٩٧ الى سنة ٦٤٢ ق . م .) وخلف حزقيا ابنهُ منسى
ولم يكن قد جاوز سن الثانية عشرة وملك ٥٥ سنة لكنّ اخبارهُ قليلة جدًّا وكان شريرًا
وزاد شرًّا على كل من سبقهُ من دولتهِ فانهُ مهد سبل العبادة الفاسدة التي كان ابوهُ قد شر منسى
طهر البلاد منها ولنا في ذلك دليل على تعمّق الناس في الفساد ايام احاز لان كل ما
اتاهُ حزقيا في الاصلاح لم يبقَ الا وقتًا قصيرًا فلما اظهر منسى نيتهُ وباشر عبادة الاوثان
اقتدى كل الشعب بهِ وزاد منسى على الاشرار الذين قبلهُ انهُ ادخل انواعًا مختلفة من
عبادة الامم وعوائدهم المنكرة وقتل من لم يقبل ذلك وملأ اورشليم من دم الابرار (٢ مل عبادة الاوثان
٢١ : ١٦) ولعل اشعياء النبي كان ممّن قتلهم ولكن من اتى شرًّا فظيعًا كهذا لا بد لهُ من ان
يعاقب ولذلك عاجل الله منسى بذنبهِ فصعد عليهِ اسرحدون ملك اشور واسرهُ واخذهُ اسر منسى
الى بابل وهذا وفق ما جاء في انباء ملوك اشور (راجع اخبار اشور رقم ١٦) ثم تاب منسى
الى الله فسمع لهُ وجعل ملك اشور يحسن اليهِ فاطلقهُ وارجعهُ الى مملكتهِ بعد مدة قصيرة ورجوعه اصلاحه
ظنّها البعض سنة ولما رجع باشر اصلاح ما كان قد أفسدهُ وفعل ما امكنهُ ولكن الفساد
كان قد اخذ من قلوب الشعب كل مأخذ فلم يقدر منسى ان يستأصلهُ فظهر بعد موتهِ
حالاً . ومات منسى سنة ٦٤٢ ق . م . وكان ملكهُ اطول من ملك غيرهِ من دولتهِ
(٢ اي ص ٣٣ و٢ مل ص ٢١)

(١٥) **امون** (ملك من سنة ٦٤٢ الى سنة ٦٤٠) وخلفهُ امون بن منسى وحذا حذو
ابيهِ في اول ملكهِ وازداد اثمًا وهلك لمضي سنتين بان فتن عليهِ عبيدهُ وقتلوهُ ثم قام الناس
واهلكوا قاتليهِ وملّكوا ابنهُ

(١٦) **يوشيا** (ملك من سنة ٦٤٠ الى سنة ٦٠٩) وكان يوشيا ابن ثماني سنين
حين ملك ولما بلغ سن الرشاد اظهر من التقوى والاستقامة ما يستحق الذكر فسار غير سيرة

ابيهِ وبذل كل جهدهِ في تطهير البلاد من عبادة الاوثان وجال فيها وفي بلاد اسرائيل وهدم المذابح وكسر التماثيل واكثر ما اتاهُ من ذلك كان في بيت ايل اذ دنس المذبح وأحرق عليهِ عظام الكهنة وهكذا تم ما قال النبي ليربعام الاول (١مل ١٣: ٢) وقام في ايامهِ الانبياء صفنيا وحبقوق وارميا وقام ارميا في السنة الثالثة عشرة للكهِ ولم يزل على النبوة الى بعد خراب اورشليم وكان فساد الشعب قد كثر وتمكن من قلوبهم حتى كان نزعهُ ضربًا من المحال ومع اجتهاد الملك والانبياء ظلت نيران الخراب والسبي تضطرم لتطهيرهم وحدث في السنة الحادية والثلاثين للملك يوشيا ان فرعون نخو ملك مصر اشهر الحرب على بابل كما ذكر في تاريخهِ (راجع تاريخ مصر رقم ٢١ وتاريخ بابل ف ٣ رقم ١) وحاربهُ يوشيا ولم يعلم لماذا فعل ذلك لان نخو لم يرد مقاومتهُ وزعم بعضهم انهُ فعلهُ اجابة للملك بابل اذ كانت يهوذا على طاعة اشور كما رأيت ثم لما سقطت اشور اخذت بابل ما كان لها في الغرب الجنوبي فاصبحت يهوذا من توابع بابل والله اعلم. فحشد يوشيا عسكرهُ وصلى نار الحرب في بقعة مجدُّو فقتل هناك واتوا بجسدهِ الى اورشليم وناحوا عليهِ مناحة عظيمة فزال بموتهِ كل مجد يهوذا وكان هذا لمضي ٣١ سنة من ملكهِ (٢ اي ص ٣٤و٣٥)

حسن سيرة يوشيا

شدة الفساد في الشعب

قتل يوشيا في الحرب

(١٧) **يهواحاز** (ملك منذ سنة ٦٠٩ ق.م.) ثم ملَّكوا يهواحاز بن يوشيا لكنهُ لم يملك الاَّ ثلاثة اشهر لان نخو صعد عند رجوعهِ من حرب كركميش الى اورشليم وعزلهُ واقام الياقيم اخاهُ مكانهُ وغيَّر اسمهُ الى يهوياقيم واخذ يهواحاز الى مصر واخذ من المملكة مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب (٢ اي ٣٦: ١-٤)

(١٨) **يهوياقيم** (ملك من سنة ٦٠٩ الى سنة ٥٩٨ او سنة ٥٩٧ ق.م.) وكان يهوياقيم شريرًا فتوغَّل في الاثم فانذرهُ ارميا فلم يسمع لهُ بل غضب عليهِ واعتقلهُ وبقي يهوياقيم على طاعة مصر نحو اربع سنين ثم الى نبوخذ نصر ابن ملك بابل واسترد كركميش وكل ما لملك مصر في سورية وفلسطين وصعد الى اورشليم واخذها وعزل يهوياقيم وقصد ان ياخذهُ الى بابل ثم ارجعهُ الى الملك على شرط ان يكون عبدَهُ واخذ عوضًا عنهُ بعضًا من اولاد الاشراف منهم دانيال وكان هذا السبي الاول

فتح نبوخذ نصر سورية واورشليم

السبي الاول

وبقي يهوياقيم امينًا لسيدهِ ملك بابل مدةً وحرَّضهُ ارميا على الطاعة اذ عرف انهُ مُهلك نفسهُ والبلاد اذا خان ولكن الملك لم يسمع لهُ بل خرج على ملك بابل ولما كان نبوخذ نصر مشتغلاً ببعض المهام هيج عليهِ الاراميين والموابيين وبني عمون ثم سار الى فلسطين

وحاصر صور وقدم الى اورشليم واهلك يهوياقيم فمات شرَّ ميتة (ار ٢٢: ١٩)

(١٩) **يهوياكين** (ملك منذ سنة ٥٩٧ ق.م.) ثم اقام مكانهُ يهوياكين فملك ثلاثة اشهر وعشرة ايام والظاهر انهُ مال الى معاهدة مصر لكي ينجو من يد ملك بابل فلما عرف نبوخذ نصر عزلهُ واخذهُ وعشرة آلاف اسير معهُ الى بابل منهم حزقيال النبي وهذا هو السبي الثاني وكان سنة ٥٩٧ ق.م.

السبي الثاني

(٢٠) **صدقيا** (ملك من سنة ٥٩٧ الى سنة ٥٨٦ ق.م.) واقام نبوخذ نصر صدقيا اخا يهوياكين ملكًا وهو آخر ملوك يهوذا وملك نحو ١١ سنة فبقي الى أن خربت المدينة وكان عليهِ ان يطيع ملك بابل لانهُ حلف لهُ على الطاعة وحرَّضهُ ارميا على ذلك وبيَّن لهُ ان لا فائدة من الخيانة وان الطاعة هي الطريق الوحيدة لحفظ السلام والظاهر ان صدقيا مال الى نصائح ارميا الّا ان الرؤساء مالوا الى الخيانة ومعاهدة مصر ولما كان صدقيا ضعيفًا تسلطوا عليهِ فاسرعوا الى الهلاك. ويتبين من التواريخ انهُ حدثت في ذلك الزمان خيانة عامَّة في سورية وان القبائل خرجت على بابل ولعلَّ صدقيا رأى يومئذٍ ان الفرصة موافقة للخيانة والظاهر ان ملك بابل شعر فاستدعاهُ الى بابل في السنة الرابعة لملكهِ (ار ٥١: ٥٩) فامتنع مدة عن قصدهِ وفي السنة التاسعة تقوَّى الرؤساء الاشرار واغروهُ بمعاهدة ملك مصر والخروج على نبوخذ نصر فارسل نبوخذ نصر ملك بابل جنودهُ تغزو البلاد وحارب اورشليم لكنهُ لم يفتحها حالاً لان فرعون حفرع ملك مصر قدم يومئذٍ وافتتح غزَّة فاضطر جيش الكلدانيين ان يرفع الحصار ويسير لمقاومتهِ ففشل حفرع ورجع ثم رجعت جنود نبوخذ نصر وحاصرت المدينة الى ان اخذتها واستمر الحصار نحو ١٨ شهرًا فساءَت احوال اهل اورشليم ونفد قوتهم ففتشوا في المزابل عن لقمة طعام وطبخت النساء اولادهنَّ (مراثي ارميا ص ٤) ثم تمكن الكلدانيون من نقب الاسوار ودخلوا ليلاً وهرب صدقيا فادركوهُ واخذوهُ وبنيهِ الى نبوخذ نصر وكان وقتئذٍ في ربلة في ارض حماة فقتل هنالك بنيهِ امامهُ ثم قلع عينيهِ واخذهُ الى بابل واماتهُ هنالك صبرًا (ار ٥٢: ١—١١) وافتتحوا اورشليم في السنة الحادية عشرة لملك صدقيا اي في سنة ٥٨٦ ق.م. واحرقوا المدينة وهدموا الاسوار واخذوا اكثر الباقين من الشعب الى بابل (ار ٣٩: ٨—١٠) وهذا هو السبي الثالث ولم يبقوا في الارض سوى الادنياء والفلاحين (ار ٥٢: ١٥) فانتهت مملكة يهوذا في سنة ٣٨٩ لموت سليمان واحكام الله في تاريخها ظاهرة كل الظهور فان الذين

تسلط الرؤساء على صدقيا

خروج القبائل على بابل

خيانة صدقيا

حصار اورشليم

موت صدقيا

السبي الثالث

احسنوا السيرة من ملوكها نجحت امورهم وامور المملكة في ايامهم ولكن الذين فسدوا منهم جلبوا على المملكة ضيقات عظيمة وهووا بها الى هاوية الخراب والدمار

وولى ملك بابل على الذين بقوا في الارض رجلاً يقال لهُ جدليا وكان ارميا معهم فاحسن اليهِ نبوخذنصر (ار ص٤٠) وظلوا كذلك في أمنٍ وسلامٍ الى ان اتى من ارض بني عمون رجل اسمهُ اسمعيل وكان من نسل ملوك يهوذا والظاهر انهُ لجأ الى ملك العمونيين حين خراب اورشليم فلما سمع بما كان اتى ومعهُ قومٌ من الاشرار فقتلوا جدليا في مصفاة ومَن معهُ من اليهود والكلدانيين ثم هربوا آخذين مَن قدروا عليهم من الاسرى فلما سمع بهذا اليهود الباقون تبعوهُ واستردوا الاسرى ونزلوا الى مصر خوفًا من غيظ نبوخذنصر وكان ذلك خلافًا لنصح ارميا الذي غصبوهُ على المسير معهم (ار ص ٤١–٤٣)

امر جدليا واسمعيل

النزول الى مصر

حالة البلاد

فبقيت بلاد يهوذا خالية الى حين الرجوع من السبي. ولا بدَّ من ان يرى العاقل في ذلك عناية الله لانهُ لو اسكن ملك بابل الارض وثنيين كما كان في بلاد السامرة لاعاق ذلك الاسرائيليين كثيرًا يوم رجوعهم الى تلك الارض

القسم السابع

مملكة الفرس

الفصل الاول

في حدود مملكة الفرس واقسامها

١. كانت مملكة الفرس اوسع الممالك قبل زمان اسكندر الكبير فامتدت من بلاد الصين والهند شرقاً الى اوربا وافريقية غرباً واستولت حين زهوها على جانب من هاتين القارتين ولم تتعين حدودها في الغرب لكثرة تغيرها في تلك الانحاء فحدها الشمالي نهر الدانيوب والبحر الاسود وجبل قوقاسوس وبحر الخزر الى قرب خط ٤٠° من العرض الشمالي وحدها الشرقي نهر الهند (وكان وراء ذلك مدة) والجنوبي بحر الهند وخليج العجم وبلاد العرب وبلاد كوش وحدها الغربي بلغ في قارة افريقية بلاد كيرين غربي مصر وفي اوربا بلاد مكدونية

حدود المملكة

٢. والبلدان التي اشتملت عليها هذه المملكة العظيمة افغانستان وبلوخستان وجزء من بلاد التتر وبلاد فارس ومادي واشور وسوسيانا وما بين النهرين وارمينية واسيا الصغرى وجزء من اوربا وسورية وقبرس ومصر وكيرين ومساحتها نحو ٢٠٠٠٠٠٠ ميل مربع فهي مملكة واسعة جداً

اقسامها

وبلاد **فارس** حيث خرج المتسلطون عليها ضيقة لا تبلغ مساحتها سوى ١٠٠٠٠٠ ميل مربع. وكان يحدها شمالاً مادي وشرقاً الصحراء المستجة وجنوباً خليج العجم وغرباً ذلك

بلاد فارس

الخليج وسوسيانا وكان نحو نصف البلاد صحاري لا تصلح لشيء والباقي ترب بين الجبال على ريف البحر فانهُ كان ضيقاً شديد الحرّ غير ان بعضهُ يصلح للحراثة اما الاراضي الجبلية فتُقابل ما يقابلها من اراضي مادي كما ذكرنا ففيها اودية تجري منها انهر صغيرة والاراضي المجاورة لها مخصبة وفيها عدة بحيرات صغيرة مالحة

فسرجادي وفرسيبلس ٣. ومن امهات مدن فارس **فسرجادي** وهي العاصمة القديمة **وفرسيبلس** وموقع الاولى في ٢٨° و٣١َ من العرض الشمالي و٥٣° و١٧َ من الطول الشرقي وهي اليوم خربة لا رسم لها وموقع الثانية شمالي الاولى وعلى امد نحو ٣٠ ميلاً منها وكانت العاصمة بعد انحطاط الاولى وخلاصة ما يقال في تلك البلاد انها لم تكن مما يتوقع ان تخرج منها أُمة قوية كأُمة الفرس او ينشأ فيها رجال يتسلطون على جانب عظيم من الارض كما وقع

الفصل الثاني

في اخبار الفرس

اصول هذا التاريخ. (١) الآثار وهي قليلة ومنها كتابة تسمى البهستونية وهي كثيرة الفائدة والاعتبار وستذكر في اخبار داريوس الاول (٢) التوراة ولا سيما اسفار دانيال وعزرا ونحميا واستير (٣) تاريخ هيرودوتس فانهُ كتب اخبار الفرس من اول دولتهم الى نحو سنة ٤٧٩ ق.م (٤) تاريخ قطيسياس وقد فقد كتابهُ سوى بعض اجزاء لا يعتد بها (٥) تاريخ زنفون ومنهُ تاريخ كورش الاكبر وتاريخ حروب كورش الاصغر مع اخيهِ ومسير عشرة الآلاف من اليونان (٦) تاريخ ديودورس العامّ. وبعض كتب المتاخرين ككتاب رولنصن الذي ذكرناهُ في تاريخ الكلدانيين

جنس الفرس ١ امة الفرس جيلٌ من الايرانيين قريب النسب من امّة الماديين واخبارها في اوّل امرها سقيمة جدًّا فلا نعلم الاَّ قليلاً من امرها من ذلك الوقت الى ان ظهر كورش الكبير وظن البعض ان مملكة الفرس ابتدأت حين استولى على مادي غير ان داريوس

بداءة دولتهم الاوَّل وهو الملك الثالث بعد كورش صرَّح بان ملك الفرس ثمانية من سلفائه فبداءة دولتهم قبل عهد كورش . واوَّل ما نعلمهُ من انبائهم في التواريخ ذكر في مكتوبات

ذكرهم في اخبار الاشوريين الاشوريين فان شلمناصر الثاني التقى بهم مع الماديين يوم غزا تلك النواحي في القرن التاسع ق . م . ولم يكونوا حينئذٍ الاَّ قبائل جرَّة يقيمون ويظعنون برأس كلاًّ منها شيخ . فاخذ شلمناصر الجزية من ٢٥ شيخًا منهم لقيهم يومئذٍ في اطراف ارمينية الشرقيَّة والتقى بهم سنحاريب في جبال الشمالي الشرقي من سوسيانا اي على حدود بلاد فارس الخاصَّة المار وصفها فالظاهر انهم لم يكونوا حينئذٍ قد تأصلوا فيها ولم يبلغوا شيئًا من درجات الاعتبار التي بلغوها بعد ولعلهم لم يرتقوا كثيرًا الى ان سقطت نينوى اي في اواخر القرن السابع

ملوكهم الاولون ق . م . ويستفاد من اخبارهم ان اوَّل ملوك هذه الدولة أخيمينس ثم تِيسْپِس ثم كمبيز الاوَّل ثم كورش الاوَّل ثم كمبيز الثاني ابو كورش الكبير واخبار جميع هولاء قليلة وسقيمة .

قال هيرودوتس انهم كانوا خاضعين الماديين تمام الخضوع لكن داريوس قال ان

خضوعهم للماديين اسلافهُ كانوا مستقلّين ولعلَّهم خضعوا للماديين بعض الخضوع حين غلظ امرهم فتبيَّن من ذلك ان تلك حالهم ايام كمبيز ابي كورش فانهُ كان خاضعًا بعض الخضوع لاستياجس ان صحَّ قول هيرودوتس (راجع تاريخ مادي ف ٣ رقم ٥) . لكن الآثار التي كشفت حديثًا

ملك كورش على ما في الآثار غيَّرت اخبار كورش في اوائل امرها كل التغيير فانهُ كان ملك عيلام اولاً لا ملك الفرس ثم قهر ملك مادي وملك فارس ثم ملك بابل وفي بعض العاديَّات ما معناهُ انهُ في السنة السادسة لنابونيدُس او نبوناديوس ملك بابل قدم استياجس ملك مادي على كورش ملك عيلام فخان استياجس عسكرهُ وقبض عليهِ وسلمهُ لكورش . فتقدم على اكبتنا عاصمة مادي ونهبها واستاق الغنائم الوافرة الى عيلام وفي تلك الآثار انهُ في السنة التاسعة لنابونيدُس في شهر نيسان جمع كورش ملك **الفرس** جنودهُ وعبر دجلة قرب اربيلا وقدم على ارض مُحي اسمها من قدم العهد فالظاهر انهُ استولى على بلاد فارس في تلك المدَّة وفيها ان كورش قصد اخضاع بابل ولم يبلغ تمام مرادهِ الى السنة السابعة عشرة لنابونيدُس فاحتال لهُ وافسد عليهِ قومًا من اهل بابل لم يرضوا بملكها ظنّ انهم اليهود فخاف نابونيدُس واستنجد الهتهُ واتى الى بابل باصنام من مدن اخرى وفي شهر تموز قاتل كورش جيش اكَّاد التابعة لبابل فخاف اهل آكاد فسلمت مدينة سِپّرا (اي سفروايم) بدون قتال فهرب نابونيدُس ودخل جيش كورش في السادس عشر من الشهر بابل بلا قتال . ثم

اخذ بعد ذلك نابونيدس حيًا واعتقلهٔ في بابل ثم دخل كورش بابل في الثالث من تشرين الاوّل باحتفال وانعم عليها بالسلام وقدَّم لآلهتها جزيل الاكرام وقال كورش نفسهٔ في بعض مكتوباتهِ ما معناهُ ان الآلهة غضبت شديد الغضب اذ اتى بها نابونيدس الى بابل وعيّن مرودخ كورشَ ملك بابل فابتهج مرودخ بانهُ صار نائبهُ اذ كان بارًّا قلبًا ويدًا فجهزهُ الى بابل ورافقهُ اليها في جنودٍ لا تحصى وسلطهُ على بابل بلا قتال وسلمهُ نابونيدس اذ لم يسجد لهُ ففرح اهل بابل واكاد وسومر بملك كورش. ومما قالهُ في مكتوباتهِ انا كورش ملك الجنود العظيم القدير ملك بابل وملك سومر واكاد وملك المناطق الاربع ابن كمبيز العظيم ملك عيلام ابن كورش العظيم ملك عيلام ابن تيسبيس العظيم ملك عيلام من النسل الملكي القديم الذي رضى بملكهِ الالهان بيل ونبو لاجل برّهِ الى غير ذلك ما لا محل لذكرهِ هنا. فظهر جليًا من هذه الكتابة ان كورش كان ملك عيلام اولاً وانهُ كان من عبدة الاوثان وانهُ افتتح بابل بلا قتال وكل ذلك خلاف ما اجمع عليهِ المؤرخون منذ القديم الى ان اكتشفت هذه الآثار

٢. والظاهر انهُ شن الغارة بعد ان اخضع بلاد فارس على مملكة ليديا التي كانت على معاهدة مادي كما ذُكر وكان ملكها يومئذٍ كريسس وكان ملكًا غنيًا جدًا ضُرب بغناهُ المثل وكان قد تسلط على اكثر اسيا الصغرى غربي نهر هلس ولما سمع بقدوم كورش حشد جنودهُ واستدعى اعوانهُ من القبائل المجاورة وبعث يطلب معونة مصر وبابل ثم سار في من لهُ وقطع نهر هلس قبل وصول كورش واخذ يغزو في كبدوكية اما كورش فاسرع السير وناوشهُ وجرى بينهما قتال شديد ومضى كل النهار على غير فوزٍ لاحد الفريقين وفي غدهِ لم يبارز احدهما الآخر ولما عرف كريسس ان للعدو اكثر مما لهُ عزم على القفول ظانًا ان كورش لا يتجاسر ان يقتفيهُ حالاً لانهُ اختبر بأسهُ فيكون لهُ فرصة لجمع جنود اكثر من جنود بلادهِ ومن محالفيهِ مصر وبابل وسبرطا من مدن اليونان فعاد الى عاصمتهِ سارديس وخلى السبيل لاكثر عساكرهِ اذ امرهم ان يجتمعوا اليهِ في الربيع القادم اما كورش فجدَّ في اثرهِ ولم يشعر بهِ كريسس حتى بلغهُ فجمع ما تيسّر لهُ من عسكرهِ وخرج لمحاربتهِ من يومهِ وكانت جنودهُ اقل من جنود عدوهِ ولما كان اعتمادهُ على فرسانهِ احتال بهم كورش بان جعل جمالهُ في مقدمتهِ فنفر منها افراس الليديين وجفلت فاضطر اصحابها ان ينزلوا عن ظهورها ويقاتلوا مشاةً لكنهم انهزموا وانحصر

حرب ليديا

قدوم كريسس للقاء كورش

قفول كريسس الى سارديس

هزيمة الليديين

الليديون في مدينتهم وكانت ساردس غاية في الحصانة مبنيَّة على صخور مرتفعة شاهقة لم يطمع احد في فتحها ولما هاجمها كورش لم يقدر عليها ثم احدق بها ولو لم يتفق انهم اكتشفوا طريقًا للدخول لطال الحصار كثيرًا فان احد الحرَّاس وقعت خوذتهُ عن الشاهق فنزل يرفعها في ممرٍ سرّي فانبأ بهِ جنديًا من عساكر كورش فنشر خبرهُ بين الجنود فصعد بعضهم من ذلك الممرّ ودخلوا المدينة بغتةً فاخذوها واعملوا السيف بالناس وقيل ان كريسس اوشك يهلك الآن مطاردهِ عرفوهُ قبل ان ضربوهُ فاخذوهُ الى كورش فقسا عليهِ اولاً وقيل انهُ عزم على احراقهِ ووضعهُ على كومة حطب وأمر ان يُضرَم بهِ النار فصرخ كريسس قائلاً صولون صولون صولون فدهش كورش وسأَلهُ قائلاً ما اردت بذلك فقال قد تحقّقت صدق صولون الحكيم اذ قلت لهُ هل عرف قط انسانًا اسعد مني فقال لا يحسب الانسان سعيدًا حتى يبلغ اجلهُ فتعجّب كورش من هذا الحديث واستحياهُ واحسن اليهِ واكرمهُ في دارهِ غير ان هذه القصة تفتقر الى اثبات والذي علم ان كورش حقن لهُ دمهُ واكرمهُ

افتتاح ساردس — خبر كريسس

٣. وخضعت مملكة ليديا لهُ حالاً سوى بعض مدن يونانيَّة على السواحل البحرية فبعث جنودًا لافتتاحها وعاد الى مركزهِ ولما غاب عن ساردس قام قوم وتمنعوا على نائبهِ واستردُّوا المدينة فلما سمع كورش بعث جنودهُ لاخماد الفتنة فاخذوا المدينة ثانيةً وقاصُّوا الثائرين قصاصًا شديدًا ثم اخذ الفرس يخضعون مُدُن اليونان المذكورة فافتتحوا بعضها عنوةً وبعضها بشروط سهلة اذ كان جلُّها حصينًا قويًا في البحر ولم يكن للفرس سُفُن لكنهم استولوا بعد قليل على اكثرها وقاتلهم الذين سكنوا الجنوب الغربي وهم الكونيون والليكيون اشد قتال ولمَّا ايقنوا البوار حرقوا مدنهم بنسائهم واولادهم واموالهم وحملوا على العدو وقاتلوا حتى ماتوا عن آخرهم لانهم آثروا الحريَّة على الحياة

خضوع ليديا لكورش — افتتاح مدن اليونان في اسيا

٤. وسار كورش من ليديا لغزو الاقطار الشرقيَّة والشماليَّة واخضع عدَّة من قبائلها كالهركانيين والفرثيين والبكتريين والساسيين وغيرهم وكان منهم اقوياء اشداء البأس فاشتد القتال وحاربت النساء مع الرجال واتفق يومًا ان أَسَر الفُرس ملك الساسيين فجمعت امرأتهُ الجنود وحملت على كورش كلبوةٍ وغلبتهُ وأَسَرَت من الفرس جمعًا وافرًا فتضايقوا حتى اضطر كورش ان يطلق الملك فدية عن جنودهِ لكنهُ غلب الساسيين وغيرهم اخيرًا حتى اخضع اكثر سكان ما بين فارس ونهر الهند وشغلت هذه

محاربة كورش قبائل الشرق

الحروب نحو ١٤ سنة غير ان اخبار هذه السنين قليلة وفرغ من تلك الحروب في نحو سنة ٥٣٩ ق.م. وقد ذكرنا افتتاحهُ بابل وانتصارهُ عليها واستيلاءهُ على كل املاكها يعني بابلونيا وسورية الى حدود مصر فانتهى بهِ ملك الساميين الذين تسلطوا على غربي اسيا قرونًا عديدة واظهروا قبل ايام كورش من البأس والسطوة والعلم والتمدن ما لم يظهر من غيرهم من كل شعوب اسيا. ولما قهر كورش بابل واستقام لهُ امرها وَجَدَ فيها اليهود وعطف عليهم ولم يمكث حتى اطلقهم من سبي بابل وظن بعضهم ان علّة ذلك انهُ وجد اعتقادهم يشبه اعتقادهُ في انهم موحدون. لكن هذا الظن بطل مما ظهر من آثارهِ كما ذكرنا ولعلهُ شفق عليهم ورأى ابقاءهم في العبودية ظلمًا ولعلهم كانوا قد اعانوهُ على فتح بابل وأمر باطلاقهم سنة ٥٣٦ ق.م اي بعد سبعين سنة من السبي الاوَّل حين أُتي بدانيال ورفقائهِ الى بابل كما مرَّ (راجع اخبار يهوذا) وكان اطلاق اليهود ورجوعهم الى بلادهم تدبيرًا سياسيًّا اقتضتهُ احوال المملكة لان فينيقية ومصر لم تخضعا لكورش وقد رأينا ان مصر عاهدت كريسس عليهِ (راجع اخبار مصر رقم ٣٣) فلما رجع اليهود الى ارضهم بامر كورش اعترفوا باحسانهِ امناء لهُ وصاروا بمنزلة حرّاس على الثغور يمانعون اعداء المملكة في تلك الناحية وينبئون مولاهم بالخطر ويساعدونهُ حين تقدمهِ لمحاربتهم

افتتاح بابل

انقراض ملك الساميين

اطلاق اليهود

٥. ولا جرم ان كورش عزم على افتتاح فينيقية ومصر غير انهُ سار اولاً لمقاتلة قبيلة تسمَّى المسَّجيَّة شرقي بحر الخزَر ولم يُعلم من عاقبة امرهِ في ذلك سوى انهُ قُتِل في بعض الوقائع سنة ٥٢٩ واتوا بجثتهِ ودفنوها في فَسَرجادي فان ضريحهُ هناك وكان من افضل ملوك الامم القدماء اذا صدقنا ما وصفهُ اليونان بهِ فقالوا انهُ بطلٌ شجاع شديد البأس والحذق والذكاء يحب شعبهُ ويقسم عليهم الغنائم ويحسن الى الاعداء الخاضعين لهُ كما رأينا من صنيعهِ لكريسس واليهود فاعتبرهُ الفرس واحترموهُ وكان كثير الحرب لم يسبقهُ فيها احد من القدماء غير اسكندر الكبير لكنهُ لم يحكم السياسة حق الاحكام فبقيت الشعوب والامم التي اخضعها على حالها لكنها ادَّت الجزية

قتل كورش

اوصافهُ

٦. كمبيز (ملك من سنة ٥٢٩ الى سنة ٥٢٢ ق.م) وكان كورش قد عيَّن كمبيز بكرهِ خليفة لهُ غير انهُ اقطع سْمَرْدِس اوباردس ابنهُ الثاني عدة ولايات ذات شان فملك كمبيز بعد هلاك ابيهِ وبعد قليل من الزمان أمر بقتل اخيهِ سرًّا على ما قيل فلم يعلم الناس بقتلهِ وظنوهُ حيًّا وكان ذلك علّة للانقلاب كما سترى ثم طمع كمبيز في ما كان ابوهُ

كمبيز

قتلهُ سمردس

اسباب حرب مصر يقصدهُ اي فتح مصر قال هيرودوتس ولما لم يكن ما حملهُ على ذلك غير طمعهِ بعث يطلب ابنة ملكها جارية لهُ لظنهِ ان ملك مصر يأبى ذلك فيثير الحرب عليهِ لكن ملك مصر مكر بهِ وارسل اليهِ غير ابنتهِ فلما بلغت كمبيز انبأتهُ بما كان فاستشاط غيظًا وبادر

فتح فينيقية وقبرس الحرب فسار بعسكرهِ الى سورية وقصد فتح فينيقية اولاً اذ كانت في طريقهِ وكانت قوية في البحر فاراد ان يستعين بها لان مصر كانت وقتئذٍ وافرة الوسائط البحرية لمساعدة اليونان لحصل على ما رغب فيهِ وفتح قبرس ايضًا لكن الامر لم يكن سهلاً كما كان يتوقع

سيرهُ الى مصر فاقتضى عليهِ نحو اربع سنين ولم يدخل مصر الى سنة ٥٢٥ ق . م ولم يناوشهُ احد بين سورية ومصر لانهُ ارضى قبائل العرب في البرّية فمرّ في اراضيها وساعدتهُ بان اعدّت لهُ المهمات

هزيمة المصريين عند بيلوسيوم وكان ملك مصر حينئذٍ بسَمينيتُس او بسمتيخوس ٣ (راجع اخبار مصر رقم ٣٢) فلما علم بقدوم كمبيز حشد جنودهُ وسار لملاقاتهِ وكان في جندهِ يونان اشداء الباس مستاجرون والتحمت الحرب في نواحي بيلوسيوم واشتد القتال على المصريين فانكسروا انكسارًا هائلاً وهربوا وقيل ان كمبيز بعث معتمدين الى ممفيس يسألون بسمينيتس وقومهُ التسليم فاوقعوا بهم ومزّقوهم إربًا إربًا فاغتاظ كمبيز وجدّ في الحصار حتى اضطرّ المصريون ان يسلموا.

معاملة كمبيز لملك مصر واخذ كمبيز الملك واوقفهُ على الطريق وامرّ عليهِ ابنتهُ مع بنات الاشراف لابسات اثواب العبيد يصرخنَ لسوء حالهنَّ ثم امرّ عليهِ ابنهُ مع بني الاشراف والحبال في اعناقهم وهم ذاهبون الى الموت فصرخ الناس بالويل اما بسَمينيتُس فصمت واتفق عند ذلك أن مرّ بهِ شيخ يستعطي فلمّا رآهُ بكى فدهش كمبيز وسألهُ قائلاً كيف تبكي على شحّاذ ولا تبكي على

قتل اسمينيتس اولادك قال ان مصاب اولادي اشدّ مما تعبّر عنهُ الدموع امّا هذا الشيخ الفقير فكان صاحبي ونديمي ايام الصبا وقد ذلّ وافتقر وانا غير قادر على ان اساعدهُ فسالت دموعي حزنًا فتعجّب كمبيز من قوله غاية العجب واستحياه لكنهُ خانهُ بعد ذلك فقتلهُ

خضوع القبائل ٧ . ثم لما سمعت القبائل المجاورة بسقوط ممفيس خضعت لكمبيز وخضعت كذلك المدن اليونانية في كيرين ثم ابتغى فتوح البلاد البعيدة فقصد افتتاح قرطاجنّة وبلاد كوش

مأقرطاجنة وجرعاء عمُّون (واحة عمون) اما قرطاجنّة فلم يستطع الوصول اليها الاّ بحرًا لطول المسافة وصعوبة المسالك ولما أمر الفينيقيين بالمسير في السفن ابوا اذ كان اهل قرطاجنة

المسير الى جرعاء عمون من اخوتهم (راجع اخبار الفينيقيين رقم ٧) فتنحّى كمبيز عن هذا المسعى على رغمهِ اما جرعاء عمون فكانت تبعد عن مدينة ثيبة مسيرة نحو سبعة ايام والطريق في الصحراء وكان فيها هيكل

كثير النفائس لجوبتر فبعث كمبيز ٥٠٠٠٠ من عسكره لينهبوهُ فادركهم ريح حاصب حملت عليهم كثيرًا من الرمل فاهلكتهم ولم ينجُ منهم شارد . اما بلاد كوش فتوجَّه اليها كمبيز بجيش جرّار لكنهُ لم يحسن التدبير فلما كانت رجالهُ تسير في المفاوز البعيدة الاطراف نفدَ ما عندهم من القوت فساءت احوالهم فاكل بعضهم بعضًا فاضطر كمبيز ان يرجع عن قصدهِ فعاد خائبًا مغمومًا

المسير الى بلاد كوش

فرح المصريين باكتشاف العجل ابيس

٨ . ولما وصل الى ممفيس وجد الناس على غاية الفرح والابتهاج وكانت علّة ذلك ان الكهنة كانوا قد كشفوا عن العجل ابيس الههم العظيم (راجع تاريخ مصر ف ٢ رقم ٦) اما كمبيز فظن هذا الفرح ناتجًا عن مصيبتهِ او انهُ فتنة فأمر بقتل اصحاب السياسة واستدعى الكهنة اليهِ وأذلهم واحتقر دينهم وطعن العجل وحرق بعض تماثيلهم وتصرّف شرّ تصرف حتى اقشعر منهُ المصريون هذا ما قالهُ هيرودوتس والذي في الآثار ان كمبيس اكرم الثور ابيس ولما مات دفنهُ باحتفال كالعادة وذلك في السنة الرابعة لملكهِ والظاهر ان كمبيز حزن كثيرًا لمصائبهِ ولا يبعد انهُ اساء السيرة وظلم المصريين فالمعهود انهم حقدوا على الفرس وسئموا سلطانهم فخانوهم مرارًا كما سيأتي

اخبار كمبيز الاثرية

امر غوماتيس او سمردس الكاذب

٩ . ثم اخذ كمبيز يرجع الى بلادهِ وسئم الفرس الذين كانوا في المملكة من طول غيبتهِ فقام مجوسيٌّ اسمهُ غُوماتيس واختلس الملك وادعى انهُ سمردس اخو كمبيز المقتول ولما وصل كمبيز الى سورية بلغهُ نبأُ ذلك فاستدعى بركسسبس الذي سامهُ سابقًا قتل اخيهِ واشتكى منهُ عدم تتميم امرهِ فانكر وصرّح بانهُ قد فعل فعلم كمبيز ان بعض اصحاب المقام عصاهُ فيئس من ذلك وقتل نفسهُ لكن هيرودوتس قال انهُ جُرح عندما ركب فرسهُ بان اندلق سيفهُ من غمدهِ ودخل فخذهُ ونستدل مّما كتبهُ داريوس خليفتهُ على صحّة ما ذكرناهُ وما ذلك ببعيد ان صحّ ما قالهُ هيرودوتس في سيرتهِ الغريبة في مصر فان فيها ما يدل على اختلال عقلهِ وهلك كمبيز سنة ٥٢٢ ق م

هلاك كمبيز سنة ٥٢٢ ق م

تصرف المغتصب

١٠ . وملك المغتصب حينئذٍ مدّعيًا انهُ سمردس المقتول وخاف على نفسهِ لئلاّ يكشف امرهُ فيقوم اشراف الفرس ويعزلوهُ فاعلن بغية ان يرضى الرعية انهُ لا يسوم احدًا الخدمة العسكريّة ولا يأخذ الجزية من الولايات مدّة ثلاث سنين وتزوّج نساء كمبيز حسب عادة الملوك لكنهُ فرق بعضهنّ عن بعض وعن انسبائهنّ لئلاّ يفضحنهُ لكن هذا نفسهُ مّما اوقع عليهِ التهمة وكان مجوسيًّا كما تقدم فحوّل الغاء دين الفرس و إعادة دين

تغييرهُ خدمة الدين

المجوس فهدم بعض الهياكل وغيّر الخدمة الدينيّة ولا ريب في ان الماديين فرحوا بذلك اذ كانوا من المجوس . واغتاظ الفرس وايقنوا ان هذا الملك ليس من نسل ملوكهم فافضى الامر الى عزلهِ وكان من نسل ملوك الفرس رجل يسمّى داريوس كان ابوهُ والي بلاد فارس علم بما كان وتقدم الى العاصمة وهيج فتنة على المجوس وشاركهُ ستة من اشراف الفرس فهاجموا الملك وقتلوهُ ثم سلّوا سيوفهم على المجوس فاهلكوا كثيرين منهم وانتهى ملك المجوسي. وتم ذلك سنة ٥٢١ ق.م

داريوس بن هستاسبس

١١ . **داريوس الاول** (ملك من سنة ٥٢١ — سنة ٤٨٦ ق . م) وكان داريوس هذا اعظم ملوك الفرس فضاهى كورش في حروبهِ وسبقهُ وسبق غيرهُ من ملوك الفرس في سياسة المملكة واتى من الحكمة والدراية ما يستحق الذكر ولكنهُ لم يحصل على طاعة كل المملكة حالاً فخانتهُ عدّة قبائل وبقي نحو ست سنوات يحارب العصاة وثارت الفتنة اولاً في سوسا وبابل فاختلس المُلك في بابل رجل ادّعى انهُ من نسل نبونيدس ولُقّب نبوخذنصر فقدم عليهِ داريوس وغلبهُ ومن معهُ في الميدان فلاذوا بالمدينة التي افتتحها داريوس ويظن الآن ان هذا الافتتاح هو ما نسبهُ هيرودوتس وغيرهُ الى كورش وقد مرّ ذكرهُ (انظر تاريخ بابل ف ٣ رقم ٥) وقام بعض اهل سوسا وقتلوا العصاة وسلّموا المدينة للملك

اخماد داريوس الفتن في سوسا وبابل

ثم حدثت فتنة اشدُّ منها كثيرًا وهي انهُ خرج اهل مادي واشور وارمينية معًا وترأس عليهم رجل ماديّ ادّعى انهُ من نسل كياكسارس الكبير وبعث داريوس قوادهُ بعسكرٍ لمحاربة العصاة فقاتلوهم لكنهم انهزموا وفي اثناء ذلك خرج عليهِ هركانيا وفرثيا في الشرق فالتزم داريوس ان يسير الى الحرب بنفسهِ ولما وصل الى مادي وجرى القتال واشتدّ ضويق كثيرًا لكنهُ قهر العصاة فهرب رئيسهم قاصدًا الشرق فأُدرك وعُذّب عذابًا اليمًا بان جدَع داريوس انفهُ واذنيهُ ولسانهُ ثم اوثقهُ عند باب دارهِ حتى يوقن الناس اسرهُ ثم صلبهُ فالقى الرعب في قلوب العصاة واُخمدت الفتنة في مادي وما يليها . واخمد الفتنة في الشرق هستاسبس ابوهُ ثم قام احد العصاة في فارس نفسها واتخذ اسم سمردس المقتول وخضع لهُ جانب من الفرس فسار داريوس بجيشهِ وغلبهم واخذ الزعيم وصلبهُ ثم عصت بابل ثانيةً وعليها رئيس لقّب نفسهُ نبوخذنصر كالسابق فوجّه داريوس عليهِ قائدهُ فاخضعهُ وقاصّهُ كالبقية ثم ان والي ساردس اراد الاستقلال وشعر داريوس بخيانتهِ ولكن

اخضاع العصاة وقصاصهم

خروج فارس وبابل ثانية

لم يجهز عليهِ جيشًا بل بعث احد خاصتهِ ليحتال على قتلهِ فقتلهُ ثم رأى داريوس امارات الخيانة في والي مصر فقتلهُ ايضًا وظلّت المملكة مضطربة نحو ست سنين بعد ارتقاء داريوس اي الى سنة ٥١٥ ق٠م

١٢ . وكتب في نحو هذا الزمان كتابتهُ الرسميَّة المعروفة بالكتابة البهستونيَّة نسبة الى بهستون وهو مكان على حدود مادي الغربيَّة وهذه الكتابة مرسومة على صخرة في جانب الطريق المؤدية من بابل الى أكبتانا الجنوبية علوها نحو ١٧٠٠ قدم وتعلو الكتابة الطريق بنحو ٣٠٠ قدم وهي مرسومة بالخط السفيني في ثلاث لغات وهي الفارسية والكلدانية والسكيثية او التترية وهي تنبئ بطريق حصولهِ على الملك حين قام على مردس الكاذب وكيف اخضع العصاة في الجهات ولنا منها اخبار ثمينة مختصَّة بملك داريوس وما زاد اعتبارها انها كانت مفتاح الخط السفيني فانفتحت بها كنوز مملكة اشور ومملكة الكلدانيين فهي لا ريب من اعظم آثار داريوس الاوَّل

الكتابة البهستونية

١٣ . ثم باشر احكام امور المملكة وترتيب سياستها فاظهر بذلك درايتهُ وبقي آثار نظامهِ الى انقراض المملكة في احسن نجاح فقسم المملكة الى عشرين ولاية او يزيد وصار عددها فيما بعد ١٢٧ (انظر استير ١ : ١) وعزل الملوك الذين كانوا عليها وولى على كلٍّ منها واليًا او مرزبانًا فارسيًّا ويسمَّى عند اليونان سترپس وكان لهُ الامر المطلق في ولايتهِ في الامور السياسيَّة وكان يضاهي ملكًا في قصرهِ وحرمهِ وانصارهِ وما اشبه ذلك ولم يكن مسئولًا من احد سوى الملك لكن داريوس استعمل الوسائط ليتمكن من امانتهم اذ قد تحقَّق ميلهم الى الخيانة في ما سبق فجعل في كل ولاية جيشًا قائدهُ مستقل عن المرزبان وجعل في دارهِ كاتبًا مستقلًّا يراسلهُ دائمًا بكل ما يجري في الولاية ولم يكن للوالي ان يعزلهُ فصار كلٌّ من هولاء الثلثة رقيب الآخرين فصعب ارتكاب الخيانة . ثم عيَّن داريوس الإتاوة او الجباية على كل ولاية بحسب ثروتها نقودًا واثمارًا وخيلًا ومواشي وما اشبه . ومن غرائب امورهِ انهُ من جملة ما اوجبهُ على ولاية بابل ان تقدّم لهُ ٥٠٠ خصيٍ . وكان الفرس مولعين باستخدام الخصيان وهي عادة مكروهة نجم عنها ضرر عظيم كما سيأتي ولم يكن ما طلبهُ الملك ثقيلًا على الولايات غير ان الوُلاة اختلسوا الاموال وظلموا الاهالي اذ كان لهم حق التصرُّف في جميع المكوس

نظام داريوس السياسي

الولاة او المرازبة قائد الجيش والمكاتب

الجباية

ومما اتاهُ داريوس حذرًا من الخيانة وافادةً للمملكة تمهيد السكك واقامة البُرُد لانهُ

البرد

جعل منازل على مسافات مناسبة في جميع الطرُق المؤدية الى العاصمة من الولايات فيها رُسل وخيل فكانت الرسائل تنقل بسرعةٍ وتكشف شرّ الفتنة في طرف من الاطراف فتبلغ الملك حالاً . ومن اعمال داريوس المشهورة ضرب النقود من ذهب وفضّة قيل انهُ اوّل من فعل ذلك من الملوك وضرب كثيرًا من القطع الذهبيّة ومن مضروباتهِ المشهورة الدارك وهو من الذهب الخاص ظنّ بعضهم انهُ سمي باسمهِ وقيمتهُ نحو ليرة وربع ليرة عثمانية

ضرب النقود

١٤ . وكانت الجنود المنظمة من الفرس مؤلفة من فرَق فارسيّة او مادية فكان الوف وربوات من هاتين الامّتين مهنتهم الحرب وصيانة المملكة فتفرّقت هذه الفرَق النظامية في الولايات لتحرسها وتدافع عن اطرافها عند مهاجمة العدو وكان الملك اذا التحمت حرب عامة اوخرج لغزو البلاد البعيدة يجمع الجنود من كل اطراف المملكة ومن كل الامم ويحشدها مع عسكر النظام ولما كانت المملكة واسعة جدًّا بلغت عساكر الفرس النظاميّة وغيرها الف الف اويزيد كما كان الأمر في ايام زركسيس وسياتي ذكرهُ وكان حين يعود من غزواتهِ يصرف الجنود المتطوّعة فلا يبقى غير عسكر النظام

عسكر الفرس النظامي

وكانت بوارج الفرس مؤلفة من سفن الامم الساكنة الشطوط البحريّة الخاضعة لهم كالمصريين والفينيقيين والكيليكيين واليونان في اسيا الصغرى واهل قبرس وكان ملّاحو السفن من هولاء وكان عسكرها من الفرس والماديين وكذلك رئيسها

بوارج الفرس

١٥ . ولما استوثق داريوس من الملك ورتّب سياستهُ كما تقدم اشتهى الغزوات لتوسيع المملكة وتوجّه اولاً الى الشرق وهاجم الهند وقطع نهر الهند واثخن في اطرافها الشمالية الغربية التي تسمّى البَنْجاب وكانت مخصبة غنيّة فغزاها داريوس وتمكّن من طاعتها فامست اغنى الولايات تقدم لهُ جزية وافية كل سنة فزاد دخلهُ نحو الثلث وانشأ تجارة رابحة مع الهند على طريق العجم وبحر الهند ثم غزا الاقطار العربيّة اذ زُيّن لهُ امتلاك اوربا وجزائر البحر البهجة

غزوة الهند

وعمد في نحو سنة ٥٠٨ ق . م الى غزو بلاد السكيثيين الساكنين شمالي البحر الاسود ونهر الاستر اي الدانيوب وعلم داريوس قوة هذا الجند من اخبار اجدادهِ يوم خربوا غربي اسيا كما مرَّ . (راجع تاريخ اشور رقم ٣٢ وتاريخ مادي رقم ٣) فعزم على ان يثأر اسلافهُ ويلقي الرعب في قلوب هولاء البرابرة حتى لا يجسروا على نهب تخومهِ وكان هذا

غزوة بلاد السكيثيين

داب ملوك الفرس الاقوياء فانهم كانوا يصونون املاكهم بتخويفهم الامم بان يضربوهم في بلادهم. فجمع ٦٠٠ سفينة من سفن اليونان في اسيا الصغرى وجيشًا جرّارًا عدد مقاتليهِ نحو ٧٠٠٠٠٠ او ٨٠٠٠٠٠ وقطع البسفور اي بوغاز القسطنطينية ومر في بلاد ثراكي فلم تقاومهُ وبلغ نهر الدانيوب فعبرهُ على جسر من ارماث بناهُ لهُ بعض رعيتهِ من اليونان. ثم توغّل في بلاد السكيثيين تاركًا الجسر لمحافظة اليونان فلم يناوشهُ السكيثيون في الميدان بل ارتدوا واخلوا من امام الفرس حيثما توجهوا واتلفوا كل ما ينتفع بهِ في طريقهم واذ لم يكن لهم مدن ولا بيوت لانهم كانوا من اهل الوبر لم يُضرّوا من ذالك كثيرًا اما الفرس فنفد زادهم فاضطرّوا الى الرجوع بعد نحو شهرين خوف ان يهلكوا جوعًا. وفي تلك المدة اتى بعض السكيثيين الى الجسر وسأَل اليونان هدمهُ لئلا يتمكن الفرس من العبور فيموتوا جوعًا فاجابهم بعض اليونان الى ما ارادوا لكي يتحرّروا من رق الفرس وكان عظيم هولاء رجل يسمّى ملتيادس وسيذكر ولم يوافقهم البعض ولا سيّما هستيوس صاحب مدينة مليتس ولما كان قوي السلطان على اليونان اطاعوهُ فحفظوا الجسر الى حين رجوع داريوس ولما وصل الى ثراكي جهز احد قوادهِ بجيش يغزوها وما يليها فاطاعتهُ هي ومكدونية وكان ملكها وقتئذٍ أمنتاس احد اجداد اسكندر الكبير واما داريوس فبقي في ساردس نحو سنة ثم عاد الى مركزهِ منصورًا وكان قد وسّع تخوم المملكة كثيرًا فامتدّت من الهند الى مكدونية ومن القوقاس الى بلاد كوش وكانت عاصمتها ومركز الفرس الخاص مدينة سوسا التي اعتنى ملوكهم بها وشيدوها وبلغوها ذروة العظمة

قطع البسفور وعبور الدانيوب

ارتداد الفرس

امر الجسر

غزوة ثراكي وما يليها

توسيع المملكة

١٦ . واقام داريوس هناك بسلام بضع سنين ولم يتعدَّ على اليونان الى ان ثاروا في اسيا الصغرى اذ أبوا ظلم الفرس او ظلم من اقاموهم عليهم قال هيرودوتس ان هستيوس المذكور استدعاهُ داريوس الى دارهِ بعد رجوعهِ من حرب السكيثيين اذ توقّع منهُ الخيانة وصار أرستاغرس صهرهُ صاحب مدينة مليتس فهيّج هستيوس الفتنة سرًّا وحرّض صهرهُ على العصيان نقمةً من الفرس فعصت مليتس وأكثر مدن اليونان باسيا الصغرى سنة ٥٠٠ ق.م. فاستنجد اهلها اخوتهم من بلاد اليونان فبعثت اثينا عشرين سفينة واريتريا خمسًا واوّل ما اتاهُ ارستاغرس مهاجمة ساردس مركز الفرس في اسيا الصغرى فاخذها حالاً واحرقها وحين رجوعهِ اوقع بهِ الفرس وغلبوهُ فتفرّق قومهُ الى مدنهم بالخيبة ولما شاع خبر افتتاح ساردس ثار الذين لم يخونوا سابقًا فكادت الخيانة تعم جميع اليونان حتى

خيانة اليونان

افتتاح ساردس واحراقها

اخضاع الخانة خرجت قبرس ايضًا ولكنهم لم يكونوا معتصبين وليس لهم رئيس خبير يحسن قيادتهم وضبط امورهم فلم يمكنهم مدافعة الفرس الذين حملوا عليهم بكل قوّتهم العظيمة فاشتدّت بهم الحرب ولا عجب ان غلبوا اليونان على انهم قاتلوا اشد قتال ولو اعانهم اخوتهم في اوربا حق المعونة لفشل الفرس فتحرّرت مدن اسيا الصغرى واطمأن اخوتهم في اوربا ونجوا من مهاجمات ذلك العدوّ فيما بعد كما سيذكر وكان العصاة اقوياء بحرًا فبعث داريوس بوارجهُ وهزم سفن اليونان سنة ٥٩٤ ق . م . وافتتح مليتس مركز الخيانة بعد ذلك بقليل فانتهى الامر

١٧ . ولما اخمد داريوس هذه الثورة عمد الى تأديب اليونان في بلادهم الخاصة

مسير مردونيوس الى مكدونية وكسرته لان اهل اثينا واريتريا ساعدوا اخوتهم فاغتاظ منهم وعزم على ان يخضعهم فجهّز عليهم مردونيوس صهرهُ بجيش كثيف وبوارج كثيرة فتقدم على طريق ثراكي ومكدونية وسفنهُ تسير مصحوبة بقرب من الشاطئ ولما وصلت البوارج الى بعض الرؤوس البارزة من شطوط مكدونية اشتدت القواصف والامواج فكسر منها نحو ٣٠٠ سفينة وغرق ٢٠٠٠٠ رجل وفي اثناء ذلك كبست قبيلة البريجيين جيش مردونيوس والحقت بهِ ضررًا جسيمًا وايقن انهُ لا يبلغ مرامهُ فولّى الادبار ولحق باسيا وكان ذلك سنة ٥٩٢ ق . م

مسير داتس ١٨ . ثم جهز داريوس جيشًا آخر عرمرمًا لمضي سنتين من ذلك اي سنة ٤٩٠ ق . م . وكان رئيسهُ داتس فركبوا السفن قاصدين جزيرة بوبيا حيث كانت مدينة اريتريا وشطوط أتكا حيث كانت اثينا ولما وصلوا الى اريتريا خرّبوها ثم نزلوا على شطوط أتكا

حرب مرثون وحدثت هناك حربٌ مشهورة في ميدان مَرثون فهزم كتائب الفرس قليلون من اليونان واظهروا من البأس ما يستحق المديح وسنذكر هذه الحرب في اخبار اليونان ان شاء الله . اما الفرس فرجعوا الى اسيا فشلين خائبين وعلم داريوس بأس اليونان وانهم اعداء اشداء لا نظير لهم بين الشعوب والامم لانهم مع قلّة عددهم استطاعوا ان يغلبوا جنودًا كثيرة كجنود الفرس لانهم كانوا احرارًا فدافعوا عن حريتهم بشجاعة لا توصف . اما داريوس

عصيان مصر فلم ينثنِ عن عزمهِ فحاول حربًا اشد ممّا سبقت ولكن مصر عصت عليهِ حينئذٍ فاضطر

موت داريوس سنة ٤٨٦ ق . م ان يعرض عن محاربة اليونان الى حين لتأديب العصاة لكنهُ لم يبلغ مرامهُ لانهُ مات في السنة التالية اي سنة ٤٨٦ ق . م . وكان اعظم ملوك الفرس بعد كورش لكنهُ سبقهُ في السياسة وتنظيم المملكة وترقية شأنها وجعلها اعظم ممالك زمانهِ . وكان موت داريوس في

سوسا على ما يرجَّح وقبرهُ في فَرْسيبلس حيث كان قد اعدَّ لنفسهِ ضريحًا نفيسًا منحوتًا في قبرهُ
الصخر منقوشًا نقشًا حسنًا وكتب عليهِ كتابة طويلة وهو باقٍ الى الآن يُعد من اهم آثار
داريوس ومن مآثرهِ القصر العظيم في فَرْسيبلس وقصر آخر شادهُ في سوسا فصار من قصورهُ
ذلك العهد قصر ملوك الفرس وقد وُجِدَت لهُ آثار شتَّى في أكبتنا وبيزنتيوم وثراكي آثارهُ
ومصر . وفي هذه البلاد عزَّل الترعة القديمة التي حفرها رعميس الكبير. واعظم آثار
داريوس واتمها الكتابة البهستونيَّة التي ذُكرت في الرقم الثاني عشر

١٩ . **زركسيس الاوَّل** (ملك من سنة ٤٨٦ — سنة ٤٦٥ ق.م.) ثم خلفهُ ابنهُ تبوُّ
زركسيس ولم يكن بكرهُ وانما عينهُ للملك لانهُ كان ابنهُ من أَتُسّا بنت كورش التي تزوَّجها زركسيس
بعد ملكهِ ولعل زركسيس هذا هو احشويروش استير

واوَّل ما اتاهُ في بداءة ملكهِ تأديبهُ مصر فجهز اليها اخاهُ اخيمنس فاخضعها سنة ٤٨٥ اخضاع
ق . م وزاد حملها ثم هيَّج زركسيس فتنة في بابل بظلمهِ ليقاصها فيستغني عن سلبها ثم التفت مصر سنة
الى اليونان وقيل انهُ لم يَمِل الى مهاجمتهم فالحَّ عليهِ بعض خاصتهِ ولا سيما مردونيوس ٤٨٥ ق.م
المذكور ان ياخذ منهم ثار ابيهِ . وقيل ان جماعة من منفيي اليونان لاذت بدارهِ وحرضتهُ اسباب
على مقاتلة اليونان انتقامًا لما احتملوهُ من حيفهم فهمَّ باخضاعهم . هذا ما قالهُ هيرودوتس مهاجمتهِ
وغيرهُ وكان الفرس مولعين بالحرب ولكنهم لما هاموا بالترفُّه ضعفت قوتهم فرأى ملوكهم اليونان
ان يثيروا الحروب لئلاَّ يستهزئ بهم انصارهم وخاصتهم ولما كانت اليونان امَّة على حدود
مملكتهم غير طائعة لهم طمعوا فيها فشنوا الغارة عليها فالقوا بايديهم الى شر تهلكة فطفق استعداده
زركسيس يجهز جنودًا واسبابًا للحرب لم يسمع بمثلها كثرةً فانهُ امر جميع الولاة في كل لحرب
نحوهِ ان يجهزوا الجيوش الجرارة والمتاع ويجتمعوا اليهِ فبقي ثلاث سنين يهيئ ما يلزم اليونان
وتوجَّه سنة ٤٨١ ق . م الى ساردس حيث اجتمعت اليهِ الكتائب الكثيرة . قال عدد
هيرودوتس اجتمع اليهِ هنالك تسع واربعون امَّة . وقيل ان عدد الجنود بلغ نحو الف الف جنوده
وخمس مئة الف وقيل غير ذلك حتى ادعى بعضهم انهُ خمسة آلاف الف ولعل ذلك
من باب المبالغة على ان عدد الجنود كاد يحير العقل ويفوق الحصر وكان لهُ الف ومئتا
سفينة كبيرة وثلاثة آلاف صغيرة بلغ عدد جنودها اكثر من ثلاث مئة واربعين الفًا

٢٠ . وسار زركسيس بهذا الجيش الكثير من ساردس سنة ٤٨٠ ق.م وكان قد أمر امر الجسر
ببناء جسر من الارماث على زقاق الدردنيل فلما كمل هاج البحر وكسرها فاستشاط الملك على البوغاز

غضبًا وامر بقتل المهندسين وبجلد البحر بالسياط ثم بنى جسرًا آخر امكن من الاوّل فأمرَّ عليهِ جنودهُ فبقيت تمرّ سبعة ايام وسبع ليالٍ لكثرتها وكان زركسيس قد أمر بحفر ترعة لسفنهِ في شبه الجزيرة عند راس جبل اثوس حيث تكسرت بوارج مردونيوس سابقًا فانقذ بذلك سفنهُ من اخطار ذلك الراس الكثير القواصف والامواج . ولما مرَّ الجيش في ثراكي امر زركسيس باحصائهِ على هذا المنوال وهو انهُ اتخذ فسحة من الارض تسع عشرة آلاف رجل مزدحمين وجعل الجنود تمرُّ فيها فرقًا فرقًا فحسب مرّات امتلائها وضرب مجموعها في عشرة آلاف ولا يخفى ما في ذلك من امكان الخطاء

ترعة اثوس

احصاء الجيش

٢١ . وسيأتي الكلام على قدوم هذا الجند العظيم على اليونان وهزيمتهِ في ذكر اخبار اليونان ونقتصر هنا على ان نقول ان زركسيس تقدم ولم يناوشهُ اليونان الى ان بلغ مضيق ترْمُبلي جنوبي تسّاليا حيث عاقتهُ شرذمة منهم حتى استدار من خلفهم واحدق بهم واهلكهم عن آخرهم وكان قد أتلف بعض بوارجهِ من شدَّة الامواج وبأس اليونان الذين هاجموهُ ثم قدم على اثينا وأحرقها وكان اهلها قد التجأوا الى بعض الجزائر حيث اجتمعت سفن اليونان ولما اتت بوارج زركسيس امر بمهاجمتها متيقنًا الغلبة لكثرة ما لهُ من السفن لكنهُ حدث خلاف ما توقع فانهزمت بوارجهُ وتبدَّد شملهُ فخاف زركسيس وذاب قلبهُ فرجع الى اسيا بما امكنهُ من السرعة وخسر خلقًا كثيرًا من جنودهِ اثناء ذلك الاَّ انهُ جرَّد مردونيوس وصحبتهُ ٣٠٠٠٠٠ من عسكرهِ وتركهم في بلاد اليونان فظنَّ مردونيوس انهُ يتسلَّط بتلك الجنود على بلادهم تمامًا فشتَّى الفرس هناك وقاتلهم اليونان في الربيع عند مدينة بلاتيا اشدَّ مقاتلة وقهروهم وقتلوا مردونيوس واكثر عسكرهِ فخاب مسعى زركسيس كل الخيبة وخسر جميع املاكهِ في اوربا ونقدم اليونان وهاجموا املاكهُ في اسيا فغلبوا جنودهُ مرارًا كثيرة وطردوا سفنهُ من مياههم ولو اتحدوا جميعًا لطرحوا نير الفرس عن رقاب اخوتهم هناك وسنذكر هذه الامور في اخبار اليونان ان شاء الله

وقعة ترمبلي

احراق اثينا

هزيمة سفنهِ وقفوله

امر مردونيوس وجيشهِ خيبة زركسيس

٢٢ . اما زركسيس فعاد الى سوسا فشلاً ولم يهتمَّ بالحرب ومال الى الراحة والرغد واللذات وبلغ منها كل مبلغ وخاض بحر الشرور حتى صارت دارهُ مربض كل فساد وكل رذيلة وكان يحب نساء خاصتهِ ويفسدهنَّ حتى انهُ هام بنساء انسبائهِ واتى ما يقبح ذكرهُ وكان يقطع رقبة كل من قاومهُ وكانت زوجتهُ أَمَسْترس تضاهيهِ شرًّا وتهلك من حنقت عليهِ ومن قتلاها امرأة اخي الملك فانها قتلتها بعذاب اليم ولما هرب زوجها بعث

فساد زركسيس وداره

وراءهُ زركسيس من ادركوهُ وقتلوهُ ونما الفساد الى ما لا يحيط بهِ وصف والى ما لا يطاق فقام عليهِ أرتبانس رئيس الشرط وواحد من خصيانهِ فقتلاهُ سنة ٤٦٥ ق ٠ م قتلهُ سنة ٤٦٥ ق ٠ م

٣٣ . وخلاصة الامر ان اخلاق زركسيس كانت على غاية السوء فكان جافيًا سريع الغضب عبدًا للشهوات ضعيفًا في الحرب وفي السياسة ولم يكن احدٌ ممن سبقوهُ مثلهُ شرًا ورذيلة واخذت المملكة في ايامهِ تنحط وتفسد وقد ذكرنا زعم بعضهم انهُ هو الملك المسمّى احشويروش في سفر استير وما حملهُ على ذلك ان احشويروش كان يضاهي زركسيس في اخلاقهِ اذ كان منقادًا الى شهواتهِ وسريع الغضب كما يظهر في قصّة وشتي وفي انهُ أمر باهلاك اليهود ثم ردّ الهلاك على هامان ومنها الظن ان زمان استير موافق زمان زركسيس اما اسم ملك استير اي احشويروش فهو لقب كل ملك من ملوك الفرس كما تحقق فان قيل ان استير لم تُذكر في اخبارهِ قلنا ليس ذلك بغريب لان نساءهُ كنّ كثيرات ولعل استير لم تكن الملكة الرسمية صفات زركسيس احشويروش استير

٣٤ . **ارتزركسيس الاول** (ملك من سنة ٤٦٥ الى سنة ٤٢٥ ق ٠ م ٠) وكان لزركسيس ثلاثة بنين وهم داريوس وهستاسپس وأرتزركسيس وكان هستاسپس مرزبان بكتريا وكان الحق في الملك لداريوس اذ هو البكر لكن ارتبانس اتهمهُ بقتل ابيهِ ليهلكهُ فقُتل وتولّى أرتزركسيس الاوّل اخوهُ الاصغر الملك ولقب بلونجيمنس اي الطويل الباع وقيل ان ارتبانس ملّكه ظانًا انهُ يتسلط عليهِ كما يشاء ولما عرف ارتزركسيس ذنبهُ وعرف مراءهُ قتلهُ واولادهُ لما اتوهُ من الفتنة ولما سمع اخوهُ هستاسپس بما كان قام على اخيهِ وطلب الملك لانهُ كان اكبر منهُ عمرًا لكنهُ هلك في الحرب التي التحمت بينهما وملك ارتزركسيس بلا خلاف وكان احسن من ابيهِ خلقًا فكان لين الجانب محبًا السلام لكنهُ كان ضعيفًا مرتخي اليد لم يحسن تدبير اموره فتأخرت المملكة في ايامهِ وفي سنة ٤٦٠ ق م ٠ عصت مصر وظهر في مقدمة المصريين إنرس رئيس بعض قبائل الليبيين في الصحراء واجتمع اليهِ الناس واعتصب لهُ رجل مصري يسمّى أمرتيوس فهاجم هذان مرزبان الفرس وقهراهُ وقتلاهُ وغلظ امرها حتى انحصر ما بقي من العدوّ في ممفيس وبعث إنرس الى اثينا يستصرخها فاجابتهُ بمئتي بارجة فافتتح ممفيس واستولى على حصونها سوى البرج ولما سمع ملك الفرس بهذه الامور جهز مغبيزُس احد قوّادهِ بجيش الى مصر فهزم المصريين ارتقاء ارتزركسيس الاول هلاك هستاسپس اوصاف ارتزركسيس عصيان مصر سنة ٤٦٠ ق ٠ م

واعوانهم عند ممفيس وافرج عن البرج سنة ٤٥٥ ق . م . وأُسر انرُس وبعث بهِ الى ملك الفرس فصلبهُ بغير حق لانهُ كان قد سلم مستئمناً

٣٥ . ولجأ امرتيوس الى اجام البحيرة (ذلتا مصر) وصحبتهُ جماعة يسيرة واستقل هناك مدّة ست سنين فخضعت مصر للفرس . وجهزت اثينا بوارج أُخر لمحاربة الفرس سنة ٤٤٩ ق . م . وحاولت فتح قبرس معاونة لأمرتيوس فهاجموا بوارج الفرس القوية قرب مدينة سلاميس في قبرس وهزموها فخاف ملك الفرس من ان يستولوا على قبرس ومصر جميعًا فصالحهم على شروط تنقص مجدهُ فوعد بان سفنهُ لا تجاوز حدًّا معينًا من حدود ايكيَّة وان يمنح الاستقلال للمدن اليونانيَّة في اسيا الصغرى ووعد الاثينيون بانهم لا يغزون قبرس ومصر وسمي هذا الصلح عهد كلياس وتمَّ سنة ٤٤٩ ق . م .

حرب اليونان في قبرس سنة ٤٤٩ ق . م

صلح كلياس

٣٦ . ثم ثارت سورية بان خرج مغبيزس مرزبانها وكانت علّة ذلك قتل انرس المذكور وكان قد استأمن الى مَغبيزُس كما تقدم فوعدهُ بان يستحييهُ ولما قُتل حمي غضبهُ على الملك فخرج عليهِ وعظم امرهُ حتى لم يقدر ارتزركسيس على اخضاعهِ فصالحهُ على شروط وضعها الخائن ولا يخفى ما في ذلك من الخطر على الملك اذ فيهِ ما يحمل المرازبة ان يخرجوا عليهِ بلا خوف لضعفهِ فتأخرت المملكة ومالت الى السقوط . وظلت دار الملك على ما كانت عليهِ ايام ابيهِ بل زادت شرًّا اذ خضع الملك لامهِ امسترس الشريرة التي ذهبت في الظلم والرجاسة كل مذهب غير ان ارتزركسيس كان حليمًا واحسن الى اليهود وساعدهم على الرجوع الى بلادهم وبعث عزرا ونحميا ليدبرا امورهم وقدَّم لهما ما اقتضتهُ الحال كما ذكر في سفريهما ومات ارتزركسيس سنة ٤٢٥ ق . م . لمضي اربعين سنة من ملكهِ

خروج مغبيزُس

فساد دار الملك

احسانهُ الى اليهود

موتهُ

٣٧ . **داريوس الثاني نوثوس** (ملك سنة ٤٢٤ الى سنة ٤٠٥ ق . م .) وخلفهُ زركسيس الثاني ابنهُ الوحيد من امرأتهِ الشرعية وكان لهُ ثمانية عشر ابنًا من جواريهِ فافضى ذلك الى الشركما سنرى وملك زركسيس هذا ٤٥ يومًا فقط اذ قتلهُ اخوهُ صغدِيانوس فاستولى على الملك وملك نصف سنة ثم قام عليهِ اخوهُ اوخُس وقتلهُ فملك وسمي داريوس حين ملك ولقبهُ اليونان بنوثس اي النغل . وتزوج عمتهُ بنت زركسيس الاوَّل فتسلَّطت عليهِ وملك ١٩ سنة وادركتهُ مصائب كثيرة اذ كثر العصيان والخيانة مدة ملكهِ ولم يستطع اخمادها الاَّ بالحيلة والخداع وكان يمكر بالخانة فيعدهم بالامن فيسلمون فيقتلهم فأدى ذلك الى ان عصاهُ اصحاب الذين ظلمهم ومن اسباب الخيانة انهُ كان يسلّم الى المرازبة قيادة

زركسيس الثاني

صغديانس

داريوس الثاني

الخيانة في ايامهِ

العسكر في ولاياتهم خلافًا لداريوس الاول كما ذكرنا وكان يقيم مرزبانًا على ولايتين او ثلاث ولايات فاصبحوا اقوياء وتمكنوا من اسباب الخيانة ومالت المملكة الى الانقسام

خروج اخيه ومرزبان ليديا

٢٨. واوّل من خرج عليهِ اخوهُ أَرْسِيتيس ومعهُ احد بني مغبيزُس المذكور وضايقا داريوس فاحتال بهما كما ذكرنا وقتلهما ثم عصى عليهِ مرزبان ليديا فعاملهُ كذلك غير ان ابن المرزبان ثبت بضع سنين بعد موت ابيهِ بمساعدة اليونان الذين استأجرهم

فائدة مشاجرات اليونان للفرس

ولولا وقوع الانشقاق بين هولاء حينئذٍ لربما خرجت اسيا الصغرى على الفرس وتمكنت من الاستقلال اما اليونان فطفق يحارب بعضهم بعضًا فانتهز ملك الفرس الفرصة فكان يعين الفريق الواحد على الآخر فيصرفهم جميعًا عن مقاومتهِ وسنذكر هذه الامور في اخبار اليونان ان شاء الله

خروج مصر واستقلالها

٢٩. وعصت مصر في اواخر حكم داريوس سنة ٤١٤ ق . م . او سنة ٤١١ ق . م . او سنة ٤٠٥ ق . م . على الخلاف بين المؤرخين وذهب الى الاخير منثو فانهُ اشار الى حدوث العصيان سنة ٤٠٥ ق . م . وهي سنة وفاة داريوس وخرجت مصر واستقلّت واستولى عليها واحد من نسل ملوكها القدماء ظنهُ البعض امرتيوس الذي ملك حينئذٍ ست سنين وهو الدولة الثامنة والعشرون على قول منثو

الثورة في مادي

وحدث في نحو سنة ٤٠٩ ق . م . ثورة فظيعة بمادي وسببها ان احد المرازبة واسمهُ ترتخميس كان قد رقاهُ داريوس وزوّجهُ ابنتهُ اما هو فاحب امرأَة أُخرى واراد طلاق ابنة الملك لكنهُ علم ان هذا يغيظ داريوس ويفضي الى هلاكهِ فعمد الى الخيانة قصد الاستقلال وشاركهُ في ذلك عدة من خاصتهِ اما داريوس فسمع بما كانوا قاصدين ودسّ عليهم من يقتلونهم ففعلوا وهلك ترتخميس وجميع انسبائهِ ما عدا اختهُ التي كانت امرأَة بكر الملك

شرور دار داريوس

٣٠. اما آداب داريوس نوثوس وآداب دارهِ فغير حسنة وبقيت على ما كانت عليهِ سابقًا او زادت شرًّا وكانت پَرِسَتِس امرأَتهُ جافية قاسية فظلمت والقت الرعب والبغضة في قلوب الناس ورامت ان يُعيّن داريوس ابنها الاصغر كورش للخلافة اذ احبّتهُ دون البكر اما داريوس فلم يمتثل لها في ذلك ومات داريوس سنة ٤٠٥ ق . م

٣١ **أَرْتزركسيس الثاني** (ملك سنة ٤٠٥ الى سنة ٣٥٩ ق . م .) كان اسم هذا الملك اولاً أَرْساسيس اما اليونان فلقّبوهُ أَرتزركسيس نيمون اي الذكّير وكان كورش

مساعي كورش اخيهِ

اخوهُ يريد الملك وقيل انهُ كمن لاخيهِ وقصد قتلهُ عند ذهابهِ الى الهيكل ليقيم الاحتفال الرسمي ولكن كُشِف أمرهُ فقُبِض عليهِ وكاد يُقتَل لولا شفاعة امهِ فنجا وذهب الى ولايتهِ في اسيا الصغرى على انهُ كظم الغيظ والحقد على اخيهِ ومن تلك الساعة همَّ بالخيانة وكانت

جمعهُ اليونان لاجل حرب اخيهِ

امهُ تعضدهُ في ذلك وعند وصولهِ الى اسيا الصغرى اخذ يجمع مستأجرين من اليونان اذ عرف بأسهم فاتكل عليهم اكثر مما اتكل على الفرسِ اخوتهِ وجمع منهم نحو ١٠٠٠٠ مقاتل قبل ان ابدى الخيانة ثم سار فيهم وفي من لهُ من الفرس وغيرهم نحو ١٠٠٠٠٠ مقاتل

مسيره لحرب

واسرع في السير لكي يبطش باخيهِ فجأةً فيعزلهُ ويختلس الملك لكنهُ لم يخبر اولاً بما هو قاصدهُ لئلا يتعذَّر على اليونان هذا المسعى الخطير الذي يبعدهم عن الوطن ولم يكشف امرهُ حتى وصلوا الى كيليكيا ولما عرفوا أبوا ان يتقدموا حتى اغراهم كورش بزيادة الأُجر والوعد بخيرات كثيرة فرضوا حينئذٍ ودخلوا سورية من مضيق إِسُّس وهو عند خليج اسكندرونة ثم ساروا الى الفرات عند مدينة ثبسكس وهي تفسح ولم يناوشهم احد وكان هناك قائد للملك في ٣٠٠٠٠٠ مقاتل ولم يجسر على المبارزة فسار الى فينيقية فقطع كورش الفرات

وصولهُ الى نواحي بابل قدوم الملك بجيش عظيم

وتقدم الى بابل ملازمًا النهر ولم يرَ عدوًّا حتى وصل الى نواحي المدينة وظن ان الملك لا يمانعهُ البتة بل يخلي بابل ويلتجئ الى بلاد مادي او فارس فخاب ظنهُ اذ واجههُ اخيرًا في نحو ٩٠٠٠٠٠ مقاتل ولما علم كورش قدومهُ فرح اذ ايقن الغلبة مع قلة عدد من معهُ لانهُ تحقق بأس اليونان الذين معهُ وكان هولاء على الميمنة بجانب النهر وفي مقدمتهم قائد

ترتيب المصاف

يوناني فصفَّ كورش بقية جنودهِ في القلب وعلى الميسرة واخذ محلهُ في القلب في جريدة خاصَّة عددها ٦٠٠ فارس اما صفوف الملك فكانت عظيمة جدًّا ميسرتها على النهر قبيلة اليونان اما ميمنتها فامتدت الى وراء حدّ نظر اليونان وزاد طولها على مضاعف طول صفوف كورش وكان الملك في قلب عسكرهِ وحولهُ ٦٠٠٠ من خاصتهِ وقد جعل على ميسرتهِ قبيلة اليونان من احسن فرسانهِ ومركباتهِ السائنة اي ذات اسياف بارزة من دواليبها يسوقونها على صفوف العدوّ ليقطّعوها ولما اصطف الفريقان وقبل ان صارت

هجوم اليونان في معركة كونكسا

المصادمة لم يقدر اليونان ان يضبطوا انفسهم بل هاجموا مهرعين ولما اقبلوا على صفوف العدوّ لم تصبر فانهزمت قبل المضاربة فتقهقرت وجفلت افراس بعض المركبات وارتدَّت على اصحابها وضرَّت بهم وتقدمت افراس بعضها على اليونان ففرقوا صفوفهم فاجتازت في خلالها ولم تلحق باحدهم ادنى ضرر وتبعوا الاعداء المنهزمين بضعة أميال واشتدت

هجوم كورش وموته

بكورش ومن معهُ الاحوال ولما رأى الاعداء مزمعين ان يحيطوا بهِ كل الاحاطة لكثرة عددهم تقدم وفي صحبتهِ الفرسان الست مئة فاندفعوا على القلب حيث كان الملك وهزموا ستة الآلاف الذين حرسوهُ ولما رأى كورش ارتزركسيس في قلب جريدتهِ بطش بهِ ورماهُ بسهمٍ فجرحهُ فوقع عن فرسهِ لكنّ كورش نفسهُ خرج ايضًا وقُتل مع بعض خاصتهِ وكان اكثر الست مئة قد تشتتوا يطاردون المنهزمين من الفرس ولما شاع الخبر بموت كورش لم يثبت من عسكرهِ غير اليونان وكان حين بعدوا عن محلتهم بجدهم في أثر الفرس كما ذُكر ان قومًا من الاعداء داروا من خلفهم وانكبُّوا على المحلة طمعًا انهم ينهبونها بسهولة في غيبة اصحابها لكن الحراس دافعوا عنها بكل نشاط وقتلوا جملة من الاعداء فكفُّوا عنهم اما اليونان الذين كانوا في حومة القتال فلما عادوا منصورين التقوا بالفرس ايضًا فاندفعوا عليهم كالمرَّة الأُولى وكان الفرس كثيرين لكنهم لم يصبروا البتة بل جفلوا خائفين وامسوا أُضحوكةً لليونان اذ انقلبوا على اعقابهم خوفًا وكان عدد اليونان الى عدد اولئك كواحد الى مئة واستبدُّوا هاربين ما بقي من ذلك النهار حتى تواروا عن النظر وكان موقع هذا القتال مكان يسمى كونكسا

هجوم الفرس على محلة اليونان

هزيمة الفرس من اليونان ثانية

خداع الفرس لليونان

٤٢. ولما كان كورش قد هلك لم يبقَ لليونان ما يحملهم على العود الى الحرب فهمُّوا بالرجوع الى بلادهم اما الفرس فارادوا اهلاكهم ولما لم يجترئوا على مناوشتهم بعد في الميدان حاولوا انجاز غايتهم بالمكر فتظاهروا بمصالحتهم وطلبوا ان يأتي قوادهم اليهم للنظر في امر الصلح فاجابوا ولما حضروا في محلتهم قبضوا عليهم وقتلوهم غيلةً ثم طلبوا الى العسكر ان يسلموا توهمًا انهُ لم يبقَ لهم سبيل للنجاة الاَّ التسليم اذ فقدوا روساءهم لكن اليونان ابوا ذلك وانتخبوا قوَّادًا منهم زَنفون مؤرّخ هذه الحرب ثم باشروا الرجوع وبذل الفرس كل جهدهم في سبيل اهلاكهم فلم يجدِهم ذلك نفعًا فبلغ اليونان ارمينية ثم البحر الاسود ثم بلادهم غير انهم قاسوا مشقَّات عظيمة اذ ادركهم فصل الشتاء وهم في جبال ارمينية وتكاثرت عليهم الثلوج

عودة اليونان الى بلادهم

نتيجة هذه الحرب

٤٣. فتبيَّن مما ذُكر جليًا ضعف مملكة الفرس وان شرذمة قليلة من عسكر اليونان تقدر ان تستولي عليها ولا ريب ان ملك الفرس خاف شديد الخوف من هذه الحادثة ولا عجب لانها كانت بالحق وعيد سقوط مملكتهم الذي تمَّ على يد اسكندر الكبير. وكان كورش بطلًا مقتدرًا يفوق اخاهُ بأسًا وحذاقةً فلو نجا بحياتهِ في وقعة كونكسا وتولَّى المُلك

اوصاف كورش الاصغر — لساسها بنشاط وحكمة وربما كان قوّاها وجدّد حياتها ورفعها من حضيض ذلّها اما ارتزركسيس اخوهُ فكان مُولَعًا بالتنعّم والرفاهية كسالفهِ فتأخرت المملكة في ايامهِ ولم تزل كذلك الى حين خرابها ولو اتحد اليونان يومئذٍ لدفعوا سلطة الفرس وانقذوا اسيا

غزوات اليونان في اسيا الصغرى — الصغرى من نيرهم لكنهم كانوا احزابًا لكن اهل مدينة سبرطه شنوا الغارة عليهم عند رجوع اليونان المذكورين وكان اكثرهم سبرطيين فانضموا الى اخوتهم وغزوا املاك الفرس مدة نحو ثلاث سنين ونجحوا كثيرًا فحسد سائر اليونان سبرطه وتحالفوا عليها فاضطرت ان تكفّ عمّا كانت عليهِ ومن جرى الخصومات بين اليونان صاروا يتسابقون الى استغاثة الفرس انفسهم ليعينوا بعضهم على البعض فاصبح ملك الفرس في نهاية الامر بمقام القاضي بينهم واصدر احكامهُ لاجل تسوية امورهم وتمّ الصلح على ذلك سنة ٣٨٧ ق٠م٠ ويسمى صلح انتالسِداس فذلّ اليونان بعد اتفاقهم وسنذكر ذلك بالتفصيل

٣٤٠ فلهذه المشاجرات بين اليونان نجت مملكة الفرس يومئذٍ من السقوط مع ان

خيانة افاغراس سنة ٣٩١ الى سنة ٣٧٩ ق٠م — الخيانة زادت كثيرًا وممّن خان الملك رجل يسمّى إِفاغُراس صاحب سلاميس في قبرس وهيج عدة ولايات للعصيان فاضطر الملك ان يجهّز عليهِ ٣٠٠ مركب و٣٠٠٠٠٠ مقاتل ومع ذلك لم يقدر على إِخضاعهِ لمضي نحو عشر سنين ويتضح ضعف ارتزركسيس من انهُ بعد كل جهدهِ صالح الخائن على ان يستمر مالكًا وكانت هذه الخيانة بين سنة ٣٩١ وسنة ٣٧٩ ق٠م

خيانة الكادوسيين — ٣٥٠ وفي اثناء ذلك خانهُ الكادوسيون على شطوط بحر الخزر فسار اليهم الملك نفسهُ في ٣٠٠٠٠٠ راجل و١٠٠٠٠ فارس وكان اهل البلاد قليلين لكن ارضهم كانت صعبة المسالك فساءت حال الفرس كثيرًا ولولا الحيلة هلكوا جميعًا وتبيّن من هذا المسعى ضعف ارتزركسيس في امور الحرب

٣٦٠ وكانت مصر قد خرجت على الفرس ايام داريوس نوثوس كما تقدم فرام

فشل الفرس في مصر سنة ٣٧٥ ق٠م — ارتزركسيس اخضاعها فبعث عليها جنودهُ واستنجد قائدًا مشهورًا من اثينا اسمهُ إِفِكْرَتيس وجهزوا بوارج كثيرة ولما جاءُوا الى مصر نجحوا بعض النجاح لكنهم لم يقدروا على اخضاعها اذ اختلف القائد الفارسي والقائد اليوناني ففشلوا وقفلوا سنة ٣٧٥ ق٠م٠ وزاد ارتزركسيس وهنًا

هجوم تاخس على سورية — وكثرت الخانة في الولايات على توالي السنين ولا سيما نحو سنة ٣٦٣ حين خرج الجانب الاعظم من اسيا الصغرى وسورية وفينيقية وتقوّت مصر وقام ملكها تاخُس وهاجم املاك الفرس في

سورية وساعدهُ في ذلك بعض اليونان لكنهُ كفَّ اوقوع الشغب في بلادهِ (راجع اخبار مصر رقم ٣٢) فنجت مملكة الفرس ايضًا للمشاجرات بين اعدائها

فساد دارا الملك

٢٧. وكانت دارا ارتزركسيس على غاية ما يكون من الفساد والشقاوة وميدان كل شرّ لان پرِسِتْس امهُ تسلطت عليهِ وعلى دارهِ كل التسلط ولم يقدر الملك ان يردها عن شرّها فساعدت كورش وحرّضتهُ على اختلاس الملك ولما هلك اهلكت من قاومهُ من انصار الملك طاعةً لهُ واهلكت ستاتيرا امرأة الملك وعملت من الفواحش ما تنفر من سمع انبائهِ الاسماع وذلك على رغم الملك فانهُ لم يجسر على ان يقاصّها فكان على غاية الذلّ والهوان واصبح النسل الملكيّ في اشقى حال وجرى فيهِ القتل والذبح حتى اوشك بزوال

مخاصمة بنيهِ في الملك

٢٨. وكان لارتزركسيس من ستاتيرا المذكورة ثلاثة بنين وهم داريوس واريَاسْپيس واوخُس فتعيَّن داريوس للخلافة اذ كان البكر اما اوخُس فرام الملك واخذ في ما يمكّنهُ منهُ دون اخيهِ فلما علم داريوس احتال على ابيهِ لئلاَّ ينزع حقهُ الّا انهُ كُشِف امرهُ قبل انجازهِ فقُبِض عليهِ وقُتِل فصار حق الخلافة لأريَاسپيس ابنهِ الثاني ثم وشى اوخس اليهِ بان اباهُ يحقد عليهِ ويحاول اهلاكهُ اهلاكًا ذريعًا فصدّق وقتل نفسهُ فبقيَ اوخس وليّ العهد وكان للملك ابنٌ آخر غير شرعيّ احبهُ كثيرًا فتوقَّع اوخُس تعيينهُ للخلافة دونهُ فارسل اليهِ من قتلهُ خفية فلما سمع الملك الشيخ بما كان مات حزينًا قانطًا سنة ٣٥٩ ق.م. اي لمضي ٤٦ سنة من ملكهِ وعمرهُ نحو ٩٤ سنة

ابادة النسل الملكي

٢٩ **ارتزركسيس الثالث ويلقب اوخس** (ملك من سنة ٣٥٩ الى سنة ٣٣٨ ق.م.) ثم ملك اوخس ولقّب نفسهُ ارتزركسيس الثالث وكان اقبح ملوك الفرس فانهُ فوق ما فعلهُ من القبيح قبل ان ملك شرع في اول ملكهِ يذبح كل من بقي من النسل الملكيّ حتى النساء خوفًا من ان يقوم احدٌ ينازعهُ الملك

قدوم اوخس على مصر وهزيمتهُ

ثم لما تمكّن من سلطتهِ اخذ يخضع مصر وكانت قد خرجت منذ نحو ٥٠ سنة فجهّز جيشًا عرمرمًا وقدم على مصر في نحو سنة ٣٥١ ق.م. فاستغاث ملكها نَقْتَنبو اليونان فبعثوا اليهِ قائدين فدفع عنهُ اوخس بمساعدة اليونان وهزمهُ وعاد اوخس فشلاً الى مركزهِ يهيّئ جيشًا جديدًا ثم خرجت عليهِ فينيقية وعاهدت مصر وشاركتها قبرس في ذلك وخرج

خروج فينيقية وغيرها

ايضًا عدة رؤساء في اسيا الصغرى وبينما كان اوخس يجمع الجنود العظيمة بعث قوادهُ ليخمدوا الفتن فاخضع احدهم قبرس اما صيدا فكان لها حينئذٍ ملك يسمى تنّيس فاستفل

وقاتل الفرس وطردهم من فينيقية غير انهُ لما تقدم اوخس في ٣٠٠٠٠٠ مقاتل سنة ٣٤٦ ق . م . خضع تنّيس وسأل الأمان فاجاب اوخس على ان يرهنهُ ١٠٠ من شرفاء المدينة ففعل وفتح للفرس الابواب اما اوخس فقتل المئة خلافًا لحق الرهين وخرج اليهِ خمس مئة غيرهم فقتلهم وقبض على تنّيس نفسهِ واهلكهُ فلما ايقن اهل المدينة البوار أضرم كلٌّ منهم النار في بيتهِ فهلك هو وكل من لهُ. قيل انهُ احترق وقتئذٍ ٤٠٠٠٠ نفس وذلك اعظم نازلة وقعت على صيدا منذ انشائها

هلاك صيدا

٤٠. ولما جرى ذلك على صيدا خضعت فينيقية ثم سار اوخس لغزوة مصر فهزم نقتنبو وهدم اسوار المدن وخرّب ونهب واستاق الغنائم الوافرة ثم عاد الى بلادهِ مؤيّدًا منصورًا مفتخرًا اذ قد تم ما لم يستطعهُ سالفوهُ منذ مدة طويلة وهو فتح مصر والظاهر انهُ القى الرعب في قلوب الناس لان الفتن التي كثرت سابقًا انقطعت من ذلك الوقت فتشدد اوخس وانتعشت المملكة شيئًا بعد ضعفها وحسنت سياستها وكانت اليد الطولى في ذلك لاثنين من مشيريهِ وهما باغواس الخصي ومنتور اليوناني وقد اشتهر هذا في حرب مصر اذ قاد كتيبة المستأجَرين من اليونان وأيّد امور اوخس كل التأييد وكان باغواس وزيرهُ الاعظم ولما رأى ما كان في قلوب الناس من المقت والحقد على اوخس لفرط جَورهِ وظلمهِ قام عليهِ وقتلهُ سنة ٣٣٨ ق . م . وكان هذا الملك جافيًا قاسيًا وابدى من الظلم ما لم يبدهِ غيرهُ من اسلافهِ فجني ثمر ما زرعهُ

اخضاعه مصر

اغواس الخصي ومنتور اليوناني

وكان في زمان هذا الملك ان مكدونية اخذت تتقدّم وتغلب القبائل اليونانية ولما راى اوخس قوّتها خشي منها الشر وعمد الى ممانعتها لكنهُ لم يُنجِز مقصدهُ اذ ادركتهُ كاس المنيّة كما تقدم

ارتقاء امر مكدونية

٤١. أَرْسيس (ملك من سنة ٣٣٨ الى سنة ٣٣٦ ق . م .) ولما قتل باغواس اوخس أقام مكانهُ أَرسيس بن اوخس الاصغر واهلك بقية ابناء الملك وظن انهُ يتسلط على ارسيس كما يشاء لكن ارسيس بعد ان كبر قليلاً وفهم واقعة الحال اخذ يتشدد واظهر انهُ يريد الاستقلال فقتلهُ باغواس وأقام مكانهُ رجل يسمى قدُمنس وكان ذلك سنة ٣٣٦ ق . م . وهي سنة تبوُّء اسكندر الكبير الذي اهلكهُ

قتل ارسيس سنة ٣٣٦ ق . م

٤٢. داريوس الثالث ويلقب قدُمنس (ملك من سنة ٣٣٦ الى سنة ٣٣١ ق . م .) ولما ملك قدُمنس سمّي داريوس وكان من افضل ملوك الفرس خلقًا ولو ساعدتهُ

امر داريوس واسكندر

الاحوال أيّد امور المملكة ورقّاها ولكن سقوطها قد حان فلم يقدر ان يردّهُ والظاهر انهُ لم يدرك حقيقة امر اسكندر ولم يستعد لمقاومتهِ كما يجب وانما حسب موت فيلبُّس ابيهِ فرجًا لهُ فاستراح غير انهُ لما اظهر اسكندر بأسهُ في حروبهِ وعلم انهُ لا بدَّ من قدومهِ على اسيا طفق يتهيأ لمقاتلتهِ فجهز البوارج في بحر ايجيان تحت قيادة ممنون اليوناني وأمدَّ وزراءهُ في اسيا الصغرى وبعث بالذهب الى بلاد اليونان لكي يهيجهم ويحملهم على خيانة اسكندر فيردُّوهُ عن قصدهِ لكنَّ جميع استعداداتهِ لم تجدِهِ نفعًا لان العدوَّ تقدم الى اسيا وغلب كل مَن لاقاهم بكل سهولة

اعمال داريوس في اسيا الصغرى وما يليها

٤٣. ولا نقصد الآن تفصيل اعمال اسكندر الى ان استولى على مملكة الفرس فذلك نبسطهُ في اخبارهِ فنقتصر على ان نقول ان اول معركة حدثت بين الفريقين كانت عند نهر غرِنِقس قرب الدردنيل فانتصر اسكندر كامل الانتصار ولم يجسر الفرس ان يناوشوهُ بعد ذلك حتى اخضع كل اسيا الصغرى غير ان داريوس شرع يجمع جنودهُ من كل جهة وقصد ان يسحق اسكندر بضربة واحدة ولما حشد مئاتٍ من الالوف قدم الى سورية ولحق باسكندر عند مضيق إِسُّس وانكبَّ عليهِ من الجبال كانهُ يدوسهُ ويغمرهُ بجنودهِ اذ لم يكن مع اسكندر الاَّ ٣٥٠٠٠ او ٤٠٠٠٠ مقاتل ولكن كثرة العدد لم تفدْ شيئًا في ذلك المضيق ولما كان عسكر اسكندر يفوق الفرس بأسًا وتهذيبًا انهزمت جنود الفرس في الحال وكثرت قتلاهم فكانت ١٠٠٠٠٠ نفس على ما قيل وكان ذلك سنة ٣٣٣ ق.م

هزيمة الفرس في اسيا الصغرى واسس

طلب داريوس الصلح

٤٤. اما داريوس فنجا وهرب الى بابل ووقع حُرُمُهُ أَسرى في يد اسكندر فذاب قلبهُ فأرسل الى اسكندر يسأَلهُ الصلح فلم يستفد شيئًا فعلم انهُ لم يبقَ الاَّ العزل او الحرب ولم يشأْ داريوس ان يترك مملكتهُ ساعتئذٍ فجعل يتهيأ لحربٍ أُخرى يبدي فيها كل قوة المملكة وكانت لهُ نهزةٌ للاستعداد اذ تأَخر اسكندر بحصار صور وافتتاح مصر وترتيب امورها الى سنة ٣٣١ ق.م. فكان داريوس قد حشد من كلِّ دانٍ وقاصٍ جيشًا عرمرمًا قيل انهُ بلغ ١٠٠٠٠٠٠ مقاتل واتخذ ميدان الحرب لمناسبة كثرة جنودهِ سهلاً واسع الاطراف بين الزاب الاعلى والزاب الاسفل على امد نحو ٢٠ ميلاً من نينوى قرب مدينة تسمى أَربيلا وتوقع هنالك قدوم العدوّ. اما اسكندر فلما عاد من مصر رتّب امور سورية ثم جدَّ في السير الى الفرس ولم يحد شمالاً ولا يمينًا ولما أُنبئ بجمع داريوس وما كان عليهِ من الاستعداد لمبارزتهِ توجّه اليهِ بسرعة واوقع بهِ وبجنودهِ الكثيرة العدد وهزمها شرَّ هزيمة مع

قدوم اسكندر

انهُ في قوم يسير بالنسبة الى العدو. قيل ان جنودهُ لم تكن اكثر من ٤٧٠٠٠ مقاتل
قتل داريوس فهرب داريوس الى الشرق وصحبهُ بعض خاصتهِ فتبعهم اسكندر وجدَّ في اثرهم واوشك
ان يدركهم وحينئذٍ قام خاصة داريوس عليهِ وقتلوهُ وسيذكر كل ذلك بالتفصيل في اخبار
اسكندر ان شاء الله

٤٥. فانقرضت دولة الفرس وكان من عظماء ملوكها كورش الكبير القاهر العظيم وداريوس بن هستاسبس صاحب السياسة الحكيم فهي دولة اشتهرت لاتساع سلطانها فوق كل ما سبق ولكن لم تكن مبنية على اساس الحق والعدل فجرى عليها ما جرى عبرةً لكل مملكة لا تسير في سنن العدل فانتبه

الفصل الثالث

في لغة الفرس وصنائعهم ودينهم وما اشبه ذلك

لغة الفرس ١. **لغة الفرس** تماثل لغة الماديين لان الامتين من صنف واحد هو الجيل الهندي الاوربي كما مرَّ وكثير من افراد هذه اللغة تقارب افراد اللغة السنسكريتيَّة واليونانية واللاتينية.
كتاباتهم وخطهم السفيني كخط الاشوريين ويظهر ذلك من كتاباتهم الباقية الى عهدنا هذا وجميعها على الصخور وعلى قبور الملوك وقصورهم واعظمها الكتابة البهستونية لداريوس الاول وقد مرَّ ذكرها

صناعة البناء ٢. واعظم **صنائع الفرس** البناء فشادوا قصورًا حسنة في فرسيبلس المذكورة وبنوا ما يستحق الذكر من رجم القبور وبنوا قصور تلك المدينة على عروش مرتفعة كما فعل ملوك نينوى فكان علو بعضها ٤٥ قدمًا وطولهُ ٧٧٠ قدمًا وعرضهُ ٤٠٠ قدم وعليهِ كانت الابنية
قصر داريوس المعتبرة ومنها قصر داريوس الاول وطولهُ ١٢٥ قدمًا وعرضهُ نحو ١٠٠ قدم ومنها قصر لزركسيس ابنهِ وهو اعظم من السابق. واعظم كل ابنيتهم ما سماهُ المورخون قاعة الاعمدة

المئة اذ ظنوا سطحها (ان كان لها سطح) كان على مئة عمود كبير عالٍ وكانت القاعة مربعة الشكل طول كلٍّ من جوانبها ٢٢٧ قدمًا فتكون مساحتها ٥١٥٢٩ قدمًا مربعة وكان لها رواق طوله ١٨٣ قدمًا وعرضه ٥٢ قدمًا وله ١٦ عمودًا وكان علو كلٍّ من الاعمدة نحو ٣٥ قدمًا وهي منقوشة نقشًا حسنًا وكان في هذا المكان ابنية أُخرى مشيدة والظاهر ان ملوك الفرس اتخذوا فرسيپلس مدينة التصيف وبنوا فيها ما يناسب ذلك وابنيتها لم توافق السكن شتاء وكانوا يقيمون في بابل او سوسا شتاء وبنوا في سوسا قصرًا عظيمًا يضاهي قصور فرسيپلس بهاء — قاعة مئة عمود

٣. اما نقوش الفرس التي بها زيّنوا بعض ابنيتهم فكانت كنقوش الاشوريين كثيرانٍ ذات رؤوس انسانية واجنحة واسود وما اشبه الّا ان الاشوريين فاقوهم فيها فلم تكن هذه الصناعة عند الفرس على غاية الحسن والاحكام — النقوش.

٤. واعتنى الملوك بالمدافن كثيرًا ومن اعظمها ما بناهُ كورش وهو بناء مرتفع على عروشٍ من رخام ابيض حجارتهُ كبيرة جدًّا وطول مقصورة التابوت فيهِ نحو ١١ قدمًا وعرضها سبع اقدام ولها باب واحد لا منفذ فيها سواهُ وهناك وُضعت جثة كورش في تابوت من ذهب وكان على القبر كتابة ترجمتها "انا كورش الملك العظيم الاكيميني" وكان حول هذا المدفن اعمدة. وكان بعض الملوك يحفرون قبورهم في جانب جبلٍ او صخرةٍ عالية وينقرون على مقدمها ما يشاكل مقدم هيكل له ثلاث طبقات والقبر في الطبقة الثانية ويتوصّل اليهِ بدرّجٍ واغلب الظن ان التابوت كان من ذهب فلذلك كانت قبورهم تنهب حين يستولي العدوّ عليها — قبر كورش — قبور غيره من الملوك

٥. وعلوم الفرس ليست مما يستحق الاعتبار ولم يعتدّوا شيئًا بالكتب العلمية. اما الهيئة الاجتماعية عندهم فتعرف مما قاله هيرودوتس وهو انهم كانوا عشر طوائف اربع منها جرّة وثلاث فلاحون واما الثلاث الباقية فلم يذكرها والظاهر انهم انقسموا على وجه العموم الى ارباب الاملاك والفلاحين غير انه لما ساد الفرس الامم امسى كثيرون منهم روساء وولاةً وقوادًا وتجند جانب عظيم منهم. وتعفف الفرس في اول امرهم واعتدلوا في اسباب المعاش وضبطوا انفسهم وعافوا المسكرات والترفهات فاقتصروا على شرب الماء القراح ولكنهم لما اصبحوا ارباب اكثر اسيا واستغنوا وملكت ايديهم اطايب الدنيا ونفائسها — اقسام الشعب — عوائدهم

امر السكر
فسدوا وتغيرت عوائدهم الممدوحة فأُولعوا باللذات والترف وادمنوا السكر. وقيل انهُ كان مفروضًا على الملك ان يسكر حتى يغيب عن الوجدان مرةً كل سنة في عيدٍ معين ولعلهُ لم يصبر الى حلول العيد اذ حلَّ لهُ ان يسكر متى شاء وقيل ان الجميع كانوا حين اجتماعهم للمشاورة في امرٍ ذي شان يسكرون قبل ان ينظروا فيهِ. ثم تميزت رتب الرعية كل التمييز

اكرامهم بعضهم البعض
فكان على كلٍّ منهم اذا صادف ذا رتبةٍ اعلى من رتبتهِ ان يخرَّ لهُ ملقًى على وجههِ. اما اصحاب الرتبة الواحدة فكان بعضهم يقبل البعض عند الالتقاء وكان مفروضًا على الجميع سوى قليلين من الأَئمة ان يسجدوا للملك

امر الزيجة
٦. وكانوا يتزوجون نساء كثيرة وجواريَ حسب استطاعتهم ولم يسغ الزوجات ان يخرجنَ من البيوت الَّا نادرًا واذا خرجنَ وجب ان يخرجنَ مبرقعاتٍ مستورات تحت

تهذيب الاولاد
المراقبة وكانوا يبذلون ما في وسعهم في تهذيب الصبيان فكان الصبي يلازم بيت النساء حتى يبلغ الخمس من العمر ثم يوكل تهذيبهُ الى معلم يعلمهُ الالعاب المختلفة والصيد للتنشيط والرياضة ولم يعتدوا بتدريس الكتب فكان الغرض من تهذيبهم اعدادهم للحرب والسياسة وكان كل ولد تقريبًا يجند عند بلوغهِ سن الخامسة عشرة ويظل جنديًا الى غاية الخمسين ومما يستحق المدح من امور تربيتهم انهم كانوا يعلمون الاولاد من صغر سنهم ان يراعوا الصدق دائمًا ويحسبوا الكذب عيبًا كبيرًا ولهذا قيل تجنب الفرس التجارة لانها تحمل صاحبها على الكذب فافتخر شرفاؤُهم بانهم لا يبيعون ولا يشترون فكانوا يعيشون من دخل املاكهم ويتركون ما فضل او يبذلونهُ في سبيل الاحسان

٧. ودين الفرس هو دين زرادُشْت الذي ذكرناهُ في تاريخ الماديين (راجع تاريخ الماديين ف٣ رقم ٢ و٣) ولما غلبوا الماديين نسيوا مذهب المجوس الفاسد لكن سمردس الكاذب (اي غوماتيس) اعادهُ اذ كان مجوسيًا لكن داريوس الذي خلفهُ اهلك

ازالة المجوس
المجوس بعد ارتقائهِ وتمسك بالمذهب القديم واحسن ملوك الفرس الى اليهود لانهم رأوا في دينهم ما يشابه عقائدهم ولعلهم ظنوا يَهْوَه اله اليهود الوحيد هو أَهُورَمَدْزا اي الروح الصالح

معاملة الفرس لليهود
على مذهبهم فاحسن كورش اليهم واطلقهم من السبي مع أَنهُ وثنيٌّ كما رأيت واعانهم داريوس الاول على بناء الهيكل وبعث ارتزركسيس الاول عزرا ونحميا الى اليهودية لتدبير امور الامة واعد لهما وسائط كثيرة لتحسين احوالهم فصارت امة اليهود امينة للفرس حتى انقراض دولتهم

ولم يبقَ دين الفرس على ما كان عليهِ اولاً لمخالطة شيءٍ من عقائد المجوس فاخذوا يعبدون الشمس والقمر وغيرها من الاجرام السموية ولما امتدت سلطتهم على القبائل زاد فساد دينهم حتى سجدوا للاصنام واقاموا التماثيل في مدنهم وهذه العبادة تغاير دينهم القديم الذي لا يجيز تشبيه الروح الصالح بشيءٍ من المواد اذ هو روحٌ محض ومع ذلك لم يزل بينهم شيءٌ من عقائدهم القديمة كاعتقادهم وجود الروح الصالح والروح الشرير وانهما متضادان لا تواطؤ بينهما

فساد ديانة الفرس.

القسم الثامن

اسيا الصغرى والجزائر التابعة لها

حدود اسيا الصغرى

١. يحد اسيا الصغرى شمالاً بحر مرمرا والبحر الاسود وشرقاً ارمينية وجنوباً بحر الروم وغرباً بحر ايجيان او الارخبيل الرومي وبوغاز الدردنيل وبحر مرمرا وبوغاز البسفور او بوغاز القسطنطينية. وتخرق اسيا الصغرى جبال شامخة منها سلسلتان عظيمتان متوازيتان احداها سلسلة طوروس وتمتد من الشرق الى الغرب موازية لبحر الروم والاخرى سلسلة اولمبوس وهو اسمها القديم وتمتد من الشرق الى الغرب ايضاً موازية البحر الاسود وتتشعب من هاتين السلسلتين جبال كثيرة لاحاجة الى ذكرها. وتنقسم اسيا الصغرى طبعاً الى اربعة اقسام. الاول ما بين السلسلتين المذكورتين وهو مرتفع عن وجه البحر كثير الجبال والاودية. والقسم الثاني بين سلسلة طوروس وبحر الروم اي السواحل الجنوبية. والقسم الثالث بين سلسلة اولمبوس والبحر الاسود اي السواحل الشمالية. والقسم الرابع ما يلي بحر ايجيان اي السواحل الغربية

جبالها

اقسامها الطبيعية

الانهر

٢. وانهر اسيا الصغرى كثيرة منها الهَلِس (ويسمّى الآن قزل ارمق) في الجوانب الشرقية من البلاد ونهر ايرِس (ويسمى الآن يشيل ارمق) وهو في اواسط البلاد ونهر سنكاريوس (ويسمى الآن سكاريا) في النواحي الغربية وكلٌّ من هذه الانهر يصب في البحر الاسود ونهر مياندر (ويسمى الان بيوك مندر) في النواحي الغربية ويجري غرباً ويصب في الارخبيل. وفي اواسط البلاد مسافة ليس لمياهها منفذ الى البحار فتجتمع في بحيرات مالحة

الاقسام القديمة

٣. واقسام اسيا الصغرى في القديم كثيرة ففي وسطها فريجيا غربي نهر هلس وكبدوكيا شرقية وفي السواحل الشمالية بفلكونيا في الجوانب الشرقية منها وبيثينيا في

الجوانب الغربيّة . وفي السواحل الغربية ميسيا في الشمال وليديا في الوسط وكاريا في الجنوب وفي السواحل الجنوبية ليكيا في ناحية الغرب وبمفيليا وكيليكيا في ناحية الشرق

المدن ٤ . وامهات مدنها القديمة ساردس قصبة ليديا ومليتس وفوكياو وافسس وسمرنا (وهي ازمير) وهلكارنسس وقنيدُس من مدن اليونان على الشط الغربي وغوردبوم في فريجيا وطرسوس في كيليكيا وقيصرية في كبدوكيا وسيزكس وهرَقليا وسنوبي وطربزُس من مدن اليونان على الشط الشمالي

الجزائر ٥ . والجزائر التابعة لاسيا الصغرى كثيرة فمنها في الغرب تِنِدُس ولَسبُس وخيوس وساقس ورودس وفي الجنوب قبرس التي اهم مدنها سلاميس وكتيوم وبافُس على البحر وإيدايوم في اواسط الجزيرة

٦ . واخبار اسيا الصغرى قبل ايام كورش سقيمة جدًّا ولم تكن فيها مملكة عامّة ذات شأن حتى قامت دولة الليديين ولم تستبد ليديا كثيرًا اذ غلبها كورش كما مرّ . اما اهل فريجيا فكانوا ابطالاً قساة غير متمدنين وكانت اراضيهم خصبة كثيرة الكلإ فكان كثيرون منهم رعاة . ثم قامت مملكة في الجوانب الشماليّة الغربية من فريجيا قبل سنة ٧٥٠ ق . م . وكانت عاصمتها غوردبوم على نهر سنكاريوس ولقب كل من ملوكها بغوردياس او ميداس وقد ذكر لها بعض المؤرخين ثمانية ملوك لقب كلٌّ من اربعة منهم بغوردياس ولقب كل من الاربعة الاخرى بميداس لكنهُ لم يعيّن ازمنتهم وخضعت مملكة فريجيا لمملكة ليديا في نحو سنة ٥٦٠ ق . م

مملكة فريجيا

دولة كيليكيا ٧ . واتصل الينا خبر دولة كانت في كيليكيا ايام الاشوريين قال سرجون انهُ افتتحها ولما زوّج ابنتهُ بأمبرِس ملك توبال اقطعهُ كيليكيا . وغزاها سنحاريب في نحو سنة ٧٠١ ق . م . وبنى طرسوس في نحو سنة ٦٨٥ ق . م . ثم غزاها اسرحدّون في نحو سنة ٦٧٧ ق . م . وفي نحو سنة ٦٦٦ ق . م . اخذ اشور باني بال واحدةً من نسل ملوك كيليكيا امرأةً وبعد ذلك بنحو خمسين سنة جلس على تخت البلاد ملك يسمّى سيّنسِس وسُمي من خلفهُ من دولتهِ باسمهِ والظاهر ان كيليكيا لم تخضع لكريسس ملك ليديا وربما لم تخضع لكورش لكنها خضعت لملك الفرس بعد ذلك ولعل اول من ملكها منهم كمبيز

مملكة ليديا ٨ . وكانت ليديا اعظم مملكة في اسيا الصغرى واغناها واكثر اخبارها في اول امرها من المظنونات والمتواترات على الالسنة . قال هيرودوتس ان الدولة الاولى لهذه

الدولة الاولى — المملكة دولة الاتيسيَّة نسبة الى اتيس احد ملوكها وملكت قبل سنة ١٢٢٩ ق . م . وذكر من ملوكها مانيس واتيس وليدُس وميليس والظاهر ان اخبارهم خرافية

الدولة الثانية من سنة ١٢٢٩ الى سنة ٧٢٤ ق م — ٩ . وملكت الدولة الثانية ٥٠٥ سنين وذلك من سنة ١٢٢٩ ق . م . الى سنة ٧٢٤ ق . م . على قول هيرودوتس وملوكها اثنان وعشرون وعرفت تلك الدولة بالهرقليَّة نسبة الى هرقل بطل اليونان لانهم ظنوها من نسلهِ واسم الملك الاول لهذه الدولة أغرون واجدادهُ على ما تواتر من انبائهم هرقل وألكيوس وبيلس ونينُس والاسمان الاخيران ساميَّان فلم يكونوا من امَّة واحدة خلافًا لما تواتر من اخبارهم لكن بعضهم ظن من ذلك ان سلسلة الساميين بلغت بلاد ليديا قديمًا لكن في هذا نظرًا وذكر لها نقولا الدمشقي عن زنثوس موَرخ ليديا الوطني ستة ملوك وهم أديتيس الاول وارْدِس واديتيس الثاني

اخبار كندوليس اخر هذه الدولة — وميلس ومِيرْسُس وكندوليس واخبارهم قليلة لكنهُ استوفى الكلام على هلاك كندوليس فقال كان لهذا الملك وزير يسمَّى غيجيس وكانت امرأَة الملك بديعة الجمال فاراد ان يقنعهُ بانها اجمل النساء فادخلهُ الى غرفة النوم وخبأَهُ حيث يراها ولا يُرى حين تنزع ثيابها فتم مقصد الملك على غير ارادة غيجيس لكنها شعرت بغيجيس حين خروجهِ وصعب عليها العار الذي اوقعها فيهِ رجلها فاغتاظت واضمرت النقمة فاستحضرت غيجيس وعرضت عليهِ واحدًا من اثنين اما ان يقتل كندوليس ويختلس ملكهُ ويتزوَّج بها او يقتل فاختار ل على الملك وقتلهُ وبذلك انقرضت الدولة الثانية سنة ٧٢٤ ق م

الدولة الثالثة من سنة ٧٢٤ الى نحو سنة ٥٤٦ ق . م — ١٠ . ثم قامت الدولة الثالثة وكان اول ملوكها غيجيس باشر محاربة بعض مدن اليونان في السواحل واخضع منها كلفون وهاجم مليتس لكنهُ لم يفتحها ومات سنة ٦٨٦ ق . م . وخلفهُ ابنهُ أرْدس وحذا حذو ابيهِ ونجح بعض النجاح في محاربة تلك المدن الاَّ انهُ نزلت بهِ نازلة شديدة منعتهُ عما عزم عليهِ وهي ان القمَّريين البرابرة هجموا على اسيا الصغرى وغزوا كثيرًا ونهبوا وخربوا واستبدُّوا بذلك زمانًا طويلاً ومات أرْدس سنة ٦٢٧ ق . م .

صاديتيس ٢ — وخلفهُ ابنهُ صادِيَتّس فضايقهُ البرابرة كثيرًا فحارب مدينة مليتس ولم ينل منها ومات سنة ٦٢٥ ق . م . وخلفهُ أليتيس وهو ابنهُ من اخيهِ

١١ . واشتهر هذا الملك اكثر من سلفائهِ ولنا من اخبارهِ كثيرٌ في انباء هيرودوتس

طرد البرابرة — وغيرهِ من مؤرخي اليونان واعظم ما نفع بهِ بلادهُ طردهُ البرابرة من تخوم ليديا بعد ان تسلّطوا عليها مدَّة طويلة ولم يقدر اسلافهُ على ذلك ثم هاجم مليتس وهي مدينة حصينة

حاربها ابوهُ نحو خمس سنوات ولم يفتحها فبلغ اليتيس جهدهُ في ان حاصرها نحو ست سنين ولم يتملكها فبقيت مستقلة . وحارب مدينة ازمير واخذها وقيل انهُ اغار على قبائل مختلفة في اسيا الصغرى

حصار مليتس

ثم اشتعلت له حرب شديدة مع كياكسارس ملك مادي وقد مرَّ في اخبارهِ انهُ غزا كثيرًا وفتح اشور وغيرها واتسعت مملكتهُ وملك على الامم والشعوب وحالفهُ ملك بابل ولعلهُ ساعدهُ على محاربة ليديا ومن العجب انهُ مع كل ذلك لم يقدر على ملكها فبقيت الحرب ست سنين وانتهت اتفاقًا دون ظفر لاحد الفريقين فالظاهر ان جميع قبائل اسيا الصغرى تقريبًا اعانت ليديا في هذه الحرب اذ تحققت ان ملك مادي قادر على اخضاعها جميعًا ان قهر ليديا ولعل نهاية هذه الحرب كانت في سنة ٦١٠ ق . م . وبقيت المملكتان على المودَّة حتى انقرض امر مادي . وملك اليتيس بعد الحرب مدَّة طويلة قيل انها ٤٣ سنة ولم يعمل شيئًا يستحق الذكر سوى بناء قبرهِ وكان عظيمًا جدًّا يزيد اساسهُ على اساس اكبر اهرام مصر بنحو الثلث لكنهُ لم يكن فيهِ سوى ذلك الاساس من الحجارة وسائرهُ من تراب ولذلك لم يبقَ الى ايامنا كالاهرام على ان طللهُ ذو شان وهو كالاكمة في الهيئة

حرب كياكسارس

قبر اليتيس

١٢ . ومات اليتيس نحو سنة ٥٦٨ ق . م . وخلفهُ ابنهُ كريسُس فاخضعهُ كورش كما ذكرنا في محلهِ . ولم يأتِ كريسس ما يستحق الذكر قبل هجوم كورش وكان اغنى الناس في ايامهِ على ما تواتر واتى بهدايا ثمينة جدًّا لمعبد دلفي في بلاد اليونان وسبق الجميع في ذلك وكان كلما اراد ان يباشر عملًا خطيرًا يستشير هذا المعبد ويقدم له الهدايا فيحصل على جواب يسرُّهُ ولما سمع بقدوم كورش استشارهُ فاجابهُ بانهُ اذا حارب الفرس غلبت مملكة عظيمة فظن تلك مملكة الفرس فكانت العاقبة خلاف ما ظن فبيَّن لهُ الكهنة ان تلك مملكتهُ فكان ديدن كهنة ذلك المعبد ان يبينوا المعنى بعد اتيان العاقبة ويتكلموا قبلها بكلام يحتمل معنيين فيخدعون العباد . فاستولى الفرس على مملكة ليديا واسيا الصغرى كما تقدَّم (انظر اخبار الفرس ف ٣ رقم ٣ و٢)

كريسس

القسم التاسع

تاريخ العرب القدماء

الفصل الاول

في حدود بلاد العرب وبعض خواصها الطبيعيَّة

حدود البلاد ومساحتها

١. هذه البلاد يحدها شمالاً فلسطين وبعض سورية وما بين النهرين وما يليه الى خليج العجم اي مملكة الكلدانيين القدماء ويحدها شرقًا خليج العجم وبحر الهند وجنوبًا بحر الهند وغربًا البحر الاحمر وخليج السويس وبرزخها وبعض سورية وقد سمَّى العرب هذه البلاد جزيرة العرب وهي بالحقيقة شبه جزيرة طولها نحو ١٤٠٠ ميل ومعظم عرضها ١١٥٠ ميلاً ومعدله نحو ٨٠٠ ميل فتكون مساحة البلاد نحو ١١٣٠٠٠٠ ميل مربع. قال الدكتور كرنيليوس فان ديك في كتاب المرآة الوضية. "وجانب كثير من هذه البلاد

خواصها

صحاري قليلة الامطار لا تنبت شيئًا الاَّ قليلاً من الكلا ومرعى لمواشي اهل البادية ولكن فيها ايضًا جبال واودية مخصبة جدًّا ذات مياه واشجار"

جبالها

٢. وجبال بلاد العرب قليلة بالنسبة الى اتساعها لكنها كثيرة في الاطراف الغربية الشمالية اي في شبه جزيرة طور سينا وبعضها هنالك شامخ وتمتد من هناك الى الجنوب سلسلة جبال موازية لشط خليج العقبة والبحر الاحمر على أمدٍ يختلف من اربعين ميلاً الى ثمانين ميلاً وتنعطف شرقًا عند طرف البلاد الجنوبي وتمرّ في اليمن وعمان والبحرين وتنتهي الى قرب مصب نهر دجلة وتتشعب من هذه السلسلة بعض جبال نجد في اواسط البلاد

وتنحدر منها انهر قصيرة اكثرها جداول تجف في الصيف وبعضها ينضب في الرمل

٣. واقسام هذه البلاد على ما قسمها الرومانيون وغيرهم من القدماء ثلاثة كبرى وهي العربية البيترية (اي الصخرية) والعربية الفيلكسية (اي السعيدة) والعربية الديسرْتية (اي الصحراوية) فالقسم الاول شبه جزيرة طورسينا وجانب من سواحل البحر الاحمر مما يليه والقسم الثاني ما يلي الاول من سواحل البحر الاحمر وبحر الهند الى خليج العجم والقسم الثالث ما بقي من المفاوز والصحاري في اواسط البلاد ولم يعرف العرب هذه القسمة فقسموا بلادهم الى سبعة اقسام وهي اليمن والحجاز وتهامة ونجد واليمامة والبحرين وتيه بني اسرائيل

اقسام بلاد العرب

٤. اما اليمن فالجوانب الجنوبية الشرقية من البلاد ويحيط بها جانب من البحر الاحمر وبحر الهند وخليج العجم واقسامها حضرموت وشحر ومهرة وعمان ونجران. اما تهامة فما يلي اليمن شمالاً من شط البحر الاحمر الى حدود الحجاز اما الحجاز فما يلي تهامة من شط ذلك البحر الى راس خليج العقبة وسُمي حجازًا لانهُ حاجز بين نجد وتهامة وفيهِ مكة ويثرب الملقبة بالمدينة . اما نجد فهي ما يتصل بسورية ومملكة الكلدانيين القدماء شمالاً وشرقًا والحجاز غربًا واليمامة جنوبًا فهي مشتملة على اواسط جزيرة العرب . اما اليمامة فهي بين نجد واليمن . اما البحرين فهي ما يلي اليمن من شط خليج العجم . اما تيه بني اسرائيل فهو شبه جزيرة طورسينا وهي ليست من بلاد العرب حقيقة غير انهم كانوا يجولون فيها وقد ذكرنا هذه الاقسام بالتفصيل لذكرها كثيرا في اخبار العرب

اليمن تهامة الحجاز نجد اليمامة والبحرين تيه بني اسرائيل

الفصل الثاني

في اخبار العرب القدماء

اصول تاريخهم . (١) التوراة (٢) آثار الكلدانيين والاشوريين وبعض اثار في جزيرة العرب من اللغة الحميرية (٣) ابن خلدون وابو الفدا وبقايا الطبري في انباء العصور

الخالية قبل الاسلام (٤) القرآن (٥) وتاريخ العرب قبل الاسلام لكوسان دي برسيفال الفرنسوي Caussin de Perceval

١. العرب من نسل سام بالاتفاق غير ان بعض سكان جزيرة العرب الاولين من نسل حام كما سنرى واخبار عصورهم الخالية سقيمة جدًّا . قال ابو الفدا نقلاً عن صاحب تواريخ الامم "ليس في جميع التواريخ اسقم من تاريخ ملوك حمير". وقس على ذلك اكثر اخبارهم قبل الهجرة فاكثر ما ورد منها من قبيل الخرافات وان كان فيها شيء من الصحيح يصعب تمييزهُ عن الباطل وما نوردهُ هنا اهمّ ما وقفنا عليهِ في كتب الذين بذلوا احسن النظر في اخبارهم لعلهم يحصلون على حقيقة امرهم في تلك الازمنة الخوالي

سقامة تاريخ العرب قبل عهد الاسلام

٢. ذكرنا ان بعض سكان هذه البلاد الاولين كانوا من نسل حام وقد تحقق ذلك من ادلة شتّى منها ان بنو حام انتقلوا من اسيا الى افريقية وسكنوا مصر والنوبة قديمًا كما تقدم في القسم الاول وانهم دخلوا افريقية من جهة برزخ السويس او على طريق باب المندب فعلى كلا الامرين لا بد من مرورهم في جوانب بلاد العرب والظاهر ان بعضهم استوطنها . ومن الادلة ايضًا ما رأيناهُ في تاريخ الكلدانيين الاولين (راجع ف ٣ رقم ٣) من ان الكوشيين سكنوا ارضهم قديمًا وانهم دخلوها من الجنوب كانهم اتوا من البحرين فهم سكنوا بلاد العرب اولاً وقد وجد المنقبون آثارا في اليمن نسبوها الى الكوشيين

سكان البلاد الاولون من نسل حام

٣. واستدلوا من كتب موسى ان بني كوش بن حام استوطنوا بلاد العرب فان موسى قال في تك ١٠ : ٧ ان بني كوش هم سبا وحويلة ورعمة وسبتة وسبتكا وبني رعمة شبا وددان ونعلم ان اسماء النسب التي اوردها هناك هي اسماء قبائل وقد وجد بعضهم بعد البحث ان القبائل المتولدة من هؤلاء استوطنت بلاد العرب فزعموا ان سبا سكنت اليمن اذ وجدوا في اخبارها ما يدل على ذلك وكذا حويلة ولعلها قبيلة خويلاء في اليمن وقد أبدلت الخاء بالحاء اما سبتة فوجدوا انها استوطنت حضرموت اما رعمة فقد ذكر بطليموس صاحب كتاب الجغرافية القديمة مدينة تسمى رعمة او رغمة في نواحي عمان اما سبتكا فلم يجدوا لها اثرًا في جزيرة العرب بل على شطوط افريقية قبالتها اما شبا من بني رعمة فزعموا ان نسلهُ سكن عمان وكذلك نسل ددان في البحرين فانهم وجدوا مدينة بهذا الاسم في بعض جزائر البحرين

تفرق بني كوش في بلاد العرب

وقد ذكرنا في تاريخ الفينيقيين والكنعانيين ان اجدادهم سكنوا البحرين اولاً ثم انتقلوا

الى بلاد كنعان (انظر رقم ١ من تاريخهم) وهم من نسل حام على راي البعض ولما رحلوا مرّوا في نجد والحجاز وظن البعض انهُ تفرّع منهم في اثناء الطريق قوم واستوطنوا نواحي جبل سعير فهم الحوريون المذكورون في التوراة (تك ١٤: ٦ و٣٦: ٢٠) ولعلهم قوم ثمود في أخبار العرب غير ان ثمود في انسابهم هو ابن كاثر بن ارم من ولد سام. فقد تبين من هذه الادلة ان نسل حام سكنوا البلاد اولاً

انتقال بني سام الى بلاد العرب

٤ . ثم اتى الساميون وهاجموهم وسكنوا ارضهم قال ابن خلدون في اثناء كلامهِ على الطبقة الاولى من العرب" ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام فسكنوا جزيرة العرب" وقد مرَّ في تاريخ الكلدانيين (راجع ف ٢ رقم ٣ منهُ) ان الكوشيين ضايقوا الساميين في تلك الارض فانتقل قوم منهم الى اشور وقوم الى الغرب وهم آل ابرهيم وغيرهم وربما كان في نحو ذلك الوقت ان نسل سام انتقل الى جزيرة العرب كما قال ابن خلدون وقد علمنا من اخبار الكلدانيين ان دولة الكوشيين كانت على عزّها قبل ٢٠٠٠ سنة ق.م. وهذا اصح ما وقفنا عليهِ من انباء ارتحال نسل سام الى جزيرة العرب

اسم العرب

٥ . اما اسم هذه الامة اي العرب فقد أُختلف في اشتقاقهِ قال ابن خلدون" ان العرب لم يزالوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان ولذلك سموا بهذا الاسم فانهُ مشتق من الابانة لقولهم اعرب الرجل عما في ضميرهِ اذا ابان عنهُ" والارجح انهُ مشتق من عرَب اي قصد الغرب قال الدكتور كرنيليوس فان ديك في كتابهِ المذكور (وجه ٢٣٠)" ان العرب سموا هكذا حين ارتحالهم من الوطن الاصلي غربًا لان اللغة السامية الاصلية لا غين فيها فلفظة عرب بمعنى غرب"

طبقات العرب

٦ . وقسموا هذه الامة الى ثلاث طبقات لكنهم اختلفوا فيها فابن خلدون يقسمها الى العرب العاربة والعرب المستعربة والعرب التابعة للعرب وابو الفدا وغيره يقسمونها الى العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة واستحسنا هذه القسمة الاخيرة لزيادة التوضيح لان العرب البائدة هم الأعراب الاولون الذين بادوا ودرست آثارهم بان ازالتهم عن مواضعهم العرب العاربة وهم العرب الحقيقيون كما يتضح من الاسم اما العرب المستعربة فهم الذين انضموا الى العرب العاربة من الامم المجاورة وهم ليسوا عربًا في الاصل كنسل

اسمعيل وعيسو من ولد ابرهيم فاستعربوا اي صاروا عربًا فلنأتِ باخبار العرب على هذا النسق ونبتدئ بالطبقة الاولى وهي

العرب البائدة

٧ . اول من ورد ذكرهم من هذه الطبقة قوم عاد وهو عاد بن عوص بن سام وقد ميّز بعضهم دولتين من بني عاد دولة متقدمة ودولة متأخرة اما بنو عاد الاولون فسكنوا احقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر حسبما اورده ابن خلدون قال "وكان عاد في ما يقال اول من ملك من العرب وطال عمرهُ وكثر ولدهُ وفي التواريخ انهُ وُلد لهُ ٤٠٠ ولد ذكر لصلبهِ وتزوّج الف امرأة وعاش الف سنة ومائتي سنة" وقيل فيهِ غير ذلك ما لا يسلّم بهِ العقل ويدل على ما في اخبارهم من القصص السقيمة والخرافات ولكنّا نستنتج ممّا مرّ ان قوم عاد بقوا زمانًا طويلاً وكثروا وتواتر عنهم انهُ من خلفاء عاد شديد وشدّاد وارم ونسبوا الى شداد المآثر العظيمة وقالوا انهُ غزا كثيرًا واستولى على جانب من بلاد سورية والعراق والهند وقيل ان شدّادًا آخر نسلهِ غلب اسافل مصر وبنى بها مدينة اون المذكورة في التوراة (تك ٤١:٤٥) ثم قام المصريون على العرب واخرجوهم من البلاد فالظاهر من هذه الاخبار ان بني عاد تقووا وغلظ امرهم وامتدت سلطتهم الى الاطراف البعيدة ومن انباء سلطتهم في سورية او الشام ان جيرون بن سعد بن عاد اختطّ مدينة دمشق ومصرها فسمّي احد ابوابها بباب جيرون قال الشاعر

قوم عاد

شداد عاد

سكنى عاد في مصر والشام

النخل فالقصرُ فالحماء بينهما اشهى الى القلبِ من ابوابِ جيرونِ

اراد باب جيرون فجمعهُ للتعظيم

والعراق

وذكر يوسيفوس اليهودي ان عوص بن ارام بن سام بنى مدينة دمشق واجمعوا على ان نسل سام استوطنها منذ اول عهدها وقد مرّ في اخبار مملكة الكلدانيين ما يؤخذ منهُ ان بني عاد استولوا على العراق اي مملكة الكلدانيين اذ قيل ان دولة عربيّة استولت عليها في نحو ١٥٤٦ سنة ق . م . وملكت فيها نحو ٢٤٥ سنة (راجع تاريخها ف ٢ رقم ٦) وفي فتوحات الهكسوس في تاريخ مصر اشارة الى ان العرب استولت على تلك الديار والارجح ان الهكسوس او الرعاة غير قوم عاد كما سيأتي . قال ابن خلدون نقلاً عن

ذكر مدينة ارم الزمخشري ان شدّاد المذكور هو الذي بنى مدينة ارم في صحارى عدن وشيّدها ليحاكي بها الجنّة فخربها الله على منوال عجيب قال وانما هذا من خرافات القصاص . وظن بعضهم القصة تتعلق ببرج بابل وما حدث من امره والله اعلم

ملاك عاد ٨ . ثم ان قوم عاد بعد ان عظم شانهم طويلاً ادركهم البوار وفنوا قيل ان علّة ذالك انه عظم طغيانهم وعتوّهم وانتحلوا عبادة الاصنام والاوثان دين الصائبة فبعث الله اليهم اخاهم هودًا فوعظهم لكن قومًا منهم لم يسمعوا فاهلكهم الله وقوم سمعوا له فنجاهم (راجع القران سورة هود آية ٥٢ الى ٦٣) قال ابن خلدون وكان ملوكهم لعهده الخلجان ولقمان الخلجان ولقمان فآمن لقمان وقومهُ وكفر الخلجان وقومهُ وحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين وبعثوا الوفود الى مكة يستسقون لهم لكنهم لم يستفيدوا من ذالك وهلكوا (راجع القران سورة فصلت آية ١٥ وسورة الحاقة آية ٦ الى ٨) ثم ملك لقمان الذي خالف الخلجان وقومهُ فلم يهلك معهم وقيل ان ملك لقمان ورهطهُ بقي الف سنة او يزيد ولم يزل ملكهم متصلاً الى ان غلبهم يعرب ابن يقطان او قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا ولقمان هذا ورهطهُ الدولة الثانية من ولد عاد

عظمة عاد ٩ . هذا خلاصة ما ورد من امر ملك عاد في اليمن والظاهر انهم كانوا اقوياء واستفحل امرهم مدة قال ابو الفدا وكان عاد في نهاية من عظم الاجساد والتجبر اه . وبنوا ابنية معتبرة حتى ضُرب بهم المثل في ذالك وقيل للبقايا العظيمة ابنية عاد واشار الى ذالك القرآن بقولهِ (سورة الشعراء آية ١٢٨ و١٢٩) "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون" وزمان ملك بني عاد لا يمكن تحقيقهُ والمظنون انهم كانوا في الارض ايام زمان ملكهم ثوطميس الثالث من ملوك الدولة الثامنة عشرة لمصر اي في نحو ١٦٠٠ سنة ق.م. فان بعض المؤرخين زعم ان بلاد بونت الذي غزاها ثوطميس وغيرهُ من ملوك مصر هي بلاد اليمن ولا ريب في انها كانت في تلك النواحي ولكن لم يتحقق ان حكامها يومئذٍ كانوا من بني عاد

ثمود ١٠ . ومن العرب البائدة قوم ثمود قال ابن خلدون "وهم بنو ثمود بن كاثر (جاثر تلك ص ١٠ ع ٣٢) بن ارم فكانت ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام وكانوا ينحتون بيوتهم في الجبال". والظاهر انهم قوم الحوريين في التوراة (راجع رقم ٣ مما تقدم) من نسل سعير ولا يُعرف من هو سعير وقد مرّ ان البعض ظنهم شعبة من قوم الكنعانيين والله اعلم وقد تحقق من آثارهم انهم سكنوا المغاير او البيوت المنحوتة في

الجبال كما قال ابن خلدون وقيل في اخبار العرب انهم كانوا كفارًا فبعث الله اليهم
صالح صالحًا ينذرهم فلم يؤمن بهِ الاَّ قليلون وكان رئيس كفارهم رجل يسمَّى قدار قال ابو الفدا
"عاهدوا صالحًا على انهُ ان اتى بما يقترحون عليهِ آمنوا بهِ واقترحوا عليهِ ان يخرج من صخرة
معيَّنة ناقة فسأَل صالح الله تعالى في ذلك فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلاً
فلم يؤمنوا وآخر الحال انهم عقروا الناقة فاهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة ايام بصيحة من السماء
هلاك ثمود فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فاصبحوا في ديارهم جاثمين" . (سورة الشعراء آية
١٤١ الى ١٥٩) هذا ما ورد في اخبارهم فاذا قابلناهُ بما ورد في التوراة من انباء الحوريين
رأينا الاتفاق في هلاك هذه القبيلة لكن على نسق آخر ففي الاصحاح الرابع عشر من سفر
التكوين ان كدر لعومر وغيرهُ من ملوك الشرق ضربوا بعض القبائل في نواحي بحر لوط
من جملتها الحوريين في جبل سعير فالظاهر ان هذا الهلاك الذي ادرك الحوريين من
قبل كدر لعومر هو هلاك ثمود عند العرب وان كدر لعومر هو المعروف بقدار في اخبارهم
(وسمّي ايضًا بقدار الاحمر) ومع ما في اخبارهم من التباين يثبت انهم هلكوا وامحت آثارهم
فهم من العرب البائدة

جديس وطسم ١١ . ومن البائدة جديس وطسم من ولد كاثر او جاثر قيل ان هاتين القبيلتين
سكنتا اليمامة معًا وكان عليهما ملك واحد من طسم فقام من هذه القبيلة ملك غشوم ظلوم
فانف منهُ اهل جديس واهلكوهُ بان دعوهُ الى وليمة فلما حضر اوقعوا بهِ واهلكوهُ واكثر
قبيلتهِ فهرب رجل من طسم وشكا الى ملك اليمن واستنصرهُ على جديس فاجابهُ ملك
اليمن وسار وافناهم فلم يبقَ لطسم وجديس ذكر بعد ذلك وقيل ان يمامة بقيت يبابًا
بعد هذا لا يأكل ثمرها الاَّ عوافي الطير والسباع حتى نزلها بنو حنيفة

العمالقة ١٢ . ومن العرب البائدة العمالقة قيل انهم من ولد عماليق بن لود بن سام قال
ابو الفدا "ولما تبلبلت الالسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن ثم تحولوا الى الحرم واهلكوا
من قاتلهم من الامم وكان من العمالقة جماعة بالشام" . فكانت ديارهم واسعة ولم تتعيَّن
كمال التعيين فقيل ان اهل البحرين وعمان منهم وكذلك اهل الحجاز وكان بنجد قوم منهم
ديارهم ومنهم جماعة باليمن والشام كما مرَّ والذي اتفق عليهِ الاكثرون ان ديارهم في شبه جزيرة
طور سينا والحجاز من تخوم مصر الى نواحي مكّة فذكروا في اخبار بني اسرائيل حين
مرورهم في برية طور سينا (خر ص ١٧) وذُكروا بعد ذلك عدة مرّات في تاريخ بني

اسرائيل والظاهر انهم لم يكونوا من نسل واحد ولا من امة واحدة فكان في برية طور سينا وبلاد المشرق العمالقة المذكورون في التوراة ومن هولاء قوم من نسل عيسو (تك ٣٦: ١٦) ولكن لم يكن جميعهم من نسل عيسو اذ ورد ذكرهم قبل زمان عيسو (تك ١٤: ٧) قال ابن خلدون "وكان الذين بالبحرين وعمان والمدينة يُسمون بني جاسم وكان بالحجاز منهم الى تيما بنو الارقم وكان بنجد بديل وراحل وغفار". وذكر غيرهم من قبائل العمالقة من لا يهمنا ذكرهم هنا وقال بعضهم ان منهم من ملكوا مصر وكان فرعون ابرهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى منهم اي انهم الهكسوس المار ذكرهم في اخبار مصر ولعلّ ذلك حتى اذ قد تقرّر ان الهكسوس خرجوا من النواحي التي سكنها العمالقة. وزعم البعض ان بني ابرهيم من قطورة (تك ٢٥: ٣) انضموا الى قوم العمالقة كما فعل بعض بني عيسو ولا ريب في انهم انتقلوا الى بلاد العرب واختلطوا معهم قبائلهم

الطبقة الثانية العرب العاربة

١٢. هذه الطبقة من نسل قحطان او يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام (تك ١٠: ٢١–٢٥) ومنها بنو جرهم وحسبهم ابن خلدون من العرب البائدة قال "وكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية" وهاجم بنو قحطان قوم عاد ولعل ذلك كان سبب هلاك عاد وسكن بنو قحطان مكانهم وكان ملكهم حينئذٍ يعرب بن قحطان قال بن خلدون نقلاً عن البيهقي "ان يعرب بن قحطان لما غلب عادًا على اليمن وملكهُ من ايديهم ولّى اخوتهُ على الاقاليم وولّى جرهم على الحجاز" وزعم بعض اصحاب التاريخ ان غلبة يعرب على عاد كان نحو ٨٠٠ سنة ق.م. ومع ان بني قحطان غلبوا عادًا لم يهلكوهم عن آخرهم فسكن بعض بني عاد بينهم وانضموا اليهم ووجد في آثار تلك البلاد ما يدل على هذا الامتزاج في سكان البلاد وكان قوم عاد من طائفة الصابئة وآثارهم ظاهرة في بلاد اليمن غير ان اكثرهم انتقلوا الى بلاد الحبشة وقد وجدت آثارهم هناك وتبيّن ان بين الحبشة واليمن علاقة شديدة في الزمان القديم فذكر اليونان ان اهل الحبشة عرب وصابئة وللعرب ذكر في بلاد كوش والارجح ان اكثر عرب بلاد الحبشة وبلاد كوش هجروا الاوطان بعد ان غلبهم بنو قحطان بنو قحطان يعرب غلبة بني قحطان على بني عاد

ومن العرب حضرموت بن ارفكشاد قبل ان ولدهم سكنوا حضرموت التي سمّيت حضرموت

باسم جدّهم وكان لهم فيها ملوك اقوياء وبقي ملكهم الى حين غلبت الحبشة اليمن وكان ذلك في نحو ٥٢٥ ب.م . ولكن اخبارهم سقيمة جدًّا فضربنا عنها صفحًا والظاهر انهم كانوا خاضعين لملوك اليمن اكثر هذه المدة

١٤ . وكان يعرب المذكور من اشهر ملوكهم قال ابن خلدون "وكان من اعاظم ملوك العرب يقال انهُ اول من حيّاهُ قومهُ بتحيّة الملك" فالظاهر ان سلطانهُ بلغ اليمن والحجاز وحضرموت وشحر وعمان وملك بعد يعرب ابنهُ يشجب ولم يكن قويًّا كابيهِ فخرج عليهِ بعض من ولّاهم يعرب على البلاد وملك بعد يشجب ابنهُ عبد شمس وسمّي سبا لانهُ اول من سنّ السبي على ما قالهُ ابن خلدون وابو الفدا وعظم امر سبا جدًّا وغزا كثيرًا وقهر العصاة الذين خرجوا ايام ابيهِ وبدّد شملهم حتى ضُرِب بهِ المثل في التفريق فقيل تفرّق القوم أيدي سبا ومآثرهُ كثيرة معتبرة منها مدينة سبا التي شيّدها وبنى سد مارب المشهور وكان لسبا ولد كثير اشهرهم حمير وكهلان ومن الاوّل بنو حمير اهل الامصار ومن الثاني بنو كهلان اهل الوبر واصبح بنو حمير في علو الصيت ونهاية الذكر ذكرهم مؤرخو اليونان والرومان في غزوات الرومانيين في بلاد العرب ايام اوغسطس قيصر نحو ٢٤ سنة ق م . واستبدّ بنو حمير بملك اليمن حتى فتحتها الحبشة كما تقدم . ولما هلك سبا ملك بعدهُ حمير وكان اجمل اهل زمانهِ وافرسهم قيل انهُ اوّل من تتوّج بالذهب وقيل انهُ ملك خمسين سنة وملك بعدهُ ابنهُ وائل وفي ايامهِ غلب اخوهُ مالك عمان فحدث بينهما حروب بسبب ذلك واختلف المؤرخون في من ملك بعد وائل فقيل كهلان اخوهُ وقيل سكسك ابن وائل وهذا هو الارجح وكان مالك اخو وائل قد مات واستولى ابنهُ قضاعة على مالك عمان فحاربهُ سكسك واخرجهُ منها ولما مات سكسك ملك بعدهُ ابنهُ يعفر وخرجت عليهِ الخوارج وحاربهُ بنو قضاعة وطالت الفتنة بين الفريقين وزعم البعض ان يعفر كان معاصرًا لداريوس الاول احد ملوك الفرس وولد ابنهُ النعمان بعد موتهِ وملك فخرج عليهِ ماران احد اولاد حمير ويعرف بذي رياش وكان صاحب البحرين وحارب بني قضاعة بعمان ولما كبر النعمان حبس ذا رياش واستبدّ بأمرهِ وطال عمرهُ وكان يعرف بالمعافر لقولهِ

اذا انتَ عافرتَ الامور بقدرةٍ بلغت معالي الاقدمين المقاولِ

ثم خلفهُ اشجع بن النعمان واضطربت احوال حمير وصار ملكهم طوائف حتى استقرّ

(Margin notes: يشجب ، سبا ، حمير ، وائل ، سكسك ، يعفر ، النعمان ، اشجع)

في الرايش وبنيهِ التبابعة وهذا خلاصة ما اوردهُ ابن خلدون من امر ملوك حمير باليمن ولا ادلة لنا على تعيين زمانهم والظاهر انهُ لم يذكر كل فروعهم واختلفوا في المذكور فذكر ابن خلدون البعض منها كما مرَّ بك. وذكر نقلاً عن الطبري "ان اول من ملك اليمن من حمير شمر بن الاملوك كان لعهد موسى وبني ظفار واخرج العمالقة منها وقيل كان من عمّال الفرس على اليمن". ولا يخفى ما في ذلك من تباين الازمنة لان عهد موسى كان نحو ١٥٠٠ او ١٦٠٠ ق. م. ولم تقم الدولة الاولى للفرس الى عهد كورش الكبير في نحو ٥٥٨ سنة ق. م. وهذه الدولة لم تستولِ على بلاد العرب واول ملك من الفرس فتح اليمن كسرى انوشروان وذلك في نحو ٥٦٢ سنة ب. م. وقس على ذلك اكثر اخبار العرب قبل الاسلام فان تاريخها لا ضبط لهُ والذي اتفق عليهِ اهل التحقيق من عهد ملوك حمير انهُ انتهى يوم غلبت الحبشة اليمن في نحو ٥٢٥ سنة ب. م. كما ذكرنا والله اعلم

زمان ملوك حمير

١٥. واخبار ملوك التبابعة من حمير اسقم مما سبق فلا يمكن اثباتها. قال ابن خلدون "وكان هولاء الملوك من ولد عبد شمس بن وائل بن الغوث من ولد حمير وكانت مدائن ملكهم صنعاء ومارب" وقال ايضًا "وكانوا ملوكًا عدَّة في عصور متعاقبة واحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر ولا تقيدت منهم الشوارد" ولهذا ضربنا عن اخبارهم صفحًا اما سد مارب وسيل العرم فما اشتهر في اخبار اليمن وقد وُجدت آثار السد في تلك النواحي والظاهر انهم بنوهُ لجمع ماء السقي وقد ذكرنا ان بانية سبا بن يشجب ونسبهُ بعضهم الى بلقيس ملكة سبا وبعضهم الى لقمان الاكبر بن عاد وما ذكرناهُ الاصح وكان السد عظيمًا فقيل انهُ أُجري اليهِ سبعون واديًا وسقوا بمائهِ اراضي واسعة فاصبحت على غاية الخصب ثم انفجر السد واجحف السيل الناس واغرق بساتينهم وجرف ارضهم وآثارهُ باقية الى هذا اليوم

التبابعة

سد مارب وسيل العرم

الطبقة الثالثة. العرب المستعربة

١٦. اما اهل هذه الطبقة فالذين دخلوا قبائل العرب العاربة من غير العرب واستعربوا واخصهم ولد اسمعيل وولد قطورة من نسل ابرهيم الخليل فحين غارت سارة من هاجر فصرفها ابرهيم مع ابنها قيل انها ذهبت بهِ الى الحجاز ونزلت بمكة ولم يكن ماء هناك

امر اسمعيل

فاخرج لها ملاك الرب ماء زمزم فاقاما عند الماء واتاها قوم من جرهم فاعجبتهم قصتها فانضموا اليها فتعلم اسمعيل العربية وقيل انهُ تزوَّج اولاً امرأة عماليقية اسمها عمارة ثم طلقها وتزوَّج امرأة من جرهم اسمها السيدة وتسمَّى ايضاً رعلة وروي ان ابراهيم زار ابنهُ في مكة وبنيا هناك الكعبة وان مفتاحها وسدانتها كانا في يد ولد اسمعيل وقد اختلف في ان الملك هل كان في ولد اسمعيل او في ولد جرهم ولعلهُ تردَّد بينهما كليهما وقيل ان بني قطورة من ابراهيم اتوا وسكنوا الحجاز ايضاً واستعربوا واعظم قبائلهم المديانيون الذين امتدوا من تخوم فلسطين الى الحجاز وسكنوا جانباً من شبه جزيرة طور سينا وكان لاسمعيل اثنا عشر ولدًا صاروا

نابت اثنتي عشرة قبيلة ونزل اكثرهم في نجد اما نابت بكرهُ (ويقال لهُ نبت ايضاً وفي التوراة نبايوت تك ٢٥: ١٣) فسكن الحجاز مع جرهم وقيل ان نابت هذا استلم سدانة الكعبة من ابيهِ ثم عند موتهِ تسلمها جرهم وكان كبير جرهم مضاض وقيل بنو نابت رياستهُ ولما وقع الخلاف بين جرهم وبني مديان عضد بنو نابت جرهم حتى طردوا المديانيين من ارض مكة وبقي بنو جرهم مالكيها قروناً كثيرة وسكن بنو نابت معهم وكثروا وعظم شأنهم وقيل ان اسمعيل عهد بامرهِ الى قيدار ابنهِ لا الى نابت وفي ذلك خلاف لكن المؤرخين اتفقوا على ان بطناً من بطون اسمعيل نزل ارض مكة

ذكر عدنان ومن ولد اسمعيل عدنان باتفاق النسابين ولكن الاباء بينهُ وبين اسمعيل غير معروفين فمن النسابين من يعدّ اربعين منهم بينهما ومنهم من يعدّ عشرين او خمسة عشر فقط والله اعلم . ومن اخبار عدنان ان نبوخذنصر هاجم بلاد العرب وغزاها قال ابن خلدون " فلقيهُ عدنان فيمن اجتمع اليهِ من حضور او غيرهم بذات عرق فهزمهم بختنصر وقتلهم اجمعين ورجع الى بابل بالغنائم والسبي والقاها بالانبار ومات عدنان عقب ذلك وبقيت بلاد العرب خراباً حِقبًا من الدهر حتى اذا هلك بختنصر خرج معد الى مكة (وهو ابن عدنان وكان قد التجأ الى حاران بامر الله) ووجد ان اخويهِ وعمومتهُ من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن وتزوجوا فيهم فرجعهم الى بلادهم" وقال ايضاً "مواطن بني عدنان مختصة بنجد الاّ قريشاً بمكة وبقي قريش بمكة حتى اتى الاسلام"

اليهود في الحجاز ١٧ وكان بالحجاز قبائل يهودية في خيبر ويثرب ونزلت هناك قديماً قال ابن خلدون "ان بني اسرائيل بعد ملكهم للشام بعثوا بعوثاً الى الحجاز وكان هنالك يومئذٍ امّة

من العمالقة يسمون جاسم وكان اسم ملكهم الارم بن الارقم وكان اوصاهم (الله) ان لا يستبقوا منهم من بلغ الحلم فلما ظهروا على العمالقة وقتلوا الارقم استبقوا ابنهُ وضنوا بهِ عن القتل لوضاءتهِ ولما رجعوا من بعد الفتح وبخهم اخوانهم ومنعوهم دخول الشام وارجعوهم الى الحجاز وما تملكوا من ارض يثرب فنزلوها واستتم لهم فتح نواحيها ومن بقاياهم يهود خيبر وقريظة والنضير" هذا نص ابن خلدون ولم يصرّح في اي زمان حدث هذا الفتح لكنا نستنتج انهُ كان في ايام يشوع بن نون حين فتح ارض كنعان وقال بعضهم في ايام موسى وبعضهم في ايام شاول وبعضهم في ايام داود والظاهر ان موّرخي العرب لم يقفوا على ما يُعيّن زمانهُ ولعل التوراة اشارت الى هذه الحادثة في (١ اي ٤: ٤١ الى ٤٣) حيث قيل ان ٥٠٠ رجل من بني شمعون ذهبوا الى جبل سعير وقدامهم فلطيا ونعريا ورفايا وعزّيئيل بنو يشعي وضربوا بقية المنفلتين من عماليق وسكنوا هناك وكان هذا ايام حزقيا ملك يهوذا اي في نحو ٧٠٠ سنة ق. م. ولا ريب في ان بعض اليهود سكنوا خيبر ويثرب وتلك النواحي اذ وُجدوا هناك حين صبحهم الاسلام على ان انتقالهم الى بلاد العرب في قديم الزمان غير مثبت

١٨. وقد ذكر في اخبار اشور ان بعض ملوكها هاجموا العرب ومنهم تغلث فلاسر الثاني الذي حارب سكان برية طور سينا والتيه وكانت ملكتهم ساعتئذٍ حبيبة (راجع تاريخ اشور ف ٣ رقم ١٠) والظاهر ان عرب دومة الجندل وما يليها خضعوا لهُ ويذكر من ملكاتهم زبيبة وشمس . وان سرجون الذي ملك سنة ٧٢١ ق. م. هاجم عرب البادية واخضع ثمود (راجع تاريخ اشور رقم ١٢) وكانت هذه القبيلة غير ثمود الاولى لانها بادت قبل ذلك وحدث هذا في نحو سنة ٧١٥ ق.م. اما اسرحدون فاثخن في بلاد العرب اكثر من جميع اسلافهِ كما يظهر مما ذكر في اخبارهِ (راجع تاريخ اشور رقم ١٦) فتبين مما قالهُ الملك انهُ خاض براري البلاد وفلواتها ولم يتحقق بعد اين بلاد بازو التي بلغها ولعلها الحجاز او حضرموت قال انهُ هاجم دومة وافتتحها وسبى اهلها واخذ تماثيلها الى نينوى فذهبت ملكة تلك الارض الى نينوى تتوسل الى اسرحدون ان يردها لها وقال انهُ في غزوة بازو قتل ثمانية من ملوكهم واقام على البلاد ايلي ملك يديه وغزا اشور باني بال بلاد العرب في نحو سنة ٦٤٥ ق.م. لان العرب كانوا قد اعانوا اخاهُ الخائن في بابل وفي غزواتهِ بلغ الحجاز وقيل انهُ فتح يثرب وجدّة وغيرها (راجع تاريخ اشور رقم ١٩). ولم يورد مورخو العرب شيئًا

مهاجمات ملوك اشور بلاد العرب

ما ذُكر من غزوات ملوك اشور واستفيد كلهُ من آثارهم . اما غزوات نبوخذنصر ملك بابل فذكرها مؤرخو العرب كما مر

تجارة العرب

١٩ . وكانت تجارة بلاد العرب في الاعصار القديمة عظيمة كما يظهر من آثار مصر وقد ذكرنا في اخبارها ان الملكة هتسُو من الدولة الثامنة عشرة بعثت سفنها الى بلاد بونت (ولعلها بلاد اليمن) لاجل التجارة واستولت على تلك الاقطار لكي تتمكن من تجارتها الثمينة ومن البضائع التي اتت بها خدمها من هناك فنستنتج ان اهل اليمن كانوا يتاجرون الى الهند وجلبوا منها انواعًا من الامتعة المختصة بها ولا ريب في ان هذه التجارة أُنشئت ايام الكوشيين فانهم سكنوا شطوط اليمن وعمان والبحرين وشطوط الهند الغربية وقد تحقق مباشرتهم التجارة في العصور القديمة فنعلم ان الفينيقيين من نسل كوش او كنعان ومواطنهم الاولى بالبحرين وكانوا مولعين بالتجارة ولاسيما الاتّجار بحرًا كما رأينا ومن الامتعة التي جلبوها من الهند الذهب والقصدير والحجارة الكريمة والعاج وخشب الصندل والقطن واتوا من شطوط افريقية الى اليمن بخشب الأبنوس وريش النعام وبعض انواع الكثيراء والعاج والذهب واما حواصل اليمن الخاصة فالبخور والطيب والمر والعود واللؤلؤ والحجارة الكريمة وقد ذكرنا ان هتسو ملكة المصريين انشأت تجارة اليمن واعتنى بها بعض خلفائها كل الاعتناء وبنوا مراسيَ امينة على البحر الاحمر وفتحوا ترعة من خليج السويس الى النيل وبقيت تجارة اليمن ناجحة مدة الدولة التاسعة عشرة من دول مصر ثم كسدت سوقها لتأخر المملكة

تجارة المصريين في اليمن

تجارة الفينيقيين مع اليمن

وكانت لليمن تجارة مع الفينيقيين على طريق الحجاز برًّا بواسطة القوافل وعلى طريق البحر الاحمر وخليج العقبة الى ايلة ومن ثمّ برًّا الى صور وصيدا ونجحت هذه التجارة نجاحًا عظيمًا ايام سليمان اذ شارك حيرام ملك صور فيها كما ذكر في التوراة (امل ٠ ١:١ او١٢ و٢ اي ٨: ١٧ و١٨) وكان ملّاحو السفن من الفينيقيين وهم ابرع اهل زمانهم في سلك الابحر فلم يكترثوا باخطار البحر الاحمر ولا بحر الهند فالظاهر انهم بلغوا الهند في اسفارهم وشاع بتلك التجارة في اليمن خبر سليمان ومجدهُ وحكمتهُ فقصدتهُ ملكة سبا فحدث من امرها ما حدث كما ذكر في التوراة (امل ص ١٠) وروت العرب عنها كثيرًا قالوا انها بلقيس بنت اليشرح وانها خضعت لسليمان وسلمت له ملك اليمن غير ان هذا بعيد الظن . اما تجارة اليمن مع بني

سليمان وملكة سبا

اسرائيل وصور فلم تبقَ كثيرًا بعد موت سليمان لاضطراب المملكة عند انقسامها ولم يقدر الصوريون ان يتعاطوها على رغم ملك يهوذا او بدون مساعدته اذ كانت الطريق الى ايلة تمرُّ في املاكه فبطلت هذه التجارة الرابحة ولما شرع بعض ملوك يهوذا واسرائيل يجددونها بعد ذلك لم يستطيعوا اذ لم يكن في خدمتهم من الفينيقيين من يركبون السفن في البحر الاحمر وبنو اسرائيل لم يعرفوا امور البحر ولم يحسنوا التدبير فتكسرت سفنهم (امل ٢٢:٤٨) زوال تجارة اليمن

٣. وكان دين العرب الغالب قبل الاسلام الوثنية قال ابو الفداء نقلاً عن الشهرستاني "والعرب الجاهلية اصناف فصنف انكروا الخالق والبعث (اي القيامة) وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني . . وصنف اعترفوا بالخالق وانكروا البعث . . وصنف عبدوا الاصنام وكانت اصنامهم مختصة بالقبائل فكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ونسر لذي الكلاع بارض حمير ويعوق لهمدان واللات لثقيف بالطايف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة للاوس والخزرج وهبل اعظم اصنامهم وكان هبل على ظهر الكعبة وكان اساف ونائلي على الصفا والمروة وكان منهم من يميل الى اليهود ومنهم من يميل الى النصرانية ومنهم من يميل الى الصابئة". هذا وقد ظهر من ادلة شتى ان اعتقادهم الاصلي التوحيد كما كان الامر عند اكثر الامم في اوائلها ثم فسدوا واخذوا يعبدون الاصنام. ولا جرمَ ان بني اسمعيل اخذوا التوحيد عن ابيهم الذي اخذهُ عن ابيهِ ابرهيم الخليل ويستنتج ان تلك الاصنام لم تكن اولاً الا آلهة ثانوية بلغت شيئًا فشيئًا المقام الاول . واعتقد الصابئة ان للنجوم سلطانًا على البشر ولا سيما السيارات وتاثيرها في امور هذا العالم . قال ابو الفدا "انهم اعتقدوا بانواء المنازل حتى لا يتحركوا الاَّ بنوء من الانواء ويقولون مطرنا بنوء كذا" فكان لهم علم الانواء وما اشبه من علوم الصابئة المنجمين وهذا الاعتقاد نشأ قديمًا في اليمن والارجح انهُ اعتقاد سكانها الاولين الذين كانوا من ولد حام كما تقدم وقد وجدت آثار هذا الاعتقاد في ديانة الكلدانيين القدماء اذ كانت بعض آلهتهم كناية عن السيارات . وقد رأينا ان الدولة الاولى للكلدانيين كانت من ولد حام ايضًا. اما الاصنام فاتخذتها العرب بعد الاحقاب الاولى ومنها ما كان حجرًا سقط من الجو ولعلَّ اللات ومناة كانتا كذلك ولعلَّ الحجر الاسود في الكعبة كذلك فاعتبروهُ كهابطٍ من سماء الاقداس وقد تحقق من التواتر ان هذا البيت كان محترمًا جدًّا

ديانة العرب — المتهم — الصابئة

في قديم الزمان. والمحجوج الاول لكل العرب وتنازعوا في حراسته وحق الطواف به كما يظهر في اخبار جرهم وبني اسمعيل ونقلت القبائل آلهتها اليهِ حتى اجتمعت فيهِ اصنام كثيرة وكان الحج اولاً كل خمس سنين مرة ثم اعتمدوهُ كل سنة قال ابو الفدا "وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار". ويضيق المقام بذكر كل فرائض الحج في مثل هذا المختصر

الكتاب الثاني

في تاريخ اليونان القدماء من بداءة امرهم الى زمان اسكندر الكبير

الفصل الاول

في بلاد اليونان

بلاد اليونان هي شبه جزيرة في الجنوب الشرقي من قارة اوربا بين بحر ادريا وما حدود
يليهِ على الغرب وبحر ايجيان والارخبيل على الشرق وبين نحو ٤٠° و٣٦° من العرض البلاد
الشمالي ونحو ٢٤° و٣٠° من الطول الشرقي. هذا اذا اضفنا اليها ثساليا وابيروس اللتين
اخرجهما اليونان القدماء من بلادهم الخاصة

ويخرق هذه البلاد في الشمال سلسلة جبال من الغرب الى الشرق في نحو ٤٠° في جبالها
العرض الشمالي ويسمى الطرف الغربي كيرونوس والطرف الشرقي أُولِمْبوس وهو مسكن
الالهة عندهم ويخرقها من الشمال الى الجنوب سلسلة اخرى تسمى پِنْدُس ومقاطعة ثساليا ثساليا
واقعة بين هذه السلسلة غربًا وجنوبًا وبحر ايجيان شرقًا واولمبوس شمالًا. اما ابيروس فبين ابيروس
پندس ومدخل بحر ادريا غربًا. اما بلاد اليونان الخاصة فهي مقسومة الى اقسام شتى
وهيئتها غير قياسية لسبب الخلجان والبواغيز الكثيرة التي تدخلها من كل ناحية وتكاد
تفصل بعضها عن البعض. فالقسم الجنوبي شبه جزيرة والبرزخ الذي يوصلهُ ببقية البلاد
(وهو برزخ كورنثوس) ضيق جدًّا ويسمى شبه جزيرة پَلُپُنيسُس اي جزيرة پيلوپس احد البلبنيسوس

ابطالهم القدماء وكانت فيها عدة قطائع وهي لاكونيا ومسينيا في الجنوب وإيلس في الغرب وإخائية في الشمال وأرغلس في الشرق وأركاديا في الوسط. وارض كورنثوس ومغرس على البرزخ وأتكا شرقي البرزخ التي فيها مدينة اثينا ثم بيوتيا للشمال الغربي وفوكس ودورس ولوكرس وايتوليا وإكارنانيا وفي فوكس كان جبل برنَّس المشهور ومعبد دلفي الموقوف لأبلون. اما الجزائر الملحقة بهذه البلاد فكثيرة جدًّا منها جزيرة يوبيا وهي جزيرة طويلة مقابل بيوتيا وأتكا وجزيرة اكريت وكل الارخبيل وسلاميس وإيجينا في خليج سرونيك بين اتكا والبلبنيسس وجزيرة ثياتيرا جنوبي لاكونيا والجزائر المسماة ايونية في الغرب فكانت البلاد مختلفة الهيئة جدا ومنقسمة الى اقسام عديدة واهلها كذلك كما سترى

اتكا وغيرها

الجزائر



الفصل الثاني

في جنسية اليونان وبعض اخبارهم الخرافية قبل ايام تاريخهم المحقق

اصول هذا التاريخ (١) اشعار هوميروس (٢) تاريخ هيرودوتس (٣) تاريخ ثوسديدس وهو من احسن المولفات في بابه (٤) ديودورس (٥) زنافون وكل هذه مولفات يونانية لكنها مترجمة الى لغات مختلفة . اما كتب المتاخرين في تاريخ اليونان فكثيرة جدًّا منها تاريخ كروت الانكليزي G. Grote في ١٢ مجلدًا وكورتيوس الالماني E. Curtius في ٥ مجلدات

١ . لا ريب في ان هذه الامة من جنس يافث كاكثر امم اوربا والمظنون ان اليونان من نسل ياوان بن يافث والظاهر ان اسمهم في العربية مشتق من ياوان ولعل اسم احدى قبائلهم في لغتهم تشير الى ذلك ايضًا اي أيون والايونيون . اما زمان سكنى البلاد فلا يعرف البتة ولا من ابن اتى الاولون والظاهر انهم اتوا من اسيا على طريق الدردنيل ومروا في تراكي ومكدونية وتساليا الى ان وصلوا الى بلاد اليونان واليونان انفسهم ظنوا سكان بلادهم الاصليين قومًا سموهم الفلاسجيين وهم من غير جنسهم ولغتهم بربرية ورووا انهم بنوا مدنًا في البلبنيسس مثل سكيون وارغرس وذلك في نحو سنة ١٨٠٠

السكان الاولون

او ٢٠٠٠ ق٠م٠ ونسبوا اليهم بعض آثار عظيمة تسمى كيكلُبيَّة وهي اسوار من حجارة كبيرة جدًّا لتحصين مدنهم ومحلاتهم ولا يعرَف من أمر هولاء القوم الاَّ القليل واخبارهم سقيمة جدًّا

٢. ثم اتى قوم آخرون وطردوا الفلاسجيين وسكنوا مكانهم وهم الهلَّينيون ونسبوا انفسهم الى جدّهم هلّين واشتهروا وعرفوا باليونانيين غير انهم سمّوا انفسهم هلينيس وبلادهم هلاّس ظن علماء التاريخ انهم اتوا من اسيا قديمًا . وما قالوهُ في انفسهم واصل وجودهم في البلاد خرافات لا يركن اليها كتاريخ ولكنها ذات شأن لتعلقها كل التعلق باموره التاريخية ولكي نفهم سياق تاريخهم جيدًا يجب ان نلتفت اليها قليلاً فنقول الهلينيون

الحق اليونان جميع انسابهم بالالهة فقرنوا امور اجدادهم بامورها وزعموا انهم كانوا بني الالهة وكانوا يعاشرونها ولهم بعض قواها فاعمالهم لم تكن انسانية محضة بل فيها شيء من المعجزات الالهيّة فكانوا يعبدونهم كالهةٍ وعلى مثل هذه الخرافات بنوا قواعد دينهم فصار لهم آلهة كثيرة قيل انها ثلاثون الفًا مع ان اصلها واحد واعتقدوا ان واحدًا من تلك الالهة كان اعظم من الكل وتسلَّط عليها نوعًا وهو زفس ابو الآلهة الاَّ انهُ لم يكن الاوَّل ولما ارادوا ان يبينوا علّة وجودهِ قالوا انهُ ابن كرُونُس (الزمان) وريا اختهُ وهي من ولد اورانُس (الجو) وغِي (الارض) وهي ابنة خاوس (الهيولى) وقيل انها ام اورانس ايضًا ولم يذهبوا في التسلسل الى ما وراء الهيولى . اما زفس فكان اعظم الالهة اعتبارًا واكثرهم تداخلاً في امور البشر والهُ ولدٍ كثير من نسائهِ الالهيات والبشريات ومن الالهة الذين انتموا اليهِ أريس (المريخ) وابلون وارطاميس واثينا وهبي وغيرهم اما اولادهُ الذين هم انصاف الهة فلا يحصون وكان پوسيدون اله البحر اخاهُ وكذلك هاديس (الهاوية) وكانت هيرا اختهُ زوجتهُ الاولى واكرم نسائهِ لكنهُ احب نساء كثيرات فلا عجب ان فسد دين اليونان وهذه هي اصولهُ تعلق اليونان بالالهة ونسب آكبر الهتهم ولد زفس

٣. واكثر الخرافات والروايات اعتبارًا عندهم وتأثيرًا في امورهم قصّة دوكاليون وپرّا امرأتهُ . وهي ان دوكاليون كان ابن پرومثيوس احد الالهة وانهُ سكن ثساليا وفي ايامهِ حدث طوفان هلك بهِ الناس اذ كانوا اشرارًا فاهلكهم زفس بطوفان ونجا دوكاليون بفلك اذ انبأهُ ابوهُ بما يصير واستقر الفلك على جبل پرنسُوس وارتضى زفس بدوكاليون وسألهُ ماذا يريد ان يعمل لهُ فقال ان يرسل لهُ رفقاء فامر زفس دوكاليون وامرأتهُ ان يرميا بحجارة على الارض من وراء فنبت مما رمى بهِ دوكاليون رجال ومما رمت بهِ پرّا نساء دوكاليون وپرّا والطوفان

وهذه القصة مما يثبت ما قد ذُكر بان جميع الشعوب تقريبًا عندهم شيء من نبإ الطوفان

نسل دوكاليون

ثم وُلد لدوكاليون ابنان وهما هلّين وأَمفكتيون ووُلد لهلين ثلاثة دورُس وزوتُس وايولُس وسكن ايولس ثساليا واما زوثس فسكن الپلپنيسس حيث ولد له ابنان وهما اخيوس وايون . اما دورس فكان نصيبهُ شمالي خليج كورنثوس وانتمى الى هولاء قبائل

قبائل اليونان الاربع

اليونان الاربع المشهورة اي **الايوليون والايونيون والاخائيون والدريون** ونسبوا الى امفكتيون اخي هلين مجمع الامفكتونيين وهو مجمع ديني كان يجتمع من وقت الى وقت لتدبير امور اليونان السياسية والدينيّة وكانت له صولة عظيمة يشترك فيها معتمدو جميع القبائل كما سيذكر

الاوغونوت

٤٠ ومن قصصهم المعتبرة قصّة الارغونوتيين وهم الذين سافروا في السفينة المسمّاة ارغو سفرًا بعيدًا ذا اخطار وكان سبب ذلك ان ملك ثساليا وهو من نسل ايولس المذكور امر ياسون احد الامراء وكان قد احتسب منهُ شرًّا ان يذهب الى خُلخِس ويأتي بالسلخ الذهبيّ الذي شاع خبرهُ كثيرًا في تلك الايام ولم يعرفوا من امر تلك البلاد الّا انها كانت بعيدة والطريق مخيفة فظن الملك ان ياسون يهلك فيها اما ياسون فامتثل لامرهِ واختار خمسين رفيقًا من ابطال امّتهِ وسافروا الى خُلخِس والمظنون انها شرقي البحر الاسود جنوبي جبال قوقاس لانها سمّيت بعد ذلك بكذا فاقلع هولاء الابطال وساروا في السفينة المذكورة الى ان بلغوا خلخس فسأَلوا ملكها السلخ فغضب عليهم الملك وامرهم بالاعمال الشاقة بغية ان يهلكهم فقضاها ياسون بنجاح لكن الملك لم يسمح باخذ السلخ واراد هلاكهم . وكان للملك ابنة اسمها ميديا عشقت ياسون وكانت ساحرة فاعانتهُ بسحرها حتى حصل على مرادهِ حين رقد الملك وقتل ياسون التنين الذي كان حارس السلخ وهرب ومعهُ ميديا واخوها الاصغر ولما استيقظ الملك استشاط غيظًا وتبع سفينة ياسون برجالهِ ولولا حيلة ميديا لكان ادركها فانها اخذت اخاها وقطّعتهُ ورمت بقطعهِ على الماء فلما رآها ابوهُ تأَخر لكي يجمعها ويدفنها فنجا ركب الارغو لكن فعل ميديا المخيف اغاظ زفس فبعث العواصف الشديدة على البحر فتعرّض الركاب لاخطار عظيمة ودفعتهم الرياح الى اقطار غريبة وجالوا في البحار سنين ورأَوا بلدانًا كثيرة لا تُعرَف وبعد اتعاب لا توصف

اسفار اليونان البعيدة

وصلوا الى الاوطان . هذه خلاصة القصة ولا يخفى ما فيها من الخرافات فهي ليست بتاريخ لكن يُظَن ان لها اصلاً والنتائج ظاهرة فانّا نستدل بعد زمان الارغونوتيين المظنون اي نحو

سنة ١٢٠٠ او ١٣٠٠ ق.م. ان اليونان اخذوا يباشرون الاسفار البحرية ويوسعون دائرة جولانهم ويستعلمون عن البلدان البعيدة ومن ثمَّ تعاطوا امور التجارة وفيما بعد بعثوا اقوامًا ليستوطنوا الشطوط القريبة فاقاموا في ايطاليا وسيسيليا واسبانيا وغيرها

٥ ومن انبائهم المعتبرة ان بعض الاقوام هاجروا الى بلاد اليونان وامتزجوا بالهلينيين ومنهم قوم من مصر اتوا من البحيرة وفي مقدمتهم كيكروبس واستوطنوا نواحي أتكا وصار هو ملكها لكن منهم من روى ان كيكروبس كان مولود الوطن وقيل ان قومًا آخرين اتوا من مصر واستوطنوا البلبونيس وكان في مقدمتهم داناوس اخو ايجپتوس وكان له خمسون بنتًا فاراد بنو اخيهِ وهم خمسون ايضًا ان يتزوجوهنَّ على رغمهِ فاخذهنَّ واتى بهنَّ الى ارغوس . اما بنو اخيهِ فتبعوهنَّ والزموا داناوس ان يزوجهم بناتهِ فامرهنَّ سرًّا ان يقتلنَ ازواجهنَّ ليلة العرس ففعلنَ سوى واحدة وصار داناوس ملك ارغوس فيما بعد ولعل مجيء هذين القومين كان في نحو ١٥٠٠ سنة ق.م. ثم قيل ان قومًا من فريجية اتوا البلبونيس ايضًا وفي مقدمتهم بلبس الذي عظم شأنهُ فيها فسموا البلاد باسمهِ ولنسلهِ حظٌّ كبير في تاريخ اليونان كأغممنون ومنلاوس الاول رئيس اليونان في حرب ترواس كما سيأتي

وروي انهُ اتى قوم من فينيقية في مقدمتهم قدموس وسبب ذلك ان زفسًا عشق اخته اوربّا فسباها واخذها الى اكريت فجمع قدموس رجالهُ وسار الى ثراكي ثم الى بويتيا طالبًا اختهُ فلم يجدها فسأل معبد دلفي فاله ذلك المعبد اذ عرف من سباها اخبرهُ ان يكف عن طلبها ويسكن البلاد التي كان فيها وامرهُ ان ينزل من الجبل فيلتقي ببقرة وان يتبعها الى ان تقف وهناك يؤسس مدينة ففعل وبنى مدينة ثيبة المشهورة ولا ينكر عاقل ما في القصة من الموافقة وان كان سبب مجيء قدموس ليس بصحيح لان الفينيقيين كانوا يجولون في البحر كثيرًا وبنوا مدنًا عديدة في الجهات ولا سيما بجزائر بحر ايجيان فلا يبعد الظن ان قومًا منهم بنوا ثيبة ولا يخفى ان حروف اليونان الهجائية مستفادة من الحروف الفينيقية ولعل اسم قدموس مشتقٌّ من قدم او قدام اي ناحية الشرق اذ كانت قدامهم في اتجاههم الى المشرق

٦. وبقي نسل قدموس في ثيبة وروي كثيرًا من انباء خلفائهِ واهم ما قالوا ان احدهم واسمهُ لاوس ولد ابنًا يقال له إيديبوس فأُنبئ لاوس ان ابنهُ سيقتلهُ فلما ولد طرحهُ للوحوش على جبل كان رعاة ملك كورنثس يرعون مواشيهم عليهِ فوجدوا الولد واخذوهُ الى ملك

كيكروبس

داناس

بلبس

قدموس

ثيبة

كورنثس فرباهُ كابنهِ فلما كبر وعلم انهُ ليس من ولد الملك ذهب لمعبد دلفي ليستخبر عن احوالهِ فقال لهُ اله المعبد انهُ قضي عليهِ ان يقتل اباه ويتزوج امهُ فاقشعر اذ لم يعرف ابًا غير ملك كورنثوس وعزم على ترك الوطن لئلاَّ يتم ما قُدِّر فتوجَّه الى ثيبة وحدث انهُ لاقى لاوس في الطريق فاتفق ان عيَّرهُ بعض خدمهِ فقام عليهم فقتل في اثناء المصارعة لاوس وهو يجهلهُ فتم جزء من نبوَّة دلفي ثم استمر يسير في طريقهِ الى ان دخل ثيبة وكان فيها يومئذٍ قلقٌ وخوف عظيم لانهُ كان يتردَّد اليها تنين غريب مخيف اسمهُ السِّفِنْكس وكان قد حاجى اهل المدينة احجيَّة وهو يخطف كل يوم واحدًا منهم الى ان يحلوها فاذ لم يقدروا اضطربوا شديد الاضطراب فقام خليفة لاوس ووعد من يحل الاحجية ويخلِّص المدينة بالملك وبامرأة لاوس ففعل ايديوس فتزوَّج امهُ وهو لا يعلم من هي وولد لها ابنان ايتيوكليس وبولينيكيس لكن الآلهة استقبحوا هذه الزيجة المنكرة وعاقبوا ايديوس ونسلهُ عقابًا شديدًا مع انهُ ارتكب ذلك جهلاً ولما كشف لهُ الامر سمل عينيهِ وعيني امهِ فقتلت نفسها فحدثت وحشة بينهُ وبين اولادهِ فلعنهم ولما مات تشاجر ابناهُ في الملك فاضطر بولينيكيس في آخر الامر ان يهرب فالتجأ الى أَدرَسْتوس ملك ارغوس فخفرهُ وزوَّجهُ ابنتهُ وحرَّض بولينيكيس روساء ارغوس ان يسيروا معهُ لمحاربة ثيبة فاجابوهُ وسار معهُ ادرستوس وخمسة روساء بجنودهم وهاجموا ثيبة وطالت الحرب وقتل كلٌّ من ايتيوكليس وبولينيكيس وهلك جميع روساء ارغوس الاَّ ادرستوس فرجع فشلاً غير انهُ بعد مضي عشر سنين اجتمع اولاد الروساء وهاجموا ثيبة ايضًا وثأروا آباءهم بان افتتحوا المدينة وذبحوا الناس فوقعت بذلك الوحشة بين الثيبيين وسائر اليونان فخان اهل ثيبة حين الحروب الفارسية ولم يساعدوا اخوتهم

قصة لاوس وايديوس

ايتيوكليس وبولينيكيس

٧ . ومن اهم القصص المتواترة عند اليونان قصة حرب تروادس (او ترواده) وهي مدينة في اسيا الصغرى قرب الشاطي جنوبي بوغاز الدردنيل . وكان برِيامس ملك هذه المدينة زمان تلك الحرب ولهُ ابناء كثيرون منهم بارِس وهو الذي أنبئ ابوهُ قبل ولادتهِ بانهُ يجلب عليهِ الهلاك فلما ولد بعثهُ الى جبل فرباهُ الرعاة وحدث بعدما كبر ان بعض الالهات تشاجرنَ في من منهنَّ اجمل صورة واتفقنَ اخيرًا على رفع الدعوى الى بارِس اذ كان هو جميل الصورة جدًّا فحكم بان الزهرة اجملهنَّ فوعدتهُ بالزيجة باجمل النساء على كل وجه الارض وارادت بها هيلانة امرأة منلاوس ملك لاكِديمون او اسپرْطا عاصمة

حرب ترواده

لاكونيا فذهب بارس الى هناك وبمساعدة تلك الالاهة حصل على هيلانة فسرقها من بعلها واتى بها الى ترواده . ولما عرف منلاوس بما كان احترق غضباً هو وجميع اليونان فاجتمعوا اليهِ والى اخيهِ أغممنون ملك ميكيني مقدامهم وبلغ جيش اليونان ١٠٠٠٠٠ رجل وساروا في ١١٨٦ سفينة الى ارض ترواده وهاجموا المدينة لان بريامُس أبى ان يسلّم هيلانة وكان عندهُ نحو ٥٠٠٠٠ رجل وكانت المدينة حصينة فحاصروها عشر سنين فلم يقدروا ان يفتحوها وحدثت حروب كثيرة في ضواحيها اشتهر فيها بطل اليونان الجبار أخِلّيس وبطل اهل ترواده هكتور احد بني بريامُس . وآخر الامر يئِس اليونان من اخذ المدينة فلم يبقَ لهم الاّ الحيلة فصنعوا فرساً عظيماً من خشب وملأوهُ بابطالهم ثم ذهبوا في سفنهم متظاهرين انهم تركوا الحرب عجزاً ورجعوا الى اوطانهم لكنهم وقفوا في تندوس وهي جزيرة قريبة من الشاطي واخذوا ينتظرون العاقبة ولما رأى اهل ترواده الاعداء ذاهبين ابتهجوا وخرجوا فوجدوا الفرس وامسكوهُ وهم يظنونهُ تمثال اِلهٍ عظيم وجرّوهُ الى المدينة غير عالمين ان فيهِ شيئاً فلما خيّم الظلام رجع اليونان وخرج الذين في جوف الفرس وفتحوا ابواب المدينة ودخل كل جنود اليونان وقتلوا ونهبوا وأحرقوا البيوت ولم ينجُ الاّ قليلون وكان من الناجين اينياس احد الاشراف فهرب بحراً الى ان وصل الى ايطاليا فرجع اليونان الى بلادهم منصورين واسترجع منلاوس امرأتهُ . وهذه القصة وان لم يركن اليها كتاريخ محقّق لا تخلو من بعض الصحة وتدل على حرب شديدة وقتال عظيم بين اليونان واهل شطوط اسيا الصغرى انتصر فيهِ اليونان ولعل ذلك كان بين سنة ١٣٠٠ و٨٠٠ ق م . ورأى بعضهم ان ترواده سقطت سنة ١٠٢٣ ق م . والله اعلم

اشعار هوميروس

واعتبر اليونان هذه الحرب عظيم الاعتبار وافتخروا بافعال اجدادهم فيها وقد بيّن كل ذلك في اشعار هوميروس فهذا الشاعر نظم قصيدة في هذه الحادثة شغلت ٢٤ كتاباً فيها ١٥٦٩١ بيتاً بيّن فيها امور تلك الحرب بالتفصيل وألّف كتاباً ذكر فيهِ جولان أُدسوس احد ابطال اليونان حين رجوعهِ الى بلادهِ ودفع الرياح لهُ وطردها أياهُ في البحر سنين عديدة قبل ان وصل الى الوطن كما جرى للارغونوتيين حين رجوعهم من خلّس كما مرّ بك

٨. والظاهر ان بلاد اليونان كانت بعد حرب ترواده في حال الاضطراب والقلق لحروب اوقدوا نارها في الاقطار البعيدة ولغياب الرؤساء والرجال عن الوطن مدّة

طويلة ولا ريب انهُ تقلبت احوالهم يومئذٍ فتقوَّى بعض قبائلهم على الآخر وطردوا بعضهم البعض ومن اهم الحوادث في تلك المدَّة رجوع الهرقليين الذين طردوا سابقًا من البلبونيسس الى اوطانهم وقهرهم الاعداء ويلزم لفهم سياق وقائعهِ ان نلتفت الى قصة هرقل ونسلهِ فنقول كان هرقل بطل اليونان الشهير وهو ابن زفس على ما قالوا وامهُ أَلْكْمِيني امرأة أَمْفِتْريون ابنة بعض ملوك البلبونيسس فاحب زفس ابنهُ هرقل كثيرًا واعطاهُ قوة جسدية فوق العادة فجاء من الاعمال باعجبها كاهلاك الوحوش الضارية والتنانين المخيفة وما اشبه ذلك ما يطول شرحهُ لكن الالهة جعلوهُ عبدًا ليورِسْثِيوس ابن عمهِ مدة فخشي قدرتهُ فكلفهُ مشاق كثيرة ومساعٍ هائلة بغية اهلاكهِ وبعد موت هرقل اضطهد يورسثيوس اولادهُ وطردهم فلجأُوا الى اثينا فخفرهم اهلها ودافعوا عنهم اذ هاجمهم العدو هناك فقتل ونجا الهرقليون من غيظهِ وشرعوا بمساعدة الاثينيين يرجعون الى الوطن ليستولوا على املاكهم فدفعهم اهل البلبونيسس فاضطروا ان يتركوا الاوطان فذهبوا واستوطنوا مع الدوريين في الشمال وكانت هذه الامور قبل حرب تروادة

رجوع الهرقليين

اخبار هرقل

٩. وبقيت الحال هكذا الى غاية ٨٠ سنة من تلك الحرب ولم تكن الارض التي سكنوها موافقة لهم فرغبوا في الرجوع الى البلبونيسس لكن دولة منلاوس واغممنون كانت قوية جدًّا فلم يستطيعوا بلوغ المراد فهيجوا الدوريين واغروهم بمهاجمة تلك البلاد معهم ففعلوا وفازوا فوزًا عظيمًا ولم يدخلوا البلبونيسس على طريق البرزخ حيث فشل اسلافهم بل قطعوا البوغاز عند مدخل خليج كورنثس ثم تقدموا والتقوا بجنود البلبنيسوس وكانت اجتمعت لمقاتلتهم وهنالك انتصر الهرقليون والدوريون انتصارًا كاملاً ولم يعد اهل البلاد الى ان يقاوموهم فشرع المنتصرون يقتسمون الاراضي وكانت المقدامية لنسل هرقل. وكان في ذلك الوقت ثلاثة رؤساء بين الهرقليين وهم تيمنوس وكراسفونتيس وأرستوديموس وهذا هلك اثناء الحرب وكان لهُ ابنان ولما اقترعوا على الملك كان لتيمنوس ارغوس وما يليها ولكراسفونتيس مسيني وما يليها ولولدي ارستوديموس سبرطا وما يليها فكانا ملكين فاتخذ اهل سبرطا ذلك قانونًا فكان لهم دائمًا ملكان وحدث من هجوم الدوريين تقلبات شتَّى بين اهالي البلاد فان اهل قطيعة إيلس في الغرب طُردوا وخالطوا الاعداء ورحل المينيُّون الذين كانوا في مسينا الى اثينا وذهب بعض الاخائيين الى شطوط اسيا في نواحي تروادة والبعض الى شمالي البلبنيسوس وطردوا الايونيين الساكنين هناك

استيلاء الهرقليين على البلبنيسس

ذكر ملكي سبرطا

تقلبات القبائل

وشغلوا ارضهم فسميت تلك الارض باخائية وانتقل الايونيون الى انكا

وهذه القصة وان كانت لا تخلو من الخرافات يتبين منها ان الدوريين انتقلوا من الشمال الى البلبنيسس وطردوا السكان الاصليين فصارت من ثم ملكهم وبقيت هكذا الى نهاية امرهم ومن بداءة التاريخ المحقق في امور البلبنيسس وان كان في بعض اساليبهِ شيء من الخرافات

هجرة الايوليين

١٠. فمن الامور المحققة التي حدثت في نحو ذلك الزمان مهاجرة بعض القبائل واستيطانها شطوط اسيا وجزائر البحر وقد ذكرنا ان بعضهم هاجروا حين مهاجمة الدوريين البلبنيسس وتسمى هجرة الايوليين واستوطنوا ترواده وما يليها وبعض جزائر البحر ومنها لسبوس وتنيدوس وبلغت حدودهم جنوبًا نهر هرموس قرب ازمير وسميت تلك الارض إيوليا

امر الايونيين في انكا

وقد ذكرنا ان الايونيين لما طُردوا من البلبنيسس لجأُوا الى أتكا وخالطوا اهلها. ثم انتقل قوم منهم الى اسيا واذ كان لهذا الامر علاقة باخبار اثينا حسن ان نذكرهُ بالاختصار فنقول

ثيسوس

قام في اثينا بعد ايام كيكروپس المار ذكرهُ بطل اسمهُ ثيسوس قالوا ان اباهُ پوسيدون اله البحر فذاع صيتهُ في الآفاق فاشبه هرقل بافعالهِ فسُمّي هرقل الاثينيين واعظم ما فعلهُ انقاذ وطنهِ من عبودية مينوس ملك كريت الذي كان قد حارب الاثينيين واخضعهم

مينوس ملك اكريت

واجبرهم على تقديم سبعة من احسن شبانهم وسبع من اجمل بناتهم كل تسع سنين يطرحهم الى حيوان مخيف مفترس احد نصفيهِ نصف انسان والآخر نصف ثور فيأكلهم ولما كبر ثيسوس وحان دفع هذا المفروض عرض ثيسوس نفسهُ للذهاب الى اكريت في جملة المدفوعين لذلك الحيوان عازمًا على ان يقتلهُ فلما وصل طلب ان يدفع اليهِ اولاً وكان مسكن الحيوان يسمى لابرنثوس اي الغازًا وهو تيهٌ مشتبك المسالك اذا دخلهُ احد لم يستطع الخروج منهُ فاخذ ثيسوس خيطًا وربطهُ الى شيء عند المدخل ثم مسكهُ باحدى يديهِ واستلّ سيفهُ بالاخرى ودخل ولما التقى بالحيوان هاجمهُ وقتلهُ ثم رجع مستدلاً بالخيط فنجا وانقذ اصحابهُ جميعًا من الموت وابطل ذلك الفرض الجائر ثم رجع الى اثينا فاكرمهُ الناس كل الاكرام وجعلوهُ رئيسهم وقيل انهُ أحكم سياستهُ فغلظ امرهم بعنايتهِ

١١. ولما هلك تقلبت احوال اثينا وحدث امور يضيق بها المقام. وقام بعد ذلك

ملك يسمى قدروس وفي ايامهِ هاجم الاثينيين الدوريون من البلبنيسوس وكادوا يدمرونهم الّا انهُ كان لهم من اله دلفي نبوة بانهُ لا يكون لهم ادنى نجاح اذا قتلوا قُدْروس فحذروا اذيتهُ وسمع قدروس بهذه النبوة ففرح على انفاذ بلادهِ بتعريض نفسهِ للهلاك فتنكر ودخل الى محلّة الدوريين فلم يعرفوهُ وخاصم بعضهم حتى اوقعوا بهِ وقتلوهُ ولما عرفوهُ رجعوا باليأس فاعتبر الاثينيون قدروس مزيد الاعتبار ومنعوا اسم ملك عن روسائهم بعد ذلك لكي ينفرد قدروس ويكرم كآخر ملوكهم . وقيل ان بعض بنيهِ سئموا الحال فعزموا على هجرة الوطن واجتمع اليهم جماعة من الايونيين وذهبوا الى اسيا واستوطنوا الشطوط جنوبي نهر هرموس المذكور الى جنوبي نهر مياندر وخيوس وساموس وغيرها من جزائر ايجيان وسمّيت هذه الهجرة هجرة الايونيين وسميت اراضيهم في اسيا ايونيا

قدروس

١٣. بقي ان نذكر هجرة الدوريين الذين ذهب قوم منهم من البلبنيسس الى اكريت ومنها الى رودس ثم الى كوس من الجزائر ثم الى شطوط كاريا من اسيا وسميت رودس نسبةً اليهم وكانت هجرة الايونيين اعظم من كل ما سواها وغلظ امرهم في اسيا حتى بلغوا المقدامية بين اليونان في اسيا وجزائر ايجيان وكان لهم اخص العلاقات باثينا ونتج عن ذلك نتائج ذات شأنٍ كما سياتي

هجرة الدوريين

١٤. هذه بعض الاخبار الاولى التي نصَّ عليها اليونان وقد سمّيناها خرافية لانها لم تثبت بالبراهين والشواهد ولا شك ان فيها شيئًا من الصحة لكن تمييز الصحيح من غيرهِ عسيرٌ وقد نظر فيهِ اصحاب التحقيق كثيرًا ولم يقدروا ان يجمعوا على راي ثابت ولذلك يكون من قبيل الجهل والمكابرة ان نبطل البعض ونثبت البعض الآخر لكن ذلك لا يستلزم تكذيب جميع هذه الامور فيجب ان نعلم ان اكثر اليونان في القديم اعتقدوا صحتها واعتمدوها ووثقوا بها حتى صدقوا الموهومات كاخبار الالهة واولادهم الابطال وهذه الاخبار اثّرت كل التأثير في اعمالهم الدينية والسياسية وفي حياتهم الشخصية والعامّة ولا نقدر ان نتصور احوالهم تمامًا ما لم نعلم شيئًا من هذه الاخبار ولذلك اوردنا ما اقتضتهُ الحاجة منها

خلاصة اخبار الازمنة الاولى

الفصل الثالث

في احوال اليونان عند ابتداء تاريخهم المحقق

١. يبتدئ تاريخ اليونان المحقق من سنة ٧٧٦ ق.م. وهي تاريخ الاولمبية الاولى والاولمبيات مدد كلٌّ منها اربع سنوات وسميت هكذا من العابهم المشهورة التي كانت تجري كل اربع سنين مرة في سهل اولمبيا في قطيعة إيليس وكان هذا السهل مقدسًا موقوفًا لزفس وكانت هذه الالعاب بمنزلة اعياد يحتفلون بها اكرامًا له فاشترك فيها جميع الهلينيين. وكانوا يصارعون في الميدان ويسابقون في مركبات الخيل. وكان من يغلب منهم في المصارعة ياخذ الجائزة وهي اكليل من زيتون كانوا يعتبرونهُ كل الاعتبار وكانوا يكرمون من يحصل عليهِ اكرامًا عظيمًا فيكرم بهِ وطنهُ ويحترمهُ اهلهُ مزيد الاحترام فامست هذه الالعاب عندهم من اعظم المهامّ حتى كانوا يبطلون الحرب في ايامها ويسالمون المدنة ليتمكن الجنود من الذهاب اليها ولذلك كانوا يكتبون اسماء الذين يغلبون فيها وظلوا ياتون ذلك منذ سنة ٧٧٦ ق.م. الى حين ابطالها وكانوا ينسبون كل الحوادث الى هذا التاريخ فيقولون ان الامر الفلاني حدث في السنة الثانية مثلاً من الاولمبية الفلانية فصارت الاولمبية الاولى مبدأً يورخون منهُ ولكن لا يلزم من ذلك نفي الاولمبيات قبل سنة ٧٧٦ ق.م. لجواز انها كانت ولم تسطر في الدفاتر وكانت لليونان العاب أُخرى منها البيثيَّة وكانوا ياتونها اكرامًا لابلون وسميت بالبيثيَّة لانهم لقبوهُ بالبيثي وكانت تجري كل اربع سنين ايضًا ومنها البرزخية وكانوا ياتونها على برزخ كورنثوس كل سنتين ومنها النميَّة وكانوا ياتونها في وادي نميا في قطيعة ارغلس قالوا ان هرقل قتل اسدًا هائلاً هنالك وكانت تجرى كل سنتين ولكن هذه الالعاب كلها كانت دون الاولمبية اعتبارًا

الاولمبيات

البيثية

البرزخية والنمية

٢. ومما أثَّر كثيرًا في امور اليونان معبد دلفي فانهم احترموهُ كل الاحترام واعتمدوهُ دلفي

واعتقدوا انهُ مهبط الوحي وان ابلُّون اوحى اليهم ان ينبؤُوا ولم يكن احد منهم يشك في صحة انبائهِ ولم يجسر احدٌ ان يخالف نبوءتهُ لكن انباءهُ كانت على غاية الابهام تحتمل معنيين او اكثر فخدع الناس بها كثيرًا وكثيرًا ما هلكوا لاعتمادهم اياها. ومع ذلك كانوا ينسبون الشر الى سوء التفسير لا الى اله المعبد او كاهنهِ. وهذا المعبد قديم العهد لم يعرف زمن انشائهِ وكان لهُ شورى معتمدين كانت ترسلهم قبائل الهلينيين وما كان لغير تلك القبائل حق في ذلك الارسال وكانت تجتمع اعضاء تلك الشورى مرتين في السنة وسميت شورى الامفكتيونيين ولم تقتصر على الاعتناء بمعبد دلفي بل كانت تنظر في امور السياسة احيانًا. وتعهدت القبائل المشتركة فيها انها لا تدمر مدينة يونانية حين الحرب ولا تقطع عنها الماء حين الافتتاح فاجتمعت كلمة اليونان في هذا الشان وفي امر الالعاب ولكنهم اختلفوا في سائر امورهم فكانت كل قبيلة بل كل مدينة تقريبًا مستقلة بنفسها. وكثيرًا ما كان احداها تقاوم الاخرى فنتج عن ذلك منازعات وحروب حتى حسب اليونان الحرب من احوالهم الطبيعية

سياسة اليونان ٣. وكانت سياستهم في الغالب جمهورية لكنها كانت جمهورية الخاصة في اكثر المدن ولا سيما مدن الدوريين وكانوا يبيعون اسراهم عبيدًا واجروا اكثر اعمالهم الدنيوية بواسطة العبيد فاصبحت امور الفلاحة والصنائع مكروهة عند الاحرار وبذلوا جلَّ عنايتهم في امور الحرب. وكان اليونان اربعة اقسام عند ابتداء التاريخ المحقق وهي القبائل الاربع المذكورة

القبائل الاربع اي الدوريون والأيونيون والأخائيون والأيوليون ولم يكن الاخائيون والأيوليون متميزين كالاولين فاكثر الحوادث تتعلق بالدوريين والأيونيين لان الفريقين كانا في سباق دائم الى الرياسة وكانا على خلاف في الطباع والعوائد والتهذيب فكان للأيونيين ميل شديد

الايونيون الى الحريَّة العامَّة في سياستهم وجعلوا جميع الرعية سواء فيها وكانوا أُباة متهذبين واشتهروا بالتاليف والتصوير والنقش وما اشبه ومالوا الى التجارة واغتنوا بتجارتهم ولم يكونوا اقوياء في الحرب الا بحرًا مالوا الى القصوف والترفُّه لكنهم احبوا الوطن وقاسوا اصعب المشاقّ في الدفع عنهُ. اما الدوريون فمالوا الى السياسة الخاصة دون العامة واعتبروا الرتبة

الدوريون والطائفة واستعبدوا الادنياء وقسوا عليهم ولم يتركوا لهم ادنى أمل للنجاة من عبوديتهم فكان من قوانينهم ان كل انسان يبقى على الحال التي ولد فيها ولم يعتبروا العلوم والفنون فوجَّهوا كل افكارهم الى الحرب وقصروا التهذيب على ان يجعلوا شبانهم جنودًا اشداء البأس ومالوا الى الرئاسة كل الميل ولم يحتملوا احكام غيرهم فصارت مهنتهم الوحيدة

الحرب وكانت عاصمة الايونيين اثينا وعاصمة الدوريين سبرطا وسنرى انهُ كانت لهاتين المدينتين اليد الطولى في امور اليونان



الفصل الرابع

في تاريخ البلپنيسُس من بداءة التاريخ المحقق الى حين الحروب الفارسيّة

١. مرّ ان الدوريين هاجوا هذه البلاد واستوطنوا ارغُلِس ولاكونيا ومسينيا وكان في كلٍ من هذه الاقسام قبيلة مستقلة وكانت عاصمة الاولى ارغوس وعاصمة الثانية سبرطا وعاصمة الثالثة مسيني . وبلغت سبرطا الدرجة العليا وعظم سلطانها كثيرًا حتى صارت راس البلپنيسس وكل بلاد اليونان تقريبًا. لكنهُ في زمان الاولمبية الاولى لم تكن الرياسة لها. فالظاهر ان أرغوس كانت اقوى منها فرأَست مدن الدوريين المجاورة حتى ادَّعت رئاسة الدوريين في كل البلاد ارغوس

فيدون ومن مشاهير ملوكها فيدون. قيل انهُ عاش في نحو سنة ٧٧٠ ق.م. وانهُ ادعى رئاسة اكثر البلپنيسس بناء على انهُ من نسل هرقل فطلب جميع املاكهِ وادعى حق السلطان على الملاعب الاولمبية بناء على ان هرقل انشأَها وكانت الرئاسة فيها حينئذٍ لاهل إيلس اذ كانت اولمپيا في ارضهم فسار فيدون الى اولمپيا في عسكرٍ وتقوّى على اصحابها واجرى الالعاب مرة عوضًا عن الايليين . اما سبرطا فلما لم تسلّم بهذا بعثت جنودها وساعدت الايليين فطردوا فيدون . وكان فيدون اوّل من ضرب النقود في بلاد اليونان ورتب الموازين والمكاييل والظاهر انهُ اخذها عن الفينيقيين الذين اخذوها عن اهل بابل وارتقت ارغلس مدة ملك فيدون وبلغت اسمى درجات عزها ثم هبطت الى دركات الهوان كما سيأتي في محلّهِ

سبرطا ٢. واخذت سبرطا ترقى في سلّم العظمة والسلطان وكانت علّة ذلك حسن سياستها

واحكام امورها الحربية ونسب ذلك الى رجل اسمهُ ليكورغُس عاش قبل الاولمبية الاولى على راجح الظنّ وكانت سبرطا مبنيّة على آكات قرب نهر صغير اسمهُ يوروتاس تحيط بها جبال صعبة المسالك وكانت المدينة مؤلّفة من خمس قرى لا اسوار لها متفرقة البيوت وفي وسط القرى برج على تلٍّ لم يكن لهم سواهُ من الحصون وكان في الوسط سوق كبيرة تؤدي اليها الطرق وازقة القرى بنوا حولها ابنيتهم المشيدة كالهياكل والاروقة التي وضعوا فيها تماثيل الآلهة والابطال المشهورين وكان ارباب السياسة والاحكام يجتمعون في تلك السوق والابنية المحيطة بها كل يوم وكان اهل المدينة دوريين كما مرّ ولم ينتشروا في الاراضي المجاورة كثيرًا مع انهم استولوا عليها لانهم جعلوا اهل البلاد الاصليين عبيدًا واجبروهم على حرث الارض وكل ذلك مثبت من قوانين ليكورغس. واختلف المورخون في امر هذا الرجل كثيرًا لبعد عصرهِ وعدم النص الصريح فيهِ. فقيل انهُ من النسل الملكي ولكن كان لهُ أخٌ اكبر منهُ فلم يكن لهُ حق في الملك وقد ذكرنا انهُ كان لسبرطا في اول امرها ملكان وكان هذا النظام جاريًا في نحو سنة ٨٣٠ ق م. ومات احد الملوك ولم يكن لهُ ولد لكنّ امرأتهُ كانت حبلى فلما مات بعلها عرضت على اخيهِ ليكورغُس ان يتزوجها ويملك وانها اذ وضعت ابنًا قتلتهُ. فأبى ليكورغس ذلك واقتنع بالوكالة على الملك فلما ولد ابن اخيهِ حفظهُ وربّاهُ فحقدت امهُ عليهِ ووشت بهِ الى الناس فهجر وطنهُ وبقي مهاجرًا عدة سنين وزار بلدانًا كثيرة ففسدت في غيبتهِ احوال سبرطا وسئم الناس تسلط الملكين. فلما رجع ليكورغس اخذ يصلح الامور فسرَّ بهِ الجميع ورتب لهم نظامًا جديدًا قيل ان الله دلهُ في حثّهِ عليهِ. ومما يستحق الاعتبار في نظامهِ انهُ عيّن لجنة مولفة من ٢٨ شيخًا ممن بلغوا الستين من الخاصة لتشارك الملكين في السياسة والاحكام وسن الشرائع وعين لجنة من عامّة الناس للنظر في امور السياسة لكنهُ لم يكن لها نصيب من سن الشرائع سوى التصديق لما تسنّهُ لجنة المشيخة او تلغيهِ. ثم انشئت لجنة ادارة مؤلّفة من خمسة نظار والظاهر ان العامّة كانت تنتخبهم ووُكِل اليهم ان يراقبوا جميع امور المدنية ويقاصوا المخالفين وان ينوبوا عن الملكين زمن التحام الحرب لانهما كانا حينئذٍ يقودان الجيوش فعظم سلطان هولاء على توالي السنين حتى فاقوا الملوك وتسلطوا عليهم ولعلهم قاموا بعد ايام ليكورغس

وصف سبرطا

ليكورغس وتنظيماته

المشيخة ومجمع العامة

النظار

٣. وكان للدوريين في لاكونيا ثلاث طوائف الاولى السبرطيون الخواص الذين اقتسموا الاراضي بينهم والثانية البِرِئيكيون وكانوا احرارًا لكنهم دون الخواص ولم يكن لهم

طوائف الدوريين

حتى في السياسة وسكن اكثرهم في قرى البلاد واعتنوا بالفلاحة والثالثة الملوتيون وكانوا عبيدًا يعملون في اراضي الخواص ويقدمون لهم حواصلها وكان الخواص لا يسكنون سوى سبرطا . وجعلهم ليكورغس رتبة خاصّة غير متغيّرة فمنعهم عن كل تجارة وحراثة وصناعة وعينهم لامور السياسة والحرب ولذلك اضطروا الى مزاولة الرياضة الشديدة من الصغر لكي يتمرنوا على الحركات الحربية واحتمال كل نوع من الشدة والاحتياج ويعتادوا كل ذلك حتى يكونوا كأنهم في حومة الحرب الدائمة

رياضة السبرطيين

ومنعهم ليعتنوا بهذه الامور تمام العناية عن كل عمل كما مرّ ولم يسمح لهم بسكن بيوتهم فجعل لهم موائد وبيوتًا عامّة حيث عاشوا واكلوا وناموا على السواء وكان على كل واحد ان يقوم بنفقة نفسهِ فان لم يمكنهُ ذلك حُرِم حقهُ من السياسة وكانوا يعيشون في سنن الاقتصاد حتى لم يعطوا كفافهم لكي يتعودوا الجوع على انهُ كان لكلٍّ منهم ان يسرق ما شاء من المأكولات حلالاً طيبًا اذا سنحت لهُ الفرصة لكن اذا عرِف امرهُ عوقب عقابًا شديدًا وكانت غاية ذلك ان يمهروا ويعتادوا الخداع لكي يسبقوا اعداءهم في الحرب والخلاصة ان غاية كل عوائدهم كانت جعل السبرطيين ابطالاً اشداء البأس في الحرب حتى لا يثبت احد امامهم فكانت الحرب مجدهم الاعظم وفضلوا الموت على الحياة مغلوبين وكانت نساؤُهم وامهاتهم يقلنَ لهم حين خروجهم الى الحرب ارجعوا حاملين اسلحتكم او محمولين عليها اي ارجعوا ظافرين او موتى

هذا اعظم ما نسبوهُ الى ليكورغس ولا نعلم يقينًا أ كل هذه القوانين وضع ام بعضها لأن اخبارهُ المحققة قليلة لكن تلك القوانين لا ريب في انها كانت جارية في اول زمان تاريخ السبرطيين المحقق ومن اعجب الامور انهم رضوا بها واحتملوها وذلك يدل على شدة ميلهم الى الحرب وهو ما يتضح جليًا من اخبارهم

الحرب المسينية الاولى سنة ٧٤٣ ق . م

٤ . ولا ريب ان شأن ذلك ايقاد نيران الحروب ولهذا ما لبث حتى انتشبت لهم حرب مع المسينيين وحمي وطيسها في سنة ٧٤٣ ق . م . وبقيت نحو عشرين سنة ولم تعرف اسبابها المعرفة التامة . والظاهر ان السبرطيين طمعوا في ارضهم فهاجموا المسينيين اولاً وافتتحوا مدينة إثومي عنوة وذبحوا اهلها . ثم قام المسينيون وبذلوا جهدهم وطردوا السبرطيين لكنهم رجعوا وقهروا المسينيين شيئًا فشيئًا حتى ترك هولاء ارضهم وتحصنوا في جبل اثومي فدفعوا هنالك عن انفسهم عدة سنين واشتهر ملكهم ارستوديموس ببأسهِ وشوكتهِ . وذبح ابنتهُ تقدمةً

تسليم المسينيين سنة ٧٢٤ ق٠م

للآلهة امتثالاً لامر اله دلفي فلم يحصل من ذلك على فائدة فقتل نفسهُ وتبدد المسينيون وسلموا للعدو سنة ٧٢٤ ق ٠م٠ وقوي السبرطيون عليهم واستعبدوهم حتى انتهزوا اول فرصة للخروج فعصوا وشبَّت نار الحرب الثانية في نحو سنة ٦٨٥ ق٠م٠ على ما قيل وبقيت نحو ١٧ سنة فاشتهر ارستومينيس احد ابطال المسينيين وكان من نسل ملوكهم فهزم

الحرب الثانية من سنة ٦٨٥ الى سنة ٦٨٦ ق٠م

السبرطيين مرارًا وقتل كثيرين منهم وخاطر في القتال كثيرًا حتى اسروهُ ثلاثًا لكنهُ افلت منهم وفي المرة الثالثة خذوهُ وخمسين من رفاقهِ ورموا بهم من شاهقٍ قرب سبرطا الى وادٍ تكتنفهُ صخور شامخة لا تسلك فهلك جميع رفاقهِ اما هو فنجا لكنهُ كاد يموت جوعًا اذ لم يستطع الخروج فاتفق ان مرَّ بهِ ثعلب فمسك ذنبهُ بيدهِ وتبعهُ الى منفذٍ صغير لم يُعرَف سابقًا فوسَّعهُ وهرب منهُ ولحق بقومهِ سالمًا وجدد الحرب فتضايق السبرطيون فتوسلوا الى اله دلفي وسألوهُ الفرج فامرهم ان يستدعوا قائدًا من اتكا ففعلوا كرهًا وخجلاً

ترتيوس

فهزئ بهم اهل اتكا وارسلوا اليهم قائدًا اسمهُ ترتيوس لم يختبر شيئًا من امور الحرب لكنهُ كان ماهرًا في الضرب على آلات الطرب والغناء فحمَّس السبرطيين بغنائهِ فتشجعوا وحملوا على اعدائهم وقهروهم فهرب المسينيون وذهب بعضهم الى سيسيليا واسسوا مدينة مسيني عند بوغازٍ يفصلها عن ايطاليا . اما ارستومينيس فلجأ مع قومٍ الى جزيرة رودس وخضعت مسيني لسبرطا الخضوع التامّ

٥. هذا ما ذكر من امر الحربين الاوليين من الحروب المسينية ولا ريب في ان سبرطا اخضعت مسيني وطردت اهلها وذلك بعد ما ينيف على مئة سنة من الاولمپية الاولى وبذلك عظمت قوة سبرطا وذاع صيتها في الآفاق

ولم تقتصر على محاربة المسينيين فقاتلت الاركاديين والارغليين وكانت بلاد الاركاديين

اركاديا وخضوعها لسبرطا

في وسط البلبونيسس لا تمس البحر تحيط بها الجبال من كل جهة وتتشعب فيها فلذلك كانت وعرة صعبة المسالك وكان الاركاديون فلاحين غير مهذبين لكنهم اهل شجاعة دفعوا عن وطنهم بنشاط وجاهدوا جهادًا طويلاً شديدًا بقي سنين كثيرة وكانت مدن الاركاديين قليلة لان اكثرهم سكنوا القرى وكان اقوى مدنهم منتينيا وتجيا والثانية اقوى من الاولى فانها قاومت سبرطا اشد مقاومة ولم تخضع لها تمام الخضوع الا انها سمحت في نحو سنة ٥٦٠ ق ٠م٠ باستيلائها على جنوبي اركاديا وبرياستها بين شعوب البلبونيسس وعظمت على ارغلس واخذت بعض الاراضي والقرى منها وكانت ارغوس عاصمتها اقوى

من سبرطا كما ذكر فقاتلتها ودافعتها كثيرًا. قيل اتفق الفريقان يومًا على ان يختار كل منهما ٣٠٠ رجل يتحاربون فتكون النصرة للفريق الذي تغلب رجالهُ وتنتهي بذلك الحرب فلما تقاتلوا قتلوا سوى اثنين من الارغيين وواحد من السبرطيين فلم يسلّم احد الفريقين بالغلبة فاضطروا ان يتحاربوا كلهم فانتصر السبرطيون اخيرًا وثبت حقهم في الاراضي التي كانوا استولوا عليها غير ان ارغس بقيت مستقلة وحقدت على سبرطا كل الحقد وكانت راغبة في مقاومتها متوقعة كل فرصة لها — حرب ارغوس

فعظمت سبرطا شيئًا فشيئًا الى ان سلم الناس بقوتها واوليتها بين اهالي البلوبونيسس بل بين جميع اليونان. فلما هاجم كورشُ كريسسَ ملك ليديا كما مرَّ فاحتاج الى مساعدة اليونان بعث الى سبرطا معتبرًا انها اول مدنهم واعظمها قدرةً — متقدمية سبرطا

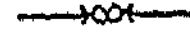
اما بقية مدن البلوبونيسس المشهورة فمن اعظمها كورنثوس ولا نعرف من امرها شيئًا قبل مهاجمة الدوريين واستيلاء بعض الهرقليين عليها وقيل ان اثني عشر ملكًا منهم ملكوا كورنثوس نحو ٣٢٧ سنة ثم ابطلوا الملك واخذوا ينتخبون كل سنة رئيسًا سموهُ بريتنس لكنهم كانوا ينتخبونهُ دائمًا من البكياديين وهم فرع من الهرقليين كانوا يفتخرون بمقامهم وازدروا بعامة الناس فضجروا منهم فقام كبسلوس وعزل عشيرة البكياديين واتخذ الملك لنفسهِ وسمي تيرانُّس اي مطلق الحكم فدبَّر الامور بالحكمة فسرَّ بهِ الناس. وملك من سنة ٦٥٥ الى سنة ٦٢٥ ق.م. ثم خلفهُ ابنهُ بريانْدر وملك اربعين سنة واشتهر بقوتهِ وعلمهِ واعتنائهِ بالعلوم لكنهُ كان ظالمًا فاجرًا كرههُ الناس حتى اولادهُ. قيل انهُ قتل امرأتهُ ولما عرف ابنهُ بذلك وبخهُ اشد توبيخ فطردهُ ابوهُ فبقي منفيًا الى ان شاخ بريانْدر وقد ابغضهُ الناس كثيرًا فاستدعى ابنهُ وكان في جزيرة كركيرا الى الشمال الغربي من بلاد اليونان واصل سكانها من كورنثوس فلم يرد ابنهُ ان يرجع الى بيتهِ ولما ايقن ابوهُ الشر من اهلهِ قال لهُ انهُ يهب لهُ حكم كورنثوس فلما علم اهل كركيرا بما قصدهُ بريانْدر قتلوا ابنهُ لئلاَّ يأتي الشيخ المخيف المكروه الى جزيرتهم ولما سمع بريانْدر بما كان انتقم منهم نقمة شديدة وهلك سنة ٥٨٥ ق.م. وخلفهُ ابن اخيهِ ولم يبقَ الاَّ ثلاث سنين وقيل ان السبرطيين عزلوهُ وكانت كل مدة ملك هولاء الثلاثة ٧٣ سنة ومع انهم كُرهوا لشدة ظلمهم عظم شان كورنثوس بعنايتهم فكان لهم من الاملاك جزيرة كركيرا وامبراكيا وأپيدمنوس ولوكاس في الشمال وپتيديا على البحر في مكدونيا ومدينة سرَقوسا في سيسيليا واتسعت تجارتها كثيرًا وتقوت بحرًا واوقدت وطبس

كورنثوس — كبسلوس — بريانْدر — قوة كورنثوس وامتداد سلطتها

الحرب بحرًا مع كركيرا في نحو سنة ٦٥٠ ق.م. وهي اول حرب بحرية ذكرت في تاريخ اليونان

سكيون وكانت في شمالي البلبونيسس وغربي كورنثوس مدينة اخرى معتبرة اسمها سكيون كان لها من سلطة الملوك التيرانيين الظالمين ما كان لكورنثوس ولا محل لذكر امورها هنا .

مغرا وهنالك مدينة مغرا في قطيعة مغرا على برزخ كورنثوس بينها وبين اتكا استولى عليها التيرانيون فصعب على الناس ظلمهم فقاموا عليهم وطردوهم لكنَّ مغرا كانت قوية مدةً فقاومت اثينا اشد مقاومة في جزيرة سلاميس كما سيذكر. وقد راينا ان التيرانيين استولوا على جملة من مدن اليونان في القرن الثامن والقرن السابع ق.م. ثم طُرِدوا وابغضهم اليونان شديدًا وكرهوا الملوك حتى لم يخضع لهم بعد ذلك سوى السبرطيين



الفصل الخامس

في تاريخ اثينا وما يتعلق بها الى حين الحروب الفارسية

١. كانت اثينا عاصمة اتيكا واول مدينة لليونان بهجةً وعلمًا غير ان سبرطا سبقتها قوةً وقهرتها في الحرب اما موقعها ففي السهل على أمد نحو اربعة اميال من البحر لكنهُ كان في وسط المدينة بعض تلال منها الاكروُبلس طوله نحو ٨٠٠ قدم وعرضهُ اربع مئة قدم وهو عالٍ جدًّا فكان الذين ياتون المدينة بحرًا او برًّا يرونهُ من بعيد وكان عليهِ احسن ابنيتهم كهيكل اثينا المسمى البرثنون وهو مجد اثينا واحسن ما بني في كل بلاد اليونان وكان فيهِ تمثال لاثينا من العاج والذهب علوهُ ٤٠ قدمًا وكان هذا التل حصنًا عليهِ ابنية اخرى فاخرة وكان هنالك تل آخر اسمهُ اريوس باغوس يجتمع عليهِ ديوان المشيخة الذي عُرِف بديوان اريوس باغوس وهنالك وقف بولس يوم خاطب الاثينيين وعلى القرب منهُ تلٌّ

آخر اسمهُ البِنِكس اعتاد عامة الناس الاجتماع اليهِ لقضاء امورهم السياسية وهناك خاطبهم فصحاء الخطباء كديموستنيس وإيسخينيس وغيرهما ممن عجب بكلامهم العالم منذ ذلك العهد الى هذا اليوم. وكان في اثينا شارعٌ عظيم يحيط بهِ ابنية فاخرة. وكان في ضواحيها كثير من امثال تلك الابنية فبلغ بها منظر المدينة الغاية من الحسن والبهجة. وكانت فرضتها مدينة تسمى البيريوس بينها وبين اثينا طريق بين سورين عاليين قويين فكانت بهما المدينتان كواحدة فلم يقدر العدوّ ان يفتحها والحقّ ان اثينا كانت مدينة عظيمة مزينة اكثر من جميع مدن اليونان حتى قال بعضهم من لا يريد ان يرى اثينا فهو غبيٌّ ومن رآها ولم يسرَّ ويبتهج بمنظرها فهو اغبى ومن رآها وعجب بها ثم تركها فهو احمق — وصف اثينا

٢. واخبار هذه المدينة قبل سنة ٦٠٠ ق. م. قليلة وقد ذكرنا بعض الامور الخرافية المتعلقة بها من قديم عهدها الى حين موت قدرُوس. قيل ان قدروس هلك سنة ١٠٥٠ ق.م. لكن ذلك لم يحقق ولم يريدوا ان يبايعوا ملكًا بعدهُ فاقاموا ارخونًا اي حاكمًا او واليًا وكانوا يختارونهُ من عشيرة قدروس عدّة قرون. وفي نحو سنة ٧٥٢ ق. م. غيّروا الترتيب واخذوا ينتخبون كلًّا من الاراخنة لعشر سنين فقط وبقي هذا الترتيب الى سنة ٦٨٣ ق. م. ومن ثم اخذوا ينتخبون تسعة اراخنة كل سنة من رتبة الاشراف وكان لثلاثة من هولاء التسعة اعمال خاصّة وكان اكثر السياسة بايديهم والباقون بمنزلة قضاة وانقسم الشعب الى اقسام شتّى منها الخاصّة والصنّاع والتجار والفلاحون وكانت السياسة كلها بيد الخاصة لان الاراخنة كانوا منهم وكان اعضاء ديوان اريوس باغوس المذكور من الخاصة ايضًا والظاهر ان الخاصة ظلموا الناس وحكموا كما شاء الهوى اذ لم تكن الشرائع مكتتبة فاجبروهم على ان يعيّنوا رجلًا يسنُّ الشريعة فيعلم كل انسان ما هي ويحكم عليهِ بموجبها فعيّنوا لذلك رجلًا عادلًا حسن السيرة اسمهُ دراكو فسنَّ لهم شريعة قاسية اوجب بها شديد العقاب على كل ذنب فكان يحكم بالموت على السارق والكسلان ومن ليس لهُ مهنة وكان ذلك نحو سنة ٦٢٤ ق.م. فلم يحتمل الناس هذه الشريعة فقاموا على دراكو وطردوهُ ونفوهُ فاضطربت احوال السياسة ثانية ونحو سنة ٦١٢ ق. م. ثار رجل يقال لهُ كيلون واجتمع اليهِ قوم واستولوا على الأكْرُبلس وتوقعوا انهم يخضعون المدينة كلها فقام اهل المدينة وحاصروهم حتى جاعوا ومات بعضهم فسلموا لكن كيلون انسل من بينهم واستأمن الباقون وسلموا لمِغَكليس احد الاراخنة فأمر بقتلهم حالما نزلوا من الاكربلس وكان ذلك حرامًا

(الحواشي: العوامة؟ — الاراخنة — الطوائف — دراكو — فتنة كيلون)

قتل العصاة حراماً — واحرم منهُ انهُ قتل من لجأ منهم الى احد الهياكل حيث لا يجوز قتلهم ولو كانوا مذنبين فهاج الناس لهذا الفعل الشنيع ولكي يطهروا المدينة من الحرام حكموا على مغكلس وعشيرتهِ بالنفي وكانت عشيرة الأَلكميونيين وهم من جلَّة اليونان وكان لهم بعد ذلك شان عظيم في امور اثينا . ثم اصيبت اثينا بطاعون فعدُّوهُ قصاصًا من قِبَل الالهة لانهم اغتاظوا مما جرى ولما لم يقدر الاثينيون ان يرضوهم بالذبائح استدعوا من كريت رجلًا يُسمَّى بوميندِيس ادعى النبوَّة والحكمة وعلم اسرار الالهة ووسائل ارضائهم فاتى وسكَّن روع الناس بكلامهِ وبنى هياكل جديدة وقدَّم ذبائح خاصة فاعتقدوا انهُ طهر المدينة بذلك فلما اكمل عملهُ رجع الى وطنهِ ولم يقبل ادنى اجرة على خدمتهِ

بوميندِيس

٣ . ونحو هذا الزمان ذلَّت اثينا كثيرًا لمخاصمات جرت بينهم وبين مغرا في شان سلامس وهي جزيرة تجاه ارض اتكا الظاهر انها كانت لاثينا سابقًا فطرد المغريون الاثينيين منها فاجتهد هولاء ان يسترجعوها فما استطاعوا فسئموا ذلك القصد وحكموا بالموت على من يذكرهُ او يحثهم ان يجددوا الحرب وكان منهم رجل من نسل الاشراف اسمهُ صولون فخجل مما حدث وعزم على دفع العار عن مدينتهِ فتظاهر بالجنون واسرع الى السوق وتلا على مسامع الناس قصيدة الفها في شان سلامس فقبل ان انتهى هاج السامعون من فصاحتهِ واظهارهِ الحق فاقاموا وابطلوا حكمهم المذكور وعزموا على استئناف الحرب وعيَّنوا صولون قائدًا فيها فنجح امرهُ وعظم بأسهُ حتى طرد المغريين وثبت حق اثينا في الجزيرة فاكرم اعظم اكرام ولما كثر القلق والضيق في امور المدينة الداخلية اجمع الناس على تعيينهِ لاصلاحها سنة ٥٩٤ ق . م . واشتد الضيق بسبب شريعة الدين القاسية لان الربا كان زائدًا وكان الدائن اذا لم يستطع المديون الايفاء يبيعهُ واولادهُ فصار كثيرون من الفقراء عبيدًا للاغنياء واشرف كثيرون على ذلك النصيب عينهِ ولما القوا الى صولون مقاليد الامور اعتنى اولًا بالمديونين وحرَّرهم جميعًا ومنع عبودية الدين وسهل للمديونين ايفاء ديونهم بان خلط فضة الدراهم بالنحاس وغيرهِ وجعلها بقيمة الفضة الخالصة فنزلت قيمة المئة الى ثلاثة وسبعين

سلامس

وصولون

سنة الشرائع سنة ٥٩٤ ق.م

رتب صولون — ٤ . ثم رتَّب صولون الناس باعتبار اموالهم فكانوا اربع رتب الاولى من كان ايراد كل منهم في السنة ٥٠٠ كيل فاكثر من الحنطة والثانية من كان ايراد كل منهم ٣٠٠ كيل فاكثر الى ٥٠٠ والثالثة من كان ايراد كل منهم ٢٠٠ كيل فاكثر الى ٣٠٠ والرابعة

من كان ايراد كل منهم دون ذلك . اما حقوق هذه الرتب السياسيَّة فهي انهُ كان للاولى جميع المناصب السامية وللثانية والثالثة ما كان دونها . اما الرابعة فحظر عليها المناصب وجعل لها حقًّا في الانتخاب فكان للعامة مجمع ينتخبون فيهِ ارباب المناصب ويحاكمونهم فيهِ اذا جاروا عن طريق الحق . وكان قواد الجيش العظام من الرتبة الاولى والفرسان من الثانية والمشاة الكماة من الثالثة وبقية المشاة من الرابعة فكان من هذا الترتيب ان الادنياء من الاغنياء بلغوا المناصب العالية والافاضل من الفقراء هبطوا الى حضيض الهوان لكن تلك الحال لم تدم وفتح باب الارتقاء للجميع فان صولون انشأ مشيخة جديدة غير مشيخة اريوس باغوس جعل عدد اعضائها ٤٠٠ ينتخبهم مجمع العامة من الرتب الثلاث الاولى وكان من واجبات هولاء الاعضاء ان يعينوا اجتماعات مجمع العامة ويقدموا له مواضيع البحث ويقوموا باجراء الاحكام فصار للعامة حظًّا كبيرًا في السياسة والحق انهُ هو الذي وضع اساس جمهورية اثينا التي بلغت اعلى مراقي المجد بعد ذلك على ان صولون لم يقصد بما اتاهُ سوى ان ينصف الخاصة والعامَّة معًا ويحفظ السلام بين الفريقين ولم يخطر في بالهِ انهُ سينتج عنهُ الحكم الجمهوري فانهُ باطلاقهِ بعض عنان الاختيار للعامة مهد لهم سبيل الفوز والنجاح فجروا فيهِ الى ان بلغوا كامل الاختيار السياسيّ

الجيش — المشيخة — انشاء الجمهورية

٥ . وابقى صولون طوائف الشعب القديمة المسماة القبائل الاربع التي هي سكان اتكا الاصليون ولم يدخل فيها الاجانب الذين استوطنوها حديثًا وكان جميع اصحاب المناصب من هذه الطوائف الاصلية لكن صولون سهل الدخول لاصحاب الصناعة الى اثينا اذ اراد ان ينشئ فيها الاعمال النافعة ومنع ارسال حاصلات الارض سوى الزيت الى الخارج بغية ان تبقى اسعارها معتدلة او ان يكسد سوقها فيرغب الناس في الصناعة ومن اغرب ما اتاهُ انهُ اوجب على كل انسان اذا حدثت ثورة ان يتحزب للحكومة او عليها وان من بقي على الحيادة مُنع من كل حق في السياسة ووجب عليهِ الذل والهوان وجاء ذلك ليجعل الناس يلتفتون الى السياسة متيقنًا ان اكثرهم يتحزبون للحكومة وقت الخيانة فلا يفوز العصاة

منع الحيادة في الثورة

٦ . وبعد ان فرغ صولون من قوانين السياسة استحلف الناس على انهم يحفظونها تمام الحفظ عشر سنين ليمتحنها احسن امتحان ثم سافر وبقي كل المدة المعينة غائبًا لئلاَّ يضجروا ويطلبوا اليهِ ان يغير شيئًا من تلك القوانين معتقدًا انها تنفعهم اذا اهتموا بالسير في

سفر صولون

سنتها وذهب في تلك الغيبة الى مصر وقبرس واسيا وقيل انهُ زار داركريسس ملك ليديا وحدث ما حدث من امرهِ كما مر (انظر تاريخ الفرس ف ٢ رقم ٣) ولم يوثق بهذه القصة لان سفر صولون لم يكن في عهد الملك كريسس

٧. ولما رجع صولون الى الوطن وجد الناس في قلق واضطراب وقد انقسموا فصاروا ثلاثة احزاب رئيس الاوّل ليكورغس ورئيس الثاني مغكليس ورئيس الثالث بيسستراتس وكان حزبهُ من الفقراء فشرع صولون يسعى في اصلاح ذات البين بين الاحزاب فلم يسمعوا لهُ بل زادت المشاجرات ودبَّر بيسستراتس حيلة بها يتقوّى على الجميع فدخل المدينة يومًا يسوق بغلاً وكان قد جرح نفسهُ فأتى السوق ودمهُ يسيل وادعى ان اعداءهُ اوقعوا بهِ فطلب الى الناس جنودًا يصحبونهُ لئلاً يقتلوهُ فاعطوهُ ولما تمكن من ذلك واشتد حزبهُ استولى على الاكربلس وتحصَّن هناك لمخافة الناس وهرب روساء بقية الاحزاب ولم يقم احد لمقاومتهِ الاَّ صولون فبذل كل جهدهِ مع انهُ كان قد طعن في السن في ان هاج ليحملهم على القيام بواجباتهم واخضاع اعداء المدينة اذ علم ان بيسستراتس قصد اختلاس الملك فلم ينتدبوا لهُ وخضعوا للمختلس فتولى الملك واستبد بهِ طويلاً وكان ذلك سنة ٥٦٠ ق.م. ولم يعاقب بيسستراتس صولون شيئًا مع انهُ جاهر بعداوتهِ ومقاومتهِ اذ رأى جميع الناس يعتبرونهُ مزيد الاعتبار ومات بعد قليل من ذلك وعمرهُ ٨٠ سنة ولا ريب في انهُ كان من احسنهم وعمل خيرًا عظيمًا لوطنهِ فلقبوهُ بالحكيم وكان يستحق هذا اللقب اكثر من غيرهِ في ذلك العصر

بيسستراتس الملك سنة ٥٦٠ ق.م

٨. اما بيسستراتس فلم يملك بسلام لان مغكليس وليكورغوس المذكورين اتحدا فقويا عليهِ وطرداهُ لكنهما لم يقدرا على الاتفاق الاَّ مدة قصيرة فتشاجرا واغتاظ مغكليس فسأل بيسستراتس المطرود ودفع اليهِ الملك على شرط ان يتزوج ابنتهُ ففعل ورجع الى المدينة كما يأتي وهو انهُ اخذ امرأة طويلة موقرة المنظر والبسها ما جعلها كالاهة اثينا ثم اجلسها على يمينهِ في المركبة ودخلا المدينة معًا والسعاة امامهما ينادون الالاهة الحافظة المدينة قد ارجعت ملكها المطرود اذ فضلتهُ على جميع الناس فتعجبوا وصدَّقوا وقبلوهُ بكل خضوع فملك ثانية لكنهُ لم يمكث حتى خاصم مغكليس وقد حالف حزب ليكورغس ثانيةً فطُرد بيسستراتس مرةً اخرى فذهب الى جزيرة يوبيا وبقي هناك عشر سنين يدبر الاحوال للرجوع الى اثينا ثم استاجر عسكرًا وهاجم المدينة ولما خرج اعداؤهُ للقتال شتت شملهم حالاً ودخل منصورًا

طردهُ ثم استرجاعه

ثم طردهُ ورجوعه ايضًا

وتمكن من التسلط عليها واستبد بذلك الى ان مات وذلك سنة ٥٢٧ ق م. وكان لطيفًا عادلاً اعتنى بنجاح المدينة كثيرًا وقام بنصرة العلوم وهو اوّل من جمع اشعار هوميروس الشهير وكتبها وصححها وكانت تتداولها يومئذٍ الالسنة — موته سنة ٥٢٧ ق م

٩ . وبعد ان هلك بيسستراتس استولى الملك ابناهُ هپارْخوس وهبياس ولم يتصرفا بالحكمة كما فعل ابوهما فلم يلبثا حتى هاجت عليهما الفتنة وكان سببها ان هپارخوس اهان شابين اسم احدهما هرْموديوس واسم الآخر أرستغيتون اهانة شديدة فدبرا لهُ ولاخيهِ مكيدة وآزرهُ جماعة واتفقوا انهم يقومون على الظالمين في يوم عيد لاعتقادهم ان الناس ينتدبون اليهم اذا تحققوا هلاك الظالمين لكنهُ لما كان العيد انكشف الامر قبل بلوغ الغاية لكن هپارخوس قتل وبقي هبياس وحدهُ فانتقم لاخيهِ نقمة شديدة وقتل كل من اتهم بان لهُ ادنى علم بالخيانة وظلم الناس اكثر من ذي قبل كانهُ احتسب الشر منهم على الدوام فقصد تخويفهم بذلك فسئموا حكمهُ كثيرًا فهاج الالكميونيون المنفيون الذين ذكرناهم وراموا طردهُ فبرطلوا كاهنة دلفي على ان تساعدهم وكانوا قد ارضوا اصحاب الهيكل احسن ارضاء بان بنوهُ بعد احتراقهِ واحكموا بناءهُ وزادوا على المطلوب بان زخرفوهُ خير زخرفة فسرّ بهم اصحابهُ . فلما سألوا المعونة على طرد هبياس اجابت الكاهنة وكانت تحث السبرطيين فكانت كلما اتى منهم احد ليستشيرها في امرٍ تقول لهُ يجب ان تحرّر اثينا وظلت تاتي ذلك حتى قاموا بما قالت اذ كانوا يعتقدون ان قوة اله دلفي عظيمة فبعثوا جيشًا الى اثينا ففشلوا لكنهم رجعوا وتحزب لهم الالكميونيون فطردوا هبياس بعد حرب قصيرة واخضعوا قومهُ سنة ٥١٠ ق م. وحدث هذا لمضي نحو ٥٠ سنة من اختلاس ابيه — ظلم هبياس — وطرده

١٠ . وبعد هذا تنازع رجلان في السياسة وهما إسغراس وكلَيسثْنيس وكان الاول من حزب الخاصة والثاني من العامة من عشيرة الالكميونيين فتحزبوا لهُ فتقوى وطرد إسغُراس وتولى السياسة واتى تغييرًا عظيمًا فيها حتى صارت جمهورية محضة . فانهُ اباد القبائل الاربعة القديمة التي كان منها جميع الذين لهم حق الملك واقام عشر قبائل عوضًا عنها تشتمل على كل الناس سوى العبيد وساوى الجميع في حقوق السياسة وقصر انتخاب الموظفين على مجمع العامة واجاز ان يقع الانتخاب على من أُريد خلافًا لشرع صولون وزاد عدد المشيخة حتى صار اعضاؤُها ٥٠٠ من كل قبيلة ٥٠ وشد ازر مجمع الدرن فقويت شوكتهُ وابطل اكثر حقوق الاراخنة ولم يبقَ لهم غير القضاء في بعض الدعاوي وعين ان — سياسة كليسثنيس

ينتخب كل سنة عشرة قواد للمشاة واثنان للفرسان جعل لهم سلطانًا على الحرب وامور السياسة الداخلية والخارجية ومن اهم قوانين كليستنيس واعجبها الأُستراسموس وهو طريقة نفي من ارادوا نفيهُ. وخلاصتها انهُ اذا وقعت مشاجرات في المدينة ادَّت الى الفتنة عيَّن المجمع يومًا فيهِ يقدم جميع الرعايا للحكومة اسم من ارادوا ان ينفوهُ فاذا بلغ عدد اصوات الموجبين لنفي الشخص الواحد ٦٠٠٠ صوت نفي عشر سنين لكنهم انقصوا تلك المدة بعد ذلك فكانت خمس سنين وكانوا يقدمون الاسماء على قطع من الصدف المسمّى في اليونانية أُستراكون ومنهُ اتخذوا اسم هذا القانون وفائدتهُ انقاذ انفسهم من مكايد الاقوياء قبل ان تبلغ اعمالهم ما يستلزم الحكم عليهم شرعًا ونرى فائدة ذلك القانون الاحتياطي من انهُ لم يختلس ملك اثينا قط مدة بقائهِ

١١. ولما وجد إِسغراس انهُ لم يتقوَّ على خصمهِ استدعى السبرطيين لمساعدتهِ فاتى كليومنيس احد ملوكهم بالجنود وطردوا كليستنيس و٧٠٠ عائلة من حزبهِ لكنَّ الناس قاموا على السبرطيين وضايقوهم لانهم كانوا قليلين ثم اسروهم لكنهم اطلقوهم واسغراس معهم ثم استرجعوا كليستنيس والمنفيين فغضب كليومنيس شديد الغضب وحشد جيشًا من اهلهِ واعوانهِ لمحاربة اثينا ولم يخبرهم بمقصدهِ ولما وصلوا الى اتكا وعرفوا المقصد كرهوهُ وابوا ان يحاربوها فاضطر الى الرجوع وكان قد استجاش الثيبيين واهل جزيرة يوبيا فاستبدوا بالحرب وكان الثيبيون قد غضبوا شديدًا على اثينا لانها كانت قد خفرت مدينة پلاتيا من بيوتيا ورفضت سلطة ثيبة فاوقد الثيبيون نار الحرب لكنهم انهزموا شرَّ انهزام وكذلك اهل يوبيا واخذت اثينا بعض اراضي الجزيرة واسكنتها جماعة من فقراء اثينا اما الثيبيون فظلوا يحاربون ويفشلون حتى هيجوا جزيرة اجينا فارسلت بوارجها لتخرب شطوط اتكا فنشأ عن ذلك عداوة شديدة ن الفريقين ادَّت بعد ذلك الى اشد نقمة وخجل السبرطيون من خسرانهم وبذلوا جهدهم في تهييج اعوانهم على اثينا فاستدعوا هپياس الظالم الذي طردوهُ كما ذكرنا اذ عرفوا حيلة كامنة دالتي في تحريكها اياهم على طردهِ فجمعوا اهل الپلوپنيسس الى سبرطا ليبحثوا عن امر ارجاعهِ الى اثينا غصبًا لكنهم لم يوافقوا السبرطيين في ذلك فاجبروا على ان يتركوا مقصدهم واستراحت اثينا منهم وتقوَّت وتقدمت بواسطة قوانينها الجمهورية الى زمان الحروب الفارسية وهنالك اظهرت بأْسها العظيم كما سياتي في محلهِ

طرد السبرطيين كليومنيس

رجوعه

حرب يوبيا واجينا

الفصل السادس

في احوال بعض قبائل اليونان غير المذكورة قبل الحروب الفارسية

١. منها البيوتيون وعاصمتهم ثيبة وكانت على نوع من الرئاسة على بقية مدن بيوتيا لكن لم يكن بين تلك المدن الاتحاد التام ولم تستطع ثيبة ان تخضعها مع انها ادعت التسلط عليها كما راينا في خبر بلاتيا يوم استغاثت اثينا فاشتد الخلاف بين مدن بيوتيا ولم تتقدم كثيرًا او تبلغ شيئًا من الاعتبار ثيبة

٢. ومنها فوكس وكانت على غاية الاعتبار لان معبد دلفي كان في ارضها وهذا المعبد كان يزيد احترام جميع اليونان له على توالي الايام وكان الناس يترددون اليه من اطراف تلك البلاد والجزائر والبلدان البعيدة وكان على شاطئ خليج كورنثوس الشمالي مدينة تسمى كرّا وهي فرضة دلفي فكان الذين ياتون بحرًا يمرون فيها. وكان سكانها ظالمين خاطفين اعتدوا كثيرًا على الزائرين حتى اغتصبوا النساء فاغتاظ من ذلك مجمع الامفكتيونيين واشهر الحرب على كرّا واستدعى اليونان ليحاموا عن هيكلهم والعباد وكان اشد المعتمدين في ذلك صولون الحكيم فاجتمعت الجيوش وقاتلوا اهل كرّا فدافعوا عن انفسهم بنشاط فبقيت الحرب عشر سنين فضربوا في تلك المدة كرّا واوقفوا اراضيها لاله دلفي ومنعوا فلاحة تربتها فبقيت مرعى للمواشي وكان فيها سهل متسع انشأوا فيه الملاعب البيثية اكرامًا لابلون كما ذكر. وسمّيت هذه الحرب الحرب المقدسة الاولى وحدثت في سنة ٥٩٥ ق.م. وبقيت الى سنة ٥٨٥ ق.م.

الحرب المقدسة الاولى سنة ٥٩٥ الى سنة ٥٨٥ ق.م

٣. ومنها تساليا وتاريخها قبل الحروب الفارسية سقيم وامورها في ريب. قيل ان قومًا من ابيروس هاجموها واخضعوا اهلها وجعلوهم عبيدًا وكانت سياستها كثيرة التشويش فلم تتقوَّ مع انها كانت مشهورة بفراسة فرسانها وكان من المتسلطين فيها عشيرة الاليوادي ادعت انها من نسل هرقل وكانت عاصمتها مدينة لاريسا. ومنها ابيروس وكان سكانها

كالبرابرة واشهر قبائلها المولُسّيون ادّعى ملوكهم انهم من نسل أخِلّيس البطل المشهور وسيأتي نبأ بعضهم في موضعهِ ايبروس

٤. وبقية قطائع اليونان لم تكن معتبرة قبل عهد الحروب الفارسية اي قبل سنة ٥٠٠ ق.م. فلا نلتفت الى انباء لوكْرِس وإيتوليا وأكَرْنانيا. وكان بعض المهاجر في الجزائر وأسيا وإيطاليا وسيسيليا على درجة من الارتقاء وذا علاقة عظيمة باحوال اليونان. ومنها جزيرة كُرْكيرا المذكورة وتسمى الآن كرفو انتقل اليها قوم من كورنثوس في اواسط القرن الثامن قبل الميلاد قيل انهم كانوا ذاهبين الى سرَقوسا في سيسيليا ولما مروا على كركيرا استحسنوها فسكنها بعضهم فنجحت امورهم التجارية وزادوا سلطةً على البحر ووقعت الوحشة بينها وبين كورنثوس واشتدت العداوة والتحمت الحرب بينهما في نحو سنة ٦٦٤ ق.م. لاختلافات بينهما في مدن على البر اشتركت في تاسيسها كركيرا وكورنثوس وكانت الحرب بحرًا فلم تقدر كورنثوس على اخضاعها فاتت تلك العداوة بشرّ العواقب كما سترى كركيرا

٥. واقدم المهاجر اليونانية كومي على الشط الغربي في ايطاليا في قطيعة كامپانيا ولم يعرف العهد التي سكنت فيهِ وظن بعضهم انها سكنت منذ ما ينيف على ١٠٠٠ سنة ق.م. وسكنها اناس من كومي في اسيا مع قوم من خَلْكِس في بوبيا ونجحت وزهت مدة قرون كثيرة

وكان اعظم مهاجر اليونان في جزيرة سيسيليا واول المهاجرين اليها من خلكس ونكسوس اقاموا على الشط الشرقي جنوبي بوغاز سيسيليا قرب جبل اتْنا وسموا مدينتهم نَكسوس وكان ذلك سنة ٧٣٦ ق.م. وفي السنة التالية اتى قوم من كورنثوس في مقدمتهم واحد من خاصتها يسمى أرْخِياس نفي لافعالهِ الردية ونزل مع قومهِ في جزيرة أُرْتِجيا وهي جزيرة صغيرة على الجانب الشرقي من سيسيليا. وبنوا هنالك مدينة سرقوسا فاصبحت اعظم مدن سيسيليا. وبعد نحو خمس سنين بنى اهل نكْسوس نتيني وكَتّنا بين نكسوس وسرقوسا وبعد نحو اربعين سنة نزل قوم في النواحي الجنوبية الغربية من سيسيليا وبنوا جيلا وغيرها. فكثرت مدن اليونان في الجزيرة واشتهرت كثيرًا

٦. وكانت سرقوسا اعظم هذه المدن واشهرها وبها تتعلق اخبار اليونان في سيسيليا الى حين استيلاء رومية عليها واستقلت سرقوسا نحو ٥٢٣ سنة لكنها لم تشتهر الا بعد ٢٥٠ سنة من انشائها وبنى اهلها عدة مدن في الجزيرة منها أكْري وكَسْميني وكَمَرينا وقامت هذه على سرقوسا في نحو سنة ٥٥٥ ق.م. قصد الاستقلال. فاخضعتها سرقوسا وخربتها وفي

نحو سنة ٤٩٥ ق.م. قام هبقراتيس حاكم مدينة جيلا وحارب السرقوسيين وقهرهم والزمهم ان يسلموا اليهِ كمرنيا وقامت عقيب ذلك الفتن في سرقوسا فقام جمهور العامة وطردوا الخاصة ارباب السياسة فلجأوا الى كسميني واستصرخوا جيلو حاكم جيلا فاجابهم وحارب سرقوسا وارجعهم اليها الا انهُ استولى عليها اثناء ذلك واستبد بملكها واصبح ملكًا حاذقًا ايد امور سرقوسا وجعلها راس مدن اليونان في سيسيليا ونقل اليها سكان بعضها فاتسعت كثيرًا

اخبار سرقوسا

خبر جيلو

٧. وانتشر صيت جيلو واتصل الى بلاد اليونان فلما ايقن اليونان هجوم زركسيس عليهم سنة ٤٨٠ ق.م. بعثوا يستغيثون جيلو فاجابهم على شرط انهم يرأسونهُ على جنودهم او بوارجهم فابوا ذلك فلم يسرْ لمساعدتهم لكنهُ اضطر ان يحارب اهل قرطاجنة في تلك السنة كما تقدم في تاريخها (انظر رقم ٥ منهُ) ولما غلبهم عند مدينة هيرا غلظ امرهُ وملك بعد ذلك نحو ٣ سنين ومات سنة ٤٧٧ ق.م. وخلفهُ اخوهُ هيرو فملك عشر سنين وهو في احسن حال لكنهُ قسا على بعض مدن اليونان ومات سنة ٤٦٧ ق.م. وخلفهُ اخوهُ ثراسيبولس فظلم الناس فقاموا عليهِ وطردوهُ من الجزيرة بعد ان ملك ثمانية اشهر

حرب قرطاجنة سنة ٤٨٠ ق.م

هيرو الاول

ثراسبولس

٨. وحدثت الفتن والتقلبات بعد ذلك بين اليونان في سيسيليا وجرت الحروب والخصومات في جميع مدنهم حتى اجتمع اعيانهم في سنة ٤٦١ ق.م. فرتبوا قوانين سياستها فسكنت الامور واخذت تلك المدن تزهو وتتقدم وتقوَّت مدينة أغرِجنتم على الشط الجنوبي من الجزيرة فامست ثانية سرقوسا وشبَّت نيران الحرب بين هاتين المدينتين فانتصرت فيها سرقوسا فاخضعت أغرِجنتم سنة ٤٤٦ ق.م. ثم اخضعت نكسوس وكتنا وليونتيني. فاستصرخت هذه المدن اثينا فاجابتها في نحو سنة ٤٢٧ ق.م. ونصرتها على سرقوسا فحسدت مدن اليونان في سيسيليا اثينا ولم ترد سلطتها على الجزيرة وتحالفت عليها فاضطرت اثينا ان تترك ما كانت عليهِ مدةً على انها لم ترجع عما نوتهُ وفي سنة ٤١٥ ق.م. جهزت بوارج كثيرة الى الجزيرة فحاصر جنودها سرقوسا حصارًا شديدًا وكادوا يفتتحونها فاتقدت نيران الحماسة في اهلها فاشتدوا في القتال فهزموهم وسنذكر ذلك في اخبار اثينا ان شاء الله

اغرجنتم

تداخل اثينا في امور سرقوسا

٩. ثم هجم القرطاجنيون ثانية سنة ٤٠٩ ق.م. اذ دعاهم اهل إيجستا فغلبوا اليونان واخذوا سلينوس وهيرا وأغرِجنتم وقد مرَّ ذكر هذه الحروب (راجع تاريخ قرطاجنة رقم ٦)

ديونيسيوس الأول — وقام عند ذلك ديونيسيوس المشهور في سرقوسا وأيد امرها لكنهُ كُسر يوم هاجم القرطاجنيين عند مدينة جيلا ونجوا من الهلاك بان الاعداء اصيبوا بالوبا وعقد الصلح مع القرطاجنيين بأن سلّم اليهم اكثر الشط الجنوبي من الجزيرة. ثم شرع يخضع مدن اليونان التي لم تطع سرقوسا فاستولى على ليونتيني ونكسوس وكتنا وبعض القبائل الوطنية في اواسط الجزيرة. ثم نكث عهدهُ مع قرطاجنة سنة ٣٩٧ ق.م. واسترجع المدن التي اخذتها سابقًا لكن هَملِقو قائد قرطاجنة غلبهُ عقيب ذلك واستردها ونازل سرقوسا وكاد يفتحها لولا وقوع الوبا في جيشهِ (راجع تاريخ قرطاجنة رقم ٧). ودامت الحرب الى سنة ٣٩٢ ق.م. وحينئذٍ عقد الاتفاق بين الفريقين. ثم باشر ديونيسيوس محاربة بعض مدن اليونان في ايطاليا واستولى على بعضها وهاجم القرطاجنيين في سنة ٣٨٣ وسنة ٣٦٨ ق.م. لكنهُ لم ينجح فبقوا مستولين على نحو ثلث الجزيرة الى ان مات وكان ذلك سنة ٣٦٧ ق.م

ديونيسيوس الثاني — ١٠. وقام بعدهُ ابنهُ ديونيسيوس الثاني وكان ظالمًا فطردوهُ ثم رجع واسترد سلطتهُ الا انهُ لم يملك بسلام لان ظلم الناس اكثر من السابق. وكانت سرقوسا مضطربة وانقدت

تيموليون — نيران الفتن سنين فسألت اهل كورنثوس المعونة فبعثوا اليها تيموليون سنة ٣٤٤ ق.م. فأيد امورها كثيرًا وغلب القرطاجنيين واخمد الفتن ونفى ديونيسيوس واقام السياسة الجمهورية في سرقوسا وعزل الحاكمين الظالمين في سائر المدن فحسنت احوال سرقوسا وظلت كذلك الى سنة ٣١٧ ق.م. فقام حينئذٍ رجل يسمى أغاثُكليس واستولى على سرقوسا وكان من نسل دنيء لان اباهُ كان خزافًا ولما كبر سُرَّ بهِ بعض الاشراف فرقّاهُ

اغاثكليس — ولما مات اخذ أغاثكليس امرأتهُ زوجةً لهُ فاصبح من اغنى الناس وبلغ مقامًا ساميًا وشرع يطلب الرياسة فاغار عليهِ اهل سرقوسا وطردوهُ من المدينة لكنهُ لم يدع غايتهُ بل جمع الجنود وتقوّى فاضطر اهل مدينتهِ ان يقبلوهُ فلما دخل المدينة قتل اربعة الاف من الناس ونفى ستة الاف فتسلط على المدينة في تلك السنة كل التسلط

١١. ثم عظم امرهُ حتى اطاعتهُ سيسيليا كلها سوى املاك قرطاجنة فان اهلها قاموا

محاربة قرطاجنة — وحاربوهُ وقهروهُ عند هِمِرا سنة ٣١٠ ق.م. ثم قدموا ونازلوا سرقوسا ولما تضايق اغاثكليس فيها واوشكت المدينة ان تسلّم قام وجهز سفنًا وسار بها الى افريقية وحاصر قرطاجنة كما ذكر في اخبارها (راجع رقم ٨ منها) وفي اثناء غيابهِ قامت مدن سيسيليا وخرج عليهِ اكثرها فالتزم ان يرجع ليخضعها ولما عاد الى افريقية لم يستطع مقاومة قرطاجنة فصالحها وعاد

الى سيسيليا ولقب نفسهُ ملكًا ثم توجَّه الى ايطاليا وهاجم بعض جزائرها ومدنها اليونانية . وكان يغزو ويخرِّب فيها وكاد يستولي على جملة منها لكن قام عليهِ رجل يسمى مينون وقتلهُ وقيل انهُ مات حتف انفهِ وكان ذلك سنة ٢٨٩ ق.م

١٢. ثم تشدد القرطاجنيون بعد هلاك اغاثكليس وضايقوا سرقوسا واستولى بعض عسكر اغاثكليس على مدينة مسانا فضاقت الاحوال بسرقوسا حتى استدعت پرُّوس ملك ابيروس الذي كان يحارب رومية ان ياتي لنجدتها فاجاب طلبها وانقذها من يد قرطاجنة لكنهُ تسلط عليها نحو ثلاث سنين واضطر الى الرجوع الى ايطاليا سنة ٢٧٦ ق.م. فافرج عن سرقوسا وسلمت الملك بعد ذلك الى رجل يسمى هيَرو كان حاذقًا حسن السيرة ولما انتظم لهُ امر المدينة رقاها الى مقامها السابق وشرع يحارب عسكر اغاثكليس في مسانا ولما لم يقدر عليهِ عاهد القرطاجنيين فاستصرخ عسكر مسانا رومية فاعانتهُ ومن ثم انتشبت الحرب بين رومية والقرطاجنيين وسرقوسا سنة ٢٦٤ ق.م. وسنذكر ذلك في تاريخ رومية ونقتصر هنا ان نقول ان هيرو صالح الرومانيين بعد ذلك وبقي على مودتهم الى حين موتهِ سنة ٢١٥ ق.م. ولما مات لم يقدر نسلهُ ان يحسن امور سرقوسا فاغتصبها المغتصبون حتى قام الرومانيون واخذوها وضموها الى مملكتهم سنة ٢١٢ ق.م

مجيء پروس

هيرو الثاني

١٣. وكانت مهاجر يونانية في جنوبي ايطاليا من اعظمها سِبَرِس وكروتون وهما على الشط الغربي من خليج ترنتم بنيت الاولى سنة ٧٢٠ ق.م. والثانية سنة ٧١٠ ق.م. وكان سكانها من قبيلة الاخائيين من شمالي الپلپنيسس وحدثت وحشة بينهما ادَّت اخيرًا الى خراب سِبَرِس في نحو سنة ٥١٠ ق.م. وكانت مدينة اخرى اسمها ترنتم على الشط الشرقي من الخليج بناها السبرطيون في نحو سنة ٧٠٨ ق.م. بعد الحرب المسينية الاولى وكان لها مرفأ حسن جدًّا فتقوَّت واستغنت وصارت عدوًّا عظيمًا لرومية كما سيذكر وكان هنالك مدن اخرى بناها اليونان في ايطاليا وما ذكرناهُ اعظمها

المهاجر في ايطاليا

١٤. اما جزائر اليونان في الارخبيل فمن اعظمها يوبيا وهي جزيرة طويلة بينها وبين البر بوغاز ضيِّق حتى انهم بنوا جسرًا عليهِ يوصل الجزيرة بالبر وهي جبلية وعرة قليلة السهل واعظم مدنها على الشاطي خلكس وإريتريا وبينهما احسن سهل في الجزيرة كان علَّة خصام شديد بين المدينتين فغلبت خلكس وصارت الاولى في يوبيا وبقيت كذلك الى ان قهرت اثينا البيوتيين واهل خلكس فاخذت المدينة وتسلطت على الجزيرة

يوبيا

دبلوس وكانت جزائر الارخبيل الصغيرة تسمى كيكلادية واشتهرت منها دبلوس لانها كانت مقدّسة موقوفة لالهم ابلون وفيها هيكل له وكان العباد يأتون كل سنة من اقاصي بلاد اليونان ليعيّدوا له وبلغت بعد ذلك ذروة المجد لاسباب ستذكر

وكان اكثر اهل هذه الجزائر من الايونيين واتحدوا مع اثينا في الحروب الفارسية

اما جزيرة كريت فقد ذكرنا بعض اخبارها الخرافية المتعلقة باثينا وملكها المشهور مينوس الذي نسبوا اليهِ كثيرًا من السنن المعتبرة. قيل ان ليكورغس السبرطي اخذ جانبًا عظيمًا من نظاماتهِ من شرائع مينوس . وبعد استيلاء الدوريين على البلوبنيسس انتقل قوم كريت منهم الى كريت واخضعوها لكن اخبارهم سقيمة فنضرب عنها صفحًا. وكان من اعظم مدن كريت قديمًا كنسّوس وكرتينا اللتان اقلقتا بخصامهما الجزيرة كلها وكانت سياسة اكثر المدن نوعًا من الجمهورية الخاصة كما كانت سياسة اكثر الدوريين

١٥. واليونان الذين هاجروا الى اسيا وقد ذكرنا ان قومًا منهم تسموا الايوليين اتخذوا مساكن على الشاطئ شمالي نهر هرموس الى بحر مرمرا واستولوا على لسبوس ايوليا وتِنِدوس وغيرها من الجزائر المجاورة وصارت لهم عدة مدن اعظمها كيمي التي هاجر منها اناس الى ايطاليا كما رأينا وكان لهم بعض مدن على جزيرة لسبوس اعظمها متليني على الطرف الجنوبي الشرقي وكانت لها قوة بحرية معتبرة وبقيت هذه المدن مستقلة الى ان اتى الفرس واستعبدوها

١٦. وموقع الايونيين بين نهر هرموس ونهر مياندر وكان لهم عدة مدن احسن من الايوليين منها مليتس وافسس وكُلُفون وفوكيا وساموس وخيوس واسمرنا او ازمير. اما ايونيا مليتس فكانت عند مصب نهر مياندر وكانت قوتها عظيمة قيل انها بعثت مهاجرين الى ٧٥ او ٨٠ محلًا وكان سكانها الاصليون كاريين اتى الايونيون وقهروهم وقتلوا الرجال واخذوا نساءهم فابغضنهم وتحالفنَ انهنَّ لا ياكلنَ معهم وعلّمنَ بناتهنَّ كذلك لكن مليتس استغنت واصبحت اوّل مدينة للايونيين هناك

افسس اما افسس فكانت من اشهر المدن وموقعها على نهر كايستر ولها اراضٍ مخصبة جدًّا وكان فيها معبد أرطاميس او ديانه وهي من اعظم إلاهاتهم فلما اتى الايونيون حقنوا دماء اصحاب الهيكل

كلفون اما كلفون فكانت على امد نحو ١٥ ميلًا شمالي افسس وحسبت من مدن الايونيين

مع ان سكانها ليسوا منهم بل هم بيليون من البلبونيسس واشتهرت هذه المدينة بفراستها

فوكس اما فوكيا فكانت في الطرف الشمالي من اراضي الايونيين وكانت ارضها اولاً لمدينة كيمي سكنها اناس من فوكس في بلاد اليونان وطلبوا ان يعدوا من جملة الايونيين واشتهرت اكثر من بقية هذه المدن لاتساع تجارتها في البحر اذ بلغت غربي اوربا وكانت للفوكيين عدة مهاجر معتبرة اعظمها مسيليا في غاليا وهي مرسيليا ذهب اليها جميع من بقي من الفوكيين بعد محاربتهم الشديدة للفرس كما سياتي

اسمرنا اما اسمرنا فكانت اولاً للايوليين فطردهم الايونيون وسكنوا مكانهم

ساموس اما ساموس فهي جزيرة قوية بلغت معظم شهرتها مدة ملك پلكرتيس المختلس فانه تشدد وطرد الاعداء الذين لجأوا الى سبرطا وحصلوا على مساعدتهم فان السبرطيين بعثوا نجدة لكنهم فشلوا وتمكن پلكرتيس مما كان عليه الى ان اتى الفرس واهلكوه لكنهم لم يقدروا على ذلك الا غيلة

خيوس اما خيوس فهي جزيرة تاخرت عن ساموس في القوة والاشتهار قليلاً وكان اهلها شديدي التمسك بحريتهم ومع انها خضعت للفرس كبقية المدن الايونية في اسيا خرجت عليهم اول ما صارت لها فرصة وقاومتهم بكل نشاط الى ان دفعوا

سياسة هذه المدن واتحدت هذه المدن في سياستها فكان لها مجمع يسمى امفكتيونيًا كما كان في بلاد اليونان الا ان سلطته كانت منصورة على الامور العامة فكان لكل مدينة ان تدبر امورها الخاصة وحدها

مدن الدوريين ١٧. واعظم مدن الدوريين في الجنوب هلكرنسوس وكنيدس في كاريا وكوس وهي جزيرة وعدة مدن على جزيرة رودس غير ان الاولى اخرجت من معاهدة المدن الدورية قبل الحروب الفارسية وصارت عاصمة مملكة كاريا اما كنيدس فكانت مركز هذه المدن وهناك اجتمع معتمدوها للبحث في امورها ولم تشتهر هذه المدن في الحروب الفارسية وخضعت لهم بلا جهاد

كيرين ١٨. بقي ان نذكر كيرين وهي مدينة في افريقية سكنها المهاجرون من جزيرة ثيرا قرب كريت في نحو سنة ٦٣٠ ق.م. وكان في مقدمتهم رجل يقال له بتس ولم يكونوا يعرفون البلاد فنزلوا اولاً على جزيرة صغيرة ليست بعيدة عن البر ولم ينجحوا ثم انتقلوا الى موقع كيرين وهي على جبال تبعد قليلاً عن البر وتقابل شطوط البلپونيسس وكانت الارض

مخصبة والمياه غزيرة والسكان الاصليون (وهم الليبيوس) مطيعين لهم فنجحت امور المهاجرين نجاحًا عظيمًا وتقوّت مدينتهم وامتدت سلطتهم شرقًا وغربًا على الشاطئ اذ لم يكن داعٍ لامتدادها داخل البلاد لقفرها وملك بتُس نحو ٤٠ سنة وخلفهُ ابنهُ أركسلاوس فملك بفلاج نحو ١٦ سنة وكانت نهاية ملكهِ سنة ٥٧٤ ق. م. ثم ملك بتس الثاني الملقب الناجح لان امور كيرين نجحت كثيرًا مدة ملكهِ فانهُ دعا مهاجرين اخرين من الوطن واعطاهم مساكن والظاهر ان كثيرين اجابوا دعوتهُ فاتسع سلطانهُ فسئم ذلك الليبيون واستصرخوا ابريس ملك مصر فبعث جيشًا لطرد اليونان لكنهُ انهزم وحينئذٍ سقط ابريس وخلفهُ اماسيس (راجع اخبار مصر رقم ٢٣) فغلظ امر بتس لكنَّ ابنهُ أركسلاوس الثاني ظلم وتعدَّى حتى قام عليهِ بعض اخوتهِ واعتزلهُ مع قوم اسسوا مدينة بَرْكا على امد نحو ٧٠ ميلًا غربي كيرين وسار اركسلاوس بجنودهِ سنة ٥٤٤ ق. م. وهاجمهم والليبيين الذين اجتمعوا اليهم وكسرهم لكنهُ وقع بكمين وهلك من جنودهِ نحو ٧٠٠٠ ففر هاربًا وقتلهُ اخوهُ بعد ذلك بقليل فاضطربت المملكة واستفتح الناس خليفتهُ بتس الثالث لانهُ كان اعرج فعزلوهُ وانشأوا حكومة جمهورية سنة ٥٤٣ ق. م. ولم يطلب بتُس استرجاع ملكهِ ولكن لما مات اخذت امرأتهُ وابنهُ اركسلاوس ينظران في ذلك فجمع اركسلاوس جنودًا في ساموس واستولى على كيرين لكنهُ قسا على الناس فاضطر ان يهرب الى بَرْكا فقتل هنالك واخضع كمبيز مصر نحو هذا الزمان وخضعت لهُ كيرين وبركا ثم تسلطت ام المقتول على كيرين بالظلم وارادت ان تقاص بركا لقتل ابنها فاستنجدت مرزبان الفرس في مصر فاتى واخضع البلاد لكنَّ نسل بتُس استبدَّ بالملك الى نحو سنة ٤٤٠ او سنة ٤٣٠ ق. م. ثم انقرضت الدولة وسنذكر كيرين في انباء دولة البطالسة في مصر

بتس الاول
اركسلاوس
بتس الثاني
اركسلاوس الثاني
خضوع كيرين

الفصل السابع

الحرب الفارسية الاولى

١. يحسن ان نذكر اولاً ثورة الايونيين في اسيا التي أدّت الى الحروب الفارسية فنقول

قد مرّ في تاريخ الفرس انهم اخضعوا كل اسيا الصغرى ايام كورش ومن خلفوهُ حتى اليونان فيها وفي الجزائر المجاورة لها واتخذوا ساردس عاصمةً غير انهم تركوا اليونان يدبرون امورهم الداخلية كما شاءوا وكان لهم حكام متسلطون عضدهم الفرس فاستندوا اليهم واطاعوهم فكانت الحال هكذا لما سار داريوس لمحاربة السكيثيين عبر الدانوب كما مرّ (راجع تاريخ الفرس ف٣ رقم ١٥) وكان في عسكر اليونان الذين اجبرهم داريوس على ان يرافقوهُ هستيوس حاكم مليتس وملتيادس حاكم الخرسنيس اي شبه الجزيرة عند الدردنيل وتوغل داريوس في بلاد السكيثيين وحدث ما حدث في امر الجسر. وكان اليونان يميلون الى كسرهِ لكي ينجوا من عبوديتهم ولا سيما ملتيادس المذكور. اما هستيوس فعلم انهُ لا يقدر ان يثبت في ملك مليتس من دون معونة الفرس وبقية المتسلطين كذلك فقاوموا هذا الفكر وحافظوا على الجسر الى ان رجع داريوس ولما عرف ما كان لهستيوس من الامانة لهُ اكرمهُ احسن اكرام الّا انهُ خاف من سطوتهِ العظيمة لئلا يتقوّى ويخونهُ اخيرًا فاخذهُ معهُ الى سوسا عند رجوعهِ الى بلادهِ واستلم ملك مليتس أرستغراس بعل ابنتهِ

امر هستيوس وملتيادس

٢. وغلظ امرهُ وزاد امتداد سلطتهِ ولما اتى اليهِ اناس من جزيرة نكسوس طردهم اهلهم وطلبوا اليهِ ان يرجعهم غصبًا قبلهم ووعدهم بالمساعدة واخبر مرزبان الفرس في ساردس انهُ يخضع لهُ نكسوس ان امدّهُ بالرجال والسفن فاجاب المرزبان وجهزهُ بسفن كثيرة وكان مستعدًّا للمسير واهل نكسوس غير عارفين شيئًا من ذلك وحدثت وحشة قوية بينهُ وبين قائد فارسي كان معهُ فحقد عليهِ الفارسي وبعث يخبر اهل نكسوس بما

ارستغراس ونكسوس وخيانته

كان وان يجهزوا للمدافعة ارستغراس ففعلوا ولما هاجمهم لم يستطع اخضاعهم وارتد مهزومًا وحدث وهو على هذه الحال انهُ اتى رسول من هستيوس يحثهُ على الخيانة وكان سبب ذلك ان هستيوس ضجر من بقائهِ في سوسا اذ كان ذلك على رغمهِ فدبر حيلة بها ينجو من عبوديتهِ فقصد تهييج الخيانة في مليتس ظانًا ان داريوس يرسلهُ لاخمادها اذ كانت لهُ صولة فيها لكنهُ حذر من ان يكتب كتابًا او يبعث مرسلاً بالمقصود لئلا يفشو امرهُ فيقتل فاخذ عبدًا لهُ وحلق راسهُ ووسم قمتهُ بجملة تفيد المقصود ثم ابقى العبد الى ان نبت شعرهُ وارسلهُ الى مليتس ولم يخبرهُ بشيء الاَّ ان يقول لاستغراس ان يحلق راسهُ ويرى ما يرى فوصل العبد وفهم ارستغراس المراد واذ كان مائلاً الى الخيانة سابقًا اشهرها حينئذٍ ودعا بقية مدن اليونان للخيانة فاجابتهُ (وذلك كله على قول هيرودوتس)

خيانة اليونان سنة ٥٠٠ ق.م

٣. وعمّت الثورة سنة ٥٠٠ ق.م. وذهب ارستغراس الى سبرطا طالبًا المعونة واخبر السبرطيين بثورة الفرس وخصب بلادهم وبانهُ يهون على السبرطيين ان يخضعوهم. وكان ملكهم يومئذٍ كليومنيس فسأَلهُ كم هي مسافة الطريق من البحر الى سوسا قال نحو تسعين يومًا. قال يامليتي آمرك ان تخرج من سبرطا قبل غروب الشمس اذ طلبت ما لا يوافقنا ثم ذهب الى اثينا فساعدتهُ بان بعثت للحرب ٢٠ سفينة وبعثت مدينة اريتريا في يوبيا خمسًا ولما اجتمع المحالفون قرب افسس تركوا السفن وساروا الى ساردس واخذوها ما عدا البرج وأَحرقوا المدينة وقفلوا الاَّ ان الفرس جمعوا جنودهم واوقعوا بهم وكسروهم والتجأَ الاثينيون الى سفنهم ورجعوا الى بلادهم غير ان اليونان في اسيا ثبتوا وامتدت الثورة الى قبرس

حريق ساردس

هزيمة الفرس بحرًا

٤. فدعا الفرس الفينيقيين الى الحرب بحرا وبعثوهم لاخضاع قبرس واتت بوارج اليونان لملاقاتهم فانهزم الفينيقيون بحرًا غير انهم نجحوا برًّا فالتزم اليونان ان يرتدوا وجهز داريوس بوارج فينيقية وبعثها في بحر ايجيان واخذ الفرس يتشددون بحرًا وبرًّا وهاجموا الكاريين وغلبوهم فتأخر العصاة حتى ذاب قلب ارستغراس فترك مليتس وذهب مع قومهِ الى ثراكي ومات هنالك بعد قليل

٥. وكان داريوس قد ارسل هستيوس الى اسيا الصغرى لاخماد الفتنة فلما وصل اتهمهُ المرزبان هناك بتهييج الخيانة فخاف هستيوس ان يعلم امرهُ فهرب الى مينوس وخفرهُ اهلهُ وبعثوهُ الى مليتس. اما اهلها فتذكروا ظلمهُ السابق ولم يقبلوهُ فرجع وقد حصل على

بعض السفن من جزيرة لسبوس واخذ ينهب ويسلب بحرًا في كل فرصة حصل عليها ثم جمع الفرس بوارج كثيرة لاخضاع العصاة وجمع اليونان سفنهم في لادي وهي جزيرة صغيرة قرب ميلتس وكان لهم ٣٥٢ سفينة فلو اتحدوا وانتظم امرهم حسنًا لقهروا العدو لا محالة لكنهُ وقع الشقاق بينهم فلما صار القتال انحاز بعضهم الى العدو فانهزم الباقون شر هزيمة حتى لم يستطيعوا المقاومة القوية بعد ذلك

هزيمة اليونان

٦. ثم حاصر الفرس ميلتس بحرًا وبرًّا وافتتحوها سريعًا عنوةً وعاقبوها شديد العقاب اذ كانت مصدر الخيانة وقتلوا الرجال وارسلوا النساء والاولاد الى داريوس وكان ذلك في السنة السادسة من الثورة اي في سنة ٤٩٤ ق.م. ولم يلبثوا ان استرجعوا كل الشطوط الى نواحي الخَرْسُنيس وبحر مرمرا وهرب ملتيادس صاحب الخرسنيس المذكور الى اثينا اذ عرف ان الفرس يقتلونهُ ان ادركوهُ لما كان منهُ عند جسر الدانوب وكادوا يدركونهُ بحرًا اذ اخذوا واحدة من سفنهِ كان فيها ابنهُ فارسلوهُ الى داريوس اما هستيوس الشقي فادركهُ الفرس في بعض غزواتهِ واخذوهُ الى المرزبان فصلبهُ وقطع راسهُ وادّاهُ الى داريوس فدفنهُ باكرام لما صنعهُ سابقًا وعلى ذلك انتهت ثورة الايونيين التي حملت داريوس على محاربة اليونان كما سياتي

نهاية الثورة سنة ٤٩٤ ق.م

٧. وبعد تسكين هذه الثورة بعث داريوس مَرْدونيوس احد قوادهِ سنة ٤٩٣ ق.م. بجيش عرمرم الى ايونيا ليتهيأ لمهاجمة بلاد اليونان فاتى وقبل ان قطع البحر عزل الحكام المتسلطين في مدن ايونيا ورفع السياسة الى الناس ليدبروا امورهم كيفما شاءوا ولم يوجب عليهم سوى الطاعة والخراج فتعجبوا من ذلك اذ كان خلاف كل ما انتظروهُ. والظاهر ان مردونيوس عرف ان اليونان ابغضوا المتسلطين وان عزلهم يحمل الناس على طاعة الفرس. ثم قطع بجنودهِ الدردنيل وسار نحو مكدونية وامر سفنهُ الكثيرة ان تمر على جزيرة ثاسوس وتخضعها ففعلت ثم تقدمت وشرعت تدور بجبل اثوس وهو طرف شبه الجزيرة المسمى اكتي وهناك هاج البحر شديدًا فكسّر ٣٠٠ سفينة وهلك ٢٠٠٠٠ رجل او اكثر فالتزمت البقية ان ترجع. اما مردونيوس فكبستهُ قبيلة من برابرة مكدونية وجرح ولما سمع بانكسار بوارجهِ انثنى راجعًا خجلاً بخيبتهِ

مهاجمة مردونيوس سنة ٤٩٣ ق.م

٨. فلما علم داريوس بما كان غضب وعمد الى جيش اقوى ليؤدب اليونان الوقحين وكان هبياس المنفي من اثينا يحرضهُ على ذلك رجاء ان يقيمهُ على كرسي اثينا ولكن قبل ان

سفارة الفرس الى بلاد اليونان

باشر هذا المسمى ارسل رسلاً الى كل بلاد اليونان يامرهم بان يرسلوا له من جميع المدن ترابًا وماء علامة الطاعة للفرس فاطاع اكثر اليونان خوفًا من الملك العظيم . الاَّ ان اثينا وسبرطا رفضتا ذالك كل الرفض وطرح اهل اثينا المعتمد في جب المذنبين وطرح اهل سبرطا كل من اتى من رجالهِ الى مدينتهم في بير قائلين له ان ياخذ من هناك ما يريد من الماء والتراب وذلك خلاف عادتهم في تلك الايام فان الرسول او المعتمد كان عند جميع اليونان يحترم ويكرم ولكنهم فعلوا ذالك برسل الفرس غيظًا من امرهم الجائر

٩ . ولم تطع جزيرة يوبيا ولا نكسوس واطاعت اكثر الجزائر ولا سيما أجينا لعداوتهـا لاثينا لانها ارادت هلاكها على يد الفرس فادعت اثينا عليها بخيانة بلاد اليونان وطلبت الى سبرطا ان تؤدب اجينا وتمنعها عن مخالفة الفرس فترى في هذا الامر ان سبرطا اصبحت اوَّل مدينة في بلاد اليونان حتى ان اثينا اقرَّت بذلك فنظر الجميع اليها ان تتقدمهم في محاربة الفرس ولما ادعت اثينا على الاجينيين ذهب كليومنيس احد ملكي سبرطا لينظر الامر ويعاقبهم ان ثبت انهم خائنون فقاومهُ اهل اجينا قائلين انهم لا يطيعون سبرطا الاَّ بان ياتي الملكان ويحكمان عليهم بالاتفاق فالتزم كليومنيس ان يرجع خجلاً والظاهر ان دَمَرانس الملك الثاني كان قد حث اهل اجينا على ان يمانعوا رفيقهُ عداوةً له فاغتاظ

خيانة اجينا

كليومنيس وعمد الى عزلهِ وحصل على مرادهِ واقيم غيرهُ مكانهُ وكان هذا موافقًا لكليومنيس ثم سارا الى اجينا واجريا الحكم على اصحاب الخيانة واخذا عشرة رهناء واستودعاهم اثينا وهكذا امتنعت اجينا عن مخالفة الفرس حين هجومهم على بلاد اليونان كما سياتي

١٠ . وكان داريوس يتجهز لاخضاع اليونان بكل اجتهاد وعيَّن لقيادة جنودهِ داتس المادي وامرهُ ان ياتي باهل اثينا واريتريا عبيدًا ويسحق كل مَن لم يقدم لهُ من اليونان ترابًا وماء . فجمع بوارج كثيرة وجيشًا عرمرمًا في ساموس بغية المسير بحرًا الى بلاد اليونان على طريق الجزائر الكيكلادية ويوبيا وقد اعتزلوا اخطار جبل اثوس المذكور ولم يُعرَف عددهم تمام المعرفة الآن سفنهم كانت نحو ست مئة سفينة فتكون ركابها نحو ٣٠٠٠٠٠ محارب ولما قطعوا البحر اخضعوا الجزائر في طريقهم والزموها ان تقدم جنودًا لمحاربة اخوتهم وخربوا اريتريا في جزيرة يوبيا واستعبدوا اهلها امتثالاً لامر داريوس . وقد ذكرنا ان اثينا اخضعت خلكس واسكنتها من اهلها وهولاء لما عرفوا بمجيء الفرس التجأوا الى اثينا واخبروا اصحابها بما كان فكانوا على استعداد وبعثوا رسولاً الى سبرطا يخبر بالواقعة ويسأل

المعونة. فوعد السبرطيون بذلك ولكنهم لم يستطيعوا السير حالاً اذ كان ذلك اليوم التاسع من شهر القمر وكانوا لا يباشرون مسعى جديدا الاّ والقمر بدر. اما الاثينيون فكانوا في ضيق عظيم وقد اشرفوا على الهلاك اذ كانوا يحتملون حرب الفرس وحدهم ولولا محبة الوطن الشديدة التي شجعت قلوبهم سلموا فانهم قد استفاقوا بعد طرد هيباس كما مر فمن ثم تولدت في قلوبهم محبة الوطن ففضلوا الموت احرارًا على الحياة عبيدًا للفرس. والذي زادهم حماسة وشدة في هذا الدفاع علمهم ان هيباس ظالمهم كان مع الذين يحثهم على اهلاكهم

حملة داتس سنة ٤٩٠ ق٠م

١١. وكان في اثينا حينئذٍ ثلاثة رجال معتبرين ولهم اليد الطولى في سياستها وهم ملتيادِس وأَرِستيدِيس وثِمِستُكْلِس وكان ملتيادس ذا شوكة وشجاعة عظيمة وابغض الفرس كثيرًا لما حدث له منهم وكان من اشد الناس حثًّا على مقاومتهم فانتخبوهُ من القواد العشرة لتلك السنة لانهُ كان من قوانين الاثينيين ان ينتخبوا عشرة قواد كل سنة. اما ارستيديس فكان رجلاً مستقيم السيرة سالكًا في سنن الحق فلقب بالعادل وكان يقضي كل امرٍ وُكِل اليهِ بامانة لا مزيد عليها ولم يقدر احد ان يثنيهُ عن سبيل القسط فاتكل عليهِ الناس كل الاتكال ووكلوا اليهِ اهم الامور وكان احد القواد العشرة في تلك السنة وكان ثمستكليس ذكيًّا لبيبًا مختبر الاحوال يدهش الناس بافعالهِ ويتسلط عليهم كل التسلط بحكمتهِ لكنهُ لم يراعِ الحق والاستقامة ولم يكره الحيلة والخداع في انفاذ مقاصدهِ وتحصيل السلطة كما سيتضح الاّ انهُ كان شديد العزم على مقاومة الفرس حينئذٍ فانتخبوهُ قائدًا من اولئك القواد

ملتيادس وارستيديس وثمستكليس

١٢. وارشد الفرس هيباس الى شطوط اتكا وانزلهم في مَرَثُون وهي ميناء واسعة على الشط الشرقي وعلى امد نحو عشرين ميلاً من اثينا ولما عرف اهل اثينا بمجيئهم حشد القواد جنودهم وساروا بكل سرعة لملاقاة الفرس وكان سهل مرثون متسعًا مناسبًا لهجوم الفرسان موافقًا جدًّا للفرس فنزلوا على الشاطئ ونصبوا خيامهم وانزلوا فيها اهبتهم موقنين الغلبة. ولما بلغ الاثينيون الجبال المشرفة على محلة الفرس وقفوا يتدبرون وارتابوا في امر القتال في انهم هل يهاجمون الفرس او يتربصون وينتظرون هجومهم ولا عجب من ارتيابهم اذ لم يكونوا سوى ٩٠٠٠ من المدججين وشرذمة من العبيد لكن اتاهم في اثناء ذلك نحو ١٠٠٠ محارب من بلاتيا وانضموا اليهم وكان ذلك تبرعًا عظيمًا من البلاتيين اذ كانت مدينتهم صغيرة ولم يدعوا فتشجع الاثينيون وسرّوا بمحبة البلاتيين ثم اخذ القواد ينظرون في امر الحرب فاجمع خمسة (ومنهم الثلثة المذكورون) على المهاجمة بلا تربُّص خوفًا من ان

حرب مرثون

ارتياب اليونان

يقوم اصحاب هيپاس في المدينة ويسلموها الى العدو ان لم يرجعوا سريعًا وأبى الخمسة الباقون ذلك لقلة عددهم ولما كان اصحاب الرايين متساوين رُفع الحكم بين الفريقين الى الارخون الحربي فحكم بمبادرتها ووكلوا القيادة العظمى الى ملتيادس اذ كان اشدهم شوكة ونشاطًا وكان للقواد ان يترأسوا على الجيش يومًا واحدًا كل واحد في دوره ولما اتى دور ملتيادس صف الجنود للقتال ونزل من الجبل الى السهل وكانت صفوف الفرس ممتدة من الطرف الواحد من السهل الى الطرف الآخر وعلى الجانبين مستنقعات لاتطأ فمد ملتيادس صفوفهُ لتقابل صفوف العدو فكان بعضها قليلًا لقلة عسكرهِ بالنسبة الى عسكر الفرس فقوّى الجنبتين وترك القلب ضعيفًا وحمل على العدو فجرى اليونان يهتفون باصوات الابتهاج فكان ذلك خلاف ما توقعهُ الفرس فاضطربوا شيئًا الّا انهم حملوا وقهر قلب جيشهم قلب جيش اليونان وطاردوهم . ولكن اليونان على الجنبتين غلبوا وطردوا العدو الى البحر والمستنقعات . ثم داروا على قلب الفرس الظافر وكسروهُ ففرّوا هاربين الى البحر واليونان في اثرهم حتى بلغوا المراكب وكان القتال هناك عنيفًا فاغرق اليونان سبعًا من سفن الفرس وقتلوا في مَرَثون ٦٤٠٠ رجل وقتل منهم ١٩٢ واستولوا على محلة الفرس

هيوم اليونان

١٣ . ثم سارت بوارج الفرس تدور حول برّ اتكا وتوصل الجيش الى اثينا بحرًا قبل ان يرجع اليونان الى مدينتهم فادرك ملتيادس الغاية واسرع بجيشهِ فوصل الى اثينا قبل وصول الفرس ولما عرفوا خاب مسعاهم ورجعوا الى اسيا مخذولين بعد ان اختبروا من بأس اليونان ما حيّر عقولهم . واليونان انفسهم حارت البابهم من فعل الاثينيين ولما اتى السبرطيون عقيب المعركة واطلعوا على ميدان القتال مدحوا الاثينيين على شوكتهم فان فعلهم كان من اعظم افعال الجبابرة فان الفرس كانوا مشهورين يومئذٍ ببأسهم وغزواتهم وغلباتهم العديدة . فاظهرت حرب مرثون ان اليونان يمكنهم مع قلة عددهم المدافعة عن بلادهم بنجاح اذا اتفقوا وانتبهوا لحب الوطن وحفظ حريتهم . فكانت عاقبة هذه الحرب خلاص اليونان من العبودية وخلاص اوربا من تسلط الظالمين . ولا نقدر ان نتصوّر شدّة المصيبة التي كانت تقع على اوربا لو استعبد الفرس اليونان . فاين كانت علومهم وفنونهم السامية التي افادت العالم احسن افادة ولم تزل تفيدهُ لو استعبدهم الفرس كما استعبدوا اهالي اسيا فكانت حرب مَرَثون رد امواج الظلم والهلاك والبوار عن شطوط اوربا

ارتداد الفرس

١٤ . واقام الاثينيون اكمة في ميدان مرثون حيث دفنوا موتاهم تذكارًا للغلبة وكانوا

يشجعون دائمًا في كل حروبهم بذكر مرثون واكرموا ملتيادس مزيد الاكرام فازداد صولة وسطوة حتى لم يتأخروا عن انجاز كل ما طلبهُ . اما هو فأخذ العجب منهُ كل مأخذ فظن انهُ ينجح في كل شيء وطلب الى الاثينيين ان يجهزوهُ بمراكب وجنود فيحصل لهم املاكًا وكرامة ولم يخبرهم بما قصدهُ فاعطوهُ ما طلب فسار الى جزيرة باروس وهاجمها بغير حق وقيل انهُ كان فيها رجل بينهُ وبين ملتيادس وحشة فقصد ملتيادس خراب مدينتهِ انتقامًا لكن النتيجة لم تكن حسب ما توقع فانهزم وجُرح فرجع الى اثينا خجلاً فشلاً . ولما علموا ما حدث وان مهاجمتهُ كانت لاخوتهم اثبتوا عليهِ الخديعة ولولا ما ابداهُ سابقًا من الافعال المعتبرة للوطن حكموا عليهِ بالموت فاكتفوا بان القوهُ في السجن وغرَّموهُ بخمسين وزنة ومات بعد قليل من جرحهِ . وكانت حرب مرثون سنة ٤٨٠ ق.م . وهي الحرب الاولى التي قامت في بلاد اليونان بينهم وبين الفرس

نهاية امر ملتيادس

الفصل الثامن

في الحرب الفارسية الثانية

١ . وحروب اليونان بين حرب مرثون وحرب ترموبلي الآتي ذكرها ليست بذات شان . ومنها حرب اثينا وايجينا وقد ذكرنا ان ايجينا عوقبت سابقًا لميلها الى محالفة الفرس وكان ذلك على يد السبرطيين اذ هيجهم كليومنيس ملكهم لينتقموا من ايجينا ولكن لما هلك كليومنيس والسبرطيون مغتاظون منهُ تجاسر اهل ايجينا ان يطلبوا الانصاف واسترجاع الذين رهنهم كليومنيس عند الاثينيين فاجابت سبرطا طلبهم وامرت اثينا ان تطلق الاسرى فأبت فاشهرت ايجينا الحرب وكانت قوية بحرًا فضايقت اثينا الى ان شرعت تبني السفن الحربية الكثيرة لمقاومة ايجينا واصبح ذلك من اهم احتياطات اليونان في

حروب ايجينا واثينا

الحرب التي كانوا يتوقعونها اذ غلبوا الفرس بحرًا بعد مصيبة ثرموبلي وخراب اثينا كما سياتي

والظاهر ان ثمستكليس المذكور هو الذي حرّض اثينا على انشاء البوارج الكبيرة اذ رآها من اول المهامّ وان لا خلاص لهم الاّ بها لكن الاكثرين منهم لم يستحسنوا ذلك اذ لم يكونوا قد اعتادوهُ وراوا انهُ يقتضي نفقة وافرة وممن قاوموا راي ثمستكليس ارستيديس العادل فاشتدت المشاجرات بينهما حتى نفي ارستيديس بالاستراكسموس المذكور (راجع ف٥ رقم ١٠) وامسى خصمهُ عظيم اثينا وحملها على الاستعداد بحرًا لمحاربة الفرس اذ علم انهُ لا بد من محاربتهم بعد حين ولا ريب انهُ كان مصيبًا وان تدبيرهُ نفع اثينا نفعًا عظيمًا لكنهُ كان رواغًا شديد الحسب لرفعة نفسهِ ومجدها في كل ما عملهُ

تدبير ثمستكليس

٢ . وقد ذكرنا في تاريخ الفرس ان داريوس قصد مهاجمة اليونان بعد مصيبة مرثون ولكن خيانة مصر منعتهُ عن ذلك الى ان مات (راجع تاريخ الفرس ف٣ رقم ١٨) وخلفهُ زركسيس ولم يرد محاربة اليونان اولاً الاّ ان بعضهم حرّضوهُ على ذلك فاجاب طلبهم وشرع يجمع جيشًا عرمرمًا لم يسمع بمثلهِ واجتمع هذا الجيش في ساردس سنة ٤٨١ق.م. وفي ربيع السنة التالية قدم الى اوربا وحدث ما حدث في امر الجسر وحفر ترعة اثوس وعد جنودهِ كما ذكر في اخبار زركسيس (راجع تاريخ الفرس ف٣ رقم ١٩) . قيل انهم كانوا ١٧٠٠٠٠٠ راجل و٨٠٠٠٠ فارس وكانت سفنهم نحو ١٢٠٠ فيها اكثر من ٥٠٠٠٠٠ محارب فكان الجميع نحو ٢٣١٧٠٠٠ ولما بلغ زركسيس مكدونية وبلاد اليونان اجبر اهالي تلك النواحي ان يقدموا لهُ الرجال حتى بلغ عدد جنودهِ حين وصولهِ الى ثرموبلي نحو ٢٦٤٠٠٠٠ وكان في جيشهِ مثل هذا العدد من الخدم والتجار وغيرهم على قول هيرودوتس وذلك مما يجاوز حد التصديق ولعلهُ لا يخلو من الخطإ او الغلو على انهُ لا ريب في ان جيش زركسيس كان كثيرًا جدًّا وهو قادم على امة صغيرة كل جنودها شرذمة قليلة بالنسبة اليهِ

مهاجمة زركسيس سنة ٤٨٠ ق.م

٣ . ولما شاع نبأ ما قصدهُ زركسيس في بلاد اليونان خافوا واراد كثيرون منهم التسليم ولما بعث الرسل تطلب التراب والماء حسب عادة الفرس اطاعهم البعض اما اثينا وسبرطا فلم يأتِ احد من اولئك الرسل اليهما فاتضح من ذلك ان زركسيس عزم على تخريبهما فاتفقتا على جمع سفراء اليونان عند برزخ كورنثوس ليبحثوا في امر الحرب وبعثوا الى دلفي يستخبرون الاله عن الحادثة ففهم من الجواب ان الخطر سيكون شديدًا جدًّا على اثينا وانبأ بخرابها واشار على اهلها ان اهربوا من مدينتكم ولما خاف مبعوثو اثينا وطلبوا

خضوع بعض اليونان

جوابًا آخر يعلقون بهِ رجاء النجاة اجابت الكاهنة اخيرًا ان بلادهم تخرب لكنهم يقدرون ان يحتموا وراء حائط من خشب فتعجبوا ورجعوا واخبروا اهلهم فتحيروا ما عسى ان يكون المعني بالحائط من خشب ولم يفهموا. اما ثمستكليس فقال انهُ سفنهم وحرضهم على الاستعداد للحرب البحرية

تدبير اثينا

٤. ولما اجتمعوا في برزخ كورنثوس قرَّ الراي على ان تكون الاولية لسبرطا وان يبعثوا جنودًا الى مضيق تَمْبِي عند البحر في شمالي ثساليا حيث كان المدخل اليها من مكدونية فسار نحو عشرة الاف رجل الى هناك ولما وصلوا اتاهم خبر من اسكندر ملك مكدونية بقدوم الفرس وبانهُ فوق الجبل ممرٌّ يتمكن بهِ الفرس من ان يستديروا بهم وهم في المضيق فلما عرف اليونان رجعوا وتركوا ثساليا فسلمت حالاً للفرس وقدم هولاء ولم يقفوا حتى بلغوا تَرْموبُلي حيث اعتصم اليونان وصمموا على القتال وكان هناك ممرٌّ ضيق بين البحر والجبال المكتنفة بثساليا من الجنوب فكانت الجبال تشرف على احد جانبيهِ ومن الآخر كانت مستنقعات لا تطأ وكان طول هذا المضيق نحو ميل واتسع شيئًا في الوسط حيث كانت ينابيع ماء ملح حار ومن ذلك سمي المضيق ترموبلي اي الابواب الحارة واجتمع هناك اليونان وفي مقدمتهم ليونداس احد ملكي سبرطا ومعهُ ٣٠٠ رجل من مدينتهِ وفرق صغيرة من جملة مدن حتى بلغ عدد رجالهِ ٥٠٠٠ او يزيد ولما وصل ليونداس الى المضيق أُخبر بأن فوق الجبل ممرًا من ثساليا الى بيونيا كما كان من مكدونية الى ثساليا فبعث جيش الفوكيين ليمسك هذا الممر على العدو وهو واقف في المضيق. اما بوارج اليونان فسافرت الى البوغاز بين جزيرة يوبيا والبر تمنع سفن الفرس من الدخول اليهِ لئلاَّ ينزل العسكر من السفن على البر خلف ليونداس وارست سفن اليونان عند الطرف الشمالي من الجزيرة الاَّ انها رجعت لما اقدمت بوارج الفرس الكثيرة لكنهُ هاج البحر واشتدت قواصفهُ وعظمت امواجهُ والفرس وسفن الفرس تجر بهم فانكسر ٤٠٠ منها فلما عرف اليونان بذلك تشجعوا لانهم ايقنوا ان الالهة تحارب عنهم وتقدموا ثانية وحملوا على العدو واخذوا بعض مراكبهِ اما الفرس فظنوا انهم يستولون على كل بوارج اليونان فبعثوا نحو ٢٠٠ سفينة لتدور حول الجزيرة وتدخل البوغاز من الجنوب فيحصر اليونان فيهِ ويطبق عليهم الفرس من الجهتين لكن هذه الحيلة لم تتم وكانت علة ذلك ان القواصف كسرت كل تلك السفن

حرب ترموبلي

٥. اما زركسيس فكان واقفًا مع كل جنودهِ في ثساليا عند مدخل المضيق وبقي

اربعة ايام لم يهاجم اليونان اذ ظنهم يولون الادبار بدون قتال كما فعلوا سابقًا وزادهُ طمعًا بذلك ما عرفهُ من قلة عددهم ولكن لما رآهم ثابتين امر فرقة من الماديين أن يطردوهم فحملوا عليهم بكل قوتهم بغية الانتقام لاصحابهم الذين هلكوا في مرثون لكنهم دفعوا فرجعوا بخسران عظيم . ثم بعث زركسيس فرقة اخرى من اشد عساكره ثم بعث غيرها من امثالها فذهب كل ذلك باطلاً بان ثبت اليونان ولم يقتل منهم الاَّ القليل . اما الفرس فلم يروا الاَّ الموت واستمر هذا القتال يومين وزركسيس يشاهدهُ بخجل وغيظ لا مزيد عليهِ فبعث اخيرًا فرقة من انصاره الخاصة مؤلفة من ١٠٠٠٠ من اصحاب الرتب والشرف من الفرس يحسبهم احسن الجيش متيقنًا انهم يغلبون لكنهم دحروا كالذين سبقوهم

حرب ثرموبلي

٦ . فبعد هذه المصيبة العظيمة اتى إفيالتيس الذي خان اليونان وانحاز الى العدو واخبر بالممر فوق الجبل فبعث زركسيس فرقة لتقطع الجبل وتاتي من خلف اليونان في ثرموبلي ولما التقى الفرس بالفوكيين الحافظين الممر هرب هولاء فتقدم الفرس بدون مانع وبلغوا غايتهم اما ليونداس فلما علم بذلك تحقق انهُ لابد من الهلاك اذا ثبت في مكانهِ ومع ذلك لم يهرب اذ كان من قوانين السبرطيين انهم لا يهربون في الحرب لكنهُ اذن للغير بالرجوع فرجعوا سوى التسبيين وهم من مدينة تسْبي في بيوتيا وكان عددهم ٧٠٠ ونحو ٤٠٠ من الثيبيين وكان لليونداس ٣٠٠ مع جماعة من العبيد وهولاء كل من بقي يمانع جيوش الفرس المهاجمين لهم من كل جهة ولم يتوقع السبرطيون قدوم الاعداء بل خرجوا من المضيق لملاقاتهم وقاتلوا قتالاً عنيفًا ولم يقدر الفرس ان ياخذوهم او يقتلوهم حتى انكسرت رماحهم وكلوا من التعب والعناء وهلك الوف من الفرس منهم اخوا زركسيس نفسهِ مع عدة روساء ولكن الفرس غلبوا اخيرًا لكثرة عددهم وقُتل اليونان عن آخرهم سوى الثيبيين فانهم سلموا للعدو وصرَّحوا بانهم لم يقاتلوهم الاَّ على رغمهم وصارت ثيبة للفرس من بعد هذه الحادثة

نزول الفرس من خلف اليونان

هلاك ليونداس ومن معهُ

وحرب ثرموبلي اشهر حروب اليونان وقد مدحوا ليونداس وقومهُ كل المديح في كل حين وكانوا يحرضون بعضهم البعض على الافعال العظيمة بذكرهِ وعظم صيت السبرطيين كثيرًا لشدة بأسهم وتحيَّر زركسيس غاية التحير لما كان ولم يكن على يقين من ان السبرطيين كانوا جميعهم مثل ليونداس وقومهِ او لا

٧ . ولما علم جند البوارج اليونانية نتيجة معركة ثرموبلي رجعوا بسفنهم وتوجهوا الى

جزيرة سلامس ووقفوا هناك مستنظرين ما سيحدث وكان سائر اليونان في اضطراب لا مزيد عليهِ لما عرفوا ما كان وسلمت بوتيا لزركسيس حالاً سوى مدينتي ثسبي وپلاتيا وهاجمت فرقة من العدو دلفي وقصدت نهب الهيكل. فانهزمت وقد غطت قتلاها الارض لانَّ الاله على زعمهم طردهم برعود وصخور كبيرة دحرجها عليهم من اعلى الجبل. ثم خاف اهل الپلپونسس على انفسهم وبذلوا جهدهم في تحصين برزخ كورنثوس وقد تركوا اتكا وما يليها للهلاك ولما راى الاثينيون ذلك هجروا بلادهم وذهبوا الى الجزائر وشطوط الپلپنيسس اخذين ما تيسّر من اموالهم وتركوا اكثرها لانهم هربوا بكل سرعة فان زركسيس وصل الى اثينا بعد ستة ايام من حرب ثرموپلي ولما اتى أحرق المدينة وخرَّبها ثم نزل الى الشاطئ ليدبر الحرب بحرًا لان بوارجهُ اتت الى ميناء اثينا وسفن اليونان مقابلها في ميناء سلامس. وكانت سفن اليونان نحو ٣٦٦ على قول هيرودوتس وسفن زركسيس اكثر جدًّا حتى خاف اليونان من مقاتلتها ولا سيما الذين كانوا من الپلپنيسس فارادوا الرجوع الى اماكنهم بدون قتال. اما الاثينيون والايجيون والمغربون فارادوا الثبات والقتال هناك لتخليص اوطانهم من مخالب العدو ولا سيما ثِمِستكليس الذي حرَّض الروساء كل التحريض على ان يسرعوا الى قتال الفرس وكانت المشاجرات قد قويت بينهم ولعلها كانت ردَّت البوارج اولا حيلة ثمستكليس فانهُ بعث عبدًا الى زركسيس يخبرهُ بان اليونان خائفون جدًّا وقاصدون الهرب فان هاجمهم وهم على تلك الحال ياخذهم جميعًا فصدق زركسيس وامر بقدوم بوارجهِ ليلاً ليسد مدخل الخليج حيث كان اليونان فكان كذلك فلما عرف هولاء هيأوا انفسهم للقتال كما اراد ثمستكليس الروّاغ فابتدأت الحرب عند الصباح وغلب فيها اليونان غلبة عظيمة. وكُسّر نحو ٢٠٠ من سفن العدو وهلك ركابها وانهزمت البواقي وخسر اليونان نحو ٤٠ سفينة

رجوع البوارج | مهاجمة دلفي | حرق اثينا | الاجتماع في سلامس | تدبير ثمستكليس | حرب سلامس

٨. فلما راى زركسيس انكسار بوارجهِ خاف واغتاظ حتى قتل بعض روساء السفن الذين نجوا الى البر وخاف على ان يسير اليونان الى بوغاز الدردنيل ويكسروا الجسر ويمنعوهُ من المرور وزادهُ خوفًا أن بعث ثمستكليس اليهِ يخبرهُ ان اليونان قاصدون ذلك فعمد الى الفرار مع ان جيشهُ لم يزل كثيرًا ونصح لهُ في ذلك مردونيوس الذي حرَّضهُ على هذا المسعى واحتسب منهُ الشرّ اذ اصبح فَشِلاً فقال لهُ انت ايها الملك قد خرَّبت اثينا وهذا هو اهمّ ما قصدتهُ في هذه الحرب فلا تقلق نفسك بل ارجع بالسلام وانا

رجوع زركسيس وبقاء مردونيوس

انكفّل لك باخضاع سائر اليونان ان اعطيتني ٣٠٠٠٠٠ جندي من احسن جنودك فقبل زركسيس ورجع بكل سرعة وجيشهُ يقاسي ضيقات شتى في الطريق فهلك كثيرون منهُ . ولما وصلوا الى الدردنيل وجدوا الجسر قد خربتهُ الرياح فالتزم ان يعبر البحر بسفينة خجلاً ووصلوا الى ساردس بعد ثمانية اشهر من مسيرهِ منها لمحاربة اليونان مفتخرًا ومتيقنًا الغلبة

٩. اما مردونيوس فشتا في تساليا ومعهُ نحو ٣٠٠٠٠٠ رجل وسار في ربيع سنة ٤٧٩ ق.م. جنوبًا ودخل ارض اتكا فهرب الاثينيون كالسابق الاّ ان مردونيوس لم يخرب بلادهم اولاً بل امتنع عن المضرة لكي يستميلهم لمحالفة الفرس كما فعل الثيبيون وغيرهم . وكان يهون عليهِ اخضاع البعض اما الاثينيون فثبتوا ولم يبالوا البتة اليهم ولما رأى ذلك مردونيوس خرب بلادهم اكثر من ذي قبل فبعث الاثينيون الى السبرطيين وغيرهم يحثونهم على معاونتهم لانهم كانوا يحصنون البرزخ كانهم مزمعون ان يبقوا في البلوبنيسس ويتركوا اثينا للدمار. ولما خاف اهل سبرطا ان يحالف الاثينيون الفرس نهضوا وجمعوا جنودهم وامروا محالفيهم ان يفعلوا كذلك وبعثوا جيشًا قويًا في مقدمتهِ بوسانياس ملك سبرطا لمقاومة الفرس الذين رجعوا الى بيوتيا فتبعهم اليونان والتقى الجيشان في نواحي بلاتيا وكان في جيش اليونان نحو ١١٠٠٠٠ ماش لكنهُ لم يكن الاّ نحو ٣٨٧٠٠ منهم مدججين لم يكن بينهم فارس وكان للفرس فرسان كثيرون اقوياء ضرُّوا ضررًا عظيمًا باليونان. ولما صارت المناوشة اقتتل المشاة مصافحةً فانتصر اليونان كل الانتصار حتى انهُ لم ينجُ من العدو الاّ نحو ٣٠٠٠ لكن كان قد ذهب ٤٠٠٠٠ مع زركسيس الى تراكي وتأنوا في رجوعهم فتجنّبوا هذه الحرب وقتل في تلك الواقعة مردونيوس نفسهُ والظاهر انهُ لم يرد الحياة وهو مقهور خوفَ العار وغيظ زركسيس وبعد حرب بلاتيا اخذ اليونان يؤدّبون الثيبيين والزموهم ان يسلموا روساء الحزب المحالف الفرس وقتلوهم ثم تحالفوا على مقاومة الفرس الدائمة واتفقوا على اقامة جيش نظام عددهُ ١٠٠٠٠ مدجج و١٠٠٠ فارس مع ١٠٠ سفينة حربية لاجل هذه الغاية

اعمال مردونيوس

حرب بلاتيا

١٠. وكان في زمان حرب بلاتيا عينها حرب اخرى على شطوط اسيا الصغرى لان بوارج اليونان كانت قد ذهبت الى ساموس حيث اجتمع الفرس بعد حرب سلامس لكنهم لم يثبتوا هناك بل انتقلوا الى برّ ايونيا عند راس مكالي قرب مليتس ونزلوا من سفنهم واصطفوا على البرّ اذ لم يجترئوا ان يحاربوا اليونان ايضًا بالبحر وكان عددهم نحو

حرب راس مكالي

٦٠٠٠٠ مقاتل واليونان شرذمة قليلة ومع ذلك نزلوا وهاجموا الفرس في محلتهم وبعد قتال شديد قهروهم قهرًا عظيمًا يوم حرب پلاتيا عينهِ وبهذه الغلبة حرروا اخوتهم في جزائر البحر وبعض سكان بر ايونيا. وحدثت هذه الامور سنة ٤٧٩ ق.م. ثم سار الاثينيون في سفنهم الى الخرسنيس وطردوا الفرس منها واضافوا هذه الاراضي الى توابع اثينا

١١. ثم حدثت امور خطيرة في سياسة اليونان وقد ظهر مما سبق ان جميع اليونان حسبوا سبرطا قائدتهم برًّا وبحرًا حتى سلمت اثينا نفسها بتقدمها مع ان اثينا كانت اقوى منها في البحر كثيرًا ولكن من الزمان الذي نحن في صددهِ حصلت على ذلك التقدم بحرًا وعلى حماية اليونان في اسيا والجزائر. اما اهل الپلوپونيس فتبعوا سبرطا ولما شرع الاثينيون يرممون مدينتهم وارادوا تحصينها طلبت توابع سبرطا اليها ان تمنعهم لئلاَّ يتفوقوا اذ عرف الجميع باسهم في الحرب السابقة فبعث السبرطيون وفدًا الى اثينا ينصحونهم ان لا يفعلوا ما راموهُ قائلين انهم لا يقدرون على دفع الفرس اذا اتوا فتكون مدينتهم حصنًا للعدو يحاربون البلاد منهُ. فانتبه ثمستكليس لمكرهم فداهنهم وخدعهم حتى صرفهم عن المقاومة جهرًا الى ان تم العمل فلم يقدروا ان يعملوا شيئًا ثم حصَّن الميناء احسن تحصين لتكون مرسًى امينًا لسفن كثيرة وحمل الناس على بناء عشرين بارجة جديدة كل سنة فيكون اقوى الجميع في البوارج فاخذ پوسانياس ملك سبرطا التعجرف والتكبُّر بسبب نجاحهِ فحسب نفسهُ عظيم اليونان كلهم ولما صار قائد بوارج اليونان في محاربة بيزنتيوم عند البوسفور شرع يراسل ملك الفرس في ان يخضع جميع اليونان لهُ بشرط ان يعطيهُ ابنتهُ زوجةً ويقيمهُ واليًا عليهم فسلم زركسيس بذلك وسرَّ بهِ وبعث أرْتبازوس الى اسيا الصغرى ليدبر الامر معهُ

تحصين اثينا

خيانة پوسانياس

١٢. واليونان في جيش پوسانياس لم يطيقوا عجرفتهُ واقاموا الدعوى عليهِ فالتزم ان يرجع الى سبرطا ومع ان اهلهُ برَّروهُ لم يردوهُ الى قيادة الجيش بل بعثوا غيرهُ فلم يقبلهُ اليونان فاتفقوا على ان تكون اثينا قائدة وحامية لهم ومن ذلك الوقت فصلت سبرطا من يونان الشطوط الاسية وجزائر البحر وتحالفوا واتفقوا على محاربة الفرس والمدافعة عن انفسهم وكان المعتمدون من طرف المحالفين يجتمعون في جزيرة ديلوس كل سنة للنظر في ما يتعلق بحرب الفرس وانتخبوا ارستيديس الاثيني امين الصندوق وفوَّض اليهِ رسم المبلغ المطلوب من كل مدينة من المدن المتحدة تقدمهُ كل سنة لاسباب الحرب وانجز ارستيديس هذا الامر بكل امانة حتى سُرَّ بهِ الجميع واصبحت اثينا قوية جدًّا فحقدت عليها

اتحاد بعض اليونان تحت قيادة اثينا لمحاربة الفرس

سبرطا ومن تبعها وكان ذلك سبب حروب اهلية مهلكة كما سياتي

هلاك بوسانياس اما بوسانياس فبعد رجوعهِ الى سبرطا كما مرَّ لم يزل يراسل مرزبان الفرس في اسيا ويتآمر معهُ على اليونان فانكشف امرهُ اخيرًا فالتجأ الى هيكل لم يجز فيهِ قتالهُ فسدُّوا عليهِ الباب لكي يموت صبرًا وقيل ان امهُ كانت ممَّن وضعوا الحجارة لسدّ الباب وهذا يدلُّ على شدة كراهتهم للخيانة

١٣. اما ثمستكليس فاقيم عليهِ ايضًا الدعوى بانهُ مائل الى الفرس واراد الخيانة ولم يكن مستقيم السيرة كارستيديس ولما كان يجول بين محالفي اثينا يجمع المرسوم عليهم اذ عينتهُ لذلك اثينا كان ياخذ البراطيل وظنهُ البعض ارتشى من الفرس ايضًا فاشتكى عليهِ السبرطيون انهُ يميل الى الفرس لانهم كانوا قد حقدوا عليهِ لكنهُ تبرَّر اولاً الَّا ان الاثينيين نفوهُ بعد ذلك بالأستراكيسموس فذهب الى ارغوس ولم يزل السبرطيون

امر ثمستكليس يتآمرون عليهِ ولما شهر امر بوسانياس الحقوهُ بذنبهِ وبعثوا الى اثينا ان تستدعيهُ للمحاكمة اما هو فهرب والتجأ الى دار ملك الفرس فقبلهُ بمزيد الاكرام اذ اعتبرهُ لاجل اقتدارهِ وظن انهُ بواسطتهِ يخضع اليونان فاعطاهُ امرأة فارسية زوجةً ومعاشًا وافرًا وبعثهُ الى مدينة مغنيسيا في اسيا الصغرى ليتولى اخضاع اليونان ومات عقيب ذلك مكروهًا عند اهلهِ

اما ارستيديس فمات في اثينا وهو في علو الصيت ونهاية الذكر لاستقامتهِ فانهُ انقضت عليهِ كل الحياة ولم يقبل الرشوة وتصرَّف في كل احكامهِ بالعدل والحق ولما ادركهُ الاجل

امر ارستيديس وجد فقيرًا جدًّا حتى لم يكن لهُ من المال ما يقوم بدفنهِ فدفن على نفقة اهل المدينة وقد اقاموا مهور بناتهِ اذ لم يكن لهنَّ شيءٌ وكل هذا برهان صريح على ان ارستيديس لم يكن كفوءًا لهُ في مقامهِ ولم يمس اجرة الظلم مع انهُ تقضَّى عليهِ في المراتب السامية قسمٌ عظيم من حياتهِ

١٤. وتقدمت اثينا في هذه المدة وعظمت شوكتها وامتدت سلطتها ومع انها لم تكن في اول امر الاتحاد سوى رئيسة المتحدين على محاربة الفرس في القيادة والتدبير اخذت

قوة اثينا تحكم عليهم شيئًا فشيئًا كمتسلط واجبرتهم على الطاعة ولما خرجت جزيرة نكسوس وابت ان تقدم المرسوم عليها من دراهم وسفن اخضعتها اثينا وجعلتها بمنزلة تابع لا محالف كما كانت الحال اولاً وهكذا فعلت بكل من رفض سلطتها من المحالفين واخضعت بعض المدن والجزائر التي لم تشترك في الاتحاد حتى عظمت صولتها كثيرًا فواظبت على حرب الفرس

بكل نشاط وكان رئيس بوارجها كيمون بن ملتيادس قاهر الفرس في مرثون ومن اعظم اعماله حرب يوريمدون وهو اسم نهر في بمفيلية وكان كيمون قد اخبر بقدوم الفرس الى هناك وان لهم جيشًا على البرّ فلم يتاخر بل سار وهاجمهم بحرًا في نحو ٣٠٠ سفينة وكانت سفنهم نحو ٣٠٠ فهزمهم وانزل عسكره الى البرّ وهاجم مشاة الفرس وحاربهم حربًا شديدة فهزمهم واخذ اسرى كثيرين واخذ او كسر جميع سفنهم . ثم اقلع نحو قبرس والتقى هناك بنحو ثمانين سفينة فينيقية قادمة مددًا للفرس فكسرها عن اخرها فكانت هذه غلبة عظيمة اذ كسر بوارج الفرس وجيشهم في يوم واحد فعظم في عيون اهله وتشجع المحالفون على مقاومة الفرس باكثر نشاط وكان ذالك سنة ٤٦٦ ق.م حرب يوريمدون

١٥ . وتقوّت اثينا واشتدت سلطتها على المحالفين ولما خانت جزيرة ثاسوس قرب برّ ثراكي اخضعتها بعنفٍ واخذت منها كل سفنها وكانت الحرب طويلة بقيت نحو ٣ سنين وفي هذه المدة سأل اهل ثاسوس سبرطا المساعدة سرًّا فوعدتهم بانها تبعث جنودًا تنهب اراضي اتكا لكن منعها من ذالك زلزلة شديدة هدمت قسمًا عظيمًا من سبرطا وحدثت تالك الزلزلة سنة ٤٦٤ ق.م . فانتهز عبيدها الفرصة وخانوا وكادوا يخربون المدينة واعتصموا في جبل إثومي ولم يقدر السبرطيون ان يخضعوهم فسألوا مساعدة غيرهم حتى اهل اثينا التي لم تعرف ما اضمرته لها سابقًا فبعثت ٤٠٠٠ رجل ليعينوا السبرطيين فاهانوهم فرجعوا بغيظ وتركت اثينا معاهدة سبرطا من ساعتها وعاهدت ارغوس فكان ذالك من اسباب الوحشة بين اثينا وسبرطا حرب ثاسوس زلزلة سبرطا سنة ٤٦٤ ق.م معاهدة اثينا وارغوس

وتقدّمت اثينا في القوة بحرًا وبرًّا حتى سألها بعض القبائل الحماية ومنها قبيلة مغرى على البرزخ بين اتكا وارض كورنثوس فاخاف ذلك كورنثوس وسبرطا اذ كان ممّا مكّن اثينا من ان تسد عليها طريق البرزخ وبنى الاثينيون سورين على الممرّ من المدينة الى الميناء على كل جانب منها سورًا ليمكنهم الدفع عن مغرى وجعل الاثينيون يحرسون السورين فتهيج اعداؤهم وشرعوا يحاربونهم بحرًا ولاسيما ايجينا لكنهم انهزموا وحاصر الاثينيون ايجينا حتى اخضعوها ولما راوا جميع الاعداء القائمين عليهم وعلموا انه لا بد من التحام حرب مميتة باشروا عملًا عظيمًا لتحصين مدينتهم وهو بناء سورين على الطريق من اثينا الى الميناء كما فعلوا لمغرى وكانت المسافة نحو اربعة اميال انكليزية ونصف ميل وذلك من اشق الاعمال . مغرى اسوار اثينا

واشتهر حينئذ في اثينا رجل اسمه پيركليس بلغ صولة عظيمة بعد ذلك كما سيذكر . وكان بيركليس

في هذه المدة عينها مقتدرًا امال الناس الى هذا العمل وتغلّب على الحزب المضاد له ومنهُ كيمون الذي نُفي بالاستراكسموس كما ذكر وكان بيركليس يميل كل الميل الى اثبات الجمهورية في اثينا وتوسيعها وكان اعداؤُهُ هم الخاصة الذين ارادوا الغاء الجمهورية

حرب السبرطيين والاثينيين ورجوع كيمون

١٦. ورأَت سبرطا ذلك وحسدت اثينا اكثر حسدٍ واخذت بما يبطل نجاحها فبعثت جنودًا الى بيوتيا وايَّدت امور ثيبة التي كانت عدوًّا شديدًا. ولما رجع جيش سبرطا ووقف عند حدود اتكا وخرج الاثينيون لمحاربتهِ فغلبوا شيئًا لكنَّ هذه الحرب افضت الى فائدة اثينا لان كيمون المنفي حضر القتال وساعدهم فسمحوا برجوعهِ الى المدينة وتقوَّت اثينا بعد ذلك واخضعت ثيبة وابطلت كل اعمال سبرطا هناك. ثم اخضعت ايجينا واكملت السورين الى الميناء فاصبحت اثينا في غاية الحصانة حتى انها تعدت على سبرطا وحلفائها كثيرًا وارسلت سفنها فاحاطت بالبلبونيسس لهذه الغاية الّا انها عرَّضت نفسها لخسارة

مصيبة اثينا في مصر

فاحشة في مصر اذ بعثت البوارج لمعونة المصريين العصاة لما قام إنَروس على الفرس وانكسرت تلك البوارج وهلك اكثر من فيها وكان ذلك سنة ٤٥٥ ق. م. (راجع تاريخ الفرس ف ٣ رقم ٢٤). ثم اخضعت سبرطا العبيد الذين سلموا بعد جهادهم الطويل على شرط انهُ يسمح لهم ان ينزحوا مع من لهم فساعدهم الاثينيون واسكنوهم في نَوْبَكْتوس على الشط الشمالي من خليج كورنثوس وصاروا اعوان اثينا في الحروب الآتي ذكرها. اما

هدنة خمس سنين مع سبرطا

سبرطا فلم تهاجم اثينا حينئذٍ مع كل حسدها لها انما اتفقت معها سنة ٤٥٣ ق.م. على هدنة خمس سنين فالتفتت اثينا الى محاربة الفرس وسار كيمون في ٢٠٠ سفينة الى قبرس لكن ذهب ستون منها الى مصر لمساعدة امرثيوس. وقهر الاثينيون الفرس وعقدوا معهم صلح كَلياس (راجع تاريخ الفرس ف ٣ رقم ٣٥) وكان ذلك سنة ٤٤٩ ق. م. وهو نهاية الحروب الفارسية التي ابتدأت منذ خمسين سنة قبل ذلك حين خانت ايونيا وحدثت في تلك الحروب امور كثيرة الاعتبار في تاريخ العالم ذكرت فيها مَرَثون وثرموبلي وسلامس وبلاتيا بالاكرام العظيم في كل القرون وستذكر كذلك الى آخر زمان

الفصل التاسع

في احوال اليونان بعد صلح كلياس الى الحروب البلبونيسيَّة

قوة اثينا ١. بلغت اثينا اعلى درجة من العظمة والاتساع برًّا وبحرًا اذ خضع لها قسمٌ من شطوط اسيا الصغرى واكثر جزائر الارخبيل لانها اخضعت المحالفين في اتحاد ديلوس سوى ساموس وخيوس ولسبوس ونقلوا خزائن الجمعية الى اثينا فاخذت دخل كل سنة وتصرَّفت بهِ كما شاءت فازدادت الخزينة ثروةً سنة فسنة بعد الحروب الفارسية وعظمت سلطتها وبلغت برًّا بيوتيا وفوكس ومغرى حتى كاد محالفوها يساوون محالفي سبرطا فخافها وحقد عليها كل اهل البلبونيسس فاخذت قوتها بعد قليلٍ من ذلك تضعف برًّا بان خرجت عليها بيوتيا فسار جيش من اثينا لاخضاعها فهلك اكثرهُ وأُسر باقيهِ حتى التزمت اثينا ان تترك بيوتيا ثم خرجت عليها بوبيا فالتزم بركليس ان يسير لاخضاعها ولكنهُ حالما ذهب خرجت مغرى وسألت سبرطا المساعدة فبعثت جيشًا لمهاجمة اتكا فرجع بركليس وصرفهم عن ذلك سلمًا وعينوا هدنة ثلاثين سنة وكان ذلك سنة ٤٤٥ ق.م. ثم رجع الى بوبيا واخضعها لكنهُ لم يبقَ حينئذٍ لاثينا برًّا الاَّ بلاد اتكا غير انها بقيت اعظم الجميع بحرًا وبلغت اثينا درجة سامية في العلم والتمدُّن في تلك المدنة الى الحرب البلبونيسية الاولى سنة ٤٣١ ق.م

خروج بيوتيا وبوبيا

هدنة ٣٠ سنة من سنة ٤٤٥ ق.م

بركليس ٢. وكان رئيس سياستها بركليس وكان شهيرًا متقدمًا على جميع اهل عصرهِ علمًا ودرايةً وفصاحةً فنجحت امور اثينا الداخلية بتدبيرهِ وحسن سياستهِ احسن نجاح وانشأ قوانين جديدة السياسة منها الاقتراع على ٦٠٠٠ رجل من الرعايا كل سنة ليكونوا بمنزلة قضاة وقسمهم اثني عشرة فرقة فكان اذا اقيمت دعوى على احد تحكم فيها فرقة من هذه الفرق فامتنعت بذلك رشوة القضاة لكثرتهم وفُتح للرعية مدخل عظيم في امور السياسة والاحكام فلم يقدر ارباب السياسة ان يعملوا شيئًا من دون مشاورتها فتسلط بركليس على

مجلس القضاة

افئدة الناس ولم يستطع احد ان يسبقهُ الى رضاهم وكان من يشدد مقاومتهُ ينفى وزخرف بيركليس المدينة بالابنية الفاخرة والهياكل الحسنة وتماثيل الآلهة من صنع اشهر النحاتين والنقاشين المصورين وكان اولهم فيدياس الذي لم يسبقهُ احد الى اتقان تلك الصناعة ومن اعظم اعمالهِ ثلاثة تماثيل للالاهة اثينا على الاكروبُلِس احدها من عاج وعلوهُ ٤٧ قدمًا مزين بكثير من الذهب وكان في هيكل البرثينون الموقوف لها وذاع صيت فيدياس بين جميع اليونان حتى سألوهُ ان يصنع تمثالًا لزفس في اولمبيا من عاج وذهب علوهُ ٦٠ قدمًا فاصبح من اعجب ما صنعتهُ ايدي البشر

فيدياس

٣٠ وفاق اهل اثينا سائر اليونان في العلوم والصنائع والتمدن والقوة البحرية فحسدوها وارادوا اذلالها واستثقلوا سلطتها اذ التزموا ان يؤدُّوا لها الخراج كل سنة لكنهم لم يجسروا على خيانتها لما كانت عليهِ من القدرة والبأس على ان ساموس خانتها سنة ٤٤٠ ق٠م٠ وكانت من محالفي اثينا لا من عبيدها لكنها لما رفضت المحالفة وانت ما يغيظها اشهرت اثينا الحرب عليها واخضعتها وحملتها على الطاعة وكان ذلك صعبًا على اثينا لان ساموس كانت قوية بحرًا وفي قرب هذا الزمان اسست اثينا مدينة أَمفيولس في مكدونية عند نهر استريمون التي اشتهرت وغنيت بكثرة معادنها وبعثت اثينا مهاجرين الى ايطاليا واسكنتهم مدينة ثوريا وكانت هذه وطن هيرودوتس المورخ واتسعت املاك اثينا كثيرًا فقيل انها كانت مستولية على نحو ١٠٠٠ مدينة واستولت سفنها على البحر وعظمت تجارتها فامتلأت من اصناف الناس

خيانة ساموس

امفيولس ومهاجر اثينا

٤٠ ولنذكر الاسباب التي اوصلت الى التحام الحرب بين اثينا والبلوبونيسس فنقول استوطن جزيرة كُرْكيرا مهاجرون من كورنثوس فارتقت في مراقي القوة والغنى فجارت اثينا واخذت تختط لنفسها مدنًا في اماكن مختلفة وكانت اعظم تلك المدن مدينة ابيدامنوس على شاطئ البحر في إلّركوم وحدثت وحشة بين الخاصة والعامة في هذه المدينة فطرد العامَّة الخاصَّة فجمع هولاء جنودًا من البرابرة وهاجموها فسأل العامَّة كركيرا النجدة فلم تجبها فسألوا كورنثوس فامدتهم بالسفن والجنود وانقذتهم فلما سمع الكركيريون اغتاظوا وحاربوا اهل كورنثوس ولما كانوا اقوى بحرًا هزموهم شرَّ هزيمة واستولوا على ابيدامنوس واسروا من فيها من الكورنثيين ٠ ثم شرعوا يغزون وينهبون محالفي كورنثوس واغاظوا الناس بتعدياتهم فاخذت كورنثوس تعد كل قوتها للحرب وتجمع المدد من

امر كركيرا

حربها مع كورنثوس

طلبها المساعدة من اثينا

المخالفين اما كركيرا فلم يكن لها محالف فايقنت انها لا تقدر ان تقاوم كل القوة التي تعدها كورنثوس وسألت اثينا المحالفة والاسعاد فلما علمت كورنثوس بعثت رسلا الى اثينا ليقاوموا الكركيريين ويصرفوا الاثينيين عن معاهدتهم . اما اثينا فمالت الى معاهدت كركيرا وارسلت سفناً اليها على شرط انها لا تهاجم الكورنثيين ما لم يحاولوا الاستيلاء على الجزيرة ولما ثارت الحرب البحرية بين الفريقين قرب كركيرا غلب الكورنثيون ولولا خوفهم من الاثينيين الذين راقبوهم مدة الحرب لاخضعوا الجزيرة فارتدوا بغيظ عظيم على اثينا مضمرين لها النقمة

خيانة بتديا

٥ . وكانت في مكدونية مدينة من توابع اثينا اسمها بتديا اهلها الاصليون من كورنثوس فاغراها الكورنثيون وبعض المدن المجاورة لها بالخيانة وكان بَرْدِكَّاس ملك مكدونية يساعدها ولما عرفت اثينا بهذا بعثت جيشاً وهاجمت بتديا فلم تقدر ان تفتحها الاَّ بعد سنتين قاست فيها اعظم المشاقّ فلما رأت كورنثوس حال بتديا وانها لا بدَّ من ان تخضع لاثينا ان لم يأتها مدد سألت سبرطا ان تحارب اثينا وتجمع لمحاربتها كل جنود البلوبونيسس وبعثت معتمدين الى سبرطا لحثّها على ذلك وقالوا ان اثينا قد تقوَّت كثيراً وتسلطت جوراً على كثيرين من اليونان اخوتهم وان سلطانها يعظم سنة فسنة فيجب ان تردّ لئلاَّ تخضع الجميع وانهُ يشين شرف سبرطا ان تسمح لاحد ان يسبقها وقالوا غير ذلك

تهييج الرسل سبرطا الى الحرب

مما يوقد نار الحماسة في السبرطيين ويحملهم على القتال وأتى رسل من مغرى ايضاً يشكون اليهم اثينا لانها اخرجت تجار مغرى من موانيها ونهتهم عن الاتجار مع محالفيها وانذرتهم بانهم ان لم ينتهوا يقتلوا وبعث اهل ايجينا قوماً يشكونها اليهم لظلمها ويسألونهم المعونة لانهم كانوا دوريين ولهم حق في اسعاد سبرطا

٦ . وكانت سبرطا نفسها راغبة في الحرب وكذلك اكثر اهل البلوبونيسس اذ حسدوا اثينا لمآثرها الشهيرة وتقدمها العظيم فاجابت سبرطا وحكمت بذنب اثينا وانها خالفت العهود وانها ان لم ترجع عن جورها وتعوض على المظلومين تقاتل اشد مقاتلة ومع انها قصدت الحرب بعثت معتمدين الى اثينا كانها تريد المصالحة لكنَّ ما طلبتهُ كان ثقيلاً لا يمكن اثينا ان تسلّم بهِ مع بقائها على مقامها وشرفها فانهُ كان من جملة مطاليب سبرطا ان

اشهار سبرطا الحرب

الاثينيين يرفعون ايديهم عن بتديا وسائر المدن التي استولوا عليها ويطردون نسل الاكميونيين لارتكابهم المحرمات وكانت غاية الشرط الاخير ان يخرجوا بركليس اذ كانت امهُ من تلك العشيرة وانما خشوهُ اكثر من الجميع. فرفضت اثينا كل ذلك ولا سيما الشرط

الأخير لان الناس عطفوا عليهِ ولم يسمعوا شكاية الاعداء

امر بلاتيا ٧. ثم حدث ما هاج الجميع واحمى وطيس الحرب حالاً وهو ان ثيبة رامت اخضاع بلاتيا التي انفصلت عنها من زمان طويل واتحدت باثينا وكانت امينة لها فسار اناس من ثيبة ليلاً ودخلوا بلاتيا بمساعدة من كانوا من حزبهم وقد ظنوا انهم استولوا على المدينة لكنَّ اهلها قاموا ودافعوا بنشاط واسروا الثيبيين وقتلوهم فلما سمع اعوان ثيبة بما كان نادوا بالحرب وشرعت سبرطا تجمع جنود محالفيها عند كورنثوس قاصدة القدوم على اثينا وهكذا ابتدأت الحروب المسمَّاة البلپنيسيَّة سنة ٤٣١ ق.م

الفصل العاشر

في الحرب البلپنيسيَّة الاولى من سنة ٤٣١ الى سنة ٤٢١ ق.م

نهب اتكا ١. ذكرنا ان سبرطا جمعت جنود محالفيها عند كورنثوس وكان يقدمهم أرخيداموس ملك سبرطا فزحف عسكرهُ الى اتكا واخذ ينهبها وكان اهلها قد اجتمعوا داخل اسوار اثينا فلم يقدر العدو على شيء غير نهب الحقول واحراق البيوت واذ كانت اثينا مستولية على البحر لم يكن على اهلها خوف الجوع وفوق ذلك بعثوا بوارج تغزو شطوط البلپنيسس فاضطر الاعداء الى الرجوع بالخيبة مع وفرة جيشهم قيل انهُ كان ٦٠٠٠٠ وقيل ١٠٠٠٠٠ ولما قفلوا خرج الاثينيون ونهبوا اراضي مغرى وخربوا كل ما فيها ولم يقتصروا على ذلك فهاجموا ايجينا وطردوا كل اهلها وانزلوهم في البلپنيسس واسكنوا الجزيرة اناساً من اثينا وعلى ذلك انتهت السنة الاولى للحرب

الطاعون في اثينا ٢. وفي السنة الثانية نهب جيش البلپنيسس حقول اثينا كالسابق ولاذ اهل البلاد بالمدينة وتفشى فيهم طاعون لم يعهد مثلهُ بين اليونان وكان قد اصاب اسيا سابقاً ودخل الى اثينا من بعض السفن وكان معدياً ومميتاً ندر من شفي ممن أُصيبوا بهِ فهلك بهِ خلقٌ

كثير اذ كان كل اهل اتكا مجتمعين مزدحمين داخل اسوار المدينة. قيل انهم لم يقدروا على دفن الموتى اذ خاف الجميع ان يدنوا منهم وبقي هذا الطاعون نحو سنتين ثم انقطع نحو سنة ونصف ورجع بشدتهِ الاولى وبقي سنة فاهلك الوفًا كثيرة واضعف اثينا اكثر من جميع جنود سبرطا سنين كثيرة ومع ذلك كان الاثينيون يخرجون بسفنهم للغزو في اراضي الاعداء الَّا انهم كلوا لشدة الضيق وكثرة النوازل فطلبوا المصالحة على رغم پيركليس فانهُ كان لا يزال يحثهم على المقاومة فبعثوا رسلاً الى سبرطا يطلبون الصلح فلم تسمع لانها ظنت اثينا اوشكت ان تهلك فلما تحقق الاثينيون مرادها عزموا على الثبات والحرب ومالوا الى پيركليس كل الميل لكنهُ لسوء حظهم أُصيب بالطاعون وادركهُ الاجل سنة ٤٢٩ ق.م. ولما اشرف على الموت اخذ اهلهُ يعزونهُ بذكر اعمالهِ العظيمة ومجدهِ فقال قد اهملتم ذكر ما هو افضل في سيرتي وهو انهُ لم يضطر احد من اهل مدينتنا ان يلبس المسوح وينوح على فقد صاحبهِ لفعل من افعالي

طلبهم الصلح

موت پيركليس سنة ٤٢٩ ق.م

٣. اما الحرب فلم تكن شديدة لان الاثينيين ضعفوا من الطاعون واعداؤُهم لم يهاجموهم كثيرًا خوفًا منهُ . اما بلاتيا فاضطرَّت ان تسلم للاثينيين في هذه السنة وهي (سنة ٤٢٩) وحاصر السبرطيون پلاتيا لمعاهدتها اثينا وطال الحصار لان اهلها دفعوا عنها اشد الدفع والتزم الاعداء ان يقيموا سورًا حول المدينة وتوقعوا ان تسلم من الجوع. اما الاثينيون فبعثوا فورميو احد قوادهم ومعهُ نحو عشرين سفينة ليحافظوا على محالفيهم في نواحي خليج كورنثوس وشطوط البحر الغربية في أَكَرْنانيا وغيرها وكان مركزهُ نوپكتوس المذكورة في نبإ المسينيين فحملت عليهِ في خليج كورنثوس بوارج الپلپنيسيين وكانت اكثر من سفنهِ لكنهُ غلبهم بحسن التدبير وتمرين الملاحين الاثينيين فصعب ذلك على السبرطيين وبعثوا بوارج اقوى من الاولى فكسرها فورميو ايضًا فانهزم الاعداء معترفين بانهم لا يستطيعون مقاومة اثينا بحرًا

اخذ بلاتيا سنة ٤٢٩ ق.م

غلبة فورميو بحرًا

٤. ثم دخلت السنة الرابعة للحرب وكانت اثينا قد تضايقت كثيرًا من جرى الطاعون مع انهُ كان قد انقطع حينئذٍ . وفي هذه السنة خرجت عليها متيليني اعظم المدن في جزيرة لسبوس فاضطربت اثينا من هذه الخيانة لان لسبوس كانت على غاية من القوة البحرية فخشيت اثينا من انها ان نجحت في تلك الخيانة خرج غيرها من مدنهم فعزم الاثينيون على اخضاعها بكل سرعة وعنف وبعثوا البوارج لمهاجمتها واذ علموا ان اهلها هيجوا

خيانة متليني

السبرطيين لمساعدتهم التزموا ان يظهروا قوتهم في نواحي البلبنيسس كالعادة فبذلوا جهدهم
اخذها وجهزوا ١٠٠ سفينة انذارًا لها في اثناء محاربة لسبوس وبعد مقاساة اشد المشاق اخضعوا
وامر الاسرى لسبوس ولما سلمت متليني بعث القائد بالف رجل من اهلها الى اثينا وطلب الاوامر بقصاص
المدينة فاجتمع ارباب القضاء للنظر في ذلك فقام رجل دنيء النسب اسمهُ كليون وسألهم
ان يأمروا بقتل كل رجال المدينة وبيع النساء والاولاد عبيدًا وكان من البلغاء المقتدرين
فاوقد غيظ السامعين وحملهم على الانتقام من الخائنة فاجابوا وبعثوا مركبًا الى متليني بذلك
الامر للقائد لكنهم ندموا ليلتهم ندامة شديدة على تلك البادرة ولما اصبحوا اجتمعوا ثانيةً
والغوا الحكم السابق وبعثوا مركبًا اخر بكل سرعة بمنع القائد عن انفاذ الامر فوصل
والقائد على وشك امضائهِ فعفي عن الذين في المدينة لكنهم قتلوا الذين اخذوا الى اثينا كما
تقدم وهو فعل فظيع غير انهُ كان وفق عادتهم في تلك الايام فان السبرطيين فعلوا
كذلك بالذين اسروهم قرب هذا الزمان في بلاتيا وبقي حصار المدينة نحو سنتين وفي هذه
افتتاح بلاتيا المدة نجا ٢١٢ من الذين فيها بأن بيتوا الحاضرين في ليلة مظلمة اما الباقون فسلموا انفسهم
وقتلوا عن اخرهم وكانوا نحو ٢٠٠ رجل ثم هدم الاعداء بلاتيا وسلموا اراضيها الى الثيبيين

٥. ثم حدث امر مخيف في جزيرة كركيرا هو ان الخاصة مالوا كل الميل الى حرب
النزاع في كركيرا كورنثوس اما العامة فقاوموهم في ذلك وانتشب بين الفريقين قتال شديد واستصرخ
الخاصة البلبنيسس وحدث ان هولاء ارسلوا اربعين سفينة نجدة لمن كانوا من حزبهم في
كركيرا فكاد يغلب الخاصة وقتلوا بعض العامة واحرقوا جانبًا عظيمًا من المدينة اما العامة
فاستنجدوا اثينا فبعثت بوارجها لعونهم ولما وصلت فرَّ البلبنيسيون هاربين بدون قتال
وتركوا حزبهم في كركيرا . فتقوّى العامة حالًا على اعدائهم الخاصة وقتلوا مئات منهم وهرب
الباقون وعظم القلق في الجزيرة واتلفت الاملاك وافتقر الناس وما حدث في كركيرا حدث
كثيرًا بين اليونان حينئذٍ لسبب مخاصمات الخاصة والعامة وكان السبرطيون يعينون
الخاصة في كل مدينة لكي يسلطوهم على اهلها فيكونوا من حزب سبرطا اما اثينا فكانت
تعضد العامة في كل مكان لتلك الغاية عينها وكان الغالب يجور على المغلوب ويظلمهُ

الطاعون ايضًا ٦. وكان في السنة الخامسة من الحرب ان الطاعون اصاب اثينا ثانيةً واضعفها
كثيرًا ومع ذلك لم تكل في الحرب بل بعثت سفنها الى الجهات تضر بالعدو حيثما يسهل
ديموسثينس لها والذي اشتهر بالنصر حينئذٍ اكثر من غيره ديموسثنيس وكان معهُ سفن وعسكر في

نوبكتوس ولم يفز بالمراد من مهاجمة ايتوليا لكنهُ دفع عن مركزهِ لما اجتمع عليهِ الايتوليون وجيش البلوبنيسس ولما هجم هولاء على الاكرنانيين اعوان اثينا قهرهم اشد القهر وانقذ الاكرنانيين منهم

٧. وكان للاثينيين في السنة السابعة من الحرب اي سنة ٤٢٥ ق.م. نجاح عظيم لم يتوقعوهُ فانهم بعثوا البوارج لمساعدة الكركيريين وكانوا قد تضايقوا من الخاصة المطرودين فرجعوا وتحصّنوا في الجزيرة ونهبوا الحقول وكان السبرطيون يعينونهم ويبعثوا مراكب كثيرة لنجدتهم فاسرع الاثينيون الى معونة حزبهم هناك وبعثوا مع البوارج ديموستنيس وسلموا اليهِ الامر بأن ينزل على شطوط البلوبنيسس ويضايقها ان تمكن من الفرصة مع انهُ لم يكن قائد البوارج في هذه السنة ولما وصلوا الى مكان على الشط الغربي من ارض مسينيا يسمى بيلوس التزموا لشدة اضطراب البحران يميلوا اليهِ وكان هناك خليج صغير تجاه مدخلهِ جزيرة تسدّهُ تقريبًا فكان ماء الخليج ساكنًا امينًا للسفن والارض فوق الخليج عالية مناسبة للتحصين فرأى ديموستنيس هذا المحل وفق ما اراد لانهُ كان يريد ان يحصن محلاًّ كهذا ويسكنهُ بعض المسينيين الذين كانوا في نوبكتوس فيضايقون سبرطا وهي لا تبعد اكثر من ٤٥ ميلاً عن بيلوس فاشار على القواد ان يحصنوا المحل فاقاموا سورًا حيث لم يكن المكان منيعًا طبعًا. ثم تقدم القواد والعسكر الى كركيرا تاركين ديموستنيس مع شرذمة وخمس سفن ليدفع عن المكان اذا هاجمهُ السبرطيون ولم يلبث ان اتصل الخبر الى سبرطا فبعثت جنودًا ليطردوا العدو من ارضهم وظنوا ذلك عليهم سهلاً لكنهم لما هجموا على الحصن الصغير دفعهم ديموستنيس. فالتزموا ان يسترجعوا بوارجهم التي كانوا قد بعثوها الى كركيرا فلما اتت ايقنوا بلوغ الغاية اذ كانت كثيرة وادخلوا احسن عسكرهم الى الجزيرة لئلاَّ يفلت احد من الاعداء لانهم قصدوا اهلاكهم عن آخرهم

نزولهُ في بيلوس

تحصين بيلوس

مهاجمة السبرطيين بغير نجاح

٨. ثم بطشوا بهم واجتهدوا ان ينزلوا عن السفن ويطردوا الاثينيين من مكانهم فدفع الاثينيون عن انفسهم دفعًا عظيمًا فلم يقدروا ان يضعوا قدمًا على البر فرجعوا فشلين وفي اليوم الثالث رجعت بوارج الاثينيين فلم يقدر السبرطيون ان ياتوا شيئًا حينئذٍ فانكسروا تمام الانكسار بحرًا كالعادة وانحصر الذين ذهبوا الى الجزيرة ولم يبقَ لهم مهرب اذ استولى الاثينيون على البحر وحاطوهم الفضاء فلما رأى ذلك السبرطيون خافوا على اخوتهم في الجزيرة وطلبوا المدنة ليتباحثوا في امر الصلح خوف اسر من كانوا في الجزيرة اذ كانوا من

حرب السبرطيين في الجزيرة

طلبهم الصلح اشراف سبرطا فتم الاتفاق على هدنة الى ان يذهب الرسل الى اثينا ويسألوا اهلها عن شروط الصلح وسلّم السبرطيون جميع سفنهم الى الاثينيين حتى يرجع الرسل بشرط ان الاثينيين يسمحون لهم بنقل ما يلزم من الزاد للمحصورين في الجزيرة وكان مجيء رسل السبرطيين الى اثينا بغية الصلح من عجائب الامور لانهم رفضوا بكبريائهم كل طالب اثينا قبل ذلك واهانوها وكان طلبهم الآن ان يفرج عن المحصورين فيعقدوا الصلح مع اثينا ويحالفوها

٩. فابتهج الاثينيون ابتهاجًا عظيمًا لما حدث وطمع بعضهم في اخضاع سبرطا واعوانها ومن جملة هولاء كليون فحرّض الاثينيين على رفض طلب السبرطيين ما لم يسلموا بعض المحالّ التي خسروها في الحرب ولما الحّ كليون في ذلك ولم يستطع الرسل ان يجيبوا طلبة رجعوا بلا فائدة واشتعلت الحروب وجاهد السبرطيون بكل ما استطاعوا اذ لم يروا غير ذلك السبيل ولاسيما الذين كانوا في الجزيرة وكان عددهم نحو ٤٢٠ مدججًا فلم يفز الاثينيون بما ارادوهُ من مهاجمتهم والتزموا ان يقتصروا على محاصرتهم ويمنعوا عنهم الزاد متوقعين ان يسلموا من الجوع. فكان اخوتهم على البرّ يوصلون الزاد اليهم بخطرٍ عظيم وظلوا يأتون ذلك زمانًا فخاف الاثينيون ان ينجوا فبعثوا يسألون النجدة ولما وصل الرسل الى اثينا خجل الناس وندموا على انهم لم يقبلوا طلب السبرطيين الصلح قبلاً وغضب جانب على كليون اذ صرفهم عن ذلك ولاسيما القائد نيكياس الذي كان مائلاً الى الصلح دائمًا ولما صار البحث في المجمع التزم كليون ان يحامي عن نفسهِ. واذ كان فصيح اللسان لم يرتب مما يقولهُ فلام ديمُسثنيس ومن معهُ على عدم فوزهم وقال انهُ من اسهل الامور اخذ شرذمة من الاعداء محبوسين في جزيرة ولو كنت انا قائدًا لانفذت الامر فضحك الناس عليهِ اذ لم يكن من المجربين في الحروب وليس ممّن يعرفون واجبات القواد فقالوا لهُ مازحين اذهب وانفذ ما قلت فلم يرد ذلك واستعفاهم فلم يعفوهُ والزموهُ ان يسير مع النجدة التي بعثوا بها لظنهم انهُ يظهر بذلك جهلهُ فيخجل ويعتزل امور السياسة ويستريح الناس منهُ فلما علم انهُ لا بدّ من الذهاب تشدّد وتكلم بالعظمة قائلاً انهُ لا بد ان يقتل الاعداء او يجيء بهم الى اثينا لمضيّ ٢٠ يومًا فضحكوا بهِ

حصار الجزيرة بلا فائدة

طلب النجدة من اثينا

أمر كليون

تعيينهُ القيادة

١٠. فسار كليون ومن معهُ الى بيلوس ولما وصلوا هجموا على الجزيرة ببأسٍ وقلوب لا ترهب الموت فالتزم السبرطيون بعد هول ذيالك القتال ان يسلموا ولم يكونوا سوى

اخذ السبرطيين في الجزيرة

٢٩٣ ورجع كليون بالاسرى الى اثينا قبل نهاية المدة المعينة فعظم في عيونهم كثيرًا مع انهُ لم يأتِ شيئًا يعتدّ بهِ في مسعاهُ فان ديمستنيس دبَّر امور الحرب وكانت جنود الاثينيين حينئذٍ نحو ١٠٠٠٠ فلا عجب من ان يغلبوا ٤٠٠ او ٥٠٠ من السبرطيين واغرب من هذا كلهِ انهُ تعجب جميع اليونان لما شاع ان السبرطيين سلَّموا وكان يمكن اثينا عند ذلك ان تعقد الصلح على شروط موافقة والظاهر ان سبرطا بعثت الرسل في هذا الشان واجتهدت في ردّ الاسرى اذ كان بعضهم من الاشراف غير ان الاثينيين افتخروا فلم يريدوا الصلح الا بشروط لم تقبلها سبرطا فبقيت الحرب وسار نيكياس بالبوارج والجنود يغزو شطوط العدو لكنهُ لم ينجح كثيرًا وسار يوريميدون وهو قائد آخر من قوّادهم الى كركيرا وساعد اهلها على اخضاع الخاصة الذين تحصنوا هناك كما مر ولما قهروهم قتلوهم عن آخرهم

تاثير هذا الامر في اليونان

افتتاح كيثيرا

١١. ثم دخلت السنة الثامنة للحرب فبذلت اثينا جهدها فيها وفازت كما مر فسار نيكياس في جندٍ وبوارج الى جزيرة قيثيرا جنوبي البلبونيسس وافتتحها ثم غزا شطوط لاكونيا وانذر السبرطيين لئلاَّ يخون عبيدهم بان يساعدوا العدو فمكروا بالفين منهم وقتلوهم . ثم باشر الاثينيون اخضاع مغرى فاستولوا على نيسيا ميناها والسورين بينها وبين المدينة لكنهم لم يستطيعوا افتتاح المدينة عينها اذ اتى براسيداس احد قواد سبرطا مع جيش ودفع الاثينيين عن المدينة ثم هاجم الاثينيون بيوتيا واتخذوا مكانًا يسمى ديليوم على الشاطئ مقابل يوبيا وحصَّنوهُ ليكون مركزًا منهُ يغزون بيوتيا . فجمع البيوتيون جنودهم وساروا الى هناك وبطشوا بالاثينيين وهم راجعون من ديليوم وقهروهم وردوا ديليوم وفي هذه الحرب قاتل سقراط مع الاثينيين وكان قد اشتهر لفلسفتهِ وكانت هذه المعركة مصيبة شديدة لاثينا اذ هلك فيها كثيرون من احسن جنودها وضربت بصيتها واصابتها ايضًا اشد مصيبة في الشمال حيث سار براسيداس في عسكرهِ واخذ يحارب اعوان اثينا في مكدونية وكان هذا القائد نبيهًا تصرف بالحكمة حتى اغرى بعض مدن الاثينيين ان تسلم لهُ بدون قتال وكان اعظمها واكثرها اعتبارًا امفيپولس على نهر ستريمون وكان فيها حراس من الاثينيين ومع ذلك استولى عليها براسيداس ولما شاع ذلك في اثينا حزنوا وخافوا على سائر املاكهم هناك ولما رأوهُ يتقدم شيئًا فشيئًا وقوادهم لم يقدروا ان يمنعوهُ سألوا السبرطيين الصلح وقد ذكرنا ميل سبرطا الى ذلك لكي تسترجع الاسرى لكنهُ لم يتيسر لهم بيان الشروط سريعًا فاتفقوا على هدنة سنة على شرط ان يحفظ كل من الفريقين ما كان يملكهُ حينئذٍ

قتل السبرطيين العبيد

فشلة الاثينيين عند مغرى وديليوم

سقوط امفيبولس

ولا يسأل زيادة مدة المدنة فتكون فرصة للبحث في امور الصلح الوطيد ولما اتفقوا على هذا بعثوا الرسل الى مكدونية بالخبر واتفق ان مدينة سكيوني قرب بنديا خانت اثينا وادخلت عسكر براسداس بعد عقد الهدنة بيومين وقبل وصول الرسل فطلب رسول اثينا ارجاع هذه المدينة فابى براسداس فاخذ الاثينيون يحاصرونها فابطلت الهدنة في تلك البلاد غير انها بقيت في سائر الانحاء الا ان غاية الهدنة وهي عقد الصلح لم تتم لسبب التشويش في الشمال

هدنة سنة

١٢ . وبعد نهاية الهدنة اصرّت اثينا على رد ما خسرتهُ هناك وبعثت الجيوش لافتتاح أمفيلس ولما كان كليون حاملاً لهم على ذلك اكثر من غيرهِ عينوهُ قائدًا كما فعلوا سابقًا في حرب بيلوس واذ لم يكن خبيرًا بالحرب ولم توافقهُ الاحوال هذه المرة انهزم هو وجيشهُ شرّ هزيمة وقتل هو ونحو نصف عسكرهِ في معركة حدثت عند أمفيپولس ولم يهلك من اعدائهِ سوى سبعة رجال لكن كان من جملتهم براسداس وهو كان يُعدّ عندهم كجيش فمالت حينئذٍ قلوب الجميع الى الصلح وتمّ بين معتمدي سبرطا واثينا في اذار سنة ٤٢١ ق.م. وهي السنة العاشرة للحرب . وكان اهم شروط هذا الصلح ما ياتي

هلاك كليون وبراسداس

ان ذلك الصلح يبقى خمسين سنة لا يضر فيها احد الفريقين بالآخر واذا وقع خلاف بينهما يساوى بالاتفاق ويشترط على سبرطا ان ترد المدن التي اخذتها حديثًا في مكدونية وثراكي ويشترط على اثينا ان ترد كيثيرا واماكن اخرى وانهُ على كل من اثينا وسبرطا ان تطلق جميع الاسرى والظاهر من هذه الشروط انهُ لم ينتفع احد الفريقين شيئًا من تلك الحرب بعد كل التعب والعناء فبقي كلٌّ على ما كان عليهِ من الملك قبلها وذلك مع خسائر جسيمة في المال والرجال ويلاحظ امر آخر هنا وهو ان ما سموهُ صلحًا لم يكن سوى هدنة طويلة لانهُ كان لخمسين سنة وكان الصلح الدائم امرًا مستحيلاً بين اليونان وسترى ما يؤيد ذلك وسموا تلك الهدنة الطويلة صلح نيكياس

صلح نيكياس سنة ٤٢١ ق.م

الفصل الحادي عشر

الحرب البلوبونيسية الثانية

١. ذكرنا شروط صلح نيكياس التي بها وجب على سبرطا ان ترجع لاثينا المدن التي اخذتها في الشمال لكنها لم تفعل ذلك بدعوى انها لم تقدر لأنهُ لم يرد اهل تلك المدن ان يكونوا تحت حكم اثينا فلم يكن على اثينا ان تطلق الاسرى لكنها اطلقتهم بناء على مواعيد سبرطا الّا انها لم تسلّم پيلوس عدم تتميم الشروط

٢. ثم وقع خلاف بين اعوان سبرطا اذ ظنوا انها لم تراعِ حقوقهم في عقد الصلح ولاسيما كورنثوس فانها رامت محالفة البعض والتناصر على سبرطا وهيجت ارغوس عدو سبرطا القديم وسألتها ان تترأس على ذلك. ثم تغيّرت الاحوال في اثينا اذ غضب اهلها من عدم قيام سبرطا بالشروط وقام رجل يسمى ألكبيادس وقاوم نيكياس وقومهُ الذين مالوا الى صحبة سبرطا وحرّض الناس على معاهدة ارغوس ومن اتحدوا معها وكان الكبيادس غنيًّا جدًّا ومن اشهر صفاتهِ انهُ سيّئ السيرة متوغّلٌ في القحة والقبائح لكنهُ كان ينفق على الناس كثيرًا ويداهنهم حتى اصبح مرضيًّا عندهم وكان معتبرًا لكونهِ من عشيرة عظيمة ومن أنسباء پركليس فاخذ يتعرض لأمور السياسة حينئذٍ وحرّض مدينتهُ على معاهدة ارغوس مع إيليس ومنتنيا على سبرطا. فلما عرفت كورنثوس بدخول اثينا المعاهدة بقيت مع سبرطا خيانة بعض اعوان سبرطا الكبيادس

٣. وكانت الاحوال كذلك في عيد الاولمپية التسعين فشهدتهُ اثينا واعوانها بعد ان حُرِموا الحضور كل مدة الحرب السابقة وبذلت اثينا جهدها حينئذٍ في سبق الجميع ولاسيما الكبيادس وكان قد انفق مالًا جسيمًا ليزين احتفال مدينتهِ واخذ الجائزة الاولى والثانية في سباق المركبات وهو اكرام عظيم زاد صولتهُ كثيرًا ومما زاد مجد اثينا في ذلك العيد عدم حضور السبرطيين اذ منعهم الايليون لوحشةٍ بينهم حينئذٍ وكان للايليين حق الاولمپية التسعون

التصرُّف من هذا القبيل ولا ريب ان السبرطيين استثقلوا الامر واغتاظوا ولم يلبثوا ان انتقموا من اعدائهم واستجاشوا اعوانهم لمهاجمة ارغوس ولولا اتفاق ملك سبرطا مع قواد ارغوس قبل الجهاد لكانوا اخضعوها

حرب سبرطا وارغوس ٤. اما اهل سبرطا فالغوا ذلك الاتفاق وانتهزوا اول فرصة لمحاربة ارغوس واعوانها فانهم اجتمعوا لمهاجمة مدينة تجيا في اركاديا ولما سمع السبرطيون بعثوا جنودهم لمنع ذلك وقادهم اجيس احد ملكيهم وصارت الحرب قرب مدينة مَنْتنيا في اركاديا فانتصر فيها السبرطيون على المنتنيين والارغوسيين والاثينيين جميعهم فرجعت سبرطا الى مقامها السابق بين اهالي البلبنيسس ومع ان الاثينيين كانوا من المقاتلين لسبرطا في هذه الحرب لم ينقض العهد الذي كان بينهم جهارًا الَّا انهُ تمكنت الوحشة بينهما وادت الى شبوب نيران الوغى بعد قليل وعلمت اثينا انهُ لا بد منها فاتخذت الوسائط لتوسيع سلطتها البحرية ومنها اخضاع جزيرة ميلوس وكانت لم تزل مستقلةً ولم تكن لاثينا ادنى دعوى عليها وانما

اخضاع جزيرة ميلوس هاجمتها ظلمًا وعاملتها بقساوة لا مزيد عليها بأَن قتلت الرجال وباعت النساء والاولاد عبيدًا وكان ذلك سنة ٤١٦ ق.م. فنفر من ذلك اليونان ولاسيما السبرطيون اذ كان اهل ميلوس من جنس الدوريين

احوال سيسيليا ٥. ثم اخذ الاثينيون يهتمون بغزو سيسيليا اذ اتى قوم من تلك الجزيرة وحثوهم على ذلك كما ذُكر (راجع ف ٦ رقم ٨). ثم انتشبت حرب بين مدينتي سلينوس وايجستا فاستنجدت الاولى سرقوسا والاخيرة اثينا فزينت للاثينيين هذه الحرب الآن. نيكياس قاوم راي الجمهور لعلمهِ ان فيهِ تعبًا وخطرًا شديدًا امَّا الكيباديس فبذل جهدهُ في الاغراء بهِ ولما كانوا يميلون اليهِ حبًّا باتساع دائرة سلطانهم استمعوا لهُ ووافقوهُ على ما اراد فعينوهُ ونيكياس ولاَمَخوس قوادًا على البوارج والجنود الذين قصدوا ارسالهم الى سيسيليا

كسر التماثيل في اثينا ٦. ثم حدث في اثينا امرٌ غريب مقلق لم يسمع بمثلهِ في اثينا وهو كسر الهرْمي تماثيل الاله هرميس اي عطارد التي نصبوها على جوانب الاسواق وعند ابواب البيوت لشدة اعتبارهم لهُ. وكسرت هذه التماثيل في ليلة واحدة فالقى هذا الامر الرعب في قلوب الناس خوف غيظ الاله وتشاءموا منهُ في المشروع الذي كانوا عليهِ الاَّ انهم استبدوا بهِ وارسلوا البوارج والرجال لاخضاع سيسيليا سنة ٤١٥ ق.م

٧. واجتمعت بوارج اثينا مع الاعوان في جزيرة كركيرا وهم آخذون في طريقهم وبلغ

عدد السفن ١٣٤ سفينة فيها اكثر من ٦٠٠٠ مقاتل وكانت السفن ومهمات الحرب على غاية الاتقان فتمنّوا الاعمال العظيمة لكن النتيجة لم تاتِ وفق المراد حملة سيسيليا

ثم تقدموا الى شطوط ايطاليا ودعوا مدن اليونان هناك ان تحالفهم في هذه الحرب لكنها امتنعت وكذلك مدن اليونان في سيسيليا ما عدا نَكْسوس فانها اتحدت معهم طوعًا وكتَنا فانهم استولوا عليها حيلة وكانت هاتان المدينتان على الشط الشرقي شمالي سرقوسا وقبل ان باشروا الحرب اخذ القواد الثلاثة ينظرون في طريق اجرائها واختلفوا في ذلك وفي اثناء البحث جاء الامر من اثينا بان يرجع الكبيادس حالاً ليتحاكم اذ ادعي عليهِ بالفساد في الدين وبانهُ قد مارس بعض السنن السرية في بيتهِ وفي بيت غيرهِ ازدراءً بها وبالدين وظن البعض انهُ كان لهُ اليد الطولى في كسر التماثيل كما مر لكن ذلك غير ثبت ولما كان قائدًا وذا منصب لم يقيدوهُ بل تركوهُ يسير في سفينتهِ الخاصة ولما بلغ شطوط ايطاليا هرب والظاهر انهُ ايقن بانهم يحكمون عليهِ اقامة الدعوى على الكبيادس

٨. ولم يفعل الجيش ما يستحق الاعتبار وكان بطيء العمل واهمل وسائط النجاح اذ تأخر عن محاصرة سرقوسا حتى استعدت المدافعة ولم يقدر ان يعقد معاهدة مع بقية المدن التي خاف اهلها من صولة اثينا او تمكّنت من السلطة على الجزيرة وبقيت الاحوال هكذا الى الشتاء فلم يستطيعوا المحاربة وشتّوا في كتَنا وبعثوا رسلاً الى اثينا يسأَلون نجدةً من الفرسان اذ لم يكن معهم فارس. وارسل اهل سرقوسا وفدا الى البلبنيسس يسأَلون المساعدة ولا سيما مساعدة سبرطا. ولما بلغوا المدينة اتاهم معينٌ لم يتوقعوا مساعدتهُ وهو الكبيادس فانهُ هرب الى سبرطا وكان ممتلئًا غيظًا وحنقًا على اثينا لما حصل لهُ من الاهانة والخطر فالحّ على السبرطيين ان يعاونوا سرقوسا ويشهروا الحرب حالاً على اثينا ويتخذوا مكانًا في نفس ارضها حصنًا لهم فيضايقوها على الدوام فاجاب السبرطيون الى ذلك وبعثوا قائدًا يسمى جِلِّبوس مع قليل من المدد الى سرقوسا ووعدوها بارسال اكثر من ذلك في السنة الثانية وكان جلِّبوس رجلًا حاذقًا نفع سرقوسا نفعًا عظيمًا عدم نجاح الاثينيين

٩. وفي ربيع سنة ٤١٤ ق.م. تقدم الاثينيون من مشتاهم واخذوا يحاصرون سرقوسا فخرج اهلها لدفعهم فقهروهم مرتين او ثلاثًا ولولا انهُ قتل لاماخوس في بعض الوقائع وبقي نيكياس وحدهُ في قيادة الجيش لكانوا احاطوا بالمدينة كل الاحاطة. وكان نيكياس كثير التحفُّظ ولم يجرِ الاعمال كما يجب ولما جاء جلبوس في عسكر قليل دخل المدينة بدون مقاومة

حصار سرقوسا ومن ثم طفق يعيق الاثينيين ومنعهم عن هجوم المدينة وغلبهم في الميدان حتى خشي نيكياس على جيشهِ وبعث رسلاً الى اثينا يسألهم الاذن في الرجوع او يمدوهُ بالسفن والرجال ولا ريب في ان هذا الخبر ثقل على الاثينيين لانهم كانوا قد جهزوا لهذه الحرب احسن البوارج التي كانت لهم وفيها اقوى عسكرهم فتوقعوا فوزًا عظيمًا فبلغهم خلافهُ ونبأُ الخطر الذي كان الجيش فيهِ وضاقت بهم الحال بانهم جددوا بذلك عداوة سبرطا لكنهم لم يتأخروا عن ارسال المدد الى سرقوسا مع يوريمدون وديمُستِنيس القائدين الشهيرين كانهم لم يريدوا الرجوع عن ذلك المشروع الاَّ بالفوز وكان عدد البوارج التي ارسلوها ٦٣. وفي اثناء ذلك بعثت سبرطا ايضًا المدد الى سرقوسا وغزا اتكا واقام بها حصنًا على اكَمة تسمى دِكليا تبعد عن اثينا نحو ١٢ ميلاً وكانوا يغزون منها وينهبون بلا مشقة

١٠. وساءت احوال الاثينيين في سيسيليا وتقدمت امور السرقوسيين الى ان هاجموا الاثينيين بحرًا وغلبوهم ولولا وصول ديمستنيس حينئذٍ بالمدد اهلكوهم جميعًا وكان ذلك القائد شديد البأْس حاذقًا كما رأينا سابقًا فلما عرف الواقعة علم ان لا نجاح لاخوتهِ ما لم يسدوا الطريق على الذين يأتون لمساعدة المدينة. وكان السرقوسيون قد حصنوها فهاجم ديمستنيس استحكاماتهم ليلاً وكاد يستولي عليها لكنهُ طرِد اخيرًا وخسر كثيرًا من عسكرهِ فعلم حينئذٍ انهُ لا فائدة من ملازمة الحصار واشار على نيكياس بالرجوع ولما اعتمدوا على ذلك واستعدوا للهرب ليلاً حدث في تلك الليلة خسوف فابى نيكياس ان يذهب قبل مضي شهر وادرك السرقوسيون غاية الاثينيين وايقنوا الغلبة وهاجموا بوارجهم وهزموا الاثينيين. ولما حاول هولاء الهرب صدوهم فتحقق الاثينيون بعد قتال شديد انهُ لا مهرب لهم بحرًا ولا مناص لهم من الهلاك اذا بقوا في مكانهم فسافروا جميعًا من محلتهم قاصدين

هلاك جيش اثينا في سرقوسا سنة ٤١٣ ق.م بعض مدن محالفيهم. اما السرقوسيون فلما ادركوا مرادهم تبعوهم واوقعوا بهم واسروهم كلّهم وقتلوا القواد وباعوا العسكر عبيدًا وكانت هذه اعظم مصيبة اصابت اثينا في كل حروبها السابقة واضعفتها كثيرًا اذ كانت قد بذلت اكثر اموالها ورجالها في هذا المشروع وظنها اعداؤُها لا تستطيع المقاومة بعد وكان ذلك سنة ٤١٣ ق.م

١١. ولما نما الخبر الى اثينا خشي الناس كثيرًا لانهم انتظروا هجوم جميع اعدائهم على مدينتهم وليس لهم قوة على المدافعة الاَّ انهم ما يئسوا كل اليأْس فعزموا على شديد المقاومة ما دام لهم رمق. اما محالفو اثينا فلما عرفوا ما كان هاجوا وارادوا الخيانة ولا سيما جزيرة.

خيوس التي كانت من اعظم الجزائر التابعة لاثينا وراسلت سبرطا بهذا الشان ووعدهم السبرطيون بالمعونة وجهزوا البوارج لتلك الغاية . الاَّ ان الاثينيين لما رأوها قادمة من البلپنيسس اوقعوا بها وغلبوها وكان السبرطيون متحيرين من ذلك ولولا تحريض الكبياديس اياهم لعدلوا عن مشروعهم فانهُ وعد ان يسير الى خيوس في خمس سفن ويهيج الجزيرة للخيانة وفعل وحالما وصل عصت وبعد ذلك مليتس وعدة مدن اخرى . ولما اخبر بهذه الخيانة في اثينا زادت خوفًا لعلمها انهُ اذا قام عليها محالفوها فلا نجاة لها من الخراب فاشتدَّت لمدافعة هذا الخطر مع انها كانت في الضيقات الشديدة ونتعجب مما فعلت وقتئذٍ فانها جهزت ما ينيف على ١٠٠ سفينة وبعثتها لاخضاع الخانة لكنها لم تقدر عليهم حالاً لتجهز اعداؤُها من السفن مثلها عددًا وطفق قواد السبرطيين يراسلون الفرس فقطعوا عهدًا معهم خلاصتهُ انهم يتركون للفرس جميع اليونان الذين تسلَّطوا عليهم قديمًا على شرط ان الفرس يساعدون سبرطا ومحالفيها على اخضاع اثينا . وكان هذا الامر شر عارٍ على من حارب اسلافهم زركسيس ونار الحماسة ملء افئدتهم . واما الاثينيون فجاهدوا احسن جهاد واخذت امورهم ترقى في مراقي النجاح لما حدث الانقلاب في مدينتهم

خيانة خيوس وملتيوس

محالفة سبرطا مع الفرس على اثينا

١٢ . وكان سبب ذلك ان السبرطيين اتهموا الكبياديس بالخيانة وارادوا قتلهُ سرًّا لكنهُ ادرك مرادهم وهرب الى مرزبان الفرس في اسيا الصغرى وشرع يثنيهِ عن كلٍّ من الفريقين ويشير عليهِ بان لا يساعد احدًا منهما كثيرًا بل يتركهما يتضاربان حتى يضعفا قال وحينئذٍ يجب ان يعين اثينا لئلاَّ تظفر بها سبرطا وتتقوَّى . ثم اخذ يراسل قواد بوارج اثينا واخبرهم ان المرزبان يساعدهم ان غيَّروا نظام الجمهورية في اثينا واشار عليهم بالغائهِ ووعدهم بمعونة الفرس لهم على سبرطا واذ كان اكثر القواد من الخاصة قبلوا هذه المشورة وبعثوا الى اثينا من يغرون الناس بان يفسخوا نظامهم ويقيموا حكم الخاصَّة بدعوى انهم يحصلون بذلك على النصر . فامتثلوا لكلامهم مع شدة محبتهم لذلك النظام لانهم يئسوا من الفوز في الحرب ولما تم ذلك لم يقدر الكبياديس ان ينجز وعدهُ . لانهُ اتى ما اتاهُ بغية ان يدعوهُ الخاصة من منفاهُ . اما هؤلاء فعندما ادركوا حيلة الكبياديس وعدم حصولهم على ما وعدوا به لاثينا خشوا ان يقوم الناس عليهم ويعزلوهم عن مقامهم الجديد . فصمموا على اغتصاب الملك وقتلوا اعداءهم وجمعوا الذين كانوا من حزبهم وحكموا بالغاء الجامع والمجالس السابقة واقامة مجمع آخر تكون اعضاؤهُ ٤٠٠ من الخاصة وتصرفوا كما شاءوا وقتلوا من احتسبوا منهُ شرًّا اما سرًّا او

الانقلاب السياسي في اثينا

تسلط الخاصة على المدينة

علانية حتى خشي الناس على انفسهم ولم يعلموا من يامنون لئلاَّ يكون صاحبهم دسيس هولاء الظالمين. وبعث الخاصة الى اجيس ملك سبرطا وعرضوا عليهِ تسليم المدينة لكنهم لم يقدروا ان يغصبوا الاهالي على ذلك. ولما سار اجيس في الجيش من دكليا الى اثينا وجد الاسوار محروسة فلم يجدِ سعيهم نفعًا

مراسلة الكيباديس قواد اثينا

١٣. وارسل المغتصبون معتدين الى البوارج في ساموس ليستميلوها الى حزبهم فلم يوافقهم الاثينيون الذين فيها لانهم يحبون الجمهورية فصمموا على مقاومة الخاصة وحملوا كل البوارج على ذلك. ولما عرف الكيباديس اخذ يراسل ارباب الامور فيها وخدعهم كما خدع الخاصة سابقًا وتظاهر بانهُ قادر على امالة المرزبان الى حزبهم فسمعوا لهُ وتصالحوا ورفعوا عنهُ حكم النفي الواقع عليهِ. وزاد المغتصبون في اثينا ظلمًا وطلبوا مساعدة سبرطا على اخضاع العامة لانهم خافوا على انفسهم لئلاَّ يقوم الناس ويطردوهم وبنوا برجًا في الميناء لغاية تسليمهِ الى السبرطيين اذا جاءوا فيتسلطوا على كل المدينة هاج كل الفعلة وقووا على ناظرهم وسجنوهُ

استرجاع الجمهورية

وهدموا البرج. فأراد الاربع مئة المذكورون ان يخمدوا الفتنة فلم يستطيعوا فنما الامر الى ان انقلبت سياستهم ووجد الناس الحرية بعد ان فقدوها اربعة اشهر. وكان السبرطيون قد جهزوا البوارج للذهاب الى اثينا واخضاعها عند سنوح الفرصة ولكن لما وصلت البوارج كانت الجمهورية قد انتعشت واستعد اصحابها لمدافعة العدو فمالت عنهم وسارت الى يوبيا تغزوها. ولما كانت اثينا في شديد الحاجة الى هذه الجزيرة لان قمحها منها التزم اهلها ان

اخذ السبرطيين يوبيا

يجهزوا ما امكنهم من السفن المدافعة عن يوبيا. الاَّ ان سفنهم كانت دون سفن العدو عددًا وقوةً فانهزموا فخرجت الجزيرة عن طاعتهم. ولما شاع هذا الخبر في اثينا زاد الناس خوفًا وغيظًا من ظالميهم وهرب اكثر المئات الاربع خشية الانتقام

١٤. وزادت الامور في نواحي اسيا صعوبةً وخان بعض المدن عند الدردنيل

خيانة مدن الدردنيل

والبوسفور مثل بيزنتيوم وغيرها وكانت المدن هناك تهمّ أثينا لاجل المحافظة على طريق البحر الاسود حيث تتوقع الحبوب بعد قطعها من يوبيا فذهبت بوارج البلبنيسس الى تلك النواحي تحرك الناس على خيانة اثينا وسار وراءها الاثينيون ليحفظوا مالهم وحدث بعض

فشل السبرطيين عند كزكوس

وقائع هناك كان اكثر النصر فيها للاثينيين ولا سيما في واقعة مدينة كزِكوس فانهم كسروا فيها اهل البلبنيسس واخذوا جميع سفنهم وعددها ٦٠ وقيل ٨٠ فخذل السبرطيون وطلبوا الصلح سنة ٤١٠ ق٠م

١٥. ففرحت اثينا كثيرًا ولم تقبل الشروط التي ارادتها سبرطا لانها ظنت ان امورها قد بلغت نهاية النحس واخذت حينئذٍ ترقى في اول سلم الفلاح وكان لها بعض قواد حذّاق أيدوا امرها وهم ثروبنوس وثراسبولوس والكبيادبس الذي صار اكبر الاعداء لتسافرنيس مرزبان الفرس وطفق يبذل جهدهُ في نصرة الاثينيين ليرضوا عنهُ فيرجع الى مدينتهِ وكانت لهُ اليد الطولى في النصرات المذكورة وبقيت الحرب تجري في نواحي الدردنيل والبوسفور سنة ٤٠٩ و٤٠٨ ق.م. واستولى الاثينيون على بيزانتيوم واكثر المدن العاصية الا انهم طردوا من بيلوس المذكورة التي استولوا عليها في الحرب السابقة ومن ميناء مغرى. ثم ان فارنبازوس مرزبان الفرس في بيثينية لما راى نجاح الاثينيين بحرًا قطع معهم عهدًا وجهز منهم رسلاً الى الملك لعلهُ يقبلهم ويعاهدهم. وحدث انهم التقوا في طريقهم بكورش بن داريوس نوثوس الذي بعثهُ ابوهُ مرزبانًا الى اسيا الصغرى وكان شديد الغيظ على الاثينيين فاراد ان يمسك الرسل لكن فارنبازوس منعهُ لانهُ كان قد امّنهم. الا انهم لم يقدروا ان يتقدموا بعد ذلك

مجيء كورش الى اسيا الصغرى

١٦. ولما وصل كورش الى ساردس اظهر ميلهُ الى عضد البلبونيسيين واعطاهم مالاً كثيرًا لتجديد بوارجهم واتى من سبرطا رئيس يسمى لساندر كان حاذقًا مجربًا نشيطًا في الحرب. وصار صديقًا لكورش فساعدهُ حتى قوي على الاثينيين ونحو هذا الزمان اي سنة ٤٠٧ ق.م. رجع الكبيادبس الى اثينا بعد غياب نحو ٨ سنين فقبلهُ اهلها ورفعوا عنهُ حكم النفي واكرموهُ جدًّا لما قد ابداهُ حديثًا من البأس في خدمة الوطن وعينوهُ قائدًا كانهم قد نسوا كل ما اصابهم من اضرارهِ

لساندر

رجوع الكبيادبس

ولما رأى رضى الناس اخذتهُ العجرفة السابقة وعظّم نفسهُ كأنهُ اول رجل في المدينة. ولما قاد بوارج اثينا الى الحرب تصرّف بالظلم والجور ففتنهُ اكثرهم وتظلموا منهُ الى حكام المدينة فعزلوهُ وعينوا عشرة قواد عوضًا عنهُ. وكانت امور لساندر قد نجحت واغرى الناس بما اراد اذ انتهز كل فرصة لذلك واستخدم كل واسطة حسنة او قبيحة ولم يتأخر عن تحصيل مرادهِ ولو بالمكر والفساد. الا انهُ لم يبرطل ولما سألهُ كورش اي احسان يريد قال ان تزيد اجر الملاحين فاجابهُ كورش الى ذلك فمالت اليهِ قلوب الناس حتى لما انتهت سنتهُ وانتخب كلكراتداس خليفةً لهُ لم يرضوا واعاقوهُ في مساعيهِ لكنهُ كان رجلاً شجاعًا فاضلاً مستقيم السيرة في كل شيء يحب نفع كل اليونان وودّ لو امكنهُ مصالحة

وطردهُ ايضًا

كلكراتداس

الفريقين ولعلهُ كان فاز بها لولا انهُ مات بعد قليل وهاجم الاثينيين وهزمهم عند مدينة ميتليني واخذ نحو ٣٠ سفينة من بوارجهم. وحاصر البواقي في الميناء ولو لم تاتهم النجدة من اثينا استولى على الجميع. فان الاثينيين جهزوا ١٥٠ سفينة الى الحرب. ولما علم كلكراتداس بمجيئها ترك ٥٠ سفينة لمحاصرة متليني وسار في البواقي وعددها ١٢٠ لمقاتلة الاثينيين. وكان الملتقى عند جزائر اركنوسي قرب اسبوس وحمي هناك وطيس القتال فهلك كلكراتداس وخسر قومهُ ٧٧ سفينة ما بين مكسورة ومأسورة. وخسر الاثينيون خمساً وعشرين فقط واضطر العدوان برفع الحصار عن متليني

حرب اركنوسي

١٧. ولما نما الخبر الى اثينا ابتهج الناس الا انهم تحولوا الى غيظ لما عرفوا ان القواد لم يعمدوا الى تخليص اخوتهم الذين انكسرت بهم السفن في تلك المعركة فتركوهم يغرقون ولم يجمعوا جثث الموتى ويدفنوها وكان هذا حراماً عندهم فاستدعى اهل اثينا القواد للمحاكمة فحضر منهم ستة حكموا عليهم بالموت مع انهم كانوا منصورين وهذا يدل على شدة غضب اثينا حينئذٍ ولا ريب في ان القواد كانوا مذنبين في اهمالهم اخوتهم الا ان الحكم عليهم كان جائراً اذ لم يراعوا فيهِ حقوق القواد في الاحتجاج ولم يعتبروا قولهم بانهُ بعد المعركة اضطرب البحر كثيراً واشتدت القواصف فلم يستطيعوا انقاذهم ولهذا ندم الاثينيون بعد حين على ذلك الحكم

محاكمة القواد

١٨. ورفعت غلبة اركنوسي شان اثينا مدةً حتى أملت النجاة ولكنّ السبرطيين سألوا اساندر يتولّى الحرب في البحر فاجابهم الى ذلك فنجحت امورهم لانهُ كان صديقاً لكورش الذي ساعدهُ كالسابق ولما ذهب الى بلادهِ وقد قرب اجل ابيهِ استودع اساندر خزائن ولايتهِ مع الخراج والاتاوة وامرهُ ان يستخدم كل شيء في حرب الاثينيين ولم يلبث ان اظهر باسهُ وقوتهُ فانهُ سار بجنودهِ الى الدردنيل واخذ مدينة لمبسكوس عنوةً وكانت في اسيا تابعة لاثينا. ولما عرف الاثينيون ما كان ساروا الى هناك واتخذوا مركزهم عند مصب نهر إيغسبتمي اي نهر المعز وكان مقابل لمسكوس وظن القواد انهم يظفرون بسهولة كما فعلوا في أركنوسي ولم يقتنعوا بالوسائط اللازمة ولم يتخذوا التدبير اما لساندر ففعل بالعكس وكان يراقب الامور ولما رأى احوال الاثينيين فاجأهم ذات يوم وهم يصعدون على الشاطئ وسفنهم مربوطة بهِ فاستولى على السفن والرجال ولم يفلت الا القائد كونون ومعهُ ١٢ سفينة فهرب الى قبرس اذ لم يجسر ان يذهب الى اثينا خوف العقاب وكان عدد السفن التي

تولية اساندر الحرب ايضاً

حرب ايغسبتمي

استولى عليها لساندر نحو ١٨٠ وعدد الرجال ٣٦٠٠٠ منهم ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ ممن ولدوا في اثينا فقتلهم كلهم

١٩. ولما نما الخبر الى اثينا ارتعد الناس خوفًا اذ لم يبقَ عندهم شيءٌ من البوارج ونفدت اموالهم وتوقعوا الموت من الجوع لان اجيس ملك سبرطا امسك عليهم كل الطرق برًّا وقد اتى ذلك لساندر بحرًا فلم يبقَ سبيل للطعام ولكن مع هذا كلهِ لم ترتخِ ايديهم بل استعدوا للقتال والهلاك اذا هاجمهم الاعداء. ورأى لساندر ان لا حاجة الى الهجوم لانهم لا بد ان يدركهم الجوع الشديد بعد قليل فاقتصر على ان سدَّ طريق الميناء وانتظر النتيجة فصبروا بضعة اشهر فمات بعضهم جوعًا ولما لم يستطيعوا الصبر سلموا الى العدو وكان راي كورنثوس وغيرها لشدة الحقد والغيظ ان اثينا تدمَّر تدميرًا واهلها يباعون عبيدًا. اما السبرطيون فلم يوافقوهم على ذلك بل حكموا بهدم حصون الميناء والاسوار بينها وبين المدينة وبتسليم كل سفنها ما عدا اثني عشرة . وكانت غاية كل ذلك منع الاثينيين من مقاصدهم البحرية اذ لم يحسبوا شيئًا منهم بالبر وايد لساندر حزب الخاصة في المدينة حتى قلبوا الجمهورية واقاموا ثلاثين رجلًا من الخاصة على السياسة فظلموا الناس كثيرًا كما سياتي في موضعهِ. وكان ذلك سنة ٤٠٤ ق.م. وهكذا انتهت الحروب البلوبنيسية التي ابتدأت سنة ٤٣١ واستمرت نحو ٢٧ سنة وهلك فيها خلقٌ كثير وكانت عاقبتها اذلال اثينا والغاء سلطتها الواسعة التي بها دفعت الفرس وحامت عن كل بلاد اليونان مدة سنين نعم انها اساءت السيرة احيانًا وارتكبت الظلم لكن اعداءها حسدوها لشهرتها واعتمدوا اهلاكها وعندما بلغوا مرامهم ابتهجوا ابتهاجًا لا مزيد عليهِ ظانين انها لا تقوم بعد ذلك ولكنهم لم يصيبوا فانهم وجدوا بعد قليل ان سلطة سبرطا اثقل من سلطة اثينا فبادروا لمقاومتها ولمساعدة اثينا كما سيرد عليك

اذلال اثينا

الفصل الثاني عشر

في تساط سبرطا على جميع اليونان

١. ذكرنا ان السبرطيين قلبوا جمهورية اثينا واقاموا حكم الخاصة وفعلوا ذلك في جميع توابع اثينا لان الخاصة كانوا غالبًا من حزب سبرطا وسياستهم موافقة لها وكان الخاصة كلما انقلبت الجمهورية وتولوا قتلوا الناس واختلسوا اموالهم وطردوا من العامة كل من خافوا منهُ والثلاثون المذكورون الذين تسلطوا على اثينا زادوا على كل من سبقوهم وقتلوا واختلسوا حتى ارتعد الجميع ولم يأمن احد وكان بمقدمة هولاء رجلان اسم الواحد كرتياس والآخر ثرَميْنيس احد القواد السالفين وكان الاول شديد الظلم حرض رفقاءهُ على مزيد القساوة والجور واستدعى حراسًا من السبرطيين ليقيموا على الاكروبُلِس ويضبطوا المدينة بينما يكون الظالمون ينظرون في اجراء مقاصدهم وزاد كرتياس ظلمًا حتى ان بعض رفاقهِ لم يحتملهُ فقاومهُ ثرمينيس مقاومة شديدة فاحتال عليهِ كرتياس وهجر الوطن كثيرون منهم. ثراسيبولوس فهذا جمع قومًا منهم في ثيبة اتخذوا مركزًا في فيلي وهي حصن في ثغور اتكا وكانوا اولًا نحو ١٠٠ فقط ولما سمع الظالمون بعثوا عساكر لطردهم لكنهم انهزموا ورجعوا فازداد قوم ثراسيبولوس حتى بلغ نحو ٧٠٠ وجهزوا عليهم الجنود ثانية فدفعوهم وثبتوا حتى تجاسروا ان يتقدموا الى اثينا نفسها واستولوا على البيريوس وهي المينا ولما حاول كرتياس وقومهُ طردهم من هناك لم يقدروا فقتل الظالم واضطر رفقاؤهُ ان يطلبوا نجدة الى سبرطا فاتى لساندر مع عسكر ليعينهم ولكن قبل ان انجز مرادهُ حدث ما ابطل عملهُ وهو ما ياتي

الثلاثون ظالمًا — كرتياس وثرمينيس — ثراسيبولوس والمهاجرون

٢. ان الظالمين اساءوا السيرة حتى اشتعل اكثر اليونان غيظًا واشفقوا على المظلومين وارادوا نجاح ثراسيبولوس حتى انهُ في سبرطا نفسها كان قوم كذلك ولما ذهب لساندر قام بوسانياس احد الملكين وطعن في لساندر واشتكى تصرفاتهِ الرديئة واشار على اهلهِ بردهِ عما كان عليهِ وأيدهُ في ذلك اناس من مدن مختلفة لان الجميع كانوا قد استثقلوا

اعمال بوسانياس ولساندر

تحجرف لساندر بعد غلبة اثينا فبعثوا بوسانياس في جند ليسكن الامور في اثينا فاصلح ذات البين بين الحزبين ودخل ثراسبولوس وقومهُ المدينة ورجع المنفيون وهرب الظالمون وتجددت الجمهورية سنة ٤٠٣ ق.م. ولما حصل الناس على حريتهم ايضًا لم ينتقموا من الظالمين الا قليلاً اذ حرضهم ثراسبولوس على الاعتدال في السياسة فاطاعوا مع انهم قد احتملوا من اولئك الاشقياء ما لا يوصف وكثيرون منهم فقدوا اصحابهم واموالهم فنتعجب من امهالهم بلا قصاص اكثر من ظلمهم وكان ذلك حكمة لانهم ارادوا اتحاد الجميع في السياسة لكي ينتعشوا بعد ضيقاتهم العظيمة وخسائرهم الجسيمة وترجع مدينتهم الى رونقها السابق وان لم تحصل على سلطتها السابقة

تجديد الجمهورية سنة ٤٠٣ ق.م

٣. اما الكبياديس الشقي الذي اشتهر بسوء اعمالهِ فبعد عزلهِ من قيادة البوارج كما عرفت لجأ الى املاكهِ في الخرسنيس ولكن لما تقوى لساندر عرف انهُ لا امن لهُ هناك فلجأ الى فارنبازوس فخفرهُ وقام لهُ باسباب المعاش واعطاهُ مسكنًا في فريجيا وكان قد ادرك نية كورش وقصدهُ ان يخوف اخاهُ ويختلس الملك كما سياتي فاخبر فارنبازوس وطلب اليهِ ان يرسلهُ الى سوسا ليفهم أرتزركسيس بذلك اما المرزبان فخاف من كورش ولما عرف هذا ما قالهُ الكبياديس اراد قتلهُ وطلب ذلك لساندر ايضًا فامر كورش فارنبازوس ان يقتلهُ فبعث شرذمة الى بيتهِ لتلك الغاية وحرقوا البيت اذ لم يتجاسروا على مهاجمة الكبياديس فيهِ لانهم عرفوا باسهُ فخرج من البيت وليس بيدهِ شيء سوى خنجر فلم يتجاسروا ان يهاجموهُ بل رموهُ بالسهام فمات ولا ريب انهُ كان من احذق الاثينيين واقواهم شدةً لكنهُ اقبحهم سيرةً

هلاك الكبياديس

٤. وهلك نحو هذا الزمان رجل آخر اشهر اكثر من جميع الاثينيين بقوة عقلهِ وحسن سيرتهِ وهو سقراط الفيلسوف ولد سنة ٤٦٩ ق.م. وكانت حرفة ابيهِ النقاشة وتعلم سقراط تلك الصناعة لكنهُ لما نشأ اظهر من قوة العقل والذهن ما جعلهُ يعرض عن صناعتهِ فشرع يعلّم وكان اسلوب تعليمهِ غريبًا اذ لم يفتح مدرسة ولم يقف بمحل واحد بل كان يجول في الاسواق والشبان يجتمعون اليهِ ليسمعوهُ فيكلمهم في الموضوع الذي يلتفتون اليهِ وكان يعلم بلا كتب ولم يؤلف شيئًا وكان يبحث مع تلاميذهِ عن الامور على نمط السوال والجواب واذا اتاهُ احد يظن نفسهُ حكيمًا كان يبين لهُ جهلهُ بان يسألهُ مسائل يرتبك فيها ويخالف باجوبتهِ نفسهُ ثم يبين سقراط رأيهُ فاشتهر حتى قصدهُ الناس من بعيد ولم

سقراط

يقدر احد ان يغلبهُ في المناظرة وكان مع ذلك اكثر الناس اتضاعاً ويعتقد انهُ لا يعرف شيئاً واتاهُ من اله دلفي مرةً انهُ اعلم من سواهُ فتحير وتامل مدة وقال ينبغي ان يكون معنى هذا القول اني جاهل عرَف جهلهُ وان سائر الناس جهلاء لم يعلموا جهلهم وكان لا ياخذ اجراً على تعليمهِ اذ حسب ذلك عاراً فيتوصل الى اسباب معاشهِ بالصناعة وكان على غاية الاقتصاد يشغل ما بقي من الزمان في التعليم وكان يخدم وطنهُ في الحرب عند الحاجة وكان شجاعاً بطلاً يحتمل شدائد الحرب بالصبر وكان مستقيماً عادلاً في كل سيرتهِ ولا سيما امور السياسة فلما اصاب حظاً منها لم يهمل شيئاً من واجباتهِ ولو في خطر الهلاك ولما حكم الثلاثون المذكورون على اثينا امروا قوماً منهم سقراط بظلم بعض الناس والاعتداء عليهم لتثبيت حكم الظالمين فاطاعوا كلهم الاَّ سقراط فانهُ ابى وصرح للظالمين وجهاً لوجه انهُ لا يأْتي مثقال ذرة مما يخالف العدل والحق ولو كان الموت جزاءهُ فتركوهُ وشانهُ ومن تقاطروا اليهِ لاجل التعليم افلاطون الشهير الذي كتب اقوال سقراط وبين فلسفتهُ الاَّ ان افلاطون تفلسف اكثر من سقراط وزاد على تعاليمهِ ولكن سقراط تسلط على عقول تلاميذهِ تسلطاً عظيماً ولولاهُ ما اشتهر ولم يكن تلاميذ سقراط جميعهم مرتضين بتعليمهِ

تعاليم سقراط

لانهُ كان يبين نقائص كل واحد وجهالهُ مهما كانت رتبتهُ فاغتاظ بعضهم عليهِ وارادوا الانتقام منهُ ثم اقاموا الدعوى عليهِ بانهُ لم يعبد الهة اثينا واتى بالهة غريبة وبانهُ افسد آداب الشبان اما القضية الاولى من هذه الدعوى فغير صحيحة اذ علم سقراط بوجوب عبادة الالهة حسب المرسوم في الشريعة وكان عابدًا تقيًّا وفق ما كان لهُ من المعرفة الدينية الاَّ انهُ نفى بعض الافكار والعوائد الفاسدة اما القضية الثانية وهي انهُ افسد آداب الشبان فاستشهدوا عليهِ بسيرة كرتياس والكيباديس الشريرين اللذين كانا يسمعان تعليمهُ احياناً ولكن كل تعليم سقراط كان مضادًّا لسيرتهما كما يتضح من كتب افلاطون وزنفون وغيرهما من تلاميذهِ

محاكمة سقراط

ولما صارت المحاكمة لم يحاول سقراط ارضاء القضاة ولا المدافعة عن نفسهِ لكي ينجو من الحكم بل تكلم كعادتهِ بان اظهر مقاصدهُ في حياتهِ وتعليمهُ ورداءة اعدائهِ وقال انهُ ليس بمتيقن ان الحياة الدنيا افضل من الاخرى وان الله قد عيَّن لهُ هذه الطريقة لينقلهُ الى ما هو افضل وانهُ راضٍ بما يحكمون فحكموا عليهِ بالموت وخاطب اصحابهُ ليلة وفاتهِ بهدوءٍ وبيَّن لهم خلود النفس وحقيقتهُ ولما اتوهُ بكاس السم اخذها مبتسماً غير لائم احدًا او كارهٍ ما قُدِّر

عليهِ فكان ذلك الحكم عارًا على الاثينيين ولا ريب في ان سقراط كان اتقى الناس في تلك الايام. وهلك سنة ٣٩٩ ق.م

٥ وحدث نحو هذا الزمان او هجم كورش على اخيهِ ارتزركسيس وقد ذكرنا هذا في تاريخ الفرس (راجع تاريخ الفرس ف ٣ رقم ٣١-٣٣) الَّا اننا نذكر الآن بعض متعلقاتهِ بامور اليونان فانهُ كان كثير التأثير في سياستهم بعد زمان واخبار تلك الحملة أوردها زنفون الاثيني الذي شاهدها وكان من تلاميذ سقراط عالمًا حاذقًا ومولفاته مشهورة منها الأنبسيس وهو تاريخ حرب كورش وما عقب موتهِ حين رجوع عسكرهِ من اليونان الى بلادهم وسار كورش في جيشهِ في ربيع سنة ٤٠١ ق.م. وحدثت حرب كوناكسا فقتل في خريف تلك السنة ثم اضطر اليونان ان يرجعوا ولم يقدر الفرس على اخضاعهم مع كل حيلهم واغتيالهم قوادهم وكان زنفون ممن انتخبهم اليونان قوادًا فانقذهم بفطنتهِ ودرايتهِ من الضيقات مرارًا الَّا انهم احتملوا شدائد لا توصف من البرد حين مرورهم في ارمينية اذ كان فصل الشتاء وكان الثلج كثيرًا ثم وصلوا الى البحر الاسود عند ترابزوس وهي طرابزون من حيث تقدموا ملازمين الشاطي حتى وصلوا الى البوسفور وكان فارنبازوس لم يزل في ولايتهِ وخاف شديد الخوف لما رأى هذا الجيش في حدودهِ ولم يأمنهُ حتى نقلهُ الى اوربا فبقي مدة يحارب في ثراكي بان استاجرهُ احد ملوك البرابرة هناك ثم رجع الى اسيا الصغرى لمحاربة الفرس يوم اشهر السبرطيون الحرب عليهم كما سياتي

حملة كورش سنة ٤٠١ ق.م ورجوع اليونان

٦. وكان رجوع اليونان سنة ٣٩٩ ق.م. ورجع تِسَّافَرْنِيس الذي كان سابقًا مرزبان الفرس في اسيا الصغرى وسار لمساعدة الملك لما هاجمهُ كورش وبعد هذه الحرب رجع الى ولايتهِ واخذ يتسلط على يونان السواحل فاستصرخوا سبرطا لانها كانت يومئذٍ اول مدينة لليونان فبعثت جيشًا لمساعدة اليونان في اسيا في مقدمتهِ ثمبريون واستدعى جنود كورش الذين كانوا في ثراكي كما مر لكنهُ لم يفعل شيئًا خطيرًا. وجاء في السنة التالية دِرْكِلِّداس قائدًا عوضًا عنهُ فنجح حتى عيَّن هدنة مع فارنبازوس وتسَّافرنيس ولكن دركلِّداس لم يبقَ على ما كان عليهِ فأتى إجِسِلاوس ملك سبرطا وقام مقامهُ وكان قد صار ملكًا حديثًا على اسلوب غير عاديٍّ اذ لم يكن ابن سلفهِ ولم تنتخبهُ الرعية لكنهُ كان شجاعًا حاذقًا بعثوهُ للحرب مع الفرس في اسيا الصغرى ورافقهُ لساندر ظانًّا انهُ يكون لهُ بمقام مشير ويتولى هو الامر بالحقيقة فيتسلط على السياسة والحرب فلم يطعهُ إجسلاوس بل

حرب الفرس واليونان في اسيا الصغرى

اظهر استقلالهُ واهل لساندر حتى ضجر وانفصل عنهُ خجلاً فشلاً

اعمال اجسلاوس

٧. وقام اجسلاوس بالحرب بكل ما استطاعهُ من الدراية والنشاط وغلب جنود تسافرنيس حتى لم يأمنهُ مولاهُ فارسك مرزباناً آخر مكانهُ فلما اتى هذا قبض عليهِ وقتلهُ وهاجم اجسلاوس ولاية فارنبازوس وضايقهُ كثيراً حتى طالب ان يكف عنهُ . لكن امور سبرطا تاخرت في البحر وانكسرت بوارجها وكان سبب ذلك ان كونون الاثيني المذكور الذي هرب بعد وقعة إيغسبتمس الى قبرس قد حفزهُ يواغراس ملك سلاميس وبقي هناك حتى اتفقت لهُ فرصة ان يتولى خدمة الفرس البحرية لمقاومة عدوهِ القديم وسُرَّ بهِ ارتزركسيس حتى رأسهُ على بوارجهِ الفينيقة وبعثهُ مع فارنبازوس لمحاربة السبرطيين بحراً وحدث قتال عند كنيدوس وهي مدينة على الشاطي في كاريا وظفر بهم كونون ظفراً عظيماً حتى لم يبقَ لسبرطا قوة في البحر وفي ذلك الوقت التزم اجسلاوس ان يرجع عن اسيا كما سياتي وحدثت هذه الامور سنة ٣٩٤ ق.م

كسرة السبرطيين بحراً

٨. وسئم اليونان الذين كانوا اعوان سبرطا في حرب اثينا سلطتها بعد ارتقائها الى الدرجة العليا من القوة والمجد لانها ساستهم بقساوةٍ وظلم وحقدوا على لساندر حقداً عظيماً لعجرفتهِ فاخذوا ينفصلون عن سبرطا ويتآمرون عليها ويقاومونها جهاراً وتقدمت في ذلك ثيبة والبيوتيين ولما عرف السبرطيون اسرعوا لتاديبهم وبعثوا كلاً من لساندر وبوسانياس بجيش ليهاجما بيوتيا ودخلاها على طريقين معينين الاّ ان لساندر الذي وصل قبل بوسانياس اقام حرباً وحدهُ فقتل وانهزم من معهُ حتى لما وصل بوسانياس تعذر عليهِ القتال واخيراً رجع بدون حرب فكان هذا الامر شديداً جداً على سبرطا اذ لم تنجح حسب عادتها بل ارتد جيشها وكان اشد منهُ انهُ تبيّن ان اعداءها كثيرون اقوياء فخافت على نفسها وبعثت رسولاً الى اسيا تامر اجسلاوس بالرجوع حالاً

انكسار السبرطيين في بيوتيا

٩. فتشجع اعداء سبرطا لما علموا مصيبة لساندر واجتمعوا عند كورنثوس لمحاربتها وكان في الجيش عساكر من بيوتيا واثينا اذ انتهزت الفرصة لتنتقم من عدوها القديم وكان الكورنثيون يجدّون في سبيل محاربة سبرطا واشتدت بسبرطا الحال فجهزت جنودها الى نواحي كورنثوس وجرى القتال هناك فانهزمت جنود كورنثوس ومن معها الاّ ان الغلبة لم تكن تامة ولم يترك اعداء سبرطا المحاربة

الحرب عند كورنثوس

١٠ ولما صار الامر لاجسلاوس بان يرجع اطاع واذ كان طريق البحر مسدوداً

سار برًّا على طريق ثراكي ومكدونية ولم يلاقِ من يقاومهُ بشدة حتى بلغ بيوتيا حيث اجتمع الثيبيون واعوانهم ليمنعوهُ عن المرور فالتزم ان يقاتلهم عند مدينة كرُونيا وكان القتال شديدًا وغلب السبرطيون وهزموا من التقوا بهم الاَّ ان الثيبيين الذين كانوا على ميمنتهم ظفروا بمن قدامهم وطردوهم الى بعيد ولما ارادوا الرجوع الى حيث التجأ اصحابهم المنهزمون تعرض لهم السبرطيون وكانت المصادمة مخيفة لم يرَ مثلها في ما سبق من حروب اليونان وآخر الامر خرق الثيبيون صفوف السبرطيين ونجوا على رغمهم فلم تكن غلبة السبرطيين الاَّ بعد مشقة وخسارة جسيمة وجرح إجسيلاوس جرحًا كاد يذهب بحياتهِ ورجع الى سبرطا مع عسكرهِ وكان انكسار بوارج سبرطا قبيل هذا فامست امورها في ارتباك وضاقت بها الحال لان كونون وفارنبازوس اتيا بعد ذلك بقليل في سفنهما وغزوَا شطوط لاكونيا ثم تقدما الى الخليج السرُنيك عند برزخ كورنثوس حيث كان المحالفون مجتمعين وشجعاهم وحرَّضاهم على مقاومة سبرطا فكان من اغرب المناظر ان ترى بوارج الفرس في تلك النواحي تعين بعض اليونان حيث كان الفرس يقاتلونهم اشد قتال منذ نحو ٩٠ سنة واغرب الامور ان اثينا التي قاومتهم حينئذٍ اكثر من غيرها انتفعت بهم الآن اكثر من الجميع لان كونون طلب الى فارنَبازوس ان يسمح له باقامة اسوار مينا اثينا والاسوار الموصلة بينها وبين المدينة التي هدمها السبرطيون عند نهاية الحروب البلپنيسية فاجابهُ فارنبازوس ولما رجع الى اسيا ترك كونون يجري هذا العمل العظيم واعطاهُ مالاً لتكميلهِ فتممهُ الاثينيون بكل نشاط وساعدهم اعوانهم ولم تقدر سبرطا على منع ذلك لقوة اعدائها وقتئذٍ فاذلت واهينت وتبيَّن زوال سلطتها المطلقة على طوائف اليونان وحدثت هذه الامور سنة ٣٩٤ ق.م.

حرب كرونيا

اعمال كونون وفارنبازوس

١١. واستمرت الحرب بين الفريقين وتضايقت كورنثوس من مهاجمات السبرطيين وغزواتهم المتوالية واستولوا على فرضتها الشمالية وخربوا الاسوار التي توصلها بالمدينة الاَّ انهم لم يقدروا ان يستولوا على كورنثوس نفسها وكان فيها قائد اثيني يسمَّى إفِكرتيس اقلق السبرطيين وكسر فرقة منهم في بعض الوقائع وقتل اكثرهم وذلك في سنة ٣٩٠ ق.م

الحرب حول كورنثوس

١٢. وأتى اسيا مرزبان يسمى تِربازوس من قبل أرتزركسيس مال الى حزب السبرطيين وقبض على كونون فجأةً ولعلهُ قتلهُ لان ذلك كان آخر العهد بهِ غير ان تِربازوس لم يقدر ان يميل ملك الفرس الى حزب سبرطا فاعتزل الامور فجدَّ خلفهُ في حرب السبرطيين وكانت امورهم البحرية في ادبار فتقوت اثينا واسترجعت بعض املاكها

استرجاع اثينا بعض قوتها

القديمة عند الدردنيل والبوسفور وذهب الى هناك إِفكرَتيس وظفر بالسبرطيين عند مدينة أَبدوس وأَيد امور اثينا كثيرًا

١٣. وقد رأَينا عداوة اجينا لاثينا ولم تزل بينهما الوحشة وانتهزت اجينا كل فرصة لتؤذي اثينا وكانت تبعث اناسًا في السفن ليغزوا شطوط اتكا ويسكوا مراكبها التجارية ومرةً جهزوا البوارج وبعثوها ليلاً الى البيريوس ولما صار الفجر دخلوا المينا وفجأُوا الاثينيين اذ كانوا على غاية الغفلة واخذوا من سفنهم واغتنموا غنيمة وافرة ثم قفلوا راجعين الى اجينا قبل ان اجتمع الاثينيون المدافعة وتاخرت اثينا في اعمالها البحرية عند شطوط اسيا الصغرى وتكبدت نفقة باهظة حتى ضجرت من الحرب واشتهت الصلح وكذلك سبرطا. وارسل السبرطيون معتمدا الى سوسا لمشاورة ملك الفرس وكان السفير أَنتلكداس وكان محنالاً فحصل من الملك شروطًا موافقة لسبرطا وهي ان تترك اليونان في اسيا وقبرس للملك الفرس ويستقل بقية اليونان كل مدينة بنفسها مهما كانت صغيرة الاَّ ان لمنوس وامبروس واسكيروس تكون لاثينا وقال ملك الفرس ان كل من لا يسلم بهذه الشروط يشهر الحرب عليهِ وسمّي هذا الصلح صلح أَنتلكداس وكان سنة ٣٨٧ ق.م

هجومات اهل اجينا

صلح انتلكداس سنة ٣٨٧ ق.م

١٤. وكان موافقًا جدًا لسبرطا ان تكون كل مدينة وحدها مستقلة عن غيرها اذ كانت هي اقواها فلم تكن خائفة الا من اتحاد جملة مدن عليها واجتمع المعتبرون من كل جهة في سبرطا للتعهد بالشروط المذكورة ولم يتجاسر احد ان يرفضها الاَّ ان معتمدي ثيبة ارادوا ان يتعهدوا بها من جهة مدينتهم والمدن التي كانت تابعة لها اما سبرطا فلم تسمح واندرتهم بسرعة الحرب ان لم يتركوا تلك المدن وشانها فسلموا كرهًا وعلى هذا تم الصلح بين اليونان والفرس وحصل الفرس فيهِ على كل ما كان لهم بعد حروب سلاميس وبلاتيا منذ نحو مئة سنة قبلهُ وقد حصلوا ما حصلوهُ من مشاجرات اليونان وعدم اتفاقهم في مدافعة الفرس عن اخوتهم في اسيا لان هولاء كانوا احرارًا زمن سلطة اثينا وكان كذلك وقتًا ايام سلطة سبرطا بعد سقوط اثينا واهملت سبرطا يومئذٍ اليونان في اسيا الصغرى وتركتهم لظلم الفرس بغية الحصول على مرادها في بلاد اليونان وهو ان ينقسم اعداؤُها حتى لا يمكن مقاومتها ومع ان الشرط كان ان كل مدينة تستقل في نفسها لم يكن مراد سبرطا ان تترك توابعها في البلوبنيسس بل تسلطت عليها كالسابق فلم تخسر شيئًا مع خسارة الباقين اعوانهم فباعت سبرطا الفرس صوالح بقية اليونان لاجل فائدة نفسها ولم تلبث أَن اظهرت

تصرف سبرطا

بينها وتسلطها على الجميع لانها امرت كورنثوس ان تنزل حكامها الذين لم يوافقوا سبرطا ونقيم غيرهم ممن يرضون به وامرت كذلك في مدن بيوتيا واقامت بلاتيا التي خربتها سابقاً واستدعت من بقي من اهلها ليسكنوها ليكونوا اعداء لثيبة واصحاباً لسبرطا وحاربت مدينة منتنيا في اركاديا واخضعتها وفرقت سكانها في خمس قرى صغيرة بلا اسوار لكي تميت قوتها وفوق ذلك مدت سلطتها الى بعيد حتى استولت على نفس ثيبة ظلماً وخداعاً كما سترى

١٥. وكانت في مكدونية مدينة قرب بتديا تسمى أولنثوس قويت واستقلت عن القبائل البربرية في مكدونية وحالفت عدة من المدن اليونانية في تلك الارض وارادت ان تجمع الجميع الى تلك المحالفة للمدافعة عن انفسهم لكن بعضها لم يرد. ولما رأت ما كانت عليه من القوة استنجدت سبرطا لاخضاعها فاجابت وبعثت عساكرها الى هناك وحين مرور فرقة منهم في ارض ثيبة دخلوا المدينة على حين غفلة من اهلها بخيانة واحد منهم فتح لهم الابواب فبلغوا البرج في وسط المدينة فجأة ولم ينتبه السكان لذلك لعهدهم السلام التام بين ثيبة وسبرطا لكن الثيبيين لم يقدروا ان يطردوهم لان بعضهم خان وعضد السبرطيين وكان ذلك في نحو سنة ٣٨٢ ق. م. ولم يقدروا على أولنثوس اولاً وانهزموا شر هزيمة وفيها تقتل جانب عظيم منهم ثم عادوا وبعثوا جيشاً كبيراً وامتحنوا بها سنة ٣٧٩ ق. م. حتى اخضعوها وكل محالفيها

اخذ برج ثيبة غيلة

١٦. وحكم الذين اختلسوا ملك ثيبة بظلم اذ عضدهم السبرطيون في البرج فاستثقلهم الناس وارادوا عزلهم ولا سيما المنفيون فاتفقوا على مكيدة ودعا احدهم المردة الى وليمة ولما سكروا ادخل عليهم ابطالاً في اثواب النساء كسرة لهم وقاموا عليهم وقتلوهم ولما شاع الخبر ابتهج اهل المدينة واجتمعوا ونفوا فخشي السبرطيون في البرج على انفسهم وطلبوا الخروج بدون قتال فسمحوا لهم. وممن كان لهم القدم الاولى في هذا الامر بلوبداس احد رفقاء إبامينُنداس وهذا ايد امر ثيبة كثيراً بعد هذه الامور فاغتاظت سبرطا لما عرفت ما كان وبعثت جنوداً لاسترجاع ثيبة فعادت بالخيبة وبينما كان الجيش في بيوتيا سار ليلاً الى اتكا قاصداً البيريوس وظن القائد انه يفتتحها فجأة الا انه لم يصل الا بعد الفجر فبين المكر واجتمع الاثينيون ومنعوه وكان هذا تعدياً محضاً لانه لم تكن حرب البتة حينئذٍ بين سبرطا واثينا فاستشاط الاثينيون غيظاً وعاهدوا الثيبيين على سبرطا وجذبوا الى حزبهم كثيرين

استرجاعه

اتحاد اثينة مع ثيبة

من سائر اليونان ولاسيما الجزائر لان سياسة سبرطا كانت ثقيلة كرهها الجميع وعقدوا اتحادًا للمدافعة عن انفسهم كاتحاد ديلوس المذكور في حرب الفرس وكان مركز الاتحاد في اثينا وهناك اجتمع المعتمدون فغلظ امرها واشتدت قوتها كثيرًا

١٧. وتقوت ثيبة اكثر من الجميع اذ كان بلوبداس وابامنونداس من مدبري سياستها وكان الثاني حاذقًا عالمًا سبق جميع الثيبيين علمًا وفصاحةً واصاب بعدئذٍ النصيب الاول في سياسة مدينتهِ وهذب عسكرها حسنًا حتى ساوى عسكر سبرطا تهذيبًا وبأسًا ولما هاجم السبرطيون اراضي ثيبة لم يقدروا الاَّ ان يغزو الحقول وكثيرًا ما انهزموا والتقى يومًا فرقة ثيبيَّة بجنود اكثر منها من السبرطيين وكسرتهم كلهم فتشجع الثيبيون وتعجب اليونان عن انكسار السبرطيين في القتال في مثل تلك الاحوال فساءت حال سبرطا في بيوتيا وفي تساليا بقيام رجلٍ يسمى ياسون تسلط على اكثر البلاد واخضع احزاب سبرطا هناك وهي غير قادرة على مساعدتهم ونقصت قوتها بحرًا ايضًا وتقوت اثينا ولما رامت سبرطا اخضاع جزيرة كركيرا انهزمت اذ عاون الاثينيون اهل الجزيرة وكان الاثينيون ينزلون على شطوط البلبنيسس ويغزون وينهبون فتضايقت سبرطا وطلبت الى الفرس ايضًا ان يجروا شروط صلح أنتلكداس ولكن اثينا مع كل نجاحها ضاقت بها الحال من احتياجها الى المال ولم تكن على مودة ثيبة لما رأتها تتقوى جدًّا وتسود على مدن بيوتيا بقساوة فمالت الى مصالحة سبرطا وبعثت المعتمدين اليها ليبحثوا عنها وهكذا فعل الجميع فصار الاتفاق على شروط صلح أنتلكداس وتحالف الجميع عليها ما عدا ثيبة فانها ارادت ان تحلف باسم كل بيوتيا اما سبرطا فلم ترد ذلك بل ان تحلف كل مدينة لنفسها ولما قام ابامنونداس وبين حق ثيبة في رياسة كل بيوتيا ولم يقدر السبرطيون ان يجاوبوهُ غضبوا واخذ اجسلاوس القلم ومحا اسم ثيبة من الصحيفة المكتوب فيها المعاهدة فبقيت الحرب عليها وكان هذا سنة ٣٧١ ق·م

تقدم ثيبة

تجديد شروط معاهدة انتلكداس

١٨. ثم شرعت سبرطا تحارب ثيبة بكل قوة وكان احد ملكيها في فوكس ومعهُ جيش فأُمران يهجم على ثيبة حالاً فسار الى بيوتيا وتقدم نحو ثيبة حتى وصل الى مدينة تسمى لوكترا اما الثيبيون فخشوا على انفسهم لما راوا جنود سبرطا في ارضهم واكثر منهم عددًا ولكن ابامنونداس لم يرتخ بل شدد همة عسكرهِ وتقدم للقتال ورتب جنودهُ ترتيبًا جديدًا فكثف صفوفها وجعل كل صف من المقدمة الى الساقة خمسين رجلاً ولما قامت سوق الحرب اشتد القتال لان السبرطيين كانوا على غاية الشجاعة والبأس لم يعتادوا ان يرتدوا

حرب لوكترا سنة ٣٧١ ق·م

مقهورين غير انهم في هذه المعركة لم يقدروا ان يحتملوا هجوم اباميننداس ومن معهُ ولا يخرقوا صفوفهم الكثيفة فبعد ان هلك جانب عظيم من السبرطيين وقتل الملك كليومبرتوس اضطروا ان يقفلوا الى محلتهم حيث لم يجترء الثيبيون ان يناوشوهم وقتل من السبرطيين نحو ٤٠٠ رجل اما الثيبيون فقيل انهُ لم يُقتَل منهم سوى ثلاث مئَة وكانت الغلبة غريبة لم يسمع بمثلها فيما سبق وذلّ السبرطيون لانهم انهزموا في حومة القتال وعددهم اكثر من عدد العدو مع مناسبة احوالهم ولما شاع الخبر الى الجهات تعجب اليونان اجمع واستغربوا الامر واكثرهم فرحوا اذ كانوا يخافون من قوة سبرطا وارادوا اذلالها لكنهم لم يريدوا مساعدة ثيبة لئلاَّ تتقوى وتتسلط عليهم كما فعلت سبرطا فلم يأْتِ الى معونة الثيبيين الاَّ ياسون رئيس ثساليا على انهُ نصح لهم بان لا يهاجموا السبرطيين في محلتهم بل يتركوهم يرتدون ويخلون البلاد فامتثلوا رأيهُ فعاد السبرطيون بالخزي والخجل وكان ذلك سنة ٣٧١ ق.م



الفصل الثالث عشر

رياسة ثيبة من حرب لوكترا الى حرب منتنيا من سنة ٣٧١ الى سنة ٣٦٢ ق.م

١. اما ثيبة فاجرت مقاصدها في بيوتيا بلا مانع وتسلطت عليها وغلظ امرها. اما سبرطا فذلت وانفصل عنها بعض توابعها لما رأَوها ضعيفة ولا سيما منتنيا التي خربها السبرطيون كما مر فاجتمع اهلها المتفرقون واقاموها ايضًا وسبرطا غير قادرة على منع ذلك ثم رفضت مدينة تيجيا سلطة سبرطا وطردت حزبها واتفق الاركاديون على مقاومة سبرطا ولما عرفت ما كان بعثت اجسلاوس في جند لاخضاعهم فلم يحصلوا على المراد ثم اتى اباميننداس لمساعدة الاركاديين ولما لم يجد السبرطيين هناك هاجم لاكونيا وقدم على سبرطا فخافت المدينة كثيرًا لان تلك اول مرة اشرف جيش عدو عليها ولم تكن محصنة البتة اذ

قوة ثيبة وتذليل سبرطا

الهجوم على سبرطا — لم ترَ عدوًا وكانت تحسب صينها كافيًا لحفظها من كل ضرر وكان كذلك قبل حرب لوكترا اما يومئذٍ فقد انقلبت الاحوال ولم يحاول اباميننداس افتتاح المدينة اذ عرف باس السبرطيين وانهم يدافعون عنها الى آخر نسمة. الا انهُ غزا ونهب وسلب ما اراد في حقولها ثم امسك عنها ورجع الى اركاديا حيث اقنع الناس ان يجتمعوا ويؤسسوا مدينة جديدة عظيمة تكون قصبة البلاد وتكون قوية حتى يصعب على سبرطا اخضاعها فاتوا

تاسيس مغلوبلس ومدينة على جبل اثومي — ذلك وسموها مَغَالوبُلس. ثم دعا اباميننداس اهل مسيني المشتتين في الجهات الذين طردتهم سبرطا قديمًا من ارضهم فاتوا اليهِ واسس لهم مدينة على جبل اثومي وحصنها واسكنهم فيها وسلطهم على جانب من اراضي لاكونيا ولم تكن سبرطا قادرة على منع ذلك واصبحت هاتان المدينتان عدوًا شديدًا لها. وتضايقت من هذا الامر اكثر من كل ما فعلهُ اباميننداس سابقًا وكان هذا غايتهُ واظهر فيهِ حذقهُ وعلم انهُ ما دام العدو على ابواب سبرطا لا تستطيع هذه اذية ثيبة ولا غيرها وحدثت هذه الامور سنة ٣٧٠ و٣٦٩ ق.م

اعمال ثيبة في الشمال — ٣٠ والتفتت ثيبة بعد ذلك الى ثساليا ومكدونية وكان ياسون رئيس ثساليا قد قتل واسكندر الفيري ارتقى الى الملك وكان جافيًا غشومًا لم يبالِ بشيءٍ الا ما يؤيد سلطتهُ فقاومتهُ ثيبة وسار بلوبداس في عسكر واخذ بعض مدنهِ واخذت ثيبة تتعرض لامور مكدونية. ولما مات أمينتاس ملكها عظم الشغب والاضطراب من جهة الخليفة فسار بلوبداس الى هناك وسكن الامور واخذ معهُ الى ثيبة ثلاثين رهينًا منهم فيلبس بن أمنتاس الذي صار بعد ذلك ملكًا. اما البلبنيسس فكانت احوالها مضطربة اذ لم تسلم سبرطا

كسرة الاركاديين — باستقلال مسيني لانها خضعت لها منذ نحو ٣٠٠ سنة اما اركاديا واعوانها فاستمروا يحاربونها لكنهم انهزموا اخيرًا شرَّ انهزام وقتل منهم نحو ١٠٠٠٠ فتقوت سبرطا ايضًا وايقن

طلب الثيبيين الرئاسة — الاركاديون واصحابهم انهم لا ينجحون ما لم يساعدهم الثيبيون. اما هؤلاء فقصدوا الرياسة على جميع اليونان ولكي يحصلوا على مرغوبهم فعلوا ما فعلهُ السبرطيون سابقًا وبعثوا معتمدين الى ملك الفرس طالبين انهُ يامر باستقلال كل فرقةٍ فامر الملك بذلك لكن اليونان سوى ثيبة لم يتبلوا وحقدوا عليها اكثر من ذي قبل ولا سيما سبرطا لانهُ بموجب هذا الامر الجديد لا يكون لها حق ان تحارب مسيني التي لم ترد ان تتركها ورفض الاثينيون والكورنثيون وغيرهم ان يطيعوا ثيبة في هذا الامر ولما توجه بلوبداس الى ثساليا لجرية هناك قبض عليهِ اسكندر الفيري وحبسهُ ولما بعث الثيبيون جيشًا ليفرج عنهُ انهزم لان اباميننداس لم يكن

قائدهم. ثم سار هذا بجند آخر وضايق اسكندر حتى اطلق پلوپداس سنة ٣٦٦ ق.م

٣. وفي هذه المدة كان الاثينيون يوسعون سلطتهم في البحر واستولوا على جزيرة ساموس وعلى الخرسنيس. ولما رأى ابامنندس نجاحهم حرض الثيبيين ان يبنوا البوارج ولم ياتوا مثل ذلك سابقًا ولم يعرفوا امور البحر لكن ابامننداس اقنعهم فبعثوهُ في سفن الى الدردنيل. اما پلوپداس فطلب ان يسيروهُ في جند الى ثساليا لتاديب اسكندر الفيري فنعلوا وهاجم پلوپداس املاك اسكندر وقهر عسكرهُ لكنهُ وقع قتيلاً اثناء الحرب فناح الثيبيون عليهِ وحزنوا على موتهِ اشد الحزن حتى لم يسرُّوا شيئًا بنصرهم والحق ان هلاكهُ كان من اعظم خسائرهم لانهُ لم يبقَ لهم بعدهُ من يقدر على قيادة جيوشهم وتدبير سياستهم الاَّ ابامننداس وهذا لم يفلح بالامور البحرية وقد قام بها سنة ٣٦٤ ق.م وبعدها. فاضطر ان يتوجه الى الپلپنيسس حيث انتهى امرهُ كما سياتي

تقدم اثينا

موت پلوپداس

٤. وكان حين غيبة ابامننداس ان الثيبيين خربوا مدينة أُرخمينوس في بيوتيا اذ تحققوا خيانة بعض اهلها فاخضعوها وقتلوا الرجال وباعوا النساء والاولاد عبيدًا. فغضب اليونان على ثيبة اشد الغضب واضطربت الامور في الپلپنيسس وانفصل بعضهم عن ثيبة فمالت منتنيا الى حزب سبرطا والتصقت تيجيا بثيبة واستغلتها وكانت طوائف الپلپنيسس حزبين بعضهم مع منتنيا والبعض الآخر مع تيجيا واتى عسكر اثينا لمعونة منتنيا فسار ابامننداس بجيش وحل في تيجيا واجتمع اليها اعوانهُ وجنود العدو في منتنيا. واما السبرطيون فلم يصلوا بعد بل كانوا في الطريق ولما عرف ابامننداس سار ليلاً من تيجيا الى سبرطا على غير طريق. وكان قصدهُ ان ياتي سبرطا بغتةً ويفتحها اذ غاب عسكرها الاَّ انهُ لم يجدِ تدبيرهُ نفعًا اذ سمع السبرطيون بما كان ورجعوا حالاً فسبقوهُ فلم يستطع ما اراد وبعد ان غزا الحقول ارتد مسرعًا وبعث الفرسان الى منتنيا قاصدًا اخذها على غفلة قبل ان ياتيها خبر غيبتهِ وصل الى منتنيا في اثناء ذلك خبر من اثينا ودافعوا عن المدينة بنشاط وخلصوها فاضطر العدو ان يرجع الى تيجيا

امر ارخمينوس

هجوم ابامننداس على سبرطا

٥. ولما علم ابامننداس انهُ لا بد من القتال في الميدان استعد لذلك وسار من تيجيا مع كل جنودهِ نحو منتنيا وكان السبرطيون وغيرهم من اعوانهم قد اجتمعوا هناك فلم يتاخروا عن المقاتلة بل خرجوا لملاقاة الثيبيين وكان القتال شديدًا جدًّا وزادهُ شدةً انهُ التقى فيهِ السبرطيون والثيبيون وكان ابامننداس قد صف عسكرهُ صفوفًا كثيفة كما فعل

حرب منتنيا سنة ٣٦٢ ق.م

في لوكترا وهاجم السبرطيين بكل عنف وهو في المقدمة وكسرهم وهزمهم. ولولا وقوعهُ قتيلاً في اثناء الغلبة ما ابقى منهم احدًا. فلما عرف قومهُ خافوا وامسكوا عن مطاردة العدو حزنًا على فقد بطلهم. والحق انهُ لم يبق بعدهُ من يستطيع قيادتهم بنجاح وإبامنداس نفسهُ اشار عليهم وهو في النزع ان يصالحوا العدو ويرجعوا الى بلادهم فامتثلوا فلم ينتفعوا من نصرهم شيئًا واتفقوا مع اعدائهم على ان يبقى كل شيء كما كان وتستقل كل مدينة في نفسها فرضي ذلك جميعهم سوى السبرطيين فانهم لم يسلموا باستقلال مسيني فرفضوا المعاهدة وانصرفوا وكانت حرب منتنيا سنة ٣٦٢ ق.م

اوصاف ابامنداس

٦ وكانت نتيجة هذه الحرب سقوط ثيبة من رياستها لان مقامها الحربي والسياسي كان مستندًا على ابامنداس وكان من اعظم الذين اشتهروا بين اليونان بالحذاقة والشجاعة واللطف والانصاف. ومما يظهر حذقهُ ترتيبهُ الجيش وتهذيبه حتى استطاع قهر السبرطيين واحوال مناسبة لهم او مستوية ولم يحدث مثل ذلك قبلاً. ومما بيَّن حذقهُ ايضًا تاسيس مدينتي مَغَلوبُليس ومسيني اللتين بهما ضعفت سبرطا ونقصت سلطتها وخسرت رياستها

٧. وكان اجسلاوس ملك سبرطا اعظم عدوٍّ لابامنداس والثيبيين ففعل ما امكنهُ في مقاومتهم وكان قد شاخ عند معركة منتنيا ولكن لما رأى ان الفرس اتفقوا مع ثيبة وقرروا استقلال مسيني اضمر النقمة. وثار المصريون وقتئذٍ وعصوا الفرس فذهب

موت اجسلاوس

اجسلاوس لمعونتهم. الآن المشاجرات فيما بينهم منعتهم عن كل نجاح وتحزَّب اجسلاوس لنَقْتَنِبوا ونصرهُ على ناخس حتى استفتام الامرلة. ثم رجع اجسلاوس الى بلادهِ على طريق كيرين ومات قبل وصولهِ وعمرهُ ثمانون سنة ونيف وكان ذلك سنة ٣٦١ ق.م

٨. وكانت سبرطا يومئذٍ ضعيفة غير قادرة على ضبط البلبنيسس وتاخَّرت ثيبة بانهُ لم يكن لها قائد شهير او رئيس خبير يرتب امورها ويقودها الى النجاح. وكانت اثينا قوية

حال اليونان

بحرًا لكنها ضعيفة برًّا وتأخرت كثيرًا بعد هذا بقليل اسبب حرب الحالفين التي سياتي ذكرها واضطربت بلاد اليونان كلها وانشغلت لسبب الحروب المسماة بالمقدَّسة واصبحت بريسة ملوك مكدونية كما سيذكر

الفصل الرابع عشر

في حرب المحالفين والحروب المقدسة الى حين خضوع اليونان لملوك مكدونية

حرب المحالفين سنة ٣٥٨ ق.م

١. كانت اثينا قد تقوت بحرًا حتى اتحد معها اكثر الجزائر التي كانت لها قبل سقوطها في سنة ٤٠٤ ق.م. وكان اهل هذه الجزائر محالفين لها. والظاهر ان اثينا ظلمتهم حتى نفروا منها وتحالفت رودس وخيوس وقوس ومدينة بيزنتيوم على مخالفة اثينا ومحاربتها سنة ٣٥٨ ق.م. فقام الاثينيون وبعثوا البوارج لمهاجمة خيوس وكان رئيس البوارج خَبْرياس وقائد الجند خاريس ولما صار الهجوم بحرًا وبرًّا قتل خبرياس وانهزم خاريس وارتد الجميع فشلين فتشجع الاعداء وشرعوا يغزون الجزائر التابعة لاثينا فبعثت اثينا نجدة الى بوارجها فذهبت الى الدردنيل والبسفور ولما جرى القتال انهزم الاثينيون ايضًا. ولما جهزوا خاريس الى الحرب ثانية ببوارج كثيرة عدل عن المقصود لان المرزبان ارتبازوس استأجرهُ في اسيا الصغرى ليعينهُ في محاربتهِ الفرس ونجح خاريس في القتال وحصل على مال جزيل وزعهُ على عسكرهِ لكن ذلك لم يفد اثينا اذ اغتاظ ملك الفرس وكاد يبعث سفنهُ لمساعدة اعداء اثينا فخشيت وابتت الصلح واثبتت استقلالهم سنة ٣٥٦ ق.م. فخسرت اثينا في تلك الحرب خسرانًا عظيمًا اذ انفصلت عنها اعظم توابعها. وفي نحو هذا الزمان خسرت املاكها في نواحي مكدونية لان فيلبس ابي اسكندر اخذ يتسلط على تلك البلاد وغلظ امرهُ حتى افتتح أَمْفِبولس التي كانت لاثينا قبلاً واخذ منها ايضًا پِدْنا وپِتِديا ولم يزل يتقدم الى ان طرد الاثينيين من جميع املاكهم هناك ثم تعرض لامور اليونان واخضعهم كما سياتي

خيانة خاريس

تقدم فيلبس في مكدونية

٢. ذكرنا ان مجمع الامفكتيونيين الذي اعتنى بامور معبد دلفي كان مؤلفًا من معتمدين من جميع قبائل اليونان وحسبوا لاثني عشرة قبيلة حق الاشتراك فيهِ ولكل قبيلة صوتين وكان المجمع او المجلس يحكم في الامور الدينية وقلما تعرض للسياسة. وبعد حرب لوكترا

حكم الامفكتيونيين على سبرطا
وارتقاء ثيبة العظيم أخذ الثيبيون يحرضون المجلس على التعرض لامور مختلفة وحملوهُ على ان حكم على سبرطا بغرامة ٥٠٠ وزنة لاستيلائها على برج ثيبة. فلم تطع سبرطا الأمر فزاد المجلس عليها ٥٠٠ وزنة اخرى. وبعد حرب منتنيا حصل خلاف بين الثيبيين والفوكيين وحنق عليهم الثيبيون وحملوا المجلس على الحكم على هولاء ايضاً مدعين انهم حرثوا بعض اراضي موقوفة لابلون. وكان ذلك حراماً فحكم عليهم بغرامة باهظة لم يستطيعوها. فاغتاظ الفوكيون وعمدوا الى الجهاد المدافعة عن انفسهم وكانوا اقل من الثيبيين لكنهم حصلوا على بعض مساعدة اذ سئم كثيرون سلطة ثيبة وكان للفوكيين قائد حاذق اسمهُ فيلوميلوس جمع جنداً وهاجم دلفي واخذها مع الهيكل الذي ادعى بان حق الوكالة عليهِ للفوكيين اذ كانت لهم قديماً واجتهد ان يقنع الناس لئلاَّ يقوم عليهِ الجميع لفعلهِ الحرام بانهُ يحفظ الهيكل كل حفظ ولا يمسّ ذخائرهُ الثمينة. ثم قام عليهِ اللوكريون المجاورون فكسرهم وطردهم. ثم اتى الثيبيون وبذلوا جهدهم في ان يقهروا الفوكيين ويسترجعوا الهيكل فلم ينجحوا لان فيلوميلوس كان شديد البأس وهذب عسكرهُ احسن تهذيب الاَّ انهُ تضايق من احتياجهِ الى المال لينفق على العسكر فاضطر ان ياخذ من كنوز الهيكل فتخلى عنهُ اكثر اليونان الاَّ انهُ تقوَّى بان استاجر جنداً كثيراً ونزل من حصنهِ وشرع يهاجم الاعداء وشدد عليهِ العدو في بعض الوقائع فرمى بنفسهِ من شاهقٍ فمات ولم تُقهر جنودهُ بذلك شيئاً

وعلى الفوكيين ايضاً

الحرب المقدسة الثانية

٣. واقاموا لهم قائداً اسمهُ أونمارخوس اشتد اكثر من سلفهِ وغلب الثيبيين حتى لم يتجاسروا على مناوشتهِ في الميدان فاخذ بعض مدنهم وامتدت سلطتهُ كثيراً. ونحو هذا الزمان (اي سنة ٣٥٢ ق.م.) هاجم فيلبس ثساليا وضايقها فاستنجدت اونمارخوس فسار الى ثساليا وقهر فيلبس فاخلى البلاد ثم رجع اونمارخوس وغلب الثيبيين ايضاً. الاَّ ان فيلبس لم يترك ما كان عليهِ بل عاد الى ثساليا ولما اتى اونمارخوس ثانيةً وجرى القتال بينهما انهزم وقُتل فاستولى فيلبس على كل ثساليا وغلظ امرهُ وحسبهُ اليونان اعداء الفوكيين وليّاً لاله دلفي والمنتقم لهُ لانهُ كسر الذين اهانوهُ الاَّ انهُ قدم على ثرموبلي وكان قاصداً اجتيازها الى بيوتيا واتكا فقام الاثينيون وساروا الى المضيق وامسكوهُ عليهِ فمنعوهُ من مرامهِ حينئذٍ

تداخل اونمارخوس في ثساليا وقتله

٤. وراس الفوكيين فَيلوس اخو اونمارخوس ونهب هيكل دلفي ووزع كنوزهُ على الجنود وبرطل اصحاب السياسة في مدن اليونان حتى لا يقوموا عليهِ فسئمت الناس سلوكهُ كثيراً فضعف وظفر بهِ الثيبيون وهلك بمرض اليم سنة ٣٥٠ ق.م. واعتبر الناس موتهُ

نقمة من الاله . فارتخى الفوكيون ولم يبرأوا بعد هلاكه نصرًا اذ نفدت ذخائر الهيكل ولم يقم لهم قائد قدير وذل الثيبيون ولم يستطيعوا اجراء الحرب فكانت الاحوال مناسبة لتعرض فيلبس لامورهم كما سيرد عليك

٥. وكان فيلبس قد اشتد برًّا وبحرًا بعد ان استولى على تساليا حتى بعث سفنهُ تضايق سفن اثينا التجارية وكان قد استولى على توابع اثينا في مكدونية كما مرَّ. وبعد نجاحهِ في تساليا وامتناعهِ عن بيوتيا لمقاومة الاثينيين عاد الى بلادهِ وهاجم تراكي واقترب الى املاك اثينا في الخرسنيس فارتعدت اثينا ورأت ان فيلبس عدوها الاَّ انها لم تبذل جهدها في مقاومتهِ كالواجب مع ان ديمستنيس الشهير حرضها على ذلك بكل فصاحتهِ تقدم فيلبس

٦. وكان ديمُستنيس خطيبًا مصقعًا ولد في نحو سنة ٣٨٣ او ٣٨١ ق.م. وكان ابوهُ غنيًّا الاَّ انه مات وابنهُ صغير وقبل ان بلغ الحُلم خسر اكثر املاكهِ اذ كان الوكلاء غير امناء ولما بلغ سن الرشاد وعرف ما كان اقام الدعوى على الوكلاء وغلبهم في المحكمة وكان عمرهُ ١٧ او ١٨ سنة . ولما تقدم في السن مال الى السياسة والخطابة اذ كانت واجبة على من اراد ادارة الامور في اثينا لكنهُ كان ضعيف الصوت والبدن وحركاته غير موافقة فلما حاول الخطاب اولاً لم يحسنهُ فضحكوا بهِ ولقي مثل ذلك كثيرًا الاَّ انهُ واظب على الدرس والتمرين والتهذيب لتجنب النقائص فقيل انهُ كان ينفرد ايامًا في مغارة يزاول الخطابة وحلق راسهُ لكي لا يخرج لانهم كانوا يستهزئون من ذلك وكان يضع في فمهِ الحصى عند التكلم فيتكلم بصعوبة فيضطر الى احسن الاجتهاد في اللفظ وبهذا احكم بيان الكلام وكان احيانًا يخاطب البحر عند اضطرابهِ ليعتاد الضجيج فلا يسوءهُ لغط الجماعات وكان يزاول الاشارات والحركات لتكون موافقة لكلامهِ ولم يقتصر على الاعتناء بهذه الامور بل كان يطالع احسن المؤلفات. قيل انهُ استظهر تاريخ ثوسيديدس وقرأ على المعلمين المشهورين فبلغ المراد بالمواظبة والاجتهاد واصبح عالمًا فصيحًا فاق المتقدمين والمتاخرين فكان اذا قام في مجمع وخطب اصغوا اليهِ كل الاصغاء بسرورٍ عظيم وتأثروا من كلامهِ تأثيرًا غريبًا ديمستنيس تهذيبه

٧. وكان عمرهُ نحو ٣٠ سنة حين اخذ فيلبس يتعرض لامور اليونان ويتعدى على اثينا فشرع ديموستنيس يقاومهُ اذ علم مرامهُ مع ان اكثر الاثينيين لم يظنوهُ قادرًا على اذيتهم اما ديموستنيس فرأى فيهِ مهلك اليونان واراد ردعهُ وكسر قوتهِ قبل ان يغلظ امرهُ ويمد يدهُ على كل البلاد فانشأ في شأنهِ الخطب الشهيرة المسمَّاة الفيلبيات التي كان يتلوها على

مسامعهم في الجموع حين كانوا يجتمعون للبحث في امر فيلبس وتعدياتهِ وكان يحثهم على القتال الشديد كما فعل آباؤُهم ايام زركسيس وايام بيركليس. لكنَّ الاثينيين لم يكونوا كآبائهم في النخوة والشجاعة وسئموا الحرب بحرًا وبرًّا ونفروا من مشقاتها واعتادوا القتال بالمستاجرين الذين لم يبالوا بصالحهم ولم يركن اليهم وقت الشدة والمصيبة فلما قام ديمستنيس حرضهم ان يخرجوا للحرب هم انفسهم فلم يفعلوا مع انهم سلموا بانهُ اصاب بتحريضهِ وكان لفيلبس اعوان بين الاثينيين يبرطلهم ليقاوموا ديمستنيس ويبطلوا اعمالهُ. وكان منهم على ما ظهر الخطيب اسخينيس ثاني ديمستنيس في الفصاحة. ومن قاومهُ فوكيون القائد. ولم يكن من توابع فيلبس بل كان محبًّا للوطن وامينًا لم يبرطل وكان مستقيم السيرة حتى انتخبوهُ قائدًا ٤٦ سنة متوالية وهو امر لم يسبق لهُ مثال في اثينا. الّا انهُ لم يكن يعلم قوة فيلبس ومقاصدهُ فظن الاوفق مصاحبتهُ لا مقاومتهُ. وبذلك سهلت الطرق امام فيلبس فسهل عليهِ اخضاع اليونان

تاخر اثينا في الامور الحربية

اسخينيس وفوكيون

٨. ذكرنا ان فيلبس استولى على مدن الاثينيين في تخومهِ على شواطي البحر وكانت هناك مدن اخرى لليونان لم تكن لاثينا كاولنثوس التي حالفتهُ فاحسن اليها لما كان يفتتح املاك اثينا لئلا تعينها وتقاومهُ. وبعد استيلائهِ على تساليا ومحاربتهِ قبائل تراكي طفق يهاجم ما بقي من مدن اليونان في تخومهِ ولم يزل كذلك حتى اخضعها باسرها ولما عرفت اولنثوس مرامهُ استغاثت فوعدت بالمساعدة لكنها تاخرت بسبب خيانة جزيرة يوبيا وتقاعد الاثينيين عن اتعاب الحرب مع ان ديمستنيس كان يهيجهم بخطبهِ المساة بالاولنثهات اذ كان موضوعها حرب اولنثوس. وكانت ثلاثًا على غاية البلاغة والفصاحة وانت بنتيجة اذ بعث الاثينيون سفنًا وعسكرًا لمعونة اولنثوس ولكن النجدة كانت دون المطلوب فانتصر فيلبس واستولى على جميع تلك المدن وخربها وباع اهلها عبيدًا وكان عددها ٣٢ فاقشعر جميع اليونان من هذا الفعل المخيف وعرفوا طبع فيلبس وما يصيبهم منهُ اذا قدر عليهم وحدث كل ذلك بين سنة ٣٥٠ وسنة ٣٤٧ ق.م

اولنثوس

٩. فاغتاظت اثينا وحزنت كثيرًا من هذه الامور واخذت تنظر في محاربة فيلبس واتخذت الوسائط لتهيج بقية اليونان عليهِ. الا انها لم تستفد شيئًا فخذلت وارادت الصلح فبعثت ١٠ معتمدين الى مكدونية ليخاطبوا فيلبس في ذلك وكان منهم اسخينيس وديمستنيس فواجهوا فيلبس فدهاهم وغشهم حتى رجعوا مسرورين قائلين انهُ يريد خير اثينا ومحالفتها

ارسال المعتمدين الى فيلبس ومهاجمة تراكي

وبعث من قبلهِ معتمدين الى اثينا . اما هو فحالما صرفهم ارسل جيشهُ الى ثراكي فحارب وغزا واخضع حتى وصل الى املاك اثينا هناك. ومع ذلك خُدع الاثينيون وظنوا فيلبس صاحبهم وعاهدوهُ على ان كلاً من الفريقين يبقى على ما هو عليهِ ولا يتعدى احدهما على الآخر فبقي لفيلبس كل ما استولى عليهِ في حروبهِ ولم تسترجع اثينا شيئًا مما خسرتهُ. ولما ذهب المعتمدون وهم العشرة المذكورون الى مكدونية داهنهم فيلبس اكثر من السابق والظاهر انهُ برطل بعضهم فقبلوا منهُ كل ما طلب

١٠. وكان الفوكيون حينئذٍ في مضيق ثرموبلي ليمنعوا فيلبس من التقدم الى بلاد اليونان وكان ذلك من مهام اثينا لان فيلبس اذا دخل بيوتيا لم يمنعهُ شيء عن اخضاع كل اليونان اذا اراد . وكان ساعتئذٍ قادمًا الى ثرموبلي لمحارب الفوكيين وعلم هذا المعتمدون ومع ذلك عاهدوهُ على ما شاء. الا ان ديمستينس لم يتفق مع رفقائهِ ولما رجعوا الى اثينا اشار على الناس ان يرفضوا هذه المعاهدة وان يرسلوا جندًا لمساعدة الفوكيين . فقاومهُ باقي السفراء قائلين ان فيلبس لم يرد اذية اثينا ولا ضرر اعوانها انما قصد اخضاع ثيبة وتخريبها وان ذلك سينفضح بعد قليل فسلَّم الاثينيون بكلامهم ولم يرسلوا نجدة للفوكيين فقفلوا ودخل فيلبس الى بيوتيا بدون حرب واذل الفوكيين واجبرهم على تسليم الهيكل وتخريب حصنهم وتفريق الاهالي حتى لا يجتمعوا في مدن محصنة واعطى للثيبيين جانبًا من اراضيهم وسلطهم على جميع مدن بيوتيا فكان هذا خلاف ما انتظرت اثينا . ولما وصل الخبر اليها ارتعدت خوفًا وامرت بتجهيز سفنها وجنودها فتوقعوا قدوم فيلبس اما هو فلم يقدم بل وقف حينئذٍ عن الحرب وجدد مجمع الامفكتيونيين الذي الغي مدة ١٠ سنين حين استيلاء الفوكيين على دلفي . ولما اجتمع الاعضاء حكموا بقصاص الفوكيين كما مرَّ واخذوا منهم الصوتين الذين كانا لهم في المجمع واعطوهما فيلبس . وكان هذا من اعظم ما يودّهُ لان مجمع الامفكتيونيين لم يكن مؤلفًا الاَّ من اليونانيين ولما ادخلوا فيلبس اليهِ ضمُّوهُ الى جنس اليونان فاخذ يحاول الدخول في امورهم وادَّعى ان ما فعلهُ حديثًا كان اكرامًا لمعبد دلفي اذ انقذهُ من الذين دنَّسوهُ وصار عيد ابلون في تلك السنة اي سنة ٣٤٦ فعينوهُ رئيسًا وناظرًا وكان هذا مقامًا معتبرًا جدًّا فنجح فيلبس نجاحًا عظيمًا وتقدم كثيرًا في سبيل ما كان يقصدهُ

دخول فيلبس الى بيوتيا

الخوف في اثينا

حصول فيلبس على نصيب في المجمع

١١. وبقي الصلح بين فيلبس واثينا بضع سنين الاَّ ان الميل كان نحو الحرب، فان

فيلبس لم يزل يتقوى ويؤيد سلطتهُ بحرًا وبرًّا ولا بدَّ من انهُ كان يتعرض لمحالفي اثينا في الجهات ولامور اليونان حتى منعهم عن كل محالفة عليهِ ولما كان يعمل شيئًا تتهيج منهُ اثينا كان يرسل اليها معتمدين يداهنونها ويسكنون هيجانها. وفي سنة ٣٤٠ ق.م. غزا نواحي بحر مرمرا حيث كان المحالفون لاثينا ولما هاجم مدينة پرِنْثوس وبيزنتيوم قامت اثينا واوقدت الحرب عليهِ وبعثت النجدة المدينتين فلم يبلغ غايتهُ وامسك عنها وعززت اثينا بوارجها فلم يستطع شيئًا بحرًا ولولا وقوع المشاجرات بين اليونان انفسهم التي كانت نتيجتها استدعاء فيلبس ثانيةً لتسكينها لكانوا منعوهُ عن بلوغ مرادهِ

تعديهِ على توابع اثينا

١٢. وكان السبب في ذلك حرب مقدسة انحدمت في سنة ٣٣٩ ق.م. وتسمى الثالثة وهيَّجها الخطيب السخينس الذي كان من اعضاء المجمع الامفكتيوني لتلك السنة. وحملهُ على محاربة اللوكريين الذين استولوا على موقع مدينة كِرًّا التي خربها الامفكتيونيون في الحرب المقدسة الاولى سنة ٥٩٠ — ٥٧٠ ق.م. كما مرَّ وحرموا اراضيها ووقفوها لابلون . اما اللوكريون فجددوا المدينة وفلحوا بعض الاراضي ولم يمنعهم احد . ولما قام السخينس وادعى عليهم بفعل الحرام اتقدت نيران الحرب واشتدت حتى استدعى لها المجلس فيلبس باعتبارانهُ وكيل الهيكل والالٰه . وكان السخينس من المتقدمين في ذلك فاجاب فيلبس حالاً لان ذلك كان فرصة لهُ لاخضاع البلاد كما اراد. ولما اتى شرع يفعل ما أبان مرادهُ لانهُ لما دخل ارض الفوكيين اخذ مدينة أَلَتِيا وحصنها وجعلها محلتهُ وصارت مركز جيشهِ فانتبه اليونان وتحققوا مقصودهُ

الحرب المقدسة الثالثة سنة ٣٣٩ ق.م

مجيء فيلبس

١٣. ولما نما الخبر الى اثينا كان الخوف عظيمًا ولا سيما ان ثيبة كانت سابقًا من اصحاب فيلبس وانها اذا بقيت كذلك ولم تقاومهُ فلا مانع لهُ من ان يسير الى اتكا وينهبها ويهاجم اثينا . فقام ديمستنيس واشار بتجهيز كل جنود المدينة وارسالها الى ثيبة لمساعدتها على محاربة فيلبس وارتابوا في انهُ هل تقبل ثيبة اولا لانها كانت من الدّ اعداء اثينا وكانت تنظر يومئذٍ في مصالحة فيلبس فبعث معتمدين الى ثيبة لتلك الغاية . اما اثينا فبعثت ديمستنيس فغلب معتمدي فيلبس حين المباحثة وضم الثيبيين الى اثينا فاتحدت جنودهم ومنعوا فيلبس من مرادهِ مدةً حتى التزم ان يستدعي النجدة من مكدونية وبقي على ما كان عليهِ تلك السنة

تهام اثينا لمقاومتهِ

١٤. وفي السنة التالية اي سنة ٣٣٨ ق.م. قدم فيلبس في ٣٢٠٠٠ مقاتل وكانوا

مهذبين كل التهذيب وقادهم فيلبس وابنهُ اسكندر الشهير وكان عمرهُ يومئذٍ ١٨ سنة
واظهر باسًا شديدًا ولم يكن لليونان قائد ماهر وكانوا قد تاخروا في تهذيبهم حتى لم
يقدروا ان يقهروا جند فيلبس الجرار الاَّ انهم قاتلوا قتالاً عنيفًا ولم ينهزموا حتى هلك منهم هزيمة
كثيرون وتمت عليهم الهزيمة ولم يستطيعوا القتال بعد ذلك فسلمت ثيبة للعدو فوضع اليونان
حراسًا في البرج واقام على سياستها من يثق بهِ . اما اثينا فانتظرت قدومهُ عليها وعزمت ٣٣٨ ق٠م
على المقاومة الاَّ ان فيلبس رفق بها وعرض عليها الصلح على شرط انها تسلم برئاسة اليونان فيلبس
فقبلت اذ توقعت قصاصًا شديدًا من محاربتهِ . ثم تقدم فيلبس الى البلوبونيسس وسلمت لهُ رئيس
كل القبائل ما عدا سبرطا فانها امتنعت ولم يخضعها الاَّ انهُ غزا اراضيها وجرد عنها كل اليونان
اعوانها. ثم عقد مجمعًا في كورنثوس واتخذ الرئاسة على اليونان بالاتفاق واظهر نيتهُ بان
يقود جنودهم مع جنود مكدونية الى محاربة الفرس ولما رجع الى بلادهِ استعد لذلك لكنهُ
قتل قبل انجازه فانجزهُ اسكندر ابنهُ كما سنرى

١٥ . وقد وصلنا الآن الى خضوع اليونان لتسلط اجنبي وفقد حريتهم فمن الآن
وصاعدًا يكون تاريخهم كتاريخ احد توابع مكدونية وسنتتبع اخبارهم في اخبار تلك الدولة
ومن خلفها من دولة الرومانيين. وقد رأينا في اخبارهم السابقة ما يستحق كل اعتبار وما
ينتج عنهُ فوائد كثيرة. وقد رأينا ميل اليونان الشديد الى الحرية المدنية والشخصية حتى
طلبت كل مدينة الاستقلال بنفسها. ولم يكن شيءٌ اكره عندهم واقبح من سلب هذا الاستقلال خلاصة
وان كان الخضوع لواحد يفيدهم في القوة لمدافعة الاعداء . وكان اذا تسلطت مدينة على اخبار
غيرها اصبحت مبغضة مرفوضة عند البواقي. ومع كل هذا الانفصال كانوا اقوياء في المدافعة اليونان
عن انفسهم اذا تعدى عليهم اجنبي كما يتضح من الحروب الفارسية حيث ردع اليونان
وكسروا جنود الفرس التي لا تحصى وهم امة صغيرة. وهذا يبين ما يفعلهُ حبُّ الحرية اذا
تمكن في قلب البشر ولكن اليونان لم يريدوا الاتحاد العام وحقد بعضهم على البعض
وحارب بعضهم بعضًا وهكذا اعدوا الاحوال للهلاك وفتحوا بابًا لدخول المكدوني الذي
قصد اخضاعهم زمانًا ولم يقدر عليهِ. ولولا الانشقاق بينهم واستدعاؤهُ لتسويتهِ ما استطاعهُ
قط فكان ميلهم الشديد الى الاستقلال كل واحد بنفسهِ هو الذي افضى بهم الى ان صاروا
فريسة للمفترس. فالحرية انما تفيد مع الاتحاد في السياسة حتى تكون الامة كنفس واحدة فيما
يتعلق بصالح العموم والمدافعة عن الوطن فتأمل

١٦. وما يستحق الاعتبار من امور اليونان تقدمهم في العلوم كالطبيعيات والعقليات والرياضيات وغيرها ولم يعلوهم المتاخرون في الفلسفة والفصاحة ونرى في هذا نتيجة اخرى للحرية فان اعظم العلماء واكثرهم نشأوا في اثينا حيث كانت حريتها خالصة تقريبًا واكثر من حرية بقية المدن لان سياستها كانت جمهورية فكان لكل واحد ان يتكلم في شان الامة ويبلغ المناصب السياسية اذا وقع عليهِ الانتخاب وهنالك نشأ صولون وبيركليس وفيدياس وسقراط وافلاطون وثوسيديدس وزنفون وتمستكليس وايسخلوس ويوريبيديس وديمستنيس وايسخينيس وهنالك درس ارسطاليس واخرون يطول ذكرهم فلا ريب ان سبب هذا التقدم العظيم حريتهم السياسية والعقلية فاشتركوا جميعًا في امور السياسة وتنورت اذهانهم بمباحث الجامع لان مسائلها هناك كانت عظيمة تشغل الافكار وتقتضي احسن الانظار وبذلك انصبت العقول على المباحث العلمية. ومما يبين تهذيب عقولهم بلاغة لغتهم واتمامها وحسنها حتى تحسب من اكمل لغات العالم

وصنائعهم من النقش والتصوير والبناء وما اشبه على غاية الاعتبار فشاع ذكرها
في الاقطار وشغل السنة العلماء على توالي الاعصار واستيفاء الكلام
عليها يتجاوز حدود هذا المختصر فاطلبهُ في الكتب
المستوفية في تاريخ
اليونان

الكتاب الثالث

في تاريخ مكدونية والممالك التي نشأت عنها

القسم الاول

تاريخ مكدونية الى حين انقسامها

الفصل الاول

في دولتها من اول امرها الى موت اسكندر الكبير

١. ارض هذه المملكة ضيقة ولذلك بقيت زمانًا طويلاً لا يعبأُ بها ولكنها عظمت ايام فيلبس واسكندر الكبير وقويت شوكتها كثيرًا ويصعب تعيين حدودها لأنها تغيرت مرارًا ولكن في الغالب كان حدها الشمالي فرعًا من جبال هيموس يسمى اسكُرْدوس وحدها الجنوبي جبالاً تفصلها عن ثساليا تسمّى كمبوس وحدها الغربي الليريكون والشرقي نهر ستريمون او تخوم ثراكية حدودها

٢. وهذه الاراضي الضيقة اكثرها جبلية سكنتها قبائل كثيرة قيل انها مئة او يزيد وكانت برابرة يحارب بعضها البعض بلا انقطاع ولم تشتهر فيها دولة الى ايام فيلبس المذكور وقيل ان اجدادهُ اتوا من ارغوس في البلبنيسس وذكر منهم عدة ملوك اخبارهم سكانها وملوكها الاولون

غير معتبرة فنقتصر على ذكر اسمائهم وازمنتهم وهم سنة

(١) بَرْدِكَّاس الاول ملك في نحو سنة ٧٠٠ ق.م. و(٢) أرجيوس ابنهُ ملك في نحو سنة ٦٥٠ ق.م. و(٣) فيلبس الاول ملك في نحو سنة ٦٣٠ ق.م. و(٤) ايروبس ملك في نحو سنة ٥٩٠ ق.م. و(٥) ألكيتاس ملك في نحو سنة ٥٦٥ ق.م. و(٦) أمِنْتاس الاول ملك في نحو سنة ٥٤٧ ق.م

٣. ولنا في ايام أمنتاس الاول بعض الاخبار المحققة ومن ذلك انهُ في ايامهِ هاجم داريوس الاول السكيثيين وخضع امنتاس للفرس وخلفهُ اسكندر الاول في نحو سنة ٤٩٨ ق.م. وهذا خضع لزركسيس لما هاجم بلاد اليونان وخلفهُ پرْدِكَّاس الثاني سنة ٤٥٤ ق.م. وبقي الى سنة ٤١٣ ق.م. وهو الذي استدعى السبرطيين حين الحروب الپلپنيسية ليطردوا الاثينيين من تخومهِ (راجع تاريخ اليونان ف١٠ رقم ١١ و١٢) وساعدهُ براسداس في بعض حروبهِ مع الايريين وخلفهُ أرْخلاوس وهو ابن غير شرعي لهُ فاختلس الملك سنة ٤١٣ ق.م. وبقي الى سنة ٣٩٩ ق.م. وادخل الى بلادهِ شيئًا من التمدن ودعا الى دارهِ بعض فلاسفة اليونان وشعرائهم وكان منهم يوريبيديس الشهير وقتل ارخلاوس وحدث شغب واضطراب عدة سنين ثم قام امنتاس الثاني في سنة ٣٩٣ ق.م. وضايقهُ البرابرة واستدعى السبرطيين لمحاربة اولنثوس كما مرَّ والثيبيين لمساعدتهِ في حرب البرابرة وكان لهُ ثلاثة بنين اسكندر وپردكاس وفيلبس المشهور الذي اخذهُ پلوپداس الى ثيبة رهينًا كما ذكرنا (راجع تاريخ اليونان ف١٣ رقم ٣) وارتقى اخوهُ اسكندر الى تخت المملكة فخانهُ بعضهم وقتلهُ واختلس الملك الّا ان بردكاس قتلهُ وملك عوضًا عنهُ واستدعى فيلبس واقطعهُ من المملكة وكان فيلبس قد بقي في ثيبة نحو ثلاث سنين واستفاد من معاشرتهِ احسن الثيبيين ولاسيما اباميننداس ولا شك انهُ التفت الى امور الجيش واعتبر ترتيب اباميننداس وتهذيبهُ العسكر لاننا نراهُ اقتفى آثارهُ عند ما عظم امرهُ في بلادهِ ونظم جنودهُ ذلك النظام المشهور المعروف بالفالانكس المكدوني ثم هلك اخوهُ بردكاس ولهُ ابن صغير توكل فيلبس عليهِ وتولَّى زمام الملك حتى كبر وكان شغب واضطراب في المملكة فاشار بعضهم على فيلبس ان يتخذ مقام الملك دون ابن اخيهِ وكان ذلك ففعل سنة ٣٥٩ ق.م

(في الهامش: بردكاس الثاني — ارخلاوس — امنتاس الثاني — فيلبس — ملك فيلبس سنة ٣٥٩ ق.م)

٤. وكانت المملكة متضايقة من البرابرة الايريين وغيرهم ممن ارادوا اختلاس الملك منهُ ولكنهُ تصرف بالحكمة فلم يقوَ عليهِ احد. وداهن الاثينيين بتركهِ امفيلس

وكل ما لهم على شواطي مكدونية لكي لا يكون له منهم اعاقة فينفرغ لمحاربة الايريين فحاربهم وقهرهم وتقوى على الثراكيين والبيونيين وغيرهم من البرابرة فظهر منهُ من الباس وحسن التدبير ما لم يظهرهُ اسلافهُ وهذب عسكرهُ أحسن تهذيب ونظم الفالانكس كما مر وهو ترتيب صفوف كثيفة مزدحمة من اقوى المدججين ولهم رماح طويلة جدًّا كانوا اذا مدوها تجاههم صارت كسياج من حديد لا يمكن اجتيازهُ ولا الاقتراب اليهِ فكانوا يطعنون الاعداء ويكسرونهم وهم في أمنٍ منهم وهؤلاء هم الذين غلب فيلبس اليونان بهم وبهم انتصر اسكندر واخذ فيلبس ذلك عن اباميننداس الّا انهُ اتقنهُ وقواهُ

اخضاعه البرابرة

الفالانكس

٥. وقد ذكرنا كيف طرد فيلبس الاثينيين من تخومهِ واخضع الاوليثيين حتى لم يبقَ في مكدونية من يقاومهُ (راجع تاريخ اليونان ف ١٤) ثم توجه الى ايبروس وتساليا واخضعها حتى امتدت سلطتهُ الى بحر أَدريا ثم هاجم املاك كرسوبلبتيس ملك ثراكية وكان الاثينيون يساعدونهُ وجرحت عين فيلبس في احدى تلك الحروب فاصبح اعور

طرده الاثينيين من تخومهِ

وقد ذكرنا كيف داخل اليونان في امورهم حتى اخضع الفوكيين واتخذ لنفسهِ مثل ما لهم من الحق في مجمع الامفكتيونيين فحُسب منذ ذاك يونانيًّا وعُيِّن وكيلاً للهيكل والمعبد في دلفي ثم لما حدثت الحرب المقدسة الثالثة عاد واستولى على كل البلاد وامسى رئيس اليونان اجمع ولا يخفى ان ذلك كان في نيتهِ منذ زمان وقد استعمل كل واسطة لبلوغ غايتهِ بحكمة ودراية

استيلاؤهُ على اليونان

٦. ثم لما اخضع اليونان قصد مهاجمة الفرس واخذ يستعد لذلك سنة ٣٣٧ ق.م. وفي ربيع السنة التالية بعث قسمًا من جنودهِ الى اسيا وفي مقدمتهِ پَرْمينيو وأَتّالوس وعزم ان يسير هو نفسهُ بعد قليل من ذلك لكن ادركهُ الاجل وكانت لهُ زوجة تسمى اولمپياس من ايپروس كانت سيئة الخلق غضوبة فظَّة وكان فيلبس كذلك واحب نساء كثيرات ولذلك كان لا بد من المشاجرات بين اولمپياس وبعلها فطلقها اخيرًا مع انها ولدت لهُ اسكندر بكرهُ وكان هذا سريع الغضب كامّهِ وكان يشاجر اباهُ وحدث في بعض الولائم ان فيلبس غضب على ابنهِ حتى استل سيفهُ ولولا سكرهُ فسقوطهُ على الارض لقتلهُ فهرب اسكندر وبقي منفيًّا بضعة اشهر ثم رجع ولكنهُ لم يكن على سلام مع ابيهِ ومما زاد خطرهُ انهُ ولد لابيه ابن آخر من كليوپطرا زوجتهِ الجديدة وكان بعضهم يحرضون فيلبس على جعل الصغير وليّ عهدهِ دون اسكندر وكان قوم من حزب اسكندر قد ارادوا قتل فيلبس ومن

اولمپياس واسكندر

قتل فيلبس سنة ٣٣٦ ق.م هولاء پوسانياس احد حجاب فيلبس فحدث ان أتلوس اساء اليهِ فطلب من فيلبس الانصاف فلم يجب فاغتاظ پوسانياس وقام على الملك يوم عيدٍ وقتلهُ ثم ادركهُ الحراس وقتلوهُ وظن البعض ان لاسكندر يدًا في قتل ابيهِ الّا ان ذلك دعوى بلا دليل وهلك فيلبس سنة ٣٣٦ ق.م

٧. فاستلم اسكندر الملك وهو الثالث ويلقب بالكبير وكان عمرهُ حينئذٍ ٢٠ سنة

ملك اسكندر واشتهر بانهُ كان شديد الباس شجاعًا كثير الرياضة الجسدية مهذب العقل مولعًا بالحرب وقد استدعى فيلبس ارسطاطاليس الفيلسوف الشهير ليعلمهُ فنشأ قويّ العقل وكان راغبًا كثيرًا في قراءة اشعار هوميروس ولاسيما اخبار حرب طروادة فاراد ان يحذو حذو أخيلّوس البطل الشهير في تلك الحرب

٨. ولما ملك اسكندر قتل رفقاء پوسانياس وكل من يدَّعي الملك كابن عمهِ الذي توكل عليهِ فيلبس وابن فيلبس من كليوبطرا وسار اسكندر الى بلاد اليونان ليثبت ملكهُ هناك وانتخب رئيسًا عليهم كما صار لابيهِ ولم يرفض رئاستهُ الّا سبرطا فانها تمنعت كالسابق

حرب البرابرة وفي سنة ٣٣٥ ق.م. اضطر ان يحارب البرابرة في الشمال ومنهم التريبليون الساكنون نواحي الدانوب فقهرهم واخضعهم ثم قطع النهر وضرب قبيلة هناك وعند رجوعهِ أُخبر بان الايريين قد اجتمعوا لمحاربتهِ فسار اليهم حالاً وقهرهم سريعًا قهرًا عظيمًا وحدث لما كان منهمكًا بهذه الحروب ان الثيبيين خانوا وحاصروا البرج الذي كان بيد المكدونيين كما مرَّ وسبب خيانتهم اشاعة بعضهم ان اسكندر مات وهذا حرَّك بقية اليونان الّا انهم لم يخونوا علانية كما فعلت ثيبة ولما عرف اسكندر سار الى ثيبة بسرعة غريبة ووصل الى بيوتيا قبل ان شعر اليونان بقدومهِ وكانوا يحسبونهُ ميتًا فخافوا كل الخوف الّا ان الثيبيين ثبتوا على ما كانوا عليهِ ولما دعاهم اسكندر الى التسليم رفضوا فهاجم مدينتهم بكل قوتهِ واخذها غير

خراب ثيبة انهم دافعوهُ بنشاطٍ لامزيد عليهِ وهلك اكثر الرجال ولما افتتحوا المدينة خربوها كلها سوى البرج الذي بقي الحراس المكدونيون فيهِ وباعوا الاسرى عبيدًا واقتسمت المدن المجاورة اراضي ثيبة فتلاشت من وجه الارض والقت هذه الحادثة الرعب في جميع اليونان واقشعروا من قساوة اسكندر واقتدارهِ حتى لم يتجاسر احد ان يقاومهُ والذين مالوا الى

معاملة اسكندر اثينا ضرب ثيبة كاثينا وغيرها سلموا حالاً فقبل منهم اسكندر الّا انهُ اغتاظ من بعض الخطباء كديمستينيس وغيرهِ ومن بعض القواد الذين حرَّضوا الاثينيين على معونة ثيبة فبعث الى

اثينا يطلب تسليم عشرة منهم فيصفح عن المدينة اما الاثينيون فأبوا وثبتوا حتى تعذر على اسكندر المراد فبقي اثنان من القواد وهما خاريديوس وأفيالْتيس فذهبا الى داريوس ملك الفرس اما اسكندر فسار بعد ذالك الى كورنثوس وعقد مجمع جميع اليونان هناك وتعين عليهم ثانية رئيسًا عامًّا واشهر الحرب على الفرس علانية كعظيم اليونان سنة ٣٣٥ ق.م.

اسكندر رئيس اليونان كابيًّا سنة ٣٣٥ ق.م

٩. ثم رجع الى مكدونية واخذ يستعد لانجاز غايته وفي ربيع سنة ٣٣٤ ق.م. عيّن أنتِپَّطر نائبًا عنهُ في مكدونية وسار الى اسيا ولما وصل الدردنيل عبر جنودهُ الى أبدوس وقطع هو البحر الى موقع طروادة وهناك قدم ذبيحة للآلهة وسألها ان تنجحهُ في مقاصدهِ ثم رجع الى الجيش الذي عبّاهُ فاحصاهُ فكان ٣٠٠٠٠ ماشٍ و٤٥٠٠ فارس فقط لكنهم كانوا اشداء البأس لم يشاهد مثلهم وكان الفرس في اسيا الصغرى قد جمعوا جنودهم وتقدموا لملاقاة اسكندر متيقنين الغلبة ومعهم نحو ٢٠٠٠٠ فارس و٢٠٠٠٠ ماشٍ وكان اكثر المشاة يونانيين مستاجرين والتقى الفريقان عند نهر صغير ينصب في بحر مرمرا يسمى غرانكوس فوقف الفرس على الشط الشرقي واصطفوا متجهزين للقتال اما اسكندر فلما وصل الى النهر لم تتعذر عليهِ المهاجمة بل قاد جنودهُ عابرًا النهر في وجه العدو وكانت المهاجمة صعبة جدًّا اذ كان الشاطئ حيث وقف الفرس عسرًا وهم متأهبون للمقاومة وزاد الامر عسرًا انهُ اشتد القتال فاصيب اسكندر عدة مرات ولكنهُ لم يضر وقتل بعض اكابر الفرس بيدهِ وقد حمل عليهِ احدهم من ورائهِ ورفع سيفهُ فوق راسهِ وكاد يقتلهُ لكن احد خاصتهِ اكليتوس قطع يد العدو اثناء ذلك وأنقذ سيدهُ وقتل كثيرين من اكابر الفرس وابطالهم

سيرهُ الى اسيا سنة ٣٣٤ ق.م

حرب غرانكوس

١٠. ثم انهزم الفرسان وحوّل اسكندر قوتهُ الى المشاة اليونانيين وكسرهم لكن بعد قتال شديد اذ ثبتوا وهلكوا في مراكزهم فلم يؤسر منهم سوى الفين فخسر الفرس نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل غير المأسورين اما القتلى من جنود اسكندر فقيل انهم لم يكونوا سوى ٨٥ فارسًا و٣٠ ماشيًا فاخافت حرب غرانكوس كل البلاد فسلّم كثيرون بلا قتال ومنهم اهل ساردِيس وافسس اما مليتس فقاومتهُ اذ أتت بوارج الفرس لمساعدتها الَّا ان بوارج اسكندر دخلت الميناء اولًا وسدتها حتى لم تبلغ المدينة مساعدة من البحر فافتتحها اسكندر عنوةً وكانت بوارج الفرس اكثر كثيرًا من بوارج اسكندر وكان رئيسها حينئذٍ ممنون اليوناني الذي اشتهر في خدمة الفرس وكان مقتدرًا ولو سلم داريوس اليهِ ادارة الحرب

هزيمة الفرس

اخذ مدن اليونان في اسيا

في اسيا الصغرى من اول الامر لمنع اسكندر عن التقدم كما رجح ذلك كثيرون لانهُ رأى ان تخلى البلاد امامهُ وتخرب حتى يجوع جيشهُ ثم ان تستولي البوارج على البحر ويهاجم مكدونية ويغري اليونان بالخيانة فلم يأتِ الفرس ذلك وخسروا قوتهم في هزيمة غرانكوس وكان ممنون مستوليًا على البحر فلم يقدر ان يمنع تقدم اسكندر برًّا

١١. وافتتح اسكندر المدن واحدة بعد اخرى وسلم اكثرها بلا قتال ولم يقاومهُ مقاومة شديدة الاَّ مدينة هلكرنسُّوس في كاريا فانهُ ذهب اليها ممنون وكان فيها افيالتيس الذي نُفي من اثينا وجنود من اليونان فدافعوا عن المدينة بكل نشاطٍ ومانعوا اسكندر مدة رضرّوا بهِ الاَّ انهُ غلبهم اخيرًا وبعد ذلك لم يبقَ في اسيا الصغرى من يقاومهُ مقاومة يعتدُّ بها واخذ يقدم من كورة الى اخرى يتولّى عليها وكان ذلك سنة ٣٣٤ ق.م. ووصل اخيرًا الى كورديوم في غلاطية فتقضى الشتاء عليهِ فيها وهناك قطع بسيفهِ العقدة الكودية وهي عقدة في حبل بربط نيرًا بمركبةٍ وكانت غريبة التركيب حتى لم يقدر احد على حلها وكان تقليد الهي بقول ان من حلها ينال ملك اسيا فقطعها اسكندر كما مر ثم في الربيع سار الى كبدوكية ومن هناك الى كيليكية بمضيق في جبل طورس صعب المسلك حيث كان ممكنًا للفرس ان يمنعوه لكنهم تركوهُ يجتاز بدون مانع كانهم مرتخو الايادي والظاهر ان داريوس ظن انهُ يهلك اسكندر وكل جيشهِ حال ملاقاتهِ فلم يجتهد في ان يمنع تقدمهُ بل بذل جهدهُ في جمع جيش عرمرم ينكبُّ على العدو ويسحقهُ كلهُ اما اسكندر فقدم الى طرسوس وهناك اصابتهُ حمّى خبيثة كاد لا يشفى منها ثم عوفي وسار الى سورية بعد ان اخضع كيليكية على طريق مضيق اسُّوس عند خليج اسكندرونة

قطعهُ العقدة الكودية

مرضهُ الشديد

١٢. وبعد ان اجتاز المضيق سمع بقدوم داريوس وكان قد اتى بكل فخرهِ ومعهُ عائلتهُ ومركبات وكنوز كثيرة وكان عدد جنودهِ نحو ٥٠٠٠٠٠ ماشٍ و١٠٠٠٠٠ فارس فكان محتاجًا الى محل واسع سهلٍ يوافق حركات عسكرهِ ولاسيما الفرسان . اما داريوس فافتخر بقوتهِ وايقن انهُ يغلب اسكندر حيث يواجههُ فتقدم وعلا الجبل المشرف على مضيق إسُّوس ونزل اليهِ وكان اسكندر قد جازهُ كما مر لكنهُ رجع وهاجم داريوس في المضيق عند نهر صغير يسمى پِنَروس عبرهُ تجاهَ العدو كما فعل عند الغرانكوس وهزم من التقى بهم مشاةً وفرسانًا وكان داريوس في مركبتهِ فلما رأى عسكرهُ مهزومًا خشي على نفسهِ وفرّ هاربًا ولم يقف حتى وصل الى مكان امين ولما علم الجيش بذلك انهزم الاَّ ان

حرب اسوس سنة ٣٣٣ ق.م

الميمنة ثبتت مدة وقاتلت ميسرة اسكندر قتالاً عنيفًا اذ كانت موءلفة من يونان مستاجرين فضرّت بالعدو شيئًا الّا انها ارتدت لما عرفت ما كان ونجا جانب منها وانهزمت بقية الجيش شرّ هزيمة وهلك منها الوف كثيرة لضيق المحل وكثرة عددهم فداس بعضهم البعض قيل انهُ هلك من الفرس ١٠٠٠٠٠ ماشٍ و١٠٠٠٠ فارس ولم يُقتل من المكدونيين سوى ثلاث مئة ماشٍ و١٥٠ فارسًا وانجرح اسكندر جرحا خفيفًا وكان من الاسرى عائلة داريوس امراتهُ وامهُ وغيرها فعاملها اسكندر بكل لطف كعائلة ملكية قائلاً انهُ لم يحارب داريوس للبغضة لهُ بل للملك اسيا وكانت حرب اسوس في اواخر سنة ٣٣٣ قبل الميلاد

١٢. ثم تقدم الى مرثوس وهي مدينة على الشاطئ جنوبي أردوس اوارواد وكانت ارواد قوية جدًّا فلم يقدر عليها حينئذٍ اذ لم يكن لهُ بوارج ومع ذلك سلمت حالاً ثم قدم الى بيلوس (جبيل) والى صيدا فسلمتا بلا قتال ولم يُعق حتى وصل الى صور فبعث الصوريون وفدًا اليهِ يسألونهُ المصالحة فاخبرهم انهُ قصد دخول المدينة لكي يذبح لهرقل في الهيكل فأبوا قائلين انهم يطيعونهُ في كل شيء سوى دخولهِ مع جنودهِ الى المدينة فاغتاظ اسكندر وعمد الى افتتاحها عنوةً ولما كانت على جزيرة تبعد قليلاً عن البر شرع في بناء سدّ موصل بينها وبين البر لكي ينصب الآلة المنجنيقية حيث يمكنهُ ان يرمي الاسوار وكانت عالية جدًّا وعلوها من جانب البر ١٥٠ قدمًا ولما بلغ السد قرب المدينة خرج الصوريون بسفنهم وحرقوا الابراج التي عليهِ فايقن اسكندر ان لا بد لهُ من بوارج اذا اراد اخذ المدينة فاستدعى السفن من ارواد وصيدا ولما اتت سدّ ميناء صور تمامًا ثم بنى السد الموصل ثانية ونصب الآلة ولما تمكن من ثغر اسوارها دخل من الثغور وقتل كثيرين من اهلها وباع نحو ٣٠٠٠٠ منهم عبيدًا لشدة غيظهِ من مقاومتهم الشديدة لهُ فانها عاقتهُ سبعة اشهر وكلفتهُ اتعابًا كثيرة وكان ذلك سنة ٣٣٢ ق٠م

تقدم اسكندر جنوبًا

حصار صور سنة ٣٣٢ ق٠م

١٤. وكان داريوس قد بعث اليهِ مرتين يطلب عائلتهُ وقدم لاسكندر فدية عنها عشرة الاف وزنة وابنتهُ زوجة وكل املاكهِ غربي الفرات والمعاهدة معهُ فاجابهُ اسكندر ان كل املاكهِ لهُ فلا يقبل الّا التسليم التام ولا يليق ان يخاطبهُ داريوس كنظير لهُ بل كعبد وان اراد عائلتهُ فليأتِ اليهِ ويطلبها بنفسهِ والّا فلا يسلمها فتيقن داريوس ان لا سبيل لابقاء ملكهِ الا الحرب المهلكة

١٥. ثم سار اسكندر الى غزة فقاومتهُ مقاومة شديدة وكانت على غاية من التحصين

افتتاح غزة وقوة الاسوار فالتزم ان يبني مترسة حولها وينصب الآلات عليها فقاتله الحراس العرب قتالاً شديدًا وظلوا كذلك حتى قتلوا عن آخرهم وكان رئيسهم خصيًّا اسود يسمى باتس فلما رآهُ اسكندر غضب عليهِ بأن كلفهُ كل هذا التعب والعناء فعلقهُ بمركبتهِ وجرَّهُ حتى مات وصرف نحو شهرين في حصار غزة ثم عمد الى مهاجمة مصر ولعلهُ استولى على اكثر مدن فلسطين قبل ذلك وقيل انهُ صعد الى اورشليم ودخلها بوقار واحترام ولم يضرها لكن ذلك لم يتحقق ولما انتهى من فينيقية وتلك النواحي قدم على مصر فسلمت بلا قتال وكان المصريون مغتاظين من الفرس فرحبوا باسكندر كمنقذٍ وكانت غايتهُ ان يستولي على جميع املاك الفرس حول البحر المتوسط لكي يفصلهم كل الفصل عمَّن خشي باسهم من اليونان لئلاَّ يساعدوا داريوس وليتمكن اكثر تمكنٍ من تسلطهِ على مصر بنى الاسكندرية على البحر لتكون عاصمة حكومتهِ واختطها سنة ٣٣٢ ق.م . ومما يستحق الاعتبار من فعل اسكندر في مصر انهُ سار الى هيكل زفس عمون في جرعاء عمون وكان هنالك معبد معتبر فصرَّح الههُ على قولهم بان اسكندر ابنهُ فادعى لاهوتهُ بعد ذلك واخذت الكبرياءُ منهُ كل مأخذٍ حتى لم يقدر اصحابهُ أن يحتملوهُ

قدومهُ على مصر

بناؤُه الاسكندرية

سيرهُ الى زفس عمون

١٦. وبقي اسكندر في مصر بضعة اشهر وفي هذه المدة اتاهُ خبر من بوارج بحر ايجيان انها قد غلبت بوارج الفرس فاستولى اسكندر على البحر ثم سار في اوائل سنة ٣٣١ ق.م. الى فينيقية ورتب امورها وقاص السامرة لانها كانت قد احرقت حاكمها المكدوني وتوجه من سورية الى الفرات فعبرهُ عند مدينة ثبسكوس (تفساح) بلا مانع اذ هرب حراس الفرس ثم سار شمالاً ثم شرقًا الى نهر دجلة اذ سمع ان داريوس وراءهُ وعبر هذا النهر قرب موقع نينوى بلا معارض وكان يهون على داريوس ان يعيقهُ لو اراد فكأنهُ جنٌّ فلم يأتِ شيئًا من ذلك وانما اعتمد على جنودهِ العظيمة التي قد جمعها من كل اطراف مملكتهِ وحدث اثناء ذلك خسوف القمر التام فتعين ان هذه الحادثة كانت في العشرين من ايلول سنة ٣٣١ ق.م

رجوعه الى فينيقية سنة ٣٣١ ق.م

١٧. وكان داريوس قد حل بجيشهِ الكثيف في سهول نواحي اربيل لانها كانت واسعة مناسبة لمهاجمة الفرسان والمركبات السائقة وكان لهُ منها ٢٠٠ مركبة وكان معهُ ٤٠٠٠٠ فارس ونحو ١٠٠٠٠٠٠ ماشٍ على ما قيل ولم يكن لاسكندر سوى ٤٠٠٠٠ ماشٍ و٧٠٠٠ فارس لكنهُ لم يتوقف عن القتال بل قدم على الفرس وهو في الميمنة وسلم

الميسرة الى برمينيو وكان ابتداء المعركة على الميمنة وهجم اسكندر مع فرسانهِ بقوة لا ترد فكسروا الذين امامهم حالاً ورأى مركبة داريوس فتوجه اليها راسًا عالمًا انهُ اذا غلب هناك وهزم داريوس او قتلهُ او اخذهُ بلغ غايتهُ لان جنود الفرس لا تثبت بعد هزيمة الملك ولما فهم داريوس ان جنودهُ منهزمة ورأى اسكندر قادمًا عليهِ أُلقي الرعب في قلبهِ كما في إسُّوس فولّى هاربًا وهرب الذين حولهُ وتمت بهم الهزيمة وكاد لا ينجو داريوس بان تبعهُ اسكندر وجدّ في اثرهِ ولولا ان واراهُ غبار المهزومين ادركهُ

حرب اربيلا سنة ٣٣١ ق م

هزيمة داريوس

١٨. وفيما حدث ذلك في الميمنة والقلب تضايق برمينيو على الميسرة حتى التزم ان يستنجد اسكندر فلما علم ذلك رجع عن داريوس ولكن برمينيو هزم الاعداء قبل وصولهِ لانهُ بلغهم ان داريوس هُزم وبقية الجيش فخافوا ثم جدّ اسكندر والجميع في اثر الهاربين واهلكوا كثيرين منهم وازدحمت جنود الاعداء في الطريق فداس بعضهم البعض فهلك بذلك خلق كثير. قيل ان قتلى الفرس بلغوا ٣٠٠٠٠٠ وقيل ٩٠٠٠٠ وقيل ٤٠٠٠٠ ومهما يكن في ذلك من الخلاف فلا ريب في ان الجيش اما قُتِل كلهُ او قُتل بعضهُ وأُسر البعض او بدد شملهُ حتى لم يبقَ منهُ فرقة تجتمع على اسكندر بعد المعركة فانتهت المقاومة ولم يكن لاسكندر الاَّ ان يحصل على طاعة المدن والحكام فتقدم الى بابل فسلمها حاكمها مازيوس فابقاهُ في مقامهِ غير انهُ عين اثنين معهُ من تبعتهِ توطيدًا للثقة ومكث في بابل نحو شهر واستراح بها جيشهُ بعد شديد المشاق

القتلى

قدوم اسكندر الى بابل ثم الى بلاد الفرس

١٩. ثم قصد بلاد فارس واستولى على سوسا بلا قتال ووجد فيها كنوزًا عظيمة ثم علا الجبال ليدخل بلاد فارس وكان في المضايق هناك قبيلة برابرة كانت لها عادة ان تمسك الطريق على ملوك الفرس وتأخذ منهم اجرة المرور فسألت اسكندر تلك الأجرة فحمل عليهم وكسرهم واخضعهم ثم واجههُ والي فرسيبلس في المضيق المودي الى المدينة وكان صعب المسلك جدًّا فلم يقدر اسكندر على خرق صفوف العدو فيهِ لكنهُ وجد مسلكًا آخر لم تعرفهُ الفرس فقاد فرقة فيهِ الى خلف العدو وهزمهم شرّ هزيمة فسقطت فرسيبلس حالاً فاحرقها بعد ان اخذ كنوزها . قيل كانت تساوي نحو ٢٧٦٠٠٠٠٠ ليرا انكليزية ومكثوا هنالك نحو شهر لانهُ كان الشتاء

٢٠. اما داريوس فكان قد هرب الى أكْبَتَنا في بلاد مادي راجيًا ان اسكندر يكتفي بما حصل عليهِ فيتركهُ ولما عرف انهُ يتبعهُ هرب شرقًا قاصدًا بَكْتَريا فتبعهُ اسكندر

اتباع اسكندر داريوس

بكل سرعة وأخذ اكبتنا وجعلها محلاً لكنوزهِ ولجانب من عسكرهِ وولّى عليها برمينيو القائد ثم أسرع في أثر داريوس بغية ان ياخذهُ حيًّا لا ان يقتلهُ ليزيد بذلك مجدهُ ولما رأى داريوس اصحابهُ على هذه الحال وانهُ خسر مملكتهُ عزموا على عزلهِ واقامة مملكة لانفسهم في بكتريا وما يليها ولكنهم ارادوا ابقاء داريوس ملكًا وقتًا ليطيعهم الناس بهِ ولكن لما علموا

هلاك داريوس ان اسكندر قرب ان يدركهم قتلوا داريوس وتركوهُ وارتكب معظم هذا الاثم الفظيع بسّوس والي بكتريا ولما اتى اسكندر ووجد جثة داريوس اغتاظ على قاتلهِ ودفنهُ بكل اكرام

٢١. وبعد ان اراح عسكرهُ مدة جدًّ في السير واخضع القبائل في كل جهة وكان يهاجم بسرعة وعنف حتى لم يقدروا على المقاومة وفي ربيع تلك السنة وهي سنة ٣٣٠ ق.م.

سوء تصرف اسكندر وقتل فيلوتاس وبرمينيو كان في أريانا ودرنجيانا وهنالك حدث امرٌ هائل ظهر منهُ سوء خلق اسكندر وتغيير عوائدهِ فانهُ طغى وتجبر كثيرًا وجار عن سبيل الحق وظلم فقتل فيلوتاس ابن برمينيو وقائد الفرسان اذ اتهمهُ ظلمًا بالخيانة وعذبهُ عذابًا اليمًا بخلاف السنَّة وذلك لانهُ وبخهُ على كبريائهِ فغضب عليهِ وبعد قتل فيلوتاس بعث وقتل اباهُ في اكبتنا ولم يكن عليهِ ذنب سوى انهُ ابو فيلوتاس وبعد ذلك سار الى بكتريا واستولى على بسوس المذكور فجدع انفهُ واذنيهِ وبعثهُ الى اكبتنا حيث قتلهُ الفرس واخضع اسكندر بكتريا وسوكديانا ومكث قليلاً في مركندا (وهي سمرقند) حيث قتل اكليتوس القائد الشهير الذي انقذ اسكندر في معركة غرانيكوس وكان سبب قتلهِ ان اسكندر اولم لخاصتهِ وشرب خمرًا حتى سكر وكذلك اكليتوس وقال هذا في الحديث ما هيج غضب سيده فقام وقتلهُ بيدهِ ولما عرف ما فعل ندم وانفرد ثلاثة ايام ينوح عليهِ ويبكي وخاف اصحابهُ من موتهِ حزنًا فهيجوهُ للعمل فجدَّ

غزواته في الحرب وسار شمالاً وقطع نهر أكسوس او جيحون واخضع الساكنين وراءهُ الى ان تجيء الى نهر ياكسارتيس او سيحون واسس عدة مدن سماها اسكندرية نسبة الى اسمهِ وتزوج روكسانا ابنة احد امراء بكتريا وكانت جميلة فازداد اسكندر تجبرًا وافتخارًا حتى اراد ان يسجد لهُ

فرط ظلمهِ الناس كالهِ وفعل ذلك بعض تبعتهِ تملقًا وابى ذلك بعض المكدونيين واليونان ولاسيما كلستنيس الفيلسوف صاحب ارسطاطاليس فقال لهُ ان ذلك يغيظ الآلهة فاغتاظ منهُ اسكندر وقتلهُ. ولا يخفى ما في ذلك من الظلم

٢٢. وبعد ان تقضى على اسكندر نحو ثلاث سنين في تلك النواحي عمد الى مهاجمة بلاد الهند سنة ٣٢٧ ق.م. فقطع جبال هندوكوش وتقدم الى الإندوس او نهر الهند

فاخضع القبائل في طريقهِ ثم عبر الإندوس بلا مانع في ربيع سنة ٣٢٦ ق.م. ولم يقاومهُ احد حتى وصل الى نهر هِداسْبيس وهنالك جمع ملك اسمهُ پوروس جنودهُ واراد منع اسكندر من العبور فلم ينجح ولما صار القتال قهرهُ اسكندر واخذهُ اسيرًا الَّا انهُ أطلقهُ وردَّ لهُ مملكتهُ فصار من اعوانهِ ثم بلغ اسكندر البلاد المسماة البونجاب اي ارض خمسة الانهر التي تجري غربًا وتصب في الإندوس وقطع نهر اكَسِنيس ثم نهر هِدرأُورتيس فقاومهُ هنالك قوم مقاومة شديدة ثم اخضعهم وقتل نحو ١٧٠٠٠ منهم واخذ ٧٠٠٠٠ ثم تقدم الى نهر هفاسيس واراد عبورهُ فأبى عسكرهُ اذ كانوا قد بعدوا كثيرًا عن الوطن وكلُّوا من كثرة الاتعاب ولم يقدر اسكندر ان يغريهم بما اراد فامتنع عن مهاجمة الهند غصبًا وصعب عليهِ انهُ لم يقدر ان يبلغ غايتهُ . فما قيل انهُ بعد قهرهِ كل العالم بكى اذ لم تبقَ عوالم أُخر يقهرها ليس بصحيح ولعلَّ اسكندر عرف حينئذٍ انهُ ليس الهًا بل انسانًا مستندًا على الانسان ومفتقرًا اليهِ للتوصل الى مبتغاهُ

مهاجمة الهند

٢٣. ولم يرجع على الطريق التي اتى فيها بل بنى سفنًا ونزل على النهر الى ان وصل الى الإندوس وسافر فيهِ حتى وصل الى بحر الهند وبقي هنالك بضعة اشهر فاخضع الامم التي التقى بها على جانبي النهر. وقسم جيشهُ عند مصب النهر وجعل قسمًا في السفن ورأس عليهِ نيارْخوس وبعثهُ بحرًا الى خليج العجم ومصب دجلة والفرات اما هو فاخذ القسم الثاني وسار برًّا وقطع الصحاري قاصدًا بلاد فارس وقاسى في هذه الطريق ما لم يقاسهِ في كل حروبهِ اذ اعتراهُ ومن معهُ الجوع والظمأُ مع التعب والعناء حتى هلك كثيرون لكنهُ وصل اخيرًا ونجا ثم رجع الى سوسا وبابل سنة ٣٢٤ واخذ يرتب الامور ويقاص اصحاب السياسة الذين جاروا وظلموا في غيابهِ لظنهم انهُ لا يرجع سالمًا ومنهم هرْپلوس مرزبان بابل فهذا لما ايقن قدوم اسكندر هرب بكنوز جزيلة والتجأ الى اثينا

رجوع اسكندر من الهند

٢٤. وبعد رجوع اسكندر سولت لهُ نفسهُ ان يخلط اليونان والفرس في مملكتهِ فتزوج بَسْتِيرا ابنة داريوس وپَرِسَتِيس ابنة اوخوس الملك السابق واجبر القواد على ان يفعلوا كذلك وادخل الى الجيش عساكر من الفرس وهذبهم تهذيب المكدونيين وخلطهم بالفالانكس فكره ذلك عسكرهُ القديم وخانهُ البعض اذ لم يريدوا ان يبقوا في خدمتهِ فاطلقهم ليرجعوا الى مكدونية

اقتران المكدونيين والفرس

٢٥. ثم سار اسكندر الى اكبتانا في سنة ٣٢٤ ق.م. وهنالك مات صاحبهُ هفيستيون

موت هفيستيون الذي كان يحبهُ اكثر من سائر خاصتهِ وناح عليهِ نوحًا عظيمًا وابى ان يعزّى اياماً واخذ جثتهُ الى بابل وامر ببناء موقدٍ عظيم لحرقها وقام باعظم احتفال بالجنازة فانفق عليها ما يعدل نحو ٢٧٦٠٠٠٠ ليرة انكليزية وشرع في هذه المدة يتأهب لمهاجمة جزيرة العرب وامر ببناء سفن كثيرة تسير حولها بحرًا في اثناء سير الجيش برًّا ولكنهُ مرض قبل ان تمّ ذلك ومات وكانت علة ذلك ان بعض رفقائهِ عمل لهُ وليمة فاخرة فظلّ يسكر ليلتين متواليتين وفي الثانية اعترتهُ حمّى قوية لم تفارقهُ حتى مات بعد ايام قليلة ولما كان على آخر رمق سألهُ بعضهم لمن يوصي بالملك بعدهُ قال للاقوى ونزع خاتمهُ واعطاهُ بردكاس احد القواد

موت اسكندر سنة ٣٢٣ ق.م

٣٦. وكان هلاك اسكندر سنة ٣٢٣ق.م. لمضي ١٢ سنة و٨ اشهر من ملكهِ و٣٢ سنة من ميلادهِ واستولى في هذه المدة القصيرة على جانب عظيم من العالم وقلب اعظم مملكة في الارض وقتئذٍ في مدة نحو ثلاث سنين وبلغ ما لم يبلغهُ احد ممّن سبقهُ وكان عند موتهِ ناويًا اعمالاً تضاهي ما قد عملهُ ولا نعلم الى اين كان يصل لو طالت بهِ الحياة ولا يخفى ما في نتائج اعمالهِ وتأثيرها في تاريخ البشر من الاهمية فانهُ ادخل اليونان الى اسيا وربطها باوربا على طريقة لم يسبق لها نظير. فامتدت لغة اليونان وشيء من تمدنهم وعلومهم وتهذيبهم الى اماكن كثيرة في اسيا ولاسيما الممالك التي اقامها خلفاء اسكندر في اسيا وافريقية كما سيذكر وحصلت فوائد كثيرة للعالم من هذه الامور مع ان اسكندر لم يقصد الا مجد نفسهِ وامتداد تسلطهِ فكانت غاياتهُ فاسدة لكنّ الله استخدمهُ لانجاز مقاصدهِ ولتمجيد اسمهِ تعالى

نتائج اعمالهِ

الفصل الثاني

في حروب الخلفاء الى انقسام مملكة اسكندر

١. وحدث عند موت اسكندر انشقاق بين قوادهِ من جهة الملك اذ لم يترك ابنًا شرعيًا ولم يعين صريحًا من يخلفهُ وكانت امرأتهُ روكسانا حبلى لما مات وكان لهُ اخ من

ابيهِ غير شرعي يسمى أرِدبوس واختان وامهُ أُولمبياس فاجتمع القواد في بابل واتفقوا اخيرًا على ان يكون بردكاس وكيل المملكة ويكون أرِدبوس السقيم العقل ملكًا في الظاهر ويشاركهُ فيهِ من يولد لاسكندر من روكسانا ان كان ذكرًا وان الملك الحقيقي يكون للقواد فهولاء اقتسموا المملكة. فأخذ بطلميوس بن لاغوس مصر وما يليها في افريقية وفلسطين ولاومدون اخذ سورية وفيلوتاس كيليكية وأنتغنوس بمفيلية وليكية وفريجية الكبرى وأسندر كاريا وميلندر ليديا وليوناتوس فريجيا الصغرى ويومينيس كبدوكية وبفلغونية واما بقية اسيا فتركت بيد الولاة الذين كانوا وقتئذٍ في الولايات واخذ في اوربا ليسيخوس ثراكية والخرسنيس وأنتبطر وكراتيروس اقتسما مكدونية وبلاد اليونان وما يليها غربًا من مملكة اسكندر فحسد القواد بعضهم البعض فاشتعلت الحرب بينهم كما سيأتي ولنلتفت هنا الى امور اليونان بعد مسير اسكندر الى اسيا

اقتسام المملكة

٢. ذكرنا كيف سحق اسكندر مدن اليونان وتركها بيد أنتبطر لما سار لمحاربة داريوس وكانت خاضعة له كل الخضوع الّا ان خضوعها كان كرهًا فانتظرت فرصة للخيانة ولكن لما رأت نجاح اسكندر وازدياد سلطتهِ خافت اكثر من ذي قبل فلم تخن الّا سبرطا كما مر وكان ملكها أجيس راغبًا في الحرب وسأل الفرس المساعدة فاعطوهُ بعض السفن والمال فاخذ يهيج الخيانة ويجمع الجنود في البلبنيسس ثم اشهر الحرب على مكدونية سنة ٣٣٠ ق.م. ولا نعرف من انباء هذه الحرب الّا قليلاً والظاهر ان السبرطيين وحلفائهم غلبوا المكدونيين في اول الأمر وحاصروا مدينة مغالوبلس التي بقيت امينة لهم ولكن قبل ان افتتحوها اتى أنتبطر بجيش اخر وقهر اجيس وقومهُ بعد قتال شديد وهلك اجيس فانتهت الحرب وتسلط المكدونيون على جميع اليونان كالسابق وضعفت سبرطا كل الضعف

حرب سبرطا لمكدونية سنة ٣٣٠ ق.م

٣. ولم تشترك اثينا في هذه الحرب لمعرفتها ان اسكندر على قدم النجاح غير ان ديمستنيس وحزبهُ احتملوا نير المكدونيين كرهًا اما ايسخنيس فكان عدوهُ الشديد ولما رأى قوة الحزب المكدوني ظن انهُ يقدر على ديمستنيس حينئذٍ اذ ادعى عليهِ بشيء يتعلق بمقاومته المكدونيين فيما سبق فكان رجل اسمهُ طيسفون قرَّر للمجمع انهُ يعطي ديمستنيس تاجًا ذهبيًا لحسن تدبيرهِ وسياستهِ ايام الحرب مع فيلبس فاقام ايسخنيس الدعوى عليهِ حينئذٍ كأنهُ قد فعل شيئًا خلاف القانون وكانت غايتهُ الهجوم على ديمستنيس واذلالهُ فشتمهُ في خطابهِ

مشاجرة ايسخنيس لديمستنيس

واتهمهُ بسوء التصرف وبقبول الرشوة وبرذائل كثيرة وكان خطابهُ بليغًا قويًا فاجابهُ ديمستنيس بخطاب ابلغ من خطابهِ فغلبهُ بالحجة والفصاحة حتى لم يحصل ايسخينيس على خُمس اصوات القضاة فأُجبر على ان أدى الغرامة حسب القانون فخجل وهجر الوطن واشتهرت هذه الدعوى بفصاحة الخطب وعُدَّ خطاب ديمستنيس افصح خطاب سمعتهُ الآذان البشرية

٤. ذكرنا انهُ لما رجع اسكندر من بلاد الهند اخذ يقاص المرازبة على افعالهم الرديئة فهرب هَرْپَاس مرزبان بابل الى اثينا حاملاً مالاً جزيلاً فلم يرد الاثينيون في اول الأمر ان يقبلوهُ خوفًا من اسكندر ثم ادخلوهُ الى المدينة مع اموالهِ ولما امرهم أنتبطر ان يسلموهُ أبوا الّا انهم قبضوا عليهِ وعلى اموالهِ واستودعوها الخزينة قال هرپاس انها كانت نحو ٧٣٠ وزنة ثم هرب هرپاس وبعد هربهِ عدُّوا اموالهُ في الخزينة فوجدوها لم تزد على ٣٥٠ وزنة فاتهم بعض اولي السياسة بقبول بعض هذا المال رشوة ومنهم ديمستنيس وحكم عليهِ بغرامة ٥٠ وزنة ولما لم يقدر ان يوفي نُفي ولا برهان على صحة هذا الحكم ولعلَّ اعداءهُ اجروهُ عليهِ حسدًا وكان ذلك قبل موت اسكندر ولما بلغ خبر موتهِ بلاد اليونان لم يصدقوهُ اولاً وبعد ان ثبت هاج الجميع وظن كثيرون ان وقت الحرية آن فنادى بها الاثينيون وشرعوا يتهيأُون للحرب واسترجعوا ديمستنيس وجهزوا جنودهم واستحلفوا اخوتهم على مقاومة المكدونيين واجتمع اليهم بعضهم وعينوا بطلاً اسمهُ ليوستنيس على الجنود فسار الى تساليا فلاقاهُ أنتبطر في المكدونيين ولما جرى القتال ظفر بهِ ليوستنيس ومن معهُ والتجأ انتبطر الى مدينة لاميا فحاصرهُ هنالك ليوستنيس وبعث انتبطر يطلب المدد من القواد في اسيا لكنهُ تضايق كثيرًا من الحصار وكاد يسلم الّا ان ليوستنيس قتل حينئذٍ فارتخت ايدي اليونان شيئًا

٥. ثم عينوا أنْتِفِلوس قائدًا ولما قرب ليونانوس في جيش لمعونة انتبطر قدم لمحاربتهِ وغلبهُ وقتلهُ اما انتبطر فنجا من لاميا الى مكدونية وجمع هنالك جنودًا ورجع بعد قليل وغلب اليونان بأَن أَتى كراتيروس وضم جيشهُ الى جيش انتبطر فقويا على اليونان فانهم كانوا اقل عددًا الّا انهم قاتلوا بنشاط ولم ينكسروا تمام الانكسار وكانت الحرب عند اكْرَنون سنة ٣٢٢ ق.م. ولما راى اليونان قوة العدو خنعوا وطلبوا الصلح فاجاب انتبطر الّا انهُ عامل اثينا بقساوة وامرها ان تسلم اصحاب السياسة الذين حرضوهم على مقاومتهِ ومنهم ديمستنيس وكان قد هرب كالبقية غير ان شرط أنتبطر تبعوهم وقتلوهم والتجأ ديمستنيس

امر هرپاس

نفي ديمستنيس

خيانة اثينا بعد موت اسكندر

محاربة الاثينيين لانتبطر

الى احد الهياكل بغية النجاة ولكن لما علم انهُ لا يَسْلم ولو في مقدس الهيكل بلع السم ومات سنة ٣٢٢ ق.م. وعمرهُ نحو ٦٢ سنة

٦. ونفى أنتبطر بعضًا من اهل اثينا وسلم سياستها لمن يثق بهم وكان رئيسهم فوكيون الشيخ الذي كان من حزب المكدونيين منذ خضوع اثينا لهم اولاً ورتب انتبطر امور البلوبونيسس توطيدًا للأمن ثم سار لمحاربة الايتوليين ومعهُ كراتيروس فطرداهم من مدنهم وكانا بطاردانهم في الجبال ثم توجها الى اسيا لنبإٍ بلغهما منها

قصد بردكاس الملك

٧. ذكرنا ان بردِكاس قام بوكالة المَلكة واقام أرديوس الضعيف ملكًا ظاهرًا وحافظ على روكسانا ارملة اسكندر فهذه وضعت بعد مدةٍ وجيزة ابنًا سموهُ اسكندر ايضًا وظهر أنَّ بردكاس قصد المُلك لاتفاقٍ بينهُ وبين اولمبياس ام اسكندر الكبير وطلب كليوبطرا ابنة فيلبس زوجةً مع انهُ كان قد خطب ابنة انتبطر فلما كشف امرهُ اسرع انتغنوس صاحب فريجية الى اوربا واعلم كراتيروس وانتبطر بما كان فكفّا عن حرب الايتوليين وعمدا الى محاربة بردكاس وحالفا بطلميوس صاحب مصر. وسنة ٣٢١ ق.م. سار بردكاس لمهاجمة مصر وبعث اخاهُ ألْكيتاس ويومينيس صاحب كبدوكية لمقاتلة كراتيروس وانتبطر وكان يومينيس حاذقًا مفلحًا وغلب كراتيروس في الحرب فقتل مع ان يومينيس لم يرد موتهُ ولما لاقاهُ في حومة القتال جريحًا اعتنى بهِ لعلهُ يحيا ثم بعث بالخبر الى بردكاس لكنهُ هلك قبل وصول البُشرى اليهِ وكان قد لحق بمصر وحاصر بلوسيوم وفي اثناء ذلك قام عليهِ بعض خاصتهِ وقتلهُ ورضي بذلك الجيش اذ لم يحبهُ فانضم الى بطلميوس

الحروب في اسيا وقتل كراتيروس وبردكاس

٨. ولما سمعوا بموت كراتيروس صمموا على ان يقاوموا يومينيس كل المقاومة واسندوا انتبطر لوكالة المَلكة والعائلة الملكية واتفق انتبطر وبطلميوس وانتغنوس على يومينيس وتولى انتغنوس الحرب معهُ في اسيا وكانت لهُ جنود كثيرة فقهر يومينيس وحاصرهُ في حصن اكثر من سنة واخيرًا نجا وفي اثناء ذلك هلك انتبطر وكان هلاكهُ سنة ٣١٨ ق.م. وكان قد عين قائدًا اسمهُ بُلِسبِرْخون خليفةً لهُ دون ابنهِ كسَّندر اما هذا فلم يرضَ بذلك فصمم على المقاومة فبعث على اثر موت ابيهِ من يستولي على ميناء اثينا لكي يمنعها عن مقاومتهِ. ثم حالف بطلميوس وانتغنوس على بلسبرخون وكان يومئذٍ مقدام المكدونيين لوصية انتبطر وحالفتهُ أُولمبياس وكانت العائلة الملكية في قبضتهِ ولما عرف نية كسندر شرع في ما يغري اليونان بالتحزب لهُ ونادى برفع نير انتبطر عنهم ووعدهم بالرجوع الى ما كانوا عليهِ ايام

ولاية برسبرخون امور اليونان

اسكندر ويعث الى يومينيس يعاهدهُ على مقاومة باقي الخلفاء فقبل وتولى الحرب مع انتغنوس في اسيا واجراها بحذاقة ونشاط الاَّ ان جيشهُ كان ضعيفًا وخانهُ بعضهُ ففشل وارتد شرقًا وبعد حروب كثيرة شديدة مكر به بعض عسكره وسلمهُ الى انتغنوس فقتلهُ

موت يومينيس

٩. وكان القائد نكانور من حزب كسندر مستوليًا على مونخيا وهي جزء من ميناء اثينا وهاجم الجزء الآخر وهو الپيريوس واخذهُ وتحصن فيهِ ومنع الاثينيين من البحر فاستثقلوا الامر واستصرخوا بلسپرخون فبعث ابنهُ في جيش ليطرد نكانور وتبعهُ بعد قليل مع أرديوس وكان فوكيون الاثيني من حزب كسندر ولما رجع المنفيون حسب امر پلسپرخون واتى ابن هذا يحاصر نكانور تقوى الحزب المضاد لفوكيون فالتجأَ الى پلسپرخون متوسلاً اليهِ لكنهُ ردَّهُ الى اثينا فحكم عليهِ الاثينيون بالموت فهلك وعمرهُ ٨٠ سنة وبضعة اشهر وكان قائدًا سنين عديدة كما مرَّ الا انهُ مال الى المكدونيين ولم يبذل جهدهُ في تحرير مدينتهِ وانقاذها منهم ومع ذلك كانت سياستهُ حسنة ولم يقبل شيئًا من الرشوة فحكم عليهِ الاثينيون بغير حقٍ وندموا على فعلهم بعد قليل من ذلك ولم يقدر پلسپرخون ان يخلص اثينا من يد كسندر لانهُ كان قد عاهدها وأذن لها في ان تتولى امور سياستها الاَّ انهُ ولَّى عليها ديمتريوس فليريوس فتولَّاها نحو عشر سنين وكانت مدة ولايتهِ مدَّة سلام ولم يقسُ على الاهالي ونجح أمر كسندر بحرًا واطاعهُ بعض مدن الپلپونيسس التي انحازت اليهِ عن پلسپرخون وفي هذا الزمان اي نحو سنة ٣١٧ ق.م. سوَّر السبرطيون مدينتهم ولم يعرف لها قبل ذلك من سورٍ

موت فوكيون

حكم ديمتريوس على اثينا

١٠. ثم جاءت اولمبياس من ابيروس ومعها روكسانا واسكندر الصغير فقبلهم الاهالي بابتهاج وقويت أُولمبياس فكرت بأَرديوس وامرأتهِ وقتلتهما وقتلت مئةً من اصحاب كسندر فلما سمع بذلك سار بجيشهِ الى مكدونية وغلب اولمبياس واحدق بها في پدْنا واخذها ومعها روكسانا وابنها وبعد قليل قتل أُولمبياس وحفظ روكسانا واسكندر بحرص الى حينٍ ثم قتلهما سنة ٣١٦ ق.م. وسنة ٣١٥ ق.م. فقوي كسندر في اوربا اعظم قوة

هلاك ارديوس واولمبياس وروكسانا وابنها

١١. وغلظ امر انتغنوس في اسيا بعد موت يومينيس وظهر انهُ اراد الملك المطلق ومد سلطتهُ في اسيا اكثر من ذي قبل وكان رجل اسمهُ سلوقوس قد استولى على بابل والقسم الشرقي من مملكة اسكندر فطردهُ انتغنوس فالتجأَ الى مصر ولما رأَى هو وبطليموس وليسمخوس صاحب ثراكية وكسندر ما قصدهُ انتغنوس اتفقوا عليهِ وامروهُ ان يكفَّ عن تعدياتهِ على املاكهم اما هو فتشدد في سورية واسيا الصغرى واخذ يهيج اليونان على كسندر

امر انتغنوس وسلوقوس

ووعدهم بالحرية السياسية ان تحزبوا معهُ وهيج البرابرة على ليسيمخوس وجهز ابنهُ ديمتريوس الملقب بوليوركيتيس (اي الفاتح) لمحاربة بطلميوس فالتقى بهِ بظواهر غزة فغُلب ديمتريوس سنة ٣١٢ ق م. لكنهُ غلب المصريين في السنة التالية والتفت الى بلاد العرب ولولا ذلك كان هاجم مصر فان أَثنيوس احد قواد انتغنوس كان قد سار الى مدينة بطرا او بطريا في بلاد ادوم وغزاها وكان راجعًا بغنيمة وافرة لما تبعهُ العرب الانباط واوقعوا بهِ قرب غزة وقهروهُ قهرًا عظيمًا واسترجعوا الغنيمة فأَعرض ديمتريوس عن مهاجمة المصريين لمعونة اثنيوس وسار الى بلاد العرب لكنهُ لم ينجح فرجع الى سورية ومن ثم الى اسيا الصغرى كما سيأتي

هزيمة ديمتريوس سنة ٣١٢ ق م

١٢. وكان سلوقوس مع بطلميوس لما كسر ديمتريوس سنة ٣١٢ ق م. فاخذ شرذمة من العسكر واسرع الى بابل واستولى عليها بالامان ولما بعث انتغنوس القواد عليهِ غلبهم واستبد بالملك واسس مملكة عظيمة ودولة مشهورة تسمى الدولة السلوقية وبدء تاريخها سنة ٣١٢ ق م. وستاتي اخبارها

تاسيس الدولة السلوقية سنة ٣١٢ ق م

١٣. ولما رأَى أَنتغنوس قوة اعدائهِ عاهدهم على ان يستبد كل واحد بما كان عليهِ وان ينتظر بلوغ اسكندر الصغير سن الرشاد فيأْخذ الملك غير ان كَسَنْدر صمم على قتلهِ وفعل ذلك بعد قليل وقتل ايضًا هرقل الابن غير الشرعي لاسكندر وكليوبطرا اختهُ فانقرضت بذلك عائلة اسكندر ففطن أَنتغنوس لخداع اعدائهِ وانهم لا يقومون بالعهد فبعث ابنهُ ديمتريوس الى بلاد اليونان ليقوي حزبهُ هنالك ونادى بحرية الجميع فذهب ديمتريوس الى اثينا واطلق لها الحرية فقبلهُ اهلها بابتهاج واكرموهُ اكرامًا عظيمًا حتى سموهُ الهًا وسجدوا لهُ سنة ٣٠٧ ق م. وهذا يبين شدة ذل الاثينيين بسبب عبوديتهم فلم يتصرفوا حينئذٍ كاحرار بل كعبيد

هلاك عائلة اسكندر

ديمتريوس في اثينا

١٤. ثم اقلع ديمتريوس من اثينا وذهب الى قبرس وهنالك غلب بوارج بطلميوس واستولى على الجزيرة فعند ذلك سُمّي انتغنوس ملكًا وفعل كذلك بطلميوس وليسيمخوس وسلوقوس وديمتريوس وهاجم هذا مصر ولم يفز فرجع وهاجم جزيرة رودس فقاومهُ اهلها اكثر من سنة ولم يقدر عليهم اذ بعث بطلميوس المساعدة لهم فعاهدهم واراد ان يسير الى بلاد اليونان اذ استنجدتهُ اثينا ليخلصها من يد كسَّندر لانهُ كان يضايقها فاتى ديمتريوس وطرد الاعداء فقبلهُ الاثينيون باكرام كالسابق سنة ٣٠٢ ق م. وحارب ديمتريوس حزب

اعمال ديمتريوس

كسندر في بلاد اليونان وفاز كثيرًا واطاعهُ اكثر مدنها واجتمع معتمدوها في كورنثوس وعينوهُ رئيسًا عامًّا ثم تقدم الى ثساليا قاصدًا افتتاح مكدونية لكنهُ اضطر ان يتركها ويذهب الى معونة ابيهِ كما سياتي

١٥. وكان بقية الخلفاء قد اتفقوا على أنتغنوس فجمعوا جنودًا كثيرة وساروا الى اسيا الصغرى لمحاربتهِ فاستصرخ ابنهُ ولما جاء واجه الاعداء عند مدينة ابسوس في فريجية فقُتل هنالك أنتغنوس وانكسر جيشهُ وهرب ديمتريوس واقتسم باقي الخلفاء املاك انتغنوس والممالك التي استولوا عليها مصر وفلسطين وكيلي سورية وهذه اخذها بطليموس وبابل وما يليها وما بين النهرين وشمالي سورية والجانب الاعظم من اسيا الصغرى وهذه اخذها سلوقوس وما بقي من اسيا الصغرى وثراكية اخذهُ ليسمخوس ومكدونية وبلاد اليونان وكانتا نصيب كسندر وهذه هي الممالك الاربع الاولى التي قسمت اليها مملكة اسكندر بعد نحو ٣٠ سنة من الحروب بين الخلفاء وأُشير الى هذه القسمة في (دا ٨:٨) ولنذكر انباء كلٍّ من هذه الممالك على حدتها فنبتدئ بمكدونية وبلاد اليونان

حرب ابسوس

القسم الثاني

في تاريخ الممالك التي انقسمت اليها مملكة اسكندر

الفصل الاول

تاريخ مكدونية وبلاد اليونان من سنة ٣٠١ الى سنة ١٤٦ ق٠م

١٠ عند هزيمة إپسوس هرب ديمتريوس الى اثينا ظانًّا انها تقبلهُ لمعروفهِ السابق اما الاثينيون فخافوا من كسندر حينئذٍ ولم يسمحوا برجوع ديمتريوس الّا انهم ردوا اليهِ سفنهُ ومالهُ فذهب وصالح سلوقوس واعطاهُ ابنتهُ زوجة وما لبث ان عظم الشغب باثينا فاستنجد بعضٌ ديمتريوس فرجع واستولى على اثينا وجانبًا من بلاد اليونان اما كسندر فمات سنة ٢٩٦ ق٠م٠ وخلفهُ ثلاثة بنين فيلبس وانتبطر واسكندر ومات الاول بعد قليل وتنازع الباقون الملك وقتل أنتبطر امهُ اذ مالت الى اخيهِ فاستصرخ اخوهُ ديمتريوس وپرُّوس ملك ابيروس فسار هذا الى مكدونية وطرد أنتبطر فالتجأ الى ليسيماخوس فقتلهُ اما ديمتريوس فكان قد استولى على اكثر بلاد اليونان ولما اتى الى مكدونية لمساعدة اسكندر صدهُ وقيل انهُ كمن لهُ الّا ان ديمتريوس كشف مكرهُ وقتلهُ فاصبح ملك مكدونية واستولى على اكثر املاك كسندر لكنهُ لم يستمر على ما كان عليهِ اذ حاربهُ ليسيماخوس وپرُّوس وخانهُ المكدونيون فاركن الى الهرب والتجأ الى ابنهِ انتغنوس وكان في الپلپنيس واستولى پرُّوس على مكدونية لكنهُ اضطر ان يرجع عنها بعد قليل وامتلكها ليسيماخوس سنة ٢٨٦ ق٠م

امور ديمتريوس

انقلابات مكدونية

ملك ديمتريوس

٢. وسار ديمتريوس الى اسيا ليحارب ليسيخوس فطُرد الى كيليكية واسرهُ هنالك سلوقوس واماتهُ صبرًا وكان ذلك سنة ٢٨٤ ق.م. وبقي ابنهُ انتغنوس مستوليًا على البلبنيسس واحتمل ليسيخوس متاعب كثيرة من سوء امرأتهِ ارسينوي ابنة بطليموس فانها وشت اليهِ في ابنهِ أغثكليس حتى قتلهُ ظلمًا فلاذت امرأة المقتول مع اخيها بطليموس كرونوس بدار سلوقوس فحفزها وحارب ليسيخوس وقهرهُ وقتلهُ سنة ٢٨٢ق.م. واستولى على ملكهِ فقام كرونوس عليهِ واهلكهُ سنة ٢٨١ ق.م. وملك مكدونية لكنهُ لم يملك طويلاً

هجوم الغاليين على بلاد اليونان

فان اناسًا من غربي اوربا يسمون الغاليين اوقعوا بمكدونية وبلاد اليونان وكانوا برابرة متوحشين فغزوا ونهبوا وأحرقوا وخربوا وقتلوا حيثما اتجهوا فلما هاجموا مكدونية لاقاهم كرونوس وانهزم وقُتل سنة ٢٧٩ ق.م. وكذلك خليفتهُ سوسثنيس ثم تقدم الغاليون الى بلاد اليونان واجتمع عسكر من الاثينيين والايتوليين لمقاومتهم عند ثرموبلي لكنهم لم ينجحوا فدخلوا فوكيس وقصدوا دلفي لينهبوا هيكل ابلون فلم يفوزوا بمقصدهم لانهم لم يقدروا على دلفي وقاسوا آلامًا لا مزيد عليها من البرد في الشتاء وهم في الجبال والوعور فهلك كثيرون منهم وقتل اخرون في محاربتهم اليونان حتى لم يبقَ الا بقية قليلة فقفل هولاء حتى التقوا بقوم اخر من اخوتهم ثم عبروا الى اسيا وغزوا ونهبوا كعادتهم حتى اجبرهم ملوك سورية على ان يحصروا في كورة من البلاد فسميت غلاطية نسبة اليهم

دولة انتغنوس في مكدونية

٣. وانتهز انتغنوس بن ديمتريوس الملقب غوناتاس الفرصة للقلق والاضطراب في مكدونية واختلاس الملك وانشأ دولةً بقيت الى انقراض المملكة لكنهُ لم يملك كل بلاد اليونان اذ قام اناس في اخائية وانشأوا اتحادًا سمي بالاتحاد الاخائي ونجحوا بعض النجاح واستقلوا مدة وكان رئيسهم رجلاً حاذقًا يسمى اراتوس وكان من سكيون نجح في سياستهِ حتى قوي الاتحاد الاخائي واشتركت فيهِ اثينا وكورنثوس وعدة مدن في شمالي البلبنيسس غير ان سبرطا قاومت ذلك الاتحاد كما سترى اما انتغنوس فلم يملك بسلام لان پروس ملك ايپيروس الذي كان قد هاجم الرومانيين ولم ينجح رجع سنة ٢٧٤ ق.م. وفي سنة ٢٧٣ ق.م. هاجم مكدونية وطرد أنتغنوس من الملك فلاذ بالبلبنيسس وتبعهُ پروس بعد قليلٍ وادعى انهُ يريد تحرير البلاد من نير أنتغنوس لا ان نيرهُ كان اثقل فانهُ غزا لاكونيا واراد غزو سبرطا ولكن فشل في ذلك ثم هاجم ارغوس ودخلها اذ خان بعضهم وفتح لهُ الابواب غير ان اخرين فتحوا لقوم انتغنوس ايضًا وجرى قتال شديد وسط المدينة ولما

كان پروس مارًّا في زقاق من ازقة المدينة رمته امرأة من سطح البيت بلبنة وهو يهم ان يقتل ابنها فوقع عن فرسهِ وديس فهلك سنة ٢٧٢ ق.م. وكان بطلاً شديدًا اظهر من البأس والحذاقة في الحرب ما يستحق الاعتبار وسياتي ذكرهُ في اخبار الرومانيين ان شاء الله

٤. ثم استرجع انتغنوس ملك مكدونية واستبد بهِ الى حين موتهِ سنة ٢٣٩ ق.م. وخلفهُ ابنهُ ديمتريوس الثاني فملك عشر سنين والتزم ان يحارب الايتوليين الذين اتحدوا شمالي خليج كورنثوس كما فعل الاخائيون جنوبيهُ وكانوا على عداوة لدولة مكدونية وعند موت ديمتريوس سنة ٢٢٩ ق.م. خلفهُ انتغنوس الملقب دوسون وكان ابن عم ديمتريوس ولما كان فيلبس بن ديمتريوس صغيرًا وكل اليهِ فتزوج امهُ واستولى على الملك وعاهد اهل الاتحاد الاخائيّ وحارب سبرطا كما سيأتي ديمتريوس الثاني انتغنوس الثاني

٥. وكانت سبرطا قد ضعفت واهملت مرارًا كثيرة قوانين ليكورغوس التي بها فاقت جميع اليونان بأسًا وقوةً ولما رأى اجيس الرابع الذي ملك سنة ٢٤٤ ق.م. تاخُّر مدينتهِ عمد الى اصلاح الاحوال وترجيع الناس الى ما كان اسلافهم عليهِ من التهذيب فنجح اولاً ولكن رفيقهُ الملك ليونداس الثاني قاومهُ واغرى اصحابهُ بهِ فقتلوهُ. وحمل ليونداس امراة اجيس على ان تتزوج ابنهُ كليومنيس والظاهر انها استمالت بعلها الثاني الى سياسة الاول فان كليومنيس لما ملك اعاد اصلاحات اجيس فنجح بها اكثر منهُ اذ كان ذا عقل سليم وعزم شديد ولما اشهر الحرب على الاخائيين غلبهم ورقي شان سبرطا كثيرًا لكن ذلك عاد بالسوء الى بقية اليونان لانهم كانوا يتوقعون الحرية بناء على نجاح الاتحاد الاخائي. ولما تقوى كليومنيس غيّر سياسة سبرطا وجدد قوانين ليكورغوس فلما راى الاخائيون قوتهُ استصرخوا انتغنوس دوسون فاجابهم حالاً اذ رغب في اعادة دولتهِ في بلاد اليونان فاشهر الحرب على كليومنيس وقهرهُ تمامًا في سلاسيا سنة ٢٢١ فهرب الى مصر وهنالك قتل فيما بعد. واستولى انتغنوس على سبرطا لكنهُ لم يقسَ عليها بل ارجع سياستها السابقة فاكرمهُ اليونان واحبوهُ ولا سيما الاخائيون ومات سنة ٢٢٠ ق.م. وخلفهُ فيلبس الثالث ابن ديمتريوس الثاني امور سبرطا فيلبس الثالث سنة ٢٢٠ ق.م

٦. اما الايتوليون فلم يرضوا اعمال المكدونيين ولما راوا الملك صغيرًا اشهروا الحرب على مكدونية والمسينيين في الپلپنيسس فسار اراتوس لاغاثة الايتوليين فلم ينجح فغزا الاعداء الپلپنيسس ثم رجعوا فاستنجد الاخائيون فيلبس ورأسوهُ عليهم وعلى محاربة الايتوليين فحارب

الفريقان بشدة وقساوة وتقوّى فيلبس بحرًا ولم يقدر الايتوليون عليهِ ولما راى الفريقان ان الرومانيين والقرطاجنيين متقدمون ومشتدون علموا ان الاولى بهم المصالحة لئلاَّ يقعوا فريسة احد الفريقين فعقد الاخائيون والايتوليون الصلح سنة ٢١٧ ق.م. وكان فيلبس راضيًا بهِ وهو يهتم بحرب الرومانيين فلما غلبهم هنيبال القرطاجني في بعض حروبهِ عاهده فيلبس فافضى ذلك الى هلاكهِ ولم يوافقهُ اراتوس على مقاصده بل كان يوبخهُ فحقد عليهِ فيلبس ومكر بهِ فمات مسمومًا. ونفر اليونان كلهم من هذا الفعل الشنيع لانهم كانوا يعتبرون اراتوس كثيرًا. اما الرومانيون فلما عرفوا معاهدة فيلبس هنبال هيجوا الايتوليين وحملوهم على ان ينكثوا عهدهم معهُ واتحد معهم في مقاومة فيلبس السبرطيون والايليون وملوك برغاموس. اما الاخائيون والبيوتيون فحالفوا فيلبس ولكن الرومانيون كانوا ساعتئذٍ منهمكين جدًّا بحرب هنبال ولم يقدروا ان يوجهوا قوتهم الى مكدونية بل تركوا الحرب للاخائيين وغيرهم وقام رئيسًا للاخائيين رجل يسمى فِلِيمون فنجح بعض النجاح وغلب مغتصبًا كان قد استولى على سبرطا وقتلهُ اما الايتوليون فسئموا الحرب لما راوا ان الرومانيين لا يساعدونهم وقطعوا عهدًا مع فيلبس سنة ٢٠٨ ق.م

الصلح بين ايتوليا واخائية

هلاك اراتوس

تعرض الرومانيين لامور اليونان

٧. ولما فرغ فيلبس من هذه الحرب عاهد بروسياس ملك بيثينية على أتَّلوس ملك برغاموس وعاهد ملك سورية على ملك مصر وكان هذا الملك صغيرًا فكان فيلبس يطلب الغزو في كل ناحية واشهر الحرب على رودس لكنهُ فشل فيها اذ انكسرت بوارجهُ عند جزيرة خيوس سنة ٢٠١ ق.م. ثم حارب اثينا وكان اهلها ضعفاء فاستنجدوا الرومانيين فبعثوا جنودًا وسفنًا لنجدتهم ودفعوا فيلبس. ثم تقدم الرومانيون الى الشمال واجبروا البيوتيين على معاهدتهم وتهيأوا لمهاجمة مكدونية عينها وفي السنة التالية نجح الرومانيون ايضًا وكان قائدهم القنصل فلامينيوس وتاخر فيلبس فانحاز الاخائيون الى الرومانيين اما فيلبس فجمع جنودًا كجنود الرومانيين عددًا لكنها كانت اقل منها تهذيبًا فلما جرى القتال في ثساليا عند مكان يسمى رؤُوس الكلاب (سِينُسكَفَلِي) انهزم المكدونيون وقتل منهم ٨٠٠٠ مقاتل وأُسر ٥٠٠٠ ولم يفقد الرومانيون سوى ٧٠٠ مقاتل فاضطر فيلبس ان يتوسل الى الرومانيين فصالحوهُ على شرط انهُ يسلم اليهم بوارجهُ وكل سلطان على بلاد اليونان ويؤدي ١٠٠٠ وزنة وان لا يزيد جيشهُ على ٥٠٠٠ وكان ذلك سنة ١٩٧ ق.م

حرب فيلبس الرومية سنة ١٩٧ ق.م

٨. ولما صارت الملاعب البرزخية عند كورنثوس سنة ١٩٦ ق.م. واجتمع اليونان

حرية اليونان

من كل جهة نادى فلامينيوس بحريتهم قال المادي بامر القائد ان سناتوس رومية اذ قد كسر نير المكدونيين يريد ان اليونان يكونون احرارًا بلا خراج ولا حراس في مدنهم فابتهج الناس ابتهاجًا عظيمًا وهتفوا باصوات المسرة العالية فلم يسمع صوت المادي وبدحوا الرومانيين مزيد المديح كانهم قد ارجعوهم الى حالهم القديمة قبل ملك المكدونيين . وتقاطروا الى فلامينيوس جموعًا فكاد يهلك من كثرة المزدحمين ليسلموا عليهِ ويسكوا يدهُ ويكالموهُ ولكن كل هذا الابتهاج والفرح والمديح كان بغير محلهِ اذ لم يكن اليونان يومئذٍ كاسلافهم يعرفون قيمة الحرية فيقاتلون لاجلها ويستطيعون حفظها والرومانيون لم يقصدوا منحهم الحرية التامة بل ما يوافق سلطانهم وانما فعلوا ذلك لانهم لم يريدوا ان يتكلفوا ضبط سياسة اليونان حينئذٍ لارتباك امورهم في الجهات وعلموا ان اليونان لا يقدرون ان يمنعوهم من شيء ولما حارب الرومانيون انطيوخس ملك سورية سنة ١٩٤ ق.م. حرك الايتوليين الى معاهدتهِ فعاهدوهُ والتصق الاخائيون بالرومانيين فقهروا انطيوخس عند ثرموپلي سنة ١٩١ ق.م. فقسوا على الايتوليين وسلبوهم الحرية سنة ١٨٩ ق.م. ونحو هذا الزمان غلب فليپمن قائد الاخائيين السبرطيين والغى قوانين ليكورغوس. وتظاهر الرومانيون بالشفقة عليهم والزموا الاخائيين ان يخففوا الشروط التي وضعوها على سبرطا ثم حارب الاخائيون المسينيين فوقع الاخائيون بكمين وكان فليپمن القائد معهم لم يرد الحرب لانهُ عرف ان الهلاك امامهُ فثبت بشجاعة وقاتل بشدة حتى سقط فرسهُ فأُسر وهو ابن نحو ٧٠ سنة وكان محبوبًا الى اصحابهِ مهابًا من اعدائهِ محترمًا لنخوتهِ وشوكتهِ ومع ذلك قتلهُ المسينيون حقدًا عليهِ وبموتهِ زال مجد الاخائيين اذ لم يقم بعدهُ من يستطيع قيادتهم وسياستهم بنجاح الّا انهم انتقموا من المسينيين واخذوا مدينتهم واهلكوا قاتلي فليپمن

حرب انطيوخس سنة ١٩١ ق.م

مشاجرات اليونان

قتل فليپمن

حال فيلبس

٩. وكان فيلبس يطيع الرومانيين كرهًا ويريد محاربتهم ولكن ابنهُ ديمتريوس كان رهينًا عندهم فلهذا بذل جهدهُ في بقاء الصلح وحفظ السلم بين الفريقين ونجح امرهُ عند الرومانيين لانهم احبوهُ ولما رجع الى وطنهِ قبلهُ المكدونيون باكرام وكان لهُ اخ اصغر منهُ اسمهُ پرسيوس حسدهُ واراد ان يتولى عهد ابيهِ فاتهم اخاهُ بالخيانة وحمل اباهُ على قتلهِ فقتلهُ ثم عرف فيلبس مكر پرسيوس فاراد منعهُ من الملك بعدهُ لكنهُ مات في اثناء ذلك وتبوأ پرسيوس كرسي الملك سنة ١٧٩ ق.م. ولما ملك اخذ في ما يغيظ الرومانيين حتى اشهروا الحرب عليهِ وبعثوا الجنود الى تساليا فلما وقع القتال نجح پرسيوس بعض النجاح في

ملك پرسيوس سنة ١٧٩ ق.م

مناوشات لا يعبأ بها فعرض الصلح على الرومانيين توهمًا انهم يمنحونهُ بعض امتيازات لعدم
حربه الرومية
نجاحهم فوجدهم اشد ثبوتًا وتجرئًا وهم مغلوبون مما كانوا وهم غالبون فلم يسمعوا كلامهُ بل
استعدوا لاشد الحروب ثم اقبلوا على مكدونية وكان قائدهم لوكيوس إيميليوس بولس
الشهير ذو الفضل والحذاقة فواجهَ پرسيوس عند مدينة پدْنا وقهرهُ قهرًا عظيمًا سنة ١٦٨
ق.م. وهلك من المكدونيين نحو ٢٠٠٠٠ مقاتل وأُسر پرسيوس نفسهُ وأُخذ الى رومية
ليزين الاحتفال النصري الذي فاز به بولس عند رجوعهِ منصورًا

١٠ وبعد حرب پدنا سمح الرومانيون بشيء من الحرية لليونان والمكدونيين غير
ان نيرهم كان اثقل من السابق فاصبحت حريتهم مجرد اسمٍ فقط واستدعى الرومانيون
الفًا من اكابر الاخائيين الى رومية مدعين انهم عاونوا پرسيوس سرًا واودعوهم السجن بلا
محاكمة وبقوا كذلك ١٧ سنة حتى مات سبع مئة منهم ولما اطلقوا الباقين رجعوا الى بلادهم
حكم الرومانيين على اليونان
مغتاظين وهيجوا الناس ولما اتى معتمدو رومية ليحثوا عن امورهم سنة ١٤٨ ق.م. اهانهم
الاخائيون فاشتعلت نيران الحرب وانهزم الاخائيون واخذ القنصل مُميوس مدينة
كورنثوس وهدمها سنة ١٤٦ ق.م. ثم جعل الرومانيون بلاد اليونان ولاية من مملكة رومية
يحكم عليها والٍ روماني وكذلك مكدونية فزال عنها كل مجدٍ حتى اسم الحرية الّا انهُ كان
لاثينا حقوق خاصة لشهرتها في العلوم فامست مدرسة مملكة رومية فقصدها طلبة العلوم
من الرومانيين وغيرهم وتعلموا الفلسفة والرياضيات والبيان وغير ذلك فاستولى عقل اليونان
على غالبيهم اما استقلالهم السياسي فقد انتهى فانتهى تاريخهم الخاص

الفصل الثاني

في تاريخ دولة البطالسة في مصر

اصول هذا التاريخ. (١) الآثار وسنذكر اعظمها (٢) كتب المكابيين و يوسيفوس من كتب اليهود (٣) بقايا ديودورس (٤) وتاريخ بوليبوس

١. ذكرنا ان بطليموس بن لاغوس اخذ مصر عند قسمة مملكة اسكندر سنة ٣٢٣ ق.م. (راجع قسم ١ ف ٢ رقم ١) وكان بطليموس من احسن قواد اسكندر خلقًا ودراية فانشأ مملكة بلغت درجة سامية من التمدن والعلم وسبقت في ذلك جميع الممالك التي نشأت عن مملكة اسكندر وكان اسكندر قد اسس مدينة الاسكندرية حين حلولهِ في مصر واصبحت هذه المدينة على غاية العظمة والاعتبار اذ جعلها بطليموس عاصمة ملكهِ وجد في ترقيتها حتى اتسعت تجارتها وكثر سكانها ولم تزل عظيمة من ذلك العهد وعظمت مصر كلها لان بطليموس انشأ فيها العلوم والصنائع المفيدة وادخل اليها تمدن اليونان وفتح الابواب بالعلاقات التجارية لمخالطة سائر الشعوب والامم خلافًا للمصريين القدماء ومما وفق البطالسة في سياستهم انهم لم يغيروا من قوانين المصريين السياسية والدينية الّا ما ندر وتركوا امورهم الداخلية تجري على النمط القديم ولاسيما الدينية فانهم اكرموا دين المصريين واقاموا عباداتهم القديمة باحتفالات فاخرة ورمموا هياكلهم فلذلك اطاع المصريون دولة البطالسة فندرت الخيانة في ايام هذه الدولة كل الندرة مع انها كانت كثيرة ايام دولة الفرس فقبل المصريون عوائد اليونان شيئًا فشيئًا وامتد تمدنهم في البلاد وذلك ما لم يسبق له نظير ايام تسلط الظالمين. وهذا احسن مثال للحكام فتأمل

تأسيس الدولة سنة ٣٢٣ ق.م

ارتقاء مصر

قبول المصريين حكم البطالسة

٢. ولما ملك بطليموس الاول الملقب صوتير مصر لم يعزم على اتساع املاكهِ بل على حفظ مالهِ وصيانتهِ من مهاجمة الاعداء وكان من مقاصدهِ ان يقوّي مصر بحرًا منعًا للتعدي من تلك الناحية فرأى انهُ لا ينال مرامهُ ما لم يستولِ على فينيقية وفلسطين لما فيها من

بطليموس الاول من سنة ٣٢٣ الى سنة ٢٨٣ ق.م

مهاجمة بردكاس السفن والخشب الصالح لها ولما هاجمة بَرْدِكَاس ومن معهُ كما ذكر (قسم ١ ف ٣ رقم ٧) نجا بطلميوس ونقوى بان تعصب لهُ عدد وافر من عسكر بردكاس ودخل في جيشهِ وكان ذلك سنة ٣٢١ ق.م. وفي السنة التالية استولى على سورية لكنهُ لم يتمكن من التسلط عليها كما اراد اذ اتى أنتغنوس واخضع سورية سنة ٣١٤ ق.م. غير ان بطلميوس غلب ابنهُ

استيلاء بطلميوس على جانب من سورية وعلى قبرس ديمتريوس عند مدينة غزة سنة ٣١٢ ق.م. لكنهُ لم يسترجع سورية حينئذٍ وبقي على ما كان عليهِ الى سنة ٣٠١ ق.م. وهي السنة التي قتل فيها انتغنوس في حرب إبسوس ثم تمكن بطلميوس من فلسطين وفينيقية وبعض سورية. وفي سنة ٣١٢ ق.م. افتتح قبرس لكن قدم في سنة ٣٠٦ ق.م. ديمتريوس وقهر بطلميوس بحرًا واستولى على الجزيرة ولم يستردها بطلميوس الى سنة ٢٩٤ او سنة ٢٩٣ ق.م. وبقيت خاضعة لمصر من ذلك الوقت الى ان استولى عليها الرومانيون وكانت من اثمن توابع البطالسة

٣. ولم يغزُ بطلميوس في افريقية سوى كيرين وكانت قد اطاعت اسكندر حين افتتاحهِ مصر فاطلق لها الحرية ثم بعد ان انتظم الامر لبطلميوس زُين لهُ افتتاحها فلما حدثت فيها انشقاقات طلب بعض من خاصتها الى بطلميوس ان يعينهم على خصومهم

استيلاؤُهُ على كيرين فاجابهم فرحًا وبعث جنودهُ فاستولى على كيرين كلها سنة ٣٢٠ ق.م. فخضعت لهُ سبع سنين ثم خرجت فجهز بطلميوس أُوفلاّس احد قوادهِ اليها في عسكر جرار فاخضعها وملكها غير خاضع لبطلميوس واستبد بملكها منذ ذلك الى نحو سنة ٣٠٨ ق.م. فان أُوفلاّس سار حينئذٍ الى معونة أغاثكليس لما هاجم قرطاجنة كما مر في اخبارهِ فهلك هناك فانتهز بطلميوس الفرصة واستردّ كيرين وولاّها ابنهُ ماغاس وفي تلك المدة اخضع بعض قبائل الليبيين بين مصر وكيرين

سياستهُ ٤. وكانت سياسة بطلميوس حسنة موافقة لاحوال البلاد فلم يظلم احدًا مع انهُ كان مطلق السلطان ولم يغير من القوانين القديمة الاّ قليلاً فكانت المملكة منقسمة الى اقاليم قديمًا فحفظ بطلميوس ذلك وولّى اكثر الاقاليم ولاة من المصريين وترك هولاء الولاة يتصرفون

اكرامهُ الديانة وفق شرائعهم القديمة ولاسيما الشرائع الدينية واكرم بطلميوس ديانتهم كل الاكرام كما مرّ فمنح الكهنة امتيازاتهم القديمة ورفع عنهم المكوس فاكرموا البطالسة والَّهوهم كما فعلوا بملوكهم القدماء

٥. وكان الجيش الملكي مؤلفًا من يونانيين ومكدونيين موزعًا فرقًا في البلاد لضبطها

لكنّ الفرق كانت في اماكن قليلة ولم تخالط سكان البلاد ولم تتعدَّ عليهم الا نادرًا فلم يتظلموا منها وكان قواد العسكر واصحاب الرتب العالية مكدونيين او يونانيين لكنهم لم يخالطوا الناس كثيرًا فلم يشكهم احدٌ

اعتناؤهُ بالعلوم ٦. ومن احسن ما عظم ملك بطلميوس محبتهُ للعلوم ومزيد عنايتهِ بها فالَّف هو نفسهُ مؤلفات مفيدة منها تاريخ حروب اسكندر وجمع مكتبة عظيمة اقام لها احسن بناء في اسكندرية ودعا الى دارهِ العلماء من كل الاطراف وشاد لهم مدرسة امست اعظم مدارس العالم في ذلك العهد وما قبلهُ واشهرها وكان من العلماء والاساتذة الذين اجتمعوا اليها بوكليدس وأبلونيوس الشهيران صاحبا العلوم الرياضية وهبارخوس صاحب علم الهيئة وأبلّيس المصور الشهير وغيرهم من مشاهير العالم

صفاتهُ ٧. ولم تكن صفات بطلميوس الاول الادبية حميدة لكنهُ كان افضل من اكثر اهل زمانهِ فكان صديقًا لاصدقائهِ وافيًا بعهودهِ يكره سفك الدماء بخلاف اغلب القواد والملوك في ذلك العصر وكان شجاعًا لا يخشى الخطر وكان مع ذلك بسيطًا في معاشراتهِ يحسن الى اسراهُ فكان كثيرًا ما يطلقهم بلا فدية لكنهُ لم يحسن امور بيتهِ فانهُ طلق يوردكي امرأتهُ الاولى لكي يتزوج بجاريتها برنيكي ولما فعل ذلك حرم بطلميوس كيرونوس ابنهُ الاكبر الذي ولدتهُ يوردكي الملك بعدهُ واوصى بهِ لفلادلفوس ابنهِ من برنيكي فضجر كيرونوس وهجر الوطن وصار من اعداء ابيهِ

ابنيتهُ ٨. وعظَّم بطلميوس شان اسكندرية وبنى فيها المكتبة وصرحًا مشيدًا ومدفنًا مزخرفًا لتابوت اسكندر يوم أُتي بهِ الى هناك وهيكلًا للاله سرابيس وانشأ ميدانًا لسباق الخيل وأقام منارة عظيمة سُمّيت الفارُس ورمم بعض الهياكل القديمة في الكرنك. وملك بطلميوس الاول نحو ٤٠ سنة ومات سنة ٢٨٣ ق.م. وعمرهُ ٨٤ سنة وكان قد شارك ابنهُ الاصغر في الملك نحو سنتين قبل وفاتهِ

فلادلفوس ٩. وخلفهُ بطلميوس الثاني الملقب فِلادَلْفوس اي محب الاخ ولد في جزيرة كوس سنة ٣٠٩ ق.م. وضاهى اباهُ في صفاتهِ وسياستهِ الا انهُ احب الحرب اكثر منهُ وداخل اليونان في امورهم وبعث معونة الى الاسبرطيين في نحو سنة ٢٦٩ ق.م. حين اعتدى عليهم انتغنوس ملك مكدونية وبعث البوارج نجدةً لاثينا والمال مساعدةً لارانوس رئيس الاتحاد الاخائي لما عادى مكدونية (راجع قسم ٢ ف ١ رقم ٣). ثم استحكمت الوحشة بينهُ وبين اخيهِ

تعرضهُ لامور اليونان

حربة ماغاس الاخيرة ولانطيوخس ملك سورية

ماغاس لانهُ استقلَّ بملك كيرين وزاد على ذلك وهاجم مصر سنة ٢٦٦ ق.م. غير انهُ لم يفتحها اذ خانتهُ قبيلة افريقية كانت خاضعة لهُ قبلاً ولكنهُ صاهر انطيوخس ملك سورية سنة ٢٦٤ ق.م. فعاهدهُ فهاجم مصر ثانيةً فشغل فلادلفوس انطيوخس عن مساعدة ماغاس فلم يبلغ المراد وعقد الصلح بين الفريقين وخطب ابن فلادلفوس برنيكي بنت ماغاس سنة ٢٥٩ ق.م. واستمرت الحرب بين مصر وسورية فلم تنتهِ الا سنة ٢٤٩ ق.م. وذلك بان اعطى فلادلفوس ابنتهُ برنيكي انطيوخس زوجةً وكان في هذه الحرب ان فلادلفوس ملك شطوط كيليكية وبمفيلية وليكية وكاريا وبعض جزائر الارخبيل الرومي

اعتناء فلادلفوس بالتجارة

١٠. واحكم فلادلفوس سياسة البلاد فافاد العباد ووسع دائرة التجارة لعلمهِ بحسن حال مصر التجارية واتى ما يوافق ذلك بان فتح ترعة رعمسيس الكبير بين النيل والبحر الاحمر وانشأ فرضة عند راس البحر موقع السويس المعهودة وسماها أرسينوي باسم امرأتهِ وأتى كل ذلك تسهيلاً لتجارة الشرق ولما كان في البحر الاحمر خطرٌ على السفن بنى فرضتين اخريين على شطهِ الغربي سمّى كلاًّ منهما برنيكي فكانت السفن تلجأ اليهما خوف طغيان الامواج واضطرابها في الاطراف الشمالية من هذا البحر ومهد فلادلفوس طريقًا من برنيكي الشمالية الى نهر النيل فكانت التجارة تجري كثيرًا فيها وكانت نتيجة هذه الاعمال ان بضائع الهند واليمن وبلاد كوش اخذت تحمل الى مصر ومنها الى اوربا وبقيت كذلك زمانًا طويلاً. ومن فوائد هذه التجارة ان فلادلفوس جلب الفيلة لجيشهِ من بلاد كوش لانها كانت لم تزل الى ذلك العهد كثيرة الاستعمال في الحرب

جيش فلادلفوس

١١. ونظم فلادلفوس جيشًا عظيمًا من ٢٠٠٠٠٠ راجل و٤٠٠٠٠ فارس واكثر فيهِ الفيلة والمركبات وجهزهُ بنحو ١٥٠٠ بارجة كان بعضها كبيرًا جدًّا قيل ان عدد ملاحيها زاد على ٦٠٠٠٠٠. ولا بد من ان هذا الجيش كان يقتضي نفقات وافرة وذلك يدل على ان دخل المملكة كان وافرًا جدًّا قال بعضهم انهُ بلغ نحو ٢٥٠٠٠٠٠ ليرا

دخلهُ

انكليزية هذا سوى عشور الحبوب والجزية التي كانت تؤدّيها الشعوب الخاضعة لمصر وهذا اعظم من دخل مملكة الفرس ايام داريوس الاول فاعتبرت مصر في ايامهِ كثيرًا ولما بعث فلادلفوس وفدًا الى رومية يهنئ الرومانيين بغلبتهم پرّوس ملك ابيروس قبلوهُ باحترام

١٢. واشتهر فلادلفوس وعظم صيتهُ لاعتنائهِ بالعلوم وسبق اباهُ في هذا الامر وكل

من خلفوهُ ورقّى شان ملكهِ احسن ترقيةٍ فوسع المكتبة التي انشأها ابوهُ وجمع مكتبة اخرى لهُ ودعا الى دارهِ اشهر العلماء وعين لهم الوظائف فألّفوا له احسن الكتب المفيدة وأمر بترجمة التوراة الى اللغة اليونانية فسميت هذه الترجمة بالسبعينية لانهُ كان عدد الذين ترجموها سبعين شيخًا من شيوخ اليهود وغيرهم على ما رووا ومن الكتب التي أُلّفت لهُ تاريخ مصر لمنثو الكاهن المصري وكان ذلك الكتاب من اثمن التواريخ لو بقي الى ايامنا. وزخرف فلادلفوس الاسكندرية باحسن التماثيل والابنية الفاخرة

اعتناؤهُ بالعلوم — السبعينية — تاريخ منثو

١٣. وكان فلادلفوس فاسد الآداب قتل اثنين من اخوتهِ وطلق أرسنوي امرأتهُ الاولى بنت ليسيخوس وتزوج ارسنوي اختهُ من ابيهِ وامهِ وكانت امرأة كرونوس اخيهِ من ابيهِ فعشقها واخذها وسمى عدة مدن باسمها وبنى بناءً فاخرًا في الاسكندرية تذكارًا لها ومات فلادلفوس سنة ٢٤٧ ق.م. وعمرهُ ٦٣ سنة

اداب فلادلفوس

١٤. ثم ملك بطلميوس الثالث الملقب بوركيتيس اي المحسن وكان بكر فلادلفوس من امرأتهِ الاولى واظهر من الباس والهمة ما لم يظهرهُ غيرهُ من دولتهِ فانهُ غزا كثيرًا ومدّ تخوم مملكتهِ فاشتملت على مصر وقسمٍ من بلاد كوش وكيرين وبعض غربي بلاد العرب وفلسطين وفينيقية وكيلي سورية وقبرس وكيليكية وبمفيلية وليكية وكاريا وايونيا وجزائر الارخبيل وجانبٍ من ثراكية واول حرب اثارها كانت على سورية وسببها ان انطيوخس كان قد تزوج برنيكي اخت بوركيتيس بعد ان طلق لاودكي امرأتهُ الاولى وبعد موت فلادلفوس طلق برنيكي ورجع الى لاودكي فقامت على برنيكي وقتلتها فاغتاظ بوركيتيس وشن الغارة على سورية ثأرًا لاختهِ سنة ٢٤٥ ق.م. فتقدم على انطاكية وافتتحها ثم عبر الفرات وغزا ما بين النهرين وبابل وسوسيانا ومادي وفارس حتى اطاعتهُ الاطراف الشرقية الى تخوم بكتريا وفي اثناء ذلك بعث بوارجهُ تغزو شطوط اسيا الصغرى وثراكية غير انهُ اضطر الى الرجوع الى مصر لحدوث فتنة فيها فعاد منصورًا بالغنائم الوافرة من آنية مقدسة ذهبية وفضية وتماثيل كان قد غنمها كمبيس حين افتتاحهِ مصر قبل ذلك بنحو ٢٨ سنة ففرح الكهنة وغيرهم من المصريين لما راوا بوركيتيس عائدًا بها فلقبوهُ بالمحسن

بطلميوس الثالث من سنة ٢٤٧ الى سنة ٢٢٢ ق.م — حربهُ لسورية سنة ٢٤٥ ق.م — غنيمتهُ الوافرة

١٥. ولم يتمكن من التسلط على ما فتحهُ في اسيا لان سلوقوس ملك سورية استردها عقيب ذلك لكنهُ تسلط على ما فتحهُ في اسيا الصغرى وثراكية واستمرت الحرب بينهُ وبين سلوقوس الى سنة ٢٤١ ق.م. ثم اتفقا على هدنة عشر سنين لكنهُ حدثت وحشة بين سلوقوس

هدنة سنة ٢٤١ ق.م

صلح سنة ٢٢٩ ق.م واخيهِ انطيوخس هيركس بعد ذلك فايد بوركيفيس الآخر لكنهُ لم ينجح فلجأ هيركس الى بوركيتيس فاعتقلهُ وصالح سلوقوس سنة ٢٢٩ ق.م

١٦. ثم حارب مكدونية ولم ينتج منها ما يستحق الذكر غير ان بوارجهُ كسرت بوارج أنتغنوس. وفي اواخر ملكهِ وجه جنودهُ الى بلاد كوش واستولى على جانب منها وبقي بوركيتيس على مصاحبة رومية فعرضت عليهِ ان تساعدهُ في محاربتهِ سورية فلم يقبل والظاهر انهُ خاف قوة رومية ولم يرد تعرضها لامور الشرق

حرب مكدونية وكوش

امر العلوم ١٧. واعتنى بوركيتيس بالعلوم كاسلافهِ واضاف الى كتب مكتبة الاسكندرية شيئًا كثيرًا من اثمن مولفات العالم. ومن العلماء الذين دعاهم الى دارهِ أبلونيوس الشاعر الروديّ واراتوستنيس صاحب الجغرافية والتاريخ وأرستوفنيس النحوي وبنى عدة هياكل عظيمة في ثيبة وغيرها ومن اثارهِ الثمينة كتابة على نصب قرب أدولي وهي فرضة على الشط الغربي من البحر الاحمر وامر بهذه الكتابة حين فتوحاتهِ في بلاد كوش

موت بوركيتيس سنة ٢٢٢ ق.م احوال المملكة

١٨. وملك بوركيتيس ٢٥ سنة ومات حتف انفهِ وظن بعضهم ان بنيهِ اهلكوهُ وكان قد رفع شان مملكتهِ فبلغت اسمى درجات العظمة فاخذت بعدهُ تسفل وتتأخر وكان سبب ارتقائها سياسة البطالسة الثلاثة الحكماء الاولين الذين بذلوا ما في وسعهم في تعزيز المملكة وتحصيل كل ما يفيدها مع ان صفاتهم الادبية لم تكن حميدة. وزاد خلفاؤُهم شرًّا ورذيلةً فلم يراعوا اسباب التقدم فتاخرت امورهم الى ان سقطت مملكتهم كما سياتي ومات بوركيتيس سنة ٢٢٢ ق.م. عن ابنين وابنة

ملك فلوباتور من سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٠٥ ق.م

١٩. وخلفهُ بطلميوس ابنهُ الملقب فلوباتور اي محب الاب واتخذ هذا اللقب دفعًا لتهمة الناس انهُ قتل اباهُ واول ما فعلهُ بعد ملكهِ انهُ قتل برنيكي امهُ لانها ارادت ملك اخيهِ ثم قتل ماغاس اخاهُ وليسمخوس عمهُ واتى غير ذلك كثيرًا من اعمال الظلم حتى بلغ فيها كل مبلغ وكان في دارهِ كليومينيس ملك سبرطا الذي لجأ الى مصر كما ذكر (انظر قسم ٢ ف ١ رقم ٥) وعاتب فلوباتور على قتلهِ اخيهِ فظلمهُ حتى هيج كليومينيس الفتنة فقتلهُ الملك مع عائلتهِ ثم تزوج اختهُ ارسنوي وغاص في لجج الشرور وتنحى امور السياسة تفرغًا لاتباع الشهوة وسلم تدبير الامور الى سوسيبيوس وزيرهِ ثم عشق لمراة عاهرة اسمها أغاثُكليا وعطف على اغاثكليس اخيها وهو يضاهيهِ شرًّا وسلم اليهِ تدبير دارهِ ولما طلبا هذان قتل امراتهِ قتلها فهبط الى ادنى دركات الرذيلة

٣٠. هذا ولا بُدّ من ان تلك الامور أثرت في احوال المملكة فانها تأخرت كثيرًا ولما راى انطيوخس الثالث ملك سورية ضعف سياسة مصر طمع في بعض املاكها فعزم على اخذ ما كان لمصر في سورية وفلسطين فنازل سلوقية فرضة انطاكية سنة ٢١٩ ق.م. وافتتحها ثم اتفق مع ثيودوتس والي كيلي سورية من قبل بطلميوس وقدم على صور وعكا وافتتحها وفي السنة التالية غلب جنود مصر وطردها من البلاد وحشد بطلميوس سنة ٢١٧ ق.م. جيشًا وافرًا مولفًا من ٧٠٠٠٠ راجل و٥٠٠٠ فارس وفيهِ ٧٣ فيلاً وزحف بهِ فناوش انطيوخس عند مدينة رافيا على شاطئ البحر جنوبي غزة وقهرهُ قهرًا تامًا حتى سلم انطيوخس كل ما اخذهُ منهُ الا مدينة سلوقية وفي اثناء مسير بطلميوس في فلسطين صعد الى اورشليم وقدم ذبائح اكرامًا لله الا انهُ حاول دخول الهيكل خلافًا لسنة اليهود لكنهُ لم يتمكن من ذلك لانهُ وقع مغشيًا عليهِ بامر الله على ما قالوا والارجح ان الكهنة منعوهُ بواسطة من الوسائط والله اعلم. فاستشاط غضبًا ولما عاد الى مصر قصد اهلاك كل اليهود الذين في بلاده لكنهُ لم ينجز مرامهُ

محاربة انطيوخس

معركة رافيا سنة ٢١٧ ق.م

غيظ بطلميوس من اليهود

٣١. وثار المصريون لشرور بطلميوس وعظم القلق والفتنة في البلاد عدة سنين وسفكت دماء كثيرة وليس في ما وقفنا عليهِ من الانباء تفصيل لذلك. وكان مع كل شرهِ يحب العلوم ويكرم العلماء فاكرم هوميروس الشاعر بان افرز لهُ هيكلاً وهلك في سن الاربعين ضعيفًا لفرط انصبابهِ على الشهوات ومات عن ابن وحيد لم يجاوز سن الخمس وهو بطلميوس الخامس

الفتن في ايامهِ

موتهُ سنة ٢٠٥ ق.م

٣٢. فخلف اباهُ ولقب بابيفانيس سنة ٢٠٥ ق.م. واذ كان صغيرًا تولى أغاثكليس زمام الملك فمقتهُ الناس لكثرة رذائلهِ وشرورهِ وقاموا عليهِ وقتلوهُ وقتلوا اختهُ وامهُ وسلموا الزمام لرجل يسمى أنليپُلمس وكان حسن السيرة لكنهُ عاجز عن ضبط الامور في تلك الاحوال الخطيرة لان فيلبس ملك مكدونية وانطيوخس ملك سورية تحالفا على سلب املاك مصر فاستولى فيلبس على ما كان لمصر في ثراكية واسيا الصغرى وجزائر الارخبيل اما انطيوخس فشرع يفتتح املاك مصر في سورية وفلسطين فاشتدت الحال بوكلاء الامور حتى استغاثوا رومية فاجابت وبعثت سنة ٢٠١ ق.م. مرْقس لپدوس معتمدًا الى مصر ليرتب امورها وامرت فيلبس وانطيوخس ان يكفا عن تعدياتهما فلم يسمعا اولاً وافتتحا ما ذكر من املاكها غير ان انطيوخس امتنع عن مهاجمة مصر خوفًا من غيظ رومية وعاهد

ملك ابيفانيس من سنة ٢٠٥ الى سنة ١٨١ ق.م

مجيء لپدوس لترتيب امورها

العهد بين انطيوخس وبطليموس

مصر على شرط ان بطليموس يتزوج كليوبطرا بنت انطيوخس فيعطيها ابوها ما كان لمصر قبلاً في سورية وفلسطين مهرًا فلم يتم العهد لان انطيوخس لم يفِ بوعده فان بطليموس تزوج بنتهُ ومر على ذلك بضع سنين ولم ينجز شيئًا ما وعد فخسرت مصر كل املاكها الشمالية سوى قبرس

وقوع الفتن في مصر

٣٣. وبقي ليدوس في مصر الى سنة ١٩٩ ق.م. ورتب امورها واقام على سياستها أرِستومينيس احد اهل اكرنانيا وكان امينًا مجتهدًا فاصلح الامور. ولكن الشرور التي كانت قد عظمت في المملكة اثرت كثيرًا فجاءت بشر العواقب فانهُ لما سكنت الامور الخارجية ثارت الفتن الداخلية فان الجنود الوطنيين نفروا من تسلط الاجانب فكثر الشغب والمناوشات بينهم وبين اليونان لكنهم اطاعوا بعد ان قتل منهم خلق كثير. وفي اثناء ذلك خان اسكوپاس احد قواد مصر وعظم الاضطراب فرأى الوكلاء ان لا سبيل الى تسكينهِ سوى تتويج الملك الصغير وتسليم زمام الملك اليهِ وكان حينئذٍ ابن ١٤ سنة فتوجوهُ باحسن احتفال في مدينة ممفيس سنة ١٩٦ ق.م. ولقبوهُ بإپفنيس اي الشهير او الجليل

تتويج ابفنيس سنة ١٩٦ ق.م

الحجر الروستي

٣٤. وحدث حينئذٍ امر يستحق الاعتبار لتعلقهِ بهام التاريخ وهو انهُ لما جرى هذا الاحتفال كتب الكهنة اكرامًا لابفنيس امرًا بتقديم العبادة لهُ في الهياكل على ما جرت العادة في القديم وذكروا فيها الخيرات التي انعم الملك عليهم بها ورسموا ذلك على حجر بخط الكهنة المسمى بالهيروكليف ولغتهم القديمة وكتبوها باللغة اليونانية ايضًا وبقيت الى ايامنا وكشفت سنة ١٧٩٩ ب.م. وعرف منها خط الكهنة فاخذ العلماء يقرأون الآثار الكثيرة المكتوبة بهِ ويفحصون كنوزها الثمينة وسمي هذا الحجر بالروستي نسبة الى مدينة روستا التي كشف فيها

سوء سيرة بطليموس

٣٥. واخبار بطليموس بعد ان تولى الملك قليلة مبهمة وتزوج كليوبطرا سنة ١٩٣ ق.م. وكان ابوها يظنها تسهل لهُ طريق الاستيلاء على مصر لكنها كانت امينة لبعلها فلم يحصل انطيوخس على مرادهِ وانقاد بطليموس الى مشورة الاشرار فخاصم ارستومنيس وزيرهُ الفاضل وقتلهُ سمًّا واقام رجلاً يسمى پولِكراتيس مكانهُ فجرى الاضطراب في المملكة وقام ابناء الوطن وعصوهُ فاخضعهم بعد سفك دم كثير وحاول في اواخر ملكهِ استرجاع املاكهِ في سورية لان انطيوخس لم يردها حسب العهد ولا سلوقوس ابنهُ ولما كان بيت المال فارغًا وكان ذلك يقتضي نفقات وافرة خاف عظماء المملكة ان يسلب الملك

اموالهم فقام عليهِ بعضهم وقتلهُ سنة ١٨١ ق.م

٣٦. وكان لإبيفنيس ابنان وابنة وخلفهُ بكرهُ بطليموس السادس الملقب فيلوميتور اي محب الام وكان ابن سبع سنين حينئذٍ فتسلمت امهُ كليوبطرا زمام الملك وكانت ذكية حسنة السياسة لكنها توفيت سنة ١٧٣ ق.م. فتولى يولايوس ولنيوس وكالة الملك الصغير وكانا عاجزين ضعيفين واذ جهلا عجزهما وضعف المملكة وطلبا المجد والصيت امرا انطيوخس الرابع ملك سورية ان يخلي فلسطين وكيلي سورية مهر كليوبطرا كما تقدم ولما أبى اسرعا الى الحرب فقام انطيوخس وحشد جنودهُ وسار الى مصر وقهر المصريين عند مدينة بلوسيوم وتبعهم الى ممفيس واستولى عليها وعلى بطليموس الملك فكاد يتسلط على المملكة كلها سنة ١٧٠ ق.م

بطليموس السادس من سنة ١٨١ الى سنة ١٤٦ ق.م

محاربة انطيوخس

٣٧. فلما عرف اهل الاسكندرية ما كان اخذوا بطليموس فيسكون أخا فلوميتور وملكوهُ ولما حدق انطيوخس بمدينتهم دافعوهُ فلم يستطع افتتاحها وهددهُ معتمد الرومانيين الذي كان فيها وامرهُ ان يخلي البلاد فامتثل وترك فلوميتور ملكًا في ممفيس لظنهِ انهُ يخاصم اخاهُ فتشتعل نيران الحرب الاهلية وتضطرب مصر وتضعف فتصير بعد حين فريسة له فعلم فلوميتور مرادهُ وصالح اخاهُ على انهما يملكان معًا ثم اخذ فلوميتور اختهُ كليوبطرا امرأةً وتهيأ لمحاربة انطيوخس فلما سمع هذا سار في عسكرهِ الى مصر ثانيةً سنة ١٦٨ ق.م. وفي اثناء ذلك جهز البوارج لمهاجمة قبرس ونجح في المقصدين فافتتح قبرس ومصر سوى الاسكندرية فانهُ كاد يفتتحها لكن معتمد رومية امرهُ ان يمسك عنها ويخلي مصر وقبرس جميعًا ففعل لانهُ كان يرهب رومية كثيرًا لعظمة سطوتها في مصر

ملك فيسكون مع فلوميتور

مهاجمة انطيوخس قبرس ومصر

٣٨. واستمر الاخوان يملكان معًا نحو اربع سنين ثم تشاجرا فطرد فلوميتور فيسكون سنة ١٦٥ ق.م. فلاذ برومية وسأل المشيخة ان تامر برجوعهِ الى ما كان عليهِ فبعثت المشيخة معتمدين الى مصر رتبوا امورها وحكموا بان فلوميتور يملك على مصر وفيسكون على كيرين وليبيا فسلم الاخوان بذلك اولاً الا ان فيسكون لم يسر بهِ فذهب في السنة التالية الى رومية ثانيةً وسالها ان تزيد املاكهُ فامرت المشيخة بان ياخذ قبرس فلم يرضَ فلوميتور هذا الحكم وابى ان يسلم قبرس فشرع فيسكون بتجهيز الحرب لكنَّ كيرين خانتهُ ساعتئذٍ فمنعتهُ عن محاربة اخيهِ فذهب في سنة ١٥٤ ق.م. الى رومية ثالثةً فاعطتهُ خمس سفن حربية معونة لهُ فسار فيها الى قبرس وهاجمها فانهزم ووقع اسيرًا بيد اخيهِ فاستحياهُ بل احسن

مشاجرات فيسكون وفلوميتور

محاربتهُ لاخيهِ

اليهِ واقامهُ على ملك كيرين كما كان سابقًا

٣٩. وكان في هذه المدة ان ديمتريوس ملك سورية حاول الاستيلاء على قبرس بالرشوة فتكلم معحاكمها في ذلك فلما علم فلوميتير احترق غيظًا وعزم على الانتقام منهُ فعندما نجا من مشاجراتهِ مع اخيهِ دسَّ رجلًا يسمى اسكندر بالاس ان يدعي بملك سورية فاعطاهُ فلوميتير ابنتهُ كليوبطرا زوجةً وجهزهُ للحرب بعسكر فغلب ديمتريوس وطردهُ من مملكتهِ سنة ١٥١ ق.م. وحلَّ محلهُ لكنهُ خالف فلوميتير بعد ذلك واغاظهُ فجهز عليهِ ديمتريوس الثاني ابن الاول وشددهُ حتى طرد اسكندر وملك مكانهُ سنة ١٤٦ ق.م. وكان قد اعطاهُ فلوميتير كليوبطرا امراةً لكنهُ وقع قتيلاً في معركة قرب انطاكية في سنة ١٤٦ ق.م

حرب فلوميتير وديمتريوس

٤٠. وكان لهُ ثلاثة اولاد وهم بطلميوس السابع الملقب يوباتور وابنتان اسم كلٍّ منهما كليوبطرا وقام يوباتور وتولَّى الملك بعد ابيهِ لكنهُ لم يملك الا بضعة ايام لان فيسكون عمهُ عزلهُ وقتلهُ وملك مكانهُ وهو بطلميوس الثامن ولقب نفسهُ بيورجيتيس الثاني ولقبهُ المورخون بفيسكون ومعناهُ البطين لانهُ كان ضخم البطن مولعًا بشهواتهِ وكان قد حصل على ملك مصر بعد اخيهِ باذن الرومانيين على ان يتزوج كليوبطرا اختهُ وارملة اخيهِ ولما تبوأ تخت الملك اخذ يظلم الناس فقتل ابن اخيهِ كما مر وقتل بعض الذين قاوموهُ سابقًا ونفى البعض وعامل اهل الاسكندرية بالجور والقساوة فاضطربوا وهجر بعضهم الوطن . ثم طلق امراتهُ المذكورة بعد ان رزق منها ابنًا واخذ بدلاً منها ابنتها من اخيهِ وهي كليوبطرا الصغرى وبلغ من الشهوة والفسق كل مبلغ حتى لم يقدر الناس ان يحتملوهُ فقاموا عليهِ وطردوهُ فلحق بقبرس واقاموا اختهُ على الملك سنة ١٣٠ ق.م. فاثار فيسكون الحرب عليها وكان قد اخذ معهُ الى قبرس ابنها المذكور فذبحهُ وقطع رأسهُ ويديهِ وبعث بها الى امهِ ليلقي الرعب والاسف في قلبها فاقشعر الناس من هذا الفعل القبيح وايَّدوا امر كليوبطرا وجدوا في دفاع فيسكون وسألت كليوبطرا ديمتريوس المساعدة فخشي الناس استيلاءهُ على مصر فتنحَّوا عن مقاومة فيسكون فرجع سنة ١٢٧ ق.م. وهربت كليوبطرا الى سورية

ملك بطلميوس السابع وبطلميوس الثامن سنة ١٤٦ ق.م

حرب فيسكون وكليوبطرا

٤١. ثم اخذ فيسكون ينتقم من ديمتريوس فدسَّ عليهِ زعيمًا يسمى اسكندر زبيناس وعاونهُ فطارد ديمتريوس وحلَّ زبيناس محلهُ سنة ١٢٦ ق.م. لكنهُ خالف فيسكون عقيب ذلك فشرع فيسكون يقاومهُ ويؤيّد امر انطيوخس اغريفُس الذي عزل زبيناس وملك موضعهُ وصلح فيسكون شيئًا بعد عودتهِ من قبرس فلم يظلم الناس كذي قبل والظاهر

حرب لديمتريوس

انهُ انتفع ما احتماهُ من الضيق والشدة الا انّ آدابهُ كانت فاسدة جدًّا وتوفي سنة ١١٧ ق.م

٣٢. وخلفهُ بكرهُ وهو بطلميوس التاسع الملقب بلاثِرُس الا انهُ لم يملك على كيرين لان فيسكون اعطاها أَپيون وهو ابن غير شرعيّ لهُ ولما مات هذا اورثها الرومانيين فانفصلت عن مصر. وكان فيسكون قد اوصى بالملك الى كليوبطرا امرأتهِ الثانية ما دام لاثِرُس صغيرًا لكنّ كليوبطرا أَحبت اسكندر ابنها الاصغر وارادت اقامتهُ على الملك دون اخيهِ فلم يسمح لها اهل الاسكندرية بذلك فملك لاثرس وامهُ تدبر السياسة نحو عشر سنين ثم استحكمت الوحشة بينهُ وبين امهِ اذ تخالفا في شان التعرض لامور سورية فطردتهُ وبدلتهُ باسكندر اخيهِ اما لاثرُس فلاذ بقبرس واستولى عليها وملك فيها من سنة ١٠٧ الى سنة ٨٩ ق.م. ولم يستطع اخوهُ وامهُ ان يطرداهُ منها بل تشدد وتصدّى لامور سورية اما اسكندر وامهُ فملكا على مصر مدةً ثم تخالفا فخشي اسكندر الشر من امهِ فقام عليها وقتلها فعظم ذلك على اهل الاسكندرية فهاجوا وطردوهُ واسترجعوا لاثرس فعاد من قبرس الى ملكهِ السابق ولحق اسكندر بقبرس واثار الحرب على اخيهِ لكنهُ انهزم ومات عقيب ذلك ولم يرضَ بعض المصريين ملك لاثرس فثار الثيبيون وقاوموهُ ثلاث سنين لكنهُ افتتح ثيبة اخيرا وخربها سنة ٨٦ ق.م. وأَطاعهُ المصريون كلهم ونقضى عليهِ ما بقي من حياتهِ بسلام وتوفي لاثرس سنة ٨١ ق.م.

بطلميوس التاسع من سنة ١١٧ الى سنة ٨١ ق.م

ملكهُ مع امهِ مدة عشر سنين

ملك اسكندر

خيانة المصريين

٣٣. ولم يكن لهُ ولدٌ شرعيٌ غير برنيكي ابنتهِ فخلفتهُ وملكت ستة اشهر وحدها ثم تزوجت اسكندر بن اسكندر الاول الذي اصبح زعيمًا للمملكة اذ خفرهُ سلاٌ عظيم رومية فبلغ مرامهُ بمعونتهِ على ان يتزوج بنت عمهِ ويشاركها في الملك ففعل لكنهُ قتلها بعد ثلاثة اسابيع فاستشاط اهل الاسكندرية غيظًا من هذا الفعل الشنيع وثاروا بهِ وقتلوهُ ولم يكن بعدهُ من نسل شرعي للبطالسة فامست المملكة ميدان الزعماء النغول فقام ابنان للاثرس من غير امرأتهِ وابنان لسليني اختهِ من انطيوخس ملك سورية وغيرهم وتسابقوا الى الملك وتوسلوا الى رومية لتحكم في الامر لكنها امتنعت عن ذلك مدةً فاستولى اصغر ابني لاثرس على قبرس واستولى اكبرهما على جانبٍ من مصر واستولى رجل يسمى اسكندر الثالث على جانب اخر لكنهُ طُرد عقيب ذلك وهرب الى صور واورث حقهُ مصر لرومية وكان اخر الامران أُوليتيس ابن لاثرس الاكبر ملك مصر كلها في نحو سنة ٦٥ ق.م. غير انهُ ادعى بالملك من سنة ٨٠ ولقب نفسهُ بفلو پاتور وفلادلفوس وسماهُ المؤرخون اوليتيس ومعناهُ الزمّار ق.م

ملك برنيكي واسكندر الثاني سنة ٨٠ ق.م

مشاجرات الزعماء

ملك اوليتيس من سنة ٨٠ الى سنة ٥١

وبذل جهدهُ في طلب اعتراف رومية بملكهِ وانفق مبالغ جسيمة رشوة ولم ينل مرامهُ الى سنة ٥٩
ق.م. وهي سنة بلوغ يوليوس قيصر مقام القنصلية في رومية وكان اوليتيس قد اساء السيرة فضجر
مناهُ اهل الاسكندرية ولما كان قد انفق كثيرًا من الرُّشى بغية رضى رومية التزم ان يضرب ضرائب
عظيمة على قومهِ فسئموا ذلك وقاموا عليهِ وطردوهُ فلاذ برومية واقام اهل الاسكندرية
مقامهُ ابنتيهِ وتوفيت احداها بعد سنة فبقيت برنيكي وهي الثانية حتى رجع ابوها بمساعدة
بمبيوس الروماني الشهير الذي خفرهُ وبعث جندًا يقيمهُ على سرير المملكة فلما حصل على
مرادهِ قتل ابنتهُ لانها قاومتهُ وتسلط على مصر وتمكن من ملكها بأن كان لهُ حرس روماني
يحميهِ وتوفي أوليتيس سنة ٥١ ق.م. وكانت مصر قد هبطت في ايامهِ الى ادنى الدركات

طردهُ

رجوعه

موتهُ سنة ٥١ ق.م

٣٤. وكان لهُ ابنان اسم كلٍّ منهما بطلميوس وابنتان اسم اكبرهما كليوبطرا واسم
اصغرهما أرسنوي وكان اوليتيس قد اوصى بالملك لكليوبطرا وابنهِ الاكبر على شرط ان
يتزوج اختهُ وكانت رومية راضية بذلك فتمَّ الشرط الا ان كليوبطرا كانت اكبر من اخيها
وداهية عاتية اشتهت الاستقلال في الملك فحاولت طرد زوجها فانتشبت الحرب بينهما
وانهزمت كليوبطرا ولحقت بسورية وجمعت هناك العساكر وعادت الى مصر وغلبتهُ وقتلتهُ
فانفردت في الملك سنة ٤٧ ق.م. على شرط انها تتزوج اخاها الاصغر متى بلغ الحلم
ففعلت الا انها سمَّتهُ فمات سنة ٤٤ ق.م. وملكت بعد ذلك بسلام اذ خفرها يوليوس
قيصر وانطونيوس عظيمي رومية فانها كانت غاية في حسن الصورة وذكاء العقل فلما اتى
يوليوس الى مصر مطاردًا بمبيوس بعد ان هزمهُ سبت كليوبطرا عقلهُ فعشقها وثبتها في
ملكها وبعد ذلك سقط يوليوس وقام انطونيوس واوغسطس قيصر واستولى الاول
على الاطراف الشرقية من املاك رومية فكانت مصر من سلطنتهِ فاخذت كليوبطرا
تتسلط عليهِ وتسبي عقلهُ بجمالها ودهائها كما فعلت بيوليوس فنالت مرادها فكان كأنهُ
لا يشعر بشيءٍ الا عشقهُ لها فقضى اكثر اوقاتهِ بالاسكندرية في معاشرتها تاركًا اعمال السياسة
والحرب وارتخت يداهُ حتى قوي عليهِ اوغسطس وقهرهُ وبعد معركة اكتيوم سنة ٣١ ق.م.
هرب الى الاسكندرية ولما قدم اوغسطس وايقن انطونيوس انهُ لا مهرب منهُ قتل نفسهُ اما
كليوبطرا فحاولت صيد اوغسطس كما فعلت بسابقيهِ ولما علمت عدم نجاحها قتلت نفسها
قيل انها كانت في قصر لا يمكنها الخروج منهُ الا ان تقع بمخالب اوغسطس. فأغرت فلاحًا
ان يأتيها بافعى في سلة تين فاخذت الافعى وعرضت يدها للدغها فهلكت سنة ٣٠ ق.م.

ملك كليوبطرا

تعلقها مع يوليوس قيصر وانطونيوس

موت كليوبطرا

وانتهت دولة البطالسة وكانت كل مدتها ٢٩٢ سنة واشتهرت في اوائلها بانصبابها على العلوم وحسن السياسة لكنها خامرتها العوائد القبيحة اخيرًا فساءت آدابها ومن شان ذلك ان يفضي الى الهلاك في كل مملكة كما اتضح جليًّا من اخبار الدول والشعوب فانتبه وانقراض دولتها سنة ٣٠ ق٠م

الفصل الثالث

في تاريخ الدولة السلوقية في سورية

اصول هذا التاريخ. (١) الآثار ولا سيما النقود السلوقية (٢) كتب المكابيين ويوسيفوس (٣) اخبار سورية لأبيان وتواريخ ديودورس ويوستينس ولفيوس

١. بداءة هذه الدولة من يوم وقعة غزة حيث غلب بطلميوس الاول ملك مصر ديمتريوس بن أنتغنوس كما تقدم (راجع قسم ١ ف ٣ رقم ١١) وكان ذلك سنة ٣١٢ ق٠م. وكان اولها وموسعها سلُوقس الملقب بنكانور وهو ابن رجل مكدوني اسمهُ انطيوخس. ورافق سلوقوس اسكندر في غزواتهِ ولما مات عضد امر بردكاس اولاً غير انهُ خانهُ يوم هاجم مصر كما ذكر (انظر قسم ١ ف ٣ رقم ٧) وبعد هلاك بردكاس اقتسم القواد الاملاك فاخذ سلوقوس بابل نصيبًا لهُ ولكن أنتغنوس ضايقهُ بعد ذلك حتى لجأ الى مصر وحرَّض بطلميوس على محاربتهِ ولما انكسر ديمتريوس في غزة استرد ملك بابل واستبدَّ بها من ذلك الوقت وقد عين اصحاب التحقيق بداءة دولتهِ في اول ت ١ سنة ٣١٢ ق٠م انشاء الدولة سنة ٣١٢ ق٠م

٢. ولم تكن المملكة اولاً سوى بابل وما يليها ولكن لم يلبث ان استولى سلوقوس على مادي وفارس وسائر الولايات الشرقية الى تخوم الهند ولم يمضِ الاَّ ست سنين قبل ان فاز بملك كل ما بين الفرات والهند وبين نهر ياكسارتيس وبحر الخزر شمالاً وبحر الهند جنوبًا ثم سار في عسكر وافر الى الهند وهاجمها واخذ جانبًا منها وعاهد سندراقُتُس الملك في نواحي مخارج نهر الكنج الغربية فقدَّم الى سلوقوس ٥٠٠ فيل مُجَهَّزة للحرب وفتح الهند للتجارة امتداد المملكة

قدوم سلوقوس الى اسيا الصغرى

٣. ثم استصرخهُ ليسيخوس وكسّندر على أنتغنوس ومن معهُ فسار سلوقوس من بابل سنة ٣٠٢ ق.م. الى كبدوكية فشتى ولحق في الربيع القادم بجنود محالفيهِ فاتفقوا مع أنتغنوس في حرب إپسوس وهزموهُ وقتلوهُ سنة ٣٠١ ق.م. كما مر (راجع قسم ا ف ٢ رقم ١٥) فملك سلوقوس حينئذٍ شمالي سورية وكبدوكية وجانبًا من فريجية سوى ما كان لهُ سابقًا

بناء انطاكية

٤. ولما ملك شمالي سورية بنى مدينة انطاكية على نهر العاصي وجعلها عاصمة ملكهِ بدلاً من بابل وسمّى المدينة انطيوخيا على اسم ابيهِ فعرّبت بانطاكية فظلّت عاصمة دولتهِ من ذلك الزمان اي منذ نحو سنة ٣٠٠ ق.م. وكان نقل العاصمة من بابل الى سورية ضررًا لسلطنتهِ اذ كان القسم الاكبر من املاكهِ في الشرق فاصبحت تلك الاطراف بعيدة عن العاصمة ولم يقدر ملوك سورية على ضبطها فكثرت فيها الفتن وخرجت عن طاعة

زهو سورية

الدولة كما سترى غيران هذا الامر افضى الى مجد سورية فعظم شأنها كثيرًا وادركت معظم قوتها وزهوها ايام السلوقيين ولاسيما انطاكية فانها ارتقت الى ذروة الثروة والبهاء وسبقت مدن الشرق في التمدن والعلوم وبنى سلوقوس ومن خلفوهُ مدنًا كثيرة منها سلوقية فرضة انطاكية ولاودقية وغيرها وادخلوا تمدن اليونان اليها والى كل البلاد وغيّروا احوال اسيا كثيرًا

معاهدة ديمتريوس

٥. ولم يقصد سلوقوس الغزو بعد حرب اپسوس لكنهُ علم ان بطلميوس وليسيخوس وكسندر رغبوا في بعض املاكهِ فرأَى انهُ لا بد من الدفاع عنها فعمد الى معاهدة ديمتريوس بن أنتغنوس وطلب اسْترانُنيكي ابنتهُ زوجة فاجاب ديمتريوس وعضدهُ سلوقوس في محاربة

تنظيماته

اعدائهِ في اوربا وبقي سلوقوس على السلام مدة واعتنى بتنظيم سياستهِ وترتيب المملكة وتشييد انطاكية وما اشبه من الاعمال المفيدة وقسم المملكة الى ٧٢ ولاية واقام عليها ولاة يونانيين او مكدونيين وكان عسكرهُ النظامي كثيرًا وعليهِ قواد ورؤساء من اليونان والمكدونيين ايضًا

امر انطيوخس واسترانونيكي

٦. وكان لهُ بكر اسمهُ انطيوخس القت استراتونيكي امراة ابيهِ العشق الشديد في قلبهِ فضعف كثيرًا ولما علم ابوهُ بأَمرهِ زوَّجهُ امراتهُ واقطعهُ بابل وكل اطراف المملكة شرقي الفرات فاتخذ بابل عاصمةً وانتقل اليها وملك هناك الى وفاة ابيهِ

٧. اما ديمتريوس فلما طُرِد من مكدونية وبلاد اليونان (انظر قسم ٢ ف ٢ رقم ٢) اغار على اسيا الصغرى وغزا كيليكية التي كانت من املاك سلوقوس فقام عليهِ وهزمهُ واسرهُ

وسجنهُ في بعض قصورهِ ما بقي من حياتهِ وفي نحو سنة ٢٨١ ق . م . استحكمت الوحشة بينهُ وبين ليسيماخوس ملك ثراكية اذ ظلم بطلميوس كيرونوس واختهُ فلاذا بدار سلوقوس مستغيثين فجهز سلوقوس جنودهُ وسار فيها الى املاك ليسيماخوس فقهرهُ وقتلهُ واستولى على املاكهِ وظلَّ مستوليًا على اكثر املاك اسكندر الكبير سوى مصر لكنهُ في اثناء ذلك قام عليهِ كيرونوس المذكور وقتلهُ واستولى على مملكة ليسيماخوس وكان هلاك سلوقوس سنة ٢٨٠ ق . م . لمضي ٣٢ سنة من ملكهِ

سجن ديمتريوس

حرب ليسيماخوس

٨. وخلفهُ ابنهُ انطيوخس الاول الملقب صوتير ولما ملك عزم على التمكن من اخضاع الامم في اسيا الصغرى وثراكية التي قهرها ابوهُ فزحف بجنودهِ الى بيثينية واغار على زيبيتس ونيكميدس ملكيها فاستنجد نيكميدس الغاليين الذين كانوا قد غزوا مكدونية وبلاد اليونان (راجع قسم ٢ ف ١ رقم ٢) فاجابوا وعضدوه حتى قوي على انطيوخس وضايقهُ فاخلى عنهُ وعن فريجية الشمالية فاستولى عليها الغاليون واستوطنوها فسُميت **غلاطية** وخرج قسم من ليديا واستقل فانشأ مملكة برغامس ولم يزل الغاليون يغيرون على املاك انطيوخس في اسيا الصغرى حتى سنة ٢٧٥ ق . م . حين قدم عليهم وناوشهم في قوم يسير وهزمهم شرَّ هزيمة اذ سير عليهم عدة افيال فاجفلت منها افراسهم وسحقت صفوفهم فلقبهُ عسكرهُ بصوتير اي مخلص

انطيوخس الاول من سنة ٢٨٠ الى سنة ٢٦١ ق . م

الغاليون

كسرتهم

٩. وكان بطلميوس فلادلفوس قد تعدى على سورية واستولى على دمشق فعزم انطيوخس على استرجاعها وغيرها من مدن البلاد فعاهد ماغاس الخائن اخا فلادلفوس (راجع ف ٢ رقم ٩) ولما كان فلادلفوس منهمكًا بهذه الخيانة نازل انطيوخس دمشق وافتتحها فبعث ملك مصر بوارجهُ تغزو شطوط سورية واسيا الصغرى سنة ٢٦٢ ق . م . وفي اثناء ذلك عمد انطيوخس الى فتح مملكة برغامس وكان ملكها يومينيس فانهزم وغلبهُ عند ساردس ثم اوقع بهِ الغاليون وقهروهُ عند مدينة افسس فتوفي هنالك سنة ٢٦١ ق . م

حروب انطيوخس لبطلميوس

وفاتهُ سنة ٢٦١ ق . م

١٠. ثم قام بعدهُ ابنهُ انطيوخس الثاني الملقب ثيوس وكان مرتخيًا عاجزًا فتسلطت عليهِ نساؤُهُ وخلانهُ وتاخرت المملكة في ايامهِ واخذت بالتناقص بعد ان كانت على معظمها وعزها ايام آبائهِ . وسلم انطيوخس ادارة الامور السياسية الى نديميهِ وكانا ممن غرقوا في لجج الرذيلة فافسدا المملكة ولم يقدرا على مقاومة الاعداء . وحدث في ذلك الزمان كثيرٌ من الاضطرابات والفتن في بيثينية فاصبحت فريسة لملك مصر فتقوى في

انطيوخس الثاني من سنة ٢٦١ الى سنة ٢٤٦ ق . م

امور ثراكية واسيا الصغرى

اسيا الصغرى وهدد املاك انطيوخس غير ان هذا حاول اخضاع ثراكية في بداءة ملكهِ واغار عليها لكنهُ لم يقدر ان يتمكن من اخضاعها وكانت الوحشة بين انطيوخس وبطلميوس فيلادلفوس كما تقدم (راجع ف٣ رقم ٩). ولما ثارت مدينة مليتوس في اسيا الصغرى بظالمها

ثورة مليتس

الذي عضدهُ بطلميوس قام انطيوخس وعاونها فطردت ذلك الظالم فاكرمهُ اهل المدينة احسن الاكرام ولقبوهُ بثيوس اي اله ولما كانت اختهُ امراة ماغاس الخائن استحكمت الوحشة بينهُ وبين بطلميوس وبقيت الحرب الى سنة ٢٥٣ ق.م. حين عقد الصلح على شرط ان يطلق امراتهُ لاودكي ويتزوج برنيكي بنت بطلميوس ثم لما مات ابوها طلقها انطيوخس واسترد لاودكي وكانت قد عزمت على منع ما يحط مقامها ومجدها فقامت على بعلها وسقتهُ سمًّا فمات سنة ٢٤٦ ق.م. وكانت بكتريا وفرثيا قد خرجتا عليهِ واستقلتا من يومهِ

ملك سلوقوس الثاني من سنة ٢٤٦ الى سنة ٢٢٦ ق.م

١١. ثم قام بعدهُ ابنهُ سلوقوس الثاني الملقب كَلِّينيقس اي جليل النصرة لكنهُ كان غير موفق وخسر جانبًا من املاكهِ في اوائل ملكهِ ثم استرد اكثرها اما لاودكي فتسلطت على المملكة اولاً بعد قتل بعلها وظلمت برنيكي وقتلت ابنها فاشتعلت غضبًا وهاجمت القاتل واهلكتهُ ثم التجأت الى بعض الهياكل وخفرها جماعة من العسكر لكن لاودكي بعثت اليها من قتلها ولما سمع بذلك بطلميوس اخوها شن الغارة على سورية وطرد سلوقوس من كل

مهاجمة بطلميوس

املاكهِ تقريبًا كما ذكر (راجع ف٣ رقم ١٤) وبعد رجوع بطلميوس الى بلادهِ استرد سلوقوس جانبًا عظيمًا مما كان لهُ غير ان الولايات الشرقية تمكنت من استقلالها وقام عليهِ اخوهُ

خيانة هيركس

انطيوخس الملقب هيركس بان حثهُ بطلميوس ان يخون سلوقوس فضاق بذلك شديدًا ولما حاول مهاجمة املاك مصر بحرًا انكسرت بهِ السفينة وكاد يغرق واشتدت الحرب بينهُ وبين اخيهِ هيركس فانهُ استاجر عسكرًا من الغاليين وهزم اخاهُ شرَّ هزيمة في غلاطية لكنهُ

حرب الفرثيين

هادن سلوقوس عقيب ذلك اذ قام عليهِ يومينيس ملك برغامس وكان ذلك سنة ٢٢٩ ق.م. ثم عمد سلوقوس الى حرب الفرثيين والبكتريين فحشد جنودهُ وسار الى الشرق نحو سنة ٢٢٧ ق.م. وناوشهم لكنهُ انهزم وعاد الى سورية فشلاً وفي اثناء ذلك خرجت انطاكية بأن حركتها اختهُ امراة ديمتريوس والارجح ان الذي هاجها هيركس فاشتعلت نيران

وهيركس اخيهِ

الحرب بين الاخوين واستمرت الى سنة ٢٢٩ ق.م. وحينئذٍ انكسر هيركس وفرَّ ولم يعد الى ان يقاتل اخاهُ وقام عليهِ أتلوس ملك برغامس وطردهُ من بعض املاكهِ ومات سلوقوس سنة ٢٢٦ ق.م. وقيل انهُ سقط عن فرسهِ فمات من ذلك

ملك سلوقوس الثالث من سنة ٢٢٦ الى سنة ٢٢٣ ق.م

١٢. ثم ملك سلوقوس الثالث الملقب بكيرونوس اي الصاعقة وكان واهي الجسد والعقل وخضع لخصيانهِ واهل دارهِ كل الخضوع وجرى بينهم الحسد والحقد فتكدرت امور السياسة وكان اتلوس ملك برغامس قد غزا اسيا الصغرى وتعدى على املاك سلوقوس فاضطر الى محاربتهِ فجمع جيشًا عرمرمًا وسار الى فريجية لكنَّ جنودهُ لم ترضهُ لانهُ لم يعطهم الاجر لفراغ بيت المال فخانوهُ وقام عليهِ بعض القواد وقتلوهُ سنة ٢٢٣ ق.م

ملك انطيوخس الثالث الكبير من سنة ٢٢٣ الى سنة ١٨٧ ق.م

١٣. وخلفهُ اخوهُ انطيوخس الثالث الملقب بالكبير وكان معتبرًا لغزواتهِ وضبطهِ السياسة مدة طويلة غير انهُ وقع في مخالب رومية فكانت شر مصائبهِ كما سترى وكان انطيوخس صغيرًا حين ملك فتسلط عليهِ هرمياس وزيرهُ الاعظم وحثهُ على ان يثير الحرب على املاك مصر في سورية مع ان مولو مرزبان الشرق كان قد خرج عليهِ فاشار هرمياس ان يبعث انطيوخس قوادهُ لاخضاع مولو وان يسير هو نفسهُ الى كيلي سورية لمهاجمة املاك بطلميوس اما الجيش الذي سيرهُ لمقاتلة الخائن فانكسر شرَّ انكسار ولما وصل الخبر الى انطيوخس كان في البقاع على وشك مهاجمة جنود المصريين فامسك عنهم وسار في عسكرهِ الى محاربة مولو سنة ٢٢٠ ق.م. واجتاز الفرات والدجلة وحارب العصاة وهزمهم وتمت عليهم الكرة حتى انتهى امرهم وخشي الملك شرَّ هرمياس فقتلهُ ثم عاد الى سورية منصورًا مويدًا وكان اثناء غيبتهِ في الشرق ان اخيوس والي املاكهِ في اسيا الصغرى خرج عليهِ اما انطيوخس فسولت لهُ نفسهُ ان يطرد المصريين من سورية اولاً وبعث معتمدين الى اخيوس يهادنهُ وطفق يتهيأُ لمهاجمة سلوقية فرضة انطاكية وكانت لم تزل مطيعة

محاربة المصريين

لبطلميوس فاحدق بها برًّا وبحرًا وبرطل بعض روساء الحراس فلما صارت المهاجمة خانوا وخذلوا وتظاهروا بالخوف وتوسلوا الى القائد حاكم المدينة ان يسلم ففعل على شرط ان يُحقَن الناس دمهم فاستولى انطيوخس المدينة واحسن الى اهلها وفي اثناء ذلك اتاهُ معتمدون

فتح سلوقية

من ثيودوتس حاكم البقاع من قبل بطلميوس يريد المصالحة على انهُ ينتظم في طاعة انطيوخس ففرح هذا وعمد الى افتتاح كل املاك مصر فتقدم واستولى على فينيقية وعلى اربعين بارجة كانت لبطلميوس في مرفإِ بطلمائس (وهي عكا) ثم سار في من لهُ الى ان لاقى

هزيمة رافيا سنة ٢١٧ ق.م

بطلميوس عند مدينة رافيا فانهزم هنالك سنة ٢١٧ ق.م. كما تقدم (انظر ف ٣ رقم ٣٠) وخسر انطيوخس في هذه الوقعة عشرة الاف قتيل واربعة الاف اسير فعاد الى انطاكية مكسورًا وراسل بطلميوس في الصلح فكانت الهدنة سنة اولاً ثم تصالح الفريقان عقيب

ذلك على شرط ان يرد انطيوخس ما اخذهُ من ملك مصر الأ انهُ لم يسلم سلوقية فبقيت في طاعة دولة سورية

حرب اخيوس ١٤. اما اخيوس الخائن فكان قد غلظ امرهُ كثيرًا في هذه المدة ولما فرغ انطيوخس من حرب بطلميوس عزم على اخضاعهِ وقوّاهُ على ذلك محالفتهُ لملك مصر فسار بعسكرهِ الى اسيا الصغرى سنة ٢١٦ ق.م. وحالف أتالوس ملك برغامس وضايق اخيوس حتى لاذ بسارديس واعتصم بها اكثر من سنة ولم يتمكن انطيوخس من اخذهُ الا غدرًا وذلك سنة ٢١٤ ق.م.

حرب الفرثيين ثم شرع انطيوخس يشن الغارة على الفرثيين لانهم غزوا املاكهُ واشتدوا قوةً حتى توقع منهم اعظم شرٍ وكان أرساسيس الثالث ملكهم حينئذٍ يهدد مادي فعبّى انطيوخس جنودهُ وسار الى اكبتنا فاخلى الفرثيون تلك الاطراف وعادوا الى بلادهم فتبعهم انطيوخس واثخن فيهم وافتتح هكتمپلوس عاصمتهم سنة ٢١٢ ق.م. ثم سار الى هركانيا غير انهُ اختبر من الضيقات وشدة المقاومة ما حملهُ على مصالحة ارساسيس فاعترف بحقهِ في

مسير انطيوخس في بكتريا وافغانستان ملك فرثيا وهركانيا ثم ذهب الى بكتريا ولاقى من مقاومة ملكها ما حملهُ بالاعتراف بملكهِ ايضًا. ثم قصد جبال هندكوش ودخل بلاد افغانستان وجدد معاهدة اسلافهِ لملك الهند ثم رجع الى كرمان وشتى هنالك ثم ركب السفن وغزا شطوط خليج فارس الغربية وادّب لصوص العرب الساكنين في تلك الاطراف

تجديد الحرب مع مصر ١٥. ثم عاد انطيوخس الى سورية سنة ٢٠٥ ق.م. وطفق يبذل جهدهُ في فتح مصر فعاهد فيلبس ملك مكدونية على قسمة املاكها فجهز انطيوخس جيشًا لمحاصرة سارديس في اسيا الصغرى اما هو فركب السفن لمهاجمة المدن على البحر في كيليكية وكاريا الخاضعة لمصر وكانت لهُ مئة بارجة وسيّر جنودهُ الى البقاع وما يليها لغزو املاك مصر فارسل

وقعة بانياس بطلميوس اسكوپاس قائدهُ فانتصر في بعض وقائع لكنهُ انهزم قرب بانياس سنة ١٩٨ ق.م. شرَّ هزيمة واتفق انطيوخس وملك مصر وقد خطب اليهِ كليوبطرا ابنتهُ ووعد انطيوخس بتسليم كيلي سورية وفلسطين مهرًا لها لكنهُ لم يفِ بوعدهِ

حروبهُ لرومية ١٦. اما مقاصد انطيوخس في حرب مصر فافضت الى سقوطهِ اذ هيجت عليهِ قوة رومية كما سترى فان الرومانيين امروهُ ان يخلّي عن الخرسنيس والمدن اليونانية في اسيا الصغرى فابى متجبرًا ظانًّا انهُ كفوٌ لهم وتهيأ لمحاربتهم ولما لجأ اليهِ هنبال القرطاجنيّ عدو رومية الشديد قبلهُ ورحّب بهِ فاغاظ رومية اكثر من السابق ولم يتوقع مجيء الرومانيين

اليهِ بل عبر البحر الى بلاد اليونان بعد ان قطع عهدًا مع الايتوليين سنة ١٩٦ ق.م. حرب ثرموبلي سنة ١٩١ ق.م
وناوش الرومانيين عند ثرموبلي في ثساليا وكانت الكرة عليهِ وتمت بهِ الهزيمة حتى فرَّ
هاربًا الى اسيا سنة ١٩١ ق.م. وانما اختبر باس الرومانيين فلم يرد ان يمرُّوا في البحر اليهِ
وأَوصى اميرَ بوارجهِ ان يمنعهم اما الرومانيون فقهروهُ بحرًا وتسلطوا على الارخبيل ثم عبروا
بجنودهم بوغاز الدردنيل وحاربوا انطيوخس عند مدينة مغنيسيا وهزموهُ هزيمة شرًا من ومغنيسيا سنة ١٩٠ ق.م
الاولى فخضع لهم تمام الخضوع سنة ١٩٠ ق.م. وصالحهم على ما ارادوا فسلم كل اسيا
الصغرى سوى كيليكية وتعهد بانهُ يؤَدّي لهم غرامةَ ١٢٠٠ وزنة وذلك نحو ٢٨٨٠٠٠ ليرة
انكليزية اما الولايات التي اخلاها فضمها الرومانيون الى مملكة برغامس اذ كان ملكها امينًا
لهم وعقيب ذلك خرجت ارمينية على انطيوخس واستقلت سنة ١٨٩ ق.م. فتضايق الملك
كثيرًا وزاد ضيقهُ ان فرغ بيت المال فعمد الى سلب الناس ليحصل ما يوفي غرامة
الرومانيين ولما كان ينهب بعض الهياكل كنوزهُ قام عليهِ اهلهُ وقتلوهُ سنة ١٨٧ ق.م

١٧. وملك بعده ابنهُ سلوقوس الرابع الملقب فلوپاتر وكان خاضعًا لسطوة رومية ملك سلوقوس الرابع من سنة ١٨٧ الى سنة ١٧٦ ق.م
فلما غلظ امر ملك برغامس وشرع يحارب ملك بنتس وحاول سلوقوس مساعدة هذا امرتهُ
رومية بالحيادة فاطاع خوفًا منها وكان اخوهُ انطيوخس رهينًا في رومية ولما اراد رجوعهُ
بعث ابنهُ ديمتريوس بدلا منهُ وفي اثناء ذلك قام على سلوقوس هيليودورس امين صندوقهِ
وقتلهُ واختلس الملك سنة ١٧٦ ق.م

١٨. وكان انطيوخس اخو سلوقوس في اثينا حين سمع بهلاك اخيهِ فسار الى ملك ملك انطيوخس الرابع من سنة ١٧٦ الى سنة ١٦٤ ق.م
برغامس واستصرخهُ على المختلس فاجابهُ واعانهُ حتى اقامهُ على سرير المملكة ولُقّب انطيوخس
هذا بإپيفانيس اي الشهير وكان ملكًا شديدًا ذا بأْس وبسالة غير انهُ كان غشومًا ظلم الناس
اكثر من اسلافهِ واكثر من خلفائهِ وكان كثير الحرب والغزو ولولا مداخلة رومية اخضع
مصر. ولما ملك خرج عن سيرة اسلافهِ بان حاكى الرومانيين في لباسهِ وعوائده ودينهِ
فساء ذلك الناس وكان مسرفًا مبذرًا وتوغل في الترف والفسق والبطر وافسد الامور
الدينية ولما طالب وكلاء بطلميوس ملك مصر ولايتي فلسطين وكيلي سورية صداق كليوبطرا محاربتهُ مصر
قام انطيوخس وحاربهم كما ذكر (اطلب ف ٣ رقم ٣٦—٣٧) واثار الحرب عليها اربع مرات
من سنة ١٧١ الى سنة ١٦٨ ق.م. ولما منعهُ الرومانيون عنها اجبارًا هاج غضبًا واشتهى
النقمة ولما لم يقدر على شيء من ذلك ظلم من قدر عليهم فصعد الى اورشليم عند عودهِ من

اعمالهُ الشريرة في اورشليم

مصر ونهبها وسلب الهيكل ودنّسهُ بان اقام فيهِ تمثالاً لجوبيتر في قدس الاقداس وقدم الذبائح الوثنية وهذا ما اشار اليهِ دانيال النبي (دا ١١: ٣٠ و ٣١) وعمد الى ابادة الديانة اليهودية وجنسية اليهود اذ اوصاهم ان يتركوا شريعتهم وفرائضهم الدينية ولاسيما الختان وان يسيروا سيرة الوثنيين وكان من نتائج ظلمهِ الشديد ان قومًا من اليهود قاموا وطردوا السوريين من بلادهم كما سياتي ان شاء الله. وزحف انطيوخس الى ارمينية في نحو سنة ١٦٥ ق.م. وغزاها واسر أرتكسياس ملكها لكنهُ لم يتمكن من التسلط عليها ولما كان انطيوخس قد انفق اموال المملكة باسرافهِ تضايق وافتقر الى ما بهِ الرمق فشرع ينهب الهياكل والمعابد الغنية ومنها هيكل أليائس فقام اهلهُ ومنعوهُ وقيل الله القى الرعب في قلبهِ فتوهم غضب الالهة وجنّ وهلك مجنونًا في طابي في بلاد فارس سنة ١٦٤ ق.م

غزوة ارمينية

ملك انطيوخس الخامس من سنة ١٦٤ الى سنة ١٦٢ ق.م

١٩. وكان انطيوخس قد عين ليسياس نائبًا لهُ في انطاكية لما سار الى الشرق واستودعهُ ابنهُ الصغير ووكل المملكة لصاحب لهُ يسمى فيلبس لكنّ ليسياس لما سمع بموت انطيوخس تادى بملك ابنهِ انطيوخس الخامس الملقب بيوباتور واستولى على الملك اذ كان الولد لم يجاوز سن الثانية عشرة واتفق ساعتئذٍ ان اليهود كانوا على العصيان من جرى ظلم الملك السابق فالتزم ليسياس ان يتوجه اليهم بجنودهِ فقدم فيلبس على انطاكية واستولى عليها ولما بلغ الخبر ليسياس سار من يومهِ وطردهُ وقتلهُ سنة ١٦٣ ق.م. لكنهُ لم ينجح في سياسة المملكة لانهُ لم يمنع الفرثيين من التقدم فغزوا الاطراف الشرقية وخضع للرومانيين في كل ما طلبوهُ فانهم امروهُ بتأدية غرامة انطيوخس الكبير واهلاك الافيال التي كانوا يستخدمونها في الحرب والبوارج الحربية واجبروا ليسياس ان ينجز اوامرهم فسئم الناس حال الذل والهوان التي كانت المملكة عليها فلما نجا ديمتريوس بن سلوقوس الرابع من رومية واتى سورية مدعيًا ملك ابيهِ قبلوهُ بالترحيب وانتدبوا اليهِ افواجًا فقوي على ليسياس وانطيوخس الصغير وقتلهما وتولّى الملك سنة ١٦٢ ق.م. ولُقّب بصوتير

محاربة ليسياس وفيلبس

ملك ديمتريوس الاول من سنة ١٦٢ الى سنة ١٥١ ق.م.

٢٠. واول ما اهتم بهِ ارضاء رومية لكي تعترف بحقهِ في الملك فلما حصل على ما اراد أخذ يحارب اليهود الذين كانوا قد خرجوا على سورية كما مر فلم يفز بالمراد وعلّة ذلك نهي الرومانيين لهُ ثم اخذ يتعرض لامور كبدوكية بغية ان يعزل ملكها ويقيم غيرهُ مقامهُ فتحالف عليهِ ملك مصر وملك برغامس وغيرهما وجهزوا اسكندر بالاس زعيمًا على مملكة سورية وادّعوا انهُ ابن غير شرعي لانطيوخس إيفنيس ورضي بذلك الرومانيون ايضًا

فتقدم بالاس بحرًا الى بطلمائس ونادى بالملك وحشد جنودهُ لمحاربة ديمتريوس وطلب الفريقان محالفة اليهود ولما اجابوا الى طلب بالاس قوي على خصمهِ فغلبهُ بعد حرب استمرت نحو سنتين وقتلهُ سنة ١٥١ ق.م. وكان ديمتريوس حسن السياسة والعمل لكنهُ كان مولعًا بالقنص ومدمنًا الخمر فانحطت المملكة كثيرًا في ايامهِ

ملك اسكندر بالاس من سنة ١٥١ الى سنة ١٤٦ ق.م ٢١. ثم ملك اسكندر بالاس وكان ملك مصر قد خنرهُ وزوجهُ ابنتهُ كليوبطرا (انظر ف ٢ رقم ٣٩) لكنهُ لم يكن جديرًا بما حصل عليهِ من المقام والسطوة فسلم امور السياسة الى أمونيوس نديمهِ واطلق عنان الشهوات وبلغ فيها كل مبلغ فلما علم ديمتريوس بن ديمتريوس السابق ما كان وان الناس قد كرهوا اسكندر عزم على محاربتهِ بغية ان يردَّ ملك ابيهِ فجمع عسكرًا ونزل على شطوط كيليكية وسار لمناوشة اسكندر فعاونهُ اليهود اولاً فأعاق ديمتريوس مدةً اما بطلميوس فسمَّ سيرتهُ وتخلى عنهُ وحالف ديمتريوس وزوَّجهُ كليوبطرا كما ذكرنا فنشدد وضايق خصمهُ وقاتلهُ قرب انطاكية وقهرهُ ففر هاربًا الى بلاد العرب فقتل هنالك وتبوأ ديمتريوس تخت المملكة سنة ١٤٦ ق.م.

ملك ديمتريوس الثاني اولاً من سنة ١٤٦ الى سنة ١٤٠ ق.م ٢٢. ولُقّب ديمتريوس بنكانوراي الغالب ولما ملك ظلم الناس فنفروا منهُ وقام مئة وعشرون الف نفس في انطاكية وفتنوا عليهِ فلاذ بقصرهِ وكان لهُ حراس من اليهود فاطلقهم في المدينة ينهبون ويقتلون قيل انهم قتلوا مئة الف نفس واضرموا النار بالمدينة فاقشعر الناس من هذا الفعل فقاموا وفي مقدمتهم رجل من اپامية يسمى ديودوتس فاخذ ابنًا صغيرًا لاسكندر بالاس ونادى بملكهِ ولقبهُ بانطيوخس السادس وتولى ديودوتس زمام الملك باسم ذلك الولد وحارب ديمتريوس وغلبهُ فوجَّه ديمتريوس الى الشرق لمقاتلة الفرثيين الذين كانوا يغزون املاكهُ كثيرًا وترك كليوبطرا امرأتهُ في سلوقية تدبر امورهُ في سورية

ملك تريفون من سنة ١٤٣ الى سنة ١٣٧ ق.م ٢٣. وبعد ان ملك ديودوتس نحو ثلاث سنين نظير نائب لانطيوخس الصغير وغلظ امرهُ عزل سيدهُ وملك وحدهُ نحو سنة ١٤٣ ق.م. ولُقّب بتريفون اما ديمتريوس فهاجم الفرثيين وانتصر عليهم اولاً لكنهم هزموهُ اخيرًا واسروهُ وبقي على ذلك عشر سنين ونيفًا وتزوج امرأة فرثية معتبرة وبقيت كليوبطرا امرأتهُ الاولى معتصمة بسلوقية وقد اعترفت بملكها وبعض مدن السواحل البحرية خضعت لها ولما ازداد تريفون ظلمًا اجتمع اليها كثيرون فعظم امرها وحالفت انطيوخس الملقب صيدبتيس اخي ديمتريوس فاشتدا وقهرا

تريفون وقتلاهُ في بعض المعارك فاصبح انطيوخس صاحب الامر من بعدهِ سنة ١٣٧ ق٠م وتزوج كليوبطرا وكان هو السابع منهم

ملك انطيوخس السابع من سنة ١٣٧ الى سنة ١٢٩ ق٠م ٣٤٠ وكان اليهود قد استبدوا بما كانوا عليهِ وازدادوا قوةً واستقلالاً ايام ديمتريوس لانهُ اطلق لهم الحرية فشرع انطيوخس السابع يردهم الى الطاعة وقاتلهم نحو سنتين فاخضعهم سنة ١٣٣ ق٠م. وسار بعد ذلك لمحاربة الفرثيين فقاتلهم وغلبهم في بعض الوقائع وطاردهم غير ان عسكرهُ لم يكن مهذبًا فطفق ينهب المدن ويظلم الناس فقاموا على انطيوخس ومن معهُ وهزموهم شر هزيمة وهلك الملك سنة ١٢٩ ق٠م

ملك ديمتريوس الثاني ثانية من سنة ١٢٩ الى سنة ١٢٦ ق٠م ٣٥٠ وكان ملك الفرثيين قد اطلق ديمتريوس ليحارب اخاهُ ويشوش امورهُ ولما هلك اخوهُ استردَّ ملكهُ ولكنهُ لم يتمتع بهِ طويلاً لان بطلميوس فيسكون جهز عليهِ اسكندر زبيناس زعيمًا (راجع ف ٣ رقم ٣١) وكان قد ادعى انهُ ابن بالاس وقاتل ديمتريوس بظاهر دمشق فهرب ديمتريوس الى بطلمائس وكانت كليوبطرا امراتهُ السابقة معتصمةً هناك فلما اتاها لم تأذن لهُ في الدخول فلجأ الى صور لعلهُ يستولي عليها ويتمنع فيها لكنهُ وقع في يد الاعداء وقُتل سنة ١٢٦ ق٠م

ملك اسكندر زبناس وانطيوخس الثامن وكليوبطرا معًا من سنة ١٢٦ الى سنة ١٢١ ق٠م ٣٦٠ ثم انطفأت الحرب بين زبيناس وكليوبطرا فشاركت سلوقوس ابنها الاكبر في الملك ولما خشيت انهُ يستقل قتلتهُ واقامت انطيوخس اخاهُ مكانهُ ولقبهُ المورخون بكريفس وهو انطيوخس الثامن وكان عمرهُ نحو عشرين سنة حين ملك وخضع لامهِ مدةً وظلّ زبيناس مالكًا بعض سورية نحو سبع سنوات وابغضهُ الناس لانهُ نهب المعابد واتى غير ذلك من المحظورات فطردهُ اهل انطاكية وكرههُ ملك مصر الذي خفرهُ فعاون كليوبطرا وابنها فاشتدَّ بهِ الامر فقهرهُ انطيوخس فهلك سنة ١٢٢ ق٠م. وكان انطيوخس قد بلغ أشدَّهُ واراد الاستقلال فلما علمت أمهُ ذلك همت بقتلهِ كما فعلت باخيهِ فسبقها وقتلها سنة ١٢١ ق٠م

ملك انطيوخس الثامن وحده من سنة ١٢١ الى سنة ١١٤ ق٠م ٣٧٠ وملك كريفُس بلا خلاف نحو ثمان سنين واستراحت المملكة في تلك المدة غير ان الولايات الشرقية كانت قد خرجت عليهِ ولم يلتفت الى اخضاعها فانحصرت المملكة بين جبل طورس من الشمال ونهر الفرات من الشرق وفلسطين من الجنوب اذ كانت اليهودية قد استقلت فاصبحت مملكة سورية ضيقة الاطراف بعد ان كانت متسعة جدًا فظلت مدةً من نهر الهند الى فريجية بل الى الارخبيل . وكانت قد تأخرت وضعفت

تاخر المملكة

ونفدت اموالها ورجالها وانحطت سياستها وضعفت ملوكها وافتقرت مدنها اذ نهبها الملوك والعسكر وكان ارباب الامور واهل العاصمة منصبين على الرفاهة والشهوات فقد اشرفت المملكة على السقوط وهان على كل قويٍّ ان يتسلط عليها ولو ارادت رومية افتتاحها حينئذٍ لاستولت عليها بلا مانع لكنها امتنعت مدةً لاسباب خاصّة ستذكر في اخبارها

خروج انطيوخس قزقينس وملكه مع السابق من سنة ١١٤ الى سنة ٩٦ ق.م

٢٨. وكان لانطيوخس كريفس اخ من امهِ اسمهُ انطيوخس قزِقينُس وهو ابن صيدينيس وكان لما رجع ديمتريوس من اسرهِ ان كليوبطرا بعثت ابنها هذا الى قزقينس لئلّا يقتلهُ ديمتريوس ولما هلكت خرج على اخيهِ وكان ذلك سنة ١١٤ ق.م. وحاربهُ محاربةً شديدة حتى اجبرهُ على ان اعطاهُ بعض املاكهِ سنة ١١١ ق.م. وظل كذلك الى سنة ١٠٥ ق.م. وحينئذٍ اتقدت نيران الحرب بينهما وظلت تسع سنين ولم يغلب احدهما الآخر وتزعزعت اركان المملكة وانفصلت عنها الولايات فخرجت صور وصيدا وسلوقية وكيليكية وقامت العرب وغزت سورية من الجانب الواحد والمصريون من الجانب الآخر واخذ القلق المملكة حتى قام على كريفس احد خاصتهِ وقتلهُ سنة ٩٦ ق.م

ملك سلوقوس الخامس من سنة ٩٦ الى سنة ٩٥ ق.م

٢٩. ولما عمد القاتل الى اختلاس الملك منعهُ سلوقوس الخامس الملقب بإبفنيس ابن كريفس الاكبر وتبوأ تخت ابيهِ وحارب قزِقينس وغلبهُ سنة ٩٥ ق.م. وهزمهُ فقتل نفسهُ . اما سلوقوس فلم يملك بسلام اذ قام انطيوخس ابن قزقينس الملقب بيوسيبيس وثأر اباهُ وطرد سلوقوس فلحق بكيليكية وطفق يظلم الناس ويضرب عليهم الضرائب الفاحشة فثار عليهِ اهل مدينة مپسوستْيا وأحرقوهُ حيًّا في بيتهِ

مشاجرات بني كريفس

٣٠. وبعد هلاك سلوقوس قام سائر بني كريفس واثاروا الحرب على يوسيبيس وقووا عليهِ اخيرًا فلجأ الى ملك الفرثيين يستغيثهُ وكان اكبر الاخوة فيلبس الذي اتخذ الملك لكنهُ ما لبث ان ظهرت الوحشة بينهُ وبين اخوتهِ وجرت بينهم الخصومات والحروب حتى نفر الناس منهم جميعًا واخر الامر رفضوا طاعتهم واستدعوا تيغرانيس ملك ارمينية

ملك تيغرانيس من سنة ٨٣ الى سنة ٦٩ ق.م

وسلموا اليهِ الملك سنة ٨٣ ق.م. فاستبد بهِ الى سنة ٦٩ ق.م. واستراحت سورية في تلك المدة واتفق ان الرومانيين كانوا يحاربون مثرِدانيس ملك بنتس فغلبوهُ واجبروهُ على ان يُخلّي عن سورية سنة ٦٩ ق.م. لكنهم لم يستولوا عليها حالًا فقام ابن ايوسيبيس المذكور وهو انطيوخس الملقب باسيائقُس اي الاسيّ وملك سورية واستبد بملكها الى سنة ٦٥ ق.م. وحينئذٍ قدم عليهِ پمپيوس عظيم رومية واستولى على البلاد بلا مانع فامست ولايةً من مملكة

الرومانيين كما سياتي في محلهِ وانقرضت بذلك مملكة السلوقيين بعد ان استمرت نحو ٢٤٧ سنة

الفصل الرابع

في تاريخ اليهود من سبي بابل الى سقوط اورشليم

رجوع ٤٢٠٠٠ من اليهود من سبي بابل سنة ٥٣٦ ق.م ١. قد ذكرنا في اخبار الفرس (ف٣ رقم ٤) ان كورش لما استولى على بابل أمر برجوع اليهود من السبي وكان ذلك سنة ٥٣٦ ق.م. فرجع حينئذٍ نحو ٤٢٠٠٠ نسمة وسكنوا اورشليم وشرعوا يرممون الهيكل بعد سنتين بهتاف كل الشعب وفرح عظيم (راجع سفر عزرا). لكن العمل لم يتم سريعًا لان سكان السامرة حسدوهم واعاقوهم كثيرًا وبقيت الحال كذلك الى ملك داريوس الاول وكانت مقاومة الاعداء قد اشتدت عليهم فاخبروا الملك ان اليهود يقصدون الخيانة وحرضوهُ على توقيف العمل. اما داريوس فلدى البحث عن امرهم اثبت لهم امتيازاتهم من قبل كورش فتم الهيكل الثاني في السنة السادسة من ملكهِ اي سنة ٥١٦ ق.م. وهي السبعون بعد الخراب الاول

تتميم الهيكل الثاني سنة ٥١٦ ق.م

مجيء عزرا ومعهُ ١٧٧٧ نفس سنة ٤٥٦ ق.م ٢. ولم يرد ذكر امور اليهود الا بعد ٥٨ سنة من ذلك. ثم سار عزرا من بابل الى اورشليم ومعهُ ١٧٧٧ نفسًا منهم العائلة الملكية. واخذ يصلح الامور ويحرِّض الناس على حفظ شريعة الله وكان قوم منهم قد تزوجوا نساء وثنيات. فحملهم على تطليقهنَّ اذ كانت هذه الزيجة مخالفة للشريعة. وفي سنة ٤٤٥ ق.م. اتى نحميا الذي كان مكرمًا في دار ملك الفرس وطلب الذهاب الى اورشليم رغبة في بلادهِ وحبًّا لاخوتهِ اذ سمع انهم في غاية الذل والهوان فاذن الملك له في الذهاب وعينهُ واليًا على اليهود. فلما وصل شرع يرمم اسوار المدينة وكانت لم تزل مهدومة منذ عهد نبوخذناصر وقاومهُ في ذلك سنبلط رئيس السامريين

مجيء نحميا سنة ٤٤٥ ق.م

وغيرهُ وهددوهُ وبذلوا جهدهم في توقيف العمل وقصدوا محاربة اليهود فجهز نحميا قومهُ باسلحة فثبتوا حتى تم العمل وامن الناس تعديات الاعداء

٣. واستراحت البلاد في ايام نحميا وارْتزركسيس الاول ملك الفرس وذلك من سنة ٤٦٥ الى سنة ٤٢٥ ق.م. وكان بعد ذلك الحبر الاعظم رئيس الشعب الديني والسياسي على انهُ كان خاضعًا لملك الفرس. ولم يكن كل الاحبار اصحاب تقوى واستقامة. فانهُ كان رجل اسمهُ يوناثان او يوحنا سنة ٣٦٦ ق.م. الحبر الاعظم وكان لهُ اخ اسمهُ يشوع فرشا هذا باغواس احد قواد الفرس على ان يعزل اخاهُ ويقيمهُ مكانه فتخاصم الاخوان وقتل يشوع في الهيكل. فانتقم باغواس من اليهود ودخل قدس الاقداس وعين مكسًا فاحشًا على كل خروف قدّم ذبيحةً وكان يهوياداع بن يوناثان الحبر لما تقدم اسكندر الكبير الى سورية سنة ٣٣٢ ق.م. فدعاهُ الى الطاعة فأبى قائلاً انهُ مطيع لداريوس فاغتاظ اسكندر ولما انتهى من افتتاح صور وغزّة كما مرّ (كتاب ٣ قسم ١ ف ١ رقم ١٤—١٥) قصد اورشليم بغية تأديب اليهود ثم امتنع. قال يوسيفوس ان الكهنة وفي مقدمتهم الحبر خرجوا بموكب عظيم لاستقبال اسكندر حين قدومهِ فاكرم هذا الحبر لانهُ كان قد رآهُ في حلم يحثّهُ على مهاجمة الفرس لكن تلك قصة ما على صحتها من دليل والمحقق ان اليهود فازوا ببعض امتيازات من اسكندر منها رفع الجزية عن البلاد في كل سنة سبتيّة اي كل سنة سابعة وحينئذٍ انتهى تسلط الفرس على اليهود ولم يكن ثقيلاً عليهم فانهم سكنوا فيهِ بالراحة وزادوا عددًا وثروةً

النزاع بين يوناثان واخيهِ وقتل الاخير سنة ٣٦٦ ق.م

ذكر مجي اسكندر الى اورشليم

امتيازاتهم من اسكندر

٤. وتسلط على اليهود بعد موت اسكندر بطلميوس صوتير واستمروا في طاعتهِ وطاعة خلفائهِ اكثر من مئة سنة وفي هذه المدة كلها لم يثقل عليهم نير المتسلّط الاّ نادرًا ولم يزل احبارهم ينوبون مناب الولاة كالسابق ومنهم اشتهر سيمون الذي كان الحبر الاعظم في نحو سنة ٣٠٠ ق.م. وكان مستقيم السيرة فلقبوهُ بالعادل واصلح خدمة العبادة وزخرف الهيكل وحصّن المدينة. وخلفهُ اخوهُ اليعازر قيل انهُ ساعد بطلميوس فلادلفوس في ترجمة التوراة الى اليونانية. واحسن هذا الملك كثيرًا الى اليهود وبعث بهدايا ثمينة الى الهيكل. واشتدت وُثُق المودة بين الامتين. وفي نحو سنة ٢٥٠ ق.م. كان اونياس الثاني ابن سيمون حبرًا وابى ان يؤدي الجزية الى ملك مصر فكاد يشتد ضيق اليهود بسبب ذلك لان الملك قصد تأديبهم. وذهب يوسف ابن اخ لاونياس الى مصر واحسن التصرف فصرف

تسلط مصر على اليهودية

حكم سيمون العادل نحو سنة ٣٠٠ ق.م

غيظ الملك فرضي عنهُ ولما طلب يوسف اليهِ ضمان خراج اليهودية والسامرة وفينيقية ونكفل بان يؤدي فيهِ اكثر من سواهُ سألهُ الملك قائلاً من كفيلك قال انت ايها الملك وقرينتك الجليلة فتعجب الملك من جراءتهِ لكنهُ سرَّ بهِ كثيرًا ومنحهُ ما أراد وبقي يوسف في ما كان عليهِ من رضى الملك والامانة لهُ نحو عشرين سنة وكان بالحقيقة رئيس اليهود السياسي مع كون الحبر الاعظم الرئيس الديني وصار يوسف واهل بيتهِ من معتبري اليهود وافلحوا كثيرًا ايام حكم البطالسة ثم قام انطيوخس الكبير على مملكة سورية ورام سلب فلسطين وما يليها من يد البطالسة لكنهُ انكسر في رافيا سنة ٢١٧ ق.م. (راجع ف٣ رقم ٣٠) وصعد بطلميوس فيلوباتور الى اورشليم وقدم تقدمة في الهيكل واراد الدخول الى قدس الاقداس فمنعهُ الحبر وقيل ايضًا انهُ وقع مفلوجًا في الدار فاغتاظ الملك وظلم اليهود بعد ذلك فانقطعت المودة بين الامتين

ریاسة یوسف

نزاع انطيوخس الكبير وبطلميوس سنة ٢١٧ ق.م

٥٠ ولما غلب انطيوخس ملك مصر واتى الى اورشليم استقبلهُ اليهود بسرور وفتحوا لهُ الابواب وكان ذلك سنة ١٩٨ ق.م. فاحسن اليهم انطيوخس واحترم حقوقهم وفرائضهم الدينية واورد ما يجب لخدمة الهيكل واستراحت البلاد في ما بقي من ملك انطيوخس وفي اول ملك خليفتهِ سلوقوس غير انها بقيت موضوع النزاع لدولتي سورية ومصر وكانت عاقبة ذلك الانشقاق بين الاهالي فمال بعضهم الى مصر والاخر الى سورية وحدث قبل موت يوسف المذكور ان هركانس ابنهُ الاصغر نازع اخوتهُ اموال ابيهم وبرطل ملك مصر فتحزَّب لهُ قسم ذلك اخوتهُ ونتج عن ذلك مشاجرات شديدة قتل فيها اثنان منهم فهرب الى عبر الاردن حيث كان جابي الخراج واشتد الخصام عند موت يوسف لكنَّ اونياس الثالث وكان يومئذٍ الحبر أيَّد امر بقية الاخوة دون هركانس فهرب الى حشبون وهو حصن في عبر الاردن وبقي يغزو جيرانهُ الى ان قتل نفسهُ فأُخذت الأموال من خزانة الهيكل .

استيلاء انطيوخس على اورشليم سنة ١٩٨ ق.م

نزاع بني يوسف

وكان للهيكل حينئذٍ وكيل غير رئيس الكهنة اسمهُ سمعون ولعلهُ احد بني يوسف المذكور فتخاصم هو والحبر على تلك الكنوز فكان من سمعون انَّ حرك سلوقوس الرابع ان ياخذها فبعث امين صندوق المملكة الى اورشليم لهذه الغاية لكنهُ لم يحصل على مرادهِ بل ضربهُ البعض وكاد يقتلهُ لمحاولتهِ دخول الهيكل فرجع الى صاحبهِ خائبًا والتزم سمعون ان يتوجه الى انطاكية ليجاوب عما حدث وكان هناك لما تبوأ انطيوخس ابيفنيس العاتي الذي اتى كلَّ نوع من الظلم والاهتضام في سياستهِ لليهود (انظر ف٣ رقم ١٨)

سمعون وكيل كنوز الهيكل يريد تسليمها الى سلوقوس الرابع

٦. وقام انطيوخس سنة ١٧٥ ق.م. واول ما فعلهُ من جهة اليهود انهُ باع وظيفة الحبر الاعظم ليشوع اخي اونياس الثالث وكان يشوع مولعًا بعوائد اليونان وعمد الى تغيير تراتيب اليهود القديمة وادخال فساد اليونان فيها فغير يشوع اسمهُ وسمى نفسهُ ياسون وانشأ في اورشليم ملعبًا وميدانًا لعب فيهِ اهل الفساد من الفتيان وتصارعوا عراة كعادة اليونان . وعمَّ فسادهُ العامة والكهنة فانهم هاموا في اودية الرذائل لما رأوا رئيسهم من ائمة الاثم والمعصية فاهملوا الخدمة الدينية ولما نزل بعض الشبان الى صور ليحضروا عيد الاله هرقل هناك بعثوا معهم تقدمة من الهيكل . ولم يبقَ ياسون على ما كان عليهِ لان اونياس (وهو اخوهُ على قول يوسيفوس) اشترى الرتبة الحبرية باكثر مما اشتراها ياسون بهِ ثم غير اونياس اسمهُ وسمى نفسهُ منلاوس وهو اسم يوناني ولما لم يكن لهُ ما هو كافٍ لان يرشي بهِ انطيوخس باع بعض آنية الهيكل. ولما عُرِف امرهُ حدث شغب واضطراب عظيم في اورشليم ومع ذلك منلاوس ثبت في مقامهِ لكثرة ما أدّى من الرشوة . وعند غياب انطيوخس في مصر سنة ١٧٠ ق.م. رجع ياسون الى اورشليم بالف جندي واستولى عليها وحاصر منلاوس بالبرج وقتل كثيرين لكنهُ لم يتمكن من التسلط التام على المدينة فرجع انطيوخس من مصر الى اورشليم ساخطًا فاخذ يقتل الذين لم يكونوا من حزبهِ ونهب الهيكل واخذهُ منلاوس الى المقدس من حيث نزع المذبح المذهب والمنارة وجميع الآنية وسلب الخزانة وكان فيها ١٨٠٠ وزنة وعيَّن لحفظ المدينة يونانيًا اسمهُ فيلبس وكان جافيًا ظالمًا دنس حين مرور انطيوخس في السامرة هيكل السامريين في جبل جرزيم واقام والِيًا يونانيًا في البلاد وكان ذلك سنة ١٧٠ ق.م

انطيوخس يبيع وظيفة الحبر الاعظم

امر يشوع او ياسون

امر اونياس او منلاوس

دخول انطيوخس الى اورشليم وتدنيسهُ الهيكل

٧. وقسا فيلبس المذكور في حكمهِ لكنهُ لم يبلغ ظلم انطيوخس الى ان رجع من مصر سنة ١٦٨ ق.م. (راجع ف ٣ رقم ٢٧) ولما عاد ساخطًا صمَّم على النقمة الشديدة من اليهود فبعث انطيوخسُ لاجراء مقاصدهِ قائدًا يسمى أبولونيوس . وجهزهُ بعسكرٍ كثير فاتى اورشليم وانتظر حلول السبت ولما صار دخل المدينة وسرَّح جنود ينهبون ويقتلون كما شاءوا فقتلوا الرجال واستعبدوا النساء والاولاد وهدموا الاسوار واحرقوا البيوت ثم حلوا في البرج على جبل صهيون وحصنوهُ ليتمكنوا من تسلطهم التام على المدينة. ثم شرع انطيوخس يلغي دين اليهود واكرههم على دين اليونان فبعث الى اليهودية في هذا الشان رجلًا شديد القساوة والتعصب يسمى أثينيوس فلما بلغ اورشليم اقام في الهيكل مذبحًا

صعود انطيوخس ايضًا سنة ١٦٨ ق.م

نهب جنودهُ المدينة

ارسال انطيوخس اثنيوس لابادة عبادة اليهود في كل البلاد

لزفس وتمثالاً له وقدم له ذبائح من الخنازير وأكره الناس على المشاركة فيها وهذا ما اشار اليهِ دانيال النبي باقامة رجس المخرّب في المقدس (انظر دا ١١: ٣١) ثم جعل هذا الظالم يكرهُ اليهود في اماكن مختلفة على اتمام الفرائض الوثنية ومنعهم من حفظ السبت وختان اولادهم وكان يقتل من خالفهُ بعد عذابٍ شديد قيل ان امرأتين ختنتا ابنيهما فاهلكهما والابنين بان علقها وعلق الطفلين بعنقيهما ورووا عنهُ غير ذلك من الاعمال الفظيعة التي يقشعرُّ القارئُ من سمع خبرها فبلغ من الظلم حدًّا لا يحتمل فقام المكابيون لردعهِ كما سترى

اخبار المكابيين والدولة الاسمونية

٨. لما عظم الاضطهاد بامر انطيوخس في اورشليم هرب من استطاعوا من المدينة

متاثيا وبنوه الخمسة المكابيون او الاسمونيون

وكان منهم كاهن اسمهُ متَّاثيا من نسل يهوياريب (١ اي ٢٤: ٧) نزل الى وطنهِ مدينة تسمى مودين في نواحي بلاد الفلسطينيين وكان له خمسة بنين يوحنا وسيمون ويهوذا والعازر ويوناثان. وكان انبه يهوذا مكَّبيوس فنسب اليهِ القوم فعرفوا بالمكابيين لكنَّ عائلتهُ عرفت بالاسمونية نسبة الى احد سلفائهم وكان متَّاثيا في مودين لما اتى الى هناك رسول الملك لاكراه الناس على العبادة الوثنية فبنى مذبحًا وأمر السكان ان يذبحوا للالهة الغريبة وقال ان لم يمتثلوا امرهُ قتلهم فاراد بعضهم ان يطيع امر الملك فقام عليهِ متاثيا وقتله وقتل رسول

مقاومة متاثيا رسول الملك

الملك ايضًا وهدم المذبح ونادى بالمدافعة عن الشريعة الموسوية. ثم التجأ الى بعض كهوف الجبل وانتدب اليهِ قومًا من ذوي الغيرة ولا سيما الذين اشتهروا بالغيرة للناموس فاشتدوا وقدموا على قتال العدو سنة ١٦٨ ق.م. وصار متاثيا رئيسهم وحثهم على المقاومة الشديدة والمقاتلة ولو في السبت اذا اقتضت الحال لكنهُ كان طاعنًا في السن

موت متاثيا سنة ١٦٦ ق.م

فمات عقيب ذلك سنة ١٦٦ ق.م. وخلفهُ ابنهُ يهوذا وكان فيهِ من الشجاعة وحسن التدبير ما يؤهلهُ لذلك. وكانت جنودهُ مع قلتهـا شديدة العزم على مقاومة العدو لانهُ اراد ابادة جنسهم ونسخ دينهم الطاهر فابدوا من الباس ما اوجب لهم المديح وقهروا جيوش

انطيوخس واذاقوهم كؤوس المنون

٩. واول ما كان من يهوذا انهُ درَّب جنودهُ بانهُ كان يهاجم العدو على غير انتظار وبينهم فنجح امرهُ وتشجع عسكرهُ واجتمع اليهِ الناس حتى أتى الحرب جهارًا فالتقى بجنود انطيوخس في بيت حورون حيث قهر يشوع الاموريين في القديم (راجع يش ص ١٠) وهزم السوريين شرَّ هزيمة مع قلة رجالهِ. فلما سمع انطيوخس احترق غيظًا وعين ليسياس احد قوادهِ لمحاربة اليهود وجهزهُ بجنود كثيرة فقدم ليسياس للمحاربة بنحو ٤٠٠٠٠ راجلٍ و٧٠٠٠ فارس واتى نحو ٣٠٠٠٠ من هولاء الى عمواس بين اورشليم ويافا . اما يهوذا فكان في مصفاة ومعهُ نحو ٦٠٠٠ رجل . ولما قدم العدو لم يثبت معهُ الاَّ نحو ٣٠٠٠ اذ ناداهم كما نادى جدعون قومهُ قائلاً من كان خائفًا فليرجع وسمع يهوذا بان فرقة من العدو كانت آتية ليبيّتهُ فسار ليلاً وجانبهم وكبس من بقي في المحلة وهزمهم الى نواحي اشدود ثم رجع طالبًا من انوا ليبيّتوهُ فهربوا لما عرفوا ما صار باخوتهم وغنم يهوذا ومن معهُ غنيمة فاخرة فانهُ كان بين الاسرى بعض النخاسين وقد حضروا القتال ليشتروا من يؤسر من اليهود فأتوا بمال كثير لهذه الغاية فغني اليهود منهم وعاقبوهم بمثل ما قصدوا في اليهود اي باعوهم عبيدًا

بكثار تعدية

حرب بيت حورون

قدوم ليسياس الى عمواس

فشل عسكره

١٠. ثم استولى اليهود على حصون جبل جلعاد المنيعة وفي السنة التالية قهر يهوذا ليسياس نفسهُ في بيت صور بين حبرون واورشليم وكان مع ليسياس نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل فارتد منهزمًا ثم استولى يهوذا على اورشليم سوى البرج وطهَّر الهيكل واقام الخدمة الدينية فيهِ لثلاث سنين منذ الغاها انطيوخس وكان ذلك سنة ١٦٥ ق.م. (راجع رقم ٧). ولما اخذ بعض الامم المجاورة يضايقون من طالت ايديهم من اليهود شنَّ يهوذا الغارة عليهم كالادوميين وبني عمون فكسرهم وانتقم منهم. ثم سار في جيشٍ الى عبر الاردن وغلب السوريين في جلعاد واخضع البلاد باسرها ونقل اليهود الساكنين فيها الى اليهودية بغية حمايتهم وفي اثناء ذلك بعث اخاهُ سمعون الى الجليل ومعهُ نحو ٣٠٠٠ راجل فقهر العدو وخلص اليهود من ضيقاتهم. ولكن اليهود الذين في اليهودية انهزموا لانهم ناوشوا السوريين في غيبة يهوذا بغير امرهِ توهمًا انهم قادرون على المحاربة دونهُ لكنَّ يهوذا عاد فغلب السوريين. ولا ريب في ان نجاح اليهود كان متوقفًا على نباهة يهوذا وبأسهِ اكثر من غيرهِ . ومات انطيوخس سنة ١٦٤ ق.م. (راجع ف ٣ رقم ١٨) فلما بلغ ذلك ليسياس نائبهُ نادى بملك ابنهِ الصغير

اخذ حصون عبر الاردن

تطهير الهيكل سنة ١٦٥ ق.م

مساعي سمعون في الجليل

مسير ليسياس في ١٢٠٠٠٠ الف لنجدة المحصورين في اورشليم

واخذهُ معهُ وسار لنجدة السوريين المحصورين في برج اورشليم وكان جيشهُ عظيماً يبلغ نحو ١٠٠٠٠٠ راجل و٢٠٠٠٠ فارس وكان فيهِ ٣٢ فيلاً هالت قلوب اليهود واشتدَّ القتال عند بيت صور وكان اليهود قليلين بالنسبة الى الاعداء لكنهم لم يجبنوا واظهروا غاية الباس وابرز العازر اخو يهوذا من الشجاعة ما يقصر عنهُ الوصف فانهُ هاجم احد الافيال ودخل تحت بطنهِ وطعنهُ بسيفهِ فقتلهُ لكنهُ وقع الاول عليهِ فقتلهُ لكنَّ اليهود مع انهم ثبتوا واعجبوا في القتال لم يقدروا على قهر الاعداء لكثرة عددهم فارتدوا الى اورشليم وخضع بيت صورا للسوريين ثم تقدم ليسياس وحاصر اورشليم ولم يقدر على افتتاحها حتى سمع بقدوم فيلبس (راجع ف٣ رقم ١٩) فاراد ليسياس مصالحة اليهود لكي يرجع الى سورية فصالحوهُ اذ كانوا قد اشرفوا على الموت جوعاً وعاهدهم ليسياس بانهُ لا يضرهم ويطلق لهم الحرية الدينية ففتحوا الابواب فدخل السوريون ولم يقوموا بالعهد فهدموا سور الهيكل وعينوا انساناً يقال لهُ أَلْكِيمُس رئيس الكهنة على شرطِ انهُ يخضع لهم

وقوع بيت صورا بيد ليسياس

١١. ثم رجع ليسياس وانطيوخس الى انطاكية وقتلا هنالك بعد قليل سنة ١٦٢ ق.م. واخذ ديمتريوس الاول الملك فلما سمع بذلك الكيمس نزل الى انطاكية ليسالهُ فحصل على ما اراد واغوى ديمتريوس ان يوجه في صحبتهِ قائداً يسمَّى بكّديس في جيش جرار لمقاومة يهوذا في اورشليم واخذ بكديس يلاطفهُ لكنهُ لم يأمنهُ غير ان قوماً من اصحابهِ فملوا وخرجوا اليهِ فقتلوا فيئس بكديس من غايتهِ فعاد الى انطاكية فجهز ديمتريوس جيشاً آخر في مقدمتهِ رجل يسمى نيكانور ولاقاهُ يهوذا وقهرهُ فلاذ القائد بالبرج في اورشليم اذ كان في ايدي السوريين واستغاث بهم فامدوهُ فخرج لمحاربة يهوذا ولم يكن مع يهوذا سوى ١٠٠٠ راجل فاقتتلوا في اداسه في نواحي رمله واشتد القتال على يهوذا الا ان الله نصرهُ فقتل نيكانور وكلّ من معهُ واتى براس القائد وعلق بسور في اورشليم اما يهوذا فشاع صيتهُ وطلب معاهدة رومية يومئذٍ اجابتهُ فكتبت مشيختها الى ولاتها واعوانها ان يحترموا اليهود الا ان ذلك لم يجدِ يهوذا نفعاً لان كثيرين من حزبهِ حسبوا استغاثة الوثنيين حراماً واهانة لله وقدم بكديس سنة ١٦١ ق.م. في نحو عشرين الفاً ولم يستطع يهوذا ان يحشد اكثر من ٣٠٠٠ مقاتل ولما قرب القتال خرجوا عليهِ سوى ٨٠٠ منهم ومع ذلك لم يخف يهوذا ولحق العدو في نواحي اشدود وحمي وطيس القتال وثبت اليهود وقتاً طويلاً وكان آخر الامر ان نادى يهوذا رجالهُ قائلاً قد حضر اجلنا فلنمت كالابطال فحملوا على ميمنة

قدوم بكديس

رجوعه بلا نجاح

امر نيكانور

شهرة يهوذا

قدوم بكديس ايضاً في ٢٠٠٠٠

العدو حيث بكديس نفسهُ وكسروهُ وطردوهُ غير ان الميسرة دارت من خلفهم ولما كانوا قليلين احاط بهم العدو وقتل يهوذا واكثر رجالهِ وانتصر السوريون ولم يكن لهم في ذلك فخرٌ فانَّ اليهود فاقوهم شجاعةً وبأسًا ولاسيما يهوذا فكان يستحق ما مدح بهِ ليونداس بطل اليونان المشهور وكان ذلك سنة ١٦١ ق.م هلاك يهوذا

١٢. وتمكن بكديس من التسلط على اورشليم بعد موت يهوذا وظلم اليهود كثيرًا وثقل نيرهُ عليهم حتى استصرخ اليهود اخوة يهوذا فاجابوا ولم يبقَ منهم غير يوناثان وسيمون وقام الاول قائدًا عوضًا عن اخيهِ فحشد جيشًا جديدًا في البرية لانهُ لم يتجاسر ان يحارب جهارًا كاخيهِ فاقام في مستنقعة قرب الاردن ولما عرف بكديس بذلك اوقع باليهود في يوم سبتٍ لظنهِ انهم لا يقاومونهُ يومئذٍ فحرض يوناثان قومهُ على اشد قتال ففعلوا وقتلوا اكثر من الف من الاعداء ثم رموا بانفسهم الى النهر ونجوا الى العبر ورجع بكديس الى اورشليم خاسرًا ولما لم يرَ نجاحًا ترك البلاد مدةً لكنهُ رجع بعد ذلك وكان الفريقان يقتلان ويغزوان كل ما تيسر لها وبذل بكديس جهدهُ في ان يتمكن من يوناثان ولم يستطع ولا ان يخضعهُ فمل من الحرب وقطع معهُ عهدًا انهُ لا يقلق اليهود بعدُ فعاد الى بلادهِ ولم يرجع سنة ١٥٨ ق.م ظلم بكديس رئاسة يوناثان مواجهة بكديس اليهود بقرب الاردن

١٣. وحصل اليهود على السلام نحو ست سنين بعد ذلك وحكم يوناثان بالاستقامة واصلح ما امكن من الامور ثم وقع الخصام بين ديمتريوس واسكندر بالاس في ملك سورية (راجع ف ٣ رقم ٣٠) وتسابق الفريقان في ان يحزب يوناثان معهما فاطلق ديمتريوس اليهود المسجونين في البرج ورفع جانبًا عظيمًا من الجزية وقدم شيئًا كثيرًا لخدمة الهيكل واما اسكندر فعين يوناثان رئيس الكهنة عوض الكيمس وكان قد مات فقبل يوناثان واتفق مع اسكندر. ولما غلب هذا سنة ١٥٠ ق.م. عظم شان يوناثان وصار رئيس اليهود الديني والسياسي واحسن السيرة ونجح ولما استُؤنف الخصام في مملكة سورية سنة ١٤٧ ق.م. وطرد ديمتريوس الثاني اسكندر من الملك ثبت يوناثان في ما كان عليهِ مع انهُ كان حليف اسكندر سابقًا وسنة ١٤٥ ق.م. شرع يحاصر البرج على جبل صهيون الذي بقي كل هذه السنين بيد العدو ومكنهم من التسلط على المدينة ونهبها. ولما لم يقدر على افتتاحهِ عنوةً سوَّرهُ وسدَّ على من فيهِ وبقي الحصار نحو ثلاث سنوات تحزب يوناثان مع اسكندر واخذه رئاسة الكهنة سنة ١٥٠ ق.م

١٤. ثم انقلبت الامور في سورية (راجع ف ٣ رقم ٣٣) وقام تريفون وطرد ديمتريوس

قيام تريفون ومصادقته يوناثان اولا — واقام مقامهُ انطيوخس السادس وصالح يوناثان ولكن لما اراد تريفون عزل انطيوخس واغتصاب الملك عمد الى اهلاك يوناثان لئلاَّ يقاومهُ فاتى الى بطلمائس (اي عكا) ودعى يوناثان للمشاورة فلما جاء قبض عليهِ وقتلهُ سنة ١٤٤ ق٠م٠ واراد قتل سمعون ايضاً لكنهُ نجا فرجع تريفون واما سمعون فاخذ جثة اخيهِ ودفنهُ في مودين حيث دُفن جميع اخوتهِ

اخذ سمعون الرئاسة — وبنى عليهم ضريحاً فاخرًا ثم سدَّ مسدَّ يوناثان في الرئاسة وشدَّد الحصار على البرج ولم يكف عنهُ حتى افتتحهُ سنة ١٤٣ ق٠م٠ وهدمهُ ودكهُ دكًّا ونزع شيئًا من الصخرة من تحتهِ لئلاَّ تصير اساسًا لبرج بعدهُ فانهم احتملوا بهِ شدائد لا توصف ثم قوَّى اسوار المدينة ولا سيما

تاريخ ملك سمعون سنة ١٤٢ ق٠م — الاسوار المحيطة بالهيكل لكي يصير حصنًا منيعًا واحسن سمعون السياسة وحصل اليهود بعنايتهِ على استقلالهم فيؤرخ ملكهم من السنة الاولى لسمعون سنة ١٤٢ ق٠م٠ وتمتع الناس مدةً بالسلام بعد ان تضايقوا من اعدائهم سنين كثيرة واحتملوا مشقات لا مزيد عليها

١٥٠ واراد انطيوخس السابع الذي طرد تريفون اضافة اليهود الى مملكتهِ فبعث

هجوم انطيوخس السابع — اليها جيشًا هزمهُ ابنا سمعون فلم يعد انطيوخس يغزو اليهودية مدة حياة سمعون فانهُ كان قد غلظ امرهُ كثيرًا وجدد المعاهدة مع رومية وحالف السبرطيين لكنهُ غدر بهِ بطلميوس

قتل سمعون — زوج ابنتهِ صاحب اريحا بانهُ دعا سمعون وبنيهِ الى وليمة ثم قام على سمعون وقتلهُ وكانت غايتهُ ان يبيد كلَّ نسلهِ الا ان مقصدهُ لم يتم اذ كان يوحنا احد بنيهِ غائبًا فتولى الملك بعد سمعون وحدث ذلك سنة ١٣٥ ق٠م

ملك يوحنا هركانس سنة ١٣٥ ق٠م — وكان يوحنا يلقب بهركانس ولما استقام لهُ الامر سار بجيش الى اريحا للانتقام من بطلميوس وتخليص امهِ واخوتهِ منهُ فنازل المدينة ولما تضايق بطلميوس اخرج الام وبنيها واوقفهم على السور وصرَّح بانهُ يطرحهم الى اسفل ان لم يكف هركانس عنهُ. فنادتهُ امهُ وحثتهُ ان يبقى على ما كان عليهِ الى ان ينتقم من المذنب ولو هلكت هي وبنوها . لكنَّ هركانس كره ان يكون سبب هلاك احبائهِ فانصرف فلما علم بطلميوس بالفرج قتلهم جميعًا وهرب

محاصرة انطيوخس اورشليم — ١٦٠ ثم شرع انطيوخس يخضع اليهود وحاصر اورشليم محاصرة شديدة ولم يقدر ان يفتتحها لقوة اسوارها ونشاط اهلها. وفي اثناء ذلك كان عيد اليهود فطلب هركانس فترة فيهِ فسمح بذلك انطيوخس وقدم لهُ ذبيحة ثمينة فاثَّر ذلك في هركانس حتى وجه اليهِ يسالمهُ فاتفقا على ان هركانس يعترف بملك انطيوخس ويؤدي الجزية عن بعض المدن ويهدم

اسوار اورشليم ويقبل فيها حراساً من قبل انطيوخس غير انهُ بدل هذا الشرط الاخير بتأدية ٥٠٠ وزنة من الفضة. وتمّ ذلك سنة ١٣٣ ق.م. لكنهُ بعد قليل نجا اليهود من يد ملك سورية فانهُ لما سار انطيوخس الى محاربة الفرثيين لتخليص اخيهِ ديمتريوس سنة ١٢٨ ق.م. سار هركانس في صحبتهِ وتاخر عن جيش انطيوخس حين هزيمتهِ فعاد سالماً وانتهز الفرصة لاعادة استقلالهِ ولم يخضع لملوك سورية لتشويش امورهم. وكان ذلك سنة ١٢٨ ق.م. وهي السنة الاربعون بعد خيانة متاثيا جد هركانس

افتتاحها صلحاً سنة ١٣٣ ق.م

١٧. ولما انتظم لهُ امر المملكة عمد الى اخضاع القبائل المجاورة فاستولى على ما كان لبني اسرائيل عبر الاردن واوصل تخومهُ الى البحر المتوسط ثم اغار على الادوميين الذين تعدوا على تخوم اليهودية الجنوبية واجبرهم على الختان وسائر سنن اليهود ليزيل جنسيتهم وبهذا تم ما قيل في تك ٢٧: ٤٠ "ولاخيك تستعبد" لان الادوميين هم بنو عيسو وسترى اتمام ما بقي من الآية اي ان عيسو حين يجمح يكسر نير يعقوب من عنقهِ فان اليهود احتملوا مشقات ثقيلة بعد هذا من تسلط دولة ادومية عليهم. واخضع هركانس السامريين وخرب هيكلهم على جبل جرزيم لمضي مئتي سنة بعد بنائهِ واراد بذلك ابادة تلك العبادة الفاسدة التي كان السامريون يعيرون اليهود بها. وحاصر مدينة السامرة وضايقها فاستصرخ اهلها ملك سورية الذي امدهم بجيش فلما عرف بقدومهِ ابنا هركانس القائمان بحصار المدينة اسرعا الى لقاء جيش السوريين وهزماهُ ثم رجعا الى السامرة فساءت حالها واشتد ضيقها فسلمت سنة ١٠٩ ق.م. فخربها هركانس وتركها نقعاء وضم ارضها الى مملكتهِ واضاف اليها الجليل فصارت مملكة ذات شان تكاد تكون كمملكة داود وزخرف هركانس اورشليم وحصنها وعظم شانهُ كثيراً لكنهُ حدث في اواخر ملكهِ مشاجرات اقلقتهُ وانشقت بها الامّة بعد موتهِ. وصدر ذلك الانشقاق من الفريسيين والصدوقيين وكان هركانس من الفريسيين وهم فرقة شديدة التعصب والتمسك بفرائض الدين وقد زادوا على ما رُسم في التوراة شيئاً كثيراً وحدث ذات يوم ان هركانس أولم لارباب تلك الشيعة وفي اثناء سرورهم خاطبهم في شان حكمهِ الديني والسياسي وابان لهم انهُ طالما بذل جهدهُ في نفع الامة وقال لهم ان كان عليهِ شيء فليقدموهُ فاثنوا عليهِ ثناء حسناً لكنّ احدهم نهض وقال لهُ ان اردت ان تسلم من الغلط والعيوب فاعتزل رتبة الحبر الاعظم واكتفِ بالملك السياسي فقال ما سبب ذلك قال "انّ امك كانت سبيّةً غير يهودية حرّة" وهذا لم يكن حقاً على ما يظهر فاغتاظ

توسيع هركانس تخومهُ

تخريبهُ الهيكل على جبل جرزيم

افتتاح السامره سنة ١٠٩ ق.م

شيعة الفريسيون

اهانة هركانس من بعضهم

موتهُ سنة ١٠٦ ق٠م بعد ملك ٣٩ سنة

هركانس ومن معهُ من ذلك الافتراء الشنيع غير انهُ ظنَّ ذلك لم يكن من التكلم وحدهُ وان الفريسيين هم الذين اغروهُ بهِ فاتهمهم وقوّى ظنهُ ذلك الصدوقيون لحقدهم فنشأ الانشقاق وصار بعد قليل علة شرٍّ عظيم وهلك هركانس سنة ١٠٦ ق٠م٠ بعد ان ملك ٣٩ سنة

الدولة الحشمنية

ملك ارستبولس الاول

١٨٠ ولم يقم بعدهُ من حكى المكابيين في الحمية والاباء واخذت الدولة التي اسسها سيمون تتوغل في الشرور وتضعف الى ان انقرضت ولُقِّبت بالاسمونية او الحشمنية تمييزًا عمّن سبقها من المكابيين الذين لم يسموا ملوكًا. وقام بعد هركانس ابنهُ أرستبولس وهو اول من لبس التاج من دولتهِ واتخذ كل ما يتعلق بالملك بخلاف من سلفهُ فكان رئيس الكهنة ايضًا واول ما فعلهُ بعد ملكهِ انهُ اعتقل امهُ واخوتهُ سوى أنتغنسس فانهُ احبهُ واكرمهُ لكنَّ الناس سعوا بهِ الى الملك واتهموهُ بانهُ يريد الملك فحقد عليهِ ارستبولس ووضع لهُ كمينًا بقرب باب قصرهِ وأمر بقتلهِ ان اتى متسلحًا لكنهُ بعث اليهِ يخبرهُ بما امر ان لم يرد موتهُ لحبهِ لهُ اما امهُ فقيل انها اغوت الرسول ان يخبر بخلاف ذلك لانها حقدت على انتغنسس فوقع بالكمين وهلك وكان الملك مريضًا وداؤهُ شديدًا فلما علم بموت اخيهِ ندم واضطرب لما اتاهُ من الظلم. فانفجر احد عروقهِ وسال دمهُ من فيهِ وحمل احد غلمانهِ الدم في طاس الى خارج واتفق انهُ عند وصولهِ الى حيث سفك دم انتغنسس زلت قدمهُ فوقع الطاس من يدهِ فسال دم الملك وامتزج بدم اخيهِ فصاح الغلام وبلغ خبرهُ الملك فاستولى عليهِ الروع الشديد فهلك بعذابٍ لا يوصف سنة ١٠٥ ق٠م

موت ارستبولس فجأة سنة ١٠٥ ق٠م

ملك اسكندر ينيوس

موازرة كليوبطرا لاسكندر

١٩٠ وخلفهُ اخوهُ اسكندر ينيوس ولما انتظم لهُ الامر اراد افتتاح غزة وصور وبطلمائس وهاجم بطلمائس اولاً فاستنجدت بطلميوس لاثرُس ملك قبرس (راجع ف٢ رقم٣٢) فاجاب الطلب واتى بجيش عظيم وكانت الكرة على اسكندر وقتل من اليهود نحو ٣٠٠٠٠ فاستصرخ كليوبطرا ملكة مصر فسارت الى اليهودية لمعونتهِ اذ توقعت الشر من لاثرس اذا ظفر. ولما اتت انقذت اسكندر من الهلاك غير انها ارادت ان يخضع لها فاستدعتهُ لمحلها بغية القبض عليهِ والاستيلاء على مملكتهِ لكنهُ منعها من ذلك بعض اليهود من قوادها. وكان ذلك سنة ١٠١ ق٠م. فنجا اسكندر وتمكن من التسلط على اليهودية وعلى بعض مدن لم تكن خاضعة لهُ قبلاً ومنها غزة افتتحها غيلةً واحرقها وقتل كثيرين وابدى في سياستهِ من الظلم ما حمل الناس على بغضهِ ولاسيما الفريسيون الذين

هدمهُ غزة

مشاجرتهُ مع الفريسيين
وقع الخلاف بينهم وبين ابيهِ كما مر وحدث انهم رموهُ في عيد المظال بالترنج وعيروهُ فحمي غضبهُ وقتل ٦٠٠٠ منهم ولم يركن الى شعبهِ بل استاجر عسكرًا اجنبيًّا بحمايةٍ وشن الغارة على العرب سنة ٩٤ ق ٠ م ٠ فغلب اولاً لكنهُ انهزم اخيرًا ولما رآهُ الناس على هذا الحال خانوهُ وبقيت الخيانة ست سنين فقتل اسكندر نحو خمسين الفًا من اليهود فلاذ بعضهم

خيانة اليهود
بديمتريوس ملك سورية فقدم الى شكيم فخرج اسكندر لمحاربتهِ وانكسر وهلك اكثر مستاجريهِ ونهقر اليهود وهرب اسكندر الى الجبال وكان مشرفًا على الهلاك لكن اليهود الذين خانوهُ

مهاجمة ديمتريوس ورجوعه
ولاذوا بديمتريوس لم يريدوا انهُ يستولي على اليهودية فخذلوهُ فرجع اضطرارًا الى الشام وكان ذلك سنة ٨٩ ق ٠ م ٠ ثم عاد اسكندر وقتل عددًا عظيمًا من العصاة واخذ البعض اسرى الى اورشليم ولما كان يسرُّ مع سراريهِ في وليمة التذكار لنصراتهِ دعا ٨٠٠ رجل منهم

قتل الخانة بكل قساوة
وصلبهم على مرأًى من الجميع وامر بذبح نسائهم واولادهم امام اعينهم فهجر لهذا الجور الوطن نحو ثمانية الاف لكنهُ أَمِن الخيانة بعد ذلك وسار لمحاربة بعض القبائل شرقي الاردن فمات في اثناء محاصرتهِ حصنًا هنالك سنة ٧٨ ق٠م

ملك اسكندرة امراته
٢٠٠ ولما ايقن حلول الاجل استدعى اسكندرة امرانهُ واوصاها ان تستولي على الملك بعدهُ وتصالح الفريسيين وتلاطفهم اذ تحقق ان لا سلام ولا راحة لمن لا يسالمهم ٠ فسلكت اسكندرة كما اشار عليها وسلمت نفسها لمشورتهم فاقاموا لاسكندر جنازة فاخرة وعضدوا يدي اسكندرة

هركانس رئيس الكهنة وارستبولس قائد الجيش
وكان لاسكندر ابنان هركانس وأَرستبولس فصار الاول وهو البكر رئيس الكهنة وصار الثاني قائد الجيوش. اما الفريسيون فلما غلظ امرهم اخذوا ينتقمون من الصدوقيين الذين ضايقوهم ايام الملك السابق فقتلوا من شاءوا منهم باذن الملكة وكان هركانس من حزبهم واما ارستبولس فعكف على الصدوقيين وطالب الى امهِ ان تحميهم من جور الفريسيين فسلمت اليهم اكثر الحصون في البلاد فامتنعوا فيها وكان عاقبة ذلك انهم اختلفوا بعد موتها الَّا انها استراحت في ايامها لفطنتها في معاملة الحزبين ٠ ولما رأَى ارستبولس امهُ قد

موت اسكندرة سنة ٦٩ ق٠م
قربت من الوفاة عزم على اختلاس الملك عند موتها دون اخيهِ الاكبر فخرج من اورشليم ليلاً وانطلق الى الحصون حيث كان اصحابهُ واظهر قصدهُ فاجتمعوا اليهِ جميعًا وماتت امهُ سنة ٦٩ ق٠م٠ وهو مستولٍ على اكثر الحصون

٢١٠ وملك هركانس من بعد امهِ وخرج لمحاربة ارستبولس فانهزم ولجأَ الى اورشليم

ملك ارستبولس الثاني سنة ٦٩ ق.م

واتى اخوهُ وحاصرهُ فيها ولما كان هركانس غير راضٍ بالحرب عرض على اخيهِ المسالمة على شرط ان يكون الحبر الاعظم وارستبولس ملكًا فاجابهُ ارستبولس الى ذلك وصار ملكًا سنة ٦٩ ق.م

ظهور انتباطر الادومي

ثم ظهر انسان ادومي اسمهُ انتيطر وكان قد هاد في عهد اسكندر فولاَّهُ على ادومية وكان غنيًّا ورغب في الارتقاء والرئاسة فلما راى ما في هركانس من اللطف والبساطة ملقهُ وذم لهُ اخيهِ وقال انهُ قد ظلمهُ بان حرمهُ الملك بغير حق وما اتى تلك الفتنة الّا ليهيج هركانس على اخيهِ فيحاربهُ فيفوز هو بان يكون وزيرهُ فلم يبالِ هركانس بما قال فأخذ يفهمهُ بان اخاهُ يريد قتلهُ واشار عليهِ ان يلجأ الى الحارث ملك العرب فيخفرهُ لانهُ كان صديقًا لانتيطر ففعل هركانس ذلك خوفًا فرحَّب بهِ الحارث وحملهُ انتيطر على ان يحارب ارستبولس. فسار الحارث في خمسين الف مقاتل الى اليهودية وغلب ارستبولس وحاصر اورشليم وبذل قوم هركانس جهدهم في افتتاحها واتوا بشيخ مشهودٍ لهُ بالتقوى اعتقدوا انهُ مستجاب الدعاء وسألوهُ ان يطلب الى الله ان ينصرهم على ارستبولس ويفتح المدينة فابى الشيخ ان يدعو على اخوتهِ بالشرّ ولما الحوا عليهِ قال يا الله ملك الكون اطلب اليك انك لا تستجيب لدعاء الفريق الواحد على الآخر فصاحوا بهِ وقتلوهُ فادركهم العقابُ سريعًا

اثارة الحارث الحرب على اليهودية

امر الشيخ الموقر

مجيء اسكارس

فانهُ اتى سورية حينئذٍ إسكارُس نائب بمبيوس عظيم رومية ليستولي عليها فبعث الفريقان الوفود اليهِ يستنجدانهِ ولما رأى اسكارس ان ارستبولس كان صاحب اورشليم واقدر على الرشوة سمع لهُ وامر هركانس وقومهُ ان يرجعوا عنهُ فاطاعوا ولما ارتد الحارث مع جيشهِ حشد ارستبولس جنودًا وتبعهُ وضربهُ ضربة شديدة فانتقم منهُ كما اراد وكان ذلك سنة ٦٤ ق.م

تحزبهُ مع ارستبولس

مجيء بمبيوس وتقديم الحزبين الهدايا

٢٣. ثم قدم بمبيوس واقام في دمشق فوفد عليهِ ارستبولس وهركانس وقدما لهُ الاكرام والهدايا النفيسة وكان من جملة ما اهداهُ ارستبولس جفنة من ذهب عجيبة الصنعة قيمتها ٥٠٠ وزنة ورفع كلٌّ منهما دعواهُ اليهِ بالملك. فلم يسمع لاحدٍ منهما في اول الامر بل امرهما ان يخضعا لهُ الى ان يفرغ من محاربة العرب وشرع في ذلك سنة ٦٣ ق.م

خيانة ارستبولس

اما ارستبولس فظن ان بمبيوس يميل الى حزب اخيهِ فخرج عليهِ واستعد لمقاومتهِ فحوَّل بمبيوس عن المسير الى العرب ودخل اليهودية واكره ارستبولس على تسليم جميع حصونهِ فهرب حينئذٍ الى اورشليم واعتصم فيها لكنهُ لما قدم بمبيوس خرج اليهِ وسلمهُ المدينة

اما الكهنة فلاذوا بالهيكل الذي كان غاية في الحصانة وامتنعوا فيهِ فالتزم بمبيوس ان يقيم عليهِ الادوات المجوفية وطال الحصار لان الكهنة دفعوا عنهُ بشدة وعنف لكنهم كانوا يقعدوا عن ذلك في السبوت فانتهز الرومانيون الفرصة ليقربوا الى الاسوار ويضربوها فبقي الحصار نحو ثلاثة اشهر وكان الكهنة في اثناء ذلك يقومون بالفروض الدينية غير مكترثين بما يجري حولهم من القتل والويل وحين كانوا يفرغون من تلك الواجبات يخرجون للقتال ويبدون من الباس ما يحيّر الاعداء ولما تمكنت المجانيق من ثقب الاسوار دخل الرومانيون الى الهيكل واعملوا السيف بلا شفقة فقتلوا اصحابهُ وهم يخدمون المذبح ودخل بمبيوس الى قدس الاقداس فاخذهُ العجب والحيرة اذ لم يرَ فيهِ شيئًا لانهُ كان يظن انهُ لابد من تمثال لاله اليهود كما لسائر الامم فلم يعلم ان اليهود يعتقدون ان الله لا يُرَى ولا يُمثَّل واعجبتهُ الذخائر الفاخرة التي وجدها في الهيكل لكنهُ احترمها ولم يسلبها وكان ذلك سنة ٦٣ ق.م

دخول بمبيوس الى اورشليم

افتتاحهُ الهيكل

تعجب بمبيوس مما رآه فيهِ

٣٢. فخضعت اورشليم واليهودية لرومية واقام بمبيوسُ هركانسَ حبرًا ورئيسًا سياسيًّا على انهُ يطيع رومية غير انهُ فصل عن حكمهِ كل ما استولى عليهِ المكابيون خارج اليهودية. واقام اسكورس حاكمًا عامًّا على كل سورية من الفرات الى تخوم مصر. ثم توجه بمبيوس الى رومية واخذ معهُ ارستبولس واولادهُ وهم اسكندر وانتغنوس وابنتين اما اسكندر فنجا ورجع الى اليهودية وحشد جيشًا سنة ٥٧ ق.م. واستولى على بعض الحصون واخذ يغزو البلاد فأتى القائد غابينيوس من قبل الرومانيين فلم يلبث ان قهرهُ والزمهُ ان يمتنع في حصونهِ ولما ضاق بهِ الامر طلب اليهِ الامان ووعدهُ بتسليم جميع حصونهِ فامنهُ غابينيوس من اجل امهِ التي كانت امينة للرومانيين وثبّت هركانس في رئاستهِ الا انهُ غير نظام السياسة بأن الغى المجمع العام وقسم البلاد الى خمسة اقسام واقام في كل قسم منها مجمعًا تدبر امورهُ تحت نظر الرومانيين فبطل حكم الملوك ولكن امور البلاد لم تسكن لان ارستبولس نجا من رومية ومعهُ انتغنوس وصار يرمم الحصون ويجمع العساكر واجتمع اليهِ اناس فقاتلهم الرومانيون فانهزم ارستبولس وانتغنوس ووقعا في يد غابينيوس فارسلهما الى رومية واعتقل ارستبولس هناك اما اولادهُ فافرج عنهم لتوسلات امهم التي سرَّ بها غابينيوس كثيرًا ولما ذهب هذا القائد الى مصر انتهز اسكندر المذكور الفرصة وجمع ما تيسر لهُ من العسكر وطفق يقتل الرومانيين حيثما التقى بهم اذ كانوا قليلين في البلاد وحاصر من نجا

ذهاب بمبيوس وارستبولس واولاده

اخضاع غابينيوس اياهُ سنة ٥٧ ق.م

نجاة ارستبولس من رومية

في حصنهم على جبل جرزيم فلما بلغ الخبر غابينيوس رجع وضرب اسكندر وقومهُ وقتل عشرة الاف منهم وبدد شملهم فقهر اسكندر وفرّ لا يأمل النجاة وكان ذلك سنة ٥٦ ق.م

تعدي قرسس وهلاكه سنة ٥٣ ق.م

٢٤. ثم عاد غابينيوس الى رومية وخلفهُ قرسس فنهب الهيكل وسلب اليهود وظلمهم ظلمًا شديدًا. ثم سار الى مقاتلة الفرثيين فهلك فرأى اليهود في ذلك عقوبة كفرهِ وتعدياتهِ على هيكل الله سنة ٥٣ ق.م. ولما هلك قرسس نجا قسيوس احد قوادهِ فرد الفرثيين عن سورية وقدم الى اليهودية واخضعها واخضع اسكندر واثبت انتبطر على ما كان عليهِ

ارتقاء انتبطر

من السطوة فبقي مشيرًا لهركانس وتقوّى انتبطر الى ان تمكن نسلهُ من التسلط على اليهودية كما سترى وظلت الحال كذلك الى ان ملك يوليوس قيصر فافرج عن ارستبولس وجهزهُ الى اليهودية ليعضد حزبهُ فيها فقتل قبل وصولهِ. اما اسكندر ابنهُ فحشد وهو يتوقع مجيئهُ

قتل ارستبولس وابنهِ اسكندر سنة ٤٩ ق.م

جيشًا وافرًا فقبض عليهِ ميتلس شيپيو والي سورية من قبل پمپيوس وجز راسهُ في انطاكية سنة ٤٩ ق.م. فلم يبقَ من بني ارستبولس الّا انتغنوس فخضع لقيصر وظن انهُ يفوز بملك اليهودية بعد قتل پمپيوس واما انتبطر فكان ذكيًا لبيبًا فلما رأى امر پمپيوس متاخرًا بذل جهدهُ في موازرة قيصر وسار في جيشٍ الى مصر عند ما تضايق قيصر في الاسكندرية وعضد امره واشتهر كثيرًا بشجاعتهِ في القتال حتى قيل ان فوز قيصر يومئذٍ توقف عليهِ

حصوله على رعوية رومية

ولما عرف هذا ما كان منهُ من الشجاعة والنجدة لهُ انعم عليهِ بما اراد من ملك اليهودية دون انتغنوس وغلظ امر انتبطر كثيرًا بان ايدهُ قيصر فتسلط على هركانس وتصرف كما شاء ومنحهُ قيصر رعوية رومية واقامهُ نائبًا لهُ في اليهودية سنة ٤٨ ق.م. وكان لهُ اربعة من

امر فسايل وهيرودس

البنين منهم فسايل فرأسهُ على مدينة اورشليم وهيرودس على الجليل وهو لم يجاوز سن الخامسة عشرة فصار ملك اليهود الى يد هذا الادومي وبنيهِ مع ان هركانس استمر رئيس الكهنة وعظيم الامة في الظاهر

اشتكاء الناس عليهم

٢٥. ولم يسرّ الناس بانتبطر واولادهِ فاشتكوهم الى هركانس وتظلّموا منهم وحرضوهُ على طردهم من مقامهم ولا سيما هيرودس لانهُ ظلم الرعية ظلمًا فاحشًا وقتل اناسًا من اليهود فطلبوهُ للمحاكمة امام مجمع السبعين في اورشليم فاتى مع شُرَطهِ وكل علامات المجد

استحضار هيرودس الى اورشليم للمحاكمة

والفخر ولما جرت المحاكمة لم يجسر احد ان يشهد عليهِ فانفض المجمع ولم يحكم عليهِ بشيءٍ فخرج يتوقد غضبًا من اعدائهِ واضمر النقمة فحشد جيشًا وزحف بهِ الى اورشليم لكنهُ رجع عنها بمشورة ابيهِ. ثم اضطربت اليهودية بسبب قتل قيصر فان قسيوس احد الناقمين عليهِ اتى

وضرب على البلاد الجزية واجبر انتبطر واولادهُ على ان يجمعوها له فجند عليهم الناس فاحتال بعضهم على انتبطر وقتله . وقام هيرودس وانتقم لابيهِ ولم يقدر هركانس ان يمنع هذه الامور لضعفهِ فتسلط عليهِ هيرودس ولما اخذ اوغسطوس وانطونيوس الرئاسة في رومية قام انتغنس بن ارستبولس المذكور وجمع جيشًا بغية ان يسترجع مملكة ابيهِ فهزمهُ هيرودس فاكرمهُ هركانس كثيرًا وتزوج هيرودس سنة ٣٧ ق.م. مريمنة ابنة اسكندر بن ارستبولس وهي بنت ابنة هركانس ايضًا واتى ذلك ليدعي الحق في الملك ويجمع بين بيتي هركانس وارستبولس

هزيمة انتغنوس

زواج هيرودس ومريمنة

وجاء انطونيوس الى سورية بعد حرب فيلبي سنة ٤٢ ق.م. وهي الحرب التي قُتِل فيها بروتس وقسيوس فاقام هيرودس واخاهُ فسايل على امور اليهود وجعل كلًّا منهما رئيس ربع. فكره كثيرون سلطتهما وسعوا بهما الى انطونيوس فلم يصغِ اليهم بل قتلهم

اقامة انطونيوس هيرودس واخاه رئيس ربع

٣٦. ثم ذهب انطونيوس الى مصر وهام في عشق كليوبطرا فقدم الفرثيون واستولوا على سورية فنهض انتغنوس بن ارستبولس واعطى قائد الفرثيين دراهم كثيرة و ٥٠٠ جارية وسألهُ ان يفتح اليهودية ويعزل هركانس وهيرودس واخاهُ ويقيمهُ على الملك فاجابهُ الى ذلك وجهز الجنود وزحف بهم الى اليهودية فاستولى عليها سوى أورشليم فحاصرها مدة فلم يستفد شيئًا ثم اعتمد انتغنوس وقومهُ المكر فكتبوا الى هركانس وقومهِ يسألونهُ المصالحة واغروا هركانس وفسايل بان يذهبا الى كبير الفرثيين بعهد الأمن فينصف بين الفريقين بعد الفحص فاحتسب هيرودس المكر فلم يذهب ولما وصل هركانس وصاحبهُ الى كبير الفرثيين قبض عليهما فبلغ الخبر هيرودس فهرب هو وعائلتهُ ولجأ الى بعض الحصون في ادومية فغزا الفرثيون البلاد وسلموها الى انتغنوس بمقتضى الشرط واستودعوهُ هركانس وفسايل فانتحر فسايل يأسًا وجدع انتغنوس اذني هركانس ليمنعهُ من رئاسة الكهنة لان اليهود توجب ان يكون الكاهن بلا عيب في الجسد ثم بعثهُ الى الفرثيين فاستعبدوهُ . اما هيرودس فاستودع عائلتهُ اخاهُ يوسف ثم هرب الى مصر ثم الى رومية مستصرخًا وملك انتغنوس على اليهودية مدة ثلاث سنين بين سنة ٤٠ وسنة ٣٧ ق.م

استدعاء انتغنس الفرثيين

محاصرة اورشليم منهم

هرب هيرودس وقتل فسايل نفسهُ

هرب هيرودس الى رومية

٣٧. ولما بلغ هيرودس رومية ودّهُ انطونيوس كثيرًا فاتفق مع اقتاقيوس على ان يولّياهُ اليهودية مع ان هيرودس طلب الملك لصهرهِ ارستبولس وهو حفيد ارستبولس السابق وهركانس ولكن لما رأى انطونيوس ان يملّك هيرودس قبل بفرح ورجع الى

ملك هيرودس

الشرق مع انطونيوس وقد امدَّهُ بعسكرٍ الى اليهودية ولما وصل اليها كان الرومانيون قد طردوا الفرثيين وكان انتغنوس محاصرًا مسّاد الحصن حيث ترك هيرودسُ عائلتهُ واخاهُ كما مر فما لبث ان طرد انتغنوس وخلصهم ثم حاصر اورشليم ولم يتمكن من افتتاحها الاَّ بمساعدة الرومانيين. اما سيلو قائدهم فافسدهُ انتغنس بالبراطيل حتى اعاق هيرودس كثيرًا فلم يبلغ مرامهُ حينئذٍ لكنهُ حارب ادومية واخضع جانبًا منها واستولى على السامرة وهاجم اللصوص الكثيرين الذين سكنوا كهوف الجبال في الجليل واضروا الناس كثيرًا وسمع ان انطونيوس تضايق في حرب الفرثيين سار لنجدته وكسر فرقة من العدو كمنت لهُ في الطريق ولحق بانطونيوس فاكرمهُ لشجاعتهِ ورغبتهِ في معونتهِ فلما عاد امدَّهُ بعسكرٍ لينصرهُ على انتغنوس وكان قد قتل يوسف المذكور فاغتاظ هيرودس وبذل جهدهُ في اخذ الثار وحمل في بعض المعارك على الاعداء بشجاعة وباس فولوا منهزمين فهابهُ الناس وانحاز كثيرون اليهِ واستولى على البلاد سوى اورشليم فحاصرها سنة ٣٧ ق.م. فقاومتهُ اشد المقاومة وطال الحصار نحو ستة اشهر فاغتاظ الرومانيون ولما دخلوا قتلوا ونهبوا فاوشكت المدينة ان تخرب لكثرة العسكر فاشتكى هيرودس الى قائدهم قائلاً ان لم تمنع الجنود عن القتل والنهب وابقي خرابًا يبابًا لا مدينة واعطاهُ مالاً وافرًا فردَّ الجنود فسألهُ انتغنوس الامان باكيًا فضحك عليهِ القائد وقيدهُ واخذهُ الى انطونيوس فقطع رأسهُ فهو آخر من ملك من بيت حشمناي وقتل سنة ٣٧ ق.م. اي بعد ١٣٠ سنة لنصرات يهوذا و٧٠ سنة للبس ارستبولس الاول التاج

حرب هيرودس لادوم والسامرة واللصوص معونته انطونيوس

افتتاحه اورشليم سنة ٣٧ ق.م

٣٨. ولما ملك هيرودس شرع يبيد من قاوموهُ بشدة في الحرب السابقة وقتل كثيرين ولما علم حقد اليهود عليهِ لم يتجاسر ان يكون حبرًا اعظم فعين لهم حبرًا يخضع لهُ في كل ما اراد فاغتاظت مريمة امراة هيرودس وامها لانهما ارادتا ان يكون الحبر الاعظم ارستبولس اخا مريمة فافضى ذلك الى شر عظيم فاشتكت اسكندرة الى كليوبطرا ملكة مصر لتسأل انطونيوس ان يامر هيرودس بان يقضي مرادها فخاف هيرودس وعين ارستبولس لكنهُ ظلم امهُ وحبسها فخافت هي وابنها وهربا الى مصر فادركها هيرودس لكنهُ لم يقتلها حينئذٍ خوفًا من كليوبطرا الاَّ انهُ قصد قتل ارستبولس سرًّا وكان الناس قد قبلوا رئاسة ارستبولس الدينية بكل فرح واظهروا سرورهم بالهتاف والمديح فلم يزد هذا هيرودس الا حقدًا وغيظًا فاحتال عليهِ وامر بعض خاصتهِ ان يغرقوهُ في بحيرة في اريحا ويقولوا

قتل هيرودس اعداءهُ

قتل ارستبولس

غرق اتفاقًا وهو يسبح لكنهُ كُشِف الامر فاشتد بغض الناس لهيرودس ولاسيما بغض مريمنة واسكندرة وكان هيرودس قد دعا هركانس ان يرجع الى اورشليم وكان عند الفرثيين كما مر لكنَّ هيرودس خاف ان يملكهُ الناس اذا حدثت فتنة فيعد الى الاستيلاء عليهِ ولما دعاهُ اتى متكلاً على تأمين هيرودس رجوع هركانس

٢٩. ثم عاد انطونيوس هو وكليوبطرا الى سورية فتظلمت اسكندرة اليها من هيرودس وحضَّتها ان تطلب الى انطونيوس ان يعزلهُ ففعلت لانها طمعت في املاكهِ فاستدعى هيرودس ان يأتيهُ وهو في اللاذقية فذهب اليهِ خائفًا لكنهُ قدَّم لهُ هدايا فاخرة فسرَّ بهِ انطونيوس وأقرَّهُ على الملك وكان ذلك سنة ٣٤ ق٠م استدعاء انطونيوس هيرودس

وكان هيرودس لما سار اليهِ اوصى يوسف صهرهُ ان يقتل مريمنة ان حكم عليهِ انطونيوس فعرفت مريمنة ذلك فزاد بغضها وبغض اسكندرة لهُ واخذت هذه تغري الفرقة الرومانية في اورشليم بالخيانة فعلمت ذلك سالومي اخت هيرودس وامراة يوسف فاخبرت هيرودس حين رجوعهِ وقالت لهُ ان مريمنة كانت تحب يوسف فاخذتهُ الغيرة الشديدة ووبخهُ مريمنة توبيخًا شديدًا لقتلهِ اخيها ولوصيتهِ التي ذكرناها ولما علم ان يوسف كان قد اخبرها بذلك صدَّق ما قالتهُ اختهُ في شانهما فامر بقتل يوسف حالاً وسجن اسكندرة. اما مريمنة فابقاها اذ كان يحبها حبًّا عظيمًا. ولم تزل كليوبطرا تطمع في املاكهِ تصرف هيرودس مع اسكندرة ومريمنة

فحثَّت انطونيوس على ان يأمرهُ بشن الغارة على بعض قبائل العرب آملةً انهُ يهلك فيها فتستولي على اليهودية ففعل انطونيوس كما ارادت غير ان العاقبة لم تكن كما توقعت فان هيرودس غلب وعاد مؤيدًا منصورًا وانقذ بذلك من خطرٍ عظيم لان الوحشة وقعت بين انطونيوس واقتافيوس وحدثت حرب اكتيوم سنة ٣١ ق٠م. فانهزم انطونيوس وفاز اقتافيوس برئاسة رومية وكان هيرودس اثناء ذلك يحارب العرب فلم يشهر الحرب مع انطونيوس ولم يتكلف ان يغيظ اقتافيوس ولما سمع بما كان سار اليهِ حاملاً الهدايا وسأَلهُ ان يبقيهُ في ملكهِ ففعل فعاد هيرودس الى اورشليم مؤيدًا ولم تقدر كليوبطرا عليهِ اذ لم تتمكن من رضى اقتافيوس (انظر ف ٣ رقم ٣٤) نجاة هيرودس من مقاومة اقتافيوس سنة ٣١ ق٠م

٣٠. ولما ذهب هيرودس لملاقاة اقتافيوس كما مر استودع مريمنة احد انصارهِ في حصنٍ وامرهُ ان يعتني بها كما امر يوسف قبلهُ وعلمت مريمنة ذلك فلما عاد هيرودس عاندتهُ ووبخته كالسابق فحقدت اختهُ عليها واتهمتها بالزنى مع وكيلها فعذبهُ هيرودس

قتل مريمنة واسكندرة

عذابًا اليمًا فاعترف بما لم يقع تخلصًا من العذاب فامر هيرودس بقتل مريمنة ثم ندم على فعلهِ ووخزهُ ضميرهُ فمرض مرضًا شديدًا وكان في السامرة وفي اثناء ذلك سمع بخيانة اسكندرة فامر بقتلها مع جملة من الناس فازداد بذلك شرًّا وظلمًا وكان كالمجنون لكنهُ تمكن من سلطتهِ اذ لم يبقَ من نسل الملوك الحشمانيين من هو اولى منهُ بالملك او من اولادهِ الذين ولدتهم مريمنة ولما راى ذلك تبع هواهُ وهام في اودية الشهوات وادخل الى البلاد عوائد غريبة وثنية لكنهُ احترم دين اليهود في الظاهر وانشأ في اورشليم ملعبًا يونانيًّا

ادخالهُ عوائد وثنية

ورومانيًّا واجرى فيهِ ما جرى في مثلهِ عند الوثنيين فبيّن بما فعلهُ انهُ يريد تغيير عوائد اليهود فقام كثيرون من المتمسكين بفرائض دينهم وعوائد آبائهم وتآمروا عليهِ فكشف أمرهم قبل انجازهِ فقتلهم بعذابٍ اليم . فقبض الناس على الذي اخبر بامر الفتنة ومزقوهُ اربًا اربًا وحصن هيرودس البرج في المدينة تحصينًا محكمًا خوفًا من الفتن وبنى ابراجًا في اماكن

تامر الناس عليهِ وقتلهم

مختلفة ورمم السامرة ورتبها ترتيب مدينة رومانية وسماها سبسطة (وهي سبسطية) واتى ذلك اكرامًا لاوغسطس لان هذا الاسم يرادف في اليونانية اوغسطوس وبنى مدينة قيصرية على البحر فكانت ميناء حسنة لانهُ بنى لها سدًّا في البحر فصارت مرفأً امينًا واستجلبت اليها اكثر

بناؤه قيصرية وهيكل اوغسطس في باناس

التجارة وزخرفها فامست من اعظم مدن فلسطين وقاعدة سياسة الرومانيين فيها وبنى هيكلاً من رخام ابيض في بانياس ووقفهُ لاوغسطس كانهُ الله وفي هذا اظهر فساد معتقدهِ وانهُ ليس يهوديًّا حقيقيًّا وانما تظاهر بدين اليهود لتقرير ملكهِ عليهم وكان ذلك غايتهُ في تجديدهِ الهيكل في اورشليم لانهُ كاد يخرب من الحروب العديدة وجعلهُ اعظم من السابق وزخرفهُ كثيرًا حتى صار فخر اليهود وكان الشروع في تجديدهِ سنة ١٧ ق.م. ولم يكمل الاَّ بعد ايام هيرودس (انظر يوحنا ٢٠:٢٠)

سخاؤه زمان الجوع

٣١. واستمال هيرودس الناس اليهِ بسخائهِ فانهُ اشتد الجوع في البلاد سنة ٢٣ ق.م. فبذل جهدهُ في ان هيأ ما لزم لحفظ الناس من الموت جوعًا فاشترى من مالهِ حنطة كثيرة من مصر وفرقها على الناس مجانًا. قيل انهُ عال يومئذٍ نحو ٥٠٠٠٠ ووزع

صيتهُ العظيم

الحبوب على أهل سورية ليزرعوها فذاع صيتهُ وقويت شوكتهُ وكان على غاية ما يمكن من رضى قيصر حتى قيل ان قيصر لم يفضل احدًا عليهِ سوى وزيرهِ الاول فبعث هيرودس

رضاه عند قيصر

ابنيهِ من مريمنة وهما ارستبولس واسكندر الى رومية ليتعلما ويتهذبا بمراقبة سيدهِ وكان كلما يأتي قيصر الى الشرق يقصد الاماكن البعيدة ليلتقي بهِ ويرافقهُ ويقدم لهُ الاكرام والمعونة

امتداد سلطنته

فصار عند اوغسطس بمقام العزيز فولاّهُ ولايات مختلفة غير اليهودية فعظم امرهُ جدًّا لكنّ اليهود لم يحبوهُ مع كل فخرهِ وبهائهِ وسخائهِ اذ كان اجنبيًّا وعطف على الرومانيين وعوائدهم وعلم بغض اليهود لهُ فكان يراقبهم بكل انتباهٍ لئلاّ يثيروا عليهِ الفتنة قيل انّهُ كان يتنكر ويطوف في الاسواق ليسمع اقوال الناس فيهِ ولا ريب في انهُ سمع كثيرًا ما لم يسرُّهُ فزاد انتباهًا لهم وحقدًا عليهم فقسا وجفا وظلم فبلغ في اواخر حياتهِ نهاية الشر وظهر ذلك في كل اعمالهِ ولاسيما معاملتهُ انسباءَهُ فلما رجع ولداهُ من رومية واقاما باورشليم حصلا على رضى الناس لرقتهما وكونهما من نسل ملوكهم القدماء بالنظر الى والدتهما فاخذت سلومة اخت هيرودس وغيرها من جنسهِ يثلبونهما ويفسدون قلب هيرودس ويبذلون جهدهم في ان يبيّنوا لهُ انهما لا بدّ ان ينتقما لامهما التي قتلها فانتزع عنهما حتى ولاية العهد من بعدهِ واوصى بها لانتبطر الذي وُلد لهُ من امرأتهِ الاولى التي طلقها لما تزوَّج مريمنة فارسلهُ الى رومية ليتهذب كما فعل بأَرستبولس واسكندر وكان انتبطر خادعًا محتالاً يبغض اخويهِ فكان ينبئُ اباهُ بانهما يحاولان قتلهُ فذهب هيرودس الى اوغسطس ليشكوهما اليهِ فظهر بعد الفحص انهما بريّان واصلح اوغسطس بين الفريقين وصرفهم

افساد قلب هيرودس من جهة ارستبولس واسكندر

٣٣٠ غير ان البغضة لم تزل تشتد وزادها شدة ان اتفق انتبطر وسلومة وفيرورس اخو هيرودس يتآمرون على اسكندر وارستبولس حتى حكم هيرودس بوجوب قتلهما فبعث يطلب الى اوغسطس ان يسمح بمحاكمتهما فامر اوغسطس باقامتها في بيروت وكانت يومئذٍ مدينة معتبرة عند الرومانيين فيها مدرسة للفقه ومجالس للاحكام ولما أَتى هيرودس اقام الدعوى على ابنيهِ امام والي سورية و١٥٠ قاضيًا واشتد في شكواهُ كانهُ لا يحتمل تبرئتهما فلما رأَى القضاة شدة عزمهِ وانهُ لا يصرف عن عزمهِ حكموا على ولديهِ من دون ان يسمعوا دفعهما لكنّ هيرودس توقف مدةً في قتلهما ولكنهُ لمّا رأَى ان العامة احبتهما لم يصبر على بقائهما في الحياة فلما وصل الى سبسطة خنقهما ولكنهُ لم يسترح بل ازداد قلقًا لان الله القى الخوف في قلبهِ فنقضى عليهِ ما بقي من حياتهِ وهو يرهب مؤامرات انسبائهِ وقد عظمت الوحشة بينهُ وبين انتبطر بكرهِ وولي عهدهِ فانهُ اتفق معهُ فيرورس اخو هيرودس فاضمر لهُ السوء وذهب انتبطر الى رومية وكرِهَ الناس اباهُ وفي اثناء ذلك مات فيرورس فعرف هيرودس بعد الفحص اتفاقهُ مع انتبطر على قتلهِ وكان ذلك عند وصول انتبطر عائدًا من رومية فقبض عليهِ هيرودس وجرت محاكمتهُ في اورشليم امام ڤارُس والي سورية الروماني

افساد خاطر هيرودس فيهما

محاكمة انتبطر والحكم عليهِ

فلما ثبت ذنبهُ قيّدهُ هيرودس وبعث الى رومية يسأل قيصر عقابهُ لانهُ لم يجسر ان يقتلهُ من دون اذنهِ وكان ذلك سنة ٥ ق.م

مرض هيرودس الشديد

٣٣. ثم مرض الملك مرض الموت واعتراهُ ألم شديد حتى اراد الانتحار (اي قتل نفسهِ) نجاةً منهُ فاخذ السكين لينحر فاسرع اليهِ ومنعهُ بعض غلمانهِ وكان مرضهُ خبيثًا يقشعرّ منهُ لانهُ ضرب بقروح عديدة مولمة منتنة ولما علم الناس بذلك وانهُ لايبرأ ضجّوا فرحًا فقام قوم ونزعوا النسر الذهبي الذي نصبهُ هيرودس عند رواق الهيكل فاغتاظ هيرودس وامر بحرق الذين فعلوا ذلك وبالقبض على جماعة من عظماء اليهود وحبسهم الى حين موتهِ لكي يقتلوا حينئذٍ فتمتلئ المدينة نوحًا ونحيبًا فيكون الحزن العام كانهُ على فقدهِ لانهُ ايقن ان الناس يفرحون بهلاكهِ

وصيتهُ بقتل الاولاد في بيت لحم

٣٤. والمظنون انهُ كان في هذا الزمان او في ما قبلهُ بقليل ان هذا الملك الجافي أمر بذلك الامر الفظيع الذي جعل اسمهُ لعنة الى الابد وهو امرهُ بقتل الاولاد الصغار في بيت لحم لئلاَّ يقوم ملك لليهود من غير نسلهِ. قلت الظاهر من مقابلة التواريخ والحوادث ان ميلاد المسيح كان في السنة الاخيرة من ملك هيرودس هذا وهي السنة الرابعة قبل التاريخ المسيحي المعهود فقد وقع فيهِ الخطأ باربع سنين ولابد من ان هيرودس سمع خبر ولادة يسوع ولا ريب انهُ علم ما كان في شانهِ من جهة انتظار اليهود رئيسًا سياسيًّا وفقًا للنبوة فلم يدرك حقيقة امرهِ واذ ذاك توقع منهُ الشراطنهِ انهُ ينازع نسلهُ الملك وفيما هو كذلك جاء المجوس من المشرق يسألون اين هو المولود ملك اليهود فشاع خبرهم في كل المدينة واثر امرهم في الناس كثيرًا وهم ينظلمون من الملك ويتوقعون هلاكهُ يومًا فيومًا ولما بلغ الخبر هيرودس دعا المجوس واوصاهم ما اوصاهم (مت ٢ :٨) فلما راى انهم لم يفعلوا كما امرهم امر باهلاك الاولاد الصغار في بيت لحم لئلا يحدث ما احتسبهُ ولا يخفى ما في ذلك من المطابقة لدأبهِ وخلقهِ فان اخبارهُ تثبت ما نصهُ الانجيل فيهِ احسن اثبات

الخطاء في التاريخ المسيحي

مجيء المجوس

٣٥. ثم وصل الى اورشليم امر اوغسطس بترك انتبطر الى هيرودس لكنهُ اشار عليهِ بنفيهِ عوض قتلهِ وكان انتبطر في السجن واتفق حينئذٍ انهُ اخبر كذبًا بان هيرودس مات فلما سمع انتبطر اخذ يغري الحارس بان يطلقهُ فيجازيهُ احسن مجازاة اذا حصل على الملك فابى وبلغ هيرودس ما قالهُ فاتقد غضبًا وامر بقتلهِ حالاً وهو نفسهُ على آخر رمق فهلك بعد قتل ابنهِ بخمسة ايام وكان ذلك سنة ٤ ق.م. وكانت مدة ملكهِ ٣٣ سنة بعد هلاك

قتل انتبطر وموت هيرودس

انتغنوس اما الذين امر بقتلهم عند موتهِ كما مرَّ فأُفرج عنهم اذ لم يتجاسر خدمة ان ياتوا ذلك الظلم الفظيع فامتلأَت المدينة فرحًا لا حزنًا وبطلت حيلة الجاني في حمل الناس على النوح. قلت ان في هذه الحادثة يد الله سبحانهُ وتعالى الذي يعاقب المذنب بما يستحقهُ فجلب على هيرودس عقابًا شديدًا لمظالمهِ فتسلط عليهِ الخوف والرعد والقلق سنين كثيرة ومات اخيرًا شرَّ ميتةٍ ولقب بالكبير وذلك لقب لم يصدق عليهِ الاَّ لعظيم شرّهِ

عقاب هيرودس قبل موتهِ

٣٦. فكان هيرودس قبل موتهِ قد اوصى بتقسيم املاكهِ بين بنيهِ الثلاثة الباقين وهم ارخلاوس وهيرودس انتباس وفيلبس لكنهُ وكَّل اجراء وصيتهِ او ابطالها الى قيصر اذ عرف ان الامر لهُ على كل حال وكان نصيب ارخلاوس اليهودية والسامرة وادوم ولم يرتضِ بهِ اهل اورشليم فأثاروا فتنةً في عيد الفصح ولم تخمد نارها حتى قتل نحو ٣٠٠٠. ثم سار الى رومية طالبًا رضى قيصر واثبات الوصية ولم يبلغ المرام الاَّ بعد تعب شديد لشكاية اعدائهِ عليهِ. وقيصر وان يكن اجرى وصية ابيهِ لم يلقبهُ بملك بل بأثنارخ اي والي وولَّى هيرودس انتباس على الجليل وبيريا عبر الاردن اما فيلبس فكان نصيبهُ حوران وما يليها

تقسيم ملك هيرودس

٣٧. ولم يسترح اليهود لما ذهب ارخلاوس بل اثاروا الفتنة على الحاكم الروماني في اورشليم فتضايق منهم فبعث يستغيث فارس والي سورية ولم تسكن الامور الاَّ بعد قتل عظيم. ولما سمع اليهود بان ارخلاوس نال مرغوبهُ ارسلوا وفدًا الى قيصر يشتكون عليهِ ويطعنون فيهِ ويطلبون ولاة من الرومانيين عوضًا عنهُ لكنَّ قيصر لم يلتفت اليهم فلما اتى ارخلاوس قسا على الناس كثيرًا فعزلهُ قيصر ونفاهُ الى غاليا وكان ارخلاوس هذا الذي خاف منهُ يوسف رجل مريم لما رجع من مصر مع يسوع واذ توقع ظلمهُ لم ينزل باليهودية فانحدر الى الناصرة. ثم انضمَّت املاك ارخلاوس الى ولاية سورية واستولى عليها ولاة رومية كما طلب اليهود

الشغب في اورشليم

وتفي ارخلاوس

٣٨. اما هيرودس انتپاس فكان رئيس ربع على الجليل وبيريا نحو ٤٣ سنة وهو الذي قتل يوحنا المعمدان واتفق مع بيلاطس بالحكم على المسيح وكان رجلاً لئيمًا قبيح السيرة وكان متزوجًا ابنة الحارث ملك العرب فطلقها ليتزوج امراة اخيهِ فيلبس فرذلهُ اليهود واشهر الحارث الحرب عليهِ وغلبهُ ولما وبخهُ يوحنا قتلهُ. ثم استصرخ الرومانيين فامر طيباريوس عاملهُ في سورية ان ينتقم لهُ من الحارث لكنَّ طيباريوس مات يومئذٍ فتوقف

شر انتباس ونفيه

وكان ذلك سنة ٣٧ب.م. اما هيرودس فحثته امرأته الشريرة ان يسأل قيصر ان يلقبه بملك فسار الى رومية لتلك الغاية فلم ينل واتهم بخيانة فعزله كاليغلا ونفاه الى اسبانيا سنة ٣٩ ب.م

ملك فيلبس سنة ٣٦ ق.م

٣٩. وكان فيلبس رئيس ربع في حوران نحو ٣٦ سنة ولما كان مطيعاً لسيده صاحب رومية ملك بسلام وهو الذي بنى بانياس وسماها قيصرية (فيلبس) اكراماً لقيصر. ثم بعد موته اعطى قيصر املاكهُ لاغريبا وسماهُ ملكاً ولما طلب هيرودس ذلك اللقب عزله قيصر وضم املاكهُ الى مملكة اغريبا فصار عزيزاً عند كاليغلا وكان معهُ حين هلاكهِ واعتنى بدفنهِ فاكرمهُ كلوديوس خليفته واقطعهُ اليهودية ايضاً فحاز جميع املاك هيرودس الكبير وتلقب بهيرودس اغريبا الاول وهو الذي اضطهد المسيحيين وقتل يعقوب (اع ١٢: ١—٣) وحدث انهُ لما نزل الى قيصرية ليحضر بعض العاب هناك اكراماً لقيصر حدث ما حدث من جهة افتخارهِ وموتهِ (اع ١٢: ٢١—٢٣)، وكان ذلك سنة ٤٤ ب.م. وكان لهُ في رومية

هيرودس اغريبا الثاني

ابن وهو هيرودس اغريبا الثاني لم يثبتهُ قيصر على املاك ابيهِ لصغر سنهِ لكنهُ رأسهُ على بعض املاكهِ فيما بعد. كان اغريبا هذا يقيم احياناً في بيروت وكان قد زخرفها بابنية مشيدة واحياناً في اورشليم واظهر رغبة عظيمة في دين اليهود لكنهُ اخذ اختهُ برنيكي امرأةً خلافاً الشريعة وهو الذي حضر محاكمة بولس الرسول مع فستس الوالي (اع ص ٢٦) وكان على غاية الطاعة للرومانيين فعضد امرهم في حروبهم مع اليهود وبعد سقوط اورشليم ذهب اغريبا الى رومية ومات هناك وكان آخر الدولة الادومية التي اولها هيرودس الكبير.

٤٠. قد مرَّ ذكر نفي ارخلاوس وتولية ولاة رومانيين على اليهود فهولاء لم يظلموا اليهود كثيراً الى ان قام بيلاطس البنطي على اليهودية وذلك سنة ٢٦ ب.م. ولم يحسن التدبير فلما دخل عسكرهُ اورشليم حملوا الالوية الرومانية التي كانت على هيئة تماثيل ولم

حكم بيلاطس البنطي

ترَ في اورشليم سابقاً وكان اليهود يحسبون كل تمثال رجساً يدنس مدينتهم فغضبوا وطلبوا الى بيلاطس ان يزيلها ولما علم انهُ لابد من فتنة قوية ان لم يفعل كما سألوهُ ارجعها الى قيصرية وظهر في اول ولايتهِ يوحنا المعمدان ثم المسيح ولا يخفى ما في امر المسيح من الاهمية للأمَّة اليهودية لكنهم لم يدركوا حقيقة امرهِ اذ اتى على خلاف ما ظنوا فرفضوهُ لانهُ لم يرد اقامة مملكة سياسية تحررهم من رق العبودية وبهذا اسرعوا الى هلاكهم اذ خانوا الرومانيين.

اما بيلاطس فكثيرًا ما هيّجهم بتعدياتهِ على عوائدهم قيل انهُ اختلس مال القرابين المخزون في الهيكل وانفقهُ على انشاء قناة للماء فاحترقوا غيظًا ولم يعاملهم بيلاطس الَّا بالجهل والقساوة فلا نتعجب مما نقرأُ في الانجيل من أنهُ خلط دم بعض الجليليين بذبائحهم ولا انهُ سلم يسوع للموت وهو بريءٌ وكثرت تعدياتهِ وظلمهُ حتى شدد الناس الشكاية عليهِ الى فيتليوس والي سورية فعزلهُ وارسلهُ الى رومية للمحاكمة امام طيباريوس فحكم عليهِ بالنفي فذهب الى غاليا سنة ٣٧ ب.م. وهلك هناك. قيل انهُ قتل نفسهُ يأسًا

نفيه سنة ٣٧ ق.م

٤١. وكان في هذه المدة انشاء كنيسة المسيح التي امتدت بسرعة الى اطراف مملكة رومية واثرت في امورها تأثيرًا عظيمًا وكان في تلك الايام مسير بولس الى دمشق وما حدث لهُ (اع ص٩) وكان الحارث مستوليًا على المدينة وقتئذٍ فانهُ انتهز الفرصة عند موت طيباريوس لما حدث من القلق في امور الرومانيين واستولى على دمشق. اما بولس فشرع يبشر ويؤسس الكنائس وبقي على ذلك الى ايام نيرون احد ملوك رومية اما كاليغلا فادعى انهُ الهٌ وأمر الولاة ان يعبدوهُ ويقيموا التماثيل في اطراف المملكة فبعث عاملهُ في سورية لينجز الامر في اورشليم ولما سار الى اليهودية لتلك الغاية لاقاهُ جماعات كثيرة من اليهود يتوسلون اليهِ ان لا يفعل قالوا ان هذا كفر ينهى عنهُ ناموسهم فلا يحتمل وانهم يفضلون الموت على التسليم بهِ فلما راى الوالي شدة عزمهم وعلم مرامهم كف عنهُ حتى يخبر قيصر فبعث اليهود اليهِ وفدًا يطلبون العفو فلم يكترث بهم بل جدد الامر لكنهُ قُتِل في اثناء ذلك فنجوا من شدّة كفرهِ

تبشير بولس الرسول

امر كاليغلا بادخال عبادته الى اورشليم

٤٢. ولما ملك كلوديوس احسن الى اغريبا واقطعهُ ملك اليهودية وترك اليهود يتبعون ناموسهم وقل الاضطهاد على المسيحيين ايضًا فنمت الكنيسة كثيرًا وامتدت الى الاطراف فذهب بولس واصحابهُ من الرسل يبشرون في اسيا ومكدونية وبلاد اليونان حتى بلغوا رومية والظاهر ان كلوديوس لم يمانعهم بل سلك بالاعتدال والانصاف في الامور الدينية فكانت مدة ملكهِ مدة نجاح عظيم لكنيسة المسيح

راحة المسيحيين ايام كلوديوس قيصر

٤٣. وساءت امور اليهود بعد موت هيرودس اغريبا سنة ٤٤ ب.م. اذ اهانهم الولاة الرومانيون ولا سيما قماس الذي ولي سنة ٥٠ ب.م. فانهُ ادخل عسكرهُ الى اورشليم فكانوا يهينون العباد حين يحتفلون بالاعياد ويعاملونهم بالقبيح فهاجوا وصاحوا وصاروا يرمون العساكر بالحجارة فاوقع بهم قماس واكثر فيهم القتل ولما كان السامريون يتعدون

على اليهود لم ينصفهم قمانس بل عضدهم فاشتكى اليهود عليهِ الى والي سورية فقاصّ الفريقين الاّ انهُ ارسل قمانس الى رومية حيث حكم عليهِ بالنفي غير ان كلوديوس لم يحب اليهود بل طردهم من رومية نحو سنة ٥٢ ب.م. (اع ١٨: ٢)

ملك فيلكس ٤٤. ثم ولي على اليهودية فيلكس الذي قال تسِتُس المورخ الروماني انهُ ساس سياسة الملك بغاية الصرامة والقبح وهو الذي احتج امامهُ بولس وارتجف اذ سمع كلامهُ على الدينونة (اع ص ٢٤) وعظم القلق في البلاد وكثر قطاع الطرق حتى انهم حضروا الاعياد وانسلكوا بين الناس متنكرين حين الاحتفال وقتلوا من ارادوا والقوا الخوف في قلوب الجميع وقام اناس وادعوا الملك فالتزم فيلكس ان يحاربهم وقهرهم وكان يصلبهم بكل اهانة وحدث شغب في قيصرية بين اليهود واليونانيين فقتل فيلكس كثيرين من اليهود هناك لكنهُ عزل سنة ٦٢ ب. م. وخلفهُ فستوس واحسن السيرة واراد الانصاف كما نرى في امر بولس وعاقب قطاع الطرق والمذنبين حتى امن الناس لكنهُ مات بعد قليل وخلفهُ ألبينس واساء السيرة فكان يسلب الجميع ويبيع المناصب ويطلق المذنبين رشوةً قال يوسيفوس ولم يبقَ في السجن حينئذٍ الاَّ من لم يعطهِ شيئًا ا ه. فكثرت البلاد قلقًا وامست في شرّ حال. وعزل البينس نحو سنة ٦٤ ب. م. وولي بعدهُ افلورس فكان شرًّا منهُ حتى قيل ان الناس انزلوا البينس منزلة البار بالنسبة اليهِ. فبلغ الامر اشدَّهُ واسرعت الامور الى فتنة عامة فكان افلورس يسيء الى الناس حتى يهيج فتنة ثم يقاصهم بصرامة ولما خاف على نفسهِ من عقاب سيدهِ صمم على تهييج كل الامة ليشغل بالهُ عن ذنوبهِ بعناد اليهود

فستوس

فلورس سنة ٦٤ ق٠م وزيادة شره

٤٥. وقبل ان تم ذلك حدث بعض امور هالت افئدة الناس وحملتهم على توقع الشرّ منها ظهور نجم ذي ذنب ظل يرى من المدينة سنة كاملة وكانت هيئتهُ كالسيف. ومنها ان باب دار الهيكل النحاسي الثقيل انفتح من نفسهِ ذات ليلةٍ وسمع الكهنة صوتًا عظيمًا داخل الهيكل يقول "لننتقل من هنا" كأنَّ الباب انفتح لدخول جنود الامم وجنود السماء قد انفصلت عن المقدس ومنها ان رجلاً يسمى يشوع بن انانس اخذ يصرخ في الهيكل قائلاً "هوذا صوت من الشرق وصوت من الغرب وصوت من الرياح الاربع وصوت على اورشليم وعلى الهيكل وصوت على العرائس وصوت على الشعب اجمع" وكان الرجل يكررهُ ليلاً ونهارًا في الاسواق وفي كل مكان ولما سأَلوهُ ما وراءك لم يجب بشيء سوى قولهِ المذكور

وقوع العجائب الهائلة في اورشليم

واستمر على ما كان عليهِ حتى ضجر منهُ الناس وضربوهُ ولكنهُ لم يبالِ بالضربات فامسكوهُ واتوا بهِ الى الوالي فامر بجلدهِ حتى برزت عظامهُ لكنهُ لم ينطق بشيءٍ الاَّ بقولهِ الويل الويل لاورشليم فاطلقهُ الوالي معتقدًا انهُ مجنون وكان يحضر الاعياد ويقضي جميع فرائض الدين ويصرخ ولما صار حصار المدينة حدث ذات يوم انهُ كان على السور والاعداءُ يرمون بالحجارة فصرخ الويل الويل لي انا فرُمي حالاً بحجر كبير فهلك . قلت ان هذه الاخبار الغريبة وان وقع فيها شيءٌ من الخرافات لاريب في انها تشير الى بعض امور صحيحة حدثت لتنبيه الناس على ما سيأْتي فيتدبرون ولاسيما المسيحيون فانتبهوا الى اقوال المسيح في شان خراب اورشليم فنجوا من المدينة (مت ص ٢٤)

الوحشة بين اليهود واليونان في قيصرية

٤٦. وكان اليهود على هذه الحال لما اشتدت الوحشة بينهم وبين اليونان في قيصرية فاشتكى اليهود الى فلورس اذ ظلمهم اليونان فلم يسمع لهم بل اعتقل رسلهم وتمد الى سلب كنوز الهيكل فقام قوم من الغيارى وحركوا الطغام والاوغاد ان يهينوا فلورس فصعد الى اورشليم بجيشهِ واطلق عسكرهُ على الناس واكثر فيهم القتل . اما الكهنة فبذلوا جهدهم لكي يسكنوا الهيجان ونجحوا بعض النجاح الا ان فلورس لم يرد السلام وقد صمم على الحرب فاستدعى من عسكرهِ ما يقويهِ على الغيارى فضربهم غير انهُ قام الناس فضاق بهِ الامر حتى انهُ خاف على نفسهِ واخلى المدينة تاركًا فرقةً في البرج تحرسهُ واتى اغريبا الثاني الى اورشليم اثناءَ الشغب وبذل جهدهُ في مصالحة الفريقين لكنهُ لم يأْتِ نفعًا بل اهانوهُ ورموهُ بالحجارة فاضطر ان يهرب من المدينة

عدم نجاح اغريبا في المصالحة

بداية الحرب واحزاب الناس

٤٧. ثم اشتعلت نيران الحرب واعتصم العسكر الروماني بالابراج وسلموا الهيكل والمدينة السفلى لليهود الذين لم يكونوا متحدين بل تحزَّب بعضهم على البعض فقام الغيارى ويتقدمهم العازار واستولوا على المدينة العليا وحرقوا قصور الكهنة واغريبا ثم افتتحوا البرج المسمى انطونيا وقتلوا من فيهِ وهاجم قوم حصن مسَّادا على بحر لوط ولما افتتحوهُ قتلوا الرومانيين فيهِ ثم قدموا على اورشليم ولما دخلوا ادعى مَنحيم قائدهم بالرئاسة وافتتح القصر وقتل رئيس الكهنة فاقشعرَّ الناس منهُ وقام عليهِ قوم العازار وقتلوهُ . ثم ضايق اليهود حراس الرومانيين حتى استأمنوا فقتلوهم ولما وصل نبأُ ذلك الى قيصرية قام اليونان على اليهود فيها وذبحوا عشرين الفًا منهم وقتلوا نحو ٥٠ الفًا منهم في اسكندرية واشتدت العداوة لليهود في جميع الاقطار واراد اليونان والرومانيون ابادة كل جنسهم . اما سستيوس غلس

قتل اليهود في قيصرية وخلافها

والي سورية فلما علم بما كان في اليهودية سار اليها بجيش وغزا السواحل والجليل وقدم على اورشليم ولما وصل الى بيت حورون خرج اليهِ اليهود وحملوا على مقدمتهِ وقتلوا نحو ٥٠٠ منهم ثم ولوا راجعين الى المدينة واتى غلس وحل قدامها فخاف بعض اليهود وارادوا المصالحة لكن الوحشة بين الاحزاب في المدينة منعت الاتفاق على شيء وانما كانت عداوة اليهود بعضهم للبعض اشد من عداوتهم للرومانيين . ثم تقدم الرومانيون واخذوا يحفرون تحت السور ويحرقون الباب غير انهم كفُّوا عن الحصار عقيب ذلك وارتدوا من دون سبب ظاهر فافرج عن المدينة مدةً واعطيت الفرصة للمسيحيين فيها ان يهربوا قبل ان يدركهم البوار فنجوا ولما ابتعد الرومانيون قليلاً عن المدينة خرج اليهود وهاجموهم فجأةً وكادوا يهلكونهم كلّهم غير انهُ نجا البعض منهم ليلاً وذهبوا مسرعين الى انطاكية واستولى اليهود على الغنيمة وحووا شيئاً كثيرًا من الآلات المنجنيقية والاسلحة التي انتفعوا بها كثيرًا في الحرب فعادوا الى اورشليم منصورين مبتهجين كانهم قد قهروا عدوهم كل القهر لكنهم كانوا قد هيجوا الاسد الى ان يفترسهم

مهاجمة اليهود الرومانيين

تولية فسباسيانس حرب اليهود سنة ٦٧ ق م

٤٨. ولما بلغ نيرون خبر هذه الخيانة الفظيعة عين فسباسيانس قائدًا لتجديدها فتقدم الى اسيا وحشد عسكرهُ ودبر الآلات واهبة الحرب واجتمع اليهِ جيشهُ في بطلمايس في ربيع سنة ٦٧ ب.م. متاهبين للهجوم على اورشليم

اما اليهود فلما ايقنوا بقدوم الرومانيين اتحدت احزابهم شيئًا وطفقوا يستعدون للحرب فقسموا البلاد الى اقسام ورأسوا على كلٍّ منها رئيسًا ممن وثقوا بهم ومن جملتهم يوسيفوس المورخ الشهير وكان هذا من نسل الكهنة واشتهر لعلمهِ ودرايتهِ وهو صغير ولما صارت الحرب اتفق مع حزب المعتدلين فاقطعوهُ الجليل وسلك بالانصاف وحصّن المدن واخضع اللصوص والغزاة . ولما تقدم فسباسيانس الى الجليل قاومهُ يوسيفوس اشد مقاومة واعتصم في حصن لهُ وجرح القائد الروماني اثناء الحصار غير انهُ استولى عليهِ اخيرًا وهرب يوسيفوس واختفى في مغارة الى ان صالح فسباسيانس وصار صديقًا له وبقي على غاية الصداقة معهُ ولما انتهت الحرب اعطاهُ بعض الاملاك في البلاد وكتب يوسيفوس تاريخ هذه الحرب المشهورة

ذكر يوسيفوس وتوليتهُ الجليل

هلاك السامريين

٤٩. اما اليهود فقاتلوا الرومانيين اشد قتال حيث التقوا بهم وكذلك السامريون الذين اجتمعوا على جبل جرزيم وقاتلوا حتى هلكوا جميعًا واستولى الرومانيون على البلاد

شيئًا فشيئًا وكانوا كلما اخذوا مدينة انهم قتلوا الشيوخ وباعوا الاحداث عبيدًا وارتكب الفريقان في هذه الحرب كل نوع من القساوة والظلم . اما الرومانيون فعمدوا الى اخضاع الضياع والقرى المجاورة قبل نزولهم على اورشليم فقطعوا الاردن وقتلوا وغزوا كثيرًا . قبل ان الاردن وبحر لوط امتلئا جثثًا فتلطخت البلاد دمًا وكثر الويل والبوار وكان فسباسيانس قادمًا على اورشليم لما شاع ان نيرون مات وان القلق الذي جرى ساعتئذٍ في رومية كان شد يدًا فاستدعاهُ بعضهم الى الملك فتوجه الى رومية ليستلمهُ وفوض الى تيطس ابنهُ اجراء الحرب

الرومانيون بغزون اطراف البلاد

٥٠. وكانت اورشليم مدار القلق والاضطراب واستحكمت الوحشة بين الاحزاب حتى لم تسمح بادنى اتفاق لصيانة المدينة وكان الناس يتقاطرون اليها من كل ناحية بعد ان غزاهم الرومانيون ومنهم يوحنا الجسخليّ الذي هرب من الجليل بشرذمة بعد ان تمكن العدو من الاستيلاء على تلك البلاد. اما يوحنا فاخبر الناس بان الرومانيين قد كلُّوا ولم يقدروا على اورشليم فاجتمع اليهِ قوم من الطغام وصاروا يسلبون ويقتلون كما شاءوا فتقوّى الغيارى وطفقوا يتعرضون لامور الديانة فاقاموا روساء الكهنة واعضاء المجلس من حزبهم من دون التفات الى نسبهم او حقهم في تلك المناصب . فهاج الناس حتى خاف الغيارى فاستدعوا الى المدينة فرقة ادومية من اللصوص وقاطعي الطرق ولما دخلوا حملوا على من في الهيكل وقتلوهم . قيل انهُ بلغ عدد القتلى فيهِ ٨٥٠٠ منهم رئيس الكهنة طرحوا جثتهُ الى خارج فكانت طعامًا للطيور فخاف الناس ولم يجسروا على المقاومة فذبحهم الطغام كانهم حيوانات بخسة. قيل انهُ هلك ١٢٠٠٠ غير المذكورين. وكان الغيارى يجلبون الاشراف الى المجالس ويقيمو عليهم دعاويَ فاسدة واذا تجاسر القضاة ان يطلقوهم يقومون على القضاة ايضًا فبلغ الظلم والجور والتعدي كل مبلغ حتى ان الادوميين انفسهم نفروا ولم يطيقوا بل رجعوا قائلين انهم لم يريدوا الاشتراك في مثل تلك الفواحش

تقاطر الناس الى اورشليم وضيقها

دخول فرقة من الادوميين وفعلهم الشنيع

اما الغيارى فلم يكفوا شيئًا عما كانوا عليهِ حتى ان الناس ودوا لو قدم الرومانيون تخلصًا من اشقياء جنسهم . ولم يتاخر ذلك كثيرًا اذ كانوا قد ملأُوا كيلهم شرًّا فبلغ ما لا يحيط بهِ وصف وحتى غضب الله عليهم فعاقبهم على شرهم وولّى هذه الحرب من يتممها ويجري مقاصدهُ وهو تيطس

٥١. وتولى هذا حرب اليهود سنة ٧٠ ب.م. ولكن ابطأ مدة عن مهاجمة المدينة في جمع الجنود والاهبة والمجانق. وفي تلك المدة اشتد جور العتاة وحارب بعضهم البعض فصاروا

تولية تيطس الحرب سنة ٧٠ ب.م

الاحزاب ثلاثة احزاب في مقدمة واحدة منها العازار الذي استولى على الهيكل واخر يوحنا من جسخلا واخر سيمون فامتنعوا في الابراج الحصينة وكانوا يهاجم بعضهم البعض ويرمون الهيكل والعباد حين الصلاة. فصار الموت اجرة من اراد خدمة الله في المكان المقدس. ولما حان عيد الفصح سنة ٧٠ ب. م كثر تقاطر الناس الى المدينة. قيل انهُ اجتمع فيها نحو ١٠٠٠٠٠٠ نسمة فاغلق عليهم حين نازل تيطس المدينة وقل فيها الزاد حتى نفد بعد قليل وكان في

بداءة الحصار صحبة تيطس نحو ٨٠٠٠٠ عسكري فاحاطوا بالمدينة ومنعوا الخروج والدخول. وحدث يومًا ان تيطس وهو يسير حول الاسوار يتفرس فيها ومعهُ نفر قليل حمل اليهود عليهِ بغتةً وهزموا من معهُ وكاد لا ينجو من ايديهم فافتخروا كثيرًا اذ هزموا القيصر وكانوا يعيدون العمل كلما صارت لهم فرصة فباشر الرومانيون نصب مجانيقهم ونقدها على الاسوار ثم طفقوا يرمونها بالحجارة الكبيرة ليثقبوها وكان اليهود يخرجون اليهم ويخربون جانبًا من الآلات غيران الرومانيين جددوها وجدُّوا في الحصار وتمكنوا من ثقب السور الخارجي فدخل تيطس مع عسكرهِ وبعد خمسة ايام استولى على السور الثاني والمدينة السفلى واستحيى الناس

اخذ الرومانيين المدينة السفلى واستبقى بيوتهم لكنهم لم يشكروهُ ولم يكفوا عن المقاومة بل كانوا يرمون عسكرهُ في الاسواق وضروا بهم كثيرًا فاضطروا ان يعاقبوهم وتمكنوا من الاستيلاء على المدينة السفلى دون الحصون المنيعة على جبل صهيون والهيكل مع البرج المسمى انطونيا

٥٣. اما تيطس فامتنع عن مهاجمة المدينة العليا بضعة ايام آملاً افتتاحها صلحًا وبعث يوسيفوس ليعرض على اخوتهِ الامان ويحثهم على الخضوع لئلاَّ تخرب مدينتهم فلم يجيبوا كأنَّ رؤساء الاحزاب لم يسمعوا لشيءٍ من ذلك وضاقت بالناس الحال اذ نفد

شدة الاحوال في المدينة الطعام فبذلوا كل جهدهم في تحصيل ما يقتاتون بهِ فكان الواحد اذا حصل على لقمة سلبهُ اياها من اقوى منهُ وان اتهم احد بان عندهُ شيئًا من الطعام عذَّبوهُ ليأتي بهِ. وكان الوالدان يسلبان اولادهما القوت والاولاد يسلبون الآباء وكانت المرضع تمنع طفلها من حليبها. ولما رأى تيطس عنادهم شرع ياخذ من يخرجون من المدينة ليلتقطوا قليلاً من الطعام ويصلبهم تجاه اعين اخوتهم ليخوفهم لكن هذا لم يوثر في العتاة الا غيرةً وشدة عزمٍ على مقاومتهِ. واقام اربعة كومًا امام الاسوار الباقية ونصب عليها مجانيقهُ فسقطت كلها بغتةً الى هوة خرج منها نار ودخان وكان هذا من حيل يوحنا الجسخليّ لانهُ حفر الارض تحت الآلات ونصب في الهوة اسنادًا من خشب ولما نصبت الآلات اضرم النار بالاسناد فهبط ما فوقها من

الآلات مع اصحابها فهلكوا

الحصار التام

٥٣. فلما راى هذا تيطس اتقن الحصار ليموتوا جوعًا (لو ١٩: ٤٣) فيئس الناس ولم يبالوا بسيوف العتاة وانما حسبوها نجاة من عذاب اليم فامتلأت الازقة من جثثهم المنتنة واكثر الغياري القتل في الخاصة والعامة حتى تسلطوا على المدينة ولم يبقَ من يعاندهم وكان اليهود اذا اراد احدهم التسليم قتلوهُ وطرحوا جثتهُ للرومانيين . فنصب تيطس آلاته ايضًا وثغر اسوار برج انطونيا لكنهُ لم يقدر على اخذهِ الاَّ بعد المشقة والعناء العظيم. ثم جرى قتال شديد قدام الهيكل نحو عشر ساعات وفشل فيهِ الرومانيون فهدم تيطس البرج المذكور ونصب آلاتهِ موضعهُ واخذ يعتني بثغر اسوار الهيكل لكن قبل مباشرة العمل عرض على من فيهِ الامان اذا سلموا فخرج اليهِ كثيرون الاَّ ان العتاة لم يسلموا. فلما راى ذلك ناداهم ان يخرجوا لمقاتلتهِ خارج الاسوار فلا يتدنَّس الهيكل بدم القتلى ولا يخرب. وانما اراد تيطس حفظهُ من كل اذية فبعث يوسيفوس ليخاطبهم ويستميلهم الى التسليم لئلاَّ يهلكوا ويخرب مقدسهم لكنهم ابوا وطردوا يوسيفوس واهانوهُ ولما اصطف امامهم الذين خرجوا الى تيطس سابقًا واخذوا يتوسلون الى اخوتهم ان لا يخربوا بيت الله رموهم وقتلوهم فلما تحقق تيطس عنادهم ناداهم قائلاً "اشهد آلهتكم واشهدكم انتم واليهود الذين معي واشهد جنودي اني لا اجبركم على هذا الحرام ان خرجتم وقاتلتم في مكان اخر لا يدنس روماني بيتكم المقدس" اما الغياري فلم يجيبوا وظنوا الله ينقذهم وبيتهُ من الهلاك بآيةٍ ثم جرى القتال وقاتل اليهود بكل عنف ودافعوا الرومانيين ورموهم واهلكوا منهم جماعة غير انهم استولوا اخيرًا على دار الهيكل الخارجية اي دار الامم ونصبوا آلاتهم على الاسوار الداخلية التي كانت غايةً في التحصين فلم تتمكن المجانيق من ثغرها وامر تيطس باضرام النار بالابواب العظيمة والاروقة المجاورة فاحترقت الابواب وكان الهيكل عرضةً للنار فاخذ تيطس الاحتياطات اللازمة لصيانتهِ وامر باطفاء اللهب واستعد للمهاجمة في اليوم التالي لكن الله كان قد قصد قصدًا لا يرد فبعد ان نام تيطس تلك الليلة دخل عسكرهُ الى الدار وحملوا على اليهود الذين لم يكفوا عن مقاتلتهم فاتفق ان عسكريًّا رمى بشعلةٍ في احدى نوافذ الهيكل فاحترق فضج اليهود ضجيجًا عظيمًا وصرخوا وهاجموا الرومانيين بعنفٍ ولما سمع تيطس بما كان اسرع اليهم وبذل جهدهُ في اطفاء اللهب ولكن العساكر كانوا كأنهم جنُّوا فلم يلتفتوا اليهِ بل جدوا في ما كانوا عليهِ ورموا بشعل عديدة الى داخل الهيكل واكثروا القتل في اصحابهِ من

اخذ تيطس البرج وهدمهُ

امر الهيكل

الهجوم على الهيكل

كبيّ وغيره فتكومت جثثهم حول المذبح ونزل الدم على درج الهيكل نهيرات جرفت الجثث بها

٥٤. فدخل تيطس قدس الاقداس قبل ان وصلت النار اليهِ فدهش من بهجتهِ حتى جدَّ في تخليصهِ من اللهيب لكنهُ لم يطعهُ احد بل جسر احد جنودهِ على ان اضرم النار بالمقدس امام عينيهِ فأكلتهُ حالاً فكأن الله القى في قلوب العساكر ما خرجوا بهِ عن كل قانون وقياس فلم يقدر القائد شيئًا في امرٍ قضى بهِ الله. ثم حوّل الرومانيون التفاتهم الى من بقي من اليهود في دار الهيكل وكان جانب عظيم منهم اولادًا ونساء لجأوا الى الهيكل مستنظرين آيات الله التي يخلصون بها فذبحهم الجنود. اما يوحنا المذكور فنجا ببعض رجالهِ الى المدينة العليا حيث اجتمع مع سيمون وقومهِ. اما الرومانيون فلما خمدت النيران دخلوا وحلوا بدار الهيكل ونصبوا الويتهم في المكان المقدس وذبحوا لآلهتهم فيهِ فهي رجسة الخراب (مت ٢٤: ١٥) قال يوسيفوس انهُ حدث في ١٠ آب سنة ٧٠ ب.م. وان خرابهُ الاوّل على يد نبوخذنصَّر كان في نفس ذلك اليوم اي من سنة ٥٨٦ ق.م

حرق الهيكل وذبح من فيهِ

٥٥. ثم نادى تيطس الذين لجأوا الى المدينة العليا وعرض عليهم الامان على شرط التسليم فاجابوهُ بانهم قد تحالفوا على عدم التسليم حتى الموت وطلبوا اليهِ ان يسمح لهم بالذهاب مع نسائهم واولادهم الى البرية وان ابى فلا سبيل الا القتال. اما تيطس فابى وشرع في افتتاح حصنهم الاخير. ولما كان الخشب وغيرهُ من لوازم الحصار قد قلَّ عندهُ طال الامر حتى شهر ايلول غير ان اليهود قاوموهُ مقاومة ضعيفة لضعفهم ولما استولى عليهم الرومانيون قتلوهم بلا رحمة. اما يوحنا فسلَّم فحقن لهُ تيطس دمهُ اما سيمون فحاول الهرب اولاً في بعض الاسراب تحت المدينة لكنهُ لم يتمكن من ذلك ثم اعتمد على حيلة يدهش بها الاعداء ويخيفهم آملاً الخلاص بها فلبس لباس كاهن ودخل سربًا موصلاً بين المدينة العليا والهيكل وظهر بغتةً بين العساكر في دارهِ فدهشوا لكنهم لم يهربوا بل سالوهُ عن اسمهِ فلما اعترف بهِ مسكوهُ واتوا بهِ الى تيطس فاستحياهُ لكي يظهرهُ في احتفالهِ النصري حين دخولهِ الى رومية منصورًا واستحيا بعض من اسرهم وقتل البعض وباع الباقين عبيدًا قيل بلغ عدد الاسرى نحو ٩٠٠٠٠ ثم هدم تيطس المدينة الى اساسها ولما راى حجارتها العظيمة قال لا ريب في ان الله اعانني والاّ فما استطعت ان استولي عليها. اما الذين هلكوا مدة الحصار فقال يوسيفوس انهم بلغوا نحو ١١٠٠٠٠٠ ولعل ذلك من باب المبالغة ولكن يستفاد منهُ

تيطس يقدم المسالمة ايضًا للباقين

هدم المدينة

انهم كانوا خلقًا كثيرًا لان كثيرين حضروا العيد في اورشليم كما تقدم فانحصروا فيها وكانت غنائم الرومانيين وافرة جدًّا فرخص الذهب والفضة في اسيا لوفرة ما تبدد منها من خزائن اورشليم . اما الآنية المقدسة فنزعها الكهنة من الهيكل حين حرقهِ وخبأُوها ثم احضروها الى تيطس بعد الخراب فاخذها الى رومية لتزيين احتفالهِ ثم صورها على القنطرة التي اقامها هناك تذكارًا لنصرهِ وهذا التذكار باقٍ الى هذا اليوم . ثم بيعت ارض اليهودية بالمزائدة اذ فرغت تقريبًا من السكان

الغنيمة

اما اليهود المشتتون فلم يتركوا جنسيتهم ولم ينسوا دينهم ولا بلادهم فحفظوا فرائضهم وعوائدهم حيث توجهوا او اقاموا وكانوا يأملون الرجوع منصورين فاجتمع بعض علمائهم في الجليل واقاموا هناك مدرسة علموا فيها فرائض الدين والتقاليد وسُمُّوا بالربانيين واشتهروا في امتهم بعلمهم واحيوا في قلوب الذين اجتمعوا اليهم الرغبة في تجديد سياسة اليهود في بلادهم الاصلية وافضى هذا الى الفتن وخيانة الرومانيين فيما بعد كما سياتي في خبار رومية ان شاء الله

محافظة اليهود على جنسيتهم

الفصل الخامس

في ممالك اسيا الصغرى وما يليها بعد ملك اسكندر الى استيلاء الرومانيين عليها

١. لما انقسمت املاك اسكندر في حروب خلفائهِ قامت عدة ممالك في اسيا الصغرى وما يليها في ارمينية لم تكن معتبرة كالتي سبق ذكرها فنذكر انباءها بالاختصار وهي بَرْغامس وبيثينية وبَفْلَغونية وبنْطُس وكبدوكية وارمينية

برغامس

ملك فليتيرس ٢٨١ — ٢٦٣ ق.م

٢. انشئت هذه المملكة ايام سلوقوس الاول ملك سورية ايام محاربتهِ ليسيمخوس ملك ثراكية وكان ليسيمخوس قد ولّى رجلًا يسمى فِلِتيرُس على مدينة برغامس ولما قتلهُ سلوقوس (راجع ف٣ رقم ٧) استقلّ فليتيرس ولم يُطع ملوك سورية فاسس مملكة برغامس وملك نحو ١٧ سنة اي من سنة ٢٨١ الى سنة ٢٦٣ ق.م

ملك يومينيس الاول ٢٦٣ — ٢٤١ ق.م واتلس الاول ٢٤١ — ١٩٧ ق.م

٣. وخلفهُ ابن اخيهِ يومينيسُ الاول وملك نحو ٢٢ سنة وحارب انطيوخس الاول ملك سورية فقهرهُ ووسع تخوم مملكتهِ ومات يومينيس سنة ٢٤١ ق.م. وخلفهُ ابنُ عمهِ أَتَّلس الاول وملك نحو ٤٤ سنة ووسع مملكتهُ كثيرًا واشتهر اكثر من غيرهِ من دولتهِ فغلب الغاليين الذين سكنوا غلاطية وكانوا يغزون كثيرًا ثم حارب انطيوخس هيراكس اخا سلوقوس الثاني وكان استولى على جانب من اسيا الصغرى (راجع ف٣ رقم ١٢) وقهرهُ أتلس واخذ اكثر ما كان لهُ فزاد تخوم مملكتهِ حتى اشتملت على اكثر ما بين نهر هَلِس والارخبيل الرومي وكان ذلك في نحو سنة ٢٣٦ ق.م. غير ان انطيوخس الكبير سلبهُ اكثر املاكهِ بعد ذلك ولكن لما ضويق انطيوخس من خروج بعض قوادهِ صالح اتلس

وردَّ لهُ ما اخذ منهُ ولما اشتعلت نيران الحرب بين رومية وفيلبس ملك مكدونية عاهد اتلس الرومانيين فعضدوهُ ولما عمد فيلبس الى اخضاعهِ لم يستطع فعظم شان اتلس وبقي على ما كان عليهِ من العظمة الى حين موتهِ سنة ١٩٧ ق٠م

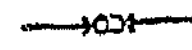
ملك يومينيس الثاني ١٩٧ — ١٥٩ ق٠م

٤. وخلفهُ بكرهُ يومينيس الثاني فملك ٣٨ سنة وكان ملكًا حكيمًا ذا بسالة ونشاط وكان على صداقة مع الرومانيين كابيهِ وساعدهم في حربهم لانطيوخس الكبير وفيلبس ولما انهزم انطيوخس سنة ١٩٠ ق٠م٠ اكرم الرومانيون يومينيس باملاك انطيوخس في اسيا الصغرى وبجانب من ثراكية فامست مملكة برغامس من اعظم الممالك في الشرق لذلك العهد وكان يومينيس هذا محبًّا للعلوم أيد امرها في مملكتهِ وانشأ مكتبة في برغامس لم تفقها غير مكتبة الاسكندرية وزخرف عاصمتهُ بابنية فاخرة فذاع صيتها وانتشر ذكرها ومات يومينيس سنة ١٥٩ ق٠م٠ ولما كان ابنهُ صغيرًا تولّى الملك بعدهُ اخوهُ أتلس الثاني الملقب فلادلفوس وملك ٣١ سنة وفي اول ملكهِ حارب مرارًا الملوك المجاورين ولا سيما بروسياس ملك بيثينية فقوي عليهِ فاضطر ان يستنجد الرومانيين فانذروا بروسياس وامروهُ ان يتخلى عن حرب اتلس ففعل وقضى أتلس اواخر حياتهِ بالسلام واعتنى بالعلوم كسالفهِ ومات سنة ١٢٨ ق٠م٠ وهو ابن ٨٢ سنة

ملك اتلس الثاني ١٥٩ — ١٢٨ ق٠م

ملك اتلس الثالث ١٢٨ — ١٢٣ ق٠م

٥. وخلفهُ أتلس الثالث ابنُ اخيهِ فملك ٥ سنين فقط وتلقب فلوميتر واساء السيرة وقتل مشيريهِ وخاصتهُ حتى امهُ فوبخهُ صغيرهُ وفي اخر حياتهِ اهمل امور السياسة ولما مات اوصى باملاكهِ للرومانيين وكان ذلك سنة ١٢٣ ق٠م٠ فقبل الرومانيون الوصية لكن أرِسْتونيقُس ابن نغل لأتلس قاومهم في ذلك ولما اشهر الرومانيون الحرب عليهِ هزمهم في اول الامر غير انهم قاموا عليهِ عقيب ذلك وغلبوهُ واسروهُ وملكوا برغامس سنة ١٣٠ ق٠م



بيثينية

٦. اما بيثينية فاطاعت اولاً كريسُس ملك ليدية ثم اطاعت الفرس غير ان

بعض الملوك الوطنيين قاموا في تلك المدة وكانوا يقاومون مرازبة الفرس احياناً اما اخبارهم فليست مهمة فضربنا عنها صفحاً غير انا نقول ان اخرهم ملك يسمى باس قام على المملكة قبل ايام اسكندر الكبير ولما استولى اسكندر على مملكة الفرس بقي باس مستقلاً فجهز اسكندر عليهِ جيشاً فلم يتمكن من قهرهِ ولما مات باس سنة ٣٢٦ ق.م. خلفهُ ابنهُ زيبيتيس وملك ٤٨ سنة وقاوم ليسيخوس ملك ثراكية وانطيوخس الاول ملك سورية ولم يطعهما ومات سنة ٢٧٨ ق.م. عن اربعة بنين

ملك باس

٧. ولما مات زيبيتيس تشاجر اثنان من بنيهِ وهما نيكوميديس وزيبيتيس في الملك ولما راى الاول انهُ غير قادر على طرد اخيهِ استدعى الغاليين لمعونتهِ فغلبهُ وغلب انطيوخس ايضاً في اثناء ذلك (راجع ف٣ رقم ٨) واستبدَّ نيكوميديس بما كان عليهِ الى ان مات سنة ٢٤٨ ق.م. وخلفهُ ابنهُ زيلاس وملك نحو ٣٠ سنة لكن اخبارهُ سقيمة ومات سنة ٢٢٨ ق.م. وخلفهُ ابنهُ بروسياس الاول وملك نحو ٤٥ سنة وكان يثير حروباً كثيرة ووسع تخومهُ حتى صارت من اعظم ممالك اسيا الصغرى لكنهُ وقعت الوحشة بينهُ وبين الرومانيين لانهُ اغار على يومينيس ملك برغامس وترحب بهنبال القرطاجني عدوهم العظيم لما التجأ اليهِ وعاون فيلبس المكدوني عليهم فقام الرومانيون وسألوهُ ان يسلم هنبال فخاف بروسياس وكاد يطيعهم الاَّ ان هنبال قتل نفسهُ وامرهُ الرومانيون ان يعطي يومينيس فريجية والاَّ قاتلوهُ فاطاع لكنهُ نجح في بعض حروبهِ في بنطس بعد ذلك ومات بروسياس سنة ١٨٠ ق.م

نيكوميديس الاول ٢٧٨ — ٢٤٨ ق.م وبروسياس ٢٢٨ — ١٨٠ ق.م

٨. وخلفهُ ابنهُ بروسياس الثاني وملك نحو ٣١ سنة وكان اثيماً شريراً تزوج اخت ملك مكدونية لكنهُ لم يساعدهُ في محاربتهِ الرومانيين بل اطاعهم واعترف بانهُ عبدٌ لهم خيفة ان ياخذوا ملكهُ لكنهُ شن الغارة على ملك برغامس سنة ١٥٦ ق.م. وكاد يخضعهُ فاكرههُ الرومانيون على ترك ما قد استولى عليهِ من املاك برغامس ودفع ٥٠٠ وزنة لملكها ونفر الناس منهُ لشرورهِ وعطفوا على ابنهِ نيكوميديس فارسلهُ الى رومية وامر بقتلهِ هناك اما نيكوميديس فكشف الامر واظهرهُ فجهزهُ الرومانيون الى وطنهِ ليحارب اباهُ فاستولى على ابيهِ وقتلهُ سنة ١٤٩ ق.م

بروسياس الثاني ١٨٠ — ١٤٩ ق.م

٩. ثم ملك نيكوميديس ولُقّب بإيفنيس واستبد بالملك ٥٨ سنة وكان كثير الحرب وحالف الرومانيين فلما كانوا يحاربون ارستونيقس من برغامس (راجع رقم ٥) انجدهم بفرقة

عسكراكه لم يرضهم في كل ما عمله وانه حالف مثرداتيس ملك بنطس عدو رومية لكنه مانعه اخيرًا لما عزم على اخضاع كبدوكية واخذ ارملة ملك كبدوكية السابق واثبت ملكها على البلاد اما مثرداتيس فتمكن من طردها ثم اقام نيكوميديس زعيمًا على تخت كبدوكية اما رومية فلم ترضَ بذلك ولم تقبل صولته في البلاد ومات نيكوميديس سنة ٩١ ق.م.

نيكوميديس الثالث ٩١—٧٤ ق.م

وكان له ابنان نيكوميديس وهو البكر وعرف بنيكوميديس الثالث والاصغر سقراط وتبوأ الاول تخت المملكة. اما سقراط فحالف مثرداتيس ملك بنطس فجهزهُ لمحاربة اخيهِ فطاردهُ من ملكهِ وناب منابهُ غير ان رومية لم ترضَ ذلك فامرت باعادة نيكوميديس فلم يقدر سقراط على مقاومة رومية فاعتزل ولما عاد نيكوميديس الى ملكهِ انتقم من مثرداتيس وغزا بعض املاكهِ فاغتاظ وحشد جنودهُ وسار في خلقٍ عظيم وهاجم نيكوميديس وهزمهُ وطردهُ ومعاونيهِ من الرومانيين من بلادهِ فقام الرومانيون على مثرداتيس وغلبوهُ وارجعوا نيكوميديس الى ملكهِ سنة ٨٤ ق.م. وملك بالسلام الى ساعة موتهِ في سنة ٧٤ ق.م. ولما لم يكن له ولد اوصى بمملكتهِ للرومانيين فاستولوا عليها فانتهت دولة بيثينية



بفلغونية

١٠. كانت بفلغونية تابعة الفرس لكنها لم تطعهم كل الطاعة فلما قام إجسلاوس ملك سبرطا وشن الغارة على الفرس حالفهُ كوتس ملك بفلغونية وكان ذلك في نحو سنة ٣٩٤ ق.م. فاستقلت البلاد بعض الاستقلال ولما انقرضت دولة الفرس انضمت بفلغونية الى مملكة بنطس واستمرت على تلك الحال الى نحو سنة ٣٠٠ ق.م. حين قامت فيها دولة وطنية غير انها لم تتقوَّ بل ضاق بها الامر اذ اغار عليها ملوك بنطس من ناحية وملوك بيثينية من ناحية اخرى فلم تشتهر هذه الدولة ولم تستحق ملوكها الذكر وانتهت في نحو ١٠٣ ق.م. اذ

استولى على البلاد نيكوميديس الثاني ملك بيثينية واقام عليها احد بنيهِ ملكًا وملك نحو ١٢ سنة ثم طردهُ مثرداتيس وضم بفلغونية الى مملكتهِ في نحو سنة ٩٠ ق.م



بنطس

ملك أريوبرزانيس الاول ٣٦٣ — ٣٣٧ ق.م

١١. كانت هذه البلاد جزءا من ولاية كبدوكية ايام داريوس الاول ملك الفرس وتولى امرها ولاة الفرس الى نحو سنة ٣٦٣ ق.م. فخرج أريوبرزانيس عليهم وملك الجانب الشمالي من ولاية كبدوكية عند البحر الاسود وهو بلاد بنطس المعهودة وملك أريوبرزانيس ٢٦ سنة وخلفهُ ابنهُ مثردانيس الاول سنة ٣٣٧ ق.م. ولما اثار اسكندر الحرب على الفرس راعى مثرداتيس الحيادة وبقي مستقلاً الى موت اسكندر لكنهُ لما قام بردكاس على المملكة اكرههُ على الطاعة وكان في حروب خلفاء اسكندر يطيع تارةً أنتغنوس واخرى يومينيس فقام عليهِ أنتغنوس وقتلهُ سنة ٣٠٢ ق.م

مثرداتيس الاول ٣٣٧ — ٣٠٢ ق.م

١٢. وخلفهُ ابنهُ مثرداتيس الثاني وغزا املاك كبدوكية وبفلغونية فوسّع تخومهُ وملك الى نحو سنة ٢٦٦ فمات وخلفهُ ابنهُ أريوبرزانيس الثاني وملك نحو ٢١ سنة لكن اخبارهُ قليلة لا يهتم بها ومات سنة ٢٤٥ ق.م. وخلفهُ ابنهُ مثرداتيس الثالث وكان صغيرًا عند ما ملك لكنهُ لما بلغ سن الرشاد اظهر من البأس والدراية ما يستحق الاعتبار فتزوج اخت سلوقوس الثاني واستولى على فريجية مهرًا لها ولكن لما قام انطيوخس هيراكس وخرج على سلوقوس حالفهُ مثرداتيس وفي اثناء الحرب هزم سلوقوس شرَّ هزيمة ولم تعلم مدة ملكهِ يقينًا والمرجح انهُ ادرك سنة ١٩٠ ق.م

مثرداتيس الثاني ٣٠٢ — ٢٦٦ ق.م

فرناكيس ١٩٠ — ١٦٠ ق.م

١٣. ثم خلفهُ ابنهُ فرناكيس ففتح مدينة سنوبي التي كانت لليونان وجعلها قاعدة ملكهِ وحارب يومينيس ملك برغامس وغزا كثيرًا الا انهُ انهزم اخيرًا وردَّ كل ما كان استولى عليهِ غير سنوبي المذكورة ومات فرناكيس في نحو سنة ١٦٠ ق.م. وخلفهُ ابنهُ

مثرداتيس الرابع الملقب بيوركتيس وملك نحو ٤٠ سنة وحالف أتلس الاول ملك برغامس في حروبهِ لپروسياس ملك بيثينية سنة ١٥٤ ق. م. ثم حالف الرومانيين في حروبهم لقرطاجنة وارستونيقس زعيم برغامس ولما غلب الرومانيون اعطوهُ فريجية الكبرى ثوابًا لهُ وهلك هذا الملك في نحو سنة ١٣٠ ق.م. بان قام عليهِ بعض خدمهِ وقتلوهُ

مثرداتيس الرابع ١٦٠—١٢٠ ق م

١٤. وقام بعدهُ بكرهُ وهو مثرداتيس الخامس الملقب بيوپاتور والكبير وكان اعظم ملوك بنطس واشهرهم وكان عمرهُ لما ملك احدى عشرة سنة فتسلط عليهِ الوكلاء حتى بلغ الحلم وقيل انهم ظلموهُ وارادوا قتلهُ سرًّا لكنهُ نجا وتهذب حتى كان يتكلم في خمس وعشرين لغة فلما وفد عليهِ الوفود كان يكالمهم كل واحد بلغتهِ وكان مولعًا بصيد الوحوش واحتمل فيهِ من المشاقّ ما عوّدهُ احتمال اشد الاتعاب في الحرب وقيل انهُ كان يتناول مقادير معتدلة من السموم قصد ان يعود جسدهُ اخذها بدون ضرر فيصونهُ عن مكايد اعدائهِ الذين ارادوا قتلهُ سمًّا ولما بلغ العشرين من العمر تولّى الملك وما لبث ان شرع في توسيع مملكتهِ وصيانتها لانهُ رأى شهوة الرومانيين ورغبتهم في الاستيلاء على الامم والممالك وعلم انهُ لا بدّ من محاربتها بعد حين فصمم على مقاومتها بكل شدة واخذ في ما يمكنهُ من ذلك فشن الغارة اولاً على الاطراف الشرقية حيث لا يمانعهُ الرومانيون واستولى على جانب من ارمينية وعلى الجوانب الشرقية من البحر الاسود وعلى القرم وما يليها من الشط الشمالي وعاهد بعض البرابرة في نواحي الدانيوب لكي يستعين بهم عند حاجة الهجوم على ايطاليا من ذلك الطرف

مثرداتيس الخامس ١٣٠—٦٣ ق.م

توسيع مملكتهِ

١٥. ثم عاد مثرداتيس الى بلادهِ واخذ في ما يؤيد امرهُ في اسيا الصغرى اذ تيقن انهُ يضطرُّ بعد قليلٍ الى محاربة الرومانيين وعلم ذلك الرومانيون فعزموا على اخضاعهِ غير انهم تاخروا مدةً لانهم كانوا منهمكين بحرب اهلية حينئذٍ ولما لم يكن مثرداتيس على استعداد كافٍ لمحاربتهم سلم بما امروا بهِ في شان كبدوكية حيث اقاموا اريوبرزانيس ملكًا عليها وفي شان بيثينية حيث ملّكوا نيكوميديس اياها وكان ذلك نحو سنة ٩٠ ق م. اما نيكوميديس فهاجم املاكهُ الخاصة سنة ٨٩ ق. م. ولما لم ينصفهُ الرومانيون نادى بحربهم وكانت المباشرة بها سنة ٨٨ ق.م. فسار اولاً الى كبدوكية وغزاها وطرد ملكها ثم سار الى بيثينية وعاملها كذلك ثم غزا غلاطية وفريجية حتى املاك رومية في اسيا الصغرى واستولى عليها الا بعض مدن على الشطوط وشتّى في برغامس وهنالك أمر بان يُقتَل جميع الرومانيين

استعداده لمحاربة رومية

حربهُ لنيكوميديس والرومانيين سنة ٨٨ ق.م

في اسيا فاهلك منهم نحو ٨٠٠٠٠ . فتوقدت رومية غيظًا . وفي سنة ٨٧ ق٠م٠ جهز مثرداتيس البوارج الكثيرة والجيوش العديدة الى بلاد اليونان لمناوأة الرومانيين لكنهم انهزموا فتقدم الرومانيون الى اسيا وطردوا مثرداتيس من الجوانب الغربية وفي سنة ٨٥ ق٠م٠ هزموهُ في بيثينية ففرَّ لا يثق بالنجاة فسأل الرومانيين الصلح فصالحوهُ على شرط انهُ يخلي كل فتوحاتهِ في اسيا ويؤديهم ٣٠٠٠ وزنة من الذهب ويسلم اليهم سبعين من بوارجهِ وتم ذلك الاتفاق بين الفريقين سنة ٨٤ ق٠م

عقد الصلح سنة ٨٤ ق٠م

١٦. ولما رأت الامم الخاضعة لمثرداتيس ما كان خرجت عليهِ ومنها القرم فشرع يجمع البوارج والجنود لاكراهها على الطاعة لكنهُ امتنع ساعتئذٍ لان موربنا قائد رومية في اسيا اخذ يغزو املاكهُ سنة ٨٣ ق٠م٠ بدون حق فرفع مثرداتيس الدعوى الى رومية فامرت موربنا ان يتنحَّى عن ذلك فلم يطع فعمد مثرداتيس الى مقاتلتهِ فهزمهُ وطردهُ واستولى على كبدوكية ثم صالحتهُ رومية على شرط انهُ يخلي كبدوكية فاجابها الى ذلك سنة ٨٢ ق٠م٠ ثم وجه الى العصاة والزمهم الطاعة بين سنة ٨١ وسنة ٧٤ ق٠م٠ وفي هذه المدة بذل جهدهُ في الاستعداد لمحاربة الرومانيين فجمع المهمات والعساكر وهذَّبهم ومرَّنهم تمرين عسكر الرومانيين وحالف امَّا كثيرة لكي تساعدهُ وجمع نحو ٤٠٠ بارجة عظيمة ولم يهمل شيئًا مما يمكنهُ من الغلبة

الحرب الثانية لرومية سنة ٨٣ و٨٢ ق٠م

١٧. وحدث في اثناء ذلك ان نيكوميديس الثالث ملك بيثينية مات واوصى للرومانيين كما مر (رقم ٩) فصمم مثرداتيس على اخذها دون الرومانيين اذ كانت بيثينية على تخومهِ الخاصة ولم يرد ان يكونوا جيرانهُ وكان لا بد من مقاومة رومية في هذا الامر فشبت لظى الحرب الثالثة بينهُ وبين رومية سنة ٧٤ ق٠م٠ فافضت بهِ الى الهلاك وابدى مثرداتيس في تلك الحرب من الباس والشجاعة وشدة العزم ما يستحق كل الاعتبار لانهُ قاوم قوة رومية العظيمة مدة ٩ سنين ولم تقدر عليهِ حتى جهزت لمحاربتهِ بمبيوس قائدها الشهير وغزا مثرداتيس في هذه الحرب بيثينية وبلغ الشطوط الغربية قبل ان ردَّهُ الرومانيون ثم انهزم وهلك من جنودهِ كثيرون وانكسرت بوارجهُ وكان ذلك سنة ٧٣ ق٠م٠ فعاد الى بلادهِ وحشد جيشًا جديدًا وقدم ثانيةً على الرومانيين في السنة التالية وكان قائدهم حينئذٍ لوقُلُّس فهزم مثرداتيس شرَّ هزيمة ففرَّ هاربًا الى ارمينية واستغاث بتيغرانيس ملكها فلم يغثهُ حالاً فخمدت الحرب سنتين سنة ٧١ وسنة ٧٠ ق٠م٠ فسأل

الحرب الثالثة لرومية ٧٤—٦٥ ق٠م

انكساره سنة ٧٣ ق٠م

الرومانيون تيغرانيس ان يسلم مثرداتيس فأبى فحاربوهُ وفي سنة ٦٩ ق.م. سار لوقلس الى ارمينية وقهر تيغرانيس وافتتح قاعدة ملكهِ وفي سنة ٦٨ ق.م. غلبهُ ايضًا وغزا بلادهُ اما مثرداتيس فعاد الى بنطس وجمع جيشًا آخر وهزم فابيوس وهو احد قواد رومية وحاصرهُ في مدينة كبيرا وفي سنة ٦٧ ق.م. هزم جيشًا آخر للرومانيين وقتل منهم ٧٠٠٠ نفس وخان اوقلس عسكرهُ فلم يفز بشيءٍ فاسترد مثرداتيس وتيغرانيس بنطس وكبدوكية وفي سنة ٦٦ ق.م. دعت رومية لوقلس وعزلتهُ وبعثت بمبيوس قائدًا فلما وصل هاجم مثرداتيس وقهرهُ فانهزم نحو ارمينية اما تيغرانيس فخاف من غضب رومية فلم يدع مثرداتيس يلتجئ اليهِ فتوجه الى كُخس شرقي البحر الاسود ومن ثمَّ الى بلاد القرم ولما لم يجسر بمبيوس على مطاردتهِ هناك تركهُ فانتهت الحرب سنة ٦٥ ق.م. واستولت رومية على كل املاكهِ في اسيا. اما مثرداتيس فلم تطفأ نيران غيظهِ فقصد مهاجمة رومية ايضًا على طريقة جديدة فانهُ شرع يستميل اليهِ البرابرة في نواحي نهر الدانوب لكي يحالفوهُ فينزلوا جميعًا على ايطاليا من الشمال الشرقي ويغزونها فلم يرضَ خاصتهُ ذلك ومنعوهُ منهُ واراد بعضهم قتلهُ فلما علم بذلك امر احد حراسهِ بقتلهِ فقتلهُ وكان ذلك سنة ٦٣ ق.م. وعمرهُ نحو ٦٨ سنة فمات بعيد الصيت شائع الذكر اذ كان اكبر اعداء رومية

استغاثته تيغرانيس

هرب مثرداتيس ونهاية الحرب سنة ٦٥ ق.م

كبدوكية

١٨. كانت هذه البلاد خاضعة للفرس يحكم عليها المرازبة الى عهد اسكندر الكبير وكان المرزبان عليها حينئذٍ ارياراثيس وهو الذي اراد الاستقلال بعد موت اسكندر فقهرهُ بردكاس وصلبهُ سنة ٣٢٢ ق.م. واقطع يومينيس كبدوكية فمات هذا سنة ٣١٦ ق.م. فقام ابن عم لارياراثيس وطرد المكدونيين وتولى الملك ولقب بارياراثيس الثاني وبقي على ما كان عليهِ الى ساعة موتهِ في نحو سنة ٢٨٠ ق.م. وخلفهُ ابنهُ اريامنس واخبارهُ

ارياراثيس الثاني الى سنة ٢٢٠ ق٠م

سقيبة وخلفهُ ابنهُ ارياراثيس الثالث واخبارهُ كاخبار ابيهِ ومات في سنة ٢٢٠ ق٠م٠ وقام بعدهُ اورياراثيس الرابع وكانت لهُ يد في امور سورية واسيا الصغرى فانهُ كان ابن خالة انطيوخس الكبير واخذ ابنتهُ زوجةً وشاركهُ في محاربتهِ اروميةَ وكان معهُ يوم انهزم في مغنيسيا سنة ١٩٠ ق٠م٠ فاغاظ الرومانيين وخاف من قوتهم وسالمهم فخالف يومينيس صاحبهم وعاونهُ على ملك بنطس وحارب الغاليين وبقي على مودة رومية الى حين موتهِ وذلك سنة ١٦٣ او ١٦٢ ق٠م

ارياراثيس الخامس ١٦٣—١٣١ ق٠م

١٩٠. وخلفهُ ابنهُ ارياراثيس الخامس وجرى على سنن ابيهِ في موادة رومية ولما طلب ديمتريوس ملك سورية محالفتهُ ابى فاغتاظ ديمتريوس وجهز عليهِ زعيمًا طردهُ من ملكهِ فارجعتهُ رومية فكان على صداقة عظيمة معها ولما حدثت الحرب بينها وبين ارستونيقس زعيم برغامس سار لمساعدتها وقتل في حومة الوغى سنة ١٣١ ق٠م

ارياراثيس السادس الى سنة ٩٦ ق٠م

٢٠. وكان لهُ ستة بنين صغار فتولت لاودكي امرأتهُ الملك وكانت شريرة فقتلت خمسة من الاولاد اما الاصغر فانقذهُ اقرباؤهُ من امهِ فملك بعد موتها ولُقّب بارياراثيس السادس ولم يرد في كتب التاريخ الّا القليل من انبائهِ وحالف مثرداتيس الكبير ملك بنطس وتزوج اختهُ وقُتل سنة ٩٦ ق٠م٠ قيل ان قاتلهُ دسيسٌ من مثرداتيس فقام مثرداتيس بعد موتهِ واختلس املاكهُ اما لاودكي امرأة الملك السابق فاستغاثت نيكوميديس ملك بيثينية فلما راى مثرداتيس انهُ لا يقدر على ملك كبدوكية اقام عليها بكر الملك السابق ولقبهُ بارياراثيس السابع لكنهُ لم يسرَّ بهِ فقتلهُ بعد سنة واقام ابنهُ مكانهُ وغير اسمهُ فدعاهُ ارياراثيس فلم يقبلهُ اهل كبدوكية فاقاموا مكانهُ اخًا لاريارثيس السابع فقتلهُ مثرداتيس فباد نسل العائلة الملكية

اريوبرزانيس الاول ٩٣—٦٤ ق٠م

٢١. ثم تسابق مثرداتيس ونيكوميديس الى ملك كبدوكية فقطعت الخلاف رومية بان امرت الاهالي بان ينتخبوا ملكًا فانتخبوا رجلًا يسمى اريوبرزانيس سنة ٩٣ ق٠م٠ لكنهُ ما لبث ان طردهُ تيغرانيس ملك ارمينية فالتجأ الى الرومانيين فاعادوهُ فملك الى سنة ٨٨ ق٠م٠ ثم طردهُ مثرداتيس واختلس املاكهُ فردها الرومانيون اليهِ سنة ٨٤ ق٠م٠ واستبدَّ بها الى سنة ٦٧ فطردهُ مثرداتيس وتيغرانيس لكنهُ استردها في السنة التالية بمعونة بمبيوس وبقي نحو سنتين ثم اعتزل الملك وسلمهُ الى ابنهِ وهو اريوبرزانيس الثاني ولُقّب بيوسيبيس وكان صاحبًا لشيشرون خطيب رومية الشهير فلُقّب "محب الرومانيين"

٢٢. وملك اريوبرزانيس الثاني في نحو سنة ٦٤ ق.م. ولما حدثت الوحشة بين بمبيوس ويوليوس قيصر اعتصب للاول فلما غلب قيصر خصمهُ خاف اريوبرزانيس ان يخسر ملكهُ لكن قيصر سامحهُ وابقاهُ فقاوم بعد موت يوليوس من قتلوهُ فتقدم قسيوس عليهِ وقتلهُ سنة ٤٢ ق.م. ولما غلب انطونيوس واوغسطس واستوليا على رومية ولى الاول ملك كبدوكية رجلاً يسمى ارياراثيس التاسع (ظنهُ المؤرخون ابن الملك السابق) لكنهُ قتلهُ سنة ٣٦ ق.م. واقام مكانهُ رجلاً يسمى أرْخلاوس استبد بالملك في ايام طيباريوس قيصر فغضب طيباريوس يومًا عليهِ فدعاهُ الى رومية سنة ١٥ ب.م. وابقاهُ هنالك فمات بعد سنتين فضُمَّت كبدوكية الى ولايات رومية

اريوبرزانيس الثاني ٦٤—٤٢ ق.م

ارمينية

٢٣. كانت هذه البلاد جزءًا من مملكة السلوقيين الى ايام انطيوخس الكبير ولكن لما انهزم هذا في مغنيسيا سنة ١٩٠ ق.م. خرجت عليهِ وانقسمت الى مملكتين ارمينية الكبرى وارمينية الصغرى والفاصل بينهما نهر الفرات وكانت الصغرى غربية اما الكبرى فكان ملكها الاول قائدًا من قواد انطيوخس يسمى أرْتكسياس ملك نحو ٢٥ سنة ثم قام انطيوخس الرابع وقهرهُ واسرهُ في نحو سنة ١٦٥ ق.م. وبقيت ارمينية الكبرى خاضعة لملوك سورية الى نحو سنة ١٠٠ ق.م. ثم استقل بها رجل اسمهُ أرْتوادِسْتُس جُهلت اخبارهُ ثم قام تيغرانيس الاول في سنة ٩٦ ق.م. وهو تيغرانيس المشهور

انشاء المملكة وقسمتها

ارتكسياس الاول ١٩٠—١٦٥ ق.م

٢٤. وكان تيغرانيس هذا من نسل أرتكسياس رقى المملكة كثيرًا واضاف اليها جانبًا من املاك الفرثيين ما بين النهرين ووجه جيوشهُ نحو سنة ٨٣ ق.م. الى سورية وملكها كما تقدم (راجع ف٣ رقم ٣٠) واستولى على كيليكية وعظم شانهُ وبنى مدينة تيغرانوسرتّة واتخذها قاعدة ثم غزا كبدوكية سنة ٧٥ ق.م. وسبى نحو ٣٠٠٠٠٠ من الاهالي فاستحكمت الوحشة

تيغرانيس الاول ٩٦—٥٥ ق.م

بينهُ وبين رومية لانها كانت تخفر كبدوكية فزاد على ذلك ان حالف متْرداتيس فكان ما كان عليهِ من الرومانيين كما مر (انظر رقم ١٧) فنزعت رومية منهُ كل فتوحاتهِ السابقة فبقي ملكًا على ارمينية الكبرى لكنهُ كان امينًا لرومية فزاد لهُ بمبيوس املاكهُ ومات تيغرانيس نحو سنة ٥٥ ق.م. وخلفهُ ابنهُ أرْتَفاسْتيس الاول

ارتفاستيس ٥٥—٣٤ ق.م ٣٥. وبقي هذا على موادة رومية وعاون كرسُّس قائدها لما شن الغارة على الفرثيين لكنهم غلبوهُ فاضطرَّ أرتفاسنيس ان يعاهدهم ثم حالف الرومانيين ايضًا ايام انطونيوس اذ اغار على الفرثيين ولكن لما انهزم هذا نفر من أرتفاستيس فاخذهُ اسيرًا سنة ٣٤ وقتلتهُ كليوبطرا ملكة مصر سنة ٣٠ ق.م

ارتكسياس الثاني ٣٤—١٩ ق.م ولما أُسر اقام الارمن أرتكسياس الثاني ابنهُ ملكًا سنة ٣٤ ق.م. ولم يسلم الرومانيون بذلك فعزلوهُ لكنهُ استرد ملكهُ بعد ذلك وقتل الرومانيين في بلادهِ واستبدَّ بالملك الى سنة ١٩ ق.م. وحينئذٍ قام عليهِ بعض اقربائهِ وقتلوهُ ثم تسلط الرومانيون على البلاد واقاموا اخاهُ ملكًا وهو تيغرانيس الثاني وبقيت المملكة خاضعة لرومية لكنها كانت مستقلة بعض الاستقلال وظلت كذلك الى سنة ١١٤ ب.م. ثم صارت ولاية من ولايات مملكة رومية

ارمينية الصغرى ٣٦. اما ارمينية الصغرى فاستقلت في نحو سنة ١٩٠ ق.م. وقام عليها بعض قواد انطيوخس الكبير وانشأ دولتها فبقيت الى عهد متْرداتيس الكبير فغزاها واضافها الى مملكتهِ واستمرت كذلك حتى استولى الرومانيون عليها يوم قهروا متْرداتيس واخبار ملوكها سقيمة جدًا فضربنا عنها صفحًا وصارت ولاية لرومية في ايام فسباسيانس في نحو سنة ٧٠ ب.م

اما اخبار بَكْتْريا وفرثيا وهما في الجوانب الشرقية من مملكة اسكندر فستذكر بعد ذكر اخبار رومية لانهما لم تخضعا لها كسائر الممالك

الكتاب الرابع

القسم الاول

في تاريخ رومية وما يتعلق به

الفصل الاول

في وصف بلاد ايطالية واقسامها

هيئة ايطاليا ١. هذه البلاد شبه جزيرة يحدها من الشمال جبال الالب وتمتد جنوبًا في البحر المتوسط طولها ٧٢٠ ميلاً ومعظم عرضها في القسم الشمالي نحو ٣٣٠ ميلاً وفي القسم الجنوبي نحو ١٠٠ ميل ومساحة البلاد نحو ١١٠٠٠٠ ميل مربع وشطوطها البحرية ممتدة كثيرًا غير ان خلجانها قليلة بخلاف بلاد اليونان فلم تكن لها موانى كثيرة ولم يتقدم اهاليها قديمًا في التجارة كاليونان. لكن في جنوبيها خليجًا واسعًا يسمى خليج تارَنْتُم فيهِ عدة مرافئ حسنة وفيها بعض موانى صالحة على الشاطئ الغربي اما موانى الشرقي فقليلة جدًّا وليست حسنة وكانوا يسمون البحر الشرقي بحر ادريا والغربي ترّينيا

الجبال ٢. وجبال هذه البلاد عظيمة جدًّا منها جبال الالب تحيط بالقسم الشمالي غربًا وشمالاً وهي اعلى جبال اوربا ارتفاع اعلاها نحو ١٥٠٠٠ قدم وارتفاع اوطاها نحو ٤٠٠٠

قدم علوًّا وطول هذه السلسلة نحو ٤٨٠ ميلاً طرفها الجنوب الغربي يمس البحر وتمتد منهُ
سلسلة اخرى تحيط بالبحر شرقًا ثم تخرق شبه الجزيرة جنوبًا وتسمى هذه السلسلة الأَپنين
وتتفرع منها جبال كثيرة تشغل كل شبه الجزيرة تقريبًا ومنها بزوف وهو بركان اي جبل
نارٍ مشهور قرب مدينة نابولي

النهور ٣. واعظم نهور هذه البلاد نهر بو في القسم الشمالي مخرجهُ في الجبال الغربية يجري
شرقًا ويصب في بحر ادريا وطولهُ نحو ٤٠٠ ميل ولهُ فروع عديدة قبل انها نحو مئة او
اكثر وفي القسم الجنوبي نهيرات كثيرة منها ارنو وتيبر وليرس وڤُلْتُرْنُس وغيرها

اقسام البلاد ٤. واقسام البلاد كثيرة لكنها تنقسم طبعًا الى قسمين كبيرين وهما القسم الشمالي وهو
وادي البو وما يتعلق بهِ والقسم الجنوبي وهو شبه الجزيرة الحقيقي وقصر القدماء اسم ايطاليا
عليهِ فوادي البو كثير الخصب والنهور وكان فيهِ قبائل شتى لكنهُ لم يقسم الى سوى ثلاثة
ليغوريا اقسام وهي ليغوريا وڤنيتيا وغاليا القربى . فليغوريا هي الاطراف الغربية ولا سيما ما بين نهر
ڤنيتيا البو والبحر وڤنيتيا الاطراف الشرقية بين بحر ادريا والالب وغاليا القربى ما بقي من القسم
غاليا القربى الشمالي وسُمّيت غاليا لان الغاليين قطعوا جبال الالب حين هاجروا اوطانهم وسكنوا في
وادي البو فسُمّيت تلك النواحي باسمهم وسماها الرومانيون غاليا القربى تمييزًا لها عن غاليا
القصوى غربي الالب

ويتقسم القسم الجنوبي الى ولايات كثيرة اعظمها إيترُوريا وأُمْبريا وپسينُم ولاتيوم وبلاد
ايترُوريا السبينيين وسمنيوم وكمپانيا ولوكانيا وابرُتيوم وإپوليا ومساپيا فإيترُوريا الجزء الشمال الغربي
من شبه الجزيرة بين جبال الاپنين والبحر ممتدة الى نهر تيبر جنوبًا وكانت فيها اثنتا عشرة
امبريا مدينة معتبرة منها طَرْكويني وكلوسيوم وڤيي . وأُمبريا الجزء الشمال الغربي من شبه الجزيرة
شرقي ايترُوريا ممتدة منها شرقًا الى بحر ادريا وكان من مدنها سنتينم التي التحمت فيها
پسينم الحرب العظيمة بين الرومانيين والغاليين ومنها اسپوليتيوم وناريناه . وپسينم الجزء الذي على
لاتيوم بحر ادريا جنوبي أُمبريا ومن مدنها أنكونا وفرْمُم وأَسكُلُم . ولاتيوم الجزء الغربي جنوبي
ايترُوريا ممتدة من نهر تيبر الى نهر ليرس ومدنها نحو ثلاثين اعظمها رومية وهي على نهر
بلاد السبينيين التيبر ومنها برِينستي وغابيي ولاڤنيوم . وبلاد السبينيين وسط شبه الجزيرة للجنوب من
أُمبريا وپسينم والشمال الشرقي من لاتيوم ممتدة شرقًا الى بحر ادريا وكانت فيها عدة قبائل وهي
سمنيوم المرْسيون ومرُّوسينيون والپلِغنيون والڤستينيون وغيرهم . وسمنيوم وسط شبه الجزيرة لا تمسُّ البحر

كمبانيا واشهر مدنها بِنْفَنتم. وكمبانيا على البحر الغربي للجنوب الشرقي من لاتيوم وللغرب من سمنيوم

اوكانيا ومن مدنها المشهورة نابولي وكُبوا. ولوكانيا في الجنوب الشرقي من كمبانيا وسمنيوم تمس البحر الغربي من الجهة الواحدة وخليج تارنتم من الجهة الاخرى وكان اعظم مدنها على هذا الخليج سِبَرِس وثوريي ومتَبنتم.

ابرتيوم وإبرُتيوم الطرف الجنوب الغربي من شبه الجزيرة تحدها لوكانيا من الشمال وبوغاز سيسيليا من الجنوب واشهر مدنها ريغيوم وهي على البوغاز المذكور وكروتون وهي على الشط الشرقي عند مدخل خليج تارنتم.

ابوليا وابوليا على بحر ادريا شرقي سمنيوم ولوكانيا واشهر مدنها أَرْبي وكَنّي وكنوسيوم وڤنوسيا.

مسابيا ومسّابيا الطرف الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الواقع بين خليج تارنتم وبحر ادريا واعظم مدنها تارنتم وهي على الخليج وبرندوسيوم على بحر ادريا (وتسمى الآن برنديسي)

الجزائر ٥. واكبر الجزائر التابعة لايطاليا سيسيليا (وتسمى عند العرب صقلية) وسردينيا وكورسيكا وبين سيسيليا وايطاليا جملة جزيرات تسمى اللپرية.

سيسيليا وسيسيليا كهيئة مثلث تقريبًا ومساحتها نحو ١٠٠٠٠ ميل مربع واعظم مدنها مسَّانا عند البوغاز المذكور وسرقوسا على الشط الشرقي وجيلا وأغرجنتم وساينس على الشط الجنوب الغربي وللّيبوم على الطرف الغربي وپنورمُس على الشط الشمالي. واشهر جبالها جبل إتْنا في الجوانب الشرقية وهو بركان اي جبل نار وجزيرة سردينيا اكبر من سيسيليا قليلاً ومساحتها نحو ١١٠٠٠ ميل مربع وهيئتها مستطيلة وكورسيكا للشمال من سردينيا وهي اصغر منها كثيرًا

الفصل الثاني

في دولة ملوك رومية الاولين

اصول تاريخ رومية. كتب لفيوس وديونيسيوس وبوليبوس وديودورس سكلس وديو قسيوس وزوناراس وسلست وقيصر وتستس وهم اشهر المورخين الرومانيين واليونان القدماء. وكتب المورخين المتاخرين ومنهم نيبور وممسن من الالمانيين وارنلد ولدّل ومرفيل وغبون من الانكليز وامبير ودوروي من الفرنسيين

Niebuhr, B.G., Römische Geschichte, 3 vols
Mommsen, Th. ,, ,, 4 ,,
Arnold, T., History of Rome, 3 vols.
Liddel, H.G. ,, ,, from the earliest times to the establishment of the Empire, 3 vols.
Merivale, C., History of the Romans under the Empire, 8 vols.
Gibbon, E., Decline and Fall of the Roman Empire, 6 vols.
Ampère, J.J., L'Histoire Romaine à Rome, 3 vols.
Duruy, V., Histoire des Romains depuis les temps les plus reculés, 2 vols.

اهمية تاريخ رومية

١. كانت امة الرومانيين صغيرة وضعيفة في اول الامر لكنها تقدمت شيئًا فشيئًا حتى سبقت كل ممالك العالم في امتداد سلطتها وقوتها وامست على غاية الصيت والذكر بين كل الامم المتمدنة ولا يخفى ما في اخبارها من الاهمية لطلبة علم التاريخ فان اسباب التقدم والتأخر في الامور السياسية ظاهرة فيها كل الظهور وتاثير هذه الامة في تمدن العالم في عصرها وفيما بعد الى عصرنا هذا مما لا يحيط بهِ وصف فيستحق تاريخها غاية الاعتبار

اخبارها الاولية

٢. واخبار الرومانيين القدماء سقيمة جدًّا لبعد عهدها وقلة اثارها ويتضح من مقابلة بعض تلك الاخبار ببعض ما يركن اليهِ من بقاياها ان كثيرًا منها حديث خرافة ويصعب على الطالب الوقوف على الصحيح منها غير ان بعضهم ولا سيما نيبور الالماني قد نظر فيها واتى من التحقيق والتدقيق ما اظهر صحة بعضها

السكان الاولون

٣. وكان سكان ايطاليا الاولون لفيفًا من اجناس مختلفة كثيرة نقتصر على ذكر اكثرها اعتبارًا. واقدمها على ما يظن قبيلة اليابيجيين سكنوا الجوانب الجنوبية الشرقية قرب شطوط

ايبرُس وبلاد اليونان وذهب بعضهم الى انهم من جنس الفلاسجيين سكان بلاد اليونان الاولين (راجع ك ٢ ف ٣ رقم ١) ولغتهم تشبه لغة اليونان ولما اتى مهاجرو اليونان الى اطرافهم واستوطنوها انضموا اليهم واعتادوا عوائدهم وتكلموا بلغتهم

الاينوتريون وغيرهم

وكان في برتيوم ولوكانيا قبيلة قديمة تسمى الاينوتريين وبلادهم اينوتريا والظاهر انهم جانسوا الفلاسجيين وما تواتر عندهم انهم من بلاد اليونان وفي الجوانب الجنوبية من الجزيرة قبائل مختلفة من جنسهم لكنّ هاتين القبيلتين اكثرها اعتبارًا

الايطاليون

٤. وكان في اواسط شبه الجزيرة الايطاليون وهم جملة قبائل والظاهر انهم اتوا البلاد من الشمال وكان الفلاسجيون فيها فتسلط عليهم الايطاليون وطردوهم الى الاطراف الجنوبية ومن قبائلهم السبينيون والأمبريون والأُوسكيون واللاتينيون اما السبينيون

السبينيون

(ويسمون سَبَلّيين ايضًا) فكانوا قبيلة معتبرة متشعبة سكنوا بلاد السبينيين وسمنيوم وجانبًا من كمبانيا ولوكانيا وكانوا اشدّاء في طاقتهم ان يسبقوا الرومانيين ويتسلطوا على كل البلاد لو تحالفوا اما الامبريون فكانوا قديمًا قبيلة قويّة زادت عظمتها على عظمة الرومانيين كثيرًا قبل ان قاعدة ملكهم أُمبريا بُنيت قبل بناء رومية بنحو ٣٨١ سنة واما الأُوسكيون فكانوا

الاوسكيون

عدة قبائل منها الفُلشيون والايكويون والهرنيون وغيرهم سكنوا اولاً بلاد السبينيين فطردوهم فانتقلوا الى لاتيوم وكمبانيا ولهم علاقة عظيمة بامور الرومانيين كما سترى

اللاتينيون

٥. واما اللاتينيون فسكنوا لاتيوم وقد اتوا اليها من بلاد السبينيين والارجح ان الرومانيين منهم مع انهم لم يكونوا منهم وحدهم بل نتاج قبيلتين او ثلاث كما ستعلم والاولية في ذلك للاتينيين بدليل ان لغة الرومانيين لاتينية

الايتروسكيون

وكان في نواحي ايتروريا قبيلة تسمى الترينيين سمّي باسمهم البحر الغربي كما مرّ ثم اتى الايتروسكيون وقهروهم وسكنوا مكانهم فسميت البلاد التي سكنوها **ايتروريا**. والظاهر ان اصل هذه القبيلة من الشمال قرب مخارج نهر الرين في جبال الالب واسمهم الاول راس او راسيني وهم جيل يختلف عن جميع قبائل ايطاليا ولم يعلم علم اليقين من يجانسهم من اجيال اوربا الاصلية قال بعضهم انهم من البسكيين الساكنين جبال البرن بين فرنسا واسبانيا وآخرون انهم من الكلتيين واخرون غير ذلك والله اعلم

ولا مشابهة بين لغتهم وغيرها من لغات ايطاليا المعهودة وآثارها كثيرة لكن العلماء لا يزالون يجهلونها الى الآن مع انهم كشفوا النقاب عن اسرار كثير من اللغات وتوصلوا الى

قراءة الهيرُكليف في مصر والخط السفيني في اشور ففي لغة الايتروسكيين سرٌّ عظيم . واتى هولاء الناس من نواحي الالب وسكنوا وادي نهر بو اولاً وبقوا زماناً ثم ضايقهم الغالبون فارتحلوا جنوباً وقطعوا الابنين واستوطنوا ايتروريا وبنوا مدناً معتبرة كما مرَّ (راجع ف ١) وارتقوا في سلم التمدن فبلغوا درجة عالية منهُ كما تشهد آثارهم وقاوموا الرومانيين مقاومة شديدة كما سياتي

الرومانيون ٦. هذا ما يهمنا ذكرهُ من انباء قبائل ايطاليا الاصلية . فناخذ في الكلام على الرومانيين فنقول ان اول امرهم غير محقق فانهم جاءوا بانباء كثيرة في شأن جيلهم وبداءة امرهم وبناء مدينتهم العظيمة لكن تلك الانباء سقيمة خرافية ومع ذلك لا يستغنى عنها في معرفة احوالهم واعمالهم التاريخية المثبتة لانها اثرت فيهم تاثيرًا شديدًا وافتخروا بها وهي لا تخلو من بعض الصحيح ويعرف من مقابلة بعض احوالهم ببعض فعلى كل طالب لتاريخ رومية ان يطالعها لاتمام الفائدة ولهذا نذكر اهمها ونلتفت الى ما يستفاد منها من حقيقة امورهم الاصلية

مجيء اينياس وقومهِ ٧. ذكرنا حرب تروادة في اخبار اليونان (راجع ك٢ ف٢ رقم ٧) وانهُ لما خربت المدينة نجا جانب من اهلها وهربوا بحرًا من اعدائهم وكان في مقدمتهم اينياس احد بني ملك ترواده وجالوا في البحر عدة سنين وقاسوا اشد الاخطار والمشقات حتى بلغ بهم القدر شطوط لاتيوم وكان اللاتينيون اصحاب البلاد فلم يرضوا اول الامر نزول المهاجرين في ارضهم فتحاربوا فقتل لاتينس ملك الارض وتزوَّج اينياس ابنتهُ لاڤينيو وبنى مدينةً سماها لاڤنيوم اكرامًا لها ثم ائتلف الفريقان وصارا امةً واحدة لكن بعض القبائل المجاورة انف من ذلك وشن الغارة عليهم فقتل اينياس في حومة الحرب وقيل انهُ توارى في نهر

اسكانيوس واخذتهُ الالهة فالَّههُ قومهُ واكرموهُ وخلفهُ ابنهُ اسكانيوس (ويسمى إيولُس ايضًا) وبدل بعد حين قاعدتهُ لاڤنيوم بجبلٍ يسمى ألْبا بنى عليهِ مدينةً سماها البا لونْغا اي البا الطويلة فصارت عاصمة لجميع اللاتينيين فكانوا يقصدونها في الاعياد ويجتمعون فيها لتقديم الذبائح للالهة وكان لهم ثلاثون مدينة . واستبد نسل اسكانيوس بالملك نحو احد عشر قرنًا وحدث ان

نومتور واموليوس رجلًا اسمهُ نومتور تولى الملك وكان لهُ اخ اصغر منهُ اسمهُ أموليوس فاخذ يحتال عليهِ ليعزلهُ ويملك مكانهُ فبلغ اخيرًا الغاية ثم قتل ابن نومتور واستحيا ابنتهُ سِلڤيا وعينها لخدمة الالهة لكي لا تتزوج فيرث نسلهُ الملك بلا خلاف وروى ان مرس وهو اله الحرب عندهم عشقها

واغتصبها فولدت توأمين وهما رومُلس وريمس فلما علم الملك امر عبيدهُ بقتلها وبطرح التوأمين في نهر تيبر ففعلوا غير ان النهر حمل التوأمين ودفعهما الى الشاطئ حيث عند موقع رومية فاتفق ان ذئبة مرضع لاقتهما وحنت عليهما وارضعتهما فمرّ بهما احد رعاة أموليوس فشفق عليهما واخذهما الى كوخهِ ودفعهما الى امراتهِ فربتهما فنشأا وكانا من ارباب الباس والشجاعة وحدث يومًا ان ريمس نازع رعاة نومتور فمسكوهُ واتوا بهِ الى سيدهم مدعين عليهِ انهُ سارقٌ فكاد يحكم عليهِ بالقتل لكنهُ علم في اثناء الفحص امرهُ وامر اخيهِ فايقن انهما حفيداهُ ففرح بهما واعطاهما الارض التي نجوا فيها عند التيبر من الغرق فاخذا يبنيان مدينة هنالك لكنهما تخاصما قبل ان تم العمل لاختلافهما في اسمها لان كلاً منهما اراد ان يسميها باسمهِ فادّى ذلك الى ان قتل رومُلسُ ريمسَ وسمى المدينة رومية واخذوا يورخون من تاسيسها وكان ذلك سنة ٧٥٣ ق.م

رومُلس وريمس

بناء رومية

٨. ولما اكمل روملس بناء المدينة وتحصينها عمد الى تكثير قومهِ اذ كانوا قليلين فدعا اليهِ المذنبين والمحرومين وقطاع الطرق من القبائل المجاورة وحماهم واسكن كثيرين منهم رومية وصار ملكًا عليهم ولما استقام لهُ الامر وامتنع في مدينتهِ اراد ان ياخذ لقومهِ نساء من جيرانهم فلم يجيبوهُ الى ما طلب لانهُ كان اكثر رجالهِ من السفلة الاوباش فاحتال بغية الحصول على المراد بان فتح في رومية سوقًا ونادى بعيد واحتفال فاخر لاكرام بعض الالهة ودعا اليهِ الناس من كل جهة فحضروا مع عيالهم وفيما هم في غاية المسرة والابتهاج قام عليهم رجالهُ واغتصب كل واحد لنفسهِ بنتًا ولما لم يكن المدعوون يتوقعون شيئًا من ذلك لم ياتوا باسلحتهم فكظموا غيظهم وانصرفوا الى اوطانهم ثم استجاشوا وطالبوا روملس وقومهُ بما فعلوا من السوء فالتحمت الحرب فقهر روملس بعض الذين هاجموهُ لكنَّ السبينيين كانوا اقوى منهُ وكان في مقدمتهم ملكهم تيطس تاتيوس فلما اقتتلوا كانت الكرة على قوم روملس فلاذوا بحصونهم وشرع السبينيون يهاجمونها وكان لروملس خارج المدينة حصن على اكمة وكانت هناك بنت القائد الذي فيهِ فلما رأت الاساور الذهبية على معاصم السبينيين كلفت بها فخانت ووعدتهم بان تفتح لهم الابواب اذا اعطوها تلك الاساور ففعلوا ولما دخلوا رموها بالاساور فقتلوها بها

ازدياد الرومانيين عددًا

اغتصاب النساء

حرب السبينيين

٩. ثم احاطوا برومية وهاجموها واشتد القتال بين الفريقين واشرف قوم روملس على الهلاك لكن نساءهم رمين بانفسهنَّ بين الفريقين اثناء القتال ولما كنَّ نساء الفريق

مصالحة القومين واتحادهما

الواحد وبنات الفريق الآخر تصالح القومان على انهما يكونان امة واحدة يشتركان في الامور الدينية وان كلاًّ من الفريقين يسكن وحدهُ ويكون لهُ ملكهُ ويسمى قوم رومِلس رومانيين وقوم تاتيوس فوريتيين وبنى السبينيون مدينة على الأكمة التي اخذوها وهي المسماة الكبتولينية واكمة اخرى تسمى القورينلية وكانت مدينة الرومانيين على البلتينية ولكل قوم مشيخة لكنهما كانتا تجتمعان بين المدينتين للمشاورة وظلّت الحال هكذا حتى قتل تاتيوس في بعض الحروب فبقي رومِلس وحدهُ ملكًا على الفريقين

تظامات رومِلس ١٠. قال الرواة انهُ نظم السياسة بعد ذلك وقسم الشعب الى قبيلتين باعتبار الجنسية وسمى الرومانيين رَمْنيين والسبينيين تيتيين وزاد على هاتين قبيلة اخرى بعد حين سميت اللوكرية وسمّى كل قبيلة تريبُسًا وقسم كل قبيلة الى عشرة اقسام سمّى كل قسم منها كوريا وعين في اول الامر مجلسًا شوريًّا من ٢٠٠ عضوٍ من كل قبيلة ١٠٠ وزاد عليهِ ١٠٠ لما ادخل القبيلة الثالثة فصاروا ٣٠٠ وسُمّي ذلك المجلس سناتُسًا اي مشيخة وقيل انهُ نظم الجيش كذلك فجعل فيهِ ١٠٠٠ راجل ومئة فارس من كل تريبس فكان الجيش مولفًا من ٣٠٠٠ راجل و٣٠٠ فارس في بداءة الامر ولما كثر زاد على هذا الترتيب وكان رومِلس محترمًا موقرًا احسن السيرة في اواخر حياتهِ واستبدَّ بالملك نحو ٤٠ سنة وقيل انهُ لم يمت بل خطفتهُ الالهة في عاصفة وجعلوهُ منهم فالَّههُ قومهُ ولقبوهُ بقورينس

ما يستدل من هذه الاخبار ١١. هذا اهم ما رووهُ في تاسيس رومية وبداءة امرها الى موت ملكها الاول ولا يخفى ما فيهِ من الخرافات والتخرصات التي لا يُسلِّم العقل السليم بها. قلت والظاهر ان قصة اينياس وقومهِ من مصوَّرات الوهم لانهم وان سلمنا بصحة مجيئهم الى ايطاليا كانوا شرذمة لا تقدر على اخضاع اللاتينيين حتى تملك عليهم وليس لنا ادنى دليل على صحة ملكهم في ألْبالونغا نحو ٣٠٠ سنة ومثلها اخبار سلڤيا بنت نومتور والتوأمين والظاهر ان الرومانيين خلقوا هذه الاخبار ليبينوا شرف جنسهم بأنهم من نسل الالهة. ويستدل على خبر تأسيس رومية مهجر لالبا رومية انها كانت مهجرًا لاهل البالونغا اتاهُ اناس منهم لما ضاق بهم الوطن ولا ريب في انهُ كانت مدينة تسمى ألبا على جبل للجنوب الغربي من رومية وعلى أمد بضعة اميال منها وتحقق من تاريخ الرومانيين ان ارسال الناس الى المهاجر عادة لهم ورثوها من اسلافهم واذا صح ان رومية كانت مهجرًا لالبا فلا لزوم لاغتصاب النساء لان اهل الوطن لا يستنكفون من ان يزوجوهم بناتهم فتبطل تلك القصة على انهُ لا يبعد ان وقع بينهم مشاجرات بسبب

انهم رغبوا في مصاهرة قبائل اخر لان مصاهرة الغرباء كانت غير مالوفة في ذلك العهد. ومن المحقق ان بناة رومية قبيلتان ويدل على ذلك قوانين الرومانيين المشهورة فان بعضها كان وفق ما علم من قوانين السبينيين سيما الدينية لانهُ فيها لكلٍّ من المتهم اسمان الواحد سبيني والاخر لاتيني ومن ذلك اله الحرب فانهم سموهُ قورينس ومَرْسًا والاول سبيني والثاني لاتيني . وما رووا في امر الملكين رومُلس وتاتيوس يدل على اتحاد قبيلتين في الامة ومما يثبت ذلك انهم لما طردوا الملوك والغوا المملكة كما سياتي اقاموا قنصلين يسدان مسد الملوك ولم يقيموا قنصلاً واحدًا كانهم تذكروا قوانين المملكة في الاول اما قوانين رومُلس السياسية او ما ينسب اليهِ منها فلا ريب في انها كانت قوانين الرومانيين ولكن يمكن انها أُنشئت بعد عهدهِ واخبار رومُلس لا تخلو من الخرافات ولا صحة لقول نيبور المورخ الشهير ان تلك القصص لم تكن سوى اغانٍ تداولتها السنة العامة مما نظمهُ شعراؤهم القدماء تعظيمًا لابطالهم الاولين وامور الامة الاصلية التي درست اثارها او بقي منها بعض المتواترات ولما اخذ الرومانيون ينظرون في شأن تاريخهم قبلوا اخبار هذه الاغاني كانها تاريخ حقيقي فاصبح تاريخ اوائلهم من التخرصات والحق ان بعضهُ صحيح كما رايت — امر الخرافات

١٢. وروي ان الرومانيين ظلوا سنة بعد وفاة رومُلس لم ينتخبوا ملكًا فقامت المشيخة فيها مقامهُ وكانت المشيخة عشرة اقسام ينتخب كل قسم رجلاً واحدًا منهُ لينوب عنهُ في ذلك الامر فكان عدد الرجال عشرة يقوم كل منهم على التوالي مقام الملك خمسة ايام فسئم الناس بعد سنة ذلك الترتيب وطلبوا ملكًا فوقع الخلاف بين القبيلتين في الانتخاب وكاد يفضي الى الانشقاق فاتفقوا اخيرًا على ان الرومانيين ينتخبون الملك على شرط ان يكون من الاتينيين فانتخبوا رجلاً اسمهُ نوما پُمْپِليوس وكان حكيمًا عادلاً احبَّهُ الالهة واوحوا اليهِ بالحقائق الالهية فسنَّ السنن الدينية ورتب العبادة الالهية فنسبوا اليهِ قوانينهم الدينية كما نسبوا الى رومُلس قوانينهم السياسية فاقام نوما الكهنوت وعين وظائفهم واقام عشر عذارى يخدمنَ هيكل الالاهة ڤستا وشرط عليهنَّ ان لا يتزوجنَ وحكم بانهُ من تزوجت منهنَّ تقتلُ وكان عليهنَّ ان يحفظنَ النار على المذبح موقدة . واقام نوما رهط العرافين والزاجرين والعائفين وعلمهم ما يتعلق بالعرافة وتفسير الامور السرية وبنى هيكلاً ليانُس اذ ظنوا انهُ كان يخرج للحرب مع جنود الرومانيين فكانوا يفتحون ابواب ذلك — فترة سنة — نوما — القوانين الدينية

الهيكل حين يحاربون ولا يوصدونها الا بعد الصلح فظلت موصدة كل ايام نوما لانهُ كان محبًّا للسلام ولكنها بقيت بعد عهدهِ مفتوحة سوى مدة وجيزة الى ايام اوغسطس قيصر وذلك نحو ٧٠٠ سنة

قلت وذلك دليل على ميل الرومانيين الشديد الى الحرب

اقامة الحدود وما نسبوهُ الى نوما تقسيم الاراضي التي استولى روملس عليها في حروبهِ فقالوا انهُ قسمها على الرعايا ووضع حدودها وحدود المملكة وانشأ عبادة اله الحدود المسمى عندهم ترمنس وملك نوما نحو ٤٠ سنة وتوفي شيخًا جليلاً موقرًا

طليوس هستليوس ١٣. وحكمت المشيخة بعد وفاة نوما كالسابق الى ان انتخبوا ملكًا وهو طليوس هستليوس قيل انهُ كان ابن احد قواد روملس وكان ذا باس يحب الحرب ومن اعظم غزواتهِ غزوة البا لونغا فخرب فيها البا ونقل اهلها الى رومية واسكنهم اكمة هنالك تسمى السيلية حكى الرواة انهُ تمكنت الوحشة بين المدينتين وخرجت جنودها للحرب ولما اقترب الجيشان اتفق الناس على مبارزة ثلاثة من كل جيش وان يخضع فريق المغلوبين لفريق الغالبين وكان في كل جيش ثلاثة توائم امَّاهم اختان وكان الثلاثة الرومانيون يسمون هوراتيين والالباويون قوراتيين ولما اقتتلوا قُتل اثنان من الرومانيين وجُرح كل الالباويين اما الروماني او الهوراتي الباقي فلم يُجرح فعمد الى الهرب خداعًا فتبعهُ القوراتيون فتخلف بعضهم عن البعض بسبب جروحهم فلما رأى ذلك الهوراتي حمل عليهم بغتةً وقتلهم جميعًا واحدًا فواحدًا فخضع الالباويون بمقتضى الشرط ورجع الرومانيون منصورين واكرموا الهوراتي غاية الاكرام اما اختهُ فعاتبتهُ اذ كان احد القوراتيين خطيبها فاغتاظ الهوراتي وقتلها فحكم عليهِ القاضي بالموت ففداهُ الشعب لما فعلهُ في المبارزة. وشنَّ طليوس الغارة على مدينة فيدينى شمالي رومية ودعا الالباويين الى معونتهِ فاجابوا الا انهم خانوا وتخلفوا عن القتال فاستشاط طليوس غضبًا ولما انتهى من هذه الغزوة عزم على خراب ألبا فاستولى على المدينة بغتة وهدمها ودكها دكًّا ونقل اهلها كما ذكرنا

(امر الهوراتيين والقوراتيين — خراب البا)

وغزا طليوس اللاتينيين والسبينيين وغيرهم ووسع تخوم المملكة لكنهُ لم يحسن السيرة ولم يسرَّ بهِ الالهة فضربوا رومية بوباء اهلك الناس ومرض الملك فطلب الى الالهة لكنهم لم يسمعوا لهُ بل ضربوهُ بصاعقة فقتلتهُ واحترق هو وكل بيتهِ وكان ملكهُ نحو ٣٢ سنة

(هلاك طليوس)

ولا يخفى ما في هذه القصة من التخرصات على ان طليوس كان ملكًا حقًّا وبعض انبائهِ

صحيح فان خراب البا لونغا ونقل اهلها الى رومية امر لا ريب فيهِ لكن الظاهر ان طليوس لم يأْتِ وحدهُ ذلك بدليل ان اراضيها لم تكن كلها ارومية حينئذٍ بل كان بعضها للاتينيين حقيقة امره

١٤. وقام بعد طليوس ملك يسمى أَنقُس مارتيوس قيل انهُ كان حفيد نوما وسار في سننهِ بعبادة الآلهة وعلم الناس خدمتهم الجديدة بهم وامر بان تكتب السنن الدينية على الواح تعلق في الاسواق فيتعلمها جميع الناس واحبَّ السلم في اوَّل ملكهِ وأُولع بالحرب بعد حين فحارب اللاتينيين وقهرهم وغزا بلادهم ودمَّر بعض مدنهم ونقل اهلها الى رومية واسكنهم أَكمة تسمى الاڤنتينية فكثروا هنالك فسمَّاهم انقس طبقة البلِّبس اي العامة ووضع لهم قوانين للسياسة سنذكرها. وقيل انهُ استولى على جانبي التيبر من منبعهِ الى مصبهِ حيث بنى مدينة اوستيا فرضةً لرومية وايَّد تجارتها. ومن مآثرهِ جسر التيبر الموصل رومية بالشاطئ الغربي حيث بنى الحصون على جبل يانِقُلم دفعًا لهجمات الايتروسكيين. ومن اعظم آثارهِ سجن نحتهُ في الاكمة المسماة بالكبتولينية لم يزل رسمهُ باقيًا. وملك انقس نحو ٢٣ سنة على ما قيل واثنى عليهِ العامة دَهْرَهم لاحسانهِ اليهم انقس حرب اللاتينيين اوستيا

١٥. وقام بعد انقس لوكيوس طركونيوس الملقب بِرِسقُس قالوا انهُ يونانيّ هجر ابوهُ كورنثوس من ظلم كپسلوس (راجع ك٣ ف٤ رقم٥) واستوطن ايتروريا ولما كبر طركونيوس ذهب الى رومية اذ لم يرجُ فلاحًا في ايتروريا لانهُ اجنبي فاتى رومية ايام انقس فسرَّ بهِ وجعلهُ معلمًا لبنيهِ واحبتهُ الرعية فاقامتهُ ملكًا بعد موت انقس وكان طركونيوس ذا باس ومروَّة حارب كثيرًا وقهر ووسع دائرة المملكة وهاجمهُ السبينيون فتقدم عليهم وساقهم الى ابواب رومية وهزمهم شرَّ هزيمة واخضع كثيرًا من مدن اللاتينيين. وتسلطهُ على الامم المجاورة واعمالهُ السياسية من اعظم الاعمال ذات الشان. قيل انهُ عزم على ان يضاعف عدد فرق الفرسان وكانت ثلاثًا وفق عدد القبائل منتخبة من الاشراف فاراد ان يزيد عليها ثلاث فرق اخرى من ثلاث قبائل اخر ويسميها باسمهِ وباسم بعض اصحابهِ فقام الاشراف عليهِ فالتزم ان يضيف الفرق الجديدة الى القبائل السابقة تابعة لها وزاد عدد عشائر الاشراف وعدد اعضاء المشيخة حتى بلغوا ٣٠٠ فانهم كانوا قد نقصوا فصاروا الى ١٥٠ عشيرة و١٥٠ عضوًا والراجح ان هذه العشائر الجديدة كانت من اشراف البا لونغا المهدومة طركونيوس برسقس قوانينهُ السياسية

مآثره واطركونيوس آثار عظيمة منها سرب حفرهُ تحت المدينة لتجري فيهِ الاقذار الى النهر فلا تفسد الهواء وجعل غطاءهُ من الحجر ومكّنهُ فلذلك بقي الى هذا العهد ومنها سدٌّ على شاطئ النهر يمنعهُ من ان يطمّ حين زيادتهِ على اسواق المدينة ومنها ميدان عظيم لسباق الخيل ومنها هيكل لجوبتر على الاكمة الكبتولينية لكنهُ لم يكمل بناءهُ فتمّموهُ ايام طركونيوس الثاني ولهُ كثير من المآثر غير ما ذكر. قيل ان بني انفس قاموا عليهِ وقتلوهُ بعد ملك نحو ٣٨ سنة

خلاصة اخباره هذا اهمّ ما وقفنا عليهِ من انبائهِ اما ارباب التحقيق في اخبار رومية فكذبوا كثيرًا منها ورجحوا انهُ لم يكن من ايتروريا بل من اللاتينيين وانما ظنوهُ من ايتروريا لان اسمهُ طركونيوس فقالوا انهُ من طركوني مدينة من مدنها والمحقق انهُ كان ملكًا عظيمًا رفع شان رومية كثيرًا وقوانينهُ السياسية واعمالهُ النافعة مما لا ريب فيهِ بدلائل آثارها الظاهرة

سرفيوس طليوس ١٦. وخلفهُ سرفيوس طليوس واختلفوا في اصلهِ وفي ولادتهِ وصبوتهِ والمرجّح انهُ كان عسكريًا من عساكر طركونيوس المستاجرين وفاق اقرانهُ ببأسهِ ومروءتهِ فرقّاهُ الملك وجعلهُ قائدًا وزوجهُ ابنتهُ ولما كبر وكل اليهِ امور السياسة ولما قام على الملك بنو انفس وضربوهُ لم يقتلوهُ بل جرحوهُ فاتى غلمانهُ وحملوهُ الى قصرهِ فعين طليوس نائبًا عنهُ ثم مات ولم يعلن طليوس موتهُ الى ان تمكن من تمام التسلط ونادى بانهُ ملك فرضيتهُ الرعية وسُرّت بهِ ولم يحارب طليوس كسابقهِ سوى انهُ قاتل الايتروسكيين وغلبهم واعظم اعمالهِ التي تذكر

تنظيماته قوانينهُ السياسية وانهُ رقّى شان العامة بان خفض سلطة الاشراف شيئًا ورفع سلطة العامة كذلك فانشأ مجمعًا جعل لجميع الرعية حقًا فيهِ باعتبار الاملاك فانهُ قسمهم الى طوائف بالنظر الى الثروة وقسم تلك الطوائف الى فرق سماها بالسنتورية اي المئوية وكان اعظم القوة السياسية في هذا المجمع لذي الثروة العظمى فكان الغنيُّ من العامة كالشريف وكان لكل سنتوريّ صوتٌ في تقرير كل امر فيهِ وسمى هذا المجمع قميتيا سنتورياتا وقسم سرفيوس رومية واملاكها الى اقسام سماها تريبي وهو جمع لاتينيٌّ (مفردهُ تريبس) وجعل رومية اربعة اقسام وبقية اراضيها ستة وعشرين قسمًا وكانت رومية قديمًا ثلاثة اقسام فصارت يومئذٍ ثلاثين وجعل سرفيوس لكل تريبس مجمعًا من حقوقهِ ان ينتخب رئيسًا وقاضيًا وغيرهما من اصحاب المناصب وكانوا يسمون الرئيس تريبونسا. واخذنه بعد ذلك يجتمع التريبيون في مجمع سموهُ قميتيا تريبونا اي المجمع التريبي وكان لهُ اعتبار عظيم كما سترى

ومما اتاهُ سرفيوس لنفع العامة تقسيمهُ بينهم بعض املاك المدينة التي كانت رومية

اسنولت عليها في حروبها ولم تبعها فكانت بمنزلة مشاع فاستولى عليها الاشراف دون العامة فاخذها سرڤيوس منهم وقسمها على العامة فاحترق الاشراف غيظاً وحقداً عليهِ واضمروا لهُ النقمة — تقسيم الاراضي العمومية

وقيل ان سرڤيوس عقد معاهدة مع اللاتينيين على ان رومية تكون في مقدمتها في الامور الخارجية ومساوية لها في بقية الامور وبنى لرومية الاسوار وحصنها وكانت الاسوار تحيط بالاكمات السبع التي بُنيت رومية عليها وهي الكبتولينية والپلتينية والاڤنتينية والسيلية والاسكولينية والڤمنالية والڤورينالية — معاهدة اللاتينيين

وحكوا انهُ لما شاخ خاف ان ينسخ الاشراف قوانينهُ بعد موتهِ فسأل مجمع السنتوريين ان ينتخب رئيسين للسياسة ينوبان عن الملك فيتخلى عن ملكهِ ويسلم اليهما زمام السياسة وفي نهاية السنة يُنتخب رئيسان غيرهما. فعلم الاشراف انهُ اراد بذلك تحويل المملكة الى جمهورية فلا يكونون هم الاولين في السياسة فاتفقوا منعاً لذلك على قتلهِ . قيل انهُ كان لسرڤيوس ابنتان زوجها ابني طركوينيوس وكانت احداهما شريرة وارادت ان يملك زوجها ولو اقتضى ذلك قتل ابيها فحرَّضت زوجها على ذلك الاثم العظيم فأبى لانهُ كان صالحاً اما اخوهُ فكان شريرا فذهبت اليهِ وحرضتهُ على ان يغتصب الملك وان يتزوجها فاتفقا على قتل زوجها واختها وابيها وفعلا كذلك واغتصب الملك وعرف بلوكيوس طركوينيوس الثاني ولُقّب بسوپربُس اي المتجرف. وكانت مدة ملك سرڤيوس ٤٤ سنة — غاية سرفيوس في تغيير السياسة

١٧. وكثير من اخبار هذا الملك حديث خرافة والظاهر انهُ ارضى الاشراف اولاً بنسخ قوانين سرڤيوس ورد السياسة الى ما كانت عليهِ قبلهُ فظلم العامة وسلبهم حقوقهم وقيل انهُ كلفهم الاعمال الشاقة في كل ما يفخر بهِ فاكمل هيكل جوپيتر وكان ابوهُ ابتدأ بناءهُ وسماهُ الكبتول لانهُ وجد في ارضهِ راس انسان كاملاً يسيل دمهُ والراس في لغتهم كپت فنسبوا اليها ذلك الهيكل والاكمة التي بنوهُ عليها وتفاءلوا بذلك وقالوا ان هذا الهيكل سيكون راس العالم وزخرف طركوينيوس المدينة وملك بسلام مدةً لرضى الاشراف بهِ لكنهُ طفق اخيراً يتجرف ويظلمهم ويهينهم وجرى بنوهُ في سننهِ وتوغلوا في اودية الشر والفسق حتى كرههم الناس ولما كان عسكر الرومانيين يحارب اللاتينيين وينازل مدينة ارديا قام سكستس احد بني الملك وغصب امرأة شريفة الجنس اسمها لوكريتيا فدعت زوجها واباها وبعض اصدقائها واخبرتهم بما كان وانتحرت (اي قتلت نفسها) بمشاهدتهم وهي تحثهم على — طركوينيوس الثاني — بناء الكبتول — امر لوكريتيا

اخذ الثار وكان من اصدقائها ابن اخت لطركونيوس اسمهُ يونيوس كان الملك قد ظلمهُ وسلبهُ املاكهُ فخاف منهُ وتظاهر بالجنون لئلاَّ يقتلهُ الملك فلقبهُ الناس بروتس اي البليد ولما حدث ما حدث للوكريتيا اظهر امرهُ وهاج الناس فقاموا وطردوا طركونيوس وكل

طرد الملوك

بيتهِ من رومية وصرَّحوا بانهم لا يطيعون ملكًا بعد فالغوا المملكة واقاموا الجمهورية وكان ذلك سنة ٥٠٩ او٥٠٨ ق.م. اي نحو ٢٤٤ سنة من بناء رومية

حقيقة امر المملكة

١٨. ومن المحقق ان كثيرًا من اخبار هذه المملكة لا صحة لهُ وانهُ من الحكايات التي اخترعها الناس تفسيرًا لاوائل امرهم وكان الشعراء ينشدونها تذكارًا لابطالهم وهذا راي نيبور المشهور كما ذكرنا ومما يدل على ذلك ان مدة اوائك الملوك عندهم ٢٤٤ سنة وهم سبعة فقط فيكون معدل حكم كلٍّ منهم نحو ٣٥ سنة وهذا كثير نظرًا الى احوالهم لانهم ملكوا وهم او اكثرهم طاعنون في السن وان روملس وتاتيوس ملكا معًا وان طركونيوس و سرڤيوس قتلا بعد ملك سنين قليلة وان طركونيوس طرد بعد ان ملك نحو ٢٥ سنة على ما يظن فلا صحة لتلك المدة . والخلاصة انهم جهلوا مدة المملكة وامورها الاولى

نظامهم السياسي

١٩. وقوانين الرومانيين السياسية مدة المملكة من الامور المثبتة اذ بقي نظامهم بعد المملكة وظلَّت آثارهُ ظاهرة في سياسة الجمهورية فكان لهم مشيخة تسمى سناتُس مؤلفة من ثلاث مئة عضو من عشائر الاشراف لكل عشيرة عضوٌ وكانت هذه المشيخة بمثابة مجلس شورى الملك ومصدر الشرائع وكان للاشراف مجمع مشترك يسمى قوريا لم تقدر المشيخة ان تسن شريعة جديدة دون موافقتهِ وكان لهُ ان يحارب الاعداء او يصالحهم وكانت المشيخة تنتخب الملك وهذا المجمع يثبتهُ او يرفضهُ

طبقات الناس

وكان الناس اربع طبقات اولها الاشراف او الخاصة ويسمون باتريشيين وكانوا ثلاث مئة عشيرة مئة من كل امة او قبيلة من القبائل الثلاث الاصلية كما مر وثانيها توابع الاشراف ويسمون كليَنْتيين اي مستندين ولم يكن لهولاء حقٌّ في السياسة وأُلحقوا بعشائر الاشراف فكانوا لهم بمنزلة توابع والاشراف بمنزلة خفراء يحامون عنهم في المجالس وينوبون عنهم في السياسة والظاهر انهُ لم يكن في اول الامر غير هاتين الطبقتين ثم نشأت طبقة ثالثة اهلها العامة او الدون وسموا الپلبس او الپلبيين وكان اول ما ذكروا بعد اخضاع البا لونغا جعلهم انفس طبقة مستقلة فكانوا احرارًا لكن لم يكن لهم في اول امرهم حق في السياسة وظن بعضهم انهُ وُكل اليهم يومئذٍ تدبير امورهم الخاصة ومنحهم سرڤيوس بعض

الحقوق السياسية كما عرفت وبعد طرد الملوك اخذوا يرتقون فامسوا اقوى من الاشراف او كفوًا لهم كما سترى ثم نشأت الطبقة الرابعة وهي العبيد ولم يكونوا كثيرين ايام الملوك ولكن لما غلظ امر الرومانيين وغزوا الممالك واسروا الناس كانوا يستعبدون كثيرين منهم وسيرد عليك انباؤهم

وزاد سرفيوس القوانين السياسية وجعل لكل الطبقات سوى العبيد حقًّا في السياسة بواسطة المجمع السنتوري كما مرّ وكان يقصد رفع العامة كما لا يخفى فلما الغيت الملكيّة وتغيرت السياسة رجعوا الى قوانين سرفيوس كما سترى

الفصل الثالث

في الجمهورية منذ نشأتها الى محاربتها الاولى لقرطاجنة وذلك من سنة ٥٠٨ الى سنة ٢٦٤ ق م

خلاصة امر الجمهورية

١. ذكرنا ان اهل رومية لما طردوا الملوك صرّحوا بانهم لا يخضعون لملكٍ بعد فنظموا حكومةً جديدة سمّيناها الجمهورية على انها لم تكن جمهورية تامة الاّ بعد مدة طويلة وكانت اولاً جمهورية خاصة لانهُ كان فيها المقام الاول لطبقة الاشراف فتولوا اكثر المناصب واستبدوا بتدبير السياسة فظلّ العامة سنين كثيرة لا يحصلون على حقوقهم الاّ بعناء ومشقة شديدة وفي تلك المدة زادت رومية قوةً وتسلطًا حتى استولت على كل شبه الجزيرة وتأهبت لاخضاع سائر العالم

انتخاب بروتس وكلتينس قنصلين

٢. وكان الغاء الملكية باتفاق الاشراف والعامة ولذلك لما اجتمعوا لتدبير السياسة بعد طرد الملك لم يدّعِ الاشراف المقام الاول بل شاركوا العامة في كل الامور لانهم ايقنوا ان عشيرة الملك يحاولون الرجوع فيحتاجون الى مساعدة العامة في مقاومتهم ومن ثم

اتفقوا على الرجوع الى قوانين سرفيوس فتمّ ما كان يقصدهُ من اقامة رئيسين ينوبان عن الملك فانتخبوا لذلك بروتُس وقلتينُس وهو بعل لوكريتيا المقتولة والظاهر ان بروتس كان من العامة وقلتينُس من الاشراف اذ كان من اقرباء طركونيوس ولقب كل منهما بريتور اي قائد لكنهُ بُدل هذا اللقب عقيب ذلك بقنصل اي شريك لان كلاًّ من النائبين كان شريكًا للآخر وكان كلٌّ من القنصلين كالملك في اول الامر الاّ انهما كانا ينتخبان كل سنة ولم يكن من مانع من تجديد انتخاب احدهما قيل ان الانتخاب كان في مجمع السنتوريين لكنهُ لم يتبيّن انهُ كان كذلك في البداءة

مجيء رسل طركونيوس

٣. ولما انتظم الامر للقنصلين قيل انهُ اتى رومية رسُلٌ من قبل طركونيوس يطلبون ما لهُ في المدينة لينقلوهُ اليهِ فسمح الشعب لهم بذلك اما هم فشرعوا يفسدون ويغرون الناس بالعصيان والخروج على الحكومة والغائها والرجوع الى طركونيوس فاستمالوا البعض اليهم وكان ابناء بروتس من جملة الخانة لكن المكيدة عرفت قبل انجازها فحكم بروتس عليهم وعلى ابنيهِ بالموت واخذوا اموال طركونيوس ووضعوها في بيت مال الدولة وكانت

الحرب لايتروريا

عاقبة ذلك التحام الحرب لان طركونيوس اغرى پورسنّا ملك ايتروريا بان يرجع الى ملك رومية فقدم الايتروسكيون وخرج الرومانيون القتال وهزموهم وهلك بروتس في اثناء الحرب وكان شريكهُ قد ترك منصبهُ لان الشعب حذروا منهُ الخيانة لكونهِ من اقرباء

فاليريوس

طركونيوس كما مرّ لكنهُ اذ كان امينًا استعفى وهجر الوطن وانتخب مكانهُ پبليوس فاليريوس ولما قتل بروتس دعا فاليريوس المجمع الى انتخاب شريك الاّ انهُ تاخر وكان يبني لهُ قصرًا في المدينة فاتهمهُ الناس بانهُ قصد الملك وحدهُ واخذوا يسعون فيهِ ولما علم ذلك هدم قصرهُ وصرّح بانهُ امين للجمهورية فاكرمهُ الناس وانتخبوهُ للسنة التالية وانتخبوا رجلاً اسمهُ هوراتيوس شريكًا لهُ

المعاهدة لقرطاجنة

وفي نحو هذا الزمان وقيل في السنة الثانية للجمهورية عاهدوا قرطاجنة ورسموا المعاهدة على صفائح من نحاس واودعوها الكپتول . قال المورخ پوليبيوس انهُ راي تلك الصفائح وقرأ ما كتب فيها . فتلك الصفائح من اكثر آثار رومية اعتبارًا ومنها يتضح امتداد سلطة رومية عند نهاية المملكة لانهُ ذكر في تلك المعاهدة ان املاكها لاتيوم وعدة مدن من غيرها وذلك يدل على ان صيت رومية ذاع في كل اقطار الارض وفاقت كل الممالك حتى سألتها قرطاجنة المعاهدة وهي من اقوى المدن في ذلك العهد

٤. واكثر ما رواهُ الرواة من انباء تلك الايام حديث خرافةٍ ولا سيما اخبار حروب رومية والايتروسكيين واللاتينيين وسائر الامم الذين هاجمهم طركوينوس وآلهُ على الرومانيين. ومن رواياتهم ان بورسنا حشد جيشًا غفيرًا وقدم على رومية وطرد الرومانيين من حصونهم على جبل يانِكُلم فهربوا الى رومية وتبعهم عسكر بورسنا فكادوا يهلكون قبل ان يعبروا جسر التيبر فوقف رجل اسمهُ هوراتيوس قُقْلِس وصاحبان لهُ على طرف الجسر يقاتلون الاعداء ويدفعونهم لينقذوا المنهزمين من الرومانيين ويهدموا الجسر من ورائهم فلا يمكن الاعداء الوصول الى رومية وفي نهاية الامر رمى هوراتوس بنفسهِ الى النهر وبلغ العبر سالمًا بعد ان ابدى من الباس والشجاعة في مقاتلة العدو ما اوجب لهُ كل مدحٍ فاكرمهُ الناس ونصبوا تمثالهُ تذكارًا لهُ . ولما حاصر الايتروسكيين المدينة اشتد الجوع كثيرًا فكانوا يقدمون لهُ الطعام ويأتونهُ بالارزاق وطال الحصار فاوشكت رومية ان تهلك فقام شاب يسمى كايوس موتيوس وتعهد بقتل بورسنا فعبر النهر وتنكر وتخلل جماعة العدو حتى وصل الى مجلس الملك وقتل كاتبهُ وهو يظنهُ الملك فقبضوا عليهِ وانذروهُ بعذاب اليم فاستخف بهم وادخل يدهُ النار امامهم فدهش الملك وافرج عنهُ وسالهُ عن امرهِ فاخبرهُ ان في رومية ثلاث مئة شاب عزموا على قتلهِ فخاف الملك وسال الصلح فصالحوهُ لكنهُ اخذ من رومية بعض املاكها واخذ منها الرهناء وحدث بعد ذلك ان فرقة من جنودهِ انهزمت عند مدينة من مدن اللاتينيين ونجا بعضها الى رومية فرحب بهم الرومانيون وسيروهم الى الملك سالمين فلما علم بذلك ردَّ اليهم الرهناء وما اخذهُ من املاكهم. هذا اهم ما رووهُ من حرب بورسنا ولا يركن اليهِ لانهُ ظهر بالأدلَّة الصحيحة ان رومية سلمت الى بورسنا وقدمت الهدايا ولعلها قامت لما انكسر جيشهُ في حرب اللاتينيين واستردت املاكها والله اعلم . ومن المعلوم ان رومية خسرت نحو ثلث املاكها في اول عهد الجمهورية لان النربيين الذين كانوا ثلاثين تريبسًا قبلاً لم يكونوا سوى عشرين يومئذٍ

حرب بورسنا

حكاية كايوس موتيوس

٥. ولم يزل طركوينيوس يحاول الرجوع الى رومية واسترداد ملكهِ فلما راى ان معونة الايتروسكيين لم تجدهِ نفعًا طلب مساعدة غيرهم فهيج اللاتينيين على رومية فضايقوها كثيرًا الى ان كادوا يهلكون اهلها لخلاف شديد بين الخاصة والعامة لكن الرومانيين قاموا اخيرًا وجمعوا جنودهم وخرجوا لمقاتلة اللاتينيين وعشيرة طركوينيوس واصطفوا للقتال عند بحيرة رِجِلُّس شرقي رومية واخبار هذه المعركة من خرافات العجائز فانهم قالوا ان

حرب اللاتينيين

معركة رجلس

طركونيوس شهدها مع انهُ اذا التفتنا الى ما تحقق من امرها رأينا انهُ كان يومئذٍ ابن نحو ١٢٠ سنة وقالوا ان القتال كان شديدًا واشرف الرومانيون على الهلاك فصرخ بوسثوميوس قائدهم واستنصر بعض الهتهم ونذر ان يبني هيكلاً جديدًا لكاستور وبُلُكس (وهما برج يعرف بالجوزاء وبالتوأمين) ان نصراهم واذا بشابين عجيبي المنظر يجاهدان امامهم مع العدو حتى هزموا اللاتينيين ثم تواريا عن النظر ولكن في اثناء الغلبة ظهرا في رومية واخبرا الناس بما كان ثم اختفيا فايقنوا انهما التوأمان فاقاموا لهما الهيكل كما نذر واخبر بغير ذلك من معجزات تلك الحرب وغاية كل ما ذكروهُ في هذا الشان ان اللاتينيين انهزموا ولم يبقَ لهم ان يخفروا الطركونيين فاعتزل طركونيوس الى قوم في كمپانيا ومات بعد مدةٍ وكانت معركة رجلس في نحو سنة ٤٩٥ ق.م

٦. واللاتينيون لم يطيعوا الرومانيين بعد تلك الهزيمة بدليل ان الرومانيين حالفوهم عقيب ذلك ويلزم من ذلك انهم ظلّوا مستقلين

وحارب الرومانيون في ذلك الزمان السبينيين وغلبوهم وانتقل قوم منهم الى رومية ومنهم عشيرة أپيوس كلوديوس التي عظم امرها بعد ذلك وذاع خبرها كثيرًا

ظلم الاشراف — قد علمت ان الاشراف لم يظلموا العامّة في بداءة الجمهورية وانهم منحوهم حقوقهم خوف خيانتهم في حروب الطركونيين فنقول هنا انهم شرعوا بعد النصر يسلبونهم حقوقهم ويضايقونهم فقد تحقق انهُ مرَّ زمان طويل بعد بروتس لم يرد فيهِ اسم رجلٍ من العامة في دفاتر القناصل لان الاشراف كانوا ينتخبون القنصلين كل سنة منهم وسلبوا العامة بعض اراضيهم وضربوا عليهم الجزية والذي صعب على العامة اكثر من غيرهِ قانون الدين فانهُ

المديونون — كان ما لا يطاق لانهُ اوجب على المديون الذي ليس لهُ املاك يرهنها الدائن ان يرهن نفسهُ وعائلتهُ فان لم يقدر على الوفاء بعد ذلك صار الجميع عبيدًا لرب الدين فيسخرهم ويكلفهم اعمالاً شاقة بلا معارضٍ وكان الربا فاحشًا كثيرًا ما بلغ خمسين في المئة فساءت احوال العامة بعد طرد طركونيوس كل السوء لانهم اضطروا الى الحروب الشديدة الطويلة وخسروا اكثر املاكهم ولم يقدروا ان ياتوا عملاً للقيام بما تحتاج اليهِ عيالهم فالتزموا ان يقترضوا من الاشراف ولما طالت حال الضيق والشدة اصبح كثيرون منهم عبيدًا او مسجونين فوقعوا في جهد البلاء فأبوا ان يتجندوا ان لم ينصفهم الاشراف فكانوا يملقونهم ويعدونهم ما طلبوا حتى يخرجوا للحرب ولكن لما رجعوا منصورين لم يفِ الاشراف بعهدهم

اعتزال العامة لرومية

فكان في اخر الامر ان قام العامة وخرجوا من رومية الى نهر أنيو واتوا مكانًا عليهِ يبعد نحو ثلاثة اميال عن رومية وعزموا على بناء مدينة فيهِ ليَنجوا من ظلم الاشراف فخاف الاشراف شديد الخوف لعلمهم انهم لا يستطيعون المدافعة عن انفسهم اذا هاجمهم العدو لان أكثر عسكرهم كان من العامة فسلموا للعامة بما طلبوهُ من الحقوق

شروط الرجوع

٧. وكان من جملة مطالبهم ثلاثة الاول ان يعفي الخاصَّةُ معوزي العامة من ايفاء ما عليهم من الدين . الثاني ان يُطلق كل المديونين المسجونين. الثالث ان يسمح العامة بان ينتخبوا لانفسهم نوابًا يحامون عنهم ويقونهم من كل ظلم وانهُ لا يحل لا للقناصل ان يمنعوهم من شيء من اعمال منصبهم واحكامهِ وانهُ من تصدى لهم بشيء من ذلك ارتكب اكبر الجرائم وسمي اولئك النواب تريبوني البلبس وعظم امرهم وقويت شوكتهم وكان العامة ينتخبون منهم كل مرة اثنين او خمسة

الدكتاتور

ولما ساءت احوال الاشراف في محاربة الطركونيين انتخبوا رئيسًا رفعوهُ على القناصل وجميع ارباب المناصب وجعلوا لهُ الامر والنهي المطلقين وسموهُ دِكْتاتورًا وغلب ان يعينوهُ حين اشتداد الحرب ليجبر الناس على الخدمة العسكرية ويقودهم الى القتال بدلاً من القناصل فعينوا بوستوميوس دكتاتورًا في حرب رِجِلُّس . وكانت مدة حكم الدكتاتور ستة اشهر او اقل من ذلك اذا قضي ما عُيّن لهُ قبل نهاية تلك المدة وكان عليهِ حينئذٍ ان يتنحى فيعود القنصلان الى مقامهما . وكان يحق للدكتاتور ان يعين معينًا لهُ سموهُ ماجِسْتَر أكْوِتُم اي رئيس الفرسان وكان دون الدكتاتور وفوق القناصل وكان من

الاحتفال النصري

عادة الرومانيين في حروبهم ان يكرموا الدكتاتور او القناصل اذا عادوا منصورين فيدخلوا المدينة باحتفال في مقدمة الجنود وتصحبهم الاسرى والغنائم وكانوا يسمون ذلك الاحتفال التريومفوس اي النصر ولكنهُ كان على الدكتاتور ان لم يسمح السناتوس بذلك الاحتفال ان يعتزل الامر والنهي وكل سلطة عند ما يبلغ ابواب المدينة وكانوا ياتون ذلك حذرًا من انهُ يغتصب الملك

ظلم الاشراف

٨. وكانت المصالحة بين طبقتي الخاصة والعامة كما ذكر لكنهُ لم يبقَ السلام سوى مدة وجيزة لان الاشراف طفقوا يجورون على العامة ايضًا ولما كان للخاصة اكثر المناصب السياسية تسلطوا على العامة وظلموهم على رغم التريبونيين ومن ظلمهم لهم انهم حرموهم الانتفاع بالارض المشاعة والمظنون انهُ لما سلَّم الخاصَّة للعامة بحقوقهم كما ذكرنا شارك العامة الخاصة

في الانتفاع بتلك الارض ولما رجع الاشراف عما سمحوا به للعامّة منعوهم من ذلك فاضطر العامة ان يخاصموهم ورأى بعض الاشراف ان مطلوب العامة حقّ فعضدوهم واشهرهم القنصل

سوال اسبوريوس قسّيوس

اسبوريوس قسّيوس فانهُ سأل المجمع ان يمنح العامة بعض الارض المشاعة فقاومهُ سائر الاشراف اشد المقاومة حتى اتهموهُ بانهُ يبتغي الملك وقتلوهُ في نحو سنة ٤٨٤ ق.م. ولم يسمحوا للعامة بشيءٍ من حقوقهم وكان في مقدمتهم حينئذٍ عشيرة معتبرة تسمى عشيرة الفابيين وكان احد القنصلين من هذه العشيرة مدة سبع سنين متوالية ولم يزل العامة يطالبون نصيبهم من المشاع وقام احد التريبونيين ومنع القناصل من جمع العساكر حين ارادوا الخروج الى الحرب لانهُ كان مفوضًا للتريبونيين الغاء أمر القناصل وغيرهم اذا ارادوا

خيانة العامة

وكان في سنة ٤٨٠ ق.م. ان عساكر العامة ابوا ان يقاتلوا مع قومهم اهلَ مدينة فيي وغمدوا سيوفهم ففاتهم النصر بعد ان لم يبقَ القائد الحصول عليهِ وفعلوا ذلك كيدًا لكيسو فابيوس لانهُ كان يومئذٍ قائدهم وكان من شرّ مقاوميهم فرأى الفابيون بعد ذلك انهُ ان لم تنصف

امر الفابيين

العامة خربت رومية فعضدوهم وحصلوا على رضاهم فقام عليهم الاشراف وقاوموهم كما فعلوا بقسيوس فضجر الفابيون من ذلك وهجروا رومية الى أمد بضعة اميال منها وكانوا نحو ثلاث مئة وستة واتباعهم نحو اربعة الاف . ولما رأى اهل فيي انفصالهم عن رومية هاجموهم وقتلوهم كلهم فلم يبقَ منهم غير طفل واحد بقي في رومية فكان راس عشيرة الفابيين الآتي ذكرهم

مشاجرات العامة والخاصة

٩. اما العامة فلم يرجعوا عن مطاليبهم بل اضافوا اليها أن طلبوا حقوقًا في السياسة لم تكن لهم لكنهم لم يحصلوا على ذلك الاَّ بعد مقاساة المشقات فان جنوسيوس احد التريبونيين قتل سرًّا لانهُ دعا القناصل للمحاكمة لدوسهم حقوق العامة ثم قام تريبونس اخر يسمى پبليوس ڤولرو في نحو سنة ٤٧١ ق.م. واقترح على المجمع التربيبي (اي مجمع العامة) أن يُنتخَب التريبونيون في ذلك المجمع لا في المجمع السنتوري كالسابق لان الاكثرية كانت فيهِ للاشراف واتباعهم فكانوا ينتخبون من يتحزب لهم ولا يجري مقاصد العامة فقام الاشراف وبذلوا جهدهم في ابطال ذلك الاقتراح فكانت عاقبة ذلك ان خرج العامة على رومية فاجتمعوا وتحصنوا على الاكمة الأفنتينية وغيرها وتجهزوا للمقاتلة فلما راى الاشراف انهُ لا سبيل الى اعتزال الحرب الاَّ الاذعان سلموا بما طلبوهُ وكان ذلك في سنة ٤٧١ ق.م.

١٠. وكان الرومانيون يحاربون بعض الامم المجاورة اثناء مشاجراتهم الاهلية ومن حاربوهم الايكويون والفُلْشيون واللاتينيون والهرنكيون وكانت الحرب تلتحم كل سنة وخان العسكر في بعض غزواتهم القنصل ابيوس كلوديوس لعدم انصافهِ اياهم فقاصهم اشد قصاص اذ كان لهُ الامر المطلق في الجيش لكنهُ لما عاد الى رومية اقام التريبونيون الدعوى عليهِ فنظر المجمع في دعواهم وهمّ ان يحكم عليهِ فقتل نفسهُ تخلصاً من ان يجرى حكمهم عليهِ

حروب الايكويين وغيرهم

واشتهر في بعض حروبهم بطل غزا مدينة كوريولي وكانت للفُلشيين فلُقِّب بكوريولانس تذكاراً لذالك لكنهُ كان متجبراً اهان العامة وحدث في ايامهِ جوع في المدينة فبعث بعض ملوك سيسيليا قمحاً يفرَّق على الفقراء والمحتاجين فمنع كوريولانس من ان يعطى شيء منهُ للعامة فاقاموا الدعوى عليهِ ونفوهُ فانتقل الى الفلشيين وهيجهم للحرب وقدم فيهم لاخذ الثار من رومية وهزم الرومانيين شرَّ هزيمة وخرب ونهب واستاق الغنائم الوافرة وضايق رومية فسالتهُ العفو وبعثت اكابرها وكهنتها يسالونهُ ان يُمسك عنهم لكنهُ ابى الاَّ ان يخرب المدينة فخرجت اليهِ النساء الشريفات وفي مقدمتهنَّ امهُ وامرأتهُ واولادهُ وتضرَّعن اليهِ ان يفرج عنهنَّ وعن المدينة فسمع وعاد مع قومهِ ومات منفياً وكانت تلك الامور على ما يظن سنة ٤٦٨ ق.م. على ان القصة من الاخبار التي لم تحقق

حكاية كوريولانس

١١. ومن اخبار محارباتهم للايكويين انهم خرجوا يوماً للغزو وكمن لهم العدو فاحاط بهم في مضيق فلم يكن لهم مهرب واشرفوا على الهلاك لكنهُ بلغ خبرهم رومية فهاج الناس وعينوا رجلاً فقيراً فاضلاً يلقَّب بسِنْسِناتُس دكتاتوراً اذ لم يركنوا الى غيرهِ في تلك الاحوال وكان يحرث حقلهُ حين طلبوا اليهِ ان يترأس عليهم لانقاذ اخوتهم من الموت فقال للرسل سمعاً وطاعةً وترك ما كان عليهِ واسرع الى المدينة وحشد جنوداً اخرين وسار من فورهِ واوقع بالعدو بغتة فهزمهم واسر من سلموا منهم وانقذ اخوتهُ من البلاء وعاد الى رومية منصوراً وكان ذالك في نحو سنة ٤٥٨ ق.م. ثم عاد سنسناتس الى حراثة ارضهِ. ولم يزل الايكويون والفلشيون يغزون وينهبون مدة سنين كثيرة ولم يتمكن الرومانيون من اخضاعهم الاَّ بعد نحو خمسين سنة وقد ضويقوا منهم اشد مضايقة وكذالك كانت

حكاية سنسناتس

حالهم مع الايتروسكيين ولا سيما اهل فيي وهي شمالي رومية وعلى امد عشرة اميال منها وكانت مدينة حصينة لا يطمع في فتحها وكان في بعض محارباتهم لهذه المدينة ان الرومانيين

حرب فيي والمدينة

انهزموا واستولى العدو على حصن بانقلم الا ان الرومانيين اشتدوا اخيرًا وطردوهم واحاطوا بمدينتهم لكنهم تهادنوا ساعتئذٍ الى مضيّ اربعين سنة وكانت تلك الامور في نحو سنة ٤٧٣ ق.م

وقوع المصائب في رومية

١٢. وحدث في تلك الايام اي مدة حروب الايكويين والفلشيين ضيق عظيم وضربات ثقيلة على رومية وما يليها منها زلازل أخربت بيوتهم واوبئة اهلكت الناس افواجًا حتى ضعف الرومانيون كثيرًا ولولا وقوع هذه الضربات على جيرانهم لاصبحت رومية فريستهم ولا ريب ان الضيق اشتد على العامة فطلبوا الفرج واشتكوا من ظلم الاشراف لان السنن والشرائع لم تكن متساوية فكانت للاشراف سنّة وللعامة اخرى ولم تكن السنن مكتوبة فكان القضاة والقناصل الحكم المطلق فجاروا على العامة فطلب هولاء الانصاف والمساواة في السياسة وقام تريبونس يسمى ترنتليوس هرسا سنة ٤٦٢ ق.م.

اقتراح ترنتليوس

واقترح ان تقام لجنة تبحث في هذه الامور وتحدد سلطان القناصل. فقاومه الاشراف اشد مقاومة حتى تعدوا على التريبونيين وكان في مقدمتهم كيسو بن سنسناتس الشهير فاستدعاهُ التريبونيون للمحاكمة وهمّوا ان يحكموا عليهِ فهاجر من الوطن. ثم اتى

مقاومة الاشراف والشعب في المدينة

جملة من المنفيين امِلاً وفي مقدمتهم رجل يسمى ابيوس هردونيوس السبيني واستولوا على الكبيتول وسط المدينة ولما كان غاية في الحصانة لم يطردوا منهُ الا بعد قتال عنيف وعظم الشغب في رومية نحو عشر سنين لان الاشراف لم يسلموا باقامة اللجنة للنظر في مطالب العامة غير انهُ قرّر في تلك المدة ان يزاد عدد التريبونيين فصاروا عشرة ولم يكونوا سابقًا الا خمسة وكان ذلك سنة ٤٥٦ ق.م. ثم قُرّر ان تسلم الاكمة الافنتينية الى العامة وتكون لهم مسكنًا خاصًا وكانت قوية فامتنعوا بها وعظم شانهم وقام منهم تريبونس يسمى دنتاتس كان بطلاً صنديدًا حضر مئة وعشرين معركة وجرح خمسة واربعين جرحًا وكان على نهاية الذكر والاكرام بين العامة فلما قام تريبونسًا سنة ٤٥٢ ق.م. غاب الاشراف وامر باجراء مختارات اللجنة فانتقم اعداؤهُ منهُ وقتلوهُ كما سيذكر

لجنة العشرة لسن الشرائع سنة ٤٠٠ ق.م

١٣. ثم تعينت لجنة مؤلفة من ثلاثة اشراف ليذهبوا الى بلاد اليونان ويبحثوا في شرائعهم فتوجهوا الى اثينا وامعنوا النظر في سياستها ولما رجعوا تعينت لجنة اخرى مؤلفة من عشرة رجال ليسنوا الشرائع ويكتبوها وحكموا ان يعتزل القناصل والتريبونيون وغيرهم من اصحاب المناصب الاحكام فيحكم اعضاء اللجنة عوضًا عنهم الى ان يتم عملهم ويسلم العامة

بان يكون اولئك العشرة من الاشراف وشرعوا في العمل سنة ٤٥٠ ق.م وفي تلك السنة سنوا الشرائع وكتبوها على عشرة الواح من نحاس علقوها حيث يقرأها الجميع وكانت هذه السنن عادلة مقبولة عند الناس فانصف العشرة في احكامهم وساروا سيرة حسنة فسرّ الناس بهم واثنوا على اعمالهم وكان عظيمهم ابيوس كلوديوس . ولما انتهت السنة انتخب ثانية فانتخب بدل رفقائهِ غيرهم ممن رضي بهم وكان صاحب مكر ودهاء فلما راى ان رفقاءهُ يطيعونهُ اغتصب السياسة وابطل الترتيب السابق وطفق يظلم الناس كما شاء وسن شرائع جديدة كتبها على لوحين وكانت شديدة جائرة ولم يكن للناس في اول الامر من حيلةٍ للنجاة من ذلك الظالم لان التربيونية والقنصلية قد أُلغيتا كما تقدم فلم يبقَ لهم من ينقذهم فبلغ ظلم ابيوس كل مبلغ ولما راى بغضة الناس لهُ وخاف فتنة المدينة بعث الجنود تغزو لتفرغ المدينة من اكثر العامة وامر جماعة بان تكمن لدنتاتس البطل الشهير الذي مرّ ذكرهُ وتقتلهُ ففعلت وفي اثناء غياب العسكر حدث في المدينة ما حمل الناس على الفتنة. وذلك ان ابيوس رأى يومًا فتاة من الحسان مارة في السوق مع مربيتها الى المدرسة فلما رآها عشقها وامر احد توابعهِ أن يمسكها بدعوى انها جارية قد سرقتها تلك المرأة المدعية بانها امها ففعل وكان اسم الفتاة فرجينيا واسم ابيها فرجينيوس وكان من الجنود فلما قبض عليها عبد ابيوس صرخت فاجتمع الناس فلما عرفوا ما كان تهددوا العبد فتركها لكنّ القاضي طلب ان ترفع الدعوى اليهِ وقد عزم على ان يحكم بان تلك الفتاة لابيوس لكنهُ لما راى هيجان الناس اجّل الدعوى الى اليوم التالي حتى يستعدّ لاجراء الحكم غصبًا وكان للفتاة خطيبٌ اسمهُ اسليوس فلما فهم الامر بعث رسولاً الى ابيها بكل سرعة يستدعيهِ الى رومية فاتى سريعًا فوصل قبل ابتداء المحاكمة فحضر ابيوس ومعهُ كتيبة مدججة من خاصتهِ تأهبت لاجراء مقصدهِ فحكم هنالك بان الفتاة جارية عبدهِ ولم يقبل شهادة ابيها فلما رأى ابوها ذلك الجور وان لاسبيل الى انقاذ ابنتهِ من العار سأل ابيوس الاذن في ان يتكلم قليلاً مع الفتاة ومربيتها على انفراد ليعرف حقيقة امرها فاذن لهُ فاخذها واعتزل قليلاً عن الجمهور ثم قبض خنجرًا لجزّارٍ كان هناك وضرب ابنتهُ بهِ فقتلها قائلاً لاسبيل غير هذا الى انقاذك من العار ثم رفع الخنجر ودمها يقطر منهُ وهرب فامر ابيوس بالقبض عليهِ فهاج الناس على ابيوس وصرخوا بهِ فلم يجسر عبيدهُ ورفقاؤُهُ ان يقاوموهم فهرب ابيوس ومن معهُ خوفًا الى بيوتهم فنجا فرجينيوس ولحق بالعسكر واخبر بما

ظلم العشرة في السنة الثانية

حكاية ابيوس وفرجينيا

كان في رومية فخرج الجنود وخانوا ابيوس وعادوا الى المدينة وجمعوا اصحابهم وامتنعوا على الاقنتيلية وتحالفوا على مقاومة الاشراف حتى ينصفوهم فعرف الاشراف ذلك ولم يسلموا لهم بشيء مما قالوا فخرج كل العامة من رومية واقاموا على الجبل المعروف عندهم بالطور المقدس ثم سلّم الاشراف وبعثوا اليهم رسولين وهما ڤَلِيريس وهوراتيوس يبلغانهم بتسليمهم بما طلبوا وهو ان تُجدد التريبونية ورفع الدعوى بعد حكم القنصل الى مجمع العامة فصار الاتفاق على هذا ورجعوا الى المدينة ثم اشتكى ڤرجينيوس على العشرة لمظالمهم فهرب اكثرهم من رومية واخذت اموالهم واضيفت الى بيت المال اما ابيوس فقتل نفسهُ فاستراح الناس من شرّهِ

خيانة العسكر وخروج العامة الى الجبل المقدس

١٤. وكان من التريبونيين الذين انتخبوا حينئذٍ إِسليوس وڤرجينيوس ورجل آخر يسمى دوليوس فهذا سأَل المجمع ان يثبت ما قررهُ مجمع العامة لكل الامة مثل قرار المجمع السنتوري. والظاهر انهُ افتقر الى اثبات المشيخة وتجدَّد القنصلية وانتخب هوراتيوس وڤليريوس لشدة ميل العامة اليهما والتحمت الحرب بينهم وبين السبينيين في تلك السنة فاجتمع الناس اليهما طوعًا فسار كل منهما في جندٍ وظفرا بالعدو وعادا منصورين الى رومية وطلبا الى المشيخة الدخول بالاحتفال النصري فأَبت حسدًا لهما اذ احبهما العامة فاجتمع هولاء وأَمروا بالاحتفال على رغم المشيخة ولم يسبق لهذا الامر من نظير فهو دليل على قوة العامة وارتقائهم يومئذٍ فهم وان لم يساووا الاشراف في الرتبة كانوا قد بلغوا منزلة عظيمة بواسطة الشرائع المكتوبة على الالواح الاثني عشر التي ذكرناها وتحسب هذه الشرائع منبع شرائع رومية وسننها المشهورة. وتقدم العامة شيئًا فشيئًا حتى صاروا اكفاء الاشراف وحازوا كل المناصب

ارتقاء مجمع العامة

حرب السبينيين

وفي نحو سنة ٤٤٣ ق. م. قام كانيليوس احد التريبونيين وعرض على المجمع امرين الاول ان ينتخب احد القنصلين من العامة والثاني ان تكون الزيجة بين الطبقتين شرعية وان يعتبر نسل الزوجين المختلفين شريفًا ان كان الاب من الاشراف فلم يسلم الاشراف بذلك بل قالوا ان تلك الزيجة غير شرعية والاولاد يحسبون من طبقة العامة ولو كان الاب نفسهُ من طبقة الاشراف ثم عادوا فسلموا بامر الزيجة ولكنهم طلبوا الغاء القنصلية وان ينتخب عوض القناصل اناس يسمون تريبوني العسكر ويجوز انتخابهم من العامة اذا اراد المجمع السنتوري فقبل العامة ذلك بالاجماع لكن الاشراف بذلوا جهدهم في المقاومة ولم يعين عدد تريبوني العسكر والظاهر انهم كانوا غالبًا ستة اثنان منهم في مقدمة الجيوش كالقناصل

عرض كانيليوس

وواحد قائد الرديف وغيره حافظ المدينة وأنشأ الاشراف منصبًا جديدًا سموه السنسورية فكانوا ينتخبون السنسوريين من الاشراف فقط ينتخبون اثنين منهم وكانت مدة وظيفتهما خمس سنين في اول الامر ثم نقصوها الى سنة ونصف وكان عليهما ان يرتبا احكام اعضاء المشيخة واصحاب الحقوق السياسية في جميع الجامع فمن ارادوا كتبوا اسمهُ ومن ارادوا تركوهُ وان يعينا مكوس الاملاك فكان لها ارحب طريق لان يظلموا الناس اذا شاءوا

السنسورية

١٥. ولم ينتفع العامة من التريبونية العسكرية الا قليلاً لان الانتخاب كان يجري في المجمع السنتوري حيث اكثر الاصوات للاشراف فمنعوا انتخابهم من العامة قيل انهُ انقضى نحو اربعين سنة لم ينتخب من العامة فيها سوى ثلاثة والزموا واحدًا منهم ان يستعفي بعد انتخابه بقليل وكانوا يلغون تريبونية العسكر بعض الاحيان وينتخبون قناصل كالسابق فاشتكى العامة الفقر وطلبوا حقوقهم من الارض المشاعة كما قرر سابقًا فلم ينصفهم الاشراف وكانوا يطلبون الاجر للعساكر حين الحرب وان تفرّق الغنائم على الجنود لان الاشراف كانوا يبيعونها ويجمعون اثمانها في بيت مالهم الخاص فعظم على العامة ذلك كثيرًا لانهم اشتروها بدمهم فحصلوا اخيرًا على ان ينتخب منهم ومن الاشراف معًا اناس سمّوهم كوستوريين توكل اليهم الغنائم فيبيعونها لفائدة الجميع وكانوا بمنزلة امين الصندوق وكان من حقوقهم ان ينتظموا في سلك المشيخة بعد ذلك لمدة حياتهم ففتح للعامة باب الدخول الى هذه الرتبة العالية ولكن لم تخلُ امورهم من الظلم . ومما حكي في ذلك انهُ حدث في نحو سنة ٤٤٠ ق.م قحط شديد وعظم الجوع في رومية وغلت الاثمان ولم يقم الوكلاء على جلب الاطعمة من الخارج بما يجب عليهم فهلك كثيرون جوعًا فقام واحد من العامة اسمهُ ميليوس وبعث الى الجهات يبتاع قمحًا وكان غنيًا فجلب مقدارًا عظيمًا الى رومية وباعه للعامة بثمن رخيص واعطى الفقراء مجانًا فاشتهر بسخائهِ فحسدهُ الاشراف وادّعوا انهُ طالب الملك وعينوا سنسناتس دكتاتورًا فاستدعى ميليوس للمحاكمة فلما علم ميليوس قرب هلاكهِ هرب فامر الدكتاتور رئيس فرسانهِ ان يلحقهُ ففعل وقتلهُ بدون محاكمة

ظلم الاشراف للعامة

قتل ميليوس

١٦. وكاثرت الحروب الخارجية في مدة هذه المشاجرات الاهلية. لكن لم يكن منها ذو شان سوى حرب ڤِيي كما سيأتي وكان الرومانيون يتقدمون شيئًا فشيئًا ويوسعوا تخومهم في ارض السبينيين والڤلشيين والايكويين واخذوا يطمعون في املاك الايتروسكيين وكانت ڤيي مدينة قوية تدفعهم كلما غزوا اطرافها وكانت رومية قد هادنتها لمدة اربعين سنة منذ

توسيع املاك رومية

سنة ٤٧٤ ق.م. ولما قربت نهاية تلك المدة شُغلت افكار الرومانيين بامرها وارادوا افتتاحها لتتوسع املاكهم في تلك الاطراف ويفتح لهم طريق للغزوات البعيدة لكنهم كانوا مشغولين بحروب كثيرة كما ذكر فهادنوها ثانية الى حين وكانت للرومانيين مدينة تسمى

امر فيدبني

فيدبني وهي على نهر تيبر وعلى امد بضعة اميال من رومية وكانت خاضعة لفيي واكثر اهاليها من الاتروسكيين فارادوا الخروج على رومية وقاموا على المهاجرين الرومانيين وعلى معتمديهم وقتلوهم. قيل ان ملك فيي حثهم على ذلك ووعد انه يحميهم فسار الرومانيون لاخذ الثار

حرب فيي سنة ٤٠٢ الى ٣٩٢ ق.م

من فيدبني فافتتحوها عنوةً وقتلوا اكثر اهلها ثم عزموا على الانتقام من فيي لكنهم ثُبِّطوا عن ذلك الى سنة ٤٠٢ ق.م. وحينئذٍ اوقدوا عليها وطيس الحرب عشر سنين ولم يقتصروا على ان غزوا الصوائف بل اضطرُّوا ان ينازلوها لانها كانت غاية في التحصين لا يُطمع في فتحها عنوةً فكانت الجنود الرومانية تحارب كل السنة فالتزم الاشراف ان يوزعوا عليهم الهبات الوافرة على خلاف عادتهم فحصل العامة على مطلوب اخر من مطاليبهم وطالت الحرب حتى خاف الرومانيون الأَّ يحصلوا على المراد وكثرت القصص المتعلقة بذلك. حكي

امر البحيرة الالبانية

انهُ في اثناء الحرب طغت مياه البحيرة الالبانية وطمت على ما جاورها مع انها كانت في غور عميق لا مخرج لهُ فحزن الرومانيون لذلك لانهم لم يسمعوا بمثلهِ قط وتشاءموا وبعثوا وفدًا الى هيكل دلفي الشهير في بلاد اليونان يستفهمون عن معنى هذه الآية فكان الجواب انهُ لا تفتح فيي ما دام ماء البحيرة فائضًا وان بلغ ماؤُها البحر هلكت رومية فقلق الرومانيون لذلك قلقًا شديدًا وعزموا على ثقب الجبل الذي كانت البحيرة فيهِ حتى يخرج الماء ويصب في البحر ففعلوا ثم جدُّوا في حصار فيي ونقبوا اسس اسوارها المنيعة وكان قائد الرومانيين ساعتئذٍ دكتاتورًا يسمى كاملّوس ولما تمّ النقب ومُدَّ السرَب تحت المدينة وكاد ينفذ فيها دخلهُ كاملوس وبضعة انفار في صحبتهِ واتفق ان طرف السرَب كان تحت هيكل من هياكل فيي وكان ملك المدينة في الهيكل اثناء ذلك يقدم ذبيحة واذا بصوت يقول

فتح فيي

من يتمم الذبيحة يغلب فسمع كاملوس فخرج من السرَب وقدم الذبيحة على رغم اصحاب الهيكل وللوقت افتتح عسكرهُ المدينة وقتلوا خلقًا كثيرًا وباعوا من بقوا احياء عبيدًا واستاق الرومانيون غنائم وافرة لا يحيط بها عدٌّ ولا وصف واستولوا على املاك فيي وتوابعها هذا ولا ريب في ان بعض تلك الانباء من الاقاويل الملفقة لكن ثقب الجبل ثبت بالادلة القاطعة ولعل الغاية من ثقبهِ لم تكن سوى سقي الأَرضين ولكنهُ لم يعلم في اي زمان

ثقب واما الطريق التي افتتحوا فيها ڤيي فلا يبعد انها كما ذكروا من النقب تحت اسوارها لان تلك الاسوار كانت رفيعة فلم يقدروا ان يعلوها ولا ان يثقبوها لان منجنيقات الرومانيين كانت غير متقنة في تلك الايام . وقيل انهم فتحوا ڤيي في سنة ٣٩٢ ق . م . وقيل سنة ٣٩٦ وقيل غير ذلك والمرجح ما ذكرناهُ آنفًا . ولما رجع كاملوس من هذه النصرة أُكرم باحتفال فاخر لم يعاين مثلهُ وافتخر الرومانيون بذلك الظفر كثيرًا ولكن ادركهم البوار على أثر ذلك الافتخار عقاب الله المتجبرين . وسنرد عليك انباء ذلك منفصلةً واشتكى بعضهم ان كاملوس اختلس من الغنيمة ما كان من نصيب الآلهة فرأى انهُ لا سبيل الى النجاة من العقاب الا الهرب فترك الوطن ولما خرج من المدينة دعا عليها بالعقاب قائلاً انهُ مظلوم وقيل انهُ هاجر الى مدينة اردیا وهي قريبة من رومية

١٧ . وطمعت رومية بعد افتتاح ڤيي في ما يليها من ايتروريا فغزت ونهبت واستولت على المدن والقرى وكان من جملة ذلك كبينا وفاليريي وشنت الاغارة على الڤالسنيين وهم قبيلة من ايتروريا على امد نحو خمسين ميلاً من رومية وتقدم الرومانيون في تلك الاطراف فثبطهم الغاليون واخربوا مدينتهم . اما الغاليون فقد مرَّ ذكرهم في اخبار اليونان (راجع ك٣ قسم ٢ ف ١ رقم ٢) والظاهر انهم تضايقوا في بلادهم غربي جبال الالب ونزلوا في وادي نهر پو في نحو سنة ٤٠٠ ق . م . قصدَ الرحب والغزو ولم يزالوا يتقدمون وينهبون حتى قطعوا جبال الابنين ودخلوا شبه الجزيرة . وحكي في ذلك ان بعض اهل كلوسيوم وهي مدينة للايتروسكيين غضب من احكام مدينتهِ فعزم على الانتقام فذهب الى جنود الغاليين وهم يغزون في وادي الپو ودعاهم الى غزو كلوسيوم فاجابوهُ لانهم كانوا من اهل الوبر واسباب معاشهم الغزو والنهب فساروا ونازلوا كلوسيوم ولما علم اهلها انهم لم يقدروا على قتالهم بعثوا رسولاً يستنجدون الرومانيين فارسل هولاء معتمدين الى الغاليين ينهونهم عن مضايقة كلوسيوم فلم يعتدّوا بامر الرومانيين وهاجموها يومئذٍ فخرج المعتمدون مع عسكر كلوسيوم الى القتال وقتل احدهم قائدًا من الغاليين وكان ذلك مخالفًا لشريعة الامم لانهُ لم تكن حرب بين رومية والغاليين فلم يكن لمعتمدي رومية حق ان يقاتلوهم فلما علموا استشاطوا غيظًا وافرجوا عن كلوسيوم واسرعوا الى رومية . هذا ما رووهُ والصحيح ان الغاليين قطعوا الابنين ونازلوا كلوسيوم قصد الغزو فسمعت رومية فبعثت رسلاً يستخبرون عن احوالهم وغاياتهم وحدث ما حدث في المعركة عند كلوسيوم فطالب

هجوم الغاليين وحروب رومية في نحو سنة ٣٨٨ ق . م

امر كلوسيوم

الغاليون تسليم الروماني الذي قتل قائدهم فابت رومية فقدموا عليها مسرعين الى ان
حرب اليا بلغوا نهرًا يسمى أليا على امد نحو احد عشر ميلا من رومية يصب في التيبر. فلما علم
الرومانيون بقدومهم عبوا جنودهم وخرجوا للقائهم وكانوا نحو اربعين الفًا والعدو نحو
سبعين الفًا ولم يتاخر الرومانيون عن القتال لقلة عددهم لانهم احتقروا الغاليين لكونهم
برابرة فلما جرى القتال كرَّ الغاليون عليهم وهزموهم وقتلوا اكثرهم وكاد لاينجو احد
من الرومانيين لكنَّ بعضهم رموا بانفسهم في التيبر فنجا نفر قليل الى العبر ولاذوا بڤيي . اما
الغاليون فلم يقدموا حالاً على رومية بل تاخروا في جمع الغنيمة واشتغلوا باللذّات في الغد
كلهِ ولم يقصدوا رومية الاَّ في اليوم الثالث من تلك الواقعة وكان فيها قليل من الرومانيين
لان اكثر العسكر كان قد خرج للقتال فلما بلغهم ما كان عند أليا هرب النساء والاولاد
افتتاح رومية وخرابها وبقي قليلون معتصمين بالاكمة الكبتولينية فلبس الشيوخ من الكهنة واعضاء المشيخة حللهم
وجلسوا في الاسواق منتظرين قدوم البرابرة ولما دخلوا المدينة لم يجدوا فيها غير الشيوخ
فتعجبوا غاية العجب من رويتهم وظنوهم الهة في اول الامر لكن واحدًا من البرابرة دنا من
احد اولئك الجلوس ودالك لحيتهُ فاغتاظ وقام وضربهُ بعصاهُ فاوقع بهم الغاليون وقتلوهم
عن اخرهم وهاجموا الكبتول مرارًا وبذلوا جهدهم في اخذهِ عنوةً فلم يستطيعوا لشدة دفاع
الذين فيهِ فاحاطوا بهِ واضرموا النار في بقية المدينة فاحرقوها وغزوا ضواحيها ورساتيقها
وبقوا على ذلك بضعة اشهر ولما كانوا يحاصرون الكبتول اتى ليلاً رسول من الرومانيين
الذين في ڤيي وصعد الى الحصن والغاليون لم يشعروا بهِ لانهُ صعد على صخر عالٍ كانوا
قد تركوهُ لظنهم انهُ لايمكن ان يُتسلق وتسلقهُ الرسول بان استعان ببعض نباتات في شقوقهِ
وبلغ اخوتهُ في ممرّ وراءهُ واخبرهم بقرب النجدة ثم عاد الى ڤيي وراى الغاليون في الغد
هجوم الغاليين ليلاً على الكبتول اثارهُ وعزموا على ان يبلغوا الحصن من ذلك الممرّ ليلاً وكان اصحاب الحصن لايحرسون ذلك
الممرّ فوصل اول الغاليين الى مدخل الحصن وكاد ينال مرغوبهُ فشعرت بهِ اوزّة الالاهة
يونو فنقنقت فايقظت رجلاً يسمى مرْقس منْليوس كان بيتهُ عند ذلك المدخل فقام واوقع
بالغالي وطرحهُ على من كانوا خلفهُ فسقطوا وخاب مسعاهم جميعًا وأَمن الرومانيون الاَّ انهُ اشتد
ضيقهم لنفاد القوت فطلبوا المصالحة ولما كان لم يبقَ سوى قليل من الطعام في محلة الغاليين
لتخريبهم المدينة ونهبهم الحقول اتفقوا مع الرومانيين على انهم يؤدونهم الف ليبرا من الذهب
ويفرجون عنهم فتصالحوا على ذلك وذهب بعض الرومانيين بالذهب الى محلة العدو

عودة الغاليين

ولما كانوا يزنونهُ اشتكي الروماني الى قائد العدو بان الميزان غاشٌ فضحك القائد وطرح سيفهُ فيهِ قائلاً الويل للمغلوب ثم اخذوا الذهب وساروا راجعين الى بلادهم والظاهر انهم كانوا قد غزوا كثيرًا في البلاد اثناء حصار الكبتول وافتتحوا مدنًا عديدة وخرّبوا وسلبوا ونهبوا في كل جهة ولعلهم بلغوا الاطراف الجنوبية وضايقوا كل شعوبها الاَّ انهم ضعفوا كثيرًا من الحروب والوباء لانهُ افنى جانبًا عظيمًا من عسكرهم وظُنَّ اخوتهم في الشمال حيث كانت نساؤُهم واولادهم ضويقوا في ذلك الوقت وطلبوا المساعدة وكان ما كان والخلاصة ان رومية اشرفت على الهلاك ولم يسلم منها الاَّ حصن الكبتول مع من فيهِ وهلك اغلب عسكر الرومانيين في وقعة اليا حتى تشاءموا من اسم ذلك المكان ومن ذلك اليوم من ايام السنة مدة بقائهم امةً وسموهُ اليوم الاسود اي يوم الشؤم وكان ذلك اليوم السادس عشر من شهر تموز واختلف المؤرخون في تلك السنة فقال بعضهم انها سنة ٤٩٠ ق.م وقيل سنة ٤٨٨ ق.م. وهي السنة ٣٦٥ بعد بناء رومية

حكايات الرومانيين في امر الغاليين

وروى الرومانيون قصصًا كثيرة في حوادث تلك الحرب ولاسيما امر النجاة من اولئك الاعداء . قيل ان الذين كانوا في ڤيي اجمعوا على معونة اخوتهم في رومية وجمعوا من مستوطني ڤيي وغيرها من تيسر لهم من العساكر واستردوا كاملوس المنفيّ فسار فيهم الى رومية فوصلوا حين وزن الذهب وضربوهم وهزموهم وخلصوا الناس والذهب جميعًا وحكي ايضًا ان كاملوس لم يلحق بهم حتى خرجوا من رومية وكانوا في الطريق فاوقع بهم وقتلهم عن اخرهم واستاق الغنيمة وحكي غير ذلك ما لا اساس لهُ لان الرومانيين لم يريدوا تدوين امر كهذا في اخبارهم على حقهِ خوف العار واغلب الظن انهُ لم يسلم من رومية الاَّ الكبتولينية ونجا الذين فيها بغرامة وافرة كما تقدم وانهُ لما عاد الغاليون اوقع بهم في الطريق اصحاب مدينة سيرى في ايتروريا وهزموهم فلم يعودوا يغزون شبه الجزيرة الى حين اما الرومانيون فبعد ان غلظ امرهم واخذوا يغزون الغزوات البعيدة حاربوا اولئك القوم مرارًا عديدة حتى اخضعوهم

شدة مصيبة رومية من الغاليين

١٨. وكانت المصيبة التي اصابت رومية من جرى غزوات الغاليين شديدة ومن العجب انها لم تسقط وتفنى تمامًا لكننا نراها قد قامت بعد ذلك بقليل وعادت تتشدد وتتقوّى حتى بلغت ما كانت عليهِ سابقًا بعد نحو خمس وثلاثين سنة وهذا مما يبين لنا شدة عزمها ونشاطها الطبيعي الذي بلغ بها اسمى درجة من النمو والتسلط على الشعوب والممالك

وهذا ما يستحق كل اعتبار في تاريخ رومية لانهُ من اعظم اسباب النجاح في كل امر

وضعها — وبعد انصراف البرابرة ذابت قلوب الرومانيين لانهم رأَوا مدينتهم خربة واموالهم نفدت ويئسوا من اقامتها ثانيةً وارتأَى البعض ان ينتقلوا جميعًا الى ڤيي ويستوطنوها بدل رومية لانها كانت مدينة عامرة مشيدة المساكن وقد خلت من السكان اذ كانوا قد ابادوا سكانها الاولين وكان ذلك راي اكثر العامة فرفضهُ الاشراف وعزموا على البقاء في رومية ووعدوا العامة بالمساعدة في اقامة بيوتهم اذا ارادوا البقاء في رومية فاجمعوا على البقاء فيها غير ان الضيق كان شديدًا لانهُ لم يكن لهم ما يقتاتون بهِ فاضطروا الى الشراء ولم يكن للفقراء ما يشترون بهِ ولا ما يبنون بهِ فاستقرضوا من الاشراف فكثرت الديون وثقلت عليهم لان قلة الاموال وكثرة الطلب حملتا اصحاب الديون على تكثير الرباء الى ما لا يطاق وفي اثناء ذلك قام اعداء الرومانيين من الفلشيين والايكويين واللاتينيين وغيرهم واستغنموا الفرصة لمضايقتهم متوقعين النصر عليهم لضعفهم وكانوا قادرين على ذلك لولا انهم هم انفسهم كانوا قد تضايقوا من غزوات الغاليين فلم يكونوا كالسابق اما الرومانيون فعينوا كاملوس الشهير قائدًا وكان بطلاً صنديدًا حاذقًا فشجَّع قومهُ وتشددوا حتى ردُّوا اعداءهم جميعًا بل كسروهم وتسلطوا عليهم واستولوا على املاك كثيرة

شريعة الدين وامر منليوس — ١٩. وفي اثناء ذلك عظم ضيق العامة في رومية حتى افضى الى المشاجرات والفتن الاهلية كما في الايام السابقة فانهُ اوجب على العامة ما اقتضتهُ شريعة الدين الجائرة من سجن المديون او استرقاقهِ فامتلأَت رومية من اولئك المساكين وعظم صراخهم حتى قام مرقس منليوس الذي انقذ الكپتول من الغاليين كما تقدم واعان المديونين وكان من العامة لكنهُ من الاغنياء فاوفى دين نحو اربع مئة وصرَّح بانهُ لا يترك مديونًا في السجن ما دام لهُ مال يفديهِ بهِ فاكرمهُ العامة وحمدوهُ واحبوهُ كثيرًا . وحسدهُ الاشراف واصحاب الديون وعينوا رجلاً يسمى قسُّوس دكتاتورًا فقبض على منليوس واعتقلهُ لكن الناس اجبروهُ على ان يطلقهُ ثم ملَّق قسوس بعض تريبوني العامة وحملهم على اقامة الدعوى على منليوس بانهُ طالب الملك ففعلوا وقتلوهُ كأَنهُ خائن وكان هذا بعد نحو ست سنين من حرب الغاليين

السنن الليسنيوية التي — ٢٠. ولكن الاشراف لم يفوزوا بمرادهم ولم تخلُ امورهم من الاضطراب واشتد الضيق على العامة حتى قام اثنان من التريبونيين احدهما كايس لوسنيوس والآخر لوشيوس

سكستيوس واقترحا على مجمع العامة ثلاثة امور الاول ان تُلغى التربيونية العسكرية وتُرجع القنصلية على شرط ان احد القنصلين يُنتخب من العامة والثاني ان لا يجوز لاحد ان يتملك من الارض المشاعة اكثر من خمس مئة فدان ولا يسرّح فيها اكثر من مئة راس بقر وخمس مئة راس غنم وان من امتلك شيئًا من المشاعة يدفع للحكومة عُشر الحبوب وخمس الزيتون والعنب وقدرًا معينًا على كل المواشي . الثالث ان يطرح من اصل الديون ما دُفع عليها من الربا ويقسم الباقي ثلاثة اقساط يدفع قسط منها كل سنة فلما علم الاشراف ذلك احترقوا غيظًا وبذلوا جهدهم في منع تلك الامور واغروا بقية التريبونيين بان يقاوموا رفيقهم فابطلوا القرار لكن العامة انتخبوا ليسنيوس وسكستيوس في السنة التالية وبقيت الحال على ذلك خمس سنين او عشرًا على الخلاف بين المؤرّخين وكانوا ينتخبون الاثنين كل سنة ويبذلون الجهد في تعزيز ذلك حتى كان يُنتخب جميع التريبونيين من حزبهم فلما رأى الاشراف ما كان وانهُ لا سبيل للنجاح الا غصبًا عيّنوا كاملوس دكتاتورًا لانجاز المراد لكنهُ لم يقدر على شيء فاستعفى ثم قدم التريبونيون تلك المقترحات الثلاثة المذكورة انفًا وزادوا عليها رابعًا وهو ان يكون وكلاء الكتب السِّبلية اي المقدسة عشرة خمسة من العامة وخمسة من الاشراف وكانت تلك هي الكتب التي يتفاءلون بها ويعتقدون ان فيها نبوات تختص بمستقبل رومية وكانوا يستشهدونها في المسائل ذات الشان ولما كانت سابقًا بايدي الاشراف كان يمكنهم تزويرها بغية اضرار العامة فتقررت هذه السنن كلها ولما جرى انتخاب القنصلين وفي السنة الاولى فاز سكستيوس باكثرية الاصوات لكن مجمع الاشراف الذي كان له حق ان يثبت الانتخاب ابى فهاج العامة وعزموا على الخروج فرأى الاشراف انهُ لا بد من التسليم والّا خربت مدينتهم فسلموا بمراد العامة وسميت تلك السنن الاربع بالسنن الليسنية نسبة الى ليسنيوس وتقرّرت في نحو سنة ٣٦٤ ق.م .وكانت نتائجها ذات شأن عظيم لانها جعلت المساواة في السياسة بين العامة والخاصة فسئموها وقاوموها كثيرًا بعد ذلك ولم يقدروا ان يمنعوا بلوغ العامة جميع الرتب كما سيتضح وأُنشئ حينئذٍ منصب جديد سموا صاحبهُ بريتورًا واتفقوا على انهُ يكون من الاشراف وأُنشئ منصب اخر سموا صاحبهُ ايديل واتفقوا على ان يكون من الطبقتين بالتتابع

قررت في نحو سنة ٣٦٤ ق.م

مقاومة الاشراف

انتخاب سكستيوس للقنصلية

٢١. وظلّ الاشراف يعاندون مع انهم سلموا بقرار السنن الليسنية وانتهزوا كل فرصة لالغائها وبذلوا الجهد نحو خمس وعشرين سنة في الغاء السنّة القنصلية وكانوا يفوزون

عناد الاشراف

في امر القنصلية احياناً بالمراد وانتخبوا كلا القنصلين من الاشراف فتمضي عليهم منذ ذلك نحو ثلاث عشرة سنة اي من سنة ٣٥٣ الى سنة ٣٤٠ ق . م كان فيها اربعة عشر قنصلاً من الاشراف ولم يكن سوى ستة من العامة. ولا ريب ان هذا الظلم افضى الى الشغب والقلق وكان تريبونيو العامة يمنعون الانتخاب احياناً لعلمهم انهم ينتخبون القنصلين من الاشراف بخلاف السنة فيقوم الاشراف ويعينون نواباً عن القناصل او يقيمون دكتاتوراً يجري الانتخاب على رغم العامة واتوا غير ذلك من المظالم فقام عليهم العامة وعنفوهم وثبتوا الى ان فازوا بالمطلوب فاعادوا سنة ٣٤٩ ق.م السنة القنصلية وفازوا في اثناء ذلك بمنصب الدكتاتور لان مرقس

اول دكتاتور من العامة روتيلس تعين دكتاتوراً سنة ٣٥٣ ق . م وقهر الايتروسكيين وعاد مؤيداً منصوراً ودخل المدينة بالاحتفال متفاخراً وكان الاشراف يلقون العامة في بعض الاشياء لكي يشغلوهم عن طلب حقوقهم في القنصلية ومن ذلك انهم نزّلوا الربا الى عشرة في المئة ثم الى خمسة ومنعوا ما زاد عليهِ ورفعوا عنهم بعض الديون والمكوس سنة ٣٤٩ق.م. وتجنبوا اسباب محاربة الجيران لئلاً يفتقروا الى العامة فصالحوا اللاتينيين والايتروسكيين وغيرهم من القبائل المجاورة او نذلوا كل عنايتهم في المقاصد السياسية ولكن في نحو سنة ٣٤٠ ق .م. فتح لهم باب لتوسيع املاكهم فعمدوا الى حرب جديدة وهي حرب السمنية الاولى

هجوم الغاليين ثانية ٢٣٠ وحدث بعض حروب ليست بذات شأن في المدة المذكورة. قبل ان الغاليين اتوا ثانية وغزوا البلاد وقدموا على رومية فتجهز الرومانيون لمقاتلتهم وكانوا قد اختبروهم في الحرب الاولى فاتخذوا الاحتياطات اللازمة فلم يبلغ الغاليون مرادهم . حكي ان جيش

حكاية منليوس الغاليين وصل الى نهر آنيو شمالي رومية فخرج الرومانيون للقائهم وكان في مقدمتهم رجل اسمهُ تيطس منليوس وفي مقدمة الغاليين جبار جسيم فبارزهُ منليوس وقتلهُ مع انهُ كان بالنسبة اليهِ كداود الى جليات فقتلهُ واستاق غنيمتهُ وهزم الرومانيون العدو شر هزيمة ورووا غير ذلك من العجائب في حرب اولئك البرابرة. ولما صالح الرومانيون اللاتينيين وغيرهم كما مر فرغوا للغزوات البعيدة وكانت اول غزوة غزوها بعد سنة ٣٤٠ ق.م غزوة

الحرب السمنية الاولى كمپانيا فافضت الى حرب السمنيين . وكانت علة ذلك ان اهل كپوا وهي قصبة كمپانيا احتسبوا تعديات السمنيين فطلبوا الى رومية ان تساعدهم فينتظموا في سلك طاعتها فاجابت اذ كانت كمپانيا بلاد غنية مخصبة تعدل نحو ثلث املاك رومية وكان السمنيون يدّعون ان تلك البلاد لهم فكان لابد لاخذها من محاربتهم وكانوا امة قوية فلم تخضعها رومية الاّ

يبذل كل الجهد نحو سبعين سنة

٢٣. وتجهز لحرب السمنيين القنصلان المنتخبان لسنة ٣٤٠ ق.م. وسار كلٌّ في مقدمة جيش وكان اللاتينيون مع الرومانيين وتقدم ڤاليريوس احد القنصلين الى كمپانيا وقسوس وهو القنصل الآخر الى سمنيوم اما ڤاليريوس فقاتل العدو عند جبل غورُس قرب البحر شمالي نابولي واشتد القتال كثيرًا فظفر الرومانيون وهزموا الاعداء وسار قسوس نحو بلاد سمنيوم فكمن له السمنيون وكادوا يهلكون كل الرومانيين وانما انقذهم ديشيوس وهو قائد من العامة شديد البأس فهاجم العدو بشرذمة وثبطة حتى افلت الجيش من الكمين ثم خرق صفوف الاعداء المحيطين به وعاد سالمًا فاشتهر اكثر من القنصل. ثم جمع السمنيون جيشًا اخر وحلوا في كمپانيا فكسرهم ڤاليريوس ثانيةً واهلك منهم خلقًا كثيرًا لكن الحرب لم تنته فشتى الجنود الرومانيون في كپوا لكنهم سئموا ما كانوا عليه وعصوا وخرجوا من المشتى وتوجهوا الى رومية طالبين حقوقهم وساعدوا من لقوا في طريقهم من اخوتهم الذين كانوا أُستعبدوا للدين وحرروهم ولما بلغ الخبر رومية خرج اليهم كثيرون من العامة. اما المشيخة فجهزت العسكر لمقاومتهم ولما اصطفوا للقتال ندموا لانهم اخوة فاخذ الفريقان يتخاطبان في أمر الصلح فرأى تريبونس يقال له جنوشيوس ان تُلغى الديون وان يجاز انتخاب كلا القنصلين من العامة الآ انه لا يجوز ان ينتخب الواحد ثانية الآ بعد مضي عشر سنين وان لا تحط رتبة احد الجنود الآ لسبب كافٍ وان لا يطالب احد ممن اشتركوا في هذا العصيان فتصالح الفريقان على هذه الشروط ورجع العسكر الى الطاعة. ولم يحدث في السنة التالية ما يستحق الاعتبار والظاهر ان نصرات الرومانيين لم تكن ذات شأن كما ادعوا فايقنوا انهم لا يخضعون السمنيين سريعًا كما ظنوا فصالحوهم على ان السمنيين يدفعون للجيش رواتب سنة كاملة ومؤونة ثلثة اشهر وانهم لا يسلبون شيئًا من اراضيهم وكان ذلك سنة ٣٢٨ ق.م

معركة جبل غورس

خروج عسكر رومية

مطالبهم

عند الصلح

٢٤. والذي حمل الرومانيين على الصلح ساعتئذٍ هياج اللاتينيين على ما يظن فانهم خرجوا على الرومانيين والتحمت الحرب اللاتينية وعلة ذلك انهم طلبوا حقوقهم السياسية كسائر الرومانيين حتى يبلغوا المناصب الرومانية لانهم احتملوا الاتعاب والضيقات في الحروب مع رعية رومية فاستحقوا الحقوق المدنية اما رومية فابت وعبت جنودها وبعثتها للحرب وكان السمنيون في معاهدتهم في تلك الحرب وتقاتل الرومانيون واللاتينيون عند جبل ڤزوف وكان قنصلا تلك السنة تيطس منليوس وهو من الاشراف وپبليوس ديشيوس

الحرب اللاتينية

وهو من العامة وقد مرَّ ذكرهُ في حرب السمنيين ولما قرب كل من الجيشين الى الآخر امر القنصلان بمنع المبارزة فاتفق ان ابن منليوس خالف هذا الامر فلما وقف امام ابيهِ حكم عليهِ بالموت وهذا يبين لنا تهذيب الرومانيين في الامور العسكرية ولما صار القتال اشتد وضاق الامر بالرومانيين فعزم ديثيوس على ان يفدي الجيش من الهلاك بنفسهِ على عادة الرومانيين وهي ان القائد كان يقف في الاحوال الصعبة امام الكاهن ويقدّس نفسهُ للآلهة كانهُ ذبيحة ويدعو على الاعداء بالهلاك ثم يهجم عليهم بعنفٍ ويتوغل في صفوفهم يقاتلهم بكل بشدة حتى يظفر بقوة من الآلهة او يقتل ففعل ديثيوس كذلك وهلك اما اللاتينيون فالقى الله الرعب في قلوبهم فانهزموا ولحق بهم الرومانيون واكثروا فيهم القتل حتى قيل انهم لم ينجُ غير الربع منهم ثم حشدوا جيشًا اخر وكان المصافُّ عند مكان يسمى تريفانم وكانت الكرّة على اللاتينيين وتمت بهم الهزيمة حتى لم يعودوا الى القتال وانفصل بعض مدنهم عن البعض وخضعت لرومية فمنحت البعض منها حقوقًا مدنية وضايقت البقية وظلمتها وكانت نهاية هذه الحرب في سنة ٣٣٦ او ٣٣٥ ق.م . وكانت مدتها نحو ثلاث سنين ومن الغنيمة التي استاقها الرومانيون مقدمات البوارج التي استولوا عليها من مدن اللاتينيين البحرية فاقاموها في رومية في المجامع العامة تذكارًا لهذه النصرة

أمر ديثيوس

هزيمة اللاتينيين

نهاية حرب اللاتينيين سنة ٣٣٥ ق.م

٣٥. ولم يثر الرومانيون حربًا ذات شأن نحو اثنتي عشرة سنة بعد مصالحة اللاتينيين وذلك لعدة اسباب منها ان اللاتينيين لم يطيعوهم الا غصبًا فخافوا عصيانهم اذا انهمكوا بحرب اخرى ومنها ان اسكندر الابيوسي عم اسكندر الكبير هاجم الاطراف الجنوبية في اثناء ذلك ولم يرد الرومانيون حربًا حتى يروا ماذا يفعل لئلا يخضع سائر امم ايطاليا ثم يهاجمهم فعاهدوهُ وتربصوا ولكن لما انهزم وقتل عادوا الى ما كانوا عليهِ من الغزو وتوسيع املاكهم واخذوا يتعدون على املاك سمنيوم واتخذوا مهاجر على تخومها وبعثوا اليها مهاجرين يحرسونها وغزوا نابولي وباليوبلس وكانتا معاهدتين للسمنيين فافضى ذلك الى الحرب السمنية الثانية فبقيت نحو عشرين سنة واشتدت كثيرًا فقاست رومية فيها مشقات عظيمة الا انها قهرت سمنيوم اخيرًا وامست اول امة في كل ايطاليا

تقاعد رومية عن الحرب

مهاجمة نابولي

٣٦. ولما علم الرومانيون شدة باس السمنيين وقوتهم عمدوا الى محالفة اهل الجنوب فعاهدوا اللوكانيين سنة ٣٢٣ ق.م. لكن السمنيين أغروهم بان رفضوا المعاهدة وانحازوا اليهم ثم نادت رومية بالحرب وبعثت جيشًا يحيط بشمالي سمنيوم ويسير جنوبًا في سواحل

الحرب السمنية الثانية سنة ٣٢٣ الى

بحر ادريا الى ابوليا فقاومهم المارسيون وغيرهم في تلك النواحي فغلبهم الرومانيون وهزموهم ٣٠٣ ق٠م
وبلغوا المرام وتوغلوا في ابوليا واملاك سمنيوم في تلك الاطراف وفي اثناء ذلك بعث
الرومانيون جيشًا اخر الى تخوم سمنيوم الغربية وفي مقدمته دكتاتور اسمهُ لوكيوس پاپريوس
فلما بعد الجيش عن رومية اضطر الدكتاتور ان يرجع وحدهُ لبعض مهامّ دينية فامر
فابيوس نائبهُ ان لا يبارز العدو في غيابهِ لكنهُ خالف امرهُ وكسر السمنيين اعظم كسرٍ غلبة
فغضب پاپريوس واراد قتل فابيوس لمخالفتهِ فانقذهُ الناس على رغمهِ ثم قدم ثانية على فابيوس
السمنيين وضايقهم حتى طلبوا الصلح سنة ٣٢٠ ق٠م٠ فتهادنوا مدة سنة على شرط انهم
يقدمون لجيش رومية الطعام والكسوة ثم جُدّدت الحرب فتضايق السمنيون فارادوا الصلح
ولو بشروط ثقيلة ولكنّ رومية طلبت طاعتهم التامة فرفضوا وتجهزوا للحرب وفي سنة ٣١٩
ق٠م٠ اصاب الرومانيين مصيبة شديدة لم ينزل بهم مثلها قط وهي انهم جهزوا الى سمنيوم
جيشًا قويًا في مقدمتهِ القنصلان فلما وصل الى مكان يسمى المفارق الكودينية وهو مضيق او المزة
سهل ليس بواسع تحدق بهِ الجبال من كل ناحية انكب عليهم العدو واشتد القتال وكانت الكودينية
الكرة على الرومانيين فاستامنوا فامنهم قائد السمنيين وهو كايُس پنتيوس على شروط منها سنة ٣١٦
ان رومية تسلم ما اخذتهُ من سمنيوم وتعاهدها على المساواة فقبل القنصلان ثم اطلق پنتيوس ق٠م
الرومانيين ما عدا ست مئة فارس فاخذهم رهائن فلما سمع اهل رومية بما كان خجلوا
واغتاظوا ورفضوا الشروط وبعثوا بالقنصلين والرؤساء الذين سلموا بها الى السمنيين ليعملوا
فيهم ما بدا لهم وصمموا على مداومة الحرب وكان پنتيوس كريم الاخلاق فاطلقهم لكنهُ دعا
رومية ناكثة العهد . والحق ان ما اتتهُ رومية كان ظلمًا لانهُ لا يجوز رفض العهد الذي
سلم بهِ القنصلان الّا بردّ الجيش كلهِ الى ايدي السمنيين في الحال التي كان عليها وقت
الاتفاق

٣٢٧٠ ثم دارت رحى الحرب وحشدت رومية جنودها وبعثتها لغزوة سمنيوم ولاخذ اشتعال
الثار فتوغلوا في بلادهم فقيل انهم ظفروا بهم وافتتحوا المدينة التي كان الرهائن فيها الحرب
فاستردوهم وظلت الحرب عدة سنين ولم تأتِ بما يعبأُ بهِ الى سنة ٣١٢ ق٠م٠ يوم اقتتل ايضًا
الفريقان في لوتلي فانهزم الرومانيون شرّ انهزام وضاقت بهم الارض لان بعض توابعهم وقعة لوتلي
خرج عليهم وحالف السمنيين وناصرهم ومن ذلك كمپانيا والفلشيون وغيرهم وظن الناس سنة ٣١٢
ان السمنيين ينتصرون ويخربون رومية لكنها قامت واظهرت قوتها وعزمت على ان لا ق٠م

تخشى النوازل مهما عظمت فعند ما سمعت بتلك المزية وخروج توابعها جهزت جيشًا قويًا الى الحرب ظافر بالعدو عند مكان يسمى سِنّا فضعفت سمنيوم ولم تبقَ لها من قوة على رومية مع ان الحرب استمرت بضع سنين لان السمنيين اغووا بعض محالفي رومية حتى قاموا عليها حاربوها ولاسيما الايتروسكيون والأُمبْريون والمارسيون والهرنكيون وغيرهم وكان الرومانيون يغزون سمنيوم سنة بعد سنة ولكن لما قام هولاء عليهم قعدوا عن ذلك واشتد القتال بينهم وبين الايتروسكيين وانهزم الرومانيون واشرفوا على الهلاك نحو سنة ٣٠٩ ق.م فـ بنول كوِنْتس فابيوس الملقب بمكسيمُس (اي الاعظم) قائدًا فسار الى اتروريا وتوغل فيها وانتصر على العدو لكنهُ ضُويِق في اثناء ذلك جيش اخر للرومانيين في سمنيوم فعُيّن پاپريوس دكتاتورًا فسار الى سمنيوم وظفر بالعدو وانقذ اخوتهُ من الهلاك واستاق غنيمة فاخرة وظلت نار الحرب مشبوبة الى سنة ٣٠٣ ق.م. فارتخت سمنيوم وخذلها اعوانها فقاست من الضيقات والمشقات ما لا يوصف اذ نُهبت حقولها وأُحرقت مدنها وقراها ودُمّر عمرانها وقتل رجالها حتى لم يبقَ لها من طاقة على الحرب فسلمت الى رومية على ما ارادت فزال استقلالها وخضعت لعدوها

حروب الامم المجاورة

نهاية الحرب سنة ٣٠٣ ق.م

٣٨. وحدث في تلك المدة بعض تغييرات في السياسة فانهُ قام رجل من الاشراف اسمهُ ابيوس كلوديوس سنسورًا (اي محتسبًا راجع رقم ١٤) وكان من واجباتهِ ان يراجع دفتر اعضاء الجامع وكان في رومية حينئذٍ عدد غفير من الذين ليس لهم ادنى حق في السياسة فمنهم من تحرر من رق العبودية ونسلهم ومنهم اصحاب الصنائع والحرف المختلفة ومن ليس لهُ ادنى مالك في الارض ولما كثر هولاء اخذوا يتذمرون ويهيجون حتى خشي شرهم فقام ابيوس واراد ادخال بعضهم الى المشيخة فقاومهُ اعضاؤُها فامتنع لكنهُ ادخلهم جميعًا الى مجمع السنتوريين ومجمع التريبيين فعظمت صولتهم في الاخير لكثرتهم حتى نصبوا عتيقًا (اي عبدًا محررًا) يسمى فلاڤيوس منصب ايديل كرولي فمكنهُ ذلك من الدخول الى المشيخة لانهُ من امتيازات ذلك المنصب وكان هذا في نحو سنة ٣١٢ ق.م. وبقي الامر هكذا الى سنة ٣٠٤ ق.م. حين قام السنسوران كونتس فابيوس وپبليوس ديشيوس وغيرا هذا النظام وجعلا دخلاء مجمع التريبيين اربع فرق لانهُ لما كانت كل الفرق (او التريبيين) تنيف على الثلثين وكان لكل فرقة صوت واحد في المجمع بقطع النظر عن عدد الانفس الفي معظم اولئك الدخلاء ولم يكن لهم من سلطان في مجمع السنتوريين لان

ادخال العتقاء واصحاب الصنائع الى الجامع

معظمهُ كان من الاغنياء (راجع ف ٣ رقم ١٦)

السكة الابية وقناة المياه

وما اتاهُ ابيوس من الاعمال النافعة تمهيدهُ طريقًا سلطانية من رومية الى كبوا ولا تزال آثارها الى هذا اليوم فسميت الطريق الابية نسبة اليهِ ومنهُ قناة يجري فيها الماء العذب الى رومية من مكان بعيد وهو اول من فعل ذلك . وما جدَّ في النظام في تلك المدة تقسيم الرتب المقدسة كالكهنوت وغيره بين الخاصة والعامة وكانت سابقًا مقصورة على الخاصة فاستوت الطبقتان في السياسة فكانتا امة واحدة قوية اظهرت من قوتها ونشاطها عقيب ذلك ما لم تظهرهُ من ذي قبل فما مضى قليل الاَّ امست رئيسة ايطاليا

محاربة رومية قبائل شتى واستعداد سمنيوم لحرب جديدة

٣٩. وكان بعد صلح سمنيوم ان رومية شنت الغارة على قبائل من الاخلاط كانت قد ساعدت سمنيوم كالمارسيين واتباعهم وتعدت رومية على مقاطعة أمبريا واتخذت حصنًا فيها والظاهر ان سمنيوم لم تصالح رومية الاَّ لكي تنتعش قليلاً بعد جهادها الطويل قصد الاستعداد لحرب اشد ففاوضت الايتروسكيين والامبريين والغاليين وعاهدتهم على ان يجتمعوا اليها اذا مست الحاجة ثم انفجرت الحرب السمنية الثالثة والسبب الظاهر في ذلك ان سمنيوم تعدت على لوكانيا فبعثت رومية معتمدين ينهونها عن ذلك فابت الا الحرب وكان ابتداؤُها سنة ٢٩٨ ق.م. زحف فيها فلفيوس القنصل الى سمنيوم وقاتل قتالاً شديدًا انتصر فيهِ على السمنيين . ثم توجه الى لوكانيا وتبعهُ السمنيون واوقعوا بهِ لكنهُ غلبهم فانام الايتروسكيون وشنوا الغارة على رومية تلك السنة فاشتد الامر حتى عين الرومانيون كونتس

وقعة سنتينم سنة ٢٩٥ ق.م

فابيوس وبيليوس ديشيوس قنصلين اذ كانا اشهر ابطالهم في ذلك الزمان وكان السمنيون قد اجمعوا على حرب شديدة فحثوا جميع محالفيهم من الايتروسكيين والامبريين والغاليين ان يجتمعوا اليهم وكان المصافُّ قرب سنتينُم وهي مدينة من أمبريا وكان القنصلان قد حشدا من رومية وتوابعها نحو تسعين الف مقاتل اما الاعداء فكانوا جمعًا كثيفًا لا يحصى وكان القتال شديدًا جدًّا عدَّ من اعظم الوقائع في اخبار رومية وكان ديشيوس على ميسرة الرومانيين يقابلهُ الغاليون فحملوا عليهِ كعاصفة خاطفة واوشك جنود ديشيوس ان ينهزموا فلما رأى ما كان ضحّى نفسهُ كابيهِ في حرب اللاتينيين كما ذكر (راجع رقم ٣٤) فحمل على صفوف الغاليين ووقع قتيلاً فلما راى ذلك الرومانيون ايقنوا الغلبة اذ حسبوهُ ذبيحة مرضية للآلهة فاشتدوا وهزموا الغاليين . اما فابيوس فكان على الميمنة وكان السمنيون واعوانهم مقابلهُ وكانت الكرة عليهم فولوا وتفرقوا ايدي سبا وكانت القتلة في ذلك اليوم

خطابة قيل انهُ لم ينجُ من السمنيين غير خمسة الاف نفر وعادوا الى بلادهم وكذا من نجا من الداليين والقوا الرعب في قلوب اخوتهم حتى بقوا بضع سنين لم يجسروا على مهاجمة رومية ولما عاد فابيوس الى المدينة دخلها باحتفال النصر لانهُ ظفر باهول اعدائهم الذين اوقعوا بهم يوم أليا (راجع رقم ١٧) وكانت حرب سنتينم سنة ٢٩٥ ق.م.

ظهور بنتيوس وهزيمة السمنيين

٢٠. وضعفت سمنيوم بعد هذه الكرة وخذلها اعوانها لكنها عادت الى الحرب اذ كان الاهلون اشداء بغضهن رومية وقام بنتيوس الشهير الذي عرَّض رومية للمصيبة الكودينية (انظر رقم ٢٦) وشجع اهلهُ وقادهم الى الحرب وهو طاعن في السن فانتعشوا وغلبوا الرومانيين سنة ٢٩٢ وكان في مقدمتهم فابيوس بن فابيوس الاكبر الذي ذكرناهُ واشرف القنصل وجيشهُ على الهلاك فقام ابوهُ وهو شيخ هرمٌ وسار بنجدة الى ابنهِ وانقذهُ من ايدي العدو وتمت الهزيمة على السمنيين وكان ممن اسروا حينئذٍ بنتيوس فاخذوهُ الى رومية ايزين احتفال النصر ثم ضربوا عنقهُ وكان ذلك مخلاً بشرف الرومانيين غير انهُ جرى على عادتهم في حروبهم ولما هلك بنتيوس ارتخت ايدي السمنيين فخضعوا لرومية هم ومحالفوهم سنة ٢٩٠ ق.م. وغلظ امر رومية وعمت شوكتها

المشاجرات الاهلية وسنة هرتنشيوس

٢١. وكانت رومية قد تضايقت من هذه الحروب اذ هلك رجالها ونهبت حقولها واصابتها في ذلك المدة الاوبئة والجوع فنهيج الناس واحيوا المشاجرات الاهلية وقيل ان العامة خرجوا وامتنعوا في جبل جانِقُلم عبر التيبر حتى صار الاتفاق على يد هُرتنشيوس الدكتاتور فانهُ عرض ان تثبت احكام مجمع العامة على الجميع بلا افتقار الى موافقة مجمع الاشراف فسلم الاشراف بذلك ورجع العامة وخُفِّفت ديونهم ومنح الفقراء الضيعة ما استولت عليهِ رومية حديثاً من املاك الاعداء فتقوَّت رومية بعد الضيق وشرعت تسعى في امور جديدة

حرب السنونيين والبويين سنة ٢٨٣ الى ٢٨٢ ق.م

٢٢. اما الايتروسكيون فلم يخضعوا لرومية واستجاشوا عليها السنونيين وهم قبيلة غالية كانت استوطنت شمالي أُمبريا فبعثت رومية جيشاً الى شمالي ايتروريا سنة ٢٨٣ ق.م. فانهزم الرومانيون اولاً لكنهم تشددوا لما أتاهم المدد وغزوا ارض السنونيين وخربوها وقتلوا الرجال واسترقُّوا الاولاد والنساء حتى ابادوا الامة فلما سمع البويون (وهم قبيلة غالية في وادي البو) بما كان تجندوا وسار جيش عرمرم منهم الى ايتروريا واجتمع الى الايتروسكيين وقاتلوا الرومانيين عند بحيرة فاديمو قرب التيبر فهزموا شرَّ هزيمة لكنَّ

البويين حشدوا جيشاً اخر وقدموا الى اتروريا سنة ٢٨٢ ق.م . وكانت الكرة عليهم ايضاً فسلموا وطلبوا الصلح فصالحتهم رومية لانها كانت منهمكة بحروب الجنوب كما سيذكر وفي نحو ذلك الزمان خضعت اتروريا ففرغت رومية من الحروب الشمالية ووجهت كل قوتها جنوباً

الوحشة بين رومية وتارنتم

٢٣. وكانت مدينة تارنتم الدّ اعداء رومية في الجنوب وكانت تحرك القبائل لمقاومتها ولم توافقها ثوريي (وهي مدينة يونانية على الشط الجنوبي من خليج تارنتم في اطراف لوكانيا) فقام اللوكانيون والبرُتيون وضايقوها فاستنجدت رومية فبعثت اليها رومية جيشاً في مقدمته القائد فبْرِيشوس فغلبهم وانقذ ثوريي من ايديهم . ثم بعثت رومية عشر بوارج الى خليج تارنتم لمساعدة ثوريي بحراً وكان ذلك مخالفاً لمعاهدة قديمة بين رومية وتارنتم فجهزت هذه سفنها على بوارج الرومانيين واوقعت بها بغتة فكسرت خمس من العشر وأفلتت خمسٌ ولما سمعت رومية بما كان بعثت معتمدين الى تارنتم تطلب الانصاف لان اهل تارنتم كانوا قد تعدوا على ثوريي ولما اتى الرومانيون تارنتم اهانهم اهلها اشد اهانة فهددهم الرومانيون وذهبوا فطارت رومية غيظاً وشبت الحرب على تارنتم لاخذ الثار سنة ٢٨١ فخافت تارنتم وعلمت انها غير قادرة على محاربة رومية وحدها فاستصرخت بِرُوس ملك ابيرُس (راجع ك٣ ق٢ ف١ رقم ٣) فاجاب لكنهُ تاخر مدة في جمع الجنود وقدم الرومانيون اثناء ذلك والتزم التارنتيون ان يحاربوهم فدحروا وانحصروا في مدينتهم وغزا الرومانيون املاكهم واستولوا على حصونهم وكادوا يفتحون تارنتم لكنّ برّوس جهز اليهم فرقة عسكر انقذت مدينتهم ثم اتى هو نفسهُ سنة ٢٨٠ ق.م . وفي صحبتهِ نحو عشرين الف مدجج وثلاثة الاف فارس والفي رامٍ بالنبال وخمس مئة رامٍ بالمقلاع وعشرين فيلاً فهولاء وان لم يكونوا جيشاً عظيماً كانوا مهذبين تهذيب اليونان المسمى بالفالنكس بحسب ترتيب اسكندر الكبير وكان مصافّ الرومانيين يخالفهُ في الترتيب كل المخالفة لان الفالنكس كان مزدحم الصفوف اما مصافّ الرومانيين المسمى لجيو فكانت رجالهُ متفرقة وكان اهم آلات القتال عند اليونانيين الرمح وعند الرومانيين السيف وكانت تلك اول حرب تقاتل فيها الفالنكس واللجيو

الحرب لتارنتم سنة ٢٨١ ق.م

مجيء بروس سنة ٢٨٠ ق.م

حرب سيرس سنة ٢٨٠ ق.م

٢٤. ولما وصل برُّوس الى تارنتم عبي جنودهُ وخرج لمقاتلة الرومانيين ولاقاهم عند نهر سيرس غربي تارنتم واشتد القتال فانهزم الرومانيون ثم رجعوا وتكرر ذلك سبع مرات

وكان اخر الامر ان بروس اطلق افياله على فرسان الرومانيين فخشيت الافراس منظرها الهائل فانهزمت وكانت الكرة على الرومانيين ثم نقض كثيرون من اتباع رومية عهدهم فضاق بها الامر لكن بروس اختبر شدة الرومانيين في الحرب وتحقق انه لا بد من حرب طويلة شديدة لم يعلم عاقبتها فعرض على رومية الصلح بشرط ان تفرج عن الذين اكرهتهم على الطاعة فأبت قائلةً انها لا تصالح بروس الا بان يخلي البلاد كلها وكان معتمد بروس يونانياً شهيراً أتى رومية ورأى عظمتها وعاشر اهلها واختبر المشيخة فاعجبهُ كل ما شاهدهُ فيها فلما عاد اخبر سيدهُ بان رومية هيكلٌ واعضاء المشيخة نظراء آلهة . ثم قدم بروس في عسكر كثيف الى كپوا فدفعهُ الرومانيون ثم سار حتى اشرف على رومية متوقعاً انها تسلم خوفاً لكنها ثبتت فخاب املهُ ورجع الى تارنتم فشتى فيها تلك السنة وخاطب رومية في شأن الصلح واكرم الاسرى بان اطلقهم ليرجعوا الى رومية لعيدٍ على شرط انهم يعودون ان لم يعقد الصلح فلم تقبل رومية الصلح لان بروس لم يخلِ ايطاليا لكنها ردت كل الاسرى ولم يحصل بروس على مرادهِ وفي السنة التالية اي سنة ٢٧٩ ق.م. كانت حرب اخرى بين الفريقين عند مدينة أسقلم في ابوليا انتصر فيها بروس لكنهُ خسر كثيراً حتى قال ان غلبة اخرى كهذه لتهلكني على انهُ لم ينتفع شيئاً من نصراتهِ وكان الفالنكس يضعف والرومانيون يقوون ويمهرون . وحالفوا يومئذٍ القرطاجنيين على بروس وكانوا يحاربون اليونان في سيسيليا فاستنجد اليونان بروس ولما راى مصاعب حرب الرومانيين اشتهى غزوة سيسيليا الغنية وملكها فهادن الرومانيين وسار بجيشهِ الى سارقوسا وبقي هناك نحو ثلاث سنين وقهر القرطاجنيين وكاد يستولي على الجزيرة باسرها اما مشاجرات اليونان وحقدهم عليهِ فافضت الى ابطال سلطانهِ فسئم الاحوال وعد الى الرجوع الى ايطاليا

طلب بروس الصلح

قدوم بروس على رومية

حرب اسقلم سنة ٢٧٩ ق.م

مسير بروس الى سيسيليا

٣٥. وشرع الرومانيون لما سار بروس الى سيسيليا يخضعون اعوانهُ في ايطاليا وغزوا لوكانيا وبرتيوم وافتتحوا مدينتي كروتون ولوكري وتمكنوا من طاعة اكثر قبائل الجنوب ثم رجع بروس الى تارنتم سنة ٢٧٦ ق.م. وتجهز لمحاربة الرومانيين وكان اكثر العساكر الذين اتى بهم من ابيرس قد قتلوا في الحروب السابقة فاخذ بدلهم يونانيين وبرابرة من اعوانهِ ولم يكن لهم من البأس والتهذيب ما كان لاولئك وكان الرومانيون قد اختبروا مقاتلة الفالنكس واحسنوا التدبير فلما وقع القتال هذه السنة في سمنيوم عند مدينة بنفنتم هزموا جنود بروس وقتلوا اكثر رجالهِ وبعض افيالهِ واخذوا البعض الاخر فولى بروس

فتح الرومانيين الجنوب

وقعة بنفنتم سنة ٢٧٦ ق.م

هاربًا وليس معهُ سوى شرذمة من الفرسان ولما بلغ تارنتم شرع يتأهب للسير الى بلاده وما لبث أن اقلع وعاد الى ابيروس وحدث من امره ما حدث (انظر ك ٣ ق ٣ ف ١ رقم ٣) ففرح الرومانيون بالنصر واحتفلوا بالقنصل كوريوس لما عاد الى رومية منصورًا احسن احتفال واتوا فيهِ اغرب منظر وهو منظر الفيلة التي غنموها فانهم ساقوها في ذلك الاحتفال وكان الرومانيون لم يشاهدوها قط

طاعة الاطراف الجنوبية

ثم استراحت رومية مدة لانها كانت قد قاست مشاقَّ شديدة في حرب پروس وبعد نحو سنتين باشرت الحرب وافتتحت تارنتم سنة ٢٧٢ ق.م. وحملت على لوكانيا وبرتيوم فاطاعاها تلك السنة ولم تزل تغزو وتتقدم حتى استولت على كل الاطراف الجنوبية فخضع لها ريغيوم عند الطرف الجنوبي الغربي والساپيون في الطرف الجنوبيّ الشرقي سنة ٢٦٦ ق.م. وخضعت سمنيوم سنة ٢٦٩ ق.م. بعد حرب اخرى سميت السمنية الرابعة فاطاعت سمنيوم كل الإطاعة بعد جهاد نحو سبعين سنة كما مر

طاعة الاطراف الشمالية

٣٦. ثم وجهت جنود رومية شمالاً فاخضعت سائر القبائل في تلك الاطراف واطاعتها يومئذٍ يسينم وخضعت لها امبْريا سنة ٢٦٦ ق.م. وما بقي من المدن الاتروسكية في السنة التالية فاصبحت رومية متسلطة على كل شبه الجزيرة سنة ٢٦٥ ق.م

المهاجر

ودبرت رومية ايطاليا بالحكمة لكي تتمكن من طاعتها فمهدت الطرق واقامت المهاجر في كل ناحية وسمتها كولونيات وكانت رومية كلما فتحت بلادًا تسيّر اليها اناسًا من رعيتها يسكنون مدينة او اكثر من مدن البلاد تمنحهم بعض اراضيها وحقوق رومية المدنية فيحسبون رومانيين ولو سكنوا غير رومية وكان في اقامة المهاجر غايتان مهمتان الاولى حفظ البلاد فلا تخرج على رومية لان الرومانيين الذين فيها كانوا اصحاب امتيازاتها فرغبوا كل الرغبة في حفظ الطاعة فكانوا اذا شغب السكان الاصليون يبذلون جهدهم في تسكينهم ويدافعون عن الثغور اذا هاجمها الاعداء والثانية مساعدة فقراء رومية لانهم كانوا ينتقلون الى تلك المهاجر فياخذون كثيرًا من الاملاك فلم يبقَ في رومية فقير الا من لم يرد ان يهجرها ولهذا لم نقف في تاريخ رومية في ذلك العهد على هياج احد لفقر او دين كما كان في عهد بروس وقبلهُ وظلت الحال كذلك نحو مئة واربعين سنة وعظم شان المهاجر والمدن بامتداد سلطة رومية وصارت المنزلة المهجرية بغية مدن الامم لامتيازاتها وامتيازات اهلها الشريفة

الطرق

ومهّدت رومية الطرق السلطانية الى الثغور تسهيلاً لسير الجيوش والبُرُد لكي تبلغ الاخبار العاصمة بسرعة واذا حدثت حرب او خيانة او شيء يخل بالراحة في اطراف المملكة كانت تسيّر جنودها بدون اعاقة فتصلح الاحوال وقد مرّ ذكر الطريقة الابية التي مُهّدت اولاً الى كَبُوَا ثم الى برندوسيوم على بحر ادريا وبعد اخضاع القبائل الشمالية مهدت الطرق اليها والى سائر الاطراف الخاضعة لرومية . وبعد حرب پروس انشأوا قناة للماء الى رومية من نهر آنيو وكانت نحو ثلاثة واربعين ميلاً طولاً وقد ذكرت القناة الابية سابقًا على ان رومية عينها زخرفت في هذه المدة لوفرة الغنائم التي غنمتها في حروبها

سياسة رومية امم ايطاليا

٢٧ . اما سياسة رومية الامم الايطالية التي تسلطت عليها فكانت مختلفة كاختلاف احوالها فحالفت بعضها ومنحت البعض شيئًا من حقوق رومية وامتيازاتها وسلبت البعض جميع حقوقها واستعبدتها . وكان المحالفون اهل مدن لم تخضعها بل عقدت معها عهود السواء ظاهرًا فانهٔ كان عليها ان تساعد رومية عند الحاجة طوعًا او كرهًا لانها لم تكن قادرة على المقاومة لكنها كانت تدبر امورها الداخلية كيف شاءت بدون مداخلة رومية

اما المدن التي كانت خاضعة لرومية الخضوع التام فكان لبعضها امتيازات الرومانيين فحسبت من رعايا رومية وهذه الامتيازات كانت معتبرة ومن جملتها ان اربابها كانوا اذا ذهبوا الى رومية يشتركون في مجامعها السياسية وكان لهم حق الارتقاء الى المناصب المدنية والعسكرية وانهٔ حظر على الحكام ان يقاصوا احدًا من ارباب اولئك الامتياز بالجلد لانهٔ كان يعد من المخلات بالشرف ومنها انهٔ حظر الحكم على روماني بالقتل ما لم ترفع دعواهُ الى مجمع الشعب الاّ اذا كانوا في الجيش ومنها العفو من كل جزية لم يؤدّها اهل رومية

ومن المدن الخاضعة لرومية ما كان لها بعض هذه الحقوق وعليها كل واجبات الرومانيين من الخدمة العسكرية وتأدية الجباية وكان سائر المدن خاضعًا كل الخضوع لرومية وضرب عليهم مكوس ثقيلة وفرض عليهم الخدمة العسكرية وغير ذلك كثير مما تقتضيهِ مشيئة رومية ولم يكن لهُ ادنى حق في امتيازات الرومانيين فكان في شرّ حال

ولم يعرف سبب الاختلاف في معاملة رومية الامم والقبائل الخاضعة لها حق المعرفة والمظنون ان الذين تسلطت عليهم بالظلم والجور هم الذين عاندوها اشد العناد حين حاربتهم او الذين خرجوا عليها بعد التسليم وحالفوا اعداءها

٣٨. وكانت رومية قد مدت صولتها الى اطراف شبه الجزيرة كما مر ولم يكن فيه من يقدر على مقاومتها وبلغت تلك الدرجة السامية بعد ان كانت في ادنى دركات الذل والضعف وكانت مدة ارتقائها نحو خمس مئة سنة وسببهُ شدة عزمها وصبرها على احتمال الاتعاب والمشقات حتى انها كانت لا تسلم لعدوّ وفيها رمق فكان جلد الرومانيين وشجاعتهم اعظم من حذاقتهم وحسن تدبيرهم في السياسة والحرب ارتقاء رومية

ولما اخضعت رومية ايطاليا صارت من اعظم الممالك في ذلك العهد ولم يكن كفوءًا لها غير قرطاجنة ومكدونية وسورية ومصر فشاع صيتها في كل العالم وكان بطلميوس فلادلفوس ملك مصر قد بعث وفدًا الى رومية بعد قهرها بيروس يهنيها على غلبتها ويسألها الموادة فاجابتهُ وارسلت رسلاً الى الاسكندرية فاكرمهم بطلميوس وخلع عليهم واهداهم الهدايا الفاخرة فاستحكمت المودة بين الامتين . المودة بين رومية ومصر

وكانت رومية شديدة الطمع مولعة بالحرب والغزو ولما لم يكن لها ميدان في شبه الجزيرة للغزو لانها كلها خضعت لها لم تقنع بما كانت عليهِ من السلطة والشهرة فاشتهت ان تغزو غيرها فما لبثت ان غزت الامم الخارجية واول من اوقعت بهم اهل قرطاجنة كما سياتي

الفصل الرابع

من بداءة المحاربة لقرطاجنة الى المشاجرات الاهلية ايام الغراقيين وذلك من سنة ٢٦٤ الى سنة ١٢٣ ق.م

امر المهرتيين في مسانا

١. نقدم ذكر امور قرطاجنة وسرقوسا من بداءة امرها الى حين حروب رومية (راجع ك ا. ق٦. ف٢. جزء٣ ملحقة) و(ك٣ .ف٦. رقم ٦ الى ١٢) ولما اخلى پروس سرقوسا وسيسيليا عاد القرطاجنيون يضايقونها وقام على سرقوسا نحو ذلك العهد ملك يسمى هيرو وحارب اناسًا اصلهم من كمپانيا كانوا مستاجرين في جيش أَغَثُكْلِيس ملك سرقوسا السابق وكانوا يسمون مَمَرْتِيين ولما اطلقهم عادوا الى بلادهم ولكنهم لما بلغوا مسانا عند بوغاز مسانا احبوا المدينة فعمدوا الى اخذها واستولوا عليها غيلةً وسكنوها ولما كانوا غزاةً اخذوا يغزون

تداخل رومية وانفجار الحرب مع قرطاجنة سنة ٢٦٤ ق.م

وينهبون الى ظواهر سرقوسا فاغاظ ذلك هيرو فحمل عليهم ودفعهم الى مسانا وحاصرهم فيها نحو خمس سنين وكان القرطاجنيون قد اغاروا عليهم ايضًا فاستصرخوا الرومانيين ووعدوهم بملك مسانا فاجابوهم وبعثوا جيشًا لنجدتهم وامروا القرطاجنيين ان يفرجوا عن مسانا فابوا فاوقعوا بهم وطردوهم وكان هذا سبب الحرب الاولى بينهم وبين قرطاجنة وكان الشروع فيها سنة ٢٦٤ ق.م. واستمرت نحو ٢٣ سنة

معاهدة هيرو

٢. وبعد ان استولى الرومانيون على مسانا قدموا على جنود قرطاجنة وسرقوسا في سائر الاطراف وقاتلوهم وغلبوهم فاعتصموا بالجبال والمدن الحصينة. وفي سنة ٢٦٣ ق.م. بعثت رومية جيشًا اخر طارد العدو وغزا ونهب وفتح المدن. قيل ان الرومانيين افتتحوا سبع وستين مدينة في تلك الصائفة فخاف هيرو على عاصمته وطلب الامان فامنوهُ وعاهدوهُ فبقي امينًا لرومية مدة حياتهِ فلم يتعرضوا له بعد ذلك وبلغ الرومانيون في تلك الصائفة اطراف الجزيرة الغربية ولم يمانعهم عسكر قرطاجنة الا قليلاً فظن الرومانيون انهم يستولون على سيسيليا في وقت وجيز. وكانت قرطاجنة تحشد جنودها في افريقية وتجهزها للحرب. وفي سنة ٢٦٢ ق.م. حاصر الرومانيون مدينة اغْرِجَنْتُم وهي على الشط الجنوبي

فتح اغرجنتم

من الجزيرة وكانت معتبرة حصينة وبذل القرطاجنيون الجهد في حفظها . وكان عسكرهم ينيف على خمسين الف راجل وستة الاف فارس ومعهم ستون فيلاً لكن الرومانيين احدقوا بهم فتضايقوا من الجوع حتى خرجوا القتال وانهزموا فقدم الرومانيون وافتتحوا المدينة عنوةً ونهبوها وقتلوا الناس. ولم يزالوا غازين ناهبين حتى لم يبقَ لقرطاجنة في الجزيرة الاَّ بعض اماكن منيعة كانت على البحر ولما كان القرطاجنيون مستولين على البحر ايقن الرومانيون انهم لا يغلبونهم كل الغلب ان لم يحاربوهم بحرًا فعزموا على بناء بوارج وهم غير خبيرين واتوا ذلك باعظم نشاط حتى انهم بنوا مئة وثلثين بارجة في نحو ستين يومًا بعد ان قطعوا الاخشاب من الآجمة وذلك يعد من اغرب الغرائب لجهلهم تلك الصناعة ولم يكن لهم من مرشد فيها سوى انهم وجدوا بارجة قرطاجنية كانت قد انكسرت وطرحتها الامواج على شطوطهم فاتخذوها رسمًا بنوا بوارجهم عليهِ فانجزوا العمل بسرعة ولم يقعدوا عن مقاتلة القرطاجنيين بحرًا وكان القرطاجنيون اول امة في القوة البحرية من اول عهدهم الى ذلك الحين ومن اعجب العجاب انهم غلبوا القرطاجنيين في ميدانهم المختار فلما تم بناء السفن اقلعوا وتقدموا لملاقاة العدو وكان في اول الامر ان وقعت مقدمة بوارج الرومانيين وهي سبع عشرة بارجة في ايادي القرطاجنيين فايقن هولاء الغلبة وقدموا على بقية البوارج اما الرومانيون فكانوا قد صنعوا لكل بارجة جائزًا طولهُ ٣٦ قدمًا وعرضهُ اربعة اقدام وناطوهُ بالدَّقل بحلقة من حديد عند اسفلهِ وبحبل وبكرة من اعلاهُ ورزُّوا في طرف الجائز الاعلى مسمارًا كبيرًا فكانوا اذا اقتربت سفن العدو فصارت على اقل من ٣٦ قدمًا ينزلون الجوائز فترزُّ مساميرها في ظهور تلك السفن فتكون جسورًا اليها فيعبر الرومانيون ويقاتلون الاعداء في سفنهم فدهش القرطاجنيون من ذلك ولما لم يقدروا على مقاتلة الرومانيين كذلك انكسروا واخذ الرومانيون ٣١ بارجة وغرقوا ١٤ بارجة وهرب ما بقي منها ولم يخسر الرومانيون سفينة وكان قائدهم في هذه الوقعة رجل يسمى دويليوس فاكرموهُ غاية الاكرام وابتهجوا احسن الابتهاج لانهم قهروا القرطاجنيين مع انهم كانوا قد ادعوا الرئاسة والافضلية وافتخروا بالعزة والمنعة

بناء رومية البوارج

نجاح الرومانيين بالحرب البحرية

حوادث شتى

٣. ولم يحدث في تلك الحرب ما يستحق الاعتبار مدة بضع سنين غير ان نصرات الرومانيين برًّا وبحرًا حملتهم على الافتخار بقوتهم حتى بعثوا جانبًا من عساكرهم الى جزيرتي سردينيا وكُرْسِكا وجانبًا الى سيسيليا سنة ٢٥٩ ق.م. فلم ينجحوا كثيرًا وقاسى جيش سيسيليا

قتالاً شديدًا وكاد يهلك لكنهُ نجا بشجاعة ثلاث مئة رجل ضاهوا ابونداس وقومهُ في حرب ثرموبلي في البأس والثبات وفي سنة ٢٥٦ ق.م. جهز الرومانيون الى الحرب بوارج كثيرة مولفة من ٣٣٠ بارجة وعزموا على مهاجمة قرطاجنة نفسها اما القرطاجنيون فجهزوا ٣٥٠ بارجة لمقاتلتهم ولما التقوا بهم قرب أغرجنتم هزمهم الرومانيون كالمرة الاولى واغرقوا ثلاثين سفينة وغنموا اربع وستين وغرق اربع وعشرون من سفن الرومانيين ثم وجه القنصل رغلس الى شطوط افريقية من تتبع ما بقي من بوارج العدو ولكنهُ لم يدركهُ ثم نزل في مكان يسمى كْلوبيا وسار من هناك الى قرطاجنة وهزم الذين قاوموهُ في اثناء الطريق ونهب وغزا بلا مانع واستاق الغنائم والاسرى واعتصم اهل قرطاجنة بمدينتهم ولم يعودوا الى مقاتلة رغلس فاخذ يتجرف ويستصغر العدو واطلق جانبًا من عسكرهِ ليعود الى رومية ثم نازل قرطاجنة وضايقها حتى طلبت الصلح لكنهُ ثقل عليها الشروط فرفضتها لكنها كانت مشرفة على الهلاك وحينئذٍ اتاها رجل ماهر من سبرطا يسمى زَنْثِپُس شجعها وحثها على مقاومة الرومانيين اشد مقاومة حتى فوضوا اليهِ مقاليد الامور الحربية فهذَّب العساكر ومرَّنهم وكان حاذقًا واحسن التدبير والتهذيب فلما قاد جنود قرطاجنة الى القتال هزم الرومانيين وكاد يفنيهم فانهُ قتل منهم ثلاثين الفًا واسر ٥٠٠ نفر منهم القنصل ولم يفلت غير الذين نجوا فارّين الى كلوبيا ومن ثم الى السفن غير ان السفن انكسرت اذ هاج البحر شديدًا اثناء الرجوع وغرق اكثرها ومن فيها وذلك بعد ان كانت قد غلبت بوارج العدو وكان ذلك سنة ٢٥٥ ق.م.

الحرب البحرية سنة ٢٥٦ ق.م

هجوم رغلس على افريقية

هزيمة الرومانيين سنة ٢٥٥ ق.م

٤. ولما علم القرطاجنيون بما كان تشددوا بعد الذل وجهزوا الى سيسيليا جيشًا كثيفًا في البوارج معهُ مئة واربعون فيلاً وحاولوا عند اغرجنتم وافتتحوها ولما سمع الرومانيون بذلك اعدوا مئتين وعشرين سفينة وجهزوا فيها عسكرًا قويًا حلَّ في سيسيليا وغزا ونهب واتخذ مدينة پنورْمُس مركزًا لانها كانت حصينة واما القرطاجنيون فكان في مقدمتهم قائد ماهر اسمهُ هسدروبال ضايق الرومانيين حتى لم يجسروا على مواجهتهِ في حومة القتال واعتصموا بالحصون فتشدد وهاجم پنورمس وهزم الرومانيين في سوادِ المدينة لان الافيال لحقتهم فلجأُوا باستحكاماتهم ولما تقدمت عليهم هناك رموها بالنبال وغيرها فخافت وادبرت واوقعت باصحابها فتكدروا وانهزموا وخرج الرومانيون وقاتلوهم قتالاً شديدًا وكان من جملة ما غنمهُ الرومانيون اكثر من مئة فيل اخذوها الى رومية واحتفلوا بها

معركة پنورمس سنة ٢٥١ ق.م

احسن احتمال ولما اعتاد الناس رؤيتها قتلوها ولم يعد الرومانيون ينفرون منها في القتال وكان ذلك سنة ٢٥١ ق.م . وغزا الرومانيون كثيرًا في سيسيليا حتى لم يبقَ لاهل قرطاجنة فيها غير مدينتين منيعتين وهما لِلبيوم ودريبَنم على الشطوط الغربية فتكدروا جدًّا وكلوا من الحرب فطلبوا الصلح وبعثوا وفدًا الى رومية بغية مبادلة الاسرى ورغلس بغية انهُ يقنع المشيخة لانهم حلفوهُ اليمين على الرجوع ان لم تتم . قيل انهُ قام في المشيخة وحرضهم على خلاف ما ابتغوا قائلاً ان المبادلة تنفع القرطاجنيين اكثر مما تنفع الرومانيين فتوسل الى اخوتهِ ان لايراعوهُ البتة لانهُ راضٍ بالرجوع الى سجنهِ وان تيقن الموت صبرًا وحثهم ان يدبروا الحرب حتى يخرجوا العدو من كل سيسيليا فاقتنعوا ورجع رغلس وقيل ان اهل قرطاجنة قتلوهُ بعذاب اليم غيران قصتهُ لا يركن اليها كثيرًا

مبادلة الاسرى وامر رغلس

٥ . ثم عمد الرومانيون الى محاصرة لِلبيوم سنة ٢٤٩ ق.م. فنازلوها برًّا وارادوا سد الميناء عليها لكي يهلكوها جوعًا غير ان سفن قرطاجنة دخلت اليها على رغمهم وقدمت مؤونة للعسكر فعلم الرومانيون انهم لايفتحونها ما لم يستولوا على البحر وكانوا قد تركوا المساعي البحرية للمصائب العظيمة التي قاسوها بحرًا ولكنهم جهزوا حينئذٍ بوارج اخرالى تلك الاطراف فقاتلت بوارج القرطاجنيين عند دريبَنم فانهزمت وكان بعد ذلك سفن كثيرة للرومانيين قادمة الى نواحي لِلبيوم حاملة مؤونة لجيشهم وفي مقدمتها بوارج فقدم عليها العدو فالتجأت الى البر وكان المكان خطيرًا واتفق انهُ ادركها هناك نوءٌ عظيم فتكسر اكثرها فحزنت المشيخة وصممت على انها تترك كل مشروع بحرًا . وكان في ذلك الوقت قواد مجربون لجيوش قرطاجنة منهم هِمِلْكو فهذا دفع عن لِلبيوم فلم يقدر الرومانيون على فتحها ومنهم هنبال وهو الذي نجدها ومنهم أدهرْبال وهو الذي ظفر ببوارج رومية عند دريبَنم واعظمهم همِلقار برقه (ولعل هذه الكلمة مشتقة من البرق) وترأس على الجيش في نحو سنة ٢٤٧ ق.م. واتخذ محلاً مشرفًا على محل الرومانيين وهم يحاصرون لِلبيوم وضايقهم وبعث سفنهُ تنهب شطوط ايطاليا فاغتاظت رومية من ذلك وارادت بوارج اخر تدفع العدو ولكنها لم تكن قادرة على انشائها لانها كانت قد كلت ونفد مالها فتبرَّع بعض اصحاب الغنى والمروءة بمال المدينة فانشأت مئتي بارجة وجهزتها للحرب ولما وقع القتال كانت الكرَّة على القرطاجنيين وتسلط الرومانيون على البحر ومنعوا وصول الزاد الى لِلبيوم ودريبَنم واحدقوا بهما برًّا فيئس القرطاجنيون وطلبوا الصلح فصالحهم الرومانيون

حصار لِلبيوم سنة ٢٤٩ ق.م

قواد القرطاجنيين

هزيمة القرطاجنيين بحرًا

شروط الصلح — على الشروط الآتي ذكرها وهي انهم يخلون سيسيليا وما يليها من الجزائر الصغيرة ويعطون رومية غرامة باهظة ويعترفون باستقلال مملكة هيرو ولا يحاربونهُ ولا يحاربون خلفاءهُ

نهاية الحرب سنة ٢٤١ ق.م — وعقد هذا الصلح سنة ٢٤١ ق . م . وهكذا انتهت الحرب الاولى بين رومية وقرطاجنة وإتلف في تلك الحرب خمس مئة بارجة لقرطاجنة وسبع مئة لرومية وهلك خلق كثير من الفريقين وبذل كلٌّ من الاموال ما لا يحصرهُ العد . وعظم شان رومية وذاع صيتها لانها بلغت المقام الاول في العالم بحرًا وبرًّا ومهدت الطريق للاستيلاء على كل المسكونة

فتنة عساكر قرطاجنة — ٦. وحدث بعد نهاية هذه الحرب ان قرطاجنة اشرفت على الهلاك بسبب فتنة وقعت بين عساكرها المستأجرين لانها لم تقدم لهم اطماعهم واستمرت نحو ثلاث سنين اذ لم تقدر على اخمادها الاَّ بالجهد العظيم فلما رأت رومية انها كما بذلك اغارت على سردينيا

استيلاء رومية على سردينيا وكورسيكا — واستولت عليها فاغتاظت قرطاجنة لانها لم تقدر على ردعها ثم غزت رومية كورسكا ايضًا وضمتها الى املاكها وجعلت الجزيرتين ولاية واحدة ثم استولت على سيسيليا وجعلتها ولاية اخرى وهما اول ولايات لرومية وكانت ترتئس على كل منهما واليًا يسمى بريتورًا او برو قنصل اي نائب قنصل وكان مطلق التصرف في جميع احكامهِ الاَّ في امر الرومانيين الساكنين في الولاية ولما علمت قرطاجنة انها لا تقدر على مقاومة رومية لضعفها تركت الحرب مدةً غير ان قائدها الشهير هملقار برقه المذكور عزم على احياء قوتها لتعود الى محاربة رومية فسار الى اسبانيا واخضعها ورتب امورها واحكم سياستها كما سياتي بيانهُ

اغلاق ابواب يانس — ٧. اما رومية فاغلقت ابواب هيكل يانس عند نهاية حرب قرطاجنة ظانة ان حروبها قد انتهت ولكن خاب املها اذ لم تسترح سوى مدة وجيزة ثم عادت الى اشد حروبها في تلك المدة مع الغاليين. قد تقدم الكلام على حروب الغاليين مع رومية وانهم هزموا شرَّ هزيمة

حروب الغاليين سنة ٢٢٦—٢٢٢ ق.م — فكفوا عن غزو املاكها وذلك لانشقاق شديد وقع بين قبائلهم فامتنعوا عن مهاجمتها مدة حربها مع قرطاجنة ثم عادوا فطمعوا في املاكها ايضًا فاستنصروا اخوتهم الساكنين وراء الالب فلبوا طلبهم واجتمعوا معًا وساروا الى اتروريا وكانوا نحو خمسين الف راجل وعشرين الف فارس فجهزت رومية جيوشها وارسلتهم الى هناك فقابلتهم فرقة رومانية فانهزمت ولما راى الغاليون فرقة اخرى قادمة عليهم تقهقروا بعد ان غنموا غنيمة وافرة وساروا بقرب البحر الغربي واتفق ان جيش الرومانيين الذي كان في غزوة سردينيا كان عائدًا في ذلك الوقت الى رومية ونزل على الشاطىء امام الغاليين الذين امسوا والاعداء تحيط بهم

من كل جهة واذ لم يعد لهم سبيل الى الفرار قاتلوا اشد مقاتلة ولكنهم انكسروا وهلك اكثرهم وقيل اربعون الفًا وأُسر من بقي وكان هذا سنة ٢٢٥ ق.م. ثم غارت رومية على املاكهم وارسلت جنودها الى وادي البو وما زالت تغزو وتنهب حتى اخضعتهم واستولت اخيرًا على بلادهم المتدة من الابنين الى الالب وهي المساة غاليا القربي وكان هذا سنة ٢٢٢ ق.م.

٨. وحدث في ذلك الزمان ان رومية التفتت الى الجوانب الشرقية من بحر ادريا فرأت ان لصوص البحر قد كثروا وعثوا في تلك النواحي وتعدوا على سفن الرومانيين واليونانيين وكانوا من اهل الليركون فلما عجز اليونان عن تأديبهم طلبوا الى الرومانيين ان يرسلوا معتمدين يامرون الاليريين ان يكفوا عن شرهم فابوا وقتلوا المعتمدين ولما سمع الرومانيون غضبوا وجهزوا مئتي بارجة الى بحر ادريا سنة ٢٢٩ ق.م. فهزمت اللصوص فاخلوا ذلك البحر واقام الرومانيون ديمتريوس الفاريوسي ملكًا على بعض الجزائر وشطوط دالماتيا وجعلوها تحت حمايتهم فحصل لهم اكرام عظيم وصار يمكنهم المداخلة في امور اليونان كما سياتي اما ديمتريوس فانف من حماية الرومانيين وابتغى الاستقلال فحمل لصوص الاليريين على معاطاة مهنتهم السابقة وعاهد انتغونوس دوسن ملك مكدونية فلما علم الرومانيون بذلك ارسلوا جيشًا وخربوا قصبتهُ وطردوهُ من المملكة سنة ٢١٩ ق.م. وفي هذه المدة انتشبت الحرب الثانية مع قرطاجنة

حرب لصوص بحر ادريا سنة ٢٢٩ ق.م

امر ديمتريوس الفاريوسي

٩. قد تقدم ان هملقار الشهير سار الى اسبانيا واخضعها وكانت غايتهُ العظمى اثارة الحرب على رومية لان اسبانيا كانت كثيرة المعادن ورجالها اصحاب باس وشدة غير انهم برابرة فحملهم هملقار على طاعة قرطاجنة لكي يشن الغارة على رومية بواسطتهم وتقدم كثيرًا واخضع القبائل ورتب امورهم السياسية ولكنهُ مات بعد تسع سنين في سنة ٢٢٨ ق.م. وخلفهُ صهرهُ المسمى هسدروبال فحذا حذوهُ مدة نحو ثماني سنين واضاف مقاطعات اخرى الى املاك قرطاجنة في اسبانيا واحسن السياسة وبنى المدن ووسع نطاق التجارة فارتقت البلاد وفلحت امورها ثم هلك هسدروبال سنة ٢٢١ ق.م. وخلفهُ هنّبال الشهير ابن هملقار برقه وكان شديد الكره للرومانيين لان اباهُ كان قد احضرهُ الى مذبح الآلهة وهو ابن تسع سنين وحلّفهُ على البغضة الدائمة لرومية وانهُ لا ينفك يحاربها حتى يرد كل الشر الذي صنعتهُ لقرطاجنة سابقًا فاصرَّ هنبال على ذلك الى اخر دقيقة من حياتهِ ولما استقام لهُ الامر

مساعي هملقار برقه في اسبانيا

هسدروبال

تهيأ حالاً لمهاجمة املاك رومية وعزم على المسير من اسبانيا الى ايطاليا برًّا قاطعًا اعلى جبال اوربا ومسافة شاسعة امرٌ لم يسبق له مثال

افتتاح ساغنتم

١٠. وكان على شط اسبانيا الشرقي مدينة يونانية معتبرة تسمى ساغُنْتُم وكانت حليفة لرومية فهاجمها هنبال وافتتحها غير مبالٍ بتهديدات رومية التي لم تستطع حمايتها ولكنها ارسلت وفدًا الى قرطاجنة تطلب ردها وعقوبة هنبال فابت قرطاجنة اذ كانت راضية بمقاصد هنبال فكان ذلك سببًا لاشهار رومية الحرب عليها سنة ٢١٩ ق.م. وهي الحرب القرطاجنية الثانية

الحرب القرطاجنية الثانية سنة ٢١٩ ق.م

وبعدما فرغ هنبال من حرب ساغنتم استعد لانجاز مقاصدهِ العظيمة في ربيع سنة ٢١٨ ق.م. فحشد جنودهُ وكانت تسعين الف راجل واثني عشر الف فارس وسبعة وثلثين فيلاً وسار بها شمالاً وقطع نهر ابيرُس فقاتلتهُ قبائل تلك النواحي قتالاً شديدًا فهلك نحو ربع عسكرهِ اثناء الطريق من ذلك النهر الى جبال البرن فعاقهُ هذا الامر اربعة اشهر ولكنهُ تغلب على مقاوميهِ ثم علا الجبال واجتاز بالجوانب الجنوبية من غاليا ووصل الى نهر الرون فوجد جمهورًا عظيمًا قد اجتمع من تلك الاطراف على الضفة الشرقية من النهر ليمنع عبورهُ . اما هنبال فتمكن منهُ على رغمهم ورغم الرومانيين الذين اتوا ليصدوهُ من المرور في غاليا

١١. وكانت استعدادات الرومانيين للحرب ضعيفة لانها كانت لهم في جهات اخرى كما تقدم فلما حاصر هنبال ساغنتم لم يجدوها فافتتحها بسهولة واذ تحققوا مقاصدهُ ارسلوا احد القنصلين بجيشٍ الى سيسيليا والآخر الذي كان اسمهُ پبلْيوس شيبيو الى اسبانيا فاقلع بالسفن واتى بجيشهِ الى مصب الرون ونزل الى البر وبعث طليعة من جنودهِ لتحافظ على شطوط النهر وتكشف عن جنود هنبال فحدث انها وصلت الى نواحي المعبر فهاجمتها طليعة فرسان هنبال التي كانت تعبر النهر من هناك واشتد القتال بينهما وكان كلٌّ يدعي الغلبة غير ان الرومانيين رجعوا الى الوراء اذ لم يكن لهم معاونون فلما علم شيبيو بما جرى ايقن بعدم اقتدارهِ على منع هنبال من المرور فترك جنودهُ في اسبانيا وعاد الى ايطاليا عازمًا ان يقاتلهُ متى قطع جبال الالب . اما هنبال ومن معهُ فكابدوا من المشقات ما لا يوصف ومن الاخطار ما لا يحصى لان مسالك الالب كانت شاقة جدًّا والبرابرة يضايقونهُ والثلج يعيقهُ والبرد المؤلم يفتك برجالهِ وافيالهِ حتى لم يبقَ معهُ عند وصولهِ الى وادي البو غير عشرين الف راجل وستة الاف فارس وسبعة افيال فتامل

مسير شيبيو الى اسبانيا

مرور هنبال بالالب

ولما انتهى الى وادي البو ترحب به الغاليون الذين في تلك الاطراف لبغضهم الرومانيين فاقام هنبال مدة ليريح عساكره المضنوكة ويستمد للاقاة جنود رومية واما شيبيو الذي عاد من اسبانيا كما مرّ فانهُ سار بجيش لرومية مولف من عشرين الف مقاتل فقط غير مبالٍ بقلة عددهم لظنهِ ان عساكر هنبال غير مهذبين فلا يثبتون امامهُ ولكنهُ اخطأ ظنهُ ورأى جهالتهُ اذ هزمهُ هنبال شرّ هزيمة وجُرح هو ايضًا وكانت هذه الواقعة عند نهر تيشينو فهرب من نجا الى مدينة پلاسنتيا وهي كولونية لرومية وكانت حصينة فتركها هنبال وغزا البلاد واستولى عليها واخضع اهلها واضاف كثيرين منهم الى جيشهِ فتقوى

هزيمة الرومانيين عند تيشينو

هزيمة الرومانيين الثانية

١٣. ثم اتى بعد ذلك القنصل الثاني سمپرونيوس وسار في اربعين الفًا لمقاتلة هنبال واشتهى سرعة القتال لابتغائهِ النصر العاجل فلم يحسن التدبير فلما اقتتلوا انهزم الرومانيون كالسابق وارتكنوا الى الفرار فاستولى هنبال على ايطاليا الشمالية وشتى هناك تلك السنة وقاسى جيشهُ بردًا شاقًّا فهلك منهُ خلق كثير ولم يبقَ من افيالهِ غير واحد ولكن الغاليين انتدبوا اليهِ افواجًا لرغبتهم في غزو رومية وفي ربيع سنة ٢١٧ ق ٠ م ٠ تهيأ للهجوم على شبه الجزيرة فعلا جبال الأبنين ودخل ايترورِيا بدون معارضة لانهُ سار بطريقة غير منتظرة وكان فلامينيوس القنصل الذي اتى لملاقاتهِ قد خالفهُ في الطريق فلما سمع بمرورهِ انقلب راجعًا ولحق بهِ عند بحيرة في ايترورِيا تسمى ثراسيمنس

قطع هنبال الابنين سنة ٢١٧ ق ٠ م

معركة ثراسيمنس سنة ٢١٧ ق ٠ م

ولما علم هنبال بمجيئهِ فلامينيوس صنع لهُ كمينًا وكان يوم غيم وضباب فوقع الرومانيون في الكمين فهجم هنبال ومن معهُ عليهم وكانت مقتلة عظيمة جدًّا لم ينجُ الّا من لهُ في الحياة بقية وكانت خسارة الرومانيين بين قتيل واسير نحو ثلثين الف مقاتل ولما بلغ رومية هذا الخبر وقع عليها رعب شديد لان هذه المرة الثالثة التي بها هزم هنبال جنودها ولم يبقَ شيء الان يحول بينهُ وبين رومية فباتت تنتظر حضورهُ السريع ولكن اذ تحقق عدم اقتدارهِ على افتتاحها عنوةً لشدة حصانتها وافتقارهِ الى المنجنيقات تركها وسار الى جنوبي ايطاليا قاصدًا تحريك السمنيين وسائر القبائل عليها واخراجهم جميعًا عن طاعتها اذ هذا هو السبيل الوحيد لاخضاعها غير ان املهُ خاب اذ عينت رومية كوِنتُس فابيوس دكتاتورًا وكان حاذقًا بصيرًا فحشد جيشًا اخر وسار وراء هنبال بدون حرب لانهُ علم ان الرومانيين غير اكفاء لملاقاتهِ في الميدان فصرف عنايتهُ بالمحافظة على ما بقي لرومية وتكدير العدو في مسيرهِ والقاء الموانع في طريقهِ فلم ينجح هنبال مدة رئاسة فابيوس كلها

١٢. اما الرومانيون فضجروا من تقاعديهِ عن القتال وعزموا على طرد العدو من البلاد في اقرب وقت فجهزوا في السنة التالية اي سنة ٢١٦ ق .م. جيشاً عرمرماً يبلغ ثمانين الف مقاتل وارسلوهُ الى ابوليا حيث شتى هنبال وكان في مقدمتهِ القنصلان اميليوس بولس وترنتيوس ڤارو وكان اولها يرغب تجنب القتال وثانيهما عكسهُ فانهُ صمم عليهِ عند اول سنوح الفرصة وكان هنبال مقيماً في سهل كنّي في ابوليا اذ كان في غاية المناسبة لهُ لان فرسانهُ كانوا اكثر من فرسان الرومانيين عدداً واشدّ باساً فكان السهل يناسب غايتهم اما ڤارو فلم يكترث بهذه الاحوال ظاناً ان وفرة عسكرهِ الذي يبلغ ضعفي عسكر هنبال تقريباً تمكنهُ من الفوز والغلبة فهاجمهُ ولم يحسن التدبير في القتال فاحاط بهِ هنبال احاطة السوار بالمعصم واكثر القتل في جنودهِ . قيل ان القتلى من عسكر الرومانيين بلغوا نحو سبعين الفاً واُسر من سلم الا انفاراً قليلين وهلك في هذه المعركة سبعون من اعضاء المشيخة وخلق عظيم من الروساء والاشراف منهم القنصل بولس اما ڤارو فنجا ولم يهلك من الاعداء الا الف رجل فقط

حرب كنّي سنة ٢١٦ ق.م

ولما بلغ رومية هذا الخبر اخذ منها الخوف والدهشة كل مأخذ وتوقع اهلها قدوم العدو وهجومهُ على المدينة لكنهم تربصوا لكي لا تخرج القبائل عن طاعتهم ومع ذلك بان ان اكثر الاطراف الجنوبية انحازت الى هنبال منها كپوا التي هي اعظم مدينة في البلاد بعد رومية فاشتد الحال على رومية وضاق جداً ولا سيما ان اكثر رجالها قد هلكوا في الحروب السابقة وبعضهم كانوا غائبين في اسبانيا وغيرها فلم يعلم الرومانيون من يدفع عن المدينة ومع كل هذا لم يخطر لهم على بال التسليم الى هنبال بل اصرُّوا على الجهاد ولو هلكوا عن اخرهم

تصرف رومية في هذه الاحوال

ولم تبدِ رومية ما يرفع شانها ويكسبها حسن الذكرى اكثر مما ابدتهُ في ذلك الوقت التعيس حين تراكمت عليها المصائب وتداركتها البلايا والنوائب فانها لم تطلب المصالحة بل تشددت وعزمت على محاربتهِ ايضاً فجهزت جيشاً اخر من المتقدمين في العمر والعبيد والمحابيس وكل من استطاع حمل الاسلحة ولم ييأس ڤارو من نجاة وطنهِ فشكرتهُ المشيخة وجعلت تحت قيادتهِ جيشاً اخر غير الذي فقد . ولما اتى هنبال كپوا التي سلمت لهُ قابلهُ الرومانيون ومنعوهُ عن التقدم غير انهم لم يجترئوا ان يقاتلوهُ في الميدان بل سلكوا مسلك فابيوس المذكور فتاخر هنبال من ذلك الوقت ومع انهُ بقي محافظاً على ما كان لهُ مدة

اقامتهِ في ايطاليا سنين عديدة لم يعد ينجح بل تركهُ الحظ وفارقهُ التوفيق

١٤. ومن الامور العجيبة ان رومية كانت تغزو وتحارب قرطاجنة في اسبانيا والجزائر في نفس تلك المدة التي كانت فيها مشرفة على الهلاك من جرى نصرات هنبال في ايطاليا ولم تنفك عن مساعيها البعيدة حتى غلبت عدوها

مساعي الرومانيين في اسبانيا

قد مرَّ ان شيبيو لما علم بمرور هنبال في غاليا سار بجيشهِ الى اسبانيا وذلك لان هنبال كان قد اقام اخاهُ هسدروبال على تلك البلاد واعطاهُ عسكرًا لاخضاعها فيتمكن من مساعدتهِ متى مست الحاجة فعهد شيبيو الى ردعهِ وكان هذا الامر شديد الاهمية لان اسبانيا كانت مخزن هنبال عند عدم امكان قرطاجنة من امدادهِ فسار شيبيو الى هناك سنة ٢١٧ ق.م. واجتمع باخيهِ الذي هو قائد الجيش فاثارا الحرب على القرطاجنيين وقهراهم وطرداهم من الاطراف الشمالية واستردا ساغنتم ولم يزالا يغزوان وينهبان حتى استوليا على اكثر البلاد . وفي سنة ٢١٢ ق.م. اقوى هسدروبال وقهرهما وقتلهما فتاخرت امور رومية في تلك الاطراف مدةً ثم عادت فجهزت بابليوس كورنيليوس شيبيو سنة ٢١٠ . فهزم القرطاجنيين وطردهم من اسبانيا بعد نحو خمس سنين

حرب سرقوسا سنة ٢١٢ ق.م

١٥. وفي تلك المدة اثارت رومية الحرب على سرقوسا وذلك ان هيرو ملكها المار ذكرهُ الذي كان امينًا لرومية مات سنة ٢١٦ ق.م. ولم يقم بعدهُ من يضبط احوالها فافسدتها قرطاجنة واخرجتها عن محالفة رومية وهيجت ايضًا الفتنة في سردينيا عليها وفي تلك المدة ايضًا حالف فيلبس ملك مكدونية هنبال (راجع ك٢ ، ق٢ . ف١ . رقم ٦) فضاق الامر برومية من كل ناحية ولكنها لم تنفك عن محاربة جميع اعدائها فاخمدت فتنة سردينيا وارسلت القنصل مَرْسَلوس في جيش لافتتاح سراقوسا سنة ٢١٢ ق.م. وكانت غاية في الحصانة فشددوا عليها الحصار وكان فيها أرخميديس الشهير صاحب الرياضيات والعلوم الطبيعية فلما احدق بها الرومانيون اخترع منجنيقات لدفع هجماتهم واستنبط وسائط جديدة لمحاربتهم قيل انهُ نصب مرآة عظيمة مقعرة بحيث جمع بها اشعة الشمس على بوارج الرومانيين فاحرقتها . اما الرومانيون فلم ينفكوا عنها حتى بلغوا منها الارب وافتتحوها عنوةً وقيل ان ارخميديس هلك اثناء الفتح وبهذه النصرة استولى الرومانيون على كل سيسيليا

١٦. اما الحرب في ايطاليا فجرت بخلاف انتظار هنبال لان اكثر القبائل الشمالية

حصار الرومانيين كبوا

بقيت على طاعة رومية التي اخذت تسترد المدن التي خرجت عن طاعتها بعد واقعة كني كما تقدم وعزمت على تاديب كبوا ايضاً وكان هنبال قد شتى فيها قبل ان ذلك المشتا كان سبباً لهلاكهِ لان عساكرهُ فسدوا واسترخوا من لذات كبوا وتنعاتها فاستضعفوا . اما الرومانيون فتشددوا بعد الذل ولما سار عنها هنبال الى الاطراف الجنوبية شرعوا بحصارها فاستصرخت هنبال فاتى وطرد الرومانيين عنها ولكنهم عادوا الى حصارها حالما غاب هنبال فاحدقوا بها من كل جانب وحفروا حولها خندقاً وانشأوا الاستحكامات وتحصنوا فيها فلما عاد هنبال وهاجمهم ووجدهم متحصنين فيها لم يتمكن منهم ولم يقدر على رفع الحصار

تخويف هنبال رومية

فعمد الى حيلة لعلهُ يبلغ مرامهُ بها وهي انهُ زحف على رومية كانهُ يريد افتتاحها فارتعد الرومانيون اولاً وارسلوا بعض عسكرهم من كبوا بعد ان ابقوا الجانب الاعظم في الاستحكامات لكي لا ينفكوا عن حصارها واما هنبال فاذ كان غير قادر على حصار رومية وتحقق ان حيلتهُ لم تفدهُ شيئاً نهب الحقول في ظواهر رومية وسلب ما خف حملهُ وغلا ثمنهُ وذهب

افتتاح كبوا سنة ٢١١ ق.م

فانفرجت رومية وايقنت بالنصر وجد الرومانيون بحصار كبوا وافتتحوها سنة ٢١١ ق.م. وبالغوا في عقوبتها لكي تكون عبرة لسائر العصاة وللذين زينت لهم الخيانة فانهم ضربوا اعناق سبعين من اعضاء مشيختها واعتقلوا ثلاث مئة من اشرافها وباعوا عامة اهلها عبيداً وضموا املاكها الى املاك رومية

تقدم رومية في الجهات

١٧. وافلحت رومية في سائر الجهات ايضاً لان شبيو لم يزل متقدماً في اسبانيا وعقد الايتوليون في بلاد اليونان عهداً معها وكذا بعض ملوك افريقية الذين كانوا يريدون الحرب مع قرطاجنة وتمكنت من طرد القرطاجنيين من سيسيليا وفي سنة ٢٠٩ ق.م. استردت مدينة تارنتم التي كان هنبال قد افتتحها سابقاً وقاصتها قصاصاً شديداً اذ باعت ثلثين الفاً من اهلها عبيداً . اما هنبال فرأى ان امورهُ متاخرة ولا رجاء لهُ ببلوغ غايتهِ ما لم ياتهِ المدد من قرطاجنة او من اخيهِ في اسبانيا . اما قرطاجنة فلم تمدّهُ اما لانها كانت حاقدة عليهِ اذ لم يعتبر اوامرها او لانها كانت مشتغلة في الدفع عن نفسها

مسير هسدروبال من اسبانيا سنة ٢٠٧ ق.م

واما هسدروبال فبذل جهدهُ في معونة اخيهِ ولكنهُ تضايق جداً من شبيو المذكور الذي افتتح قرطاجنة الجديدة مركزهُ الاول فلما حشد هسدروبال جيشاً للمسير الى ايطاليا لنجدة اخيهِ هاجمهُ شبيو وقتل جانباً من عسكرهِ ومع ذلك لم يتمكن من منعهِ عن المسير فسار الى ايطاليا مقتفياً اثر اخيهِ وكان ذلك سنة ٢٠٧ ق.م. فجمع الرومانيون جنودهم وبعثوا

بعضها الى الجنوب لمراقبة هنبال وبعضها الى الشمال لمقاتلة هسدروبال عند مجيئهِ وكان القنصل الذي ذهب لمراقبة هنبال يسمى نيرو فاقتتل معهُ واستوى بينهما الامر فلم يغلب احدهما الآخر ثم أُخبر نيرو بمجيء هسدروبال فاخذ جانبًا من جنودهِ وسار الى الشمال تاركًا البعض الآخر لمراقبة هنبال الذي لم يعلم بسيرهِ واسرع في السير حتى اتى محلة القنصل الآخر قبل وصول هسدروبال وجرى بينهما قتال شديد جدًّا ودارت رحى الحرب على هسدروبال فقتل وهلك عسكرهُ ثم قطع نيرو راسهُ وعاد مسرعًا الى هنبال الذي لم يعرف بغيابهِ كما اشرنا ولا بامر اخيهِ فكان اول خبر اتاهُ راس اخيهِ الذي امر نيرو برميهِ في محلتهِ فلما رآهُ هنبال انفطرت مرارتهُ وقال هذا رسول هلاكي وزوال امري واقام في ايطاليا بعد ذلك بضعة سنين ولم يقدر الرومانيون على قتالهِ او طردهِ من بلادهم ولم يتحرروا منهُ الاَّ بعد اثارة الحرب على نفس قرطاجنة كما ستعلم

هزيمة هسدروبال وقتلهُ

مساعي شبيو

١٨. وبعد ان حدث ما حدث اخذ بعض الرومانيين يفكرون بمهاجمة افريقية ولاسيما شبيو الذي طرد القرطاجنيين من اسبانيا في سنة ٢٠٦ ق.م. وعبر البحر الى افريقية وزار بعض ملوك البرابرة وحملهم على اقامة الحرب على قرطاجنة غير انهُ التزم العودة الى اسبانيا لاخماد الفتنة التي حدثت في غيابهِ فعاد واخمدها وتمكن من اخضاع جميع قبائلها واحسن السيرة فرضي بهِ العموم وطلبوا اليهِ ان يملك عليهم فابى وبقي اميناً لرومية وعمد الى اخضاع قرطاجنة تمامًا فالتفت اليهِ حينئذٍ اهل الوطن واقاموهُ بالمقام الاول في هذا الجهاد الشديد مع عدوهم المخيف وحسبوهُ اهلاً لهُ اكثر من غيرهِ غير ان بعض الاشراف حسدوهُ لرفعة شأنهِ وارادوا نزعهُ من مقامهِ السامي اما عامة الناس فاركنوا اليهِ ولما رافت الحال في اسبانيا رجع الى رومية فانتخبوهُ قنصلاً سنة ٢٠٥ ق.م. وفوضوا اليهِ امر الهجوم على قرطاجنة وكان عمرهُ حينئذٍ نحو ثلثين سنة فقط وهو اقل من المطلوب لاجل القنصلية فلم يرضَ الاشراف بذلك ولم يقدموا لهُ الوسائط واعاقوهُ عن جمع الجنود ولكن اذ علم الناس بقصدهِ هرعوا اليهِ افواجًا فسار في جيش كبير الى افريقية سنة ٢٠٤ ق.م. فالقى مجيئهُ الرعب في قلوب القرطاجنيين فاستردوا هنبال من ايطاليا بعد ان كان قد قام فيها نحو خمس عشرة سنة ولم ينهزم في كل تلك المدة في حومة القتال مرةً واحدةً وكان ذهابهُ في سنة ٢٠٣ ق.م. وقطع البحر مع نفر يسير الى وطنهِ

ممانعة الاشراف لهُ

مسيرهُ الى افريقية سنة ٢٠٤ ق.م

١٩. اما شبيو فشرع في حصار مدينة اوتكا عند اول وصولهِ وهي مدينة معتبرة

حصار اوتكا وهزيمة القرطاجنيين

واقعة شمالي قرطاجنة على مقربة منها وطال حصارها فاجتمع عساكر قرطاجنة المستأجرون والمحالفون من امم افريقية وقدموا على شبيو فهزمهم شر هزيمة واضرم النار في محلتهم ثم انحاز اليه بعض الامم الذين كانوا على طاعة قرطاجنة سابقًا منهم نوميديا التي كان سيفكس ملكًا عليها وهو الذي عاهد شبيو كما سبق ثم خانهُ فأُسر في هذه الموقعة وكان مع شبيو ملك اخر يسمى مسّنيسا فلما انهزمت جنود قرطاجنة قلقت لذلك وطلبت الصلح فبعثت معتمدين الى رومية فابت لانها قد تحررت من عدوها الذي ضايقها سنين عديدة ولم ترَ بدًّا من اخضاع قرطاجنة بالتمام واذ لم ينل شبيو مرادهُ من اوتكا اذ كانت منيعة افرج عنها وبعد رجوع هنبال الى الوطن بذل جهدهُ في جمع العساكر وتهذيبهم واذ لم يتمكن من جيش وفق مرادهِ اشار على قرطاجنة ان تصالح شبيو فما ارتضى فعزم اذ ذاك على القتال عالمًا

وقعة زاما سنة ٢٠٢ ق.م

ان هزيمة جنود قرطاجنة تفضي بها الى الهلاك فجهز جيشهُ وخرج لملاقاة شبيو واقتتلا قتالًا شديدًا قرب مدينة تسمى زاما فدارت فيها الدائرة على القرطاجنيين فانهزموا ونجا هنبال في نفر يسير وكانت هذه الواقعة العظيمة سنة ٢٠٢ ق.م. ويظن انها حدثت في ١٩ ات ا من تلك السنة

شروط الصلح سنة ٢٠١ ق.م

٢٠. ولم يبقَ لقرطاجنة بعد هذه المعركة العظيمة سبيل الّا التسليم فخضعت تحت شروط ثقيلة حملتها اياها رومية. الاول ان تسلم كل املاكها التي هي خارج افريقية. الثاني ان تتعهد بان لا تثير حربًا البتة لا خارج افريقية ولا داخلها ما لم تسمح رومية بذلك. الثالث ان تدفع غرامة قدرها مئتي وزنة (وذلك ما يساوي ٤٨٨٠٠ ليرا انكليزية) سنويًا الى خمسين سنة. الرابع ان تسلم كل بوارجها غير عشرة وجميع افيالها. الخامس ان ترد لمسنسا المذكور كل ما كان له او لاسلافهِ من الاملاك. وهكذا انتهت الحرب القرطاجنية الثانية بعد ان دامت نحو سبع عشرة سنة وهلك فيها خلق كثير قيل ان هنبال اهلك من الرومانيين في

نتائج هذه الحرب

حروبهِ في ايطاليا نحو ثلاث مئة الف ما عدا الالوف الذين هلكوا في اسبانيا وافريقية وغيرها من الحزب والخراب الذي تسبب للفريقين وامتدت سلطة رومية وتقوت شوكتها اذ استولت على اسبانيا وسائر الجزائر في نواحي بحر الروم الغربية فاصبحت المملكة الاولى في المسكونة في ذلك العصر وامست قرطاجنة خاضعة لها تمامًا بعد ان كانت نظيرتها وانتهت هذه الحرب المشهورة في سنة ٢٠١ ق.م. ولما عاد شبيو من افريقية منصورًا مؤيدًا اكرمهُ المجلس غاية الاكرام لانهُ قهر هنبال القائد الشهير الذي لم يقم مثلهُ في ذلك الحين

الاسكندر الكبير وكان اعظم من شيبو في الامور الحربية ولو ساعدتهُ الاحوال لقهرهُ بدون شك ولكن جيش شيبو بوقعة زاما كان افضل من جيشهِ كثيرًا ولُقب شيبو بعد هذه النصرة الشهيرة **بافريقانوس** اي الافريقي وهو اول من اتخذ لقبًا من بلاد افتتحها فصار ذلك فيما بعد عادة

٣١. قد ذكرنا فيما سلف (راجع ك٣. ق٣. ف١. رقم ٦) ان فيلبس ملك مكدونية أعلن الحرب على رومية لما سمع بغزوات هنبال وعاهدهُ بعد معركة كني وشرع يشن الغارات على املاك رومية التي على شطوط بحر ادريا فارسلت حينئذٍ من تيسر من الجنود وعاهدت الايتوليين وحركتهم على فيلبس فمنعتهُ عن امداد هنبال في ايطاليا غير انها لم تستطع ان تشدّد عليهِ لضيقاتها وقتئذٍ فضجر فيلبس من الحرب وعقد معها صلحًا سنة ٢٠٥ ق.م. ولكنهُ لم يبقَ على صداقتها لانهُ عندما رأى تاخر هنبال وعلم برجوعهِ الى افريقية امدَّهُ باربعة الاف عسكريٍّ في معركة زاما لكي لا يتمكن الرومانيون من قهرهِ. فلما فرغت رومية من حرب قرطاجنة عزمت على تاديبهِ فاثارت عليهِ الحرب المكدونية الثانية سنة ٢٠٠ ق.م. ودامت نحو ثلاث سنين فانهزم فيها فيلبس واخلى بلاد اليونان (راجع ك٣. ق٢. ف١ رقم ٧) وكان قائد رومية في هذه الحرب فلامينينُس الشهير فلما فرغ من الحرب رتب امور اليونان واطلق لهم الحرية السياسية وجعلهم تحت حماية رومية وكان كريم الاخلاق لطيفًا عاقلاً فاحترم عوائدهم وآدابهم القديمة واراد حفظهم من ظلم المكدونيين ولا يخفى ما في هذه السياسة من المنفعة لرومية لانها كانت قد تعبت في حروبها المتواصلة وارتبكت بسياسة املاكها المتسعة التي كانت قد استولت عليها اذ كانت غير مرتبة فلم تكن مستعدة ساعتئذٍ لاضافة بلاد اليونان الى ممالكها فتمكنت باطلاق حريتهم من طاعتهم لها ومساعدتهم اياها اذا انتشبت الحرب بينها وبين مكدونية ولم يكن عليها ادنى خطر من هذه السياسة لان اليونان كانوا غير متحدين ولم تنقطع المشاجرات من بينهم فاضطروا الى حماية رومية فكان استقلالهم بالاسم فقط

الحرب المكدونية الاولى سنة ٢١٤ — ٢٠٥ ق.م

الحرب الثانية سنة ٢٠٠ — ١٩٧ ق.م

اطلاق الحرية لليونان

٣٢. ثم حدثت الحرب مع انطيوخس الثالث ملك سورية الملقب بالكبير لانهُ طمع في املاك مصر واملاك يومينس ملك برغامُس حليفي رومية فنهتهُ عن ذلك فلم يرعوِ لانهُ كان متكبرًا عاتيًا متجبرًا وظن انهُ كفوءٌ للرومانيين فاستحكمت الوحشة بين الفريقين واشتعلت نيران الحرب سنة ١٩١ ق.م. كما مرَّ في اخبار انطيوخس (راجع ك٣

حرب انطيوخس

ق٣. ف٣ رقم ١٣ الى ١٦) غير اننا نقول بالاختصار ان انطيوخس لم يكتفِ بغزواتهِ في اسيا بل طمع في اطراف اوربا ايضًا فعبر البحر واتى الى بلاد اليونان فلاقاهُ الرومانيون

وقعة ثرموبلي سنة ١٩١ ق.م

في ثرموبلي وهزموهُ فنجا وهرب الى اسيا . فتبعهُ الرومانيون بعد ان قاصوا الايتوليين لخيانتهم ومساعدتهم اياهُ وعبروا الى اسيا من بوغاز الدردنيل وكان في مقدمتهم شبيو افريقانس واخوهُ لوشيوس ولما علم انطيوخس ان لا سبيل لهُ الى قتالهم طلب منهم الصلح فاشترطوا عليهِ شروطًا ثقيلة لانهم كانوا مغتاظين منهُ اذ كان قد اجار هنبال عدوهم الالدّ عندما التجأ اليهِ من قرطاجنة ورأسهُ على بوارجهِ فطلبوا ان يسلمهُ اليهم ويخلي كل ما كان لهُ في اسيا الصغرى شمالي جبل طورس فابى ذلك وعاد الى الحرب فاقتتل الفريقان عند مدينة

معركة مغنيسيا سنة ١٩٠ ق.م

مغنيسيا وانهزم انطيوخس شر هزيمة . قيل انهُ كان في ثمانين الف مقاتل هلك منهم خمسون الفًا بينما كان الرومانيون نحو ثلاثين الفًا ولم يهلك منهم سوى نفر يسير فخضع انطيوخس لمطاليب الرومانيين واخلى اسيا الصغرى وسلم افيالهُ وبوارجهُ ومركباتهِ ودفع غرامة باهظة وكانت هذه الامور سنة ١٩٠ ق.م. ولم يجعل الرومانيون اسيا الصغرى ولاية

معاملة الرومانيين يومينيس ورودس وموت هنبال

تابعة لمملكتهم حينئذٍ بل سلموها ليومينيس حليفهم (راجع ك٣.ق٢.ف٥ رقم ٤) واعطوا الجوانب الجنوبية لرودس التي كانت امينة لهم ايضًا. ولما انهزم انطيوخس ايقن هنبال أنهُ يسلمهُ للرومانيين ان بقي عندهُ فهرب الى بيثينية واستجار ببروسياس الملك فبعث الرومانيون يطلبونهُ والاَّ يشهروا عليهِ الحرب فلما علم هنبال بذلك اخذ سمًّا وقتل نفسهُ لئلاَّ يقع فريسة للرومانيين وهكذا هلك عدو رومية الشهير الذي لم يقم نظيرهُ ولم تامن رومية شرهُ مدة حياتهِ فطاردتهُ وحيدًا شريدًا لا معين لهُ ولا ناصر فكان خوفها الشديد منهُ من اعظم البراهين على عظمتهِ واقتدارهِ وكان هلاكهُ سنة ١٨٣ ق.م. وهي ذات السنة التي مات فيها شبيو قاهرهُ

حرب الغاليين سنة ٢٠١—١٩١ ق.م

٢٣ وكانت رومية في مدة حرب فيلبس وانطيوخس تحارب ايضًا في شمالي ايطاليا وفي اسبانيا وشنت الغارة على الغاليين في السنة التي حدثت فيها معركة زاما لانهم اعانوا هنبال واستمرت الحرب نحو عشر سنين اظهر الغاليون فيها كل بسالة وكانت رحى الحرب تدور طورًا على الرومانيين وتارة على الغاليين الى ان تم النصر لرومية فسحقتهم ودخل وادي البو في سلك طاعتها واخذ الغاليون يتقدمون في التمدن ويحاكون الرومانيين بعد ان كانوا من اشد اعدائهم سنين عديدة ولكن الساكنين منهم في بلاد غاليا الخاصة لم يخضعوا لرومية

الى ايام يوليوس قيصر كما سياتي ان شاء الله تعالى

٣٤. اما اسبانيا فكان سكانها اشداء البأس مولعين بالحرب كما راينا في حروب هنبال اذ كانت اكثر جنوده الذين سار بهم الى ايطاليا منها فاتحدت منهم قبيلتان قويتان تسمى احداها قبيلة الكلتيبريين والاخرى اللوسيتانيين وتحصنوا في بلادهم الجبلية فشق على الرومانيين اخضاعهم وانتشبت الحرب سنة ١٩٧ ق.م. واستمرت نحو عشرين سنة ولم يكف الرومانيون من غزوهم سنة بعد اخرى وكان من اشهر في هذه الحروب مرقس قاتو القائد الشهير قيل انه افتتح اربع مئة حصن واستاق غنائم كثيرة وكان سيء الخلق صارمًا ومنهم غرقُس الذي قيل انه افتتح ثلاث مئة حصن وكان حسن السيرة لين العريكة فسكَّن الهيجان ورتب امر تلك الامم وكان ذلك سنة ١٧٨ ق.م.

حرب رومية في اسبانيا سنة ١٩٧ — ١٧٨ ق.م

٣٥. وفي تلك المدة غزا الرومانيون كورسكا وسردينيا اذ كثرت فيها الفتن فنهبوا وسلبوا وباعوا اهلها عبيدًا فصارت العبيد من ارخص البضائع في رومية حتى ضرب بهم المثل فقيل "ارخص من سرديني" وفي هذه الاثناء حدثت الحرب المكدونية الثالثة فان فيلبس مع انه خضع لرومية وعاونها في حرب انطيوخس لم يكن مخلصًا لها ولكن اذ فهم عدم اقتداره لم يجترئ ان يحرك ساكنًا فارسل ابنه ولي عهده الى رومية وحدث من امره ما حدث كما ذكر في اخباره ثم عند موت فيلبس سنة ١٧٩ ق.م خلفه ابنه برسيوس وكان حاقدًا على الرومانيين فعزم على مقاتلتهم وشرع يجهز العساكر ويعدّ المهمات ويكاتب حلفاءه واعوانه وبقي على ذلك بضع سنين. فشعرت رومية بقصده وكانت منهمكة وقتئذٍ بالحروب في جهات مختلفة فاطلقت له العنان مدة واذ خافت ان يهيج عليها كل بلاد اليونان رأت ان لا بد من اخضاعه فبعثت اليه معتمدين في سنة ١٧٢ ق.م يطلبون اليه مطاليب ثقيلة فابى فاوقدت عليه الحرب التي مرّ ذكرها (راجع ك٣. ق٢. ف١. رقم ٩) وهكذا انقرضت المملكة المكدونية سنة ١٦٨ ق.م. الموافقة ١٥٥ بعد موت اسكندر الكبير اذ انهزم برسيوس تمامًا في معركة بدنه التي ظهرت فيها افضلية عسكر الرومانيين وخفة حركاتهم وترتيب صفوفهم فان الفالنكس لم يثبتوا البتة لما هاجمهم الليجيو اما برسيوس فقادوهُ الى رومية اسيرًا وساقوهُ في موكب النصرة ثم مات بعد سنين قليلة. اما بلادهُ فلم يجعلها الرومانيون ولاية من ملكهم حينئذٍ بل قسموها الى اربعة اقسام ومنعوا اتحادها ومداخلتها بعضها مع بعض وضربوا عليها نصف الجزية التي كان ملوك مكدونية ياخذونها سابقًا وعاملوا

غزوة كورسكا وسردينيا

الحرب المكدونية الثالثة ١٧٢ — ١٦٨ ق.م

معاملة الرومانيين مكدونية

والبركون وابيروس واليونان

البركون كذلك فانهم قسموها الى ثلثة اقسام وعاقبوا ابيروس معاقبة شديدة اذ نهبوها وباعوا مئة وخمسين الفًا من سكانها عبيدًا وسلطوا على من بقي فيها احد الظالمين. وفرقوا اليونان بعضهم عن بعض ما عدا الاتحاد الاخائي فانهم ابقوهُ مدة لانهُ كان امينًا لهم في هذه الحرب ومع انهم تركوا لليونان حريتهم حسب الظاهر لم يعودوا قادرين ان يجروا امرًا مهمًّا بدون اذن رومية لانها جعلت عليهم دُسسًا يكشفون احوالهم ويتداخلون في امورهم فكانوا يامرون وينهون ويتهددون من باشر امرًا بدون اذنهم وهكذا صيروهم تحت مطلق سلطتهم وان كان اسم الاستقلال ظاهرًا فوقهم

معاملة رومية رودس وغيرها

٣٦. ولما غلبت رومية مكدونية وتسلطت عليها وعلى بلاد اليونان كما مر اخذت تتجرف وتتصرف بغطرسة نحو حلفائها في الشرق اذ لم تعد في حاجة الى معونتهم ولا سيما رودس التي توسطت الصلح بينها وبين برسيوس في الحرب المذكورة فانفت رومية من توسطها لانها تداخلت فيما لا يعنيها وسلبت املاكها التي في اسيا الصغرى ووضعت لها موانع في طريق تجارتها التي كانت السبيل الاعظم لتحصيل رزقها فتاخرت امورها. ولم تعامل رومية ملك برغامس ايضًا معاملة حسنة بل اعاقتهُ في بعض اموره وقد راينا مداخلتها في مصر عند ما حاربها انطيوخس كيف تهددتهُ فالتزم ان يكف عنها خوفًا كما مر في اخبارها (راجع ك٣. ق٢. ف٣. رقم ٣٧) والزمتهُ ان يسلمها قبرس ايضًا بعد ان فتحها بسيفهِ فذاع صيت رومية حينئذٍ ونفوذ شوكتها فهابتها جميع الملوك . واذ كان الانشقاق وعدم الراحة مستوليًا على اليونان انتهزت رومية الفرصة لتستولي عليهم وتسلبهم الحرية التي لم يبقَ منها غير اسمها وقد ذكرنا في اخبارهم (راجع ك٣. ق٢. ف١. رقم ١٠) انها استدعت الف رجل من عظماء الاخائيين الى ايطاليا وابقتهم تحت الحفظ ظلمًا وعدوانًا نحو ١٧ سنة ثم اطلقت من بقي منهم فرجعوا مملوئين غيظًا من ظلمها وهيجوا البلاد عليها فكان هذا جلّ مبتغاها لكي يكون لها سبب لمحاربتهم وسلب جميع حريتهم فجاءت النتيجة وفق مرغوبها لان الاخائيين الذين ما زالوا امناء لها كما سبق عصوا عليها وجعلوا كورنثوس مركز عصيانهم

خيانة الاخائيين افنمة ولاية اخائية سنة ١٤٦ ق م

فافتتحها مُميوس القائد الروماني واحرقها ولم يبقِ فيها حجرًا على حجرٍ وسلب الرومانيون شيئًا كثيرًا من تحفها الثمينة واتوا بها الى رومية وبقيت كورنثوس نحو مئة سنة خرابًا ثم جددها الرومانيون وجعلوها مهجرًا (اي كولونية) ونزعوا الحرية السياسية من بلاد اليونان وجعلوها ولاية رومانية سنة ١٤٦ ق م. وسموها اخائية وفي نفس تلك السنة جعلوا مكدونية

ولايةً ايضًا وقرطاجنة ولاية اخرى كما ستعلم

٢٧ . واقامت رومية بعد حرب برسيوس المذكورة نحو ١٨ سنة وذلك من سنة ١٦٨ ق.م . الى سنة ١٥٠ ق.م . بدون ان تثير حربًا مهمة غير انها كانت تغزو الغاليين والليغوريين في اطراف ايطاليا الشمالية الغربية ثم غزت كورسكا ودالماتيا وغيرها وكانت هذه الغزوات قليلة الاهمية ثم اغارت على قرطاجنة ثالثةً في سنة ١٤٦ ق.م. فاخربتها وذلك لان قرطاجنة انتعشت بعد نكبتها السابقة وزادت ثروتها بنجاح تجارتها فحقد عليها تجار الرومانيين وارادوا خرابها لكي تتحول تجارتها اليهم وحقد عليها اصحاب السياسة ايضًا لئلا تتقوى وتنهض من حالة الذل والضعف فتسبقهم في الامور السياسية كالسابق ولم تنكث قرطاجنة العهود بل كانت على حذر من كل ما يحمل رومية على الحرب اذ علمت ضعفها وان رومية تشتهي سقوطها . وكان بعض اعيان رومية ينظرون اليها بعين الحسد ويحرضون الناس على غزوها ولا سيما قاتو الذي كان من عظماء المشيخة قيل انهُ دخل المجلس ذات يوم وبيدهِ تين ناضج فاراهم اياهُ ثم طرحهُ على الارض قائلاً ها قد أُتي بهِ من قرطاجنة ولا يزال طريًّا فما اقرب هذه المدينة العظيمة الينا عدونا القديم فينبغي إخرابها وكان كلما نهض ليخاطب الناس في امرٍ ما يختم كلامهُ بقولهِ فلتخربنَّ قرطاجنة فلتخربنَّ قرطاجنة واذ كان قاتو اعظمهم اعتبارا واشدهم صولةً تاثروا منهُ وعزموا على ما كان يحثهم عليهِ ثم اخذوا يختلقون علةً لحرب قرطاجنة التي كانت محترزة اشد الاحتراز عما يغيظ رومية التي رات ان اعلان الحرب بدون علة يشين صيتها وكان مَسَنِسا ملك نوميديا عدو قرطاجنة وحليف رومية كما ذكر (راجع رقم ١٩) وكثيرًا ما كان يتعدى على قرطاجنة ويغزو املاكها وهي غير قادرة على ردعهِ لانهُ اشترط عليها ان لا تثير حربًا بدون اذن رومية التي كانت تحرّك مسنسا الدالك فلما اشتد بها الحال قامت ودفعتهُ فاتخذت رومية هذا علة للحرب فلما علمت قرطاجنة بذلك توسلت اليها وخضعت لها كل الخضوع عساها ان لا تفعل فطلبت رومية ان تبعث لها ثلاث مئة من خاصتها رهنًا فاجابت ثم عادت فطلبت تسليم كل اسلحتها ومهماتها الحربية ففعلت ايضًا ثم نازل جيش الرومانيين المدينة وامروا اهلها بان يخلوها تمامًا وينتقلوا الى مقرٍ آخر يبعد نحو ١٢ ميلاً عن البحر فتخرب قرطاجنة وتدك دكًّا فلما سمعوا بهذا الحكم الصارم استفزهم الغضب وتعاهدوا ان لا يسلموا المدينة الى ان يمحوا

الحرب القرطاجنية الثالثة سنة ١٤٩—١٤٦ ق.م

عن آخرهم فسدوا ابوابها على العدو واخذوا يجهزون المدافعة قيل ان نساءهم نزعن شعورهنَّ الطويلة وصنعنَ منها اوتارًا للقسيّ واتخذ الناس كل ما وصلت اليهِ ايديهم اصنع الاسلحة عوضًا عن التي سلموها للرومانيين وبذلوا جهدهم كبارًا وصغارًا رجالاً ونساءً خاصة وعامة وعكفوا على العمل بنشاط وتشددوا وردعوا الاعداء فاندهش الرومانيون مما عاينوهُ من شجاعتهم وثباتهم ومهارتهم اذ كانوا قد سلبوهم وسائط المقاومة فدامت الحرب ثلاث سنين او اكثر قاسى الرومانيون فيها اتعابًا كثيرة وخسائر جسيمة فخابت امالهم وحبطت اعمالهم وانهزمت رجالهم وفشلت قوادهم الاَّ انهُ تعين اخيرًا لقيادة جنود رومية بِبليوس شيبيو اِيليانس حفيد شيبيو افريقانس الاكبر بالتبني الذي اشتهر في هذه الحرب وهو تريبونس اي ضابط فانتخب قنصلاً سنة ١٤٧ وتولى قيادة الجيش واجرى الحرب حتى أتمّها كما اتمّ شيبيو الاول الحرب السابقة مع قرطاجنة

تولية شيبيو الحرب

٣٨. وكان لاهل المدينة قائدان اسم كل منهما هسدروبال فتشاجرا واغتال احدهما الاخر فافضى الامر الى الشقاق غيران الذي بقي قاتل الرومانيين قتالاً شديدًا عند هجومهم على المدينة حتى كادوا يهلكون فجاء شيبيو حينئذٍ وتولّى زمام الامور وجدَّ في الحصار واحدق بالمدينة من كل جانب وسدَّ عليها كل مدخل فضاق بها الامر واراد الناس ان يسلموا فمنعهم هسدروبال وعزم على المقاتلة الشديدة وكان ظالمًا عاتيًا فاكرههم على الطاعة وقتل قومًا منهم وقتل الاسرى الذين اخذهم من الرومانيين ايضًا فيئس الناس من رحمة العدو واعرضوا عن طلب الامان ثم لما تمكن الرومانيون من نقب الاسوار بالمجنيقات ودخلوا المدينة التجأ هسدروبال الى البرج المسمى برْسا وكان على غاية في الحصانة وتحصن اهل المدينة في بيوتهم ورموا الاعداء من المنافذ فاضطر الرومانيون ان يدخلوها ويستولوا على كل بيت بمفردهِ ثم اضرموا فيها النار ومهدوا سكة لآلاتهم المنجنيقية الى البرج وحاصروهُ ستة ايام فكثرت القتلى وعظمت البلايا وفي اليوم السابع نصب شيبيو منجنيقاتهِ وتهيأ لمهاجمة البرج ولما راى ذلك الذين كانوا فيهِ طلبوا الامان فامنهم شيبيو وخرج هسدروبال العنيد ورمى نفسهُ عند قدمي شيبيو متوسلاً اليهِ متذللاً قدامهُ لعلهُ يرحمهُ ويحقن دمهُ فاحتقرهُ شيبيو لاجل جبانتهِ واحالهُ محل الكلب فلما رات امراة هسدروبال ما كان من بعلها وكانت على جانب عظيم من الشهامة والفخر صعدت على سطح بعض الابنية ومعها اولادها فرأت شيبيو ثم نادتهُ قائلة يا ايها الروماني اني اريد لك كل سعد

امراة هسدروبال

ونجاح لانك فعلت ما فعلت وفقًا لقانون الحرب واما هسدروبال الخبيث الذليل فاستحلفك ان تحمّله ما يستحقهُ من العقاب لظلمهِ وخيانتهِ .اه .وكانت النار قد لعبت بالابنية حيث كانت واقفة فاخذت هكذا وذبحت اولادها وطرحتهم الى النار ثم رمت بنفسها ايضًا وهلكت بهلاك وطنها المحبوب

خراب قرطاجنة

٢٩. وكان عدد سكان المدينة نحو سبع مئة الف فهلك اكثرهم اثناء الحصار ومن بقوا باعوهم عبيدًا وامرت المشيخة بهدم المدينة ودكها الى الارض فاجرى شيبو الامر تامًا ولم يترك فيها حجرًا على حجر فصارت تل خراب وبكى شيبو عليها اذ كان كريم الاخلاق ولم يستحسن زوال مدينة عظيمة مثلها وخاف على رومية من عقاب الالهة لاجل هذا الحكم الصارم واشتهر بسقوطها ولم يبلغ احد المجد والاكرام عند اهلهِ الذي بلغهُ غير شيبو افريقانس الاكبر قاهر هنبال وتلقب بافريقانس الاصغر تمييزًا عن سلفهِ ووهبت رومية املاك قرطاجنة الى اولاد مسنسا الذي مات اثناء الحرب والبعض الآخر جعلتهُ ولاية مركزها أُتيكا ودعت اسمها **افريقية** وكانت هذه الولاية خصبة جدًّا كثيرة الحبوب فكانت ثمينة لرومية اذ لم تكن حاصلات ايطاليا من هذا الصنف تكفيها. وبقيت قرطاجنة نحو ٣٤ سنة خرابًا اي من سنة ١٤٦ ق.م. الى سنة ١٢٣ ق.م. ثم باشر قوم من الرومانيين بناءها مجددًا فلم يأتِ العمل بالمراد وتُرك الى ايام اوغسطس قيصر حيث قامت قرطاجنة ثانية وصارت مدينة معتبرة

الحروب في اسبانيا سنة ١٥٣ — ١٣٣ ق.م

٣٠. قد تقدم الكلام على حروب رومية مع بعض قبائل اسبانيا (راجع رقم ٢٤) ثم سكنت الاحوال في نحو سنة ١٧٨ ق.م. ولم يحدث ما يستحق الذكر مدة خمس وعشرين سنة عند ما ثارت قبيلة الكلتيبريين فسار الرومانيون لمقاومتهم وانهزموا عند وقوع القتال وضاق بهم الامر ووقع الرعب في قلوبهم ونفروا من المسير الى اسبانيا لصعوبة الاحوال وخطر تلك الحروب ثم قام على قبيلة اللوستانيين رجل يسمى فرياتُس وكان دني النسب

ذكر فرياتس

راعي مواشٍ واشتهر لشجاعتهِ وحسن خبرتهِ في فن الحرب وحدث ان بعض قواد رومية غدر بقومهِ وقتل بعضهم وباع البعض الآخر عبيدًا اما فرياتس فافلت واقيم رئيسًا فصار الدَّ اعداء رومية وقهر الرومانيين واهلك نحو نصفهم في احدى وقائعهِ فعظم شأنهُ جدًّا واستفحل امرهُ فهرع اليهِ الناس من كل القبائل وكانت رومية منهمكة حينئذٍ في حرب قرطاجنة الثالثة فلم تقدر ان تمد جيشها في اسبانيا كالواجب فاوشك الرومانيون ان يهلكوا

من جرى نصرات فرياتس . ثم جهزت القناصل عند نهاية تلك الحرب وارسلتهم الى اسبانيا فحاربوها سنين متوالية وانكسروا مرات عديدة الى ان تمت هزيمتهم سنة ١٤١ ق.م. واضطرّ قائدهم التسليم فعقد صلحًا مع فرياتس وقرر استقلاليتهُ . اما المشيخة فنسخت العهد واثارت الحرب ايضًا ودست على فرياتس من قتلهُ سنة ١٤٠ ق.م. ولما لم يبقَ نظيرهُ من يدبر امر

الحرب النومانتية

اللوسيتانيين تاخروا وسلموا ما عدا مدينة نومانتيا فانها امتنعت وكانت منيعة محصنة جدًّا فقاومت الرومانيين عشر سنين ودعيت هذه الحرب بالنومانتية وتضايق الرومانيون لشدة مقاومتها وانهزموا ثم عقدوا معها صلحًا لكي ينجوا من الموت وكانوا نحو عشرين الفًا اما المشيخة فلم ترضَ ورفضت الشروط كما فعلت في صلح السمنيين (راجع ف٣ رقم ٣٦) وسلمت القائد للعدو معتقلاً وجددت الحرب عليها ولم تتمكن من افتتاحها فجهزت شيبيو الشهير الذي كانت تذخرهُ لكل امر يتعذر على سواهُ وكان ذلك سنة ١٣٤ ق.م. فلما تولى القيادة اخذ يمرّن العسكر ويهذبهُ لانهُ راءهُ قد ذل من المصائب التي وقعت عليهِ ثم حاصر المدينة وحفر حولها خنادق وانشأ حواجز من كل جهة وسد كل المداخل والمخارج حتى صار الهرب متعذرًا فلما شعر من بها بالجوع ورأوا ان لا مهرب لهم طلبوا الامان فارتضى شيبيو اذا سلموا بدون شروط فابوا وعادوا الى ما كانوا عليهِ فضاق بهم الحال وصاروا ياكلون جثث الموتى فخضعوا لحكمهِ صاغرين الاَّ قومًا منهم فانهم فضلوا الانتحار وبيع الذين سلموا عبيدًا وهدمت

خضوع اسبانيا التام سنة ١٣٣ ق.م

المدينة وكان هذا سنة ١٣٣ ق.م. فخضعت اسبانيا من ذلك الوقت خضوعًا تامًّا وصارت من اطوع ولايات رومية واحسنها وامتد فيها تمدن رومية ولغتها . اما شيبيو فذاع ذكرهُ وعظم صيتهُ اكثر من السابق وزيد على اقبهِ الاول لقب نومانتينس وكان عادلاً مستقيمًا نزهًا ذا سيرة حسنة لا يقبل الهدايا ولا الرشوة على جري عادة قواد رومية ولما وفد عليهِ وفد ملك برغامس حاملين الهدايا النفيسة تعظيمًا لمقامهِ واجلالاً لشانهِ ابى قبولها وفرقها على عسكرهِ

ثورة العبيد في سيسيليا

٢١. وفي نحو هذا الزمان ثار العبيد في سيسيليا اذ كانوا قد كثروا في الجزيرة لان الرومانيين كانوا يسترقّون اسرى حربهم كما راينا فتكاثر عددهم في انحاء المملكة ولاسيما سيسيليا حتى فاقوا الرومانيين اصحاب الاملاك واستعبدهم اربابهم بعنف وكان في مقدمتهم عبد سوري الجنس يسمى يونوس ادعى النبوة ونشر راية الحرب فلما نجح بعض النجاح تقاطر اليهِ العبيد من كل فجٍ حتى بلغوا نحو مائتي الف فجهزت رومية عسكرًا وارسلتهُ

لاخضاعهم فهزموهُ واشتد الخطب فالتزمت ان تجهز قنصلاً ونسيرهُ للافاة الامر وكان ذلك سنة ١٣٤ ق.م. واذ لم يات بنفع ارسلت خليفتهُ في عسكر جرار فاتى مسانا حيث تحصن العصاة فافتتحها وقتل نحو ثمانية الاف منهم ومع ذلك لم تخمد الثورة في الجزيرة ثم تولى الحرب القنصل روپليوس فتشدد وسطا على الاعداء سطوة جبار وفتك فيهم وقتل منهم الوفًا وفرقهم شذر مذر فلم يبقَ مع يونوس عظيمهم سوى الف رجل ففروا الى الجبال ولم يزل الرومانيون يطاردونهم حتى املكوهم عن اخرهم وبهلاكهم انتهت الثورة سنة ١٣٣ ق.م. وحصدت رومية الشر الذي كانت قد اعدتهُ لنفسها بتكثير العبيد ثم وقعت في شرٍ من ذلك كما ستعلم ولا شك ان هذا نصيب كل امة تحذو حذوها

انضمام مملكة برغامس الى املاك رومية ٣٢. واستولت رومية ايضًا على نصيب اخر افضل مما ذكر وذلك انهُ لما مات أتّلس ملك برغامس سنة ١٣٣ ق.م. اوصى بمملكته للرومانيين كما تقدم (راجع ك ٣٠ق ٣. ف ٥ . رقم ٥) فعارضهم أرستونيقس فالتزموا ان يحاربوهُ مدة نحو ثلاث سنوات قبل ان اخضعوها ولما تمكنوا منها جعلوها ولاية وسموها اسيا كما سموا قرطاجنة ولاية افريقية وكانت ولاية اسيا غنية جدًا فطمحت اليها ابصار الولاة وطمعوا في سلبها ومدوا ايديهم لقبول الرشوة واساءوا السيرة وبعد ان استولى الرومانيون على املاك واسعة غنية فسدت سياستهم وساءت احوالهم كما سترى

املاك رومية وكانت املاك رومية حينئذٍ ايطاليا الى حدود جبال الالب. واسبانيا . وسيسيليا . وسردينيا وكورسكا وسائر جزائر البحر المتوسطة الواقعة غربي ايطاليا . وافريقية وبلاد اليونان ومكدونية واسيا . وكانت جميعها ولايات الاّشبه جزيرة ايطاليا فانها كانت المركز العمومي وتعين على كل ولاية والٍ وهو اما برو قنصل (نائب قنصل) او بريتور (قائد) او برو بريتور (نائب قائد) واذ لم يترتب للوالي شيء من المعاش افضى الحال الى اخذ الرشوة والارتكاب كما لا يخفى على العاقل البصير

الفصل الخامس

في المنازعات الاهلية منذ نشأتها الى قيام الامبراطورية وذلك من سنة ١٣٣ الى سنة ٣٠ ق.م

ملاحظات على اخبار رومية السابقة

١. قد وقفنا في ما تقدم على اخبار رومية من بداءة امرها الى استيلائها على قسم متسع الجوانب من العالم القديم ورأينا كيف تدرجت في النشوء والنمو وتعززت وتقوت بعد الضعف والانحطاط لان اهلها كانوا ارباب جراءة ونخوة وعزيمة ماضية ولم يذعنوا لاعدائهم بل تحاملوا على انفسهم وتجشموا الاتعاب والشدائد والمشاق في سبيل خدمة الوطن ما يحمل المطّلع على امورها على العجب واستبان لنا تفاوت طبقات الناس في الامور السياسية ومشاجراتهم حتى استوى الامر بين الخاصة والعامة فارتقت صنوف العامة حتى نالوا اكثر امتيازات الخاصة ورأينا ايضاً ضيق بعضهم وفقرهم المدقع ثم قسمة الارزاق عليهم طبقاً للسنن الليسينية ولم نسمع من ذلك الوقت نبأ بفقر الناس الى الزمن الذي نحن

امر الفقراء

في صدده والسبب في ذلك ان فتوحات رومية المتوالية مكنت فقراءها من الحصول على وظائف كافية وافية لسد اعوازهم اذ توزعت كل الاراضي المشاعة في ايطاليا ثم انتابهم الفقر ايضاً مع ان غزوات رومية في الاطراف البعيدة لم تزل متواصلة لان الرومانيين لم يكونوا قد اختطوا المهاجر (الكولونيات) خارج ايطاليا لهذا العهد على انه كان قد استولى بعض الاغنياء او اصحاب النفوذ والوجاهة على املاك متسعة الجوانب من الاراضي المشاعة على خلاف السنة الليسينية التي خطرت على كل طالب املاك اكثر من خمس مئة فدان منها واذ قد اشتط شرَه بعض هولاء ووضعوا ايديهم على الوف من الفدن فغدا كثيرون من الفقراء بلا ملك فآل ذلك الى المنازعات والمخاصمات كما سترى

٢. وكان من اعظم اسباب الضيق والعوز في رومية ايضاً تكثير العبيد فان ذوي الاملاك المتسعة كانوا يستعملونهم في حراثتها دون الفقراء الاحرار فاصبح كثيرون منهم بلا

عمل وبلا رزق واشتد بهم الضيق وتفرغت ايديهم لمباشرة السوء واقتراف الذنوب ولكن ما دامت رومية لا تجد بدًّا او غنى عن استخدامهم في جنديتها فلم يمسهم الضر لو الفاقة او ضنك المعيشة اذ كانوا ينالون وظائفهم الجارية واستغنوا من السلب والنهب والخطف ولكن لما امتدت سلطة رومية الى الآفاق واخذت تجمع جنودها من غير ايطاليا تقاعد عامة رومية عن الخدمة ولما لم يكونوا معتادين صناعة اخرى او محترف ولا سبيل لهم الى الاعتمال في الحراثة افتقروا وساءت احوالهم جدًّا واندفعوا الى المنازعات الاهلية وتمادوا فيها ومن جملة الاسباب الباعثة لهذه المنازعات ان الطمع كان قد اخذ من قلوب الرومانيين كل مأخذ بعد ان افتتحوا اغنى ولايات العالم واخصبها تربة فان الذين تولوا امرها كانوا يعيثون في البلاد ويظلمون العباد وكانوا يسلكون سبل الجور والعنف ويسلبونهم اموالهم فيستغنون بها ثم عند عودتهم الى رومية كانوا يستدعون للمحاكمة فيبذلون مبالغ جسيمة على سبيل الرشوة فينجون من الحكم ويفسدون الحكام ويحسدهم اعداؤهم ويطمعون في اموالهم فينتج عن ذلك المنازعات العنيفة كما لا يخفى وكانت الاشراف والعامة يتنازعون احراز المناصب التي بها يستولون على الولايات ليحصلوا على وسائط الغنى والثروة وظل الفريقان يتنازعان السيادة والولاية الى ان انتهى الامر اخيرًا بسقوط النظام السياسي الجمهوري وقيام نظام الحكم المطلق اي الامبراطورية

اسباب المنازعات

٢. وحدث اذ تفاقمت الامور السالف ذكرها وعظم شرها واشتد الفقر والضنك بعامة الناس انه نهض بعض اصحاب الفطنة والدراية الذين شعروا بهول هذه الاحوال السيئة واستفزتهم المروءة والنخوة الى الانصاف واصلاح الشؤون وممن اشتهر في ذلك اولاً رجل يقال له طيباريوس غرقس وهو من عشيرة شريفة وكانت امه بنت شيبيو افريقانس الاكبر واخته قرينة افريقانس الاصغر وكان اسم ابيه سمپرونيوس غرقس الذي نال منزلة القنصلية مرتين والسنسورية مرة واحدة وهو الذي أخمد هيجان قبائل اسبانيا في نحو سنة ١٨٠ ق.م. وخلف ولدين اكبرهما طيباريوس المذكور واصغرهما كايوس وسياتي ذكره وكانت امهما كورنيليا كريمة الاخلاق نقية الاعراق اشتهرت بالفطنة والذكاء والنجابة فربت ابنيها احسن تربية فشبا على الادب والظرف ونبغا في العلم واللطف فكانا من اكيس فتيان رومية واحذقهم فانتخب طيباريوس لرتبة الكهنوت عند ما بلغ مبلغ الحلم وخدم الجندية في حرب قرطاجنة الثالثة وهو اول من تسلق اسوارها عند الهجوم وسار بعد ذلك الى حروب

ذكر الغرقيين

اعمال طيباريوس غرقس

اسبانيا سنة ١٣٧ ق.م. واتفق عند مروره في ايتروريا انهُ اجال طرفهُ واعمل فكرهُ في حال تلك البلاد وراى جماعات من العبيد يحرثون الاراضي المختصة بالاشراف والاغنياء ولم يلقَ غير القليل بينهم من جنس الرومانيين في تلك الانحاء مع ان الوفًا منهم كانوا لا يملكون قدر شبر ارض او عقار وبلا مهنة وهذه الاراضي التي كان يحرثها العبيد هي مشتراة بدمهم وعرق جبينهم فاغتم طيباريوس لذلك وعزم على اصلاح الحال اذا امكن فسار الى اسبانيا وتولى منصبهُ وقام بالامر احسن قيام اذ كان خزندار الولاية (كوستور) ولما عاد الى رومية اخذ لا يألو جدًّا وجهدًا في تحقيق امانيهِ وما تصبو اليهِ نفسهُ من حسب الولاية فانتخبوهُ للتريبونية لسنة ١٣٣ ق.م.

مقترحات طيباريوس غرقس سنة ١٣٣ ق.م

٤. ولما تولى هذا المنصب اقترح اولاً على ارباب المجالس احياء السنَّة الليسنية وهي انهُ لا يسوغ لايٍّ كان امتلاك اكثر من خمس مئة فدان من الاراضي المشاعة الاَّ انهُ زاد عليها مئتين وخمسين فدانًا سواها لكل ذكر محتلم كان في حجر ابيهِ اي في حضانتهِ ورعايتهِ ثانيًا ان تقام لجنة مولفة من ثلثة اعضاء لاجراء منطوق هذه السنَّة . ثالثًا ان يفرّق ما تخلي عنهُ من العقارات المشاعة على الفقراء . رابعًا ان يعاض ارباب الاراضي المشاعة عن الاموال التي انفقوها في شان عمار الاراضي التي توخذ منهم وفقًا للشرع ببعض اراضٍ تسلم لهم ملكًا شرعيًا ثابتًا . خامسًا ان ما يفرق على الفقراء حسب هذه السنة يوقف لهم ملكًا موبّدًا لا يباع ولا يوهب. وكان سبب اصدار هذا النظام ان كثيرين ممن نالوا انصبة سابقًا في المشاعة كانوا قد تضايقوا من دين لزمهم وعجزوا عن ادائهِ فوضع اربابهُ يدهم عليها فاصبح اولئك بلا ملك كالسابق

ممانعة الخاصة لهُ

٥. ولما عرض طيباريوس هذه المقترحات الناس قاومهُ الخاصة بعنف لان كثيرين منهم كانوا قد امتلكوا من المشاعة اكثر من المفروض لهم فكثرت المنازعات واتسع نطاق الجدال والخصام ولما راوا ان مجلس العامة سيقرر ما طُلب اغروا بعض التريبونيين فقام ونقض القرار اذ كان ذلك من حقوقهِ . اما طيباريوس فاستشاط غيظًا وصمم على انفاذ مقاصدهِ على رغم انوفهم فطلب الى المجمع ان يعزل خصمهُ ففعل وكان هذا ما لم يسبق لهُ مثال في رومية وهو ان يعزل تريبونس قبل انقضاء سنتهِ فهاجت الخاصة وحدثت فتنة في المدينة واخيرًا تقررت هذه السنن واقيم طيباريوس واخوهُ وابيوس كلوديوس حموهُ لجنة لاجرائها على انهُ حال دون ذلك مصاعب عديدة وعظيمة ولقوا

من اصحاب الاراضي مقاومة عنيفة واجمع راي الخاصة على اهلاك طيباريوس وتوعدوهُ بانهم يدعونهُ للمحاكمة عند انقضاء مدتهِ ويتهمونهُ بانهُ ينزع لطلب الملك لانهُ استمال قلوب العامة بما فعلهُ لخيرهم فراى طيباريوس ان لامناص لهُ الاَّ الانتخاب ثانية لمنصبهِ فان تريبونس العامة لا تسمع عليهِ دعوى ولايحاكم مدة ولايتهِ كما تقدم غيران انتخاب رجل واحد لسنين متوالية كان امرًا مخالفًا للعادة واحتج الخاصة انهُ ممنوع البتة فصمموا على منعهِ فلما انعقد المجمع يوم الانتخاب حدث هيجان عظيم واشتد بطيباريوس الامر فاومأ بيدهِ مشيرًا الى اصحابهِ ان يجتمعوا اليهِ لنجدتهِ فضجت الخاصة قائلين انهُ طالب تاج الملك وقام احدهم المدعو شيبيو ناسكا وقادهم الى القتال فهاجموا طيباريوس وقومهُ فانجلت المعركة عن مصرعهِ وقتل نحو ثلاث مئة من قومهِ فانتصر حزب الخاصة وهذا اول دم جرى في المنازعات الاهلية التي سفك فيها دم خلق كثير وافضت اخيرًا بسقوط الخاصة الذين همّوا بقتل طيباريوس وانقراضهم

هلاك غرقس

٦. ولم يجدِ هذا الفعل المنكر شيئًا ولم يغنِ نفعًا اذ لم تُلغَ سنن طيباريوس فاقيم غيرهُ مكانهُ في اللجنة وقام الشعب وطردوا شيبيو ناسكا من البلاد غير ان انفاذ غاية طيباريوس وتقسيم المشاعة كان امرًا يصعب اجراؤهُ ولم يتم طبق المرغوب وقام شيبيو الشهير وعضد حزب الخاصة واصحاب المشاعة الاَّ انهُ مات فجأة وقيل انهُ سقي كاس حتفهِ بيد اعدائهِ وتقوت اركان الخاصة فالغوا لجنة وفوضوا اجراء الامر لعهدة القناصل الذين فرّطوا بالقيام فيهِ ورافقت الاحوال بضع سنين وحدث في غضون ذلك ان اللاتينيين وقبائل اخر خاضعة لرومية طلبوا امتيازاتها اي ان ينتظموا في سلك الرعية وقام احد القناصل المسمى فلاقس وايد امرهم سنة ١٢٥ ق.م. اما المشيخة فقاومتهُ وارسلتهُ ليقضي بعض مصالحها خارج ايطاليا فخاب امل تلك القبائل وحبطت مساعيهم ولما رأت فريجلّة احدى مدنها ما كان خرجت عن الطاعة فجهزت المشيخة عليها الجنود فنازلتها وافتتحتها وأخربتها وفرقت من بقي من سكانها في الآفاق

موت شيبيو افريقانس الاصغر

هيجان اللاتينيين وغيرهم

٧. اما كايوس غرقس اخو القتيل فحنق على الخاصة وقصد الانتقام اخذًا بثارهِ ان طالت يدهُ فاعتقدت الخاصة فيهِ السوء واوجسوا خيفةً منهُ ولما كان في سردينيا سنة ١٢٦ متقلدًا وظيفة خزندار فيها امرتهُ المشيخة بالبقاء هنالك فلبث الى سنة ١٢٤ ق.م. ثم عاد على حين غفلة وعرض نفسهُ على العامة فانتخبوهُ للتريبونية لسنة ١٢٣ وكان كايوس امضى من

كايوس غرقس

اخيهِ عزماً واشد بغضة للخاصة وكان حازماً فصيحاً لكلامهِ موقع حسن في قلوب الناس واثر شديد فكان يديرهم ويعبث بهم كيفما شاء وايقن الاشراف انهُ قد قام لهم عدوٌّ اشد باساً من الذي قتلوهُ فلم يخفَ على كايوس حقدهم عليهِ وانهُ كاخيهِ يغرّر بنفسهِ في اجراء مقاصد لم يتقاعد عند اتمامها البتة وكان كريم الاخلاق وخبر اخوتهِ احب اليهِ من حياتهِ ويؤثرهُ على راحتهِ فحالما تولى منصبهُ شرع في انجاز مقاصدهِ واجتذب اليهِ قلوب العامة بانهُ كان يحابيهم (اي يتساهل ويتسامح في الثمن) اذ كان كثيرون منهم في ضنك عيش يعوزهم القوت وكان هذا الكرم بغير حكمة لانهُ اغراهم بالكسل وعدم الاقتصاد في النفقة والاسراف في المعيشة فافضى هذا الامر الى شر عظيم فيما بعد غير ان كايوس لم يكن اول من ابتدأهُ وانما اقتفى فيهِ اثر السلف وافرط فيهِ اذ قدم القمح لكل طالب فقيراً كان او غنياً فعاد صنعهُ هذا على بيت المال باضرار باهظة انزفت ما فيهِ

تقديم القمح للناس

٨. اما اعظم نظامات كايوس تاثيراً وابغضها للخاصة فكانت سنتهُ المتعلقة بتنظيم المجالس فان القضاة فيها كانوا من الخاصة من رتبة المشيخة ولما كان اكثر الولاة وسائر ارباب المناصب العالية في الولايات من هذه الرتبة ايضاً كان اذا أُحضر او دعي بعضهم للمحاكمة لظلمهم او سوء سيرتهم مدة توليتهم يبرّؤون ساحتهم لان القضاة كانت تحابيهم وتمالئ على تبرئتهم ولما راى كايوس هذا عمد الى اصلاحهِ فاقترح أن يعين ثلثا القضاة من رتبة الفرسان (اكوِتيس) وثلثًا من المشيخة ولما كانت رتبة الفرسان على غاية ما يكون من الحسد والحقد على رتبة المشيخة فكان الذين من هذه الرتبة اذا تقاضوا امامهم ينالون جزاء اعمالهم فانحط شان اصحاب المشيخة جداً وساءت امورهم وساد الفرسان وارتفعت كلمتهم

نظام القضاة

وادخل كايوس نظاماً اخر من شانهِ كف ظلم المشيخة ايضاً في شان تعيين الولايات للقناصل وكان من عادة القناصل ان يستلم كل منهم ازمة ولاية من الولايات يتولاها بعد قضاء واجباتهِ في رومية وكانت تسمية الولاة للولايات من حقوق المشيخة فكانت تستاثر اهمها واغناها بمن اركنت اليهِ من القناصل او بمن كان من درجتها واما من كان خلاف ذلك فعينت لهُ ولاية جديبة او يصعب ضبطها وادارتها . اما نظام كايوس فالجأ المشيخة الى تعيين الولايات للقناصل قبل انتخابهم فلا تعرف من هم ولا تقدر ان ترتب الامر على ما ارادت فخضد كايوس شوكة المشيخة كما لا يخفى

٩. ووقعت سيرة كايوس موقع القبول عند عامة الناس فانتخبوهُ للسنة التالية اي

سنة ١٢٣ ق. م. وهو لا يرغب في ذلك ولم تستطع الخاصة منعهُ غير انهُ لم ينجح في هذه السنة كما في الاولى لان المشيخة جعلت تناصبهُ واغرت احد رفقائهِ المدعو دروسس بمنازعتهِ وان يطيب قلوب العامة ويستميلهم اكثر منهُ بتخويلهِ اياهم فوائد اعظم لهم فيعرضون عنهُ ويدعونهُ يهلك فلما اقترح كايوس انشاء كولونيتين في ايطاليا يهاجر اليها الفقراء لاكتساب المعيشة عرض دروسس انشاء اثنتي عشرة مهجرًا غير انهُ لم ينو انجاز ما عرضهُ فاستمال بهذه الحيلة وما شاكلها قلوب العامة عن كايوس اليهِ ولاسيما لما ذهب كايوس الى افريقية لينشئ مهجرًا في موقع قرطاجنة فان دروسس افسد نوايا الناس مدة غيابهِ فلم ينتخب مرة ثالثة وارتقى الى القنصلية الدّ اعدائهِ فايقن كايوس هلاكهُ وان نصيبهُ كنصيب اخيهِ ولم يلبث الاّ قليلاً حتى مضى لسبيلهِ لان الخاصة ارادوا نسخ سننهِ وسنن اخيهِ وفي اثناء البحث حدث هيجان قتل فيهِ كايوس ونحو ثلاثة الاف اخرين معهُ وانتصر الخاصة مرةً اخرى

انتخاب كايوس غرقس ثانية سنة ١٢٢ ق. م

قتله

١٠ وظن الخاصة في ذلك الوقت انهم قد نالوا بغيتهم وان لهم السلطة المطلقة في السياسة فلا يعيقهم عائق واخذوا يتجبرون ويعظمون شانهم ويهضمون شان العامة فلقبوا انفسهم **باپتماتيس** اي **الاماثل** اذ ادعوا بصراحة النسب واستهانوا بالعامة وسموهم السفلة كانهم دونهم نسبًا والحال ان كثيرين من رتبة المشيخة كانوا من الرعاع اصلاً وارتقوا كما مرّ ثم استصغروا ذوي قرباهم الذين لم يتركوا المقاومة الاّ مدة يسيرة ثم عادوا يطلبون حقوقهم ولم يزالوا كذلك حتى انتقلوا من السراة فادركتهم عاقبة بغيهم

تجبرف الاماثل

ثم بعد قتل كايوس نقض الخاصة سنة طيباريوس التي جعلت الاراضي الموزعة على الفقراء وقفًا لهم ولنسلهم وكانت نتيجة ذلك ان هذه الارزاق رُدّت للاغنياء بعد قليل وافتقر اصحابها كالسابق ثم ادخلوا نظامًا جديدًا مفادهُ بان لا يفرّق عليهم شيء من المشاعة فيما بعد لكنهم حفظوا نظام كايوس المتعلق ببيع الحبوب لكي لا يجوع الفقراء كثيرًا فيهيجون ويثيرون فتنة في رومية . ثم حدثت امور اظهرت سوء سيرة الاماثل وفسادهم وجلبت عليهم وعلى رومية العار وآلت الى سقوطهم واول ما نذكرهُ في هذا الشان حرب يوغرثا ملك نوميديا

نقض سنة الاراضي

١١. قد تقدم ذكر مسنيسا ملك نوميديا الذي كان حليف رومية في حرب قرطاجنة الثالثة (انظر ف ٤ . رقم ٢٧) واكرمتهُ رومية واقطعتهُ بعض املاك قرطاجنة السابقة ولما

حالة دولة نوميديا

مات اقتسم بنوهُ الثلثة املاكهُ الَّا انهُ مات اثنان منهم عقيب ذلك وورث اصغرهم مِسِبْسا ماكان لهما وكان لاحد اخويهِ ابن غير شرعي يسمى بوغرثا فرباهُ مع ابنيهِ هيمْسال وأَدْهِرْبال ونشأ غاية في الباس والقوة الجسمية وكان ذا دراية ودهاء مولعًا بصيد الوحوش والفنون الحربية حتى فاق ابني عمهِ وكل بني جنسهِ فلما راى عمهُ ما كان عليهِ من السجايا الحميدة جعلهُ قائدًا على فرقة عسكر بعث بها الى اسبانيا لنجدة شيبيو في حرب نومانتيا المار ذكرها فسرَّ بهِ وعلّمهُ صناعة الحرب فاستفاد بوغرثا منهُ كثيرًا الَّا انهُ اختبر امور الفساد الذي خامر اكثر ارباب المناصب من الرومانيين كما علمت فتحقق ان السياسة تدور عندهم على محور الرشوة فاتخذ هذا نموذجًا في معاملتهم والظاهر انهُ نوى اختلاس ملك عمهِ عند سنوح الفرصة ولما علم ان ذلك لايتم الَّا برضى الرومانيين عوّل على الرشوة لنوال مرادهِ اما عمهُ فلما سمع بفروسيتهِ وبسالتهِ في الحرب عطف اليهِ كثيرًا وعقد النية على تبنيهِ واشراكهِ في ارثهِ ومات مسِپسا سنة ١١٨ ق.م فاقتسم الثلثة املاكهُ ولم يلبث ان وقع الخلاف بين بوغرثا وابني عمهِ فافضى الامر الى قتل هيمسال اذ غدر بهِ بوغرثا ثم اغار على ادهربال وكاد يقوى على عزلهِ وقتلهِ لولا انهُ استنصر الرومانيين الذين اقامهم ابوهُ أَوصياءهُ. اما بوغرثا فبعث وفدًا الى رومية ورشا ارباب السياسة فلم يتحروا الفحص والبحث عن قتل هيمسال بل ارسلوا معتمدين ليقسموا املاكهُ بين بوغرثا وادهربال ورشا بوغرثا المعتمدين ايضًا فاعطوهُ الجانب الافضل من الملك ولما ذهبوا شرع يغزو املاك ابن عمهِ فانتشبت بينهما الحرب وانهزم ادهربال ولاذ في نفر يسير بحصن قرطا (وهي قسنطينة) وكان منيعًا لايطمع احدٌ في فتحهِ الَّا صلحًا او جوعًا فحاصرهُ بوغرثا . اما ادهربال فبعث الى رومية مستغيثًا منها بوغرثا بنكث العهد فلم يجدهِ ذلك نفعًا اذ قدم سفراء بوغرثا في اثناء ذلك وبذروا الاموال بين ولاة الامور فلم يستمعوا لصراخ ادهربال غير ان المشيخة ارسلت معتمدين الى بوغرثا لاجل اظهار الحق وفصل الخلاف فلم يفعلوا شيئًا فلما راى ادهربال انهُ لا يرجو شيئًا من قبل رومية طلب الامان الى ابن عمهِ فامنهُ ومن معهُ ثم غدر بهم وقتلهم جميعًا

بوغرثا

مظالم بوغرثا

هيجان السفلة في رومية

١٢. واتفق ان كان بعض القتلى من ايطاليا من تبعة رومية فلما شاع خبر قتلهم استشاط عامة الناس في رومية غيظًا على بوغرثا وعلى الاماثل الذين ارتشوا وجلبوا هذا العار على رومية فان جلّ الفساد في امور السياسة منهم وكانوا قد اساءوا السيرة وتغطرسوا جدًّا

فتح الحرب مع يوغرثا سنة ١١٢ ق.م
بعد قتلهم غرقُس فقام احد التريبونيين المدعو مُمِّيوس وطالب الفحص والاستقصاء فيها فخاف الاماثل واجمعوا على اثارة الحرب ارضاء للعامة فسار سنة ١١٢ ق.م. القنصل بسنيا في جيش الى نوميديا وافتتح بعض مدن لكنهُ لم يتمم الغلبة اذ رشاهُ يوغرثا فهادنهُ على ان يسلم لهُ مملكتهُ ظاهرًا ثم يردها القنصل اليهِ فيدفع يوغرثا لرومية مبلغًا يسيرًا من المال ولما طار الخبر الى رومية هاج السفلة اكثر من السابق وطلبوا محاكمة المجرمين وان يستدعى يوغرثا الى رومية مخفورًا ليشهر ويشهد على الراشين والمرتشين فاذعن الاماثل لهم واجابوا طلبهم فاتى يوغرثا وتواطأ مع بعض التريبونيين ان ينهاهُ عن الكلام اذا قام في المجمع فلا يؤدي شهادتهُ ففعل ولم ينطق بشيء فكان حضورهُ عبثًا وفي اثناء الطريق اذ كان قافلاً الى بلادهِ شخص الى رومية وقال "يا طماعة يا مرتشية انكِ للبيع واخرتك مسرعة الى البوار اذا وُجد لكِ مشترٍ"

مجيئه الى رومية

قتل ابن عم يوغرثا وتجديد الحرب سنة ١١٠ ق.م
١٣. وبينما كان يوغرثا في رومية قتل ابن عم لهُ كان هناك والسبب في قتلهِ ان بعضهم حاولوا أن يولوهُ على نوميديا دونهُ فاوغر صنيعهم هذا قلوب العامة غيظًا وحنقًا فالزموا المشيخة ان تشهر الحرب على يوغرثا سنة ١١٠ ق.م. وسار القنصل ألبينُس بجنوده الى نوميديا ولم يقضِ وطرهُ لان يوغرثا خاتلهُ بمكرهِ ودهائهِ ولم ينازلهُ حتى قاربت نهاية سنتهِ فعاد الى رومية واستخلف اخاهُ على الجيش الذي هاجم بعض المدن الحصينة اما يوغرثا فبيتهم ولولا قليل لاهلكهم عن اخرهم واذل الاسرى اذ سيرهم تحت النير كناية عن الخضوع التام فلما نما الخبر الى رومية ثار غضب العامة ولم يقدر الاماثل على تسكين فورة غيظهم الاَّ بالفحص عن هذه الامور الباعثة للخلل والفساد والهرج فثبت فساد بعضهم وحاق بهم سوء العقاب ثم تعين كوئنتس ميتلُّس قنصلاً وسار الى الحرب وقام بها بجراءة واقدام حتى قهر يوغرثا وغزا املاكهُ ولكن لم تتم قبل نهاية سنتهِ اذ اعتزل يوغرثا الى القفار والمفاوز البعيدة فلم يقدر الرومانيون على تاثرهِ

ارتقاء ماريوس
١٤. وكان في جيش الرومانيين ضابط يسمى كايوس ماريوس وهو من العامة وكان ذا صولة ومروءة واشتهر في بعض حروب شيبيو الشهير فاستمال العسكر اليهِ لباسهِ وشجاعتهِ واشتراكهِ في كل اتعابهم ومشقاتهم فاخذ ماريوس يسعى لنوال القنصلية لكي يرتقي الى قيادة الجيش ويتولى حرب يوغرثا ولكن النظام لم يسوّغ انتخاب قنصل وهو غائب فطلب الى متلس الاجازة لكي يحضر الانتخاب في رومية فلم يسمح لهُ اولاً لانهُ كان

من السفلة فلا يريد ان يرقيهُ الى القنصلية غير انهُ سمح لهُ اخيرًا اذ ألحّ العسكر عليهِ فاسرع ماريوس ووصل قبل الانتخاب ونال المرغوب اذ رضي بهِ الشعب وعينوهُ لقيادة الجيش دون متلس على رغم المشيخة فرجع متلس ذليلاً مغتاظًا . اما ماريوس فتولى مقامهُ سنة

توليته الحرب سنة ١٠٨ ق م

١٠٨ ق م. وانتدب اليهِ الناس فسار في جيش جرار الى نوميديا ومرّن عسكرهُ احسن تمرين على ابواب القتال . ثم تولى مهاجمة حصن في مفازة بعيدة يسمى قبسا وكان منيعًا ولكن ماريوس فاجاهُ على غرّة وافتتحهُ عنوةً وقتل الرجال وباع النساء والاولاد عبيدًا فوقع الرعب في بقية الحصون فافتتح كثيرًا منها دفعةً ودوخ اكثر البلاد اما يوغرثا فكان قد لحق بملك الموريين المسمى بقس فاغراهُ على حرب ماريوس فاغار هذا على بلاده وغزا

نكبة الموريين

ونهب ثم قفل راجعًا الى نوميديا فلاقاهُ بقس ويوغرثا فجأة وضايقاهُ مضايقة شديدة الاَّ انهُ هزمهما اخيرًا واكثر في جنودهما القتل ثم حشدا جيشًا اخر فنازلاهُ ثانية واشتد القتال وفتك يوغرثا بالرومانيين واظهر من الباس والفراسة ما حمل اعداءهُ على العجب فاشرف الرومانيون منهُ على الهلاك ولكنهم نجوا اخيرًا بثباتهم وحسن تدربهم وممن اشتهر بينهم في ذلك اليوم رجل من الخاصة يسمى كرنيليوس سلاّ وكان قائد فرقة من الفرسان فاقتحم صفوف الاعداء وهزمهم شرَّ هزيمة لما كان الرومانيون قد اشرفوا على الهلاك وقيل ان هذه المعركة استمرت ثلاثة ايام وقتل فيها زهاء تسعين الفًا وكانت هذه اخر وقعة في هذه الحرب لان بقس يئس منها وهادن ماريوس وقيل انهُ غدر بيوغرثا

نهاية الحرب سنة ١٠٦ ق م

فدفعهُ اليهِ وكان ما كان فوقع يوغرثا بيد سلاّ فاتى بهِ الى ماريوس فانتهت الحرب . اما يوغرثا فاخذهُ ماريوس الى رومية بعد حين وقادهُ في موكب النصرة عند دخولهِ المدينة موثقًا ثم اودعهُ السجن حيث مات صبرًا

انتخاب ماريوس للقنصلية سنة ١٠٤ وحرب البرابرة

١٥. اما ماريوس فانتُخب ثانيةً قنصلاً لسنة ١٠٤ ق م. عام رجوعهِ من حرب يوغرثا وانتخبهُ جمهور العامة في غيبتهِ وهو غير ساعٍ لطلبها والسبب في ذلك ان السمبريين والتوتونيين وهما من الامم الشمالية كانوا قد هاجموا اطراف الالب وتهددوا ايطاليا في سنة ١١٣ ق م. فلما شاع الخبر في رومية ارسلت القنصل قاربو في جندٍ الى تلك الثغور فهزموهُ ولكن لم يتبعوهُ الى ايطاليا بل توجهوا غربًا الى غاليا فنجت رومية من غزواتهم . اما الرومانيون فلم يطيقوا ما لحقهم من العار اذ هزّم البرابرة جنودهم فجهزوا قنصلاً آخر يسمى سيلانس الى غاليا في جيش عرمرم فدارت الدائرة عليهِ ايضًا وانهزم القنصل الاخر وكان

يدعى قسبيوس وقُتل . وفي اثناء ذلك انكسر قائدٌ اخر للرومانيين وأُسر . وحدثت هذه الامور في غضون سنة ١٠٩ وسنة ١٠٧ ق.م. فارتعدت فرائص رومية وجهزت قائدين اخرين في جنودٍ غفيرة الى الحرب فانهزما ايضًا شر هزيمة انفصلت بها النوبة وكانت مقتلة الرومانيين فظيعة اشبه بيوم اليا او بوم كني فامتلأت قلوب الرومانيين رعبًا وتوقعوا هجوم البرابرة على ايطاليا ولكنهم عفوا عنهم وقتئذٍ وتحولوا قاصدين غزوة غاليا منتشرين فيها وانخنوا في اسبانيا وعاثوا ايضًا فانتعش الرومانيون ونشطوا وتاهبوا لقتال اخر عند عودة العدو من تلك الاطراف ولما كان كل قوادهم الذين جهزوهم الى حرب هولاء البرابرة قد انهزموا ايقنوا انهُ لا سبيل للظفر الا بتفويض الامر ليد ماريوس الذي ظفر بيوغرثا وفاق كل الرومانيين في عصرهِ في امور الحرب فانتخبوهُ قنصلاً كما تقدم وبعثوا بهِ الى غاليا سنة ١٠٤ ق.م

١٦. اما ماريوس فوجد العسكر قد حل بهِ الخوف والرعب من باس البرابرة ونكباتهِ السابقة فلم يجترئ على منازلة العدو الى ان يكون قد احسن ترويض عساكرهِ وتدريبهم في ابواب القتال وفنونهِ وبقي على ذلك نحو سنتين والرومانيون يعيدون انتخابهُ قنصلاً كل سنة على خلاف السنَّة لانهم لم يثقوا بغيرهِ في هذه الاحوال الصعبة وفي سنة ١٠٣ ق.م. عاد البرابرة من اسبانيا واطراف غاليا واجمعوا على غزوة ايطاليا وشطروا قوتهم لكي يهاجموها من جهتين في وقت واحد فسار السمبريون وفي صحبتهم الهلفاثيون شرقًا وراء الالب قصد النزول الى ايطاليا من الجهات الشمالية اما التوتونيون ومن معهم فتوجهوا الى نهر الرون قاصدين قطع الالب من تلك الاطراف والنزول الى ايطاليا من جهة الغرب وكان ماريوس في وادي الرون متوقعًا قدومهم فلما اتوا لم يبادر لقتالهم بل بقي في معسكرهِ اذ كانوا خلقًا كثيرًا ومعهم نساؤُهم ومواشيهم وكل اموالهم لانهم قومٌ رحّل يعيشون من البلاد التي يغزونها ولما علموا ان ماريوس لا يهاجمهم اوقعوا بجالة الرومانيين فلم ينالوهم بسوء فدفعهم الرومانيون وهذا اول فوزٍ نالوهُ في محاربة هذهِ القبيلة المخيفة فتشددوا وحرّضوا ماريوس على منازلتهم في ساحة القتال ولكنهُ تربص عن الامر ولم يقدم عليهِ. اما التوتونيون فعيروهُ لنكوصهِ عن مبارزتهم ومروا بهِ متوجهين الى ايطاليا وكان عددهم عظيمًا جدًّا قيل انهم بقوا ستة ايام حتى انتهى مرورهم بجالة الرومانيين ولما اجتازوا خرج ماريوس من محلتهِ يقتصُّ اثرهم ويراقبهم منتظرًا فرصة موافقة لمهاجمتهم وهم على حين

ماريوس في غاليا

حرب التوتونيين

غفلة فاتفق في بعض الايام انهُ اتخذ محلاً منيعاً على مقربة منهم ولم يكن فيهِ ماء فبعث من عسكرهِ نفراً يستقون من جدول في ناحية العدو فاوقع بهم شرذمة من البرابرة وعظم الخطب واتسع نطاق الجلاد حتى عم القتال واستعرت لظى الحرب اطراف ذلك النهار ولم يظفر احد الفريقين بالغلبة ثم بعد يومين فتك البرابرة بالرومانيين في محلتهم وكان القتال اشد من ذي قبل وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين واظهر ماريوس من الباس والبسالة ما القى الشغب في صفوف البرابرة فوقعوا في حيرة وارتباك واذ اوقعت بهم فرقة رومانية من خلفهم انهزموا واشتبك بعضهم ببعض فاعمل الرومانيون السيف في اقفيتهم وكانت نكبتهم عظيمة لا يحيط بها وصف لان اكثر الذين نجوا من سيف الرومانيين انتحروا وقاتل النساء ايضاً عند الاثقال وهلكنَ فبادت الامة باسرها ولم يقع بيد ماريوس غير نفر يسير فغنم من الاسلاب والذخائر شيئاً كثيراً وبعد ان انتقى منها بعضاً لاجل حفلة موكب النصرة نضد ما بقي من المتاع كومة كبيرة واحرقها تقدمة للالهة وفي اثناء ذلك اتاهُ وفد من رومية يبشرهُ بانتخابهِ للقنصلية مرة خامسة فتفاءل بذلك وشكر الآلهة

حرب السمبريين سنة ١٠١ ق.م

١٧. اما السمبريون فكانوا قد علوا الالب من جهة جرمانيا ونزلوا الى وادي البو وكان قتلس رفيق ماريوس قد سار للقائهم فانثنى خوفاً وانتشر البرابرة في البلاد ناهبين وشتوا فيها مترفين بنفائسها. اما ماريوس فبعد نصرتهِ المذكورة عاد الى رومية مؤيَّداً غير انهُ لم يلبث فيها بل جدَّ السير الى وادي البو لمنازلة العدو المخيف والتقى بهم هناك سنة ١٠١ ق.م. وكان القتال شديداً اذ حرَّموا على انفسهم ان لم يفوزوا بالغلبة فكانت الدائرة عليهم فانهزموا وولوا مدبرين الى معسكرهم حيث كانت نساؤهم يحرسنَ الاهبة فلما رأين رجالهنَّ منهزمين عيرنهم وشهرنَ عليهم السيوف فهلكوا عن اخرهم وأَمن الرومانيون شرهم

رجوع ماريوس الى رومية وارتقاؤهُ للقنصلية مرة سادسة سنة ١٠٠ ق.م

١٨. ثم عاد ماريوس الى رومية مؤيَّداً منصوراً وفاز بموكب حافل بهيج لنصرتهِ العظيمة وقابلهُ آلهُ وذووهُ بالترحاب والاحتفاء والاجلال ولولا قليلَ لانزلوهُ منزلة الالهة لانهم قد انفرجوا من ضيقتهم بواسطتهِ بعد ما كان قد حل بهم الخوف الشديد واليأس المريب واعتبروهُ منقذهم الفريد من شر البرابرة الطغاة. ولما طلب القنصلية مرة سادسة لسنة ١٠٠ ق.م. انتخبوهُ ايضاً وهذا ما لم يسبق لهُ مثيل في تاريخ رومية. اما ماريوس فكانت غايتهُ في ذلك خفض شان الاماثل المتغطرسين لانهم اهانوهُ وقاوموهُ لما طلب القنصلية اولاً لدناءة

نسبهِ فحقد عليهم ساعتئذٍ وعزم على ان ينتقم منهم الا انهُ كان منهمكاً في الحروب المار ذكرها عدة سنين ولما فرغ منها صمم على ما كان ينويهِ فابتغى القنصلية مرة اخرى لانجاز مرامهِ فنالها وجدَّ في غايتهِ كما سيجيء

١٩. وحدث في مدة هذه الحروب المذكورة ان عبيد سيسيليا ثاروا ثانيةً وقد مرَّ ذكر الثورة الاولى (انظر ف ٤ رقم ٢١) وكان عند اخمادها ان اناساً من الاحرار قد أُستعبدوا قهراً لانهم ساعدوا العبيد فشكوا ظلامتهم الى رومية ولم ينصفوا فثاروا على ظالميهم وابتدأ الامر في ايطاليا ثم امتد الى سيسيليا حيث قام كثيرون على مواليهم وكان في مقدمتهم رجل كيليكي الاصل يسمى اثينيون ادعى الوحي وان ملكهُ كان امراً مقدوراً وقائد اخر يسمى تريفون قيل انهُ سوري الاصل فاتفقا على مقاومة الموالي وقويت شوكة العبيد فغزوا ونهبوا واستولوا على جانب عظيم من الجزيرة وحجزوا الحبوب وسائر الاقوات فضاق الامر بالموالي فاستصرخوا رومية وكانت مشتغلة يومئذٍ بحروب البرابرة كما تقدم ومع ذلك بعثت جيشاً يبلغ نحو ١٤٠٠٠ مقاتل الى نجدتهم سنة ١٠٤ ق.م. ولما اقتتلوا مع العبيد هزموهم وشتتوا شملهم غير ان اثينيون لمَّ شعثهم ايضاً واستانف القتال واستمرَّ على ما كان عليهِ الى سنة ١٠١ ق.م. ثم بذلت رومية جهدها وبعثت جيشاً اخر تحت قيادة القنصل رفيق ماريوس فاجرى الحرب باكثر شدة لكنهُ لم يتمكن من اخماد الثورة الا بعد مضي سنتين وكانت مدتها من بداءتها نحو خمس سنين

ثورة العبيد الثانية سنة ١٠٤—٩٩ ق.م

٢٠. ثم تقلد ماريوس منصبهُ مرة سادسة كما ذكر سنة ١٠٠ ق.م. وفي تلك السنة ولد يوليوس قيصر الشهير في الشهر الملقب بهِ (اي يوليه وهو تموز) وكانت امراة ماريوس عمتهُ وكانت ولادة شيشرو الخطيب الشهير قبل ذلك بست سنين اي في سنة ١٠٦ ق.م. التي فيها ايضاً ولد بمبيوس الكبير منازع يوليوس في الملك كما ستعلم

ولادة يوليوس قيصر سنة ١٠٠ ق.م

اما ماريوس فتفرغ وقتئذٍ لاجراء مقاصدهِ في شان الاماثل وعمد الى نقض النظام الاساسي قصد النكاية فيهم لكنهُ لم يكن اهلاً لاشتراع نظامات جديدة فانهُ كان خليماً في فنون الحرب فقط وغير مدرَّب ولا خبير بامور السياسة وهمَّ الاماثل في انتخاب متلس خصم ماريوس السابق عوضاً عنهُ فحبط مسعاهم وانتخب رجل يسمى سَتُرْنينس للتريبونية وهو من حزب ماريوس واخر يسمى غلوسيا للپريتورية وجدَّ الثلثة في سن الشرائع المجحفة بحقوق الاماثل منها منح ارزاق وافرة لعساكر ماريوس الايطاليين والرومانيين واقامة مهاجر

اعمال ماريوس وسترنينس وغاوسيا لهذه الغاية في وادي البو وافريقية وسيسيليا واخائية وغيرها من الولايات ومنها ان يقدم للمهاجرين الى هذه الكولونيات دراهم من بيت المال يشترون بها ادوات فلاحة ومواشي ومنها ان يعطي الرومانيون حنطة بثمن بخس لا يعتد به لكي يعيش فقراء رومية الذين بلا رزق ولا مهنة. ومنها ان يحلف اعضاء المشيخة اليمين باجراء الشريعة الاولى من جهة الارزاق فحلفوا جميعًا ما عدا متلس فنفي غير ان الاماثل اثاروا ثورة عظيمة ولا سيما حين انتخاب القناصل للسنة التالية وصرحوا جهرًا ان غاوسيا وسترنينس المذكورين عدوان

الثورة الدان لرومية ودمهما مباح فنهضا في رجالهما واعتصموا بحصن الكبتول فالتزم ماريوس ان يحاصرهم فاستامنوا اليه فامنهم الا انه لم يقدر على حفظ الذمام اذ قام عليهم اراذل الاماثل وقتلوهم على رغمه

انحطاط ماريوس ٢١. ثم تقوى حزب الاماثل وسقطت همة ماريوس فلم يرضَ به الشعب اذ قلت ثقتهم به ولما انتهت سنة قنصليته السادسة لم ينتخب للسنة التالية بل ضايقه الاماثل حتى اعتزل عن رومية واعادوا متلس خصمه الى منصبه ورجعوا الى ما كانوا عليه سابقًا من

اعمال دروسس سنة ٩١ ق.م الصولة والتسلط الى ان قام مرقس دروسس بن دروسس خصم كايوس غرقس (انظر رقم ٩) وكان هذا قد انتخب للتريبونية سنة ٩١ ق.م. ورأى ظلم الاماثل وفساد الامور فعزم على اصلاحها وكان حازمًا حسن السيرة فاراد التسوية بين الفريقين لا اخضاع احدهما للاخر وكان من اهم غاياته المصالحة بين اعضاء المشيخة ورتبة الفرسان التي رقاها كايوس دون المشيخة كما تقدم ومنها انصاف الايطاليين ومنحهم امتيازات رعايا رومية فنجح بعض النجاح في الامر الاول وقرر بان القضاة ينتخبون من الرتبتين على السواء خلافًا للائحة كايوس التي جعلت الاكثرية للفرسان كما علمت اما الامر الثاني اي انصاف الايطاليين فلم يتم له اجراؤه لانه كان غير مرضيّ للخاصة والعامة فان محبة الذات كانت اقوى من محبة الانصاف ولم يريدوا اعلاء رتبة مخالفيهم حتى يستوي الامر بينهم فتحامل عليه الجميع وقتل في الثورة . وقال وهو ينزع متى يرزق الوطن ابنًا اخر نظيري يعني بذلك انه جدّ في التسوية بين العموم وندر من حذا حذوه كما يتضح من اخبارهم

حرب الحالفين سنة ٩٠—٨٨ ق.م ٢٢. ثم حدثت حرب اهلية تسمى حرب الحالفين والمراد بالاحلاف قبائل ايطاليا التي كانت مقيمة على طاعة رومية منذ اخضاعها شبه الجزيرة بعد حرب بروس فحظيت تلك القبائل بحماية رومية وبعض امتيازاتها وسموا محالفين خلافًا للاتينيين الذين حسبوا

من الرعايا واراد المحالفون الانتظام في رعوية رومية لكي ينالوا كل امتيازاتها فابى الرومانيون قبولهم كما ذكر فثار المحالفون سنة ٩٠ ق . م. وعصوا على رومية واعتصبوا وتعاهدوا على مقاومتها الى ان يبلغوا شؤلهم او يغلبوها فاحدثوا جمهورية ايطالية نظير جمهورية رومية واتخذوا لانفسهم قناصل وعمالاً لباقي المناصب واتحد ثمانٍ من قبائلهم في هذه الجمهورية منها السمنيون واللوكانيون والمرسيون وغيرهم من اعداء رومية الندماء اما الايتروسكيون والامبريون واللاتينيون فظلوا على طاعتها وحدثت هذه الحرب فجأةً ولم تكن رومية على استعداد فضاق بها الامر وكادت تهلك لان معظم اهالي شبه الجزيرة خلعوا طاعتها فارسلت جنودها لمقاتلتهم فهزموهم شرَّ هزيمة وذلك ليس في وقعة واحدة بل في وقائع عديدة فهلعت قلوبهم وكادت تطير شعاعًا واحجموا عن الغارة فلما راى ولاة الامور ما كان من الخطر المحدق برومية في هذه الحرب اعادوا ماريوس ورأسوهُ على بعض جندهم واستغاثوا بالولايات لتمدهم بالعساكر والمهمات فلما اتتهم النجدة اخذوا يتقوون ويتشددون وكان السبب في خلاصهم من تلك الورطة والشدة المهاجر التي كانت رومية قد انشأتها في اطراف البلاد في اماكن منيعة فان اهلها كانوا رومانيين ولم يعصوها حين خروج المحالفين فتشددت رومية بهم وظهرت حكمتها الفائقة في تاسيس تلك المهاجر

مساعي ماريوس

٣٢. اما ماريوس فلما استلم قيادة بعض الجنود جهزت المشيخة معهُ احد القنصلين ليراقبهُ اذ اوجست خيفةً منهُ وولي القنصل ادارة الحرب دون ماريوس لكنهُ انهزم ولو لم ينجدهُ ماريوس بفرقتهِ لهلك الرومانيون عن بكرة ابيهم فسطا على الاعداء وفتك بهم فتكًا ذريعًا وظفر بهم في عدة وقائع الاَّ انهُ سئم الحرب لانهُ كان صديق المحالفين وعدو الاماثل فاعتزل عنها بعد حين بحجة انهُ شيخ فانٍ واهي القوى وقد عجز عن احتمال اتعابها وكان نائبهُ سلاَّ المار ذكرهُ في حرب يوغرثا قد اظهر من البأس والدراية ما حمل الناس على تفويض قيادة الجيش اليهِ بعد اعتزال ماريوس فنجح سلاَّ نجاحًا عظيمًا كما ستعلم . ولما

منح بعض المحالفين امتيازات الرومانيين

رات رومية هزيمة جنودها وصولة المحالفين وباسهم ندمت على قساوتها وظلمها فرسمت أن يمنح للمحالفين الذين لم يخرجوا عن طاعتها ما كانوا قد طلبوهُ من حقوق الرعية وكذلك لمن يرجع من الخارجين فورًا الى طاعتها ولما شاع الخبر عند المحالفين تزعزع امرهم واختل لان البعض تركوهم وانتظموا في طاعة رومية غير انهُ اشترط عليهم أن ينجزوا ذلك في مدة ستين يومًا وان يحضروا الى رومية لكتابة اسمائهم اما جمهور العصاة فتشبثوا بما كانوا

عليهِ وقاتلوا الرومانيين اشد قتال غيران رومية تفوقت عليهم شيئًا فشيئًا حتى غلبتهم وظهر في تلك الحرب كنيوس بمپيوس الشهير الذي كان عمرهُ حينئذٍ سبع عشرة سنة وكان مع ابيهِ قائد الجيش الذي قهر العدو في السنة الثانية للحرب وافتتح مدينة أسقُلم مصدر الخيانة في مقاطعة پِسينُم فدكها وكان سلاّ امير الجيش في الاطراف الجنوبية فغزا العصاة وبدد شملهم وتم اخضاعهم سنة ٨٨ق٠م٠ ومما حملهم على ذلك تفضل رومية بالامتيازات التي انعمت بها على الذين رضخوا لها سابقًا اذ كانوا ياتون الى رومية لينالوها

خضوع العصاة سنة ٨٨ق م

ترقية سلا سنة ٨٨ ق٠م

٣٤٠ اما سلاّ فاكتسب شهرة عظيمة وذكرًا طيبًا جميلاً لاجل مساعيهِ الجليلة ومآثرهِ النفيسة في هذه الحرب فانتخب للقنصلية لسنة ٨٨ ق ٠م٠ ولما شبت نار الحرب بين رومية وبين مثرِدانيس ملك بنطس وعظم الامر حتى اضطرت الى تجهيز جيش عرمرم عين سلاّ لقيادتهِ اذ كان اشهر قوادها وامهرهم وقتئذٍ . اما ماريوس فتكبّر لتولي هذه الخطة السامية وان كان قد اعتزل فيما مضى حرب المحالفين لانهُ كان يحسد سلاّ حسدًا شديدًا ولم يرضَ برفعة شانهِ فذهب الى رومية واخذ يسعى ويجدّ في اعادة سطوتهِ السابقة واستمالة الناس اليهِ فيعطفون عليهِ دون سلاّ ولكن لم يتهيأ لهُ منعهُ عن تولي قيادة الجيش المجهز الى حرب مثرِدانيس على انهُ قام في ذلك الوقت احد التريبونيين المسمى سُلپِشيوس وقاوم الاماثل وهيج الفتنة في رومية فقُتِل فيها ابن القنصل رفيق سلاّ ولم يسلم هو نفسهُ الا بالهرب فخرج عاجلاً الى جنودهِ وقدم سلپشيوس المذكور رقيمًا للعامة بعزلهِ من قيادة الجيش وتولية ماريوس مكانهُ فتقررت ولما علم سلاّ وجنودهُ بما كان استشاطوا غضبًا ونهضوا وساروا اساعتهم واتوا رومية فجأةً واستولوا عليها دفعةً واحدة اذ كان ماريوس وحزبهُ على غرّة ثم اجتمع الشعب الى سلاّ وحكموا على ماريوس وبعض رفقائهِ بالموت فقتل سلپشيوس اما ماريوس ففرّ ونجا بنفسهِ الى البحر وركب سفينة قاصدة افريقية فلم يمكنها السفر اذ لم تجرِ الرياح وفق مشتهاها فخرج ماريوس الى البر وافتضح امرهُ فقبض عليهِ وأُلقي في السجن وحكم عليهِ بالاعدام فضرب عنقهُ عبدٌ من امة السمبريين الذين قهرهم ماريوس كما تقدم وكان قد عرفهُ في ساحة الحرب وعاين منظرهُ الهائل في اثنائها وقد ارتسم ذلك المنظر المخيف في ذهنهِ فلما اتاهُ في السجن والتفت اليهِ ماريوس واخذ يخاطبهُ بصوت جهير وعيناهُ تتألقان كالبرق اقشعر العبد واجفل مدبرًا وقال اني لا اجترئُ على قتل كايوس ماريوس فافلت من انياب المنية بعد ان كادت

عودة ماريوس

استيلاء سلا على رومية

هرب ماريوس

تنشب اظفارها فيهِ ونزل في سفينة اخرى وسار الى افريقية غير ان واليها لم يرخص لهُ بالاقامة هناك فعاد الى البحر ونزل في بعض الجزائر واقام فيها مسلمًا امرهُ للقدر وسياتي ذكر ذالك في محلهِ

اعمال سلاَّ وسيرهُ الى حرب مثرداتيس سنة ٨٧ ق.م

٣٥. اما سلاَّ فبعد ما استولى على رومية نسخ سنن ماريوس وحزبهِ وخفض شان السفلة واعلى شان الاماثل ثم سار بجنوده الى حرب مثرداتيس سنة ٨٧ ق.م. وما لبث ان انقدت نيران الفتن والمنازعات في رومية بعد ما فارقها سلا والسبب في ذلك ان سنّا احد القنصلين لتلك السنة كان شديد البغضة للاماثل وكتم الامر مدة بقاء سلاَّ في ايطاليا خوفًا منهُ ولكن لما سار بجنوده الى الشرق اظهر ما كان يخفيهِ فعرض بعض مقترحات مفادها خفض الاماثل وترقية السفلة ولاسيما الرعايا الدخلا من المحالفين وتجديد سنن سلبيشيوس وارجاع ماريوس وقومهِ. اما اقتافيوس رفيقهُ فقاومهُ اذ كان من حزب سلاَّ فهاج الاماثل وحدث شغب عظيم وفتنة في دار الندوة التي تسمى الفورُم وانهزم سنا ومن معهُ وطردوا من رومية فالتجأُوا الى كمپانيا وهيج الشعب فتعصب لهُ وطيب نفوس العسكر فعكفوا عليهِ وتعلقوا بهِ فسار الى رومية بجيش ونازلها اما ماريوس فلما سمع بتقلبات الاحوال جدّ للمسير نحوها ولما وصل الى حدود ايتروريا ومعهُ شرذمة من اصحابهِ اجتمع اليهِ قوم يبلغ عددهم ٦٠٠٠ مقاتل واستولى ماريوس على اوستيا فرضة رومية بان منع عنها القمح الوارد اليها بحرًا فضايقها ثم قدم اليها واشترك مع سنا في حصارها فاشتد الامر بها حتى التزمت ان تستنجد قوادها الذين كانوا يحاربون بعض المحالفين في جهات مختلفة اذ كانوا لم يخضعوا لرومية بعد كالسمنيين واللوكانيين غير ان سنا وماريوس ومن معهما افتتحوها قبل وصول النجدة

اعمال سنا وطردهُ

رجوع ماريوس

مظالم سنا وماريوس

٣٦. ثم اخذ سنا وماريوس في الإثآر من اعدائهما اصحاب سلاَّ فقتلوهم وارسلوا عليهم عساكرهم وعبيدهم ينهبون ويسلبون بيوت الاماثل ويعيثون فيها كيف شاءوا مدة طويلة واسرف ماريوس في الجور والظلم وافرط في العنف والعزة على اعدائهِ وفتك بهم فتكًا ذريعًا كالوحش الضاري وانتزعت من قلبهِ الرحمة كانهُ الشيطان الرجيم وادرك غايتهُ العظمى التي كان يضمرها منذ سنين كثيرة وهي قنصلية سابعة لان ساحرة كانت قد انبأتهُ بها فلم ينلها الاَّ خرقًا واغتصابًا وبيان ذلك ان سنا وماريوس لما اكملا ما سولت لهما النفس من النقمة والنكاية شرعا ينظمان السياسة على هوى انفسهما فاستاثرا بالقنصلية

موت ماريوس — فتم لماريوس مرادهُ ولكنهُ لم يتمتع بها الا قليلاً لانهُ افرط في الملاهي والسكر فادركتهُ المنية بعد اثني عشر يوماً من ولايتهِ وكان قد بلغ السبعين من العمر ونال من الرفعة والشرف والعزة والمجد ما لم يحظَ بهِ غيرهُ غير انهُ اساء السيرة في اواخر حياتهِ فمات ذليلاً مهاناً سنة ٨٦ ق.م. فاستبد سنّا بالقنصلية نحو سنتين بعد ذلك وعين رجلاً يسمى فلاقس معاوناً لهُ واجرى ما زينتهُ لهُ نفسهُ في سياسة الرومانيين الى رجوع سلا كما تقدم

حرب مثرداتيس — ٣٧. وكان مثرداتيس قد غزا اسيا الصغرى وذبح الرومانيين فيها كما ذكر في اخبارهِ (راجع ك٣.ق٢.ف٥.رقم١٥) ثم بعث سرية من جنودهِ الى بلاد اليونان واستولى على اثينا سنة ٨٧ ق.م. فلما اتى سلا استردها وهزم جيوش مثرداتيس في السنة التالية وكان عازماً على المسير الى اسيا حين اتى فلاقس من رومية لينوب عنهُ في هذه الحرب الا انهُ قتل غيلة وخلفهُ في امرة الجيش نائبهُ المدعو فمبريا فعبر البحر وقهر مثرداتيس في بيثينية وهو منهمك في بلاد اليونان وتراكية في اخضاع الخوارج اعوان مثرداتيس ولما فرغ من ذلك توجه الى اسيا وكان مثرداتيس قد انهزم كما تقدم فطلب المسالمة واذ كانت الوحشة متمكنة والنفرة شديدة بين سلا وحزب ماريوس وسنا وكان يودّ ان يرجع من فورهِ الى ايطاليا لمقاومة اعدائهِ هناك صالحهُ فانتهت الحرب سنة ٨٤ ق.م.

عودة سلا سنة ٨٣ ق.م — ثم حوّل سلا قوتهُ الى فمبريا واستمال قلوب عسكرهِ فانحازوا اليهِ وخذلوا فمبريا وهجروا لواءهُ فلما رأى هذا ما كان انتحر فخلا الجو لسلا لاجراء اغراضهِ ونواياهُ فعاد الى ايطاليا سنة ٨٣ ق.م. وقبل رجوعهِ بعث رسولاً الى المشيخة وولاة الامور يخبرهم بانهُ آتٍ وعند وصولهِ سيقيم الحد على المجرمين اعداء رومية يعني بذلك اعداءهُ فتيقن سنا وحزبهُ انهُ لا بد من قتال شديد

اعمال سنا وقاربو — ٣٨. اما سنا فكان قد استأثر بالقنصلية اربع سنوات متوالية وكان ظهيرهُ حينئذٍ رجل يسمى قاربو فلما تحققا قدوم سلا حشدا من تيسر لهما جمعهُ من الجنود وخرجا لمقاتلتهِ غير انهما لم يحسنا ادارة الجند وضبط امورهِ بشدة ودقة فنبذ فريق منهم الطاعة ورفعوا ايديهم على سنا وقتلوهُ اما قاربو فاساء السيرة فيهم ونفر الناس منهُ ولما قدم سلا هزم جنود

هزيمة قاربو سنة ٨٣ ق.م — قاربو في كمپانيا وشتا هناك سنة ٨٣ ق.م. وما بعدها ومال الناس عن سنا اليهِ ولا سيما الاماثل الذين ظلمهم قاربو وماريوس بن ماريوس السابق فانهُ تعين للقنصلية مع

قاربو لسنة ٨٣ ق.م. وحذا حذو ابيهِ في البغضة للامائل وفي هذه السنة سار قاربو في جيش لمقاتلة نبيوس ومتلس اللذين حاربا سلا وجمعا جنودًا في الشمال اما ماريوس فسار للقائهِ واعتصم بحصن يسمى برينستي ثم خرج وقاتل سلا فانهزم وخذلهُ العسكر فهرب واحتمى بالحصن المذكور وبعث الى رومية يامر بقتل اصحاب سلا قبل وصولهِ اذ علم انهُ لامانع يحول دون افتتاح المدينة فامتثل نائبهُ امرهُ وقتل كثيرين اما سلا فتقدم ودخل رومية بلا معارض ثم خرج منها وسار الى ايتروريا لمقاتلة قاربو الذي كان قادمًا لنجدة ماريوس فلما واقع سلا واقتتلا كانت الغلبة على قاربو وبهزيمته تمت الكسرة وبالجهد كاد ينجو من سيف عدوهِ فافلت والتجأ الى افريقية ولاذ قائد اخر من حزبهِ يقال لهُ سرتوريوس باسبانيا ثم عاد سلا بمن معهُ الى محاربة ماريوس الذي كان متحصنًا في برينستي ولما احدقوا بهِ اتفق قدوم جند عظيم مولف من سمنيين ولوكانيين وغيرهم من الخارجين على رومية وكان في مقدمتهم قائد شهير يسمى بنتيوس تلسينس فعمد الى مهاجمة رومية وافتتاحها بغتة في غياب سلا ولكنهُ كشف امرهُ قبل انجازهِ فناجزهُ سلا واستعرت لظى الحرب واستمر القتال نهارًا وليلاً بطولهما غيران السمنيين ومن معهم انهزموا اخيرًا وقيل انهُ قتل بهذه الواقعة خمسون الفًا نصفهم من الرومانيين ولما هالك ماريوس ورأى قومهُ ما كان اذعنوا لطاعتهِ رهبةً وفتحوا ابواب برينستي لسلا ثم خضع من بقي من حزبهِ في ايطاليا فاصبح سلا زعيم رومية

هزيمة ماريوس الاصغر

هزيمة السمنيين وافتتاح برينستي

ظلم سلا

٣٩. ولما تمكن سلا من غلبة اعدائهِ ركب هواهُ منفذًا لاغراضهِ السيئة فابدى من الجور والغلظة والعنف ما لم يسبق لهُ مثال في رومية وكان يحنق على ماريوس منذ زمان طويل اذ كان قد اهانهُ لما كان في خدمتهِ في بعض الحروب وكان سلا قد انتدب وَولي خفارة السراة فلما رأى ان ماريوس وحزبهُ قد ساموهم سوء العذاب عزم على النقمة منهم والنكاية بهم اذا امكنتهُ الفرصة فحصل الآن على المرغوب واسرف في القتل وتمادى في السلب والنهب والعيث وسفك الدم حتى سالت شوارع رومية بهِ انهارًا وتخضبت جدرانها ولم يحصر ذلك في رومية فعمّ المصاب سائر انحاء البلاد لانهُ بدأَ بقتل ستة الاف من السمنيين الذين كان قد اسرهم في الحرب ثم وضع السيف في المارين من الخاصة والعامة واطلق العنان لعسكرهِ يقتلون وينهبون من شاءُوا ولما لم يظفر بكل من اراد اعدامهم كتب اسماءهم في دفاتر علقها على جدران الاسواق حتى يقرأها الناس وهدر دمهم

لكي يقتلهم من يشاء ويسلب اموالهم . ومن كان عدوًّا لاحد محازبيهِ او أُتهم بانهُ طمع باغتصاب شيءٍ من عقارهم فكان اذا بلغ امرهُ كتب سلا اسمهُ في سجل وسلط خصمهُ عليهِ لينتقم منهُ على هواهُ . قيل انهُ هلك من رتبة المشيخة مئة ومن رتبة الفرسان الالف ومن عامة الناس خلق لا يحصى وفي كل الاطراف دكت ونُسِفت المدن بعد انقراض سكانها

قتل الناس

ولم يقتصر على ارافة الدماء في ايطاليا فبعث من ينجز مشيئته الخبيثة في الولايات وطارد المار بين في جميع الاقطار ومن مالأهُ وظاهرهُ على اقتراف هذه الفواحش والكبائر بمبيوس المذكور الذي دوّخ سيسيليا وافريقية اما يوليوس قيصر فاراد سلاً قتلهُ لانهُ من ذوي قرابة ماريوس وكان قد تزوج امراة من اقرباء سنا وعمرهُ حينئذٍ نحو ١٨ سنة فامرهُ سلاً ان يطلق امراتهُ اولاً فابى وهرب وتنكر في بعض الجبال وتبعهُ اناس ليقتلوهُ لكنهُ نجا ثم شفع فيهِ بعض اصحابهِ فعفا عنهُ اخيرًا وقال ان ذلك الشاب فيهِ عدة ماريوسيون اي كان فيهِ من باس ماريوس وحذقهِ وقدرتهِ ما يفوقهُ كثيرًا وصدق قولهُ

ذكر يوليوس قيصر

تنظيم سلا السياسة

٣٠. ثم شرع سلاً بنظّم امور السياسة على ما يوافق ذوقهُ اي رفع شان الخاصة واذلال الدون فتعين دكتاتورًا اي اتخذ الحكم المطلق لكي يتصرف في السياسة كيف شاء ويتسلط على الناس واموالهم بلا منازع

ترقية شان المشيخة

واذ كانت المشيخة قد تناقصت كثيرًا لان ماريوس كان قد قتل كثيرين من اعضائها وقتل سلاً اكثر من مئة منهم اضاف على من بقي ما يكمل عددهم السابق وهو ثلاث مئة عضو من خاصتهِ وأمر بان يرخص للمشيخة وحدها تقديم مقترحات جديدة دون مجالس العامة وفرض ايضًا ان يختار جميع القضاة من رتبة المشيخة دون رتبة الفرسان التي كان يحقد عليها فرفع شان المشيخة للغاية كما لا يخفى وكان اشد نظاماتهِ اذلالاً للدون نظامهُ المجحف بديوان العامة اذ سلبهُ حقوقهُ وامتيازاتهِ الخاصة ولم يرخص لهُ ان يعرض امرًا على المجمع ولا ان يعارض اجراء ما قررهُ مجمع الخاصة ومن انتخب للتريبونية منع من تولي سائر المناصب مدة حياتهِ فتعذر عليهِ كل ارتقاء فيما بعد ولم يبقَ للتريبونيين من حقوقهم الا حماية الدون من ظلم سائر اصحاب المناصب ونزع من مجلس العامة حق انتخاب الكهنة الذين جعلهم رتبة مستقلة تعين اعضاءها من نفسها

اذلال التريبونيين

ونزع سلاً من سجل الرعايا الدخلاء الذين كانوا من حزب ماريوس لكنهُ منح نحو

عشرة الاف من العبيد العتقاء حقوق التبعة ومنح عساكرهُ عقارًا في ايطاليا من املاك الذين قتلهم واستولى على اموالهم قبل ان عدد الذين انعم عليهم نحو مئة وعشرين الفًا فيا مل | نصيب العساكر

ولما فرغ سلاَّ من تنظيمهِ السياسة تخلى عن مقام الحاكم المطلق الذي تقلدهُ منذ سنتين واعتزل رومية وانفرد في عقارلهِ وتجنب السياسة حتى يتفرغ للهو والترف والتنعم بلا انقطاع فجرى فيها كل مجرى الاَّ انهُ لم يدع شيئًا من سطوتهِ لانَّ العسكر الذي كان قد اغناهُ كان امينًا لهُ يقوم باتمام كل ما يشتهيهِ ان حدث امرٌ لا يرغبهُ فعلم الناس ان اعتزالهُ بالظاهر فقط وان سلطتهُ لا تزال مطلقة واوامرهُ نافذة فمن خالف مشيئتهُ فاحترزوا من ذلك مدة حياتهِ ولكن لم يتمتع بما كان عليهِ الأمدة وجيزة لانهُ انفجر لهُ عرق فمات سنة ٧٨ ق.م. وكان قد مضى عليهِ نحو سنة منذ اعتزالهِ واقامت لهُ المشيخة جنازة حافلة وخطَّ لهُ ضريح كتب على حجرتهِ قبل موتهِ لم يحسن اليَّ احدٌ الاَّ واثبتهُ ولم يظلمني احد الا عاقبتهُ .اهـ. فصدق في قولهِ لان هذه سجيةٌ الخاصة | تخلي سلا | موت سلا

٢١٠ وعلى اثر وفاة سلا اخذ الناس في نقض سننهِ فنجم عن ذلك شغب في رومية واعمالها لان الاماثل صمموا على اثبات ما قررهُ سلا لترقية شانهم وكان عظيمهم وقتئذٍ بمبيوس الذي اشتهر كثيرًا فيما سبق ببأسهِ وشجاعتهِ واحبهُ العسكر وكان سلا قد بعثهُ الى جهات شتى ليحارب اعداءهُ من حزب الماريين فظفر بهم جميعًا وعظم شانهُ حتى كان سلا يخشى منهُ شرًّا فامرهُ ان يتنحى عن قيادة الجيوش ويرجع الى رومية ففعل اذ لم يرد الخيانة غير ان عسكرهُ استاءوا من هذا الامر ولو اومأ اليهم بمبيوس لكانوا خرجوا على سلا فلما توفي هذا لم يكن من حزب الاماثل نظير بمبيوس في امور الحرب | بمبيوس

اما السفلة فلم يكن لهم حينئذٍ قائد شهير او رئيس خبير غير انهُ قام قنصل يسمى لبدُس وعد الى الغاء بعض سنن سلا الا انهُ لم يتم مرادهُ ولما انصرمت سنة قنصليتهِ سار الى بعض الولايات حسب عادة القناصل لكنهُ خرج على رومية وحشد جنودهُ وسار فيها لمهاجمتها وعند وصولهِ الى ايتروريا اهاج عامة الناس وحرضهم على العصيان فارتعدت المشيخة وفوضت امر محاربتهِ الى بمبيوس فزحف عليهِ بجيشهِ وهزمهُ ثلاث مرات فهرب لبدُس الى سردينيا حيث هلك بعد ذلك بقليل | خيانة لبدُس

امر سرتوريوس في اسبانيا

٣٣. وكان من قواد العصاة قائد يقال له پرپرنا وقد نجا في شرذمة من العسكر الى اسبانيا وكان سرتوريوس المذكور (رقم ٢٨) قد تشدد واستحكم امرهُ واستولى على البلاد وكان حاذقًا حازمًا فاستمال اليهِ خواطر الناس ورتب امورهم السياسية والحربية على احسن منوال وادخل التمدن الى البلاد ورقّى شان السكان واحسن سيرتهُ فيهم ورفق بهم فتمكنت محبتهُ في قلوب الرعية واخلصوا له الطاعة واستبد بذلك نحو ثمان سنين فخرجت اسبانيا عن طاعة المشيخة وحزب الاماثل فلما راوا ما كان من امر سرتوريوس جهزوا پمپيوس عليهِ بعد هزيمة لبدس وبعثوا متلس ظهيرًا له ولما اتى پمپيوس الى اسبانيا هاجم الخونة غير انهُ عجز عن قهرهم وكاد يهلك في بعض الوقائع لولا مجيء متلس لنجدتهِ وربما كان تعذر عليهِ اخضاع سرتوريوس فقام عليهِ پرپرنا وقتلهُ وخلفهُ في مقامهِ لكنهُ لم يكن نظيرهُ فلم يحسن التدبير ولما قدم پمپيوس عليهِ هزمهُ شرّ هزيمة واسرهُ واستسلم الخونة فانتهت الحرب سنة ٧٢ ق.م

فتنة المصارعين

٣٤. اما ايطاليا فاصابتها فتنة مخيفة ضايقتها جدًّا وهي فتنة قوم يقال لهم الكلاديانوريين اي المجالدين بالسيوف وكانت للرومانيين عادة خبيثة وهي انهم كانوا يجعلون العبيد الاسرى يلاعبون او يصارعون بعضهم بعضًا في الميدان لتسلية الناس فكانوا يقتلون بعضهم البعض مكرهين على ذلك وكانوا يقاتلون الوحوش الضارية ايضًا فان الرومانيين جلبوا شيئًا كثيرًا منها الى رومية لتلك الغاية واقاموا مدارس لهولاء القوم حيث يتمرنون ويتهيأُون لهذه المهنة الشنيعة وكانوا قد كثروا في كل اطراف ايطاليا ولم يرضِ الناس ملهًى غيرها

امر اسبرتكس

وكان من هولاء القوم رجل تراكي الجنس يسمى اسپرتَكُس كان رئيسًا في بلادهِ اسرهُ الرومانيون في بعض حروبهم واتوا بهِ الى كپوا وجعلوهُ مجالدًا بالسيف اما هو فكره الاقامة في هذه المهنة الشاقة وعزم على الخروج منها ولما كان ذا سطوة عظيمة على رفقائهِ حثهم على الخيانة فقاموا وافلتوا من رق العبودية ولاذوا بجبل بزوف ونادوا بالعبيد فتقاطروا اليهم حتى بلغ عددهم زهاء مئة الف ثم جعلوا يغزون ويسلبون ويقتلون ويغنمون الغنائم ودوخوا البلاد كلها مدة نحو سنتين ولا وازع يردعهم ويكف اذيتهم غير ان رومية بعثت بجنودها لمقاتلتهم فهزموا اربعة جيوش لها واخيرًا قام قائد يسمى قرَسُس فتغلب عليهم واخمد الثورة سنة ٧١ ق.م. واسر ستة الاف منهم وصلبهم على قارعة الطريق تخويفًا لمن بقي غير انهُ نجا نحو خمسة الاف منهم وساروا الى جهة غاليا واتفق ان پمپيوس كان عائدًا بجنوده

من اسبانيا وصادفهم في مسيرهم فاوقع بهم وقتلهم عن اخرهم ثم تقدم واحتفل في رومية الاحتفال النصري واستفحل امرهُ فارتقى الى القنصلية لسنة ٧٠ ق.م وكان رفيقهُ قرسس

٢٤. وكان انتخاب بمبيوس وقرسس على خلاف السنة لانهما كانا لم يبلغا حينئذٍ العمر المعين لبلوغ هذا المنصب ولكن كانت سطوة بمبيوس عظيمة فطيب قلوب الناس حتى خرقوا السنة لاجلهِ لانهم توقعوا فوائد جمة من قنصليتهِ اوحشة كانت حينئذٍ بينهُ وبين الاماثل فلما ارتقى الى هذا المنصب شرع في الغاء بعض سنن سلا واول ما فعلهُ الغاء ما قررهُ سلا في اذلال التر يبونية حتى عادت الى ما كانت عليهِ من السلطة ثم نزع عن المشيخة حق تعيين القضاة كلهم وابقى لها تعيين ثلثهم فقط ومما فعلهُ ايضاً تجديد منصب السنسورية التي الغاها سلا فتعين السنسوران اللذان عزلا ٦٤ عضواً من اعضاء المشيخة لافسادهم في امور السياسة فقاومت المشيخة مطاليب بمبيوس اشد مقاومة لكنها تقررت على رغمها وكان ممن تحزبوا معهُ وايدوا امرهُ وقتئذٍ شيشرو الخطيب ويوليوس قيصر الذي ولج امور السياسة وهو حديث السن وابدى من الذكاء والنجابة ما حمل بعضهم على توقع امور عظيمة منهُ اما بمبيوس فلم يتصور ما كان فيهِ من القدرة ولم يخف منهُ سوءًا ومما دل على باسهِ وشدة عزمهِ انهُ لما كان سائرًا الى جزيرة رودس لدرس الفلسفة على بعض مشاهير اليونان حدث ان لصوص البحر قبضوا عليهِ ولم يطلقوهُ ما لم يتعهد بتأدية مبلغ وافر من الدراهم. فادى لهم ضعفهُ ثم لما أُفرج عنهُ وأُعتق جهز بعض بوارج وتاثر اللصوص وغلبهم واخذهم وصلبهم جميعًا وكافاهم على شرهم وعاد الى ما كان قاصدهُ لكنهُ لم يلبث في رودس طويلاً لانهُ انتشبت حرب اخرى لرومية مع مثرداتيس فسار الى اسيا وولي امور الحروب ولما فرغ منها عاد الى رومية وتولى امور السياسة ولم يزل على ذلك حتى فاز بالسلطة المطلقة واستبد بالرئاسة

اما شيشرو فرغب في درس الفلسفة والعلوم والفصاحة وذهب الى بلاد اليونان وقرأ العلوم على اشهرهم في تلك البلاد وفي رودس وفي اسيا الصغرى ولما عاد الى رومية في نحو سنة ٧٧ ق.م. كان قد تضلع في الفصاحة والبلاغة وحاز قصب السبق في كثير من العلوم ونبغ في الفلسفة فباشر امور المجالس ورؤية الدعاوي فأمسى اول فقيهٍ ومحامٍ في رومية واقبل على السياسة بجد وهمة ايضاً بغية الارتقاء فتدرج في مراقي العلا الى اعلى المناصب كما سياتي ان شاء الله

قنصلية بمبيوس وقرسس سنة ٧٠ ق.م

واذلال الاماثل

ذكر يوليوس قيصر

ذكر شيشرو

حرب لصوص البحر سنة ٦٧ ق٠م

٣٥. اما بمبوس فلما انتهت قنصليته لم يتقلد منصبًا اخر بل تخلى عن السياسة ظاهرًا الا انه استبد بما كان عليهِ من السطوة وكان عظيم رومية وفي سنة ٦٧ ق٠م تعين لقيادة جنود رومية في حرب لصوص البحر وكانوا قد كثروا جدًّا وسطوا على بحر الروم كلهِ من شواطئهِ فينيقية الى بوغاز جبل طارق ولم يدعوا سفينة تسير فيهِ الا غرموها حتى تطرقوا الى البر ايضًا قيل انهم نهبوا اربع مئة مدينة وباعوا الوفًا من اهاليها عبيدًا وتعدوا على شطوط ايطاليا ونهبوا اوستيا فرضة رومية ودفعتهم جراءتهم الى البر فاوغلوا فيهِ حتى انتهوا الى السكة السلطانية المؤدية من رومية الى كپوا فاسروا قائدين من قواد رومية مع حاجبيهما وعادوا بهم الى سفنهم فاشتدت وطأتهم وضايقوا رومية كل المضايقة وازالوا سطوتها بحرًا فمنعوا عنها ورود المراكب من الجهات فضاق بها الامر واشتد عوزها للحبوب واشرفت على الجوع اذ لم يكن في ايطاليا ما يكفيها. هذا سوى ما تحملتهُ من العار لتسلط اللصوص عليها وهي تدعي انها سيدة العالم . وكانت قد جهزت عليهم القواد في بوارجها لكنهم لم ينجحوا الا قليلاً فبقي اللصوص مستولين على البحر ثم ثار العامة في رومية وهاجوا وتشكوا من الامائل وقرفوهم وقالوا انهم قد جلبوا هذا العار عليهم بسياستهم الفاسدة فعرض احد التريبونيين المسمى غبينيوس على الجمع ان يعين بمبوس لقيادة الجنود وان يطلق لهُ التصرف بها بحرًا على مدى خمسين ميلاً من الشطوط برًّا لمدة ثلاث سنين وان يقدم لهُ خمس مئة بارجة وجيش عرمرم فابت الامائل هذا الامر لكنهم لم يقدروا على منعهِ فتقرر وفاز بمبوس بمنصب لم يفز بهِ غيرهُ فيما سبق فشرع في اجراء ما وكل اليهِ ولم يمضِ غير اربعين يومًا الا وهو قد طرد اللصوص من كل اطراف البحر الغربية ثم توجه الى الشرق وكان اللصوص قد اعتصموا بجبال كيليكية التي كانت صعبة المسالك وكانوا كلما انكسروا بحرًا التجأوا اليها فتعذر على قواد رومية اخراجهم منها اما بمبوس فلما وافاهم هزمهم اولاً بحرًا ثم هاجمهم برًّا وطردهم حتى ضاقت بهم الارض فسألوهُ الامان فامنهم على انهُ اجلاهم عن كيليكية وفرقهم في الجهات حتى لا يتحدوا فيما بعد وكان عدد الذين اسرهم نحو عشرين الفًا وكانت كل مدة الحرب من اولها الى اخرها نحو ٨٩ يومًا وكان الناس قد فوضوا اليهِ الامر المطلق لمدة ثلث سنين ظانين انهُ لا يقدر على انجازهِ باقل من ذلك فعظم صيتهُ كثيرًا ولم يكن لهُ حينئذٍ كفوء من الرومانيين ثم تولى حرب بنطس كما سيأتي

تولية بمبوس الحرب

خروج مثرداتيس ملك بنطس

٣٦. قد ذكرنا فيما سبق بعض امور مثرداتيس ملك بنطس ومحاربته رومية (راجع ك٢. ق٢. ف٥. رقم ١٤-١٧ ورقم ٣٧ من هذا الفصل) والآن نقول ان مثرداتيس اثار ثلاث حروب على الرومانيين قام بالاولى سلاّ كما تقدم سنة ٨٤ ق.م. اما الثانية فانتشبت في السنة التالية اذ هاجمهُ مورينا قائد رومية في اسيا وقتئذٍ وهزمهُ مثرداتيس ولكنهُ صالح الرومانيين سنة ٨٣ ق.م. ثم في نحو سنة ٧٤ ق.م. اثار حربًا ثالثة اشتدت على الرومانيين وبعثوا قائدًا يقال لهُ لُقلُّس ليتولى امرها فهزم مثرداتيس وطاردهُ حتى التجأ الى تيغرانيس ملك ارمينية نخفرهُ واجارهُ فزحف عليهِ لقلس وهزمهُ ايضًا والزمهُ ان يكف عن نجدة مثرداتيس وكاد لقلس يستولي على بلادهِ باسرها الا ان جنودهُ كلَّت عزيمتهم وخارت قواهم واعيوا من اتعاب الحرب ومشاقها وبرمهم الاسفار الطويلة الشاسعة فتعدوا عن القتال فالجأ لقلس الحال ان يعود الى اسيا الصغرى بعد ان ظفر بالعدو ورتب امور اسيا ومهدها واصلح سياستها وكان اعداؤهُ في رومية كثيرين فحسدوهُ وحقدوا عليهِ لنجاحهِ فقرفوهُ واتهموهُ بانهُ كان يطيل الحرب بغية اطالة ولايتهِ على الجيش وكان الامر هكذا لما كان بمبيوس منهمكًا بحرب اللصوص فسعى محازبوهُ في رومية وعنوا بامره وقلدوهُ الزعامة في حرب مثرداتيس عوض لقلس وبعثوا قائدًا يقال لهُ غلابريو يستلم جنوده حتى يفرغ بمبيوس مما كان فيهِ فلما انهى حرب اللصوص تولى حرب مثرداتيس وكان ذلك سنة ٦٦ ق.م. فسار بجيش كثير الى بنطس وقهر ملكها واستولى عليها فهرب مثرداتيس مجفلًا الى القرم حيث انتحر سنة ٦٣ ق.م. وقد تقدم ذكر هذه الامور في اخبار بنطس ثم سار بمبيوس الى سورية وتولى امرها واستقر في دمشق حيث دعا اليهِ الملوك والرؤساء من اطراف البلاد ومن وفد عليهِ ومثل بين يديهِ أرِستوبولس وهركانس رئيسا اليهود فحدث ما حدث من امرها (انظر ك٢. ق٢. ف٤. رقم ٢٣) ثم قدم بمبيوس الى اورشليم وافتتحها كما تقدم في اخبارها وتعجب مما راهُ في الهيكل الا انهُ لم ينهبهُ ثم بعد ان فرغ من تدبير امور سورية وفلسطين واصلاح شؤونها عاد الى رومية مؤيدًا منصورًا سنة ٦١ ق.م

تولية بمبيوس حرب مثرداتيس سنة ٦٦ ق.م

اعمال لقلس

اعماله في سورية

ثورة قتلينا سنة ٦٣ ق.م

٣٧. وحدث في رومية في غضون غياب بمبيوس عنها ثورة عظيمة تسمى الثورة القتلينية نسبة الى مهيجها قتلينا وهو من الخاصة احد اعضاء المشيخة وكان ذا جمال جبارًا قوي البنية لكنهُ سيئ الخُلق والسيرة افرط في الملاهي والتصوف وتوغل في الفسق

والخلاعة وبذر امواله فساءت احواله لقلة ذات يده ووفرة الديون التي لزمته فاراد انقلاب السياسة وخراب المدينة لكي ينجو من ضيقه وكان من اصحاب سلا فلما شرع في قتل العباد وسلب الاموال تمادى قتلينا في المظالم الكبيرة وبلغ منها كل مبلغ حتى انه قتل اخاه لكي يحوز امواله فاثرى مما سلبه في ايام سلا لكنه انفق كل امواله في الفجور وامسى فقيرًا وكان من الاماثل الاحداث من اقتفى اثره وضلوا سبيلاً فكان رئيسًا لهم ولما عمد الى الخيانة والثورة ليتخلص من ضيقاته انفقوا معه وعظم الامر حتى اوشكت رومية ان تهلك من شرهم وكان قتلينا قد جدّ في طلب بعض المناصب السياسية لكي يتمكن من وسائط الظلم والسلب والرشوة وفاز بالبريتورية وتولى ولاية افريقية فاسرف في ظلمها وسلبها فابطرته النعمة وبذخ كالسابق فلم يلبث طويلاً حتى افتقر وكان على هذه الحال سنة ٦٦ ق.م. لما طلب القنصلية لسنة ٦٥ لكنه لم يظفر بها فسعى في اهاجة الفتنة في السنة التالية الا ان الاحوال كانت غير موافقة فاخرها الى حين ثم طلب القنصلية ثانيةً لسنة ٦٣ ق.م. فحبطت مساعيه وخابت امانيه اذ سابقه شيشرو الشهير وانتخب مع رفيق يسمى انطونيوس ثم عزم قتلينا على ارتكاب امرٍ فظيعٍ وهو قتل القنصلين يوم تقلدهما منصبهما واختلاس الملك واشترك في مكيدته هذه رفقاؤه الاشرار خاصة وعامة الذين لم يرجوا الارتقاء والتخلص من ديونهم وضيقاتهم الا بانقلاب السياسة فزينت لهم انفسهم الثورة

تدبير شيشرو

٢٨. اما شيشرو فكشف عن دخيلة امرهم قبل انجازه فكان على حذر وابطل مكايدهم اذ تتبع امورهم حتى ادرك غايتها وهم غافلون لا يشعرون بشيء وعلم كل مساعيهم ومقاصدهم ثم اجتمعت المشيخة فدخل قتلينا وجلس في مكانه غير مكترث بما كان يضمره من العصيان فلما رآه شيشرو غضب ونهض وتلا على مسامعهم ارتجالاً خطبة نفيسة بيّن فيها كل امور الخيانة بالبراهين واومأ الى قتلينا والقى عليه درك جرائمه العظيمة واظهر جليًّا ما كان قد فعله وما كان عاقدًا نيته على فعله فشق كلامه على قتلينا حتى لم يطق احتماله فهرب من قاعة المشيخة اما اعضاؤها الباقون فاندهشوا مما قاله شيشرو وتاثروا كثيرًا وقرروا أن يتخذ كل الوسائط والاحتياطات اللازمة لاخماد هذه الثورة المخيفة التي غايتها خراب المدينة وقتل الناس وانقلاب السياسة اما قتلينا فايقن انه قد عجز عن اتمام مقاصده في رومية اذ افتضح امره فخرج وجمع جنودًا وذخائر

الحرب في بعض جبال ابتروريا وجدَّ في السير الى معسكرهِ بغية مهاجمة رومية لعلهُ يفتحها عنوة قبل ان تستعد لمقاومتهِ اما شيشرو فبذل جهدهُ في دفعهِ وجهز عليهِ جيشًا في مقدمتهِ انطونيوس رفيقهُ ولما التقى الجمعان اشتد القتال لان العصاة ايقنوا ان لا سبيل لهم للنجاة الاَّ بالغلبة فتعاهدوا على الموت وقاتلوا قتال المستبسلين حتى هلكوا عن اخرهم وجاهد قتلينا في مقدمتهم جهادًا عنيفًا ولما سقط في حومة الوغى تراكم عليهِ القتلى الذين قتلهم هو او قتلهم اصحابهُ حين سقوطهِ وظفروا بجثتهِ فالفوها مثقوبة الصدر مثخنة بالجراح

٣٩. وكان قد بقي قوم من العصاة في رومية ليثيروا شغبًا اذا امكنتهم الفرصة ويساعدوا قتلينا ان اتى الاَّ ان شيشرو عرف دسائسهم وقبض عليهم وقتل بعضهم بدون محاكمة اذ كان الخطر عظيمًا وخيانتهم ظاهرة لخشيتهِ انهم يحاولون الفرار خفية او يضرموا النار في المدينة ويخربوها وكان البحث في امرهم طويلًا وخطب شيشرو ثلاث خطب في شأنهم غير الخطبة الاولى المذكورة وكانت هذه الخطب غاية في الفصاحة وآية بينة في البلاغة وكان لها في القلوب وقع وفي النفوس تاثير وهي تعتبر من اجمل وانفس بقايا اللغة اللاتينية وتسمى الخطب القتلينية وحدث بين اعضاء المشيخة اختلاف في امر المجرمين فرأى البعض وجوب قتلهم حالًا وآخرون انهم يبقون تحت الحفظ مدة حياتهم اذ لا يجوز قتل روماني او جلدهُ من دون محاكمة هذا المجمع ومن عضدوا الراي الاول قاتو المشهور لاستقامة سيرتهِ وطيب سريرتهِ وممارستهِ فضائل الرومانيين القدماء ومن عضدوا الراي الثاني قيصر الذي ظن بعضهم ان لهُ علاقة مع العصاة وانهُ اتحد معهم لو نجحوا فيما قصدوا غير ان هذه التهمة ليس لها ما يثبتها اما اكثرية اعضاء المشيخة فلما بين لهم شيشرو ما كان المجرمون عليهِ من الخبث وفساد الطوية والمقاصد السيئة وافقوهُ على رايهِ وحكموا عليهم بالموت فعُلِّقوا في تلك الليلة ولما ايقن الناس هلاكهم فرحوا واستبشروا بشيشرو ولقبوهُ بابي الوطن وكانت نهاية الثورة سنة ٦٣ ق.م

حال المجرمين في رومية

٤٠. ولما انتهت سنة قنصلية شيشرو ابدى اعداؤهُ من المقاومة لهُ ما الجأهُ ان يدخل في ذمام غيرهِ من عظماء رومية وكان اشدهم صولة وقتئذٍ قيصر فسرَّ بهِ العامة لانهُ انفق مبالغ وافرة على ما يلذ لهم ويلهيهم فاخذ شيشرو يتملقهُ اذ خاف من عداوتهِ اما قيصر فلم يمل اليهِ وكان قاتو مهيبًا مستقيمًا غير انهُ كان متكبرًا يحتقر عامة الناس فلم يألفوهُ وكان اغنى الرومانيين حينئذٍ قرسّس ففرّق اموالًا كثيرة ليستميل اليهِ الناس

مقام قيصر

قاتو قرسس

ويطيّب قلوبهم لكنهُ لم يفز بسطوة قيصر اذ لم يكن كفوءًا له في الدهاء فتودَّد اليهِ لكي ينتفع من سطوتهِ واقرضهُ مبالغ عظيمة من الدراهم ولاسيما لما تولَّى قيصر اسبانيا فسار اليها سنة ٦١ ق.م. وضبطها احسن ضبط وتعلَّقت بهِ قلوب عساكرهِ فكلفوا بهِ جدًّا وكان لهم بمنزلة الملك

عودة بمبيوس ٤١. اما بمبيوس فعاد من الشرق سنة ٦١ ق.م. وكانت المشيخة قلقة موجسة خشية ان يقبض على عنان السياسة بقوة جيشهِ ويختلس الملك فيذل الاماثل ويخضد شوكتهم غير انهُ لما وصل الى برندسيوم في ايطاليا خلى السبيل لعسكرهِ وقدم الى رومية في شرذمة فقط فتعجب الناس من فعلهِ وفرحوا اذ ازال خوفهم غير ان المشيخة لم تأمنهُ ولم تامر بدخولهِ محتفلاً بهِ حتى بعد حين ولما طلب منها تقرير ما رتبهُ في سياسة الشرق ابت فاستشاط غضبًا وزادهُ غيظًا انهُ كان قد وعد عساكرهُ بانهُ يُفرَض لهم رواتب في ايطاليا كما فعل سلّا فرفضت المشيخة طلبهُ فلما راى بمبيوس عداوتها كظم غيظهُ واضمر لها السوء

احتفالهُ النصري وعزم على النقمة فاخذ جانب العامة وصار يتودَّد اليهم. اما احتفالهُ النصري الذي أُذِنت فيهِ المشيخة اخيرًا فكان افخر ما عاينتهُ رومية لذلك العهد فانهُ سار في موكبهِ ٣٢٤ اميرًا من سلالة الملوك وكانت الغنائم التي غنمها لاتحصى فانهُ كان قد افتتح ٩٠٠ مدينة و١٠٠٠ حصن واستولى على ٨٠٠ بارجة ودفع الى بيت المال ٢٠٠٠٠ وزنة من الذهب اي ما نوازي قيمتهُ خمسة الاف الف ليرة انكليزية

عودة قيصر وانتخابه للقنصلية سنة ٥٩ ق.م ٤٣. ثم عاد قيصر الى رومية سنة ٦٠ ق.م. وكان قد عظم امرهُ في اسبانيا كما مر واستغنى فاوفى بعض ديونهِ وعقب ذلك أن سأل الدخول الى المدينة رسميًّا محتفلاً بهِ لكنهُ رام القنصلية ايضًا لسنة ٥٩ ق.م . فما كان يسوغ انتخابهُ وهو خارج المدينة ولم يجز دخولهُ بموكبٍ حافل ما لم تاذن المشيخة في ذلك فارجأت حفلتهُ لكي تمنع انتخابهُ فلما راى ما كان من نيتها عدل عن طلب الحفلة وتخلى عن منصبهِ فدخل وتعرض للقنصلية فانتخب باكثرية عظيمة لميل الجمهور اليهِ اما الاماثل فقاوموهُ وحقدوا عليهِ كما حقدوا على بمبيوس فاتفق هذان على مناوأة الاماثل مع انهما كانا يتناربان في السياسة فعضد قيصر مطاليب بمبيوس المار ذكرها وعضد بمبيوس مطاليب قيصر التي منها قسمة الاملاك في كمپانيا على عساكرهِ ثم عقدا عهدًا مع قرسس ايضًا على ان كلاًّ منهم يعضد امر رفيقيهِ ويقتسمون السياسة بينهم وتسمي هذا الاتفاق تريومڤيراتس اي حكومة الثلاثة

اعمال قيصر في القنصلية

٤٣. ولما تولى قيصر القنصلية اخذ في اتمام مقاصد الثلاثة وعرض على المجمع مقترحات مآلها ارضاء العامة . منها قسمة الارزاق على عساكر بمپيوس وعلى الفقراء ولما كانت المشاعة قد قُسمت وفُرقت على الناس سابقًا افترح بان تُشترى اراضٍ لاتمام المراد فتقرر ذلك الاَّ ان الاماثل قاوموهُ اشد مقاومة وحدث شغب هائل في المدينة عاد عليهم بالخيبة والفشل وكان رفيق قيصر من حزبهم وعجز عن تثبيطهِ فتنحى عن الامور حتى سار القول على سبيل المزاح ان قنصلي تلك السنة **يوليوس وقيصر** وكاد قيصر يتصرف تصرف حاكم مطلق وربما سولت له نفسهُ الملك في ذلك الوقت الا انهُ راى بمپيوس يميل الى ذلك فايقن انهُ لابد من منازعتهِ فيهِ فعمد الى الوسائط اللازمة لكي يتمكن من قهره عند المباراة وطلب الى مجلس العامة تقرير ولاية غاليا القربى له لمدة خمس سنين بعد سنة قنصليتهِ فتقرر طلبهُ على رغم المشيخة وبعد ذلك تولى غاليا القصوى ايضًا فتمكن من الفرصة لجمع جيش قوي وتدريبهِ لاثارة الحرب على رومية فيما بعد وتولى هذا المنصب سنة ٥٨ ق.م

قلوديوس والنفي شيشرو

٤٤. وانتخب للتريبونية لسنة ٥٨ ق.م. رجل يسمى قلوديوس وكان عدوًّا الد لشيشرو فالتمس من المجمع نفيهُ لما اقترفهُ مدة قنصليتهِ من قتل المجرمين بلا محاكمة في مجمع العامة مع انهُ اجرى ما امرت بهِ المشيخة وما سمحت بهِ الاحوال فتقرر نفيهُ فنفصل من الوطن حزينًا وأُخذت امواله الى بيت المال وهدمت بيوتهُ وكان ذلك ظلمًا

قاتو

وعدوانًا . اما قاتو فقاوم قلوديوس وحزبهُ مقاومة عنيفة فعمد الى خلعهِ ايضًا الاَّ انهُ لم يجد فيهِ ادنى علة للنفي فاقترح على المجمع أن يرسل الى جزيرة قبرص ويفوض اليهِ عزل ملكها وجعلها ولاية لرومية فتقرر وكان غرضهُ ابعاد قاتو عن رومية وايقاعهُ في المهلكة لكنهُ ذهب وقضى ما انتدب اليهِ بهمة ونشاط وامانة فعظم صيتهُ وفشا ذكرهُ اكثر من

استرجاع شيشرو

السابق . اما ما كان من شيشرو فانهُ عند انقضاء ولاية قلوديوس بعض اصحابهِ وخالفوا قلوديوس وحزبهُ والغوا ونقضوا القرار المقضي بهِ على شيشرو بالنفي واسترجعوهُ فعاد الى رومية مؤيدًا الاَّ انهُ لم يتعاطَ امور السياسة بل اعتزل وعكف على الدرس والتأليف واتى بمصنفات نفيسة تحسب من اجود كتب الرومانيين

اما بمپيوس فكان يعضد قلوديوس اولاً ثم خذلهُ ونصب لهُ الشر وجاهر بعدوانهِ ومال الى حزب المشيخة ووقعت وحشة بينهُ وبين قرسس ايضًا وعظم الامر حتى كاد يفضي

الى وقوع حرب اهلية والتزم قيصر ان يصلح بين الفريقين فانهُ جمع بينهما ودعاهما الى الوفاق بان يطالبا القنصلية لسنة ٥٥ ق.م. وابد امرهم على شرط ان يقرر لنفسهِ ولاية غاليا القربى والقصوى لمدة خمس سنين اخرى اي عشر سنين من سنة ٥٨ ق.م.

قنصلية بمبيوس وقرسس سنة ٥٥ ق.م وتجديد حكومة الثلاثة

فجرى الاتفاق وارتقى بمبيوس وقرسس الى القنصلية وتجددت حكومة الثلاثة ولما انتهت سنتهما اتخذ بمبيوس ولاية اسبانيا اما قرسس فتولى سورية وحرب الفرثيين وكان شديد الطمع ولم يبالِ بشيء غير السلب والنهب وعدم الانصاف في حكومتهِ فلما وصل الى اورشليم نهب الهيكل وظلم الناس ثم سار لمقاتلة الفرثيين ظلمًا وعدوانًا اذ لم تكن حرب حينئذ ارومية معهم ولم يحسن التدبير اذ احتقر العدو واستخف بهِ حاسبًا اياهم كالبرابرة الذين لا طاقة لهم على مقاومة الرومانيين فعبر الفرات وفتح بعض المدن ثم عاد وشتا في سورية. ثم في سنة ٥٣ ق.م. زحف وعبر الفرات ايضًا وحارب الفرثيين في نواحي نهر الخابور واشتد القتال كامل النهار وتضايق الرومانيون تعبًا وظمأً وهلك منهم خلق كثير وعجزوا عن القتال ولما خيَّم الظلام قفلوا راجعين وتركوا اربعة آلاف من الجرحى والمرضى في ساحة القتال فذبحهم العدو واقتفوا اثار الرومانيين وضايقوهم واذاقوهم جهد البلاء حتى خابرهم قرسس في المهادنة لكنهم قبضوا عليهِ غدرًا حين المخابرة وقتلوهُ وقطعوا راسهُ ويديهِ وبعثوا بها الى ملكهم اما من بقي من الرومانيين فولوا مدبرين الى سورية ولم ينجُ منهم غير نفر قليل فخسروا نحو ثلثين الفًا من القتلى والاسرى وكانت هذه من اشد النكبات التي المت بجنود رومية فاعتز الفرثيون وغزوا سورية ودوخوها

حرب الفرثيين وموت قرسس سنة ٥٣ ق.م

اعمال

٤٥. اما بمبيوس فلم يذهب الى ولايتهِ بل بعث قسمًا من جيشهِ اليها واما هو فلم يبرح من رومية لانهُ اوجس من قيصر سوءًا ولم يشأ ان يدعهُ يستولي على رومية بل عزم على ان يستاثر بها دون قيصر ولم يكن لهُ ندًا او كفوًا من الرومانيين غيرهُ واستحكمت الوحشة بينهما وتماديا في اللجاج اذ علم كل منهما مقصد الاخر وحدث سنة ٥٣ ق.م. ان تخاصم قلوديوس المذكور ورجل يقال لهُ ميلو فقتل قلوديوس وافضى الامر اخيرًا الى فتنة متسعة الدائرة في رومية فلجأت المشيخة الى بمبيوس واركنت اليهِ لاصلاح الشؤون وتوطيد الامن والراحة ففعل اذ كان لهُ جيش قرب المدينة فخضعت لهُ وعجزت عن مقاومتهِ وانتخب قنصلاً بلا فريق وهذا امر لم يسبق لهُ مثال فقويت شوكتهُ وعظمت سطوتهُ

ثم شرع في محو سطوة قيصر وازالتها

اعمال قيصر في غاليا سنة ٥٨—٥١ ق.م

٤٦. اما قيصر فكان قد تشدد ورسخت قدمهُ في ولايتهِ وانفذ مقاصدهُ ذات الشان ونجح في كل مساعيهِ الخطيرة فتسلم ولايتهُ سنة ٥٨ ق.م. وفيها غزا غاليا القصوى وقهر قبيلة الهلفاتيين الساكنين بين جبال الالب الاَّ انهم هجروا الاوطان وتوغلوا في غاليا فاقتص قيصر اثرهم وطاردهم والزمهم الرجوع ثم ناوش جيشًا من الجرمانيين كانوا قد عبروا الرين واثخنوا في غاليا فالجأهم الى القفول الى بلادهم بعد خسارة عظيمة . وفي سنة ٥٧ اخضع البلجيين وهم امة من الاطراف الشمالية ودوخ جانبًا من أكوِتانيا وبعث احد قوادهِ الى وادي الرون لكنهُ انهزم فهاج بعض القبائل سنة ٥٦ وخرج على قيصر وعظم الخطر الاَّ انهُ اخضعهُ وسكنهُ وفي سنة ٥٥ ق.م. هاجمهُ الجرمانيون ايضًا فناوشهم وقهرهم ودفعهم الى ما وراء الرين ثم عبر النهر واثخن في بلادهم وفي تلك السنة جاز البحر الى بريطانيا وغلب بعض رؤسائها لكنهُ لم يتمكن من الاستيلاء على الجزيرة فعاد الى غاليا ليشتو فيها ولما بلغها وجد قبيلة الموريين قد رفعت راية العصيان فاخضعها وفي سنة ٥٤ق.م. هاجم بريطانيا ايضًا ولقي من اهلها مقاومة شديدة الاَّ انهُ غلبهم وضرب عليهم الجزية ثم عاد الى غاليا وكانت بعض قبائلها قد خانهُ فاضطر الى عقابهِ في ذلك الوقت اعني سنة ٥٤ وسنة ٥٣ ق.م. وثار اكثر الغاليين سنة ٥٢ ق.م. واتفقوا يدًا واحدة على محاربتهِ وكان في مقدمتهم رئيس يسمى فِرْسِنجِتُرِكْس وكان حاذقًا حازمًا ماهرًا مقدامًا فضايق قيصر وهزمهُ مرةً اخرى اذ لم يكن معهُ الاَّ نفر يسير اما قيصر فاحسن التدبير فكبت العدو وعنت لهُ رقاب العباد وانقادت لطاعتهِ اطراف البلاد وكان ذلك سنة ٥١ ق.م. فاستمرت على طاعة رومية وصارت غاليا القصوى من اجود ولاياتها

فتوحات قيصر

٤٧. ولما فرغ قيصر من اخضاع غاليا عمد الى الوسائل التي تمكنهُ من الاستيلاء على رومية وكان قد فشا ذكرهُ وذاعت شهرتهُ وتحدثت الركبان بنصراتهِ العظيمة وفتوحاتهِ الجليلة فانهُ كان في مدة ثمان سنين قد فتح نحو ٨٠٠ مدينة وغلب نحو ٣٠٠ قبيلة وحارب نحو ٣٠٠٠٠٠٠ من المقاتلين وقتل نحو ١٠٠٠٠٠٠ منهم واسر نحو ١٠٠٠٠٠٠

ولما بلغت اخبار هذه الامور رومية ابتهج الناس واستبشروا وقضوا منهُ العجب

واثنوا عليهِ وعظموا شانهُ حتى ان المشيخة انعمت عليهِ واحتفت بهِ مع انها احتسبت منهُ شرًّا فكانت هيبتهُ في رومية عظيمة في اثناء غيابهِ عنها فطلب القنصلية قبل نهاية مدة ولايتهِ على غاليا لانهُ توقع حسد بمبيوس وغيرهِ من اعدائهِ وانهم يدبرون على هلاكهِ ان عاد الى رومية بلا منصب وبلا جيش . اما بمبيوس فكانت قد استحكمت الوحشة بينهُ وبين قيصر بعد وفاة امراتهِ بنت قيصر فعزم على ممانعتهِ اشد ممانعة فلما طلب قيصر القنصلية عضد حزب اعدائهِ فلم يتعصب بل حث وحرض المشيخة ان تامر قيصر بالاعتزال عن ولايتهِ قبل انقضاء مدتها فاستشاط قيصر غضبًا واتخذ الوسائل لمقاومة بمبيوس وكان احد التريبونيين يسمى كوريو صديقًا لهُ فلما راى ما كان من نية بمبيوس نهض وطلب الى المشيخة ان يتخلى كل من بمبيوس وقيصر عن قيادة جنودهِ وعن منصبهِ فتقرر غيران بمبيوس لم يرضَ ولم تشا المشيخة ان يخلع من مقامهِ اذ حسبتهُ خفيرها الوحيد وحاميها من قيصر فثبت على ما كان عليهِ واقرت قيصر في منصبهِ ولم يزل اعداؤهُ يطلبون عزلهُ وكوريو يمانعهم حتى خاف كوريو على نفسهِ وهرب الى محلة قيصر واخبرهُ بما كان

مقاومة حزب بمبيوس لهُ

اما قيصر فلم يزحف بجنودهِ على رومية حالاً بل تربص في غاليا القربى واخذ يخابر المشيخة واعدًا اياها انهُ يمتثل امرها ويتخلى عن مقامهِ ان فعل بمبيوس كذلك غيرانها لم تقبل ذلك بل امرت بان يتخلى هو دون بمبيوس وعينت لهُ يومًا ان لم يطع فيهِ يقع تحت طائلة حكمها فلما بلغ قيصر ذلك ايقن ان لامناص الا الجهاد فتهيأ لهُ واجتاز حدود ولايتهِ وعبر نهر روبكون الواقع على طرف ولاية غاليا القربى مما يلي رومية فكان هذا عبارة عن اشهار الحرب والجهر بالعداوة لانهُ لم يجز لوالٍ ان يجتاز بجنودهِ حدود ولايتهِ الى املاك رومية بدون امر المشيخة فحسبوا هذا بداءة الحرب الاهلية وكان

قدوم قيصر وهرب بمبيوس

٤٨. اما مساعي قيصر فتدهش من غرابتها العقول لانهُ اقبل الى رومية في جيش غير عظيم لان اكثر عسكرهِ كان في غاليا بعيدًا عنهُ ولم ينتظر قدومهم اليهِ بل سار في ما تيسر من الجنود غير مكترث بقوة بمبيوس وحصانة رومية وسائر مدن ايطاليا . فلما سمع بمبيوس بقدومهِ ارتعدت فرائصهُ فرقًا وبارح رومية وتوجه الى كمبانيا ثم الى برنْدُسيوم ثم عبر البحر في من معهُ وحل في ايبروس ولم ينازل قيصر في ايطاليا البتة بل فرَّ منهُ

كانهٔ مقهور مع ان جيشهٔ كان اكثر من جيش قيصر وكان الاماثل اصحابهٔ يحثونهٔ على القتال لكنهٔ ابى واخلى ايطاليا بدون ادنى حرب واستولى خصمهٔ عليها باسرها في ثلاثة اشهر. والظاهر ان علة فرار پمپيوس فأَة اركانهِ الى باس قومهِ لانهم من الاماثل المترفين ومن لاذوا بهم ولم يكونوا مدربين ومتعودين خوض المعامع وركوب الاهوال وليسوا من اهل الباس كاصحاب قيصر واعوانهِ فظنهم لا يثبتون في النزال فينهزمون وراى انهُ ان كانت الدائرة عليهِ في شبه الجزيرة فلا مهرب لهُ وان قومهُ يخذلونهُ ويصدون عنهُ عند اول هزيمة وكان پمپيوس ذائع الصيت في المشرق حيث اجرى امورًا خطيرة وفعالاً جسيمة في ما سبق واذا استنفر القوم نفروا اليهِ افواجًا فعظم امرهُ. هذا ما ظنهُ بعضهم في امرهِ اذ تعجبوا من اخلائهِ ايطاليا بدون قتال وذهب بعضهم الى غير ذلك والله اعلم

استيلاء قيصر على رومية وايطاليا

٤٩. اما قيصر فلما راى پمپيوس ومن معهُ قد افاتوا وانهُ غير قادر على لحاقهم لعدم السفن عاد الى رومية ليتمكن من الاستيلاء عليها ويرتب امورها وامور ايطاليا قبل ان يسير لمحاربة اعدائهِ في اطراف المملكة ولما استولى على رومية عثر على خزائنها ونفائسها اذ اركن وكلاؤُها وخزّانها الى الفرار حين قدومهِ وتركوها فانتفع بها قيصر كثيرًا واعتزّ باستيلائهِ على عاصمة المملكة وظهر حينئذٍ انهُ الحاكم الحقيقي لان ارباب السياسة وذوي المقامات الرفيعة كانوا قد خلعوا مراكزهم فاجتمع اليهِ الناس حتى الذين تحزبوا اولاً مع پمپيوس وازدادت بطانتهُ ولما انسق لهُ امر ايطاليا انتظمت سيسيليا وسردينيا في طاعتهِ ايضًا وكانت غاليا على طاعتهِ من قبلُ فاصبح قطب الغرب كلهِ ما عدا اسبانيا فانها بقيت على طاعة پمپيوس فانهُ تملك افريقية والمشرق ايضًا وكان يمكنهُ ان يجمع جنوده ويهاجم قيصر من ثلاث جهات ولكنهُ لم يفعل بل تقعد الى ان استولى خصمهُ على اسبانيا ثم على المشرق كما سياتي. فسار اولاً الى اسبانيا. كانت مدينة مساليا في غاليا على طاعة پمپيوس فحاصرها منهُ ولم يستولِ عليها فتقدم وعلا جبال البرن ونزل في اسبانيا

مسيره الى اسبانيا سنة ٤٩ ق.م

حيث كان ثلاثة قوّاد من حزب پمپيوس مع جيوشهم فقاتلوا قيصر واعاقوهُ عن نوال مرامهِ الى حين الاّ انهُ حظي عند اهل البلاد واشرب قلبهم حبهُ فتقوى امرهُ وضعف اعداؤُهُ حتى سلموا لهُ وانتظم اكثر العسكر في طاعتهِ وجيشهِ ثم عاد الى مساليا فتسلمها صلحًا ثم توجه الى رومية وكان الناس قد عينوهُ دكتاتورًا في غيابهِ فتولّى الحكم المطلق

هودته الجمهورية وترتيب سياستها — واخذ ينظم امور السياسة الا انهُ تصرف بكل لطف وحذاقة ودراية ورفق ولم يظلم الناس كما فعل سلا وماريوس ولم يسئ الى احد ولو من اعدائهِ بل داراهم بلطفهِ فعفا عنهم واستخدم بعضهم في مناصب سياسية واحسن الى عاليا الفربي ومنحها امتيازات رعايا رومية واجرى اموراً كثيرة قصد بها خير الجميع وصلاح احوالهم ثم تخلى عن الدكتاتورية بعد ان تقلدها سبعة عشر يوماً وانتخب للقنصلية لسنة ٤٨ ق٠م

قدوم قيصر الى ابيروس سنة ٤٨ ق٠م — ٥٠. ثم قدم قيصر الى برندسيوم ليعبر البحر الى ابيروس وكان بمبيوس يحشد الجنود ويذخر المهمات ويجلبها من كل جهة مدة غياب قيصر في اسبانيا واشتغالهِ بتنظيم امور رومية واتخذ مركزهُ في مدينة دراخيوم في الليركون وكانت لهُ نحو خمس مئة سفينة تسير في بحر ادريا لتمنع عبور قيصر فانهُ وان لم يكن عندهُ بوارج جمع بعض السفن وانزل فيها جانباً من جيشهِ واقلع قاصداً ابيروس ومن اعجب الامور انهُ وصل سالماً اذ لم يشعر العدو بهِ ولم يمانعهُ فلما درى رئيس سفن بمبيوس بقدومهِ اقلع واوقع بسفنهِ وهي عائدة واستولى عليها فلم يقدر من بقي من جنودهِ على العبور الى ان جمعوا سفناً اخرى

وكانت جنود قيصر خمسة عشر الف مقاتل فقط وجنود خصمهِ خلق لا يحصى لكنهُ لم يقعد حيناً عن الهيجاء ولا هالتهُ كثرتهم بل اقدم على العدو وطلب النزال فلم يثق بمبيوس بعساكرهِ واحجم عن مبارزتهِ وتحصن في دراخيوم وفي محل اخر بالقرب منها على شاطئ البحر ولما راى قيصر انهُ لم ينازلهُ لبث في محلتهِ الى ان اتتهُ بقية جنودهِ وحاصر بمبيوس مع ان عسكرهُ اقل جداً من عسكر عدوهِ ثم ثارت ببمبيوس النخوة والحمية وهاجم

هزيمة قيصر — قيصر وطردهُ من مستحكماتهِ فتعذر عليه الحصار وسار الى تساليا في طلب المؤن والمهمات فتهلل قوم بمبيوس لنصرتهم الزهيدة وايقنوا بهلاك العدو وحثوا قائدهم ان يجد في اثرهِ ويتم هزيمتهُ وكانت هذه الغلبة سبباً لهلاك بمبيوس ومن معهُ اذ انشأت فيهم الافتخار والثقة بشوكتهم وباسهم وحملتهم على الازدراء بقيصر والعبث بهِ فتتبعوهُ الى تساليا واحتل الفريقان في ميدان فرساليا وكان مع بمبيوس زهاء ٤٥٠٠٠ مقاتل من الكماة ومن

معركة فرساليا سنة ٤٨ ق٠م — المتطوعة عدد لا يحصى ونحو ٧٠٠٠ فارس اما قيصر فكان معهُ نحو ٢٢٠٠٠ مدجج و١٠٠٠ فارس ومن المتطوعة نفرٌ يسير لا يعتد بهِ لكنهُ وثق ببسالة عساكرهِ المحنكين وطلب القتال حالاً . اما بمبيوس فتقاعس عن الكفاح مدة وكان الاماثل الذين معهُ يحرضونهُ

عليهِ كل يوم ويعيرونهُ انكولهِ واخذوا يتآمرون في تقسيم الغنائم ويتشاجرون فيها والقتال لم يجرِ بعد فكانوا على يقين من جهة النتيجة فعلم بمبيوس انهم غير اكفاء لجنود قيصر فلم يرغب في القتال غير انهُ ذعن اخيرًا للأماثل وخرج من محلتهِ واصطف عسكرهُ في الميدان فلما رآهم قيصر فرح وقدم للقائهم ولم يتربص حتى يبارزوهُ بل كرَّ عليهم وبطش بجيش بمبيوس وهزمهُ وطردهُ الى المحلة وهجم عليها واخذها عنوةً وهرب بمبيوس ونجا في نفر يسير وقد هلك من عسكرهِ نحو ستة الاف ما عدا المتطوعين ومن نجا منهم استامنوا الى قيصر وانخرط اكثرهم في سلك جيشهِ فلاطفهم واحسن اليهم حتى انهُ لم يقتل احدًا من الاماثل الذين اسرهم بل لطف بهم فالتصق بهِ كثيرون منهم وانضموا تحت لوائهِ وخذلوا بمبيوس . وخلاصة الامر ان الجيش الجرار الذي نازلهُ في معركة فرسالبا سنة ٤٨ لم يبقَ منهُ مع عدوهِ سوى نفر يسير

٥١. وهرب بمبيوس كما ذكر ولم يزل سائرًا حتى انتهى الى البحر ونزل في سفينة تجارية وذهب اولاً الى جزيرة لسبوس حيث كانت امرأتهُ كرنيليا وابنهُ سكستس فاخذها وساروا من هناك الى كيليكية ونزلوا بها مدة وجمع بمبيوس من تيسر لهُ من ارباب الرتب واولي العقد والحل في طاعتهِ وشاورهم في ما يجب عملهُ فقر الراي على انهم يلتجئون جميعًا الى مصر رجاء خفارة بطلميوس الصغير الذي كانت المشيخة قد اجلستهُ على سرير الملك مع اختهِ كليوبطرا وكان بمبيوس قد احسن الى ابيهما واولاها جميلاً فظن انهما يحسنان اليهِ في ضيقهِ ويرأفان بهِ واتفق حين قدومهِ الى مصر انهُ جرت حرب اهلية طردت فيها كليوبطرا ولاذت بسورية وجمعت جندًا وكانت راجعة الى مصر في اثناء ذلك ولما وصل بمبيوس وطلب الخفارة غدر بهِ وكلاء بطلميوس وقتلوهُ لئلاَّ يطمح الى التسلط على البلاد دونهم ويغلبهم ان اجاروهُ فقتل في القارب اثناء نزولهِ من السفينة الى البر ولما رات امرأتهُ ومن معها ما كان اقلعوا وهربوا ثم قطع راس بمبيوس وأُتي بهِ الى الملك اما جثتهُ فطرحوها في البحر غير ان عسكريًّا رومانيًّا انتشلهُ واحرقهُ ودفن رمادهُ في الشاطىء ثم نصب عليهِ حجرًا وكتب عليهِ بفحمة (بمبيوس الكبير) اذ كان هذا لقبهُ وهكذا انتهت حياة هذا البطل المغوار والاسد الكرار الذي تولى حماية ذمار رومية مدة وكان عميدها . وكانت وفاتهُ سنة ٤٨ ق.م. وهو في سن الثامنة والخمسين

هرب بمبيوس الى مصر وهلاكه سنة ٤٨ ق.م

مسير قيصر الى مصر ٥٣. اما قيصر فسلّم اغلب جنوده بعد وقعة فرساليا الى بعض قواده ليخضعوا سائر حزب بمبيوس في بلاد اليونان ثم جد في اثرهِ وقطع البحر الى اسيا ومن ثم الى مصر في السفن وكان معهُ اربعة الاف مقاتل فلما وصل الى اسكندرية وفد عليهِ اصحاب الملك وقدموا لهُ راس خصمهِ المقتول فاقشعر من رويتهِ وحزن عليهِ كثيرًا وامر بدفنهِ مكرمًا ثم اخذ يمهد سياسة مصر ولما رأى ما كانت كليوبطرا عليهِ من الجمال وذكاء العقل عشقها واقامها على الملك مع اخيها اما الوكلاء فلم يرضوا بذلك وساءهم الامر وهيجوا فتنة فنهض عامة الناس على قيصر وضايقوهُ اذ كان عسكرهُ قليلاً فانحصر في قصر ولما كان

ضيقه هناك يخاف ان يسدوا عليهِ الميناء اضرم النار بسفن المصريين فاحترقت وادركت النار مكتبة الاسكندرية العظيمة فاحترق اكثرها بغير ارادة قيصر

وبقي محصورًا وهو لا يجد سبيلاً للتخلص الى ان ياتي الله بالفتح واذ اتاهُ المدد من سورية أفرج عنهُ وخرج وبدد شمل المصريين واقرّ كليوبطرا على الملك على انها تتزوج

حرب فرناكيس أخيها الاصغر اذ هلك الاكبر ثم سار قيصر الى اسيا الصغرى لمحاربة فرناكيس بن مثرداتيس الذي كان قد استرد مملكة ابيهِ وغلب بعض قواد قيصر الذي باشر الحرب حين وصولهِ واتمها في مدة خمسة ايام اذ قهر فرناكيس واخذ مملكتهُ فبعث قيصر برقعة الى المشيخة يقول فيها اتيتُ رايتُ. غلبتُ . ثم توجه الى الغرب لان البمبيين كانوا قد جمعوا شملهم في بعض الاماكن واستعدوا لمقاومتهِ ولا سيما المقاومة في افريقية الا ان رومية بقيت

عودة قيصر الى رومية سنة ٤٧ ق.م على طاعتهِ وعطف عليهِ الناس في ايطاليا بعد سقوط بمبيوس ورجع قيصر الى رومية سنة ٤٧ ق.م وتعين دكتاتورًا ثانية وانتخبوهُ للتريبونية على مدى حياتهِ ولم يظلم اعداءهُ بل سامح كل من اطاعهُ ولم يسلب اموال احد الا من كان في جيش العدو وممن احسن اليهم شيشرو الذي خذل البمبيين واعرض عنهم عائدًا الى رومية

مسيره الى افريقية ٥٤. وبقي قيصر في رومية نحو ثلاثة اشهر ثم سار الى افريقية حيث كان قد اجتمع اكثر البمبيين وفي مقدمتهم قاتو وشيبيو وسكستوس وبيوس ابنا بمبيوس وكانوا قد عبأوا لحرب جنودًا كثيرة وعاونهم يوبا ملك نومديا ومعهُ ١٢٠ فيلاً اما قيصر فلما نزل في افريقية لم يكن معهُ غير ثلاثة الاف راجل ومئة وخمسين فارسًا فتضايق اولاً حتى اغاثوهُ بالنجدات

وقعة ثبسوس سنة ٤٦ ق.م والمدد فزحف على الاعداء وهزمهم قرب مكان يسمى ثبسوس وتمت الهزيمة على البمبيين ومن بقي بدد شملهم ونجا ابنا بمبيوس الى اسبانيا وركب شيبيو سفينة مع نفر قليل قاصدًا

تلك الاطراف فانكسرت بهم السفينة وهلكوا واقتتل يوبا وقائد اخر فسقط كلاهما قتيلين اما فاتو فكان يحفظ مدينة اوتكا ومعهُ شحنة فلما سمع بنكبة ثبسوس جهز العسكر الى البحر بغية الهرب اما هو فانتحر شاربًا كاس حتفهِ بيدهِ اذ راى ان جمهورية رومية قد زالت وانهُ لا بد من قيام حكم مطلق وحسب هذا يفضي الى خراب الوطن ودمارهِ ولم يشأ معاينة ذلك فانتحر . اما قيصر فتوجع لمصابهِ وتاسف على فقدهِ وقال انهُ كان يحترمهُ ويرغب في مسامحتهِ وكان قاتو من افاضل الرومانيين واقتفى اثر السلف في الفضائل الرومانية القديمة واحب الوطن محبة شديدة واراد ارجاع السياسة الى ما كانت عليهِ في عهد اجدادهِ الا انهُ لم يدرِ ان ذلك محال لفساد الناس ونقلبات الاحوال . وحدثت هذه الامور سنة ٤٦ ق.م. — ملاك قاتو

٥٤. ولما رتب قيصر امور افريقية واضاف اكثر نوميديا الى مملكتهِ عاد الى رومية فرحب بهِ اهلها واحتفلوا بهِ وقررت المشيخة ان يقام عيدٌ مدتهُ اربعون يومًا اكرامًا لهُ وتذكارًا لنصرتهِ وينصب تمثالهُ بين تماثيل الالهة كأنهُ اله ويسمى الشهر الخامس من سنتهم على اسمهِ اي يوليوس (وهو تموز) وينصب دكتاتورًا عشر سنين وسنسورًا بلا عون لمدة ثلاث سنين الى غير ذلك من الامتيازات التي لم يفز بها احد من السلف . ولما كان سنسورًا شرع يرتب امور المشيخة فطرد منها من اراد وادخل اليها من حزبهِ من اراد وزاد عدد اعضائها حتى بلغوا تسع مئة عضو الا انهُ حط شانها اذ ادخل اليها اناسًا من الولايات لم يكونوا رومانيين اصلاً واحسن قيصر الى عساكره المجربين الذين انتصر بواسطتهم وبذل لهم الاموال قيل انهُ اعطى كلاً منهم جعلاً يساوي مئتي ليرة انكليزية وفرق على الناس في رومية ايضًا وكان نصيب كل واحد نحو اربع ليرات واقام لهم ملاعب فاخرة لتسليتهم واولم لهم الولائم قيل انهُ نصب في الاسواق ٢٢٠٠٠ مائدة جلس عليها نحو ٢٠٠٠٠٠ نفر وقدم لهم من افخر الاطعمة فزاد على كل من سبقهُ في احساناتهِ — عودة قيصر ومجده — تغييره المشيخة — احساناته

٥٥ ثم سار قيصر في اواخر سنة ٤٦ ق.م. الى اسبانيا لان ابني بمبيوس المذكورين كانا قد جمعا جنودًا واستوليا عليها فخرجت على قيصر ولما التقى منهما ومن معهما اشد مقاومة فقاتلوه في عدة وقائع كانت الاخيرة منها واقعة موندا التي بها اشرف قيصر على الهلاك وفيها قال قاتلت في كل حروبي السالفة لنوال النصرة اما في موندا فقد قاتلت حرصًا على حياتي . اهـ. الا انهُ ظفر باعدائهِ اخيرًا وهلك نيوس بمبيوس اما اخوهُ — مسيره الى اسبانيا وحرب موندا سنة ٤٥ ق.م

سكستس فنجا فخضعت اسبانيا وانتظمت في طاعة قيصر سنة ٤٥ ق.م.

سياسة قيصر ٥٦. ثم عاد قيصر الى رومية واخذ يدبر امورها السياسية والحربية والمدنية وخالف سلاً في فعالهِ اذ لم ينتقم من اعدائهِ ولم يقتل احدًا لعداوتهِ بل طيب قلوب الجميع وغمرهم بنوالهِ وابدى من الحكمة والدراية في السياسة ما يقضي لهُ بالمقام الاولى بين ارباب السياسة في كل زمن فسنّ السنن النافعة القويمة واصلح ما فسد واعتنى بسياسة الولايات مع سياسة ايطاليا وعين لجنة لمساحة كل املاك المملكة وتعيين حدودها ورسم خريطتها غير ان هذا العمل شغل ٣٢ سنة ومما فعلهُ قيصر لنفع العالم كلهِ تقويم السنة فان التقويم القديم كان
تقويم السنة فيهِ خلل اذ كانت السنة الجارية حينئذٍ متقدمة نحو ثمانين يومًا عن السنة الحقيقية الشمسية فقومها قيصر التقويم المعروف باسمهِ اي التقويم اليوليوسي وضبطهُ بدقة حتى لم يكن فيهِ الاَّ خطأٌ زهيد ولا تزال الكنيسة الشرقية جارية عليهِ الى عهدنا هذا وجرى عليهِ الغربيون الى سنة ١٥٨٢ ب.م. وحينئذٍ اصلحهُ البابا غريغوريوس الثالث عشر وهو التقويم المتداول الآن ولا يسعنا المقام ان نذكر كل ما لقيصر من المآثر الجليلة والمساعي الخطيرة فهي كثيرة لا تعد ولم يشتغل بامور السياسة والحرب فقط بل عكف على
مولفاته الدرس والتاليف ايضًا فانهُ كتب تاريخ حرب الغاليين والحرب الاهلية وقيل انهُ لما كان يحارب الغاليين كان يقاتل نهارًا ويولف ليلاً فالف كتاب الصرف والنحو في اللغة
ادابه اللاتينية في اثناء تلك الحرب. اما آدابهُ فلم تكن ممدوحة فانهُ هام بكلوبطرا وهي سبتهُ بدلها وجمالها وذكائها ولما بلغ ذرى المجد وخلا لهُ الجو في رومية استدعاها اليهِ واسكنها قصرًا لهُ واحبها دون امرأتهِ فكره الرومانيون تصرفهُ في هذا الامر اذ لم يطيقوا ان يقترن عظيمهم بامراة اجنبية

مقام قيصر ٥٧. وفاق قيصر اسلافهُ مقامًا وعلاهم رتبة بان رأس السيف والقلم وملك الفضل والنبل فلم ينقص عن الملك سوى الاسم قيل انهُ اراد ان يسمى ملكًا لكنّ الرومانيين ابغضوا هذا الاسم ولم يطيقوا سماعهُ لانهُ ظلمهم الملوك الاولون فلم يجترئ قيصر ان يلقب نفسهُ بملكٍ لئلاً يقوموا عليهِ ويطردوهُ ويقال انهُ قصد اتخاذهُ اذا خرج لمحاربة الامم ويروى انهُ تهيأ لاثارة الحرب على الفرثيين واراد ان يلقب بملكٍ قبل مسيرهِ اليهم فاوعز الى انطونيوس احد خاصتهِ ان يحضر لهُ تاجًا على مرأى الناس ليطلع على ما كان في انفسهم وما يبدونهُ من جهة هذا الامر فرأى انهم لم يرضوهُ بهِ بل حنقوا من انطونيوس

وانكروا عليهِ فعلهُ فابى قيصر قبولهُ ومنعهُ من وضعهِ على راسهِ. ثم استعاد الامر مرة اخرى فعبس الحضور واسودت وجوههم ففهم قيصر ما هم عليهِ من بغضة الملك فنهض وقال لست ملكًا لست الاَّ قيصر لا ملك للرومانيين غير جوپيتر (زفس) ففرح الناس ومدحوهُ وشرحت صدورهم

قتل قيصر سنة ٤٤ ق م

٥٨. وكان لقيصر اعداءٌ بين الاماثل الذين كانوا سابقًا من حزب پمپيوس فحقدوا عليهِ لعظمتهِ وارادوا قتلهُ وكان البعض منهم محبي الوطن وهموا باهلاك قيصر محتجين عليهِ بانهُ مغتصبٌ ومن هولاء رجل يسمى بروتس زعم انَّهُ من نسل بروتس الشهير الذي كان لهُ الباع الطويل والمزية في طرد الملوك الاولين فسولت لهُ نفسهُ انهُ من المفروض عليهِ قتل المغتصب مع ان قيصر كان قد احسن اليهِ وحقن دمهُ بعد حرب فرساليا اذ قاتلهُ فيها فاجتمع اليهِ الذين وافقوهُ على إهلاك قيصر وتآمروا عليهِ وكمنوا لهُ في قاعة المشيخة فلما دخل وثبوا عليهِ واخذوا يطعنونهُ بخناجر كانوا قد اخفوها تحت ثيابهم فدفعهم قيصر في اول الامر بالمول (آلة الكتابة عندهم) ولكن لما لاحت منهُ التفاتة الى بروتس الذي كان يخالهُ اخا ثقة وراى انهُ من مغتاليهِ قال وانت عليَّ يا بروتس ثم عجز عن الدفاع واشتمل بثوبهِ فاثخنوهُ جراحًا فسقط قتيلاً وكانت فيهِ ثلاث وعشرون طعنة ولما وقع رفع بروتس خنجرهُ وهو يقطر دمًا ونادى بالناس وهنأهم بقتل المغتصب وفوزهم بالحرية غير انهم لم يجيبوهُ ولم يهللوا بل اجفلوا مذعورين خوفًا من درك الامر ثم خرج القاتلون وطافوا في الاسواق ظانين ان الناس يستصوبون فعلهم فخابت آمالهم اذ انكروا عليهم فعلتهم هذه الشنيعة فخافوا على انفسهم والتجأوا الى الكبتول واعتصموا بهِ منتظرين ما يصير اليهِ امرهم وكان لقيصر عسكر خارج المدينة وكان لپدس قائدهم امينًا لهُ وايد امر انطونيوس صديق قيصر الذي كان رفيقًا لهُ في القنصلية لتلك السنة وكان في وسعهِ ان يستعين بالعسكر ويثأر قيصر وينتقم من قاتليهِ لكنهُ ابى ذلك وصالحهم فلم يحدث ما يخل براحة المدينة الى ان صار حفلة جنازة قيصر حين قام انطونيوس وتلا على مسامع الناس خطبة نفيسة هيجت انفسهم لانهم اذ بين فيها ما فعلهُ قيصر لترقية رومية واحساناته الجزيلة اليهم وتلا عليهم وصيتهُ التي فيها اوصى بمبلغ من الدراهم لكل فردٍ من الرعية وذكَّرهم انهُ لم ينتقم من اعدائهِ بعد القدرة عليهم بل عفا عنهم وتداركهم بلطفهِ ورقاهم الى المناصب وهم الذين قتلوهُ ثم عرض انطونيوس عليهم رداء قيصر المثقب ملطخًا بدمهِ فلما سمعوا ما سمعوا

جنازة قيصر

وراوا ما راوا ضجوا بالويل والحرب وناحوا على صديقهم المفقود ونهضوا ورفعوا جثته وجمعوا ما لديهم من الوقود واضرموا فيها النيران حتى اذا استعرت وضعوا الجثة عليها واحرقوها بمزيد الوقار والاكرام وكان مقتل قيصر لخمسة عشر خاون من شهر اذار سنة ٤٤ ق.م

حقيقة امر قيصر وقتلهِ

٥٩. وهنا يجب امعان النظر واعمال الفكرة والروية في احوال رومية وحقيقة امر قيصر وقاتليهِ لكي نفهم ما ياتي من سياق الوقائع فنقول

ان قيصر كان بالحقيقة مغتصبًا وهضم حقوق رومية السياسية والغى كثيرًا من امتيازات الناس وغيَّر السنن وتحكم بمجرد قوتهِ وارادتهِ فمن جرى ذلك استحق الحكم عليهِ ولا عجب ان حسبهُ الذين احبوا سياستهم القديمة وتشبثوا بعوائد اجدادهم الشريفة خائنًا جانيًا يستوجب القتل وكان كذلك الآن قتلهُ لم يجدهم نفعًا وجلب على رومية ويلات لا تحصى فكان خيرًا لهم لو نجا قيصر واجرى مقاصدهُ في اقامة مملكة عوض الجمهورية وبيان ذلك ان سياسة رومية كانت قد فسدت كل الفساد وسلك حكامها وقوادها وكل اصحاب المناصب مسلك الظالمين ودارت الاحكام على الرشوة فان الفساد كان قد عمَّ الناس ومتى فسدت الرعية فسد الحكام فان صلاحهم بصلاحها وبالعكس ولاسيما انَّ ذلك في حكومة جمهورية نيط حق الانتخاب فيها بالعامة والفاسد ينتخب من هو اشد فسادًا واخبث منهُ ولا ينتج الطيب من الخبيث ونتيجة الفاسد فاسدة وان اسوأ الاحكام حكم الجمهور ان فسد فلذلك استحال ثبوت الجمهورية وتوطيد اركانها في رومية فاقتضت الحال انقلابها واقامة نظام اخر فلم يدرك الناس حقيقة الامر وظنوا انهم على ما كان عليهِ اجدادهم من الصلاح والحزم والرزانة ولم يفطنوا ان زمان الجمهورية قد مضى اما قيصر ففهم حقيقة الامر وايقن انهُ لابد من الانقلاب واذ ذاك حسب نفسهُ اولى الناس باقامة حكومة جديدة وانشاء المملكة وكان كذلك لانهُ لم يقم بين الرومانيين ان لم نقل بين الناس اجمع حاكم احذق او اقدر منهُ فكان خيرًا لهم لو بقي على ما كان عليهِ فبقتلهِ لم يستطيعوا ارجاع الجمهورية وانما وقعوا تحت حكم ملك اخر لم يكن كفوءًا لهُ اصلًا اما بروتس وصحبهُ من قاتلي قيصر فظنوا انهم قائمون على ظالم مستوجب القتل وبقتلهِ يحررون الوطن من مخالب المغتصب لكنهم لم يصيبوا برايهم اذ لم يدركوا حقيقة الحال فلم يجدِ فعلهم نفعًا بل جروا على الوطن وبلًا وجنوا عليهِ شرًّا اعظم كما سترى لكننا نقول ان

بروتس والبعض من قومهِ قصدوا الخبر كما فعل بروتس الاول وانما لم يبلغوهُ لتغير الاحوال

سطوة انطونيوس

٦٠. فلما راى قاتلو قيصر ما كان عامة الناس عليهِ من محبتهِ والبغضة لهم لما فعلوهُ قلقوا جدًّا وخافوا على انفسهم اما انطونيوس فتوثق في امرهِ وازداد سلطة ونفوذًا حتى عجزوا عن مقاومتهِ وانتزحوا عن المدينة فانفرد في امر السياسة فاثبت ما رتبهُ قيصر وزاد عليهِ ما يويد سطوتهُ وذعنت لهُ المشيخة اذ كان الجيش مطيعًا لهُ غير انهُ ظهر ساعتئذٍ من يدعي تركة قيصر ومقامهُ دون انطونيوس وهو اقتاڤيوس ابن ابنة اخت قيصر واذ كان يوليوس كلاًّ اي بلا عقب حتى عليهِ وكاف بمحبتهِ ورقاهُ ثم عينهُ ولي عهده وكان اقتاڤيوس في المعسكر شرقي بحر ادريا لما اتصل اليهِ الخبر بقتل يوليوس فعاد من فورهِ الى ايطاليا وطلب ميراثهُ اما انطونيوس فقاومهُ اذ نوى ان يخلف يوليوس نفسهُ وكان قد استولى على جانب عظيم من امواله وفرقهُ على العسكر اما الناس فجنحوا الى اقتافيوس واثبتوا لهُ وصية قيصر ولاسيما اذ وعد بانهُ ينجز وصيتهُ ويودي لرعايا رومية ما اوصى بهِ مع انهُ لم يقدر على ذلك الاَّ ببيع كل ميراثهِ وبقرض جسيم علاوة عليهِ وانتحل اقتافيوس اسم قيصر وادعى بكل ما كان لهُ ولما كان جمهور الناس غير راضٍ بانطونيوس مالوا عنهُ اليهِ ومن جملتهم شيشرو الذي مدح قاتلي قيصر وكان يمقت انطونيوس واحتسب منهُ شرًّا اعظم فلما راى ما كان اقتافيوس عليهِ من رضى الناس بهِ وانهُ حديث السن عمرهُ نحو ثماني عشرة سنة فقط عزم على ان يعضد امرهُ دون انطونيوس لعلهُ يفوقهُ ويغلبهُ فيكون رزّ الوطن بهِ اهون واخف اذ ظن انهُ يذعن للمشيخة فنهض شيشرو وتلا على مسامعهم عدة خطب في هذا الشان طعن بها في انطونيوس وندد بمساويهِ وسماها الفيلبيات على ما سمي ديموسثنيس خطبةً في شان فيلبس المكدوني فاتت خطب شيشرو بتأثير عظيم ولم يقدر انطونيوس على مجاراتهِ في هذا المضمار فاركن الى جنودهِ وسار الى ايطاليا الشمالية وكان اقتافيوس قد استمال بعض العسكر اليهِ وجمع فرقًا جديدةً حتى اصبح صاحب جيش وان لم يكن في منصب ولا مامورية من قبل المشيخة التي امرت القنصلين لسنة ٤٣ ق.م. ان يسيرا لمحاربة انطونيوس وامرت اقتافيوس ان يرافقهما وحدث القتال في وادي البو فانهزم انطونيوس غير ان القنصلين قتلا وامسى اقتافيوس وحدهُ رئيسًا على جنود المشيخة ما عدا جيش دَسِمُس بروتس الذي كان في تلك الاطراف ايضًا

ظهور اقتافيوس قيصر

فيلبيات شيشرو

هزيمة انطونيوس وقتل القنصلين سنة ٤٣ ق.م

وكان اميناً للمشيخة وهذا ليس بروتس المذكور في حادثة مقتل قيصر مع انهُ من حزبهِ اما انطونيوس فلما انهزم ولى الادبار قاصداً غاليا القصوى وكان مع لِپِدُس جيش فالفهُ وتبعهُ دسمس اما اقتافيوس فلما امرتهُ المشيخة بمرافقتهِ ابى وطلب القنصلية فرفضت المشيخة طلبهُ اولاً ولكن لما قدم رومية ذعنت لهُ وانالتهُ سؤلهُ الاّ انها امرتهُ بان لا يدنو من رومية بجنودهِ لكنهُ خالف الامر ولما اتى هرب جانب من اعضائها اذ تيقنوا عداوتهُ اما عامة الناس فقبلوهُ وأنسوا بهِ وانتخبوهُ للقنصلية

ارتقاء اقتافيوس للقنصلية

٦١. ثم سار اقتافيوس شمالاً قصدَ اللحاق بانطونيوس اما دسمس فوجد انهُ غير قادر على مقاومة انطونيوس ولِپِدُس فعاد الى غاليا القربى اما عساكرهُ فقلبوا لهُ ظهر المجن وخذلوهُ وانحازوا الى اقتافيوس فاضطر دسمس الى الهرب فاخترمتهُ المنية من معاجيل الطريق اذ الحذر لا يمنع القدر فلم يبقَ من قواد المشيخة غير بروتس قاتل قيصر وقسيوس رفيقهُ وهما في الشرق وسكستوس بمبيوس وهو امير البحرية . اما انطونيوس ولپدس فسارا الى ايطاليا ولما التقيا باقتافيوس لم يقاتلاهُ بل اتفق الثلثة على ان يشتركوا في ملك رومية خرقاً للسنة ورغماً لانوف العامة ودون رضاهم ثم يثيروا الحرب على اصحاب الجمهورية وسمي هذا الاتفاق التريومفِراتس الثاني (راجع رقم ٤٢) وكان اولاً لخمس سنين ومن المتفق عليهِ انهم يتولون مهام القنصلية ويعينون سائر اصحاب المناصب ومنهُ ايضاً ان يباح دم قاتلي قيصر ودم كل من مالأ على قتلهِ كما فعل سلاً . ونشروا في اول الامر اسماء سبعة عشر رجلاً فقتلوا ثم نشروا قائمة تحتوي على ١٣٠ اسماً ثم اخرى تحتوي على ١٥٠ اسماً وممن اشاروا بقتلهم شيشرو لان انطونيوس حقد عليهِ وحنق منهُ لما قذفهُ بهِ في الخطب المذكورة وكانت اباحة دمهِ مما يشين عرض اقتافيوس اذ كان شيشرو قد اكرمهُ وحث المشيخة على ترقيتهِ فلم يرعَ حرمتهُ اذ سمح بقتلهِ وابدى في قتل الناس ظلماً ما لم يوافق اخلاق يوليوس الذي حقن دم اعدائهِ كما ذكر

التريومفراتس الثاني سنة ٤٣ ق م

ولما فشا الخبر في رومية بهدر الدماء قلقت من جرى ذلك وكان الناس قد وثقوا باقتافيوس وظنوا انهُ يقاوم انطونيوس فلما علموا ما كان هاجوا وماجوا وعظم الخوف لانهُ لم يكن جند ولا قائد في ايطاليا ولا وازع يرفع عادية الثلثة عنها فهرب الذين توقعوا شراً منهم وسار شيشرو الى البحر ناوياً ان يلتجىء الى الشرق غير ان الرياح لم توافقهُ حينئذٍ فعاد الى البر وادركهُ الذين ارسلوا في اثرهِ وقتلوهُ واحتزوا راسهُ ويديهِ وانوا بها الى

هرب شيشرو وقتلهُ

رومية حيث عرضت على ابصار العامة ففرح انطونيوس لما راى ذلك الفم الذي قد طعنهُ بكلامهِ الفصيح صامتًا للابد اما الناس فاقشعروا رعبًا

دخول الثلاثة الى رومية سنة ٤٣ ق٠م

٦٣٠ وكان الثلثة قد دخلوا رومية وتمكنوا من التسلط عليها في ت ٣ سنة ٤٣ق٠م٠ وقتلوا ونهبوا كما شاءوا ثم باشر اقتافيوس وانطونيوس حرب بروتس ومن معهُ فسار انطونيوس الى الشرق واقتافيوس سار اولاً الى الجنوب لمقاومة سكستوس بمبيوس الذي كان متسلطًا على البحر وشطوط سيسيليا ولما عجز عن مقاتلتهِ اذ لم تكن لهُ بوارج تركهُ وسار الى الشرق ايضًا اما ليدس فبقي في الغرب وكان بروتس وقسيوس قد جمعا جيشًا جرارًا من اسيا ومكدونية وغيرها واحتلا قرب مدينة فيلبي من مكدونية (انظر اع ١٦ : ١٢) فاجتمع انطونيوس واقتافيوس وسارا لمقاتلتهما ولما جرى القتال كان بروتس على الميمنة وقسيوس على الميسرة بجانب البحر مقابل انطونيوس الذي كان على ميمنة قومهِ اما اقتافيوس فعلى الميسرة قبالة بروتس ولما انتشب القتال كان اقتافيوس مريضًا فحمل الى ساحة القتال على سريرهِ وانهزم وطاردهُ بروتس اما انطونيوس فهزم قسيوس الذي ظن بروتس مغلوبًا ايضًا فيئس من امرهِ وانتحر ولم يثبت النصر لاحد الفريقين ذلك اليوم غيران خسارة فريق بروتس كانت اعظم من خسارة الفريق الاخر ولما راى عساكر قسيوس ان قائدهم هالك طفقوا يرفضون عن بروتس ويهجرون لواءهُ وينحازون الى العدو فلما جرى القتال ثانية بعد مضي عشرين يومًا انهزم بروتس ومن معهُ شرَّ هزيمة فانتحر لينجو من العار والفضيحة وكان ذلك سنة ٤٣ق٠م٠

حرب فيلبي سنة ٤٣ ق٠م

اقتسام المملكة

٦٤٠ ولما هلك بروتس لم يكن من يقاوم اقتافيوس وانطونيوس في الشرق ولا من يعضد امر الجمهورية فيها بعد فخلا لهما الجو فاقتسما املاك رومية بينهما واتخذ انطونيوس الشرق واقتافيوس الغرب ولم يعطيا ليدس غير ولاية افريقية ثم عاد اقتافيوس الى ايطاليا اما انطونيوس فسار الى اسيا وظلم الناس كثيرًا وسلب اموالهم وعكف على الملاهي والترف ولما وصل الى طرسوس وافتهُ كليوبطرا اذ كان قد استدعاها اليهِ لانها اعانت اعداءهُ سابقًا ولما استقرت سبتهُ بجمالها وسحرتهُ بذكائها ودهائها ورتعا متانقين في عيش رغيد وانهمكا في اسباب اللهو والملاذ التي اجادتها فكانت فيها غاية فاشغلتهُ عما كان قاصدهُ من محاربة الفرثيين وعن كل الامور السياسية وسافر في صحبتها الى الاسكندرية حيث توغلا في كل نوع من الشهوات والخلاعة والتصوف. اما اقتافيوس فعكف على سياسة ايطاليا وما

امر انطونيوس وكليوبطرا

اعمال اقتافيوس

بايها باذلاً جهدهُ في تنظيم الامور على مرامهِ والتمكن من طاعة العسكر ايماك قيادهم وتطييب خواطر العامة لكي يعطفوا عليهِ واستهانوا بانطونيوس وانفوا منهُ لما كان عليهِ من العوائد السمجة والتفريط والتواني في امور المملكة ولا ريب ان اقتافيوس احتقر رفيقهُ ونوى عزلهُ والانفراد في الملك فلم يلبث ان وقعت الوحشة بينهما وكانت فُلفيا امراة انطونيوس في رومية تحرّض الناس على اقتافيوس فأيد امرها سلفها لوقيوس وحالت الصعوبات دون اقتافيوس الاَّ انهُ استمال العسكر فغلب اعداءَهُ وتشدد وغلظ شأنهُ فلما سمع انطونيوس بما كان اوجس خيفةً منهُ فالتزم ان يفارق كليوبطرا ويسير الى ايطاليا ليمنع رفيقهُ ولما وصل الى بلاد اليونان اتتهُ فلفيا وعاتبتهُ على هيامهِ بكليوبطرا وتوانيهِ وغفلتهِ عن مهام الدولة ومصالحها فاحتدم غيظًا وجاوبها بفظاظة وغلظة فكان كلامهُ العنيف في قلبها اللطيف كسهام نافذة فاثر بها الحزن والكآبة فمرضت وماتت بعد ايام قليلة

مجيء انطونيوس الى ايطاليا وتجديد الاتفاق

٦٤. ثم شخص انطونيوس الى ايطاليا وكان بمبيوس سائدًا على البحر فلم يتمكن من المرور الاَّ بمصالحتهِ فعبر الى ايطاليا بجنودهِ واثار عليهِ اقتافيوس . اما عسكر الفريقين فأبوا الحرب ودعوا القائدين الى المصالحة فتزوج انطونيوس اقتافيا اخت رفيقهِ واتخذ الشرق نصيبًا لهُ كالسابق وكان هذا سنة ٤٠ ق.م.

معاهدة مع بمبيوس

وفي السنة التالية صالحا بمبيوس والي البحر وسلما اليهِ سيسيليا وسردينيا وكورسكا واخائية على شرط انهُ يخلي بعض حصونهِ في ايطاليا وينزع اللصوص من البحر ويمدّ رومية بما يلزم من الحبوب فلم تنفذ هذه الشروط لان بمبيوس لم تسلّم اخائية واذ ذاك لم يسلم حصونهُ في ايطاليا فاخذ اقتافيوس يفسد عسكرهُ لكي ينحازوا اليهِ فتمكن من الحصون فلما علم بمبيوس اغار على شطوط ايطاليا وتضايق اقتافيوس واضطر الى

الحرب بينهُ وبين اقتافيوس

انشاء بوارج لمحاربتهِ واستصرخ رفيقيهِ فلبى انطونيوس دعوتهُ وامدهُ بمئة وثلاثين بارجة على شرط ان يمدّهُ الاخر بعشرين الفًا من عساكرهِ لمحاربة الفرثيين ففعل وتجدد اتفاق الثلاثة لخمس سنين اخرى. اما لپدُس فكان في افريقية ولما استنجدهُ اقتافيوس على بمبيوس اجاب الاَّ انهُ تربص مدة فالتزم اقتافيوس ان يقاتل وحدهُ ولم ينجح في اول الامر بل انهزمت بوارجهُ وضاق بهِ الامر حتى اتاهُ اغريبا احد قوادهِ من غاليا وتولى ادارة الحرب وكان اجدر بها منهُ فصال على بمبيوس وكسر بوارجهُ وهزم جنودهُ برًّا فهرب وسار الى

الشرق مستجيرًا بانطونيوس فوالسهُ وجاملهُ مدة ثم اوجس منهُ شرًا وقتلهُ سنة ٣٥ ق.م.

اما لپدس فكان قد نزل بسيسليا في جيش واعان اقتافيوس على طرد ببيوس وفي اثناء الحرب استولى على مدينة مسانا واعتصم فيها وقصد الاستقلال والانفراد في الملك . فلما فرغ اقتافيوس من امر ببيوس حول قوتهُ على لپدس وجذب قلوب عسكرهِ اليهِ فاضعفهُ فاستامن لپدس اليهِ فامنهُ واستحياهُ وجردهُ من سلطتهِ الاَّ انهُ سمح لهُ برتبة الحبر الاعظم التي كان قد تقلدها وكانت حرب ببيوس من سنة ٣٨ الى سنة ٣٦ ق.م.

سقوط لبدس

٦٥. ولم يبقَ حينئذٍ من جميع المتنازعين في الملك غير انطونيوس واقتافيوس وكان كلٌّ حذرًا من قِرْنهِ يترقب فرصة لاثارة الحرب فكان من المحال ان يشتركا بالسلام في ملك رومية ولا بد من المنازعة الشديدة الى ان يهلك الواحد وينفرد الاخر فيهِ فلم يكن الاَّ مدة قصيرة حتى شجر الامر بينهما وحمي الوطيس . اما اقتافيوس فاحسن السيرة وطيب خواطر الناس وروّح قلوبهم فرضوا بهِ دون انطونيوس وكان حكيمًا حليمًا حازمًا داهيةً ولما أتسق لهُ امر رومية لم يجهر بالسلطة المطلقة الدائمة بل صرَّح بانهُ يتنحى عما كان عليهِ ان وافقهُ انطونيوس عند عودتهِ من حرب الفرثيين واحترم حقوق الناس ظاهرًا ولم يبخسها بعد ان استقر في الملك الاَّ فيما ندر وكان لهُ معاونان شهيران حكيمان احدهما اغريبا والاخر ميسيناس وكان الاول مقتدرًا خبيرًا بالحرب والسياسة والثاني بصيرًا مدربًا في فنون السياسة فاجتذب قلوب الناس الى ملك اقتافيوس وخالط العلماء والشعراء كثيرًا وبالغ في اكرامهم وكان ممن عطف عليهم ورق لهم ووقاهم من نوب الزمان وطوارق الحدثان فرجيليوس وهوراتيوس الشاعران الشهيران اللذان سلبت املاكهما في الحروب الاهلية فردها اليهما واستعطف اقتافيوس عليهما فاحسن اليهما فصارا حلية لملكهِ وفخرًا لدولتهِ وكان الاول فريد عصرهِ ونتيجة دهرهِ.

العلاقة بين اقتافيوس وانطونيوس

تصرف اقتافيوس

اغريبا وميسيناس

فرجيليوس وهوراتيوس

٦٦. اما انطونيوس فلم يحسن السيرة ولم ينجح في حرب الفرثيين وكانوا قد اعتدوا على سورية سنة ٤٠ ق.م . وقصد تاديبهم حينئذٍ فشغلتهُ كليوبطرا عن ذلك لكنهُ جهز نائبهُ المسمى فَنْتِديوس وارسلهُ اليهم فغلبهم وقهرهم سنة ٣٨ ق . م . ثم قصد انطونيوس بعد اتفاقهِ مع اقتافيوس سنة ٣٧ ق .م. المسير بنفسهِ الى محاربتهم وكان يومئذٍ في بلاد الشرق

حروب انطونيوس للفرثيين وتصرفه

اليونان واقتاقيا معهُ فتركها ثم توجه الى الشرق ووافتهُ كليوبطرا ايضًا فدلَّتهُ وشغفتهُ حبًا الّا انهُ زحف على الفرثيين سنة ٣٦ ق. م. وعاهد ملك ارمينية عليهم وتوغل في البلاد حتى بلغ اطراف مادي واذ فشل وعاد خائبًا مدحورًا خذلهُ الارمنيون فتضايق الرومانيون في اثناء تقهقرهم وهلك الوف منهم

وفي سنة ٣٤ ق. م. سار انطونيوس الى ارمينية واسر ملكها غيلةً وذهب بهِ الى الاسكندرية ودخل باحتفال نصري كانهُ في رومية وهو غير منتصر البتة فلما سمع الرومانيون بذلك استهجنوا الامر واهانوا منهُ وانكروا عليهِ أن غالى في تكرمة كليوبطرا واعزازها وطاعتهِ وخضوعهِ لامرها فانهُ كان عبدها الذليل ان غضبت ترضاها وان رضيت فدَّاها وكان لهُ منها اولاد فوعدها بانهُ يورثهم الممالك ويلقبهم ملوكًا وفضلاً عن ذلك انهُ سلم لمهدة كليوبطرا جزيرة قبرص وجانبًا من سورية فساء الرومانيين هذا الامر وتوقعوا منهُ شرًّا اعظم من ان تسلط على المملكة كلها وكانت معاملتهُ كليوبطرا اهانة لاقتاقيا زوجتهِ الشرعية فاغتاظ اقتافيوس اخوها واضمر لهُ النقمة ووافقهُ اكثر الرومانيين على ذلك

جمع انطونيوس جنوده وقدومهُ الى بلاد اليونان سنة ٣٢ ق. م.

٦٧. ولما ايقن انطونيوس ان لا بد من الحرب شرع يجمع الجنود من كل اطراف سلطنتهِ سنة ٣٣ ق. م. وفي السنة التالية سار الى اثينا ومعهُ كليوبطرا التي ذعن لها في كل شيءٍ حتى انهُ طلق امرأتهُ اقتافيا مهانة ذليلة اذ امر بطردها من بيتهِ في رومية فاستشاط الناس غيظًا واجتمعوا الى اقتافيوس وعضدوهُ لما ابتدأ في الحرب وكان انطونيوس قد جمع جيشًا عرمرمًا يبلغ نحو مئة الف راجل واثني عشر الف فارس وخمس مئة بارجة كبيرة وسار في هذا الجيش الجرار الى مكان يسمى أكتيوم وهو راس في الطرف الشمالي الغربي من قطيعة اكرنانيا عند فم الخليج الفاصل اكرنانيا عن ابيروس وجمع سفنهُ هناك اما اقتافيوس فقطع البحر الى ابيرس ورسا شمالي الخليج وكانت جنودهُ نحو ثمانين الف راجل

عدد جنود اقتافيوس

واثني عشر الف فارس اما سفنهُ فلم تكن الا مئة وخمسين سفينة صغيرة غير ان ملاحيها ومقاتليها كانوا ابرع وامهر في مهنتهم من الذين كانوا في سفن انطونيوس وكان اميرها اغريبا الشهير الذي هزم بمبيوس في الحرب البحرية

تخاذل قواد انطونيوس عنهُ

ولما احتل الجيشان على جانبي الخليج اخذ قواد انطونيوس يخذلونهُ اذ سئموا تصرفهُ وعبوديتهُ لكليوبطرا فلم يثق بمن بقي معهُ وخاف على نفسهِ من الخيانة والمكيدة ولم يجسر ان ينازل عدوهُ في الميدان لا برًّا ولا بحرًا لان بوارج اقتافيوس كانت تدحر كل من يجترئ

على الخروج الى بحر ادريا فانحصرت بوارج انطونيوس في الخليج واجمع رأيهُ ان المقاتلة برًّا اولى بهِ منها بحرًا ورأت كليوبطرا ان الفرار اولى منها كليهما وحملتهُ على الاقتناع بذلك فعزم عليهِ بغير مشورة قوادهِ اذ لم يهمهُ امر سوى النجاة مع كليوبطرا فاتفقا على الهرب بحرًا ان امكن

حرب اكتيوم سنة ٣١ ق.م

٦٨ فجهز انطونيوس بوارجهُ وصفها كأنهُ يروم القتال بحرًا فعارضت الرياح مسيرهُ مدة وشعر من في سفن اقتافيوس بالامر وعرفوا ما يقصدهُ بهذه الحيلة فسدوا مدخل الخليج منتظرين المهاجمة وفي اليوم الثاني من شهر ايلول سنة ٣١ ق.م. اقلع انطونيوس اذ وافقتهُ الريح وخرج ببوارجهِ فقصدت لهُ بوارج اوقتافيوس وحبستهُ عن المسير وسطت عليهِ وحرّ القتال واستوى مدة بين الفريقين الى ان قامت كليوبطرا واقلعت بسفينتها المزخرفة وهربت فاقتفتها بقية سفنها وكانت نحو ستين سفينة فلما راى انطونيوس ذلك نزل من بارجتهِ الى قارب وجذف باسرع ما يمكن حتى لحق بسفينة كليوبطرا وصعد اليها ثم جدّا في السير واقلعا وتبعتهما سفن كليوبطرا.اما ما تخلف من سفن انطونيوس فاعترى رجالها حيرة ودهشة مما راوا لكنهم لم يقدروا على الهرب لثقل بوارجهم الكبيرة فوطنوا انفسهم على الدفاع حتى اضرم اصحاب اقتافيوس النار في بعضها واحرقوها وغنموا ثلاث مئة منها اما الجيش الذي كان على البر فانتظر رجوع انطونيوس ليقودهم للقتال ولم يصدق انهُ هرب وتركهُ الى مضي بضعة ايام ولما انجلى لهم الامر ووقفوا على حقيقتهِ ثبتوا مدة على ما كانوا عليهِ ثم استامنوا الى اقتافيوس فرفق بهم وعاملهم بلطف واضافهم الى جيشهِ اما القواد فقتل منهم بعضًا واحتفى ببعض ورفع درجتهم

حقيقة حرب اكتيوم

٦٩. وكانت حرب اكتيوم من اعجب الحوادث في اخبار الرومانيين اذ فشل انطونيوس بدون سبب ظاهر لان جيشهُ كان معادلاً جيش عدوهِ قوةً ان لم نقل اقوى منهُ وكذلك بوارجهُ ولم يخضعا لاقتافيوس الا لان صاحبهما قد جبن وذل وسلم قيادهُ لتلك الداهية الساحرة بكلامها والفتانة بجمالها غير مكترث بحقائق الامور مع انهُ كان من اشد قواد يوليوس شجاعة واوفرهم حذاقة ودراية وقد ابدى من الباس والسطوة في وقائع كثيرة ما يستحق الاعتبار لكنهُ سقطت همتهُ وفقد باسهُ ونخوتهُ لما اطلق العنان لشهواتهِ وذعن للساحرة القاهرة فتامل . وبعد ما فر انطونيوس اصبح اقتافيوس زعيم رومية وولي امرها بلا منازع واستولى عليها بملء السلطة والقي اليهِ مقاليد الامور وفاق اقرانهُ في العزة

والشرف فكان فردًا بلا نظير والحق ان حرب اكتيوم تعد غاية الجمهورية ونشأة الامبراطورية اي الحكم المطلق الا انها لم ترسخ قواعدها وتشيد اركانها الى مرور نحو سنتين وقد راينا ان ثبات الجمهورية ضرب من المحال لفسادها وقد أيقن اكثر الناس حقيقة الامر ولم يكونوا يتوقعون سوى ولاية اقتافيوس او ولاية انطونيوس ولا عجب انهم فرحوا واستبشروا لما علموا بنصرة الاول لانهُ لو أُتيح النصر لانطونيوس والغلبة على قرنهِ لكانت الطامّة الكبرى والرزيئة العظمى على رومية كما لا يخفى فان انطونيوس كان عاتيًا ظالمًا مستهترًا منهمكًا في اللذات عبدًا للشهوات ولو فاز بسلطة رومية لادخل اليها شرور دار كليوبطرا او نقل مركز المملكة من رومية الى الاسكندرية واذل الرومانيين كثيرا فابتهج الناس لما تاكدوا سقوطهُ

قدوم اقتافيوس الى بلاد اليونان واسيا ثم رجوعه الى رومية

٧٠. اما اقتافيوس فلم يقفُ اثر خصمهِ من فورهِ اذ علم انهُ لا ينهض بعد سقطتهِ الهائلة فتوجه الى بلاد اليونان ومهد امورها ثم قدم اسيا وفعل كذلك لان كل الاطراف كانت تكلفت من ظلم انطونيوس ما لا يحتمل وفي سنة ٣٠ ق.م. رجع الى ايطاليا اذ كان قد شغب الجند الذين كان قد اعتقهم فرحب الناس بقدومهِ وسكنت الاحوال ثم عاد الى الشرق جادًا في اثر انطونيوس وكليوبطرا اللذين كانا يتوقعان مجيئهُ الى الاسكندرية على انهما لم يجهزا لمقاومتهِ بل لم يزالا غائصين في بحار اللهو والقصوف عاكفين على الفجور

حال انطونيوس وكليوبطرا

والخلاعة والترف جريًا على ما اعتاداهُ من سماع انغام ومعاقرة مدام ورقة حديث وكلام ولما تحققا قدوم عدوهما بعثا يتوسلان اليهِ ان يعفو عنهما ويحقن دمهما فلم يُجب انطونيوس بشيء اما كليوبطرا فاجابها على طلبها بكلام لطيف لين واعدًا اياها بانهُ لا يسيء اليها ولا يواخذها بما فرط منها ان هي سلمت اليهِ انطونيوس وانما اراد ان ياخذها سبيَّة مكرَّمة الى رومية ليزيد بحضرتها حفلة انتصارهِ بهجةً لكنهُ احتسب انها تقتل نفسها وتخرب مدينتها وتخفي كنوزها فلما قرب من الاسكندرية خرج انطونيوس لمقاتلتهِ في جريدة من قومهِ واظهر باسهُ المعهود وقهر من لاقاهُ من طلائع العدو لكنهُ عاد على اعقابهِ لقلة رجالهِ وانحصر في المدينة وايقن الهلاك ان بقي بها لا محالة محاولًا الهرب بحرًا دون كليوبطرا فانها جنحت الى خصمهِ وسلمتهُ السفن فحبط مسعى انطونيوس ويئس من النجاة فضرب نفسهُ بالسيف عند

هلاك انطونيوس

سمعهِ أن كليوبطرا قد انتحرت وغشي عليهِ لكنهُ لم يمت بل استفاق من غشيتهِ وبلغهُ أن معشوقتهُ لا تزال في قيد الحياة فامر خاصتهُ ان يحملوهُ الى قصرها فقضى نحبهُ هناك وناحت

عليهِ كليوبطرا الاَّ انها لم تحذُ حذوهُ على الفور بل تربصت لتنظر ما يبديهِ قيصر من امرها وكانت آملة ان تفتنهُ كما فتنت يوليوس وانطونيوس من قبلهِ اما اقتافيوس فكان خليًّا من هواها وحذر كل الحذر من ان يصاب بسهمٍ من لحظها الفاتك ولما واجهها لم يذعن لها البتة مع انهُ لاطفها بالكلام ليسكن روعها فلا تقتل نفسها وجعل عليها حاجبًا وتركها فشعرت بما كان ينويهِ وفعلت ما احتسبهُ فهلكت ولم تعلم كيفية هلاكها قيل انها ماتت من لدغ افعى حملت اليها في سلة تين خفيةً غير ان هذا الخبر ليس بمثبت ودفنت كليوبطرا بجانب انطونيوس بحسب وصيتها وسمع اقتافيوس بذلك واقام لها مأتمًا حافلاً ملكيًّا ليطيب قلوب المصريين الذين ضمَّ بلادهم الى مملكتهِ فانقرضت دولة البطالسة سنة ٣٠ ق.م. كما مرَّ في اخبارها ولم يظلم اقتافيوس اهل البلاد بل اقرَّهم على عوائدهم واكثر تراتيبهم فرضوا بملكهِ واصبح لمصر المقام الاوَّل بين ولايات رومية وكانت اخر مملكة من ممالك اسكندر ذي القرنين التي خضعت لها

هلاك كليوبطرا سنة ٣٠ ق.م

٧١ وبعد ان نظم اقتافيوس سياسة مصر سار الى سورية وفي اثناء مرورهِ بفلسطين اقرَّ هيرودس الكبير على ولايتهِ فيها ثم قدم الى اسيا الصغرى ومهَّد امورها وصرف فصل الشتاء في جزيرة ساموس وفي السنة التالية اي سنة ٢٩ ق.م. توجه الى رومية فاستقبلهُ الناس بمزيد الاحتفاء والاكرام واستمرت حفلة انتصارهِ الفائقة الوصف ثلاثة ايام متوالية والقت اليهِ المشيخة المناصب ومقاليد الامور فلم ينقصهُ عن الملك سوى الاسم فقط الى ان اقام الامبراطورية اي (الحكم المطلق) كما سيأتي ان شاء الله

مرور اقتافيوس بسورية واسيا الصغرى

الفصل السادس

في امبراطورية رومية منذ نشأتها الى انقراض الدولة الاولى منها وذلك من سنة ٣٠ ق.م. الى سنة ٦٨ ب.م

١. تقدم الكلام على تاريخ رومية اثناء حكمها الملكي والجمهوري ورأينا كيف امتدت سلطتها من بداءة صغيرة الى ملك متسع الاطراف حين انشاء الامبراطورية ويحسن هنا ان نذكر حدود املاكها والولايات التي فيها فنقول

حدود املاك رومية وولاياتها

يحدها شمالاً بوغاز بريطانيا والبحر الجرماني ونهرا الرين والدانيوب والبحر الاسود وشرقًا نهر الفرات والبادية وجنوبًا صحراء افريقية وغربًا الاوقيانس الاتلانتيكي وطول هذه المملكة نحو ٢٧٠٠ ميل ومعدل عرضها ما ينيف عن ١٠٠٠ ميل ومساحتها نحو ١٥٠٠٠٠٠ ميل مربع

اما ولاياتها فتنقسم الى الولايات الاوربية والآسية والافريقية اما الاوربية فبداءتها من الغرب اسبانيا وغاليا وجرمانيا وفندليشيا وريتها ونوركوم وبنونيا وميسيا والليركون ومكدونية وثراكية واخائية وسيسليا وسردينيا ما عدا ايطاليا التي هي المركز. والآسية اسيا وبيثينية وغلاطية وبمفيلية وكبدوكية وكيليكية وسورية وفلسطين. والافريقية مصر وكيرين (ومعها كريت) وافريقية ونوميديا وموريتانيا

ويوافق هذه الولايات من الممالك الحالية ما ياتي. اسبانيا وفرانسا (غاليا) والبجيوم وجانب من هولاندا وجنوبي جرمانيا وسويسرا وايطاليا واوستريا (نوركوم وفندليشيا) وسريا (بنونيا) والمملكة العثمانية في اوربا وبلاد اليونان. وفي اسيا اسيا الصغرى او بر الاناضول وسورية وفلسطين والتيه ومصر وكيرين وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وجزائر بحر الروم

٢. وكانت مدينة رومية عاصمة هذه المملكة المتسعة قد امست عظيمة جدًا ومزخرفة

وصف رومية

وذلك من كثرة النفائس التي سلبها الرومانيون واتوا بها اليها وعكف اقتافيوس على تزيينها وتشييدها فجاءت بهجة للناظرين قال انهُ وجدها مبنية من لبن فصيرها من رخام ولم يزل خلفاؤهُ يحذون حذوهُ حتى صارت غاية في الرونق والبهاء والثروة ما لا يدرك العد فانهم جلبوا اليها غنى العالم وكان بعض القياصرة يزخرفون رومية ليبهروا عيون الناس ويشغلوهم عن سلب حريتهم السياسية ولكنهم انشأوا بعض اعمال ذات فائدة جزيلة منها القنوات

قنوات الماء

التي انشأوها لجلب الماء العذب الصافي من ينابيع بعيدة وقد تقدم ذكر بعضها ايام الجمهورية اما القياصرة فزادوها عددًا واتقانًا وكان طول بعضها نحو ستين ميلاً وبنوا لها في بعض الاماكن قناطر يبلغ علوها اكثر من مئة قدم وهي تعد من عجائب الدنيا السبع ولا يزال بعضها باقيًا الى يومنا هذا

الابنية والطرق

اما ابنية رومية التي شيدت ايام القياصرة فكانت كثيرة وعظيمة جدًّا منها ٤٢٠ هيكلاً و١٤ مشهدًا او ملعبًا لتسلية الناس بسباق الخيل او مقاتلة الوحوش الضارية وما اشبه ذلك وكان بعضها يسع الوفًا من الناس . ومن ابنيتها الفاخرة ايضًا ١٦ حمامًا من رخام لعامة الناس وما لا يحصاهُ العد ولا يدركهُ الحصر من قصور وصروح وقاعات واروقة وجميعها غاية في البهاء والاتقان وقد مر ذكر الطرق السلطانية التي مهدوها من رومية الى كل اطراف المملكة وكثرت ايام القياصرة فصار ممكنًا للعساكر الاسراع في المسير الى الولايات لقضاء اوامر الامبراطور ولضبط احكام المملكة. فصارت رومية يومئذٍ رئيسة العالم ولها اعظم تاثير في كل الشعوب والامم المتعلقة بها

ارتقاء اقتافيوس الى الامبراطورية

٣. وكان بدء ملك اقتافيوس قيصر من حرب اكتيوم ولم يلقب امبراطورًا اي صاحب الامبيريوم او الحكم المطلق الى ان رجع من الشرق وكانت المشيخة تلقب بهِ القائد عند ما تجهزهُ للحرب فكان اولاً لقبًا عسكريًّا ثم صار سياسيًّا في ايام اقتافيوس اذ منحتهُ المشيخة اياهُ في الامور السياسية ايضًا كما فعلت بغيره في الامور الحربية فصار حاكمًا مطلقًا بدون ان يسمى ملكًا او دكتاتورًا لان الرومانيين سئموا هذه الالقاب فارادوا ان يلقبوا

لقبهُ الخصوصي

اقتافيوس بما يميزهُ عن كل من سبقهُ ولا يكون شؤمًا عندهم كاللقبين المذكورين فخصوهُ بلقب **اوغسطس** اي الموقر وصار هذا لقبهُ المشهور واتخذهُ كل القياصرة بعدهُ الى نهاية امرهم وكان يفوق كل لقب احترامًا وتعظيمًا اما لقب امبراطور فامسى عامًّا لكل ملك مطلق او لكل ذي ملكٍ عظيم . وكان اوغسطس حكيمًا حازمًا معتبرًا حقوق جميع

سياسة اوغسطس — الناس عادلاً الاَّ فيما ندر وضبط امور رومية كل الضبط وابقى للناس حريتهم حسب الظاهر اذ سمح باجتماعهم احياناً للمداولة في الامور السياسية وجعلهم ينتخبون بعض اصحاب المناصب غير انهُ كان يعين من يريد ان يكون الانتخاب منهم فلم يجترئوا ان ينتخبوا خلافهم فكان اوغسطس نفسهُ المنتخب الحقيقي واتخذ لنفسهِ اكثر المناصب المهمة المعهودة كالقنصلية والسنسورية والتريبونية التي كانت المشيخة تمنحهُ اياها الى اجلٍ مسمّى ثم ارادت ان يقوم بها الى نهاية حياتهِ فرفض ذلك ملاطفاً الجمهور لكي يظنوا انهم على ما كانوا عليهِ ايام الجمهورية من جهة انتخاب القناصل والتريبونيين وغيرهم فرضوا بهِ واكرموهُ

المشيخة والولايات — ٤. اما المشيخة (اي السناتُس) فكانت على مقامها القديم حسب الظاهر لان اوغسطس احترمها واعطاها امتيازات كثيرة على انها كانت خاضعة لهُ تماماً اذ كان يحق لهُ ان يعزل من يشاء من اعضائها ويولي من يشاء بدون معارض او منازع ودفع لها بعض الولايات لتدير امورها السياسية فكانت تعين ولاتها وسائر اولياء امورها كيفما شاءت وجعلت دخلها لبيت المال الخاص بها لتستعملهُ في قضاء مهامها. اما اوغسطس فاتخذ لنفسهِ كل الولايات التي على الحدود اذ كانت ميداناً للحروب او عرضة لوقوعها فيها او خليقة بالفتنة والهيجان فكان جميع العسكر تحت امرهِ يفرقهم في الولايات ما عدا جنوداً استخدمتها المشيخة في ولاياتها وكان حكم اوغسطس مطلقاً في ولاياتهِ يعيّن حكامها ويرتب احوالها كيف شاء

الجيش — ٥. اما جيشهُ فكان كثيراً وقسمهُ الى ثلاثة اقسام او طبقات . الاولى فرقة يسيرة تنتخب من كل العساكر للحرس الامبراطوري وكانت على غاية ما يرام من التهذيب والاتقان مع انها لم تتجاوز بضعة الاف وكانت رواتبها اعظم من رزق باقي الجنود وتعين مركزها في رومية ما دام الامبراطور فيها وكانت تسير في صحبتهِ للمحافظة عليهِ حيث سار ودُعيت البريتوريين (اي الوَزَعة) وكان الامبراطور يعيّن قائدها ويعدُّهُ ثانيهِ قوةً ومقاماً . والطبقة الثانية كانت نحو خمسة وعشرين لجيون(اي فرقة) من العساكر المنظمة عدد كل منها نحو ٧٠٠٠ مقاتل ما بين راجل وفارس موزعة في الولايات ومجموع هذه الفرق نحو ١٧٥٠٠٠ . والطبقة الثالثة بقدر هذا العدد وكانت من العساكر المتطوعة من سكان الولايات فبلغ عدد الجميع ما ينيف على ٣٥٠٠٠٠ مقاتل وكان لاوغسطس ايضاً بوارج كثيرة لمحافظة البحر من اللصوص ومساعدة الجيوش في الحروب

٦. وبعد ان اتسق الملك لأوغسطس وراق له الحال عقيب تهلكة انطونيوس ولم يعد له مناظرًا بالملك انقطعت الحروب واستولى السلام برهة فاغلقت ابواب هيكل يانس التي كانت لاتزال مفتوحة آن الحرب ولم تُغلق من ايام الملك نوما الى هذا الحين سوى مدة قصيرة بعد حرب قرطاجنة الاولى لان حروب رومية كانت متواصلة ولم يطل غلقها الا وقتًا يسيرًا في ايام اوغسطس لانه التزم ان يحارب اسبانيا فسار اليها وشن الغارة على قبائلها الثائرة وتمكن من اخضاعها وبينما كان يرتب امورها مرض مرضًا شديدًا ولما شفي عاد الى رومية سنة ٢٤ ق.م. ثم عاد اليهِ المرض في السنة التالية ويئس من حياتهِ فوقع الرعب في قلوب الناس مخافة ما سيحدث عقيب موتهِ فلما شفي فرحوا بهِ وزادوا في اكرامهِ اكثر من السابق وفوضوا اليهِ امر التريبونية الدائمة فصار رئيس العامة على نوع اخص وكان رئيس المشيخة سابقًا ولما توفي لپدُس سنة ١٢ ق.م. ارتقى الى رئاسة الكهنوت ايضًا فجمع كل المناصب العالية في شخصهِ

اغلاق ابواب هيكل يانس

غزوتهُ اسبانيا ومرضهُ الشديد

٧. ولما توطد ملكهُ اخذ يهتم بامر الخلافة من بعدهِ لان نظام الامبراطورية لم يكن قد ترتب بعد ولم تسن قوانين الخلافة وكان هذا الامر ذا شان لانهُ لو مات اوغسطس قبل اتماملر بما حدث شغب عظيم في رومية افضى بها الى الدمار اذ لم يكن لاوغسطس ابن بل كانت له ابنة وحيدة تسمى جوليا فزوجها برجل يسمى مَرْسلُّس فمات ولم يرزق نسلاً ثم عاد فزوجها باغريبا وزيرهِ الاول فرُزق منها ثلاثة بنين تبناهم جدهم اوغسطس وماتوا في حياتهِ وكان لجوليا ابنتان احداها جوليا والاخرى اغريبينا وكان لامرأتهِ الثانية ليڤيا ابنان من زوجها الاول نيرو وهما طيباريوس ودروسُس فتبنى اوغسطس اولها اذ لم يكن له وريث في الملك وعينهُ برضى المشيخة خليفة له اما دروسس فزوجهُ بنت اختهِ اقتافيا امراة انطونيوس فولدت له ابنًا سمَّاهُ جرْمنقُس فهذا لما بلغ الحلم تزوج اغريبينا ابنة جوليا المذكورة فرُزق منها ابنًا سماهُ كابوس وهو الذي ارتقى الى تخت الملك بعد طيباريوس كما سياتي وكان لجرْمنقس ايضًا ابنة اسمها اغريبينا كاسم امها وقد ذكرنا هذه الاسماء هنا بالتفصيل لزيادة ايضاح ما ياتي

امر الخلافة

٨. وحدث في نحو سنة ٢٠ ق.م. ان اوغسطس سار الى الشرق ورتب امور بلاد اليونان واسيا وصالح الفرثيين واسترد منهم الاعلام التي كانوا قد غنموها حين قتلوا قرسس كما تقدم ولما عاد بها الى رومية قبلوهُ بمزيد الاكرام اذ ازال عنهم العار

مسير اوغسطس الى الشرق

ثم سار الى غاليا وبقي فيها نحو سنتين (١٥ و١٤ ق.م.) يرتب امورها ويحارب الجرمانيين الذين لم ينفكوا يغزونها . وارسل دروسس وطيباريوس المذكوران الى نواحي فندليشيا ونوركوم وريتيا شمالي ايطاليا فغزوا البرابرة الذين كانوا يهاجمون تلك الولايات وردعاهم عنها ثم عند عودته الى رومية بعث دروسس الى جهات الرين للمحافظة على تلك الانحاء ولكن لم يامرهُ بعبور الرين واثارة الحرب على الجرمانيين في بلادهم

اما دروسس فاذ كان مولعًا بالفتوحات وحب الغزوات قطع الرين واشهر الحرب على الجرمانيين فعدلوا عن مقاتلتهِ لما عرفوا من شدة باسهِ فاخلوا البلاد امامهُ وتوغلوا في الغابات فاضطر الى الرجوع خوف هلاك جنودهِ بالجوع ولم يحصل على نصرة تستحق الذكر وزد على ذلك مضايقة الجرمانيين موخّر معسكرهِ. وما زال دروسس يستانف القتال حينًا بعد حين الى ان وقع عن جوادهِ فانجرح ومات وناح عليهِ اوغسطس واهل رومية نوحًا عظيمًا لما توسموا فيهِ من الباس والذكاء وكرم الاخلاق فخاب رجاؤهم العظيم اذ كانوا يتوقعون الراحة والنجاح في ايام ملكهِ لانهُ كان ثاني طيباريوس

اعمال طيباريوس

٩ .وسار طيباريوس الى الرين وشن الاغارة على الجرمانيين واكثر فيهم القتل والجراح فشاركهُ اوغسطس بعد عودهِ الى رومية في الامور السياسية وكان ناويًا ان يرسلهُ لمحاربة الفرثيين الذين كانوا يفسدون في ارمينية فضجر طيباريوس من ذلك وطلب ان يذهب الى رودس ليدرس الفلسفة فاجابهُ اوغسطس الى ذلك فذهب واقام فيها نحو سبع سنين

كايوس ولوقيوس ابنا جوليا

١٠. اما جوليا ابنة اوغسطس فاساءت السيرة كثيرًا فالتزم ان ينفيها الى احدى الجزر واذ لم يكن لهُ ابن تبنى ابنيها كايوس ولوقيوس فلما كبرا اخذ يرنهما في الامور السياسية يعدهما للجلوس على سرير المملكة من بعدهِ غير انهُ خاب املهُ من ذلك اذ مات لوقيوس سنة ٢ ب.م. وقتل كايوس سنة ٤ ب.م. عند ما ارسلهُ الى سورية وارمينية ليرتب امورها اذ مكر بهِ احد الاعداء فحزن عليهِ اوغسطس اذ لم يبقَ احد من نسلهِ ليخلفهُ في السياسة لان ابن جوليا الثالث كان بليدًا وغير اهل للقيام بها فالتزم ان يسترجع طيباريوس بن ليفيا ويقيمهُ خليفة لهُ ولما لم يكن لهذا ولد جعلهُ ان يتبنى جرمنقس ابن دروسس اخيهِ

١١. ولما حضر طيباريوس بعثهُ لمحاربة بعض الخوارج شرقي بحر ادريا وشماليهِ

نكبة الرومانيين العظيمة في جرمانيا سنة ٩ ب م

واستمرت هذه الحرب من نحو سنة ٧ الى سنة ٩ ب م. وكان جرمنكس يحارب في تلك الاطراف ايضًا واصاب الرومانيين في نواحي الرين نكبة عظيمة هي ان ڤارس والي ولاية جرمانيا كان طالمًا قاسيًا جدًا فخرج الجرمانيون عليهِ وفي مقدمتهم رجل يسمى أرْمينيوس فتاهب ڤارس وسار لمقاتلتهم فانهزم شر هزيمة وقتل وهلك اكثر جنودهِ واستولى العدو على اعلامهم وكانت هذه النكبة من اعظم ما الم بالرومانيين في حروبهم ولما نما الخبر الى رومية تكدر اوغسطس وخاف ان يعبر الجرمانيون الرين ويهاجمون المملكة فيتسع الخرق ويخرج عليهِ غيرهم وتعمّ الخيانة فجهز طيباريوس وجرمنكس وارسلها الى تلك الاطراف فشنا الاغارة على الجرمانيين وفتكا بهم فتكًا ذريعًا فرجعوا القهقرى منكرين القتال معهما فلم يقدران يلحقا بهم وعلم اوغسطس ان لا فائدة من هذه الحرب لان بلاد الجرمانيين غير معمورة فلا تبالي بغزوات الرومانيين فعزم على اخلائها وجعل الرين حدًّا للمملكة في تلك الناحية غير انهُ اسف كثيرًا على ما اصابهُ من العار وخسارة الجنود وكان ذلك سنة ٩ ب م

اعمال اوغسطس الاخيرة

١٢. وحدث بعد ذلك ان اوغسطس شاخ اذ بلغ عمرهُ ٧٥ سنة فايقن بحلول الاجل وطفق يهيئ امورهُ للانتقال من هذا العالم ففوض زمام الملك الى طيباريوس وامر باكتتاب رعايا رومية فبلغ عددهم ٤١٩٧٠٠٠ وان تكتب امور ملكهِ فكتبت ولا تزال باقية الى ايامنا هذه وتعد من اثمن آثار اوغسطس. وخرج في اخر امرهِ من رومية ليشيع طيباريوس اذ كان امرهُ بالمسير الى الليركون في جند فاصابهُ اسهال قوي في اثناء الطريق اشتد بهِ فمات وهو على هدو تام رائق الفكر متوقعًا مجد الخالدين واظهر في موتهِ من ضبط النفس وحسن التعقل ما اظهر مدة حياتهِ وكانت وفاتهُ لتسع عشرة خلت من شهر اب سنة ١٤ ب م. وعمرهُ ٧٦ سنة الاَّ خمسة وثلاثين يومًا ومدة ملكهِ ٤٤ سنة منذ معركة اكتيوم

ملك طيباريوس

١٣. ثم خلفهُ طيباريوس قيصر بلا خلاف وهو اول القياصرة الذين لم يغتصبوا الملك ولما شاع الخبر بوفاة اوغسطس اخذ الشعب يملقون طيباريوس وخضعت لهُ المشيخة ودعتهُ الملك الاَّ انهُ تظاهر اولاً بعدم القبول وبشدة الاحترام للنظام القديم لكي يلاطف الناس ويخدعهم ثم قبل اخيرًا بذلك وارتقى الى تخت اوغسطس واعدًا انهُ يحذو حذوهُ ولكنهُ كان على غير سجية سلفهِ عبوسًا غضوبًا يسيء الظن بالناس فلم يطل امرهُ حتى

خروج العسكر

ظهر منهُ الظلم والجور في سياستهِ فحمل كثيرين من الجنود على الخروج عن طاعتهِ ولاسيما من ناحية الدانوب والرين فبعث ابنهُ دروسس لاخماد الثورة عند الدانوب ففعل وكان جرمنقس المذكور انفًا قائد الجنود في اطراف جرمانيا فقام العسكر وقالوا انهم لا يبايعون غير قائدهم والحوا عليهِ ان يقودهم الى رومية فيخلعوا طيباريوس ويملكوهُ مكانهُ فابى واكد انهُ لا يخون سيدهُ وما زال يطيب خواطرهم حتى سكن هياجهم فلما بلغ طيباريوس ذلك

اعمال جرمنقس

احترق غيظًا تكدرجدًّا اذ رأى ان الشعب يميل الى جرمنقس فكتم غيظهُ واستنظر فرصة للانتقام منهُ اما جرمنقس فلما تمكن من رضوخ عسكرهِ عبر الرين واكثر القتل في الجرمانيين انتقامًا منهم لما اجروهُ سابقًا من قتل جنودهِ كما تقدم فهزمهم واسترد الاعلام التي كانوا قد غنموها قبلاً ومع هذا لم يتمكن من اخضاعهم تمامًا فبقي الجرمانيون مستقلين لكنهم لم ينفقوا كثيرًا لمدة طويلة وذلك من جرى الحروب بينهم

وفاة جرمنقس سنة ١٩ ب.م

١٤. ولما عاد جرمنقس من حربهم دخل رومية باحتفال النصرة وفاز باكرام الشعب وزادت الثقة بهِ نظرًا لفضائلهِ فحسدهُ طيباريوس وحقد عليهِ واراد ابعادهُ عن رومية فجهزه الى الشرق وارسل معهُ رجلاً يسمى نيوس پيسوس بعد ان امرهُ باهلاكهِ سرًّا كما يظن فلم يمضِ الاّ وقت وجيز حتى مرض جرمنقس وتوفي في انطاكية سنة ١٩ ب.م. شاعرًا بسريان السم في بدنهِ واتهم پيسو بقتلهِ فاقامت امراتهُ الدعوى امام المشيخة على پيسو فقتل قبل نهايتها والمظنون ان طيباريوس قتلهُ خوف افتضاحهِ اذا ظهرت حقيقة امرهِ

ظلم طيباريوس وترقية سجانس

١٥. ومن ثمَّ اشتد ظلم طيباريوس وجورهُ عند ما خلا لهُ الجو واخذ يهلك الناس من مجرد التهمة ولو كانوا من الاشراف واصحاب الجاه والاحترام فلم يامن احد منهم ولم يستشرهم كما كان يفعل اوغسطس قبلهُ ولم يشركهم في السياسة بل اقام رجلاً دني النسب عتيقًا يسمى سجانس معينًا لهُ وجعلهُ رئيس حرسهِ وثانيهُ في الملك بعد ان شرط عليهِ ان يخضع لهُ في كل شيء لكي يجري مقاصدهُ الظالمة وكان سجانس شديد الرغبة في الارتقاء وقصد الاستيلاء على زمام الملك بتمامهِ فافسد امراة دروسس بن طيباريوس واغراها على قتل زوجها بالسم ثم طلب اليهِ ان يزوجهُ اياها فابى غير انهُ لم يدرِ حقيقة الامر الى حين واستمر سجانس على ما كان عليهِ من التسلط والاستبداد واخذ يشي الى الامبراطور باولاد جرمنقس لكي يعدمهم عن الملك ثم اخذ يبين لهُ انهُ في خطر القتل ما دام في رومية

فحملهُ على تركها فاعتزل عنها الى جزيرة صغيرة قرب شطوط كمپانيا تسمى كپري وانفرد سجانس في رومية سنة ٢٦ ب.م. مستعملاً كل الوسائط لاختلاس الملك فسجن امراة جرمنقس واثنين من بنيها اذ اقنع الامبراطور بخيانتهم ثم نال مطلوبهُ واقترن بارملة دروسس المذكورة ظانًّا انهُ قد فاز بكل مقاصدهِ غير ان طيباريوس اكتشف اخيرًا مكائدهُ ولكنهُ لم يعزلهُ ولا امر بقتلهِ حالاً خوفًا منهُ اذ صار امر رومية بيدهِ فتربص منتظرًا الفرصة المناسبة لاهلاكهِ ثم بعث من يتولى رئاسة الحرس سرًّا ويغوي سجانس على الحضور الى قاعة المشيخة ليُبلَّغ امرًا من الامبراطور فحواهُ ترقيتهُ الى منام شريك لهُ في الملك ففعل غير موجس منهُ شرًّا فلما حضر تلي الامر من طيباريوس بالقبض عليهِ فدهش الناس وسروا بذلك لشدة مقتهم اياهُ فهلك سجانس من يومهِ ونجا الشعب من ظلمهِ وكان ذلك سنة ٣١ب.م.

اعتزال طيباريوس عن رومية سنة ٢٦ ب.م

١٦. اما طيباريوس فلم يعد يامن احدًا بعد سجانس وازداد ظلمًا واكثر القتل في الناس وكان يرسل اوامرهُ بقتلهم الى رومية ولم يجترىء على الحضور بنفسهِ مع انهُ قصد ذلك مرةً فلما اشرف على المدينة من بعيد ارتعد ورجع من فورهِ ولم يدخلها الى يوم موتهِ وانفرد بجزيرتهِ يغوص في بحر الشر والخلاعة والفجور فأثرت هذه القبائح فيهِ واضعفت قواهُ جسدًا وعقلاً وكان كلما زاد ضعفهُ انهُ افرط في الظلم والجور حتى خاف الجميع على انفسهم وكان ممن قتلهم كنتهُ التي تزوجت بسجانس واغريبينا ارملة جرمنقس ونيرو ودروسس ابنيهِ وعدد غفير من الاشراف ولما شاخ طيباريوس وحان اجلهُ اشتد عليهِ المرض فاراد اخفاء الامر عن خدمهِ لئلاَّ يشمتوا بهِ فكان يقوم من فراشهِ ويعمل حسب عادتهِ فزادهُ ذلك ضعفًا وغشي عليهِ اخيرًا حتى ظن من معهُ انهُ قد مات . فقيل انهم خرجوا وهنأُوا كايوس بن جرمنقس الاصغر زعيم الملك ثم استفاق طيباريوس فلما علموا خافوا خوفًا شديدًا لئلاَّ يكون قد سمع ما دار بينهم فيامر بقتلهم قبل انقضاء اجلهِ فدخل عليهِ ماكرو رئيس الوزعة والقى عليهِ شيئًا كثيرًا من الدُثر ففطس وكان هلاكهُ سنة ٣٧ ب.م. في الثامنة والسبعين من عمرهِ

مظالم طيباريوس

وفاة طيباريوس سنة ٣٧ ب.م

١٧. ومن الامور التي تستحق الاعتبار في ملك طيباريوس ان المملكة انحطت عن شوها الذي كانت عليهِ في ايام اوغسطس وباتت السياسة في غاية الذل والهوان وسلبت حرية المشيخة واصبحت في يد الامبراطور وتحت مطلق تصرفهِ غير ان اساس هذا

انحطاط المملكة

الشر كان من سلفهِ الذي لم يترك لها ولا للناس سوى الحرية حسب الظاهر فقط ومنها ايضاً ان يسوع المسيح عمل في ايامهِ اعمالهُ العظيمة ومات مصلوباً على عهد بيلاطس البنطي الذي عينهُ طيباريوس والياً على اليهودية ثم نفاهُ الى غاليا حيث قضى نحبهُ

ملك كايوس وهو كاليغلا سنة ٣٧—٤١ ب.م

١٨. قلنا قبلاً ان كايوس بن جرمنقس كان زعيم الخلافة قبل موت طيباريوس غير ان هذا لم يكن مقررًا فاختلفت الظنون في امرها اذ لم تكن ترتبت تحت نظام ولم يتفق على من لهُ حق التعيين فارتقى كايوس الى سرير الملك حينئذٍ باتفاق المشيخة والجنود والعامة اذ لم يوجد احق منهُ فيهِ واحسن الجميع ظنهم بان جرمنقس الملقب بكاليغلا يسلك بالعدل والاستقامة فاصابوا اذ احسن السيرة في بداءة ملكهِ واطلق الذين قبض عليهم سلفهُ ظلمًا وعدوانًا ورد المنفيين وطرد الماحلين الذين رباهم طيباريوس عندهُ واحترم المشيخة فأبشر الناس ورجوا انهم ينالون الراحة في ايامهِ ولكن ساء فالهم بعد قليل اذ مرض كايوس فيئس الجميع من شفائهِ وصلوا الى الالهة من اجلهِ ولما شفي فرحوا فرحًا عظيمًا اما هو فاخذهُ عجب النفس والتجرف وظهرت فيهِ سجيتهُ الحقيقية وابدى من الظلم والجور ما لم يبدهِ سلفهُ فاستخف بالرعية واجرى افعالاً غريبة حتى ظنهُ البعض

مظالم كاليغلا وفرط شره

قد جن لانهُ عذب الناس قصد اللهو بهم واكثر القتل في الملاعب العمومية وكان يستحضر المسجونين ويطرحهم امام الوحوش الضارية ولما فرغت السجون قيل انهُ كان يامر بالقبض على الحاضرين في الملاعب ويطرحهم امام تلك الوحوش والزم ذوي الوجاهة والخاصة ان ينزلوا الى الميدان للمبارزة بالاسلحة كانهم عبيد فكانوا يقتلون بعضهم بعضاً الهاء لهُ وتوغل في الفسق والقبائح حتى انهُ تزوج اختهُ وهو امر منكر عند الرومانيين وحسب نفسهُ الهًا ونادى بالوهية القياصرة مطلقًا وقيل انهُ ذهب كل مذهب فامر بالسجود لجوادهِ وكان يحضر بهِ الولائم ويطعمهُ افخر الاطعمة ويسقيهِ الخمر صرفًا في كؤوس ذهبية ولا يقدر العقل ان يتصور ما نوى ان ياتي من المنكرات لو لم

مسيره الى غاليا

يرغب في الفتوحات والمغازي فسار بجنودهِ لحرب الجرمانيين ولم يكسبهُ مسيرهُ غير الازدراء والسخرية بهِ لانهُ عند وصولهِ الى غاليا (ان صدق ما روي عنهُ) واقترابهِ الى نهر الرين امر فرقة من الاسرى ان تعبر النهر ثم جاهر بالحرب عليهم وخرج بشرذمة من جندهِ واستردهم وعاد بهتاف عظيم حاسبًا انهُ قد نال نصرًا عظيمًا على العدو ومما يروى عنهُ ايضًا انهُ عزم بعد ذلك على مهاجمة بريطانيا فحشد جنودهُ وجهز سفنهُ وتظاهر

بالسير اليها ولما وصل الى الشاطئ حيث كانت العساكر تنتظرهُ امرهم ان يضعوا اسلحتهم ويملأوا خوذهم من الاصداف البحرية فلما جمعوا كومة عظيمة ارسلها امامهُ الى رومية كانها غنيمة ثمينة جدًّا وعاد بجيشهِ مؤيدًا منصورًا واصدر امرهُ الى المشيخة بان تعد لدخولهِ المدينة حفلة الانتصار وتقوم بابهج الزينة والاحتفاء فتحيرت من ذلك وحسبتهُ اهانة واحتقارًا فلم تهيء لهُ شيئًا فاستشاط غيظًا واضمر الانتقام منهم عند سنوح الفرصة هذا ومع انهُ اشبه من جنَّ في سلوكهِ كان لهُ شيء من المقاصد المفيدة اذ عزم على اخضاع احد قوادهِ وكان قد خرج عليهِ فتم مقصدهُ مع ان اكثر تاهباتهِ ذهبت سدًى

١٩. ولما رجع كاليغلا الى رومية أنذر المشيخة والاشراف بالقصاص الشديد لاهانتهم اياهُ ولم يعلم ماذا كانت النتيجة لو لم ينصرم عمرهُ في اثناء ذلك اذ وثب عليهِ بعض خاصتهِ واهلكوهُ سنة ٤١ ب.م. فحصلت المشيخة على فرصة موافقة لتعيين من تشاء على سرير الخلافة اذ لم يكن لكاليغلا وريث ولا من لهُ حق الدعوى بالملك وكان في قبضة يدها ان تلغي الامبراطورية وتعيد الجمهورية لولا خوفها من امر ياتي هلاك كاليغلا سنة ٤١ ب.م

وحدث في اثناء تاخرها ان بعض الوزعة في القصر الامبراطوري صادفوا كلوديوس اخا جرمنقس وعم كاليغلا وكان ضعيفًا ناحل البدن لم يحسبهُ الناس اهلاً للقيام بعبء السياسة فكان في سالف حياتهِ متجنبًا امورها عاكفًا على الدرس والمطالعة والتاليف فلم يخطر على بال احد حين هلاك كاليغلا الى ان التقى بهِ بعض الوزعة اتفاقًا كما مر فاخذوهُ وملكوهُ على رغمهِ وقررت المشيخة والناس ملكهُ فارتقى الى عرش الامبراطورية سنة ٤١ ب.م ملك كلوديوس سنة ٤١—٤٥ ب.م

٢٠. وكان كلوديوس ضعيف البنية فاتر العزم سريع الانقياد محاطًا بزمرة من الاشرار جعلوهُ شريرًا ظالمًا مع انهُ لم يرد الظلم والجور ولم ينوِ الشرَّ في كل حياتهِ ولم يقم في القياصرة بعد اوغسطس احسن منهُ وكان من جملة مآثرهِ التي عادت على المملكة بالمجد والفخار غزوة بريطانيا فانهُ سار اليها واضاف الجانب الاعظم منها الى املاك رومية بعد ان كانت مستقلة منذ غزوة يوليوس قيصر ولم تخضع لكلوديوس الاّ غصبًا فان اهلها بذلوا الهمة في قتال الرومانيين وكان ممن اشتهر منهم في هذه الحرب قائد اسمهُ فسپاسيانُس ارتقى الى السدة الامبراطورية بعد ذلك كما سياتي اخضاع بريطانيا سنة ٤٣—٥١ ب.م

وكان للبريطانيين قائد عالي الهمة شديد الباس حسن الخبرة في فن الحرب اسمهُ

قراقتَقُس فضايق الرومانيين كثيرا مع انه لم يقدر ان يهزمهم في ساحة الوغى وكان كلما انهزم يتوغل في الغابات ويتمنع بالاماكن الصعبة المراقي ثم يعيد الكرة على العدو وهم عنه غافلون فطالت الحرب نحو تسع سنين الى ان وقع اخيرًا بيد الرومانيين فاخذهُ كلوديوس اسيرًا وقادهُ الى رومية ذليلاً حقيرًا ليزين به احتفال دخوله ظافرًا منصورًا وانضمت بريطانيا الى املاك رومية سنة ٥١ب م.

ومن جملة حروبه الحرب التي اثارها في افريقية فاضاف بها بعض البلدان الى مملكته ومنها ايضًا تنظيم امور اسيا الصغرى واليهودية

مساليينا ٢١. وكانت سيرة كلوديوس في رومية سيئة جدًّا اذ تسلط عليه المفسدون وكانت امرأتهُ مسّالينا شرًّا من ايزابل امرأة اخاب ملك اسرائيل فلم تدع قبيحًا يفوتها واتخذت كل الوسائط لاتمام مقاصدها الخبيثة فعشقت عبيد الامبراطور المستخدمين في السياسة لكي يخضعوا لها ويجروا مقاصدها من قتل الناس وسلب اموالهم فوقع جملة من الاشراف فريسة وبلغت هذه الشقية من القحة كل مبلغ حتى انها تزوجت احد الائمة جهارًا عند ما كان كلوديوس غائبًا فلما بلغه هذا الصنيع اهلكها ورفيقها ثم عاد فاتخذ اغربيينا ابنة

اغربيينا جرمنقس امراة وكان لها ابن من زوجها الاول اسمهُ نيرو ولكنها مع ما كانت عليهِ من الرذائل لم تبلغ شرَّ مسالينا فلما ارتقت الى مقامها الجديد اخذت تبذل جهدها في ما يأول لنفعها وخير ابنها فحملت كلوديوس على تبنّي نيرو ففعل وكان ابنهُ الحقيقي بريطَنِقُس اصغر من نيرو فاخذت اغربيينا تخادع كلوديوس وتدبر الامور كما تشاء ومع هذا فعلت اشياء تستحق الثناء فاسترجعت سنقا الفيلسوف الشهير من منفاه وجعلته معلم ابنها واقامت رجلاً فاضلاً مستقيمًا اسمهُ بُرُّوس على السياسة ولكنها كانت غير امينة لبعلها فعلم امرها وطرق مسامع اغربيينا يومًا قولهُ وهو سكران ان نصيبي اولاً نسائي شريرات ثم قصاصهنَّ فتوقعت منهُ ذلك وعزمت ان تهلكهُ قبل ان يهلكها فنالت مناها

قتل كلوديوس سنة ٥٤ ب م بان سمّتهُ سنة ٥٤ب م

ومن مآثره المفيدة لرومية بناؤُهُ قناة الماء المسماة باسمهِ وتعزيلهُ ثغر نهر التيبر لكي تتمكن السفن من السير فيهِ

ملك نيرو سنة ٥٤— ٢٢. ولما هلك كلوديوس اخفت اغربيينا وفاتهُ الى ان نصبت ابنها نيرو دون بريطنقس المذكور على تخت المملكة وكان برُّوس المار ذكرهُ رئيس الوزعة فاخذ نيرو

٦٨ ب.م وعرضهُ عليهم فبايعوهُ ونادوا باسمهِ امبراطورًا ولم يحصل من المشيخة ادنى مقاومة فجلس على سرير الملك واستبشر الناس بهِ اذ كان حفيد جرمنفس وتلميذ سنقا الفاضل وكان برُّوس الامين وزيرهُ الاول وظنوا انهُ يحسن السيرة ويجتنب كل ظلم فصح ظنهم نحو خمس سنين لانهُ انقاد الى نصائح معلمهِ وطرد الماحلين وخفض الرسوم عن الناس وفرق عليهم جانبًا من اموالهِ واعطاهم بعض الاراضي الميرية وخفف احمال الولايات ايضًا وبالاجمال عمل ما حمل الناس على مدحهِ وزاد في اكرام المشيخة وشاركها في مهام السياسة وارادت امهُ الشريرة قتل بعض اصحاب القوة لئلا يعيقوها عن اتمام مقاصدها فقاومها غير انهُ لم يبقَ على هذه الصفات الحسنة وساءت اخلاقهُ كما يظهر من قتلهِ بريطنقس وذلك انهُ تشاجر مع امهِ فعنفتهُ وتهددتهُ بانها تملك بريطنقس عوضًا عنهُ فدعاهُ الى مائدتهِ واماتهُ بسمٍ كان قد اعدَّهُ لهُ ولم يهمهُ موتهُ شيئًا واستمر على ما كان عليهِ من الطعام والشراب ثم امر باخراج جثة القتيل واومأ الى الحاضرين ان يعودوا الى البسط والانشراح كأنهُ لم يحدث شيءٌ من ذلك العمل الفظيع

حسن سيرته في الاول

قتل بريطنقس

٣٢. واستحكمت الوحشة بينهُ وبين امهِ فطردها من قصرهِ ونفاها من رومية وخاض في بحر الشرور والمعاصي وغرق في لجة القبائح والمنكرات وهام بامرأة اشر منهُ اسمها بيبياسبينا قرينة اوثو احد خاصتهِ فاجبرهُ على طلاقها ثم تزوج بها وكانت البغضة بينها وبين امهِ شديدة جدًا فاغوتهُ بيبيا بان يقتلها فاعد لها مكيدة وخرج من رومية واتى الى بعض دورهِ على شاطىء البحر ودعاها اليهِ كانهُ يريد المصالحة معها فلما قدمت بالغ في اكرامها وطيب نفسها ثم ارجعها الى محل اقامتها في سفينة كان قد دبرها لها على طريقة انها متى بعدت عن الشاطىء تنفك وتغرق فتم مرامهُ غير ان اغربينا نجت اذ كانت تحسن السباحة فلما بلغ نيرو ذلك غضب وارسل الى بيتها من اهلكها وقتل نيرو ايضًا امرأتهُ الاولى بنت كاوديوس بعد ان طلقها ليتزوج بيبيا وتوغل في الشر والظلم حتى فاق كل من سبقهُ وقتل برُّوس الفاضل وطرد سنيقا ثم اكرههُ على الانتحار وانقاد الى شقي يسمى تيجيلينس لم يكن اقل منهُ شرًا فزادهُ ذلك جورًا وظلمًا وتمادى في الاسراف والتبذير حتى فرغ بيت المال ثم اخذ يقتل الناس لكي يستولي على اموالهم واكثر المكوس عليهم ولم يكترث بصراخهم وضيقهم فلم يكن لهُ شبيه سوى الشيطان الرجيم لا بل قد سبقهُ بمراحل وحق

تزوجه بيبيا وقتل امهِ وغيرها

للشيطان ان يتشبه بهِ وقد ظنهُ البعض مجنونًا وبالحقيقة ان من يرفض شريعة الله ويميت ضميرهُ لا يامن اختلال عقلهِ ولو بعد حين وخاف نيرو من اتجاه افكار الجميع الى افعالهِ الشريرة فشرع بالمآثم وصرف انظارهم عن مظالمهِ فانشأ الالعاب الغريبة والملاعب الفاخرة واتاهم بغرائب العالم وعجائبهِ والزم الاشراف ان يتزلوا الى الملاعب ولم يمتنع هو عن ذلك الفعل الشنيع بل باشر العاب العبيد بنفسهِ لإلهاء الناظرين وبالاختصار انهُ طغى وبغى وتوغل في الفواحش والمنكرات حتى لم يقم قبلهُ مثلهُ ولا اظن ان سيكون بعدهُ ايضًا

جريق رومية وقتل المسيحيين سنة ٦٤ ب.م

٢٤. ومن شر اعمالهِ ما نسب اليهِ وهو الاليق بمن كان نظيرهُ ذلك انهُ امر باحراق رومية سنة ٦٤ ب.م. لكي يلهو بالنظر الى لهيبها وبسمع صراخ اولئك الاشقياء الذين اكلتهم النيران فبعد ان شبت النار فيها ستة ايام متوالية واحرقت القسم الاعظم منها أُخمدت برهة يسيرة ثم عادت ايضًا واستمرت ثلثة ايام اخرى فلم تبقِ ولم تذر وعقيب اخمادها عظم صراخ الناس واشتد حنقهم عليهِ فزاد الشرّ بانهُ اتهم المسيحيين باضرام النار لكي يحول غضب الناس عنهُ وقبض على كثيرين منهم واذاقهم العذاب الاليم فالبس بعضهم جلود الوحوش وارسلهم بين الكلاب فسطت عليهم ومزقتهم اربًا اربًا وصلب بعضًا وغمّس ثياب البعض بالقطران او مواد اخرى سريعة الاشتعال ثم اوقد فيها النار وتركهم يحترقون ليلاً ليعجب بهم الناس وما زال يعذب المسيحيين ويظلمهم ويفتك بهم حتى حنَّ اهل رومية عليهم مع انهم كانوا يمقتونهم بسبب ديانتهم اذ تحققوا انهم ليسوا مجرمين في هذا الامر كما يشهد اعظم مورخيهم تَسِتس الوثني عدو المسيحيين

بناء القصر الذهبي وترميم المدينة

وبعد هذه النازلة شرع نيرو في بناء قصر لهُ فجاء مشيد البنيان كامل الاتقان مزخرفًا بسائر النقوش والالوان قيل انهُ بناهُ على تلّين من تلال رومية اوصل بينهما بجسر طويل شاهق وزين هذا القصر باثمن النفائس والكنوز حتى دعي القصر الذهبي

ترميم رومية

٢٥. ثم شرع نيرو في ترميم المدينة على طريقة حديثة فشاد الابنية الرفيعة والقصور البهية المنيعة المزخرفة بالنقوش الغريبة البديعة واذ كانت الخزينة صفرًا من الدرهم والدينار دعتهُ الضرورة ان سلب اموال الرعايا في جميع انحاء المملكة ولم يقف عند هذا الحد بل تطرّق الى نهب الهياكل وتماثيل الآلهة . فكان ذلك سببًا لاثارة الاحقاد الكامنة في صدور عامة القوم فلم يخالج قلوبهم امر سوى عقد القلب والنية على

عقابهِ فتعاهد قوم من اشراف رومية على مواخذتهِ بجريرتهِ وقتلهِ فظهرت مكيدتهم قبل نجازها فعاقبهم عقابًا شديدًا واهلكهم . وكان من جملة الهالكين الفيلسوف سنقا منتحرًا ممتثلاً امر نيرو الفظيع كما سبق والظاهر انهُ لم تكن لهُ يد في امر الفتنة وكثرت القتلى وسالت الدماء انهارًا وغصت الشوارع بالجنازات فما كان يسمع سوى نوح ثكلى او عويل ارملة على حبيب فقيد او سيد عميد الا ان نيرو اكثر الذبائح للآلهة واجبر الناس على تقديم الشكر والحمد لهم على نجاتهِ وهلاك اصحابهم واذل المشيخة وحطَّ شانها وجار في حكومتهِ ولم يأمن احدًا من الناس غير انهُ كان يلاطف سنهتهم ويطيب قلوبهم بالعطايا وكلما غصب املاك غني كان يقسمها بينهم فعطفوا عليهِ ودافعوا عنهُ فكان يحاذر من ان يعمل شيئًا لا يسرهم

الفتنة على نيرو سنة ٦٥ ب.م

٢٦. وسار نيرو الى بلاد اليونان لانهُ كان مولعًا بفن الموسيقى والسماع وكان يصبو كثيرًا ان ينال حظًا وافرًا من مديح شعراء اليونان الذين فاقوا سواهم من الشعراء فحظي بمرامهِ وامتدحهُ فحول شعراء اليونان كُرْهًا اذ لم يجسروا على صدهِ مخافة القتل فاعجب نيرو بما مدحوهُ بهِ تملقًا واطراءً وشهد لهم وحدهم بحسن الذوق وسلامة آلة السماع والمزية على من سواهم في تمييز الالحان المطربة واحسن اليهم ونادى بحريتهم فصفقوا لهُ تمجيدًا واتفق ان جاء قوربلو احد قوادهِ الباسلين من الشرق اثناء اقامتهِ في كورنثوس اذ كان قد امرهُ بالحضور اليهِ وكان امينًا لهُ للغاية . اما نيرو فاتهمهُ بالخيانة وامرهُ ان ينتحر ففعل وتبين من هذا ما هي الحرية التي منحها للناس

سير نيرو الى بلاد اليونان

٢٧. وعاد نيرو الى رومية سنة ٦٨ ب.م. ولم يمضِ سوى زمن وجيز حتى شبت نار الشحناء والخيانة الكامنة في قلوب الجند الذين في الغرب لان القواد ايضًا كانت قد وغرت صدورهم عليهِ وسئموا سيرتهُ فيهم وسوء تصرفهِ وتدبيرهِ فاحتقروهُ ولم يعودوا يحتملون مظالمهُ وقبائحهُ وما كان صبر اهل رومية على الذل والهوان الا رهبة وخشية من باسهِ. ولم يجنح الا ان تنصب راية الخيانة والعصيان فيهيج الجميع ويجاهروا بالعدوان. فابتدأ ذلك قائد جند غاليا فِندِكس لكن خاب سعيهُ اذ قام عليهِ قائد اخر وقتلهُ وخرج قواد افريقية واسبانيا وجرمانيا في آنٍ واحد تقريبًا وأُبرم الاتفاق على ان غلبا القائد الاول في اسبانيا يتولى القيادة ويزحف الى رومية ويخلع نيرو فلما سمع نيرو بما كان وعلم ان غلبا قادم عليهِ ذاب قلبهُ خوفًا وطارت نفسهُ شعاعًا وتيقن بالهلاك . فلم يجد ولا تذرّع بها فيهِ صيانة

خيانة القواد وموت نيرو سنة ٦٨ ب.م

المدينة ووقايتها من اعتداء ذاك العاتي الخائن اذ لم يكن له مثقال ذرّة من الشجاعة بل كان جبانًا هلوعًا على فرط ظلمهِ وغشمهِ فاخذ يتأوّه وينوح على نفسهِ واخيرًا هرب من رومية متنكرًا واختبأ في بيت احد عبيدهِ في سواد رومية ولما علمت المشيخة بذلك اباحت دمهُ وبعثت من يجدون في اثرهِ ويقبضون عليهِ ويسوقونهُ الى رومية لكي يجري عليهِ القصاص بما يستحقهُ واي ميتة سوءٍ بوتها فلما سمع نيرو بالامر ايقن بانهُ هالك فعمد الى الانتحار غير انهُ كان مرتجفًا جزعًا ضعيف العزم فلم يجسر ان ينجز مرامهُ فعيرتهُ حاشيتهُ قائلين قد امرت الكثيرين بالانتحار كانهُ امر يسهل ورودهُ وها انت تعافهُ متردداً فيهِ فقد حانت نوبتك وما زال يقلب عزمهُ المذبذب حتى احسَّ بقدوم طالبيهِ فانتضى سيفهُ كانهُ عازم ان يقتل نفسهُ لكنهُ لم يتجاسر وتربص روعًا فحنق لذلك احد غلمانهِ وضربهُ فخر صريعًا فقتلهُ وكانت جهنم لهُ المأوى انقرضت بموتهِ دولة القياصرة التي انتمت الى اوغسطس وكان ذلك لتسع خلت من شهر حزيران سنة ٦٨ ب٠م

―――

الفصل السابع

في الامبراطورية من موت نيرو الى موت قُمُدس وذلك من سنة ٦٨ ب.م الى سنة ١٩٣ ب.م

امر الخلافة غير مرتقب

١. رأينا ان امر الخلافة لم يكن على نسق واحد في رومية وانهُ لم يعهد بها بعد ان هلك نيرو غير ان غَلْبا كان معينًا من العسكر ولما كانت المشيخة غير قادرة على مقاومتهِ اقرتهُ على الملك واعترفت بهِ وكان حق الانتخاب قد انتقل الى العسكر كما سترى انهُ لم يملك احدٌ بعد ذلك الاَّ من رضي بهِ العسكر فعندوا لهُ الاَّ نادراً

ملك غلبا سنة ٦٨ ب.م

٢. ومع ان غلبا الذي تبوأ العرش حينئذٍ كان شيخًا خبيرًا ماهرًا في امور الحرب لم يكن اهلاً لسياسة رومية في ذلك الوقت ولم يمكث حتى كثرت عليهِ الصعوبات واحاطت بهِ المخاطر والمشاكل فلم يقدر على حلها وكان بيت المال فارغًا فخنض النفقات واقتصد ولم يفرق العطايا على الناس كسالفيهِ فضجروا منهُ وخانهُ جيش جرمانيا ونفرت منهُ القلوب ونبتْ عنهُ الطباع فعين رجلاً يسمى پيسو ظهيرًا وخلفًا . فشقّ ذلك على اوثو المتقدم ذكرهُ ولم يرضَ بهِ وكان الملك قد تغير عليهِ واراد بهِ سوءًا فهيج فتنة واستمال اليهِ الوزعة فلما اظهر الخيانة لم ينهض احد لنصرة غلبا فقتل وكان ملكهُ نحو تسعة اشهر اي من نيسان سنة ٦٨ الى ١٥ كانون الثاني سنة ٦٩ ب . م وهلك پيسو ايضًا معهُ

ملك اوثو سنة ٦٩ ب.م

٣. ثم ملك اوثو وكان الاشراف المفسدين ذوي الترف الذين غاصوا في بحر الشرور وانبعثوا في الفجور والفواحش ايام نيرو سائدين فلم يكن اهلاً للولاية عليهم ولم تطعهُ عساكر غاليا فخرج عليهِ قائدهم ڤيتليوس وجهز جيشًا الى ايطاليا وفي مقدمتهِ ڤالنس وسيسينا فاضطر اوثو ان يسير الى مقاتلتهما وجرى القتال عند مدينة بدرياكم في

وادي البو وانهزم اوثو فقتل نفسهُ وانقضى امرهُ بعد ملك ثلثة اشهر في ١٦ نيسان سنة ٦٩ ب.م

ملك فيتليوس وخروج فسباسيانس

٤. ثم ملك فيتليوس وكان يحاكي اوثو في شروره ومساويهِ لا بل اوفر شرًّا واعظم ضرًّا. واشتهر بالبطنة والجشع وفاق جميع اقرانهِ ومعاصريهِ وكأنهُ حسب ملك رومية أكلاً وشربًا فقط فقيل انهُ أنفق في هذا السبيل ما يعادل ٧٠٠٠٠٠٠ ليرا انكليزية في بضعة اشهر ولم يكن قادرًا ان يضبط نفسهُ ويمنعها شيئًا فلا تذكر لهُ صفة واحدة حميدة فكان احقر جميع ملوك رومية ولم يلبث حتى خرج عليهِ جنود الشرق تحت قيادة فَسْپاسيانس الشهير وكان نيرو قد اقامهُ على الشرق بعد موت قُرْبُلو المذكور فتولى حرب اليهود التي اتقدت اثناء ذلك ولما نعي نيرو اغراهُ بعضهم ان يغتصب الملك لكنهُ لم يفعل الى ايام فيتليوس واذ راى ما كان عليهِ من الفساد والضعف عزم على عزلهِ وظاهرهُ على ذلك موشيانُس والي سورية ووافقهُ كل جنود الشرق وجنود ميسيا وبنونيا والِّيركون فجهز موشيانس المذكور وقائدًا اخر يسمى پريمس الى ايطاليا ليقاتلا فيتليوس اما هو فسار الى مصر ليتمكن من اخضاعها وولى ابنهُ تيطس حرب اليهود

هزيمة فيتليوس وهلاكه سنة ٦٩ ب.م

٥. فجد پريمس المذكور في المسير ولما وصل الى ايطاليا قاتل عسكر فيتليوس عند مدينة بدرياقم المارذكرها فانهزم الفيتليون ثم قدم پريمس الى رومية وخذل فيتليوس كل الناس ما عدا العسكر الذي معهُ فاراد ان يطلب الامان من العدو فابى الجيش الاستسلام انفة من الذل والهوان فاضطر كرهًا الى الدفاع وحماية الذمار وحدث شغب شديد في رومية قتل فيهِ خلق كثير لا يحصى وقتل في الجملة اخو فسباسيانُس فاعتصم قوم بالكپتول حيث اشتد القتال وانتهى اخيرا باحتراقهِ . ولما سمع پريمس بهذه الفتنة جدَّ في السير وهاجم المدينة وافتتحها عنوةً واستولى على محلة الوزعة الذين كانوا اركان حرب فيتليوس وقتلهم كلهم . اما فيتليوس فاختبأ في قصرهِ واذ علموا بمكانهِ جرّوهُ الى الاسواق وطعنوهُ بالحراب واماتوهُ شرَّ إماتة في ٢١ ك ا سنة ٦٩ ب.م. وكان ملكهُ نحو ثمانية اشهر

حالة رومية في سياسة پريمس ودوميتيانس

٦. وكان لفيتليوس اخ يسمى لوقيوس كان قادمًا من الجنوب فلما سمع بوفاة اخيهِ أسلم وقتل فلم يبقَ منازع اومقاوم واقرت المشيخة والرعية بملك فسباسيانس في غيابهِ عن رومية فولي تدبير امرها بالنيابة عنهُ پريمس ودومتيانس بن فسباسيانس الثاني

وسلك هذان مسلك الجور والظلم حتى اتى موشيانس الموما اليهِ انفًا فردع طغيان رفيقيهِ وكبح جماحهما واحسن السياسة وضبط امور العسكر وجميع الناس كل الضبط

اما الامبراطور فابطأ في الشرق يدبر امورهُ ويشحن السفن قمحًا من الاسكندرية ويبعث بها الى رومية وكانت وقتئذٍ في عوز للاقوات فاهمها ذلك كثيرًا ولم يصل فسباسيانس الى رومية الى صيف سنة ٧٠ ب م ولما انتظم له امرها احسن السياسة ومهد الاحوال ورتب الامور افضل ترتيب اذ كان حازمًا مهتمًا بما يلزم لتنظيم الملك الذي كان على غاية الاضطراب من جرى الفساد والجور والمشاجرات فيهِ سابقًا وكان يحترم المشيخة ويروم ارجاعها الى ما كانت عليهِ ايام اوغسطس واضاف الى اعضائها رجالاً من افضل الرعية واصلح المجالس التي حادت عن جادة العدل والانصاف وعدّل الرسوم والعشور على استوائهِ واقتصد في النفقة حتى امتلأ بيت المال فانكر عليهِ عامة الناس ادخارهُ المال ونسبوا اليهِ البخل والشح على انهُ استخدم امواله وبذلها في خيرهم ورفاه احوالهم فانهُ زين المدينة بابنية مشيدة مزخرفة منها ملعب فسيح عظيم جدًّا يفوق ما سواهُ بهجة ورونقًا يسمى قولُسيوم وكان اهليلجي الشكل طولهُ ٦١٥ قدمًا وعرضهُ ٥١٠ اقدام وعلوهُ ١٦٠ قدمًا وكان يسع ٨٠٠٠٠ مشاهد واعتنى بالعلوم ايضًا واجرى لاهل العلم ارزاقًا واسعة واجزل لهم الصلات على اختلاف رتبهم الّا انهُ نفى اصحاب الفلسفة المسماة الرواقية لاسباب سياسية وبالاختصار كان ملكهُ ابهج ما رأتهُ رومية بعد ملك اوغسطس الى ذلك العهد

مجيء فسباسيانس الى رومية سنة ٧٠ ب م وسياستهُ الحسنة

٧. اما حروب فسباسيانس فمنها محاربتهُ اليهود حين ارتقائهِ الى الملك كما تقدم فولاها تيطس ابنهُ فأنجزها كما ذكر في تاريخ اليهود فاطلبهُ هناك وكانت له حرب في غاليا وجرمانيا اذ خرج عليهِ قائد يسمى سيڤيلس واستولى على شطر من غاليا فقهرهُ قائد جيش الامبراطور فعاد مدحورًا . ثم احدث حربًا في بريطانيا وجهز اليها قائدًا ماهرًا يسمى اغريقُلا فأخضع الجزيرة الى حدود كاليدونيا وكان ملك فسباسيانوس من سنة ٦٩ الى سنة ٧٩ ب. م. واشرك قبل وفاتهِ تيطس في الملك فتولاهُ بلا منازعة وهو اول من ورث الملك عن ابيهِ من ملوك رومية

حروبهُ

٨. وكان تيطس خبيرًا بامور الحرب بصيرًا كما راينا في حرب اليهود لما [illegible] اورشليم وكان عزيزًا لدى العسكر وانعقدت قلوب عامة الناس في رومية على محبتهِ

ملك تيطس سنة

٧٩— ٨١ فاستبشروا بملكهِ الاَّ انهُ لم يكن ماضي العزيمة ثبت الجنان فلم يحسن ضبط الامور بدقة
ب٠م وعناية تامة كابيهِ وربما كان رفقهُ بالرعية علة محبة الناس لهُ لانهم ضجروا ونفروا من قسوة ابيهِ فكان تيطس لين العريكة دمث الاخلاق طيب السريرة وكانت لهُ جارية يهودية جميلة تسمى برنيكي فساء العامة ذلك فسرحها حرصًا على رضاهم مع انهُ كان مغرمًا بها جدًّا وبذل تيطس جهدهُ متوخيًا مرضاتهم وفرق عليهم من اموالهِ الخاصة فلم يرد طالبًا خائبًا وفي طاقتهِ ان يعطي وكان يقول انهُ قد اضاع يومًا ان لم يعمل فيهِ خيرًا فاستمال اليهِ القلوب ومات بعد ملك سنتين فناح عليهِ الجميع وبكتهُ بدموع غزيرة كانهم فجعوا بصديق حميم ولعل موتهُ كان خيرًا لهُ وأبقى لذكرهِ الطايب العرف . لانهُ بذَّر الاموال التي جمعها ابوهُ ولو طالت حياتهُ لكان اضطر الى ضرب المكوس الجزيلة للحصول على نفقاتهِ الباهظة ومصاريفهِ الجسيمة فنفرت منهُ القلوب ونبت عنهُ الطباع

انفجار ٩. وحدث مدة ملكهِ امرٌ جدير بالاعتبار وخليق ان يذكر وهو هياج بركان بزوف
بزوف سنة وهو اول هيجان مذكور في التاريخ وكان بغتةً سنة ٧٩ ب٠م٠ وكان فعلهُ هائلاً فانهُ
٧٩ب٠م اخرب مدينتي هرقُلانيوم وبمبي وشيئًا كثيرًا من القرى المجاورة لهُ اما بمبي فتراكم عليها الرماد والحمم وغطت ابنيتها حتى لم يبرز منها شيءٌ فدرست اثارها وعفا رسمها وبقي مجهولاً الى القرن الثامن عشر ب٠م٠ واكتشف يومئذٍ اتفاقًا فاخذوا ينزعون المواد النارية عن ابنيتها واسواقها فوجدوا فيها ما يدهش العقول لان الرماد والحمم قد حفظت كل شيءٍ من الدثور فبقي كما كان لما طمرتهُ فترى الناس والحيوانات على الوضع والهيئة التي كانوا عليها حين اصابتهم تلك الداهية الفاشية والاجساد مسودة متصلبة بعضها في حال الجري وبعضها جالس والبيوت قائمة والجدران كما كانت باثاثاتها وفرشها والصور على حيطانها زاهية الالوان واصحابها فيها على الهيئة المذكورة وكان كثيرٌ من الناس مجتمعين في الملاعب فادركهم الهلاك قبل خروجهم وترى امثال هذه الغرائب في كل جهة فتُعرف كثير من عوائد الرومانيين القدماء ومعيشتهم من هذه الاثار الثمينة التي قد اختفت وذخرت الى يومنا لهذه الغاية فهي بقية جليلة وأثر نفيس اما هرقُلانيوم فقد تلاشت ويذكرنا خراب هذه المدن ما اجراهُ الله على سدوم وعمورة فانهُ الحاكم الذي لا يرد قضاؤهُ

١٠. وحدث ايام تيطس ان اتقدت النار في رومية وعلا لهيبها ثلاثة ايام فاحرقت

ابنية كثيرة وعقبها طاعون جارف هلك بهِ خلق كثير قيل انهُ كان في معظم اشتداده يهلك بهِ عشرة الاف نفس كل يوم غير ان هذا لا يخلو من المبالغة

حريق رومية والطاعون

اما تيطس فلم يسر سيرة نيرو وحين انتياب هذه المصائب بل بذل جهدهُ في ان يخفف ويلاتها عن الناس فازدادوا مودة لهُ وكلفوا بمحبتهِ ودعوهُ ريحانة القلوب ومفرّج الكروب وتفجعوا لفقدهِ سنة ٨١ ب.م.

١١. ثم خلفهُ دومتيانس اخوهُ ولم يكن كاخيهِ في كرم السجية ودماثة الاخلاق فانهُ كان عبوسًا خشن الجانب وحقد على اخيهِ مدة حياتهِ وحين ملك لم يلبث حتى اظهر ما كان فيهِ من الشراسة وسوء الخلق والميل الى الجور وظلم عباد الله وتوغل في الملاهي والشهوات وانبعث في الفجور والشرور على انهُ حكم على غيرهِ بصرامة وانكر على وزرائهِ وقضاتهِ قبول الرشوة وفي اول ملكهِ جهز جنودهُ الى الحرب فشن الغارة على الجرمانيين وعبر الرين سنة ٨٤ ب.م. لكنهُ لم يأتِ بامرٍ خليق بالذكر والاعتبار في تلك الحملة

ملك دومتيانس سنة ٨١—٩٦ ب.م

حربهُ

واما قائدهُ اغريقلا فهزم البرابرة في بريطانيا واخضع جانبًا منهم الا ان دومتيانس ظن بهِ سوءًا وخشي منهُ خيانة وغدرًا فاسترجعهُ

وكانت الحرب التي اوقدها على داسيا سنة ٨١ ب.م من اعظم حروبهِ وغزواتهِ وكان اهلها اغاروا على المملكة وجازوا حدودها ودخلوا ميسيا حيث اقتتلوا مع الرومانيين وهزموهم وغزوا كثيرًا وعاثوا فيها فجهز الامبراطور جندًا الى داسيا سنة ٨٦ ب.م. وعبر الدانوب فانهزم الرومانيون في هذه الكرة ايضًا على انهم استانفوا الحملة سنة ٨٧ فغلبوا العدو ودحروهُ ثم صالحوهُ في سنة ٩٠ على شروط تشين شرفهم لانهم تعاهدوا على دفع الجزية للداسيين ان امتنعوا وكفوا عن مهاجمة ميسيا ولم تبتغ الامبراطورية مصالحة عدوٍ قبل ذلك

١٢. اما دومتيانس فازداد شرًّا ولؤمًا في سياستهِ وافرط في المظالم واسرف في سفك الدماء وخصوصًا من خاصة القوم واعيانهم ذوي الجاه وابقى على جماعةٍ من المحتالين يدسّون نفوسهم بين الناس ويأتونهُ باخبارهم لكي يجد علةً لاهلاكهم وسلب اموالهم ولما اشتد ظالمهُ أخذ قومٌ باثارة السخط واذكاء نار الفتنة فتدارك الامر قبل شبوبها واخمدها وزاد بعد ذلك جورًا وبغيًا اذ كان يخشى الناسَ اجمع ولم يأمن احدًا قط. ومن جملة شرورهِ

مظالم دومتيانس

واقبح فعلاته السمجة انهُ اثار اضطهادًا عنيفًا على المسيحيين قيل لانهم لم يسجدوا لهُ وكانوا قد كثروا في المملكة والظاهر ان بعض حشمهِ كانوا من جملتهم ايضًا واضطهد الفلاسفة واصحاب العلم وحقد عليهم لجهلهِ فكان الجور احبّ شيء اليهِ وكأنهُ كره كل فضيلة رآها في غيرهِ لعدم وجودها في نفسهِ وكان يلاطف العسكر ويجزل لهم العطايا السنية ليتمكن من طاعتهم لانهُ عرف جليًّا ان عدم امانتهم يفضي بهِ الى الهلاك وكان يجاري سفلة القوم واوباشهم ايضًا ويقصد رضاهم بتقديم اسباب اللهو لكي لا يثوروا عليهِ بل يحمون ويذودون عنهُ . اما دوميتيانس فلم يكن آمنًا بل كان قلقًا من جرى تقريعات ضميرهِ وانهُ سيجزى بما قدَّمت يداهُ وايقن بسوء العاقبة فازداد غمًّا وعرتهُ رعدة وتوقع الشر من الجميع وكان يقيد يوميًّا في دفترٍ اسماء من اراد قتلهم واتفق ان امرأتهُ اطلعت على الدفتر ذات يوم واذا اسمها مكتوبًا فيهِ مع اسماء اخرين ومن جملتهم اسماء بعض خاصتهِ فاخبرتهم بذلك فقاموا عليهِ وقتلوهُ سنة ٩٦ ب . م. فاستراحت الارض من شر هذا الطاغية القبيح

ملك نرڤا سنة ٩٦—٩٨ ب.م ١٣. ولما قتل دوميتيانس لم يكن من يدعي الملك بعدهُ فقامت المشيخة وانتخبت امبراطورًا من اعضائها مرقس نرڤا وهو شيخ وقور حليم لين الجانب ولم يكن لهُ ابن يخلفهُ فكان المشيخة قد أبت الخلافة الارثية وقصدت حفظ الامر لنفسها فيما بعد . فلم ينازعها الوزعةُ في الامر ساعتئذٍ على انهم كانوا قد استاؤوا من قتل دوميتيانس لانهُ احسن اليهم كثيرًا واوسع لهم من الارزاق فعاقبوا قاتليهِ على رغم الامبراطور الجديد والمشيخة وهكذا اظهروا سلطتهم اما نرڤا فاحسن السيرة وابطل احكام سالفهِ الظالمة واسترجع المنفيين والغى رتبة الماحلين وحلف المشيخة انهُ لا يسيء الى عضوٍ منها ما دام حيًّا وكان يعتزل سفك الدماء واجتزى بالنفي عن القتل لمن ارتكب جناية واقتصد في نفقاتهِ ابتغاء أن يخفف الرسوم عن الناس وفرق الارزاق على الفقراء واعتنى باولادهم

ثم لما راى وقاحة الوزعة وتوقع منهم شرًّا يطرأُ على السياسة بعد موتهِ اخذ الاحتياطات الموافقة منعًا لحدوثهِ فتبنى بمشورة المشيخة التي خافت من صولة الوزعة رجلًا يسمى تراجانس ارتقى الى العرش الامبراطوري بدون منازعة عند وفاة نرڤا سنة ٩٨ ب.م

ملك تراجانس ١٤. وكان تراجانس من نسل الرومانيين المهاجرين الى اسبانيا حيث وُلد قائدًا للجنود في جرمانيا ولهُ في قلوب جيشهِ محبة واعزاز فلما مات نرڤا ذهب الى

رومية وتولى الملكَ ورحب بهِ الجميع وتيمَّنوا بطلعتهِ لانهُ كان مشهورًا بالعدل والاستقامة سنة ٩٨— ١١٧ ب.م
فغدا من افضل الامبراطورين فلقبوهُ لقبًا جديدًا وهو اوپتِمُس (اي الافضل) ولم يُتيمن بهِ غيرهُ وكان مع استقامتهِ وحلمهِ شجاعًا ذا بأس وشوكة قائدًا ماهرًا قهر الاعداء القائمين على المملكة وشدَّ عراها وعزَّز امرها ووسع حدودها كما سياتي

وعكف تراجانس على الامور السياسية وابدى فيها من الهمة والدراية ما يستحق الذكر فكان هو مديرها ومدبرها في اطراف المملكة ولم يفوّض للولاة سياسة ولاياتهم لئلاَّ يستبدوا برايهم بل كان يتعاهدهم آمرًا اياهم باجراء العدالة ورعاية النظامات وكثيرًا ما كان يحكم في الدعاوي المهمة ولم يتركها لفصل القضاة وحدهم ودبر مالية المملكة ورتبها على احسن منوال فامتلأَ بيت المال بدون زيادة الرسوم وقام بالاعمال العظيمة من حروب وابنية ومساعدة للفقراء ولم يثقل على الناس في القيام بها فمهد السكك وبنى الجسور العظيمة على الرين والدانيوب نظرًا لعرضهما واقام في رومية سوقًا جديدًا ونصب فيهِ عمودًا عاليًا تذكارًا لحرب الداسيين وهو اسطواني الشكل علوهُ ١٣٢ قدمًا وعليهِ نقش بديع متقن الصناعة يحوي نحو ٢٥٠٠ صورة تمثّل مساعيهِ في تلك الحرب وهي تحيط بالعمود على هيئة لولب ممتد من اسفلهِ الى اعلاهُ وهذا العمود باقٍ الى يومنا غير ان تمثال تراجانس الذي كان على راسهِ قد أُزيل عنهُ فوضع بعض البابا وات تمثالهُ مكانهُ. وكان هذا العمل تذكارًا لهُ وتخليدًا لاسمهِ اما اكثر اعمالهِ فقصد بها خير الامة ورفعة شانها فبذل جهده في ان يزيد المملكة قوةً ومجدًا ولعلهُ تمادى في الغزو والاغارات في البلدان المجاورة وافرط في ذلك نظرًا لاتساع المملكة فان تكثير الولايات وتوسيع الحدود امر يفضي الى الضعف في مملكةٍ متسعة النطاق كمملكة رومية عالهُ المعتبرة

١٥. اما حروب تراجانس فنذكر منها اولاً حرب الداسيين التي جرت فيما بين سنة ١٠١ وسنة ١٠٦ ب.م. وقد ذكرنا ان دومتيانس صالحهم على ان يدفع لهم الجزية فكان امرًا مخلاًّ بشرف رومية فابى تراجانس تاديتها أَنفةً من العار واشهر عليهم الحرب وقطع الدانيوب واثخن في بلادهم سنة ١٠١ ب.م ثم عاد وهاجمهم في السنة التالية وهزم ديسَبَلُس ملكهم فطلب المتاركة وعقد الصلح سنة ١٠٣ ب.م. ثم نقض العهد سنة ١٠٤ ب.م. وسار تراجانس اليهِ وقهرهُ قهرًا تامًّا وظفر بديسبلس وخاصتهِ فقتلهم ودوّخ تراجانس بلادهم حرب الداسيين سنة ١٠١— ١٠٦ ب.م

وجعلها ولاية من ولايات رومية وهي شمالي الدانوب (الفلاخ والبغدان) وبنى في هذه الحرب جسرًا على ذلك النهر تسهيلاً لعبور جنوده

العربية الصخرية

وكان في مدة هذه الحرب ان احد قواد تراجانس غزا حوران وجانبًا من بلاد العرب وافتتحها فصار ولاية لرومية تسمى ارابيا بيتريا اي العربية الصخرية وهي بلاد طور سينا والتيه وقسمٌ من الحجاز وما بين اليهودية والبادية ومن مدنها المعتبرة حينئذٍ بيتر والبصرة وجرش

حرب الفرثيين سنة ١١٤–١١٧ ب م

١٦. واقام تراجانس مدة في رومية ينظّم امورها وكان يحترم المشيخة احترامًا فائقًا واطلق لها حرية البحث في سياسة المملكة وكان يستشيرها كثيرًا في امورها ثم في سنة ١١٤ ب.م. سار الى الشرق لمحاربة الفرثيين لانهم تعدوا على ارمينية التي كان الرومانيون يدعون انها لهم وكان ملك الفرثيين حينئذٍ خسروس (اي كسرى) فلما سمع بقدوم تراجانس طلب المصالحة اما تراجانس فرفض اذ كان مصرًّا على اخضاعهِ وقهرهِ فقدم الى سورية ونزل بانطاكية وبينما كان مقيمًا فيها حدثت زلزلة شديدة هدمت الجانب الاعظم منها وهلك بها خلقٌ كثير وكاد تراجانس نفسهُ لا ينجو ثم سار الى ارمينية سنة ١١٥ ب.م. وقتل نائب كسرى فيها وتسلط عليها ومن هناك توجّه الى ما بين النهرين وعبر دجلة وغزا بلاد اشور القديمة ثم عاد الى الفرات ونزل عليهِ سنة ١١٦ ب .م. الى بابل وتولاها بالامان ومن ثم قدم الى الدجلة وركب السفن ونزل الى قطيسفون وهي قاعدة كسرى فابى كسرى القتال وهرب الى سوسا فجد عسكر تراجانس في اثرهِ وكاد يلحقهُ لانهُ ظفر بابنتهِ واستولى على عرشهِ الذهبي . ثم سار الى خليج العجم منصورًا وقصد ان يبارى اسكندر الكبير بفتوحاتهِ قال لو كنت شابًا لبلغت مبلغ ملك مكدونية . اه. غير انهُ امتنع لحدوث فتنة وراءهُ لا لشيخوخته فان مدينة تسمى سلوقية خرجت عليهِ فالتزم ان يخضعها ثانيةً ثم نازل حصنًا يسمى الحضر في جوانب دجلة فلم يقوَ عليهِ اذ نفد القوت والماء في جيشهِ فارتد خائبًا فشلاً وعاد الى انطاكية آسفًا من الخيبة ومرض من مشقة السفر ولما كان في كيليكية وهو اثناء طريقهِ الى رومية ادركهُ الاجل سنة ١١٧ ب.م. وكان ملكهُ ١٩ سنة فنقلوا جثتهُ الى رومية ودفنوها في ضريح معد لها في قاعدة عمودهِ المذكور وناح عليهِ الناس نوحًا عظيمًا

١٧. ثم ملك بعد تراجانس رجل يسمى هادْريانس كان من ذوي قربى سلفهِ وربما كان تراجانس قد تبناهُ في اواخر حياتهِ لان قرينتهُ ادعت ذلك بعد موتهِ ولعلها احتجت بهِ احتيالاً اذ انها عطفت على هادريانس وارادت ارتقاءهُ ولما طار الخبر الى رومية قبلت بهِ المشيخة واقرت بملكهِ وكذلك العسكر فتبوأ تخت المملكة بلا خلاف وكان نظير سلفهِ في العدالة والذكاء وحسن السيرة وطيب السريرة وجودة السياسة والاجتهاد والانصباب على كل ما يتعلق بمنصبهِ الاّ انهُ خالفهُ في توسيع حدود المملكة فكان يكره الغزو والعدوان على الامم المجاورة الاّ عند الضرورة لابقاء رومية على ما كانت عليهِ وفعل ذلك بحكمة لانهُ ايقن ان المملكة بلغت اوج العظمة فان توسعت بعد لا يمكن ضبطها كما يجب فتضعف ولذلك نرى ان هادريانس تخلى عن بعض فتوحات سلفهِ فلم يمضِ الاّ قليل حتى اخلى اشور وما بين النهرين وارمينية وكان هذا من اغرب امور الرومانيين

ملك هادريانس سنة ١١٧—١٣٨ ب.م

١٨. وكان هادريانس في انطاكية عند ما بايعوهُ ولما صالح الفرثيين على تخلية الولايات التي دوخها سلفهُ توجه الى الغرب وفي سنة ١١٨ ب.م. اضطر ان يحارب قبيلة بربرية كانت قد هاجمت المملكة من جهات الدانوب لكنهُ عقد معها صلحًا بعد قليل اذ لم يرجُ فائدة من الحرب وقيل انهُ كان يقدم لها جزية سنوية ويلوح انهُ كان محبًا للدعة يؤثر السلام فهدم الجسر الذي بناهُ سلفهُ على الدانوب لينقطع العبور ويصير النهر حدًّا للمملكة

مصالحة الاعداء

١٩. ثم باشر هادريانس امرًا جديدًا لم يعهد من اسلافهِ وهو افتقاد اطراف المملكة لغاية مراقبتها ومعاينة احوالها وتدبير امورها على ما يقتضيهِ العدل والحزم وما يحسن في عينيهِ فلم يكن يعتمد على بطانتهِ ومشيريهِ وعمالهِ فيما يقررونهُ لديهِ من شؤونها ولم يزل على ذلك الى انقضاء ملكهِ فزار كل انحاء المملكة تقريبًا مرتين مدة ملكهِ ولم يقم في رومية اكثر من خمس او ست سنين بل انفق نحو خمس عشرة في غيرها واقام مدة في بريطانيا في مدينة يورك (ابوراقم) وفي اثينا وفي الاسكندرية وانطاكية وكان يخالط الناس ويعاشرهم ويتعرّف احوالهم ويستقصي في البحث عن ضروراتهم وعوائدهم واشغالهم ويساعدهم حسب الامكان وكان يأتي المدارس في الاسكندرية واثينا ويقرأ الفلسفة على مشاهير اساتذتها ويحاورهم ويساجلهم ويباحث الطلبة ويناقشهم وطاب لهُ

افتقادهُ الولايات

المقام في اثينا فشاد فيها ابنية شهيرة وزخرفها وبنى قصورًا انيقة في رومية ايضًا وفي اكثر المدن التي اناخ بها ولم يوثر امة دون سواها في المبرة بل سوّى بين الجميع وغمرهم بانعامهِ وكان ملكهُ محفوفًا بسلام الا انهُ التزم كرهًا ان يخمد ثورة اثارها اليهود وكان في مقدمتهم رئيس يسمى باركوكب اي بن الكوكب ولعلهم ظنوهُ المسيح المتوقّع ان يحررهم من عبودية الرومانيين فبعث هادريانس جنودهُ عليهِ فانهزم وقتل جمٌّ غفير من اليهود وطردهم الرومانيون من بلادهم وجعلوا قومًا من مهاجري رومية يعمرون اورشليم ويستوطنونها فصارت مهجرًا رومانيًا يسمى ايليا كبتولينا واقاموا عبادة آلهة رومية فيها لكي ينفر منها اليهود الباقون فيها

ثورة اليهود

تدبير هادريانس الخلافة واواخر ملكهِ

٣٠. ولما هرم الامبراطور ولم يكن لهُ عقب عني باصطفاء خلف لهُ فتبنى اولاً لوكيوس ڤيرُس فلم يكن يصلح للملك ومات قبل وفاة هادريانس ثم تبنى تيطس اوريليوس انطونينس وكان صالحًا مستقيمًا فحملهُ على ان يتبنى اثنين اخرين وهما لوقيوس ڤيرُس بن ڤيرُس المذكور وانيوس ڤيرس ابن اخت هادريانس

ثم اعتراهُ داءٌ عضال فساءت اخلاقهُ وضاق ذرعهُ ولم يعد قادرًا ان يضبط عواطفهُ ففرَّط في افعالهِ على خلاف عادتهِ وتحامل على بعض الناس واراد الانتحار او ان يقتلهُ احد اعوانهِ فتظلم الناس منهُ في اواخر ملكهِ والارجح ان ما فعلهُ كان ناتجًا عن اعراض المرض وتوفي هادريانس سنة ١٣٨ ب.م. بعد ان ملك ٢١ سنة

ملك انطونينس بيوس سنة ١٣٨ — ١٦١ ب.م

٣١. ثم ملك بعدهُ انطونينس الملقب بيوس اي (التقي) وكان حليمًا فاضلاً رفيقًا عطوفًا جادًا في خير الناس ورفاهتهم بعيدًا عن كل ما يوذيهم ولم يعنَ بمجد نفسهِ بل براحة مملكتهِ وتقدمها في التمدن والعمران فيقال فيها ما قيل في بعض الممالك "مغبوطة المملكة التي ليس لها تاريخ" اي انهُ لم تحدث فيها حرب او هيجان او شيء ما يستحق الذكر فيكون الناس في ارغد عيش. وهكذا تمتع الرومانيون بالراحة والامن مدة ملك انطونينس وكانت لهُ حروب قليلة في اطراف المملكة قام بها قوادهُ وهي لا تعتبر والتزم خطة اسلافهِ من بعد دومتيانس فاكرم المشيخة وفرق على الناس الهبات بدون ان ينفق مال الدولة واحيا العلوم وشاد مبانيها الرفيعة وكان فيلسوفًا من رتبة الرواقيين وذهب مذهبهم في التعفف وقمع الشهوات واحتمال النكبات ولم يكلف غيرهُ ما لا يحتمل هو نفسهُ فشرَّف طائفتهُ بفضائلهِ واحسن الى الجميع فاستراح المسيحيون في ايامهِ من كل اضطهاد وانتشر

صينة بين الامم المجاورة لسلطنتهِ وقيل ان بعضها طلبوا اليهِ ان ينضموا تحت لوائهِ ويشملهم بعدلهِ ولطفهِ فابى اذ لم يطمح الى توسيع دائرتها واعتنى بامور الولايات وانشأ فيها المدارس ورقّى تجارتها ووسع نطاقها واراد ان يرتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا كاملاً ودادياً. وكان تبنى اثنين كامر لكنهُ راى ان اصغرهما غير اهل للملك فلم يشركهُ فيهِ اما الاخر وهو مرقس انيوس ڤيرس فرآهُ على غاية ما يكون من الحكمة والدراية فاختصهُ بالملك وسماهُ على اسمهِ اوريليوس فخلفهُ حين مات سنة ١٦١ ب.م. لثلاث وعشرين سنة من ملكهِ

٢٣. ثم ملك مرقس اوريليوس انطونينس الملقب بالفيلسوف لاقبالهِ على الفلسفة الرواقية ففاق سائر فيها والف بعض مولفات فلسفية نفيسة ولم يدرس الفلسفة فقط بل كان يمارس ما علم بهِ في حياتهِ وخالف سائر في الحلم ولم يخلُ طبعًا من قسوة القلب والعنف والعبوسة فاثار اضطهادًا على المسيحيين لانهم لم يمتثلوا امرهُ بتقديم الذبائح لآلهة رومية غير انهُ كان شجاعًا نشيطًا عادلاً وكثيرًا ما كان يعدل عن نفع نفسهِ لنفع قومهِ وكان يوثر السلام في مملكتهِ وفي امور الخاصة الّا انهُ لم يتمتع بهِ كثيرًا فكان تعبًا في امور بيتهِ لان اخاهُ بالتبني الذي اشركهُ في الملك اقلقهُ وافسد ما اجراهُ في السياسة او الحرب فاغتاظ منهُ اوريليوس وساءتهُ ايضًا سيرة زوجتهِ الشريرة واهمهُ موت بكرهِ وكريمتهِ واحزنهُ عقوق نجلهِ الصغير وسوء اخلاقهِ على ان اوريليوس كان قد احسن تربيتهُ وتعليمهُ فلم ينجع فيهِ الادب والتهذيب بل كان كالحنظل كلما ازداد ريًّا ازداد مرارةً

ملك مرقس اوريليوس سنة ١٦١—١٨٠ ب.م

٢٤. واثار اوريليوس حربًا على الفرثيين في صدر ملكهِ وجهز اليهم اخاهُ فتقدم الى انطاكية واقام بها حيث انهمك بالملاهي وتمرّغ في الرذائل ولم يقم بما عهد اليهِ ولم يتعرض للفرثيين الذين غزوا سورية ودوخوها وكان فيها قائدان رومانيان يومئذٍ احدهما قسيوس والاخر پرسكس فنهضا معًا لدفع الفرثيين فهزماهم ودفعهم الاول الى ما بين النهرين واثخن في البلاد وافتتح بابل وسلوقية وقطيسفون واحرق القصر الملكي فيها وحمل الملك على الصلح اما القائد الثاني فطرد العدو من ارمينية وعقد الصلح سنة ١٦٦ ب.م. على ان الرومانيين استولوا على ما بين النهرين وضموهُ الى مملكتهم

حرب الفرثيين سنة ١٦٣—١٦٦ ب.م

ثم عاد ڤيرس اخو اوريليوس موَيدًا معجبًا بنفسهِ كانهُ وليَ هذه الحرب بشخصهِ ودخل رومية في موكب النصرة ولم يحسن سيرتهُ بعد ذلك بل ازداد شرًّا وتمادى في غيهِ وكان قد اصاب الجيش طاعون ولما رجع من هذه الحرب ادخلهُ معهُ الى ايطاليا وهلك بهِ

خلق كثير فحننت منهُ البلاد

حرب البرابرة الشمالية سنة ١٦٧—١٨٠ ب.م

٢٤. وفي سنة ١٦٧ ب.م. اخذ البرابرة يغزون المملكة من الاطراف الشمالية من نواحي الدانيوب ولما لم يقدر اوريليوس ان يركن الى اخيهِ سار لقتالهم هو بنفسهِ صحبة ڤيرس وكان المارْكُمَنيون والكوَيْديون يغزون بنونيا ثم قطعوا الالب ودخلوا ايطاليا غير ان اوريليوس واخاهُ طرداهم . وفي السنة التالية قطعا الالب واستوليا على مضائقهِ ومسالكهِ ثم عادا الى رومية ومات ڤيرس بعد قليل ولما رأت البرابرة ما كان الرومانيون عليهِ من الضعف والارتباك من جرى الطاعون وتقاعدهم عن الحرب هاجوا وشغبوا في جهات الدانيوب سنة ١٦٩ ب. م. واستجاشوا القبائل فاجتمعوا جمعًا غفيرًا وسار اوريليوس لقتالهم واستمر على ذلك عدة سنين صيفًا وشتاء ولم ينجح نجاحًا عظيمًا الى سنة ١٧٤ ب.م. حين هزم الكويديين شرَّ هزيمة بعد ان ضاق بهِ الامر واوشك جيشهُ ان يهلك ظمأً وقيل ان فرقة مؤلفة من المسيحيين كانت بين الجنود قدمت الصلوات الى الله فامطرت السماء مطرًا غزيرًا فانتعشت قلوب الجيش وحمل على العدو وقهرهُ فجلَّ المسيحيون في عين اوريليوس ورعى حرمتهم . وفي هذه القصة دليل على ان المسيحيين كانوا قد كثروا وفتشوا حتى وجد منهم فرق كاملة في الجيش

اما هذه الغلبة فردعت البرابرة مدة وكبحت جماحهم لكنها لم توهن قواهم ولم تمنع غزواتهم فيما بعد كما سترى

خروج قسيوس سنة ١٧٥ ب.م

٢٥. وفي سنة ١٧٥ ب.م. خرج قسيوس المذكور على اوريليوس فدعتهُ الاحوال الى مهادنة البرابرة لكي يتفرغ لاخماد الثورة والخيانة وقيل ان فوستينا امرأة اوريليوس الخبيثة اغرت قسيوس بالخروج والعصيان فعظم الخطب وقل المساعد الا ان بعضًا من عسكر المتمرد قاموا عليهِ وقتلوهُ فنجا اوريليوس من عاديتهِ ويروى انهُ حزن عليهِ كثيرًا وكان يروم استحياءهُ شفقة ورافة اواسرهُ فاحسن الى آل بيتهِ واذ نصب اوريليوس عبء

زيارة اوريليوس الشرق

سياسة المملكة واولى جلدهُ اشرك ابنهُ قمدس في الملك ثم سار الى الشرق وزار انطاكية والاسكندرية وقيل انهُ قرأ الفلسفة على علمائها وفي اثناء عودتهِ مرَّ باثينا حيث اسس مدرسة عامة يدرس فيها جميع الفنون وعين لها الارزاق لاعالة اساتذتها

ثم قدم ايطاليا سنة ١٧٦ ب.م. واثار اضطهادًا على المسيحيين لتعصبهِ وغلوهِ في فلسفة الرواقيين الذين حسدوهم لانهم لم يدركوا شأوهم في الفضيلة والحسنى . اما اوريليوس فلم

مسير اوريليوس الى الشمال سنة ١٧٨ وموته سنة ١٨٠ ب.م

يلبث حتى اضطر الى المسير الى ناحية الدانيوب ايضًا لمقاتلة البرابرة سنة ١٧٨ واستمر على ذلك الى ان توفي سنة ١٨٠ ب.م . بمدينة ڤندبونا (وهي ڤينا) وكان عمرهُ ٥٩ سنة ومدة ملكهِ ١٩ سنة وبعد وفاتهِ فني مجد المملكة وخضدت شوكتها بعد ان تنضى عليها ٨٤سنة على غاية الزهو والتقدم بسبب ذكاء الامبراطرة واستقامتها واما بعد موت اوريليوس فانحطت انحطاطًا عظيمًا وطرأ عليها انقلابات متواترة

ملك قمدس سنة ١٨٠ — ١٩٢ ب.م

٢٦. ثم ملك ابنهُ قُمُدُس وكان عمرهُ وقتئذٍ نحو تسع عشرة سنة فحاد عن سنن ابيهِ في سيرتهِ ولم يتصف الاَّ بالقباحة فكان راية الشر فمن عجب من شرهِ وهو ابن اوريليوس الفاضل فليذكر ان امهُ كانت شرَّ النساء فاقتدى بها دون ابيهِ . ولما تبوأ التخت صالح البرابرة على مال يؤديهِ لهم وعاد الى رومية وجعل همهُ قضاء شهواتهِ واهواءهُ الخبيثة ولم يتعرض للحرب لكي يتفرَّغ للشهوات واغتنام لذة العيش على طرق مختلفة قبيحة

قبائحه

ولم يمكث الى ان بلغ الغاية في الرذائل والفواحش وابدى من الظلم ما لم يعانهِ الرومانيون منذ عهد دومتيانس لكنهُ لم يبلغ معظم شرهِ الا بعد ثلاث سنين حين اطلع على دسيسة عليهِ فحنق كثيرًا وتوغل في الجور والبغي وآخذ البري بذنب المذنب اذ قتل كثيرين لم يكن لهم ادنى تعلق بالامر فضرب اعناق جملة من اعضاء المشيخة واعاد عصابة المحالين لكي يهلك الناس بافترائهم فيسلب اموالهم وجرى على الرشوة في احكامهِ واطلق الحرية لعظيم الوزعة ولبعض خاصتهِ بان ينهبوا ويسلبوا كيف ساءوا غير انهُ كان ينتقم منهم اذا أثروا فلم يامن احد شرَّهُ قيل انهُ كان يتنكر ويجول في الاسواق بزي الاوغاد اللئام فيهيج الفتنة ثم يطعن من لقيهُ ويبرز للناس في الملاعب العمومية يقاتل كالعبيد الاَّ انهُ كان مصونًا من كل اذية قيل انهُ قاتل ٧٣٥ قتالاً على ابصار الناس وصرع في الملعب مئة اسد بمئة سهم ولقب نفسهُ هرقلاً وانفق قمدس زمانهُ كلهُ بافعال كهذه ولم

قتله سنة ١٩٢ ب.م

يكترث بسياسة المملكة وكلما ازداد شرهُ ازداد ظلمًا واكثر القتل في الخاصة والعامة وكان مجرد التهمة سببًا كافيًا لامر القتل واخيرًا نفر قلبهُ من مارشيا احدى جواريهِ وإيكتس حاجبهِ ولبتس رئيس الوزعة وتغير عليهم فقيد اسماءهم في سجل القتل لكنهُ كشف الامر قبل اتمامهِ فاغتالوهُ وخنقوهُ في سريرهِ سنة ١٩٢ ب.م. بعد ملك اثنتي عشرة سنة وتسعة اشهر

٢٧. وكانت المملكة قد انحطت ايام قمدوس وانحلت عُراها وعرَّاها الخلل

انحطاط المملكة

فظهرت الخوارج ولم يجسر على الانتقام منهم ورفع عاديتهم فخرج عليهِ رجل يسمى ماترنس في غاليا وحدثتهُ نفسهُ انهُ يقوى على اخضاع المملكة كلها وشغب جند في بريطانيا يبلغ عددهُ نحو ٥٠٠ وطلبوا عزل بِرَنِّس احد الوزراء فاطاعهم قمدس وحدث شغب شديد في رومية بين الوزعة وشُرط المدينة وعجز قمدس عن منعهِ والغى تهذيب العسكر فضعف امرهُ ولم يكن ارتباط بين الطوائف العسكرية ففقدت الجنود الهمة والمروءة والباس واعتنى فريق منهم باسباب التجارة والفلاحة او غيرها من المهن وتحول فريق منهم لصوصًا وقل سكان المملكة وازداد الترف والتنعم بينهم وفسدت الاداب وندر ان توجد فضيلة في غير المسيحيين ونزعت محبة الوطن وزادت الاحوال شرًّا وانحطاطًا غير ان المملكة لم يزل فيها رمق من الحياة وقبس من القوة فابدت من الباس والنخوة في الحرب ما يفضي بالعجب كما سنرى

الفصل الثامن

في امبراطورية رومية من موت قمدس الى ملك ديوقليتيانس وذلك من سنة ١٩٣ ب.م الى سنة ٢٨٤ ب.م

حقيقة هذه المدة

١. هذه الحقبة زمن حكومة الجند وتعرف بالحكومة العرفية لان زعماء الجند كانوا ينصبون الملوك ويتصرفون فيهم كيف شاءوا فان شاءوا عزلوهم وان شاءوا قتلوهم فكان من جورهم وسوء تصرفهم هيجان عظيم وانقلابات عديدة فحكم في ٩٢ سنة خمسة وعشرون امبراطورًا فمعدل حكم كل منهم اقل من اربع سنين واذا اخرجنا مدة اثنين منهم بلغت احدى وثلاثين سنة كان معدل ملك كل واحد من الباقين نحو سنتين فقط تقامل. وقتل الجند عشرة منهم فايقنوا جميعًا ان سلطتهم متوقفة على رضى العسكر فقلما باشروا امرًا يغيظهم بل كانوا يداروهم ويعتنون بارضائهم ويغضون على القذى ويصبرون على الاذى فتقلقلت امورهم وكان من اراد ضبطها عرضة للقتل فكانت السلطة على اسوإ حال

ملك برتنكس سنة ١٩٣ ب.م

٢. ولما قتل قمدس كما تقدم ذهب ليتوس وايلكتس الى رجل شيخ يسمى برتنكس وكان رئيس حكومة المدينة وقتئذٍ وكان من اعضاء المشيخة مشهودًا له بالاستقامة والاختبار بامور السياسة وطلبا اليه ان يتولى الملك عوضًا عن قمدس فامتنع اولًا ثم رضي فذهبا به الى المعسكر ليلًا وعرضاه على الوزعة فقبلوهُ ظاهرًا وعرفوهُ امبراطورًا على غير رضاهم باطنًا اما المشيخة فقبلتهُ بمزيد الفرح والحبور اذ علمت استقامتهُ واستبشرت بملكهِ اما هو فساءتهُ امور الملك لان الوزعة طلبوا منهُ العطايا ولم يرتضِ الناس الا بالملاعب العظيمة لتسليتهم وكان بيت المال فارغًا لسبب اسراف قمدس غير ان برتنكس بذل الهبات للجند كجاري عادتهِ على انهُ اضطر ان يقتصد في النفقة فنفر منهُ الوزعة وقاموا عليهِ

وقتلوهُ بعد ملك ثلثة اشهر اولها كانون الثاني سنة ١٩٣ ب.م

ملك بوليانس سنة ١٩٣ ب.م

٣. ثم تمادى الوزعة في السفه والوقاحة والغطرسة اذ عرضوا الرئاسة الرومانية للمزاد فابتاعها رجل غني يسمى دِدِيوس بوليانوس فنقد الثمن وكانت قيمتهُ تزيد على ثلاثة الاف الف ليرة انكليزية وكان من اعضاء المشيخة فاقرت بملكهِ على خجل اذ حسبت ذلك عارًا على المملكة . اما الولايات فلم تطعهُ فخرجت عليهِ جيوش بريطانيا وبنونيا وسورية حالما بلغها الخبر وكان أَلبينس قائد جنود بريطانيا وسفيرس صاحب جيش بنونيا ونيجر امير الجيش في سورية فشخص الثلثة الى رومية اما سفيرس فكان مقرهُ اقرب اليها فسبقهما واذ دنا من العاصمة ارسل الوزعة ودعاهم الى طاعتهِ فلبوا دعوتهُ فخلع بوليانوس وقتلهُ وخلفهُ في الملك

ملك سفيرس الاول سنة ١٩٣ — ٢١١ ب.م

٤. ولما دخل سفيرس رومية اقرت لهُ المشيخة بالملك واعترفت بطاعتهِ وكان اول امر الغاهُ عصبة الوزعة وتبديد شملهم لكي يتخلص من شرهم ويكفي همهم وعادية بغيهم ونهاهم عن السكنى في رومية او سوادها ثم شرع يحارب القائدين المذكورين الا انهُ هادن البينس اولاً لكي يتفرغ لقتال نيجر وحدهُ فسار الى الشرق ولحق بجنود خصمهِ عند بحر مرمرا فسطا عليهم وغلبهم ولم يشهد الوغى نيجر اذ كان في اسُّس فسار اليهِ وادركهُ فيها فنازلهُ وسطا عليهِ وتمكن منهُ وقبض عليهِ وقتلهُ ثم عاد سفيرس الى بيزنتيوم وافتتحها بعد حصار ثلث سنين ثم سار بعد ذلك لمقاتلة البينس في غاليا فادركهُ في ظاهر مدينة ليون على نهر الرون واشتد القتال فكانت النصرة لسفيرس فاسرهُ وضرب عنقهُ فاصبح امبراطورًا بلا خلاف سنة ١٩٧ ب.م

مظالم سفيرس وحرب الفرثيين والكلدونيين الى حين موتهِ سنة ٢١١ ب.م

٥. ولما تمكن سفيرس من طاعة المملكة اظهر ما كان لهُ من الشراسة وسوء الاخلاق فمال على اشياع خصميهِ وقتل واحدًا واربعين من اعضاء المشيخة وجمًّا غفيرًا من سكان الولايات ذوي الثروة وجار كل الجور فسلب المشيخة حقوقها وعبث بها اكثر من جميع اسلافهِ فامست حقيرة ذليلة جدًّا على ان سفيرس ضبط المملكة بدقة وحزم واخمد الفتن واحضر الى رومية فرقة عسكر مؤلفة من اربعين كتيبة من الكماة المختارين تقوم مقام الوزعة وكان رئيسها ثانيهُ في الملك

وسار سفيرس ليغزو مملكة الفرثيين في نحو سنة ١٩٧ و١٩٨ ب.م. ونزل على قطيسفون وافتتحها واضاف ولاية أَدِيابيني الواقعة شرقي الدجلة الى مملكتهِ ثم سار في اواخر ملكهِ الى

بريطانيا اذ خان عهدهُ قوم فيها وهم الكلدونيون القاطنون في الشمال وادبهم الا انهُ لم يخضعهم تمامًا وبقي في بريطانيا الى ان قضى أجلهُ في مدينة يورك سنة ٢١١ ب.م

٦. وكان لسفيروس ابنان اكبرها قرَقلاً او قرَقلس واصغرها جيتا وكانت الوحشة بينهما شديدة فاشركهما كليهما معهُ في الملك لكي لا يغلب احدهما الآخر بعد وفاتهِ فملكا معًا نحو سنة واستمرا على ما كانا عليهِ من الحقد والضغينة ثم تصالحا على دَخلٍ واجتمعا في غرفة امهما. فوثب قرقلا على اخيهِ واغتالهُ وقتلهُ في حضن امهِ ثم اسرع الى العسكر وطيب قلوبهم وتمكن من طاعتهم وانفرد بالملك وعتا وافرط في البغي والجور وايّ افراطٍ وذبح كل من ظنهُ من اصدقاء اخيهِ. قيل انهُ قتل نحو ٢٠٠٠٠ لهذا الوسواس عينهِ وكان يجول في المملكة ينهب ويسطو على عباد الله منقادًا الى اهوائهِ الخبيثة واطاعهِ الفاحشة ومن امثلة جورهِ في احكامهِ روي انهُ كان يقول لخاصتهِ ان من صاحبهُ مدةً ولم يطالب اليهِ شيئًا فهو غير واثق بهِ ومن لم يثق بهِ شك في اخلاصهِ وساء ظنهُ بهِ ومن اوجس خيفةً منهُ خشيهُ ومن خشيهُ مقتهُ ومن مقتهُ كان مستوجب القتل فقتلهُ ولما ايقن قرَقلاً مقت الناس لهُ ونفورهم منهُ عمد الى ما يطيب قلوب العسكر ويميل بها اليهِ لكي يامن شغبهم وغدرهم فبذل لهم العطايا الجزيلة وغضَّ الطرف عنهم وتهاون في تاديبهم فافضى تفريطهُ وتراخيهِ الى فساد عظيم واختلالٍ جسيم في المملكة ونفدت اموالهُ والتزم ان يضرب على الناس الضرائب الباهظة وضاعف رسم المواريث فصار عشرها وجعل جميع امم المملكة من رعايا رومية لكي يضرب عليهم هذا الرسم ولعل هذا الامر اعقب خيرًا لم ينوهِ لتلك الامم. ولما كان قرقلا غير مستريح الضمير ازيادة شرهِ طفق يجول في المملكة ولم يلبث في رومية الاّ قليلاً ثم قصد محاربة الفرثيين فسار الى الشرق واثخن في ما بين النهرين وعبر الدجلة وطارد العدو الى الجبال وكان ناويًا ان يغزوهم ثانية في صيف السنة التالية ولكن غدر بهِ مَقْرينس رئيس الوزعة وقتلهُ في اثناء ذلك وكان هلاكهُ في سنة ٢١٨ ب.م

٧. فلم يرضَ الجند بقتلهِ اذ كان يغمرهم بنوالهِ كما تقدم على انهم اضطروا لمبايعة قائدهم مقرينس بالخلافة فتسلم زمامها ولما راى فساد سياسة سالفهِ تلافى الامر لسد الخلل واصلاحهِ الا انهُ لم يجترئ على قطع وظائف الجند الذين يلازمونهُ دفعة واحدة فاخذ بنظم سواهم على رواتب معتدلة القدر. فساء ذلك الجنود السالفين ولما رأت ميسا اخت جوليا دومنا الامبراطورة السابقة ما كان هيجت شغبًا في الجند واغرتهم على ان يجلسوا حفيدها اليقبس

ملك قرقلا سنة ٢١١—٢١٧ ب.م

ملك مقرينس سنة ٢١٧—٢١٨ ب.م

اوبَتّيانس على سرير الملك وكان الحبر الاعظم يومئذٍ في هيكل آلغبَلُس في اميسا (حمص) فادعت ميسا انهُ من ولد قرقلاً فنادى بعض العسكر بهِ ملكًا ثم حدث قتال بينهُ وبين مقرينس فانهزم مقرينس وقتل هو وابنهُ دياذُمينس الذي كان قد اشركهُ في الملك وكان ذلك سنة ٢١٨ ب.م

ملك الغبلس سنة ٢١٨—٢٢٢ ب.م

٨. ثم ملك بَتّيانس وتسمى مرقس اوريليوس انطونينس كما فعل ابوهُ المظنون اما الناس فدعوهُ أَلِغبلس تسميةً باسم الاله الذي كان من سدَنة هيكلهِ في حمص ويظن انهُ اله الشمس ولا تزال آثار هيكلهِ ماثلةً قريبها وبلغ الغاية في الفساد واتيان المنكر فلم يدرك شأوهُ احد السلف او الخلف فكان ماجنًا بغيًّا وخليعًا شقيًّا ادخل الى رومية عبادة فاسدة مكروهة لم يقدر الرومانيون الوثنيون ان يدينوا بها وافسد عبادتهم الوطنية او كاد يلغيها واخذ احدى عذارى هيكل فيستا غصبًا وجمع حولهُ زمرةً من افسق الناس وارذلهم وكان يساهمهم في رذائلهِ وسياسة مملكتهِ واستمر على هذه الحال نحو اربع سنين اما احتمال الرومانيين اساءتهُ ورذائلهُ كل هذه المدة مع انهُ اجنبي فهو من اعجب العجب والظاهر انهم كانوا قد صاروا الى نهاية الذل والهوان ثم قام عليهِ الوزعة وقتلوهُ والسبب في ذلك ان ابن خالتهِ اسكندر سفيرُس كان فاضلاً نبيلاً فاكرمهُ الناس واعزهُ الوزعة ايضًا فحسدهُ أَلِغبلس وحقد عليهِ ونوى قتلهُ فلما شعر الوزعة بذلك سبقوهِ كما تقدم فحاق بهِ مكرهُ السيءُ سنة ٢٢٢ب.م

ملك اسكندر سفيرس سنة ٢٢٢—٢٣٥ ب.م

٩. ثم تولى سفيرس الثاني الملك وكان من احسن ملوكهم خلقًا وسيرة وبذل جهدهُ في اصلاح ما قد عرى سياسة المملكة من الخلل والفساد فلم يستطع لانهُ كان قد سرى وساد حتى لم يعد ممكنًا اصلاحهُ فهلك ضحيةً لاجتهادهِ لان الاصلاح حينئذٍ كان عملاً يتعذر على فحول السياسة المحنكين وخيرة الحاكمين الخبيرين اما اسكندر فكان حدثًا لم يبلغ اشدَّهُ مع انهُ كان صافي السريرة قاصد الاصلاح في ما اجراهُ فاقتصد في النفقة اقتصادًا دقيقًا قدوةً للناس وجدَّ في تهذيب العسكر الجموح واستشار افضل الرومانيين مثل اولبيان الفقيه الشهير واكرم المشيخة وعزَّزها بعد ذلها ومهانتها فذهبت اتعابهُ سدًى في هذا السبيل لان العساكر قد اعتزوا عليهِ وعرفوا مقامهم وصولتهم فكانوا كلما اعلن امرًا يضرُّ بحقوقهم ثبَّطوهُ فاهلكوا بعضًا من مشيريهِ منهم اولبيان نفسهُ وطردوا بعضًا فخابت مساعي هؤلاء المصلحين

حرب الفرس والجرمانيين

١٠. والتظت حرب بينهُ وبين الفرس وكانوا يومئذٍ ارباب صولةٍ وباس وقد ادالوا لأرتزركسيس (وهو ارْدَشير راس الدولة الساسانية) وطالب الرومانيين بكل ما كان للفرس القدماء فاجابهُ اسكندر بالقدوم لمحاربتهِ سنة ٢٣١ ب.م.وظل القتال بينهما نحو سنتين بدون نتيجة فاصلة على ان اسكندر ادعى الغلبة ثم تصالح الفريقان على شروط غير معلومة ولما عاد اسكندر صار الى الرين لمحاربة الجرمانيين الذين كانوا يغزون غاليا واحتل في مدينة منس حيث فتك بهِ العسكر سنة ٢٣٥ ب.م. اذ برموا بهِ لعدم اقتدارهِ في امور الحرب

ملك مكسمين سنة ٢٣٥ — ٢٣٨ ب.م

١١. وكان السابق في قتل سفيرس قائد يسمى مكسمين وكان بربري الاصل من قبيلة تراكية وقيل غوثية وانتظم في سلك العسكر ايام سفيرس الاول وكان طويل القامة ضخم الهامة شديد الباس جبارًا يفوق جبالهُ قوة يصارع اقرانهُ في الملاعب ولم يقدر عليهِ احد منهم

فلما راى سفيرس ما كان عليهِ من الشدة والباس اتخذهُ حاجبًا وما زال يتقدم ويتقلب في المناصب حتى صار قائدًا ايام اسكندر سفيرس الاَّ انهُ استمرَّ على ما كان عليهِ اصلاً من السجية البربرية فاحتقر تمدن الرومانيين ولم يحسب الملك غير قوة عسكرية فكانت الجنود تجلّه وتخشاهُ لباسهِ فاستهواهم فمالوا معهُ على سيدهِ ومالئوهُ على قتلهِ فكان اسبقهم ضربةً فيهِ ثم ارتقى الى الملك برضى العسكر واختيارهم ولما ملك ابدى من خلقهِ البربريّ ما حمل

مظالمهُ

الناس على الاسف الشديد فانهُ حقد على العلماء واعضاء المشيخة وجميع ايمة الرومانيين فآذاهم وامات بعضًا منهم بعذاب اليم فمنهم من ربطهم الى مركبتهِ وجرّهم على الارض فهلكوا ومنهم من استباح دمهم ومالهم وقبض ايضًا على اموال الذين نفاهم وغرّم المدن وسلب الهياكل وضرب تماثيلها نقودًا انفقها في شهواتهِ ولذاتهِ وبقي مكسمين في معسكرهِ ولم يذهب الى رومية التي كان يكره سكناها فناق اهلها جهد البلاء لشدَّة قسوتهِ وكثرة مظالمهِ ولما بلغ امرهُ ما لا يطاق خرج عليهِ غورديانس والي افريقية واختلس الملك وشارك ابنهُ فيهِ فلما اتصل الخبر الى رومية اقرت بهِ المشيخة لكنهما قتلا بعد ذلك بقليل اذ حاربهما والي موريتانيا فضربهما وقضى عليهما اما المشيخة فاشتدت عزائمها وقاومت مكسمين وانتخبت بوبينس مكسيمس وبلبينس امبراطورين وجهزتهما لمقاتلتهِ عند ما قدم الى ايطاليا بجنودهِ وامرت بتحصين المدن وتلاف ما يقتات بهِ جيش مكسمين حين قدومهِ قصد مضايقتهِ وصد غارتهِ اما هو فلما وصل الى

مدينة أكْوِليا على الطرف الشمالي من بحر ادريا وجدها قد اوصدت ابوابها دونهُ فنازلها واذ كان منهمكًا بحصارها قام عليهِ عسكرهُ وقتلوهُ سنة ٢٣٨ ب٠م

ملك بيبينس وبلبينس سنة ٢٣٨ ب٠م

١٣٠ وكانت المشيخة قد اقامت امبراطورين كما سبق آنفًا فاستبشرت وتيمنت بموت الظالم العاتي وشق الامر على الجيش وساءهُ كثيرًا اذ لم يرتضِ بامبراطور عينتهُ المشيخة فالزمها ان يعزّزا بثالث من قبل العسكر فنصبوا غوردْيانس الثالث حفيد الاول ثم قتل الوزعة بيبينس وبلبينس بعد هلاك مكسمن فبقي غورديانس وحده

ملك غورديانس الثالث سنة ٢٣٨—٢٤٤ ب٠م

١٣٠ وكان هذا الامبراطور قاصرًا في الثالثة عشرة حين جلوسهِ يكل امرهُ الى غيرهِ فلم تكن لهُ صولة شخصية ونفوذ كلمة فاعتزَّ عليهِ اصحابهُ وخاصتهُ ما خلا صهرهِ تيمسِكْليس فكان شهمًا فاضلاً ذا حميَّةٍ فولي ادارة الامور وقام باعباء السياسة احسن قيام فنجحت المملكة وزهت في ايامهِ واخمدت الفتن ولما شُبَّت الحرب مع الفرس سار غورديانس الى الشرق وطردهم من حدودهِ سنة ٢٤٣ ب٠م. واذ كان عائدًا قتلهُ فيلبس العربي في مدينة قرقسيا على الفرات سنة ٢٤٤ ب٠م

ملك فيلبس العربي سنة ٢٤٤—٢٤٩ ب٠م واحتفال سنة ٢٤٨ ب٠م

١٤٠ وكان فيلبس بصريًا من ولاية الرومانيين في بلاد العرب والظاهر انهُ كان من مهاجريهم وانتظم في سلك العسكر واخذ يرتقي الى ان صار رئيس الوزعة في اواخر ملك غورديانس ولما قتلهُ تولى الملك وصالح الفرس وقدم الى رومية ولم يكن للمشيخة مندوحة عن طاعتهِ والاذعان لسلطتهِ ومما يستحق الذكر في ملكهِ انهُ اقام احتفالاً عظيمًا سنة ٢٤٨ ب٠م. تذكارًا لبناء رومية لانها اختطَّت قبل عهدهِ بالف سنة حسب اخبارها ولم يشتهر ملكهُ بغير ما ذكر على ان المملكة اخذت تنحطُّ وتضعف كثيرًا وظهرت فيها الفتن ونبذت سورية طاعة واليها شقيق فيلبس اذ نبت طباع اهليها منهُ ثم خان جند ميسيا وبنونيا فبعث اليهم فيلبس قائدًا اسمهُ ديسيوس ليردهم الى الطاعة فاجبروهُ ان يتخذ مقام امبراطور ويقودهم لمحاربة فيلبس فالتقى الجمعان عند ڤرونا في ايطاليا فتواقعا وقتل فيلبس في المعركة سنة ٢٤٩ ب٠م

ملك ديسيوس وظهور الغوثيين سنة ٢٤٩—

١٥٠ ثم ملك ديسيوس واستبشرت المشيخة بجلوسهِ لانهُ كان منها ولم يملك غير سنتين ولم يحدث في ايامهِ امر خليق بالذكر سوى ظهور قوم من البرابرة يسمون بالغوثيين هاجموا المملكة سنة ٢٥٠ من نواحي داسيا وقطعوا الدانوب وغزوا ميسيا واثخنوا في ثراكية ولم يقدر ديسيوس ان يصدهم عنها تلك السنة ثم سار في السنة التالية لقتالهم وطردهم فاركنوا

الى الفرار وسد ديسيوس عليهم الطريق ظانًا انهُ يهلكهم عن اخرهم فكانت النتيجة ٢٥١ ب٠م
بخلاف الظن اذ انهزم شر هزيمة في ميسيا وقتل سنة ٢٥١ ب٠م فنجا الغوثيون وهم الذين
اخربوا رومية كما سياتي

ملك غلس سنة ٢٥١—٢٥٣ ب٠م

١٦٠ وكان الجيش قد خسر خسائر جسيمة في حرب الغوثيين فخضدت شوكتهُ ووَكَل الى المشيخة امر تعيين الامبراطور فانتخبت قائدًا يسمى غَلُّس وهُستليانس بن ديسيوس وكانت السلطة للاول فصالح الغوثيين على مال يدفعونهُ سنويًّا واشترط عليهم ان لا يهاجموا المملكة بعدُ ثم رجع غلس الى رومية فنفر القوم من صنيعهِ هذا وانكروهُ عليهِ لانهُ جلب عارًا على رومية وساءهم منهُ تقاعسهُ عن معونتهم وتفقد احوالهم في الوباء المهلك الذي سطا على رومية وقتئذٍ ثم طرأت عصابات من البرابرة غير الغوثيين وغزوا وافسدوا في البلاد ولم ينهض غلس لردعهم فسار ايمليانس والي ميسيا وبنونيا اليهم فجاهدهم وغلبهم فنادى الجيش بهِ ملكًا دون غلس وانثنى راجعًا الى رومية فخرج غلس لمقاتلتهِ فنهض عليهِ عسكرهُ وقتلوهُ قبل ان التقى خصمهُ واذ كان هستليانس قد هلك بالوباء انفرد ايمليانس بالملك سنة ٢٥٣ ب٠م

ملك ايمليانس سنة ٢٥٣ ب٠م

١٧٠ اما ايمليانس فلم يمكث طويلاً حتى اقبل ڤاليريانس قائد جنود غاليا وكان قد دعاهُ غلس لنصرتهِ في ضيقتهِ فسار لنجدتهِ ووصل الى ايطاليا عقيب ارتقاء ايمليانس الى سدة الملك فعزم على عزلهِ وتقابل الجيشان عند مدينة اسپوليتم حيث قتل ايمليانس عسكرهُ كما قتل سلفهُ فانفرد ڤاليريانس بالملك سنة ٢٥٣ ايضًا

ملك ڤاليريانس سنة ٢٥٣—٢٦٠ ب٠م

١٨٠ وكان هذا الامبراطور فاضلاً يقصد خير المملكة الاَّ ان المصائب والضيقات توالت عليها كل مدة ملكهِ لان الفرنكيين وهم عدة قبائل جرمانية طرقوها من نواحي الرين وغزوا جوانب غاليا ثم استوطنوها اخيرًا فتسمت فرنسا باسمهم وهو اصل الفرنج

وكان الالمانيون يهاجمون المملكة واستولوا على ولاية أغري دَكماتيس وجانب من ڤنديلِيسيا وتهددوا ايطاليا وغاليا ثم كثر الغوثيون في سواحل الدانوب والبحر الاسود وخاضوا البحر بسفنهم وغزوا شطوط ثراكية ومكدونية وبلاد اليونان واسيا الصغرى وكانت الدولة الساسانية يومئذٍ في الشرق قد انتظم امرها وعلت على المملكة في تلك الاطراف فراى ڤاليريانس انهُ لا يقوى على ضبطها وحدهُ فشارك ابنهُ غليينس في الملك سنة ٢٥٤ ب٠م لكنهُ لم يكن اهلاً لذلك فلم يدفع اذية ولا صرف بلية ولم يحمِ الذمار من البرابرة ٢٦٨ ب٠م

ملك غليينس سنة ٢٥٤—

فان الفرنكيين توغلوا منتشرين في غاليا واسبانيا الى ان بلغوا افريقية وانقض الالمانيون على ايطاليا واخترقوها الى ان بلغوا بحر ادريا . ونهب الغوثيون مدنًا كثيرة واستاقوا غنائم وافرة اما الفرس فكان ملكهم حينئذٍ سابور الذي اخضع ارمينية واثخن في ما بين النهرين ولما سار فاليريانس لمحاربتهِ هاجمهُ الفرس وحدقوا بهِ فلم يكن لهُ ولا لجنودهِ منفذ الاَّ بالسيف واذ حاولوا خرق حلقة العدو فشلوا وايقنوا الهلكة فطلب فاليريانس الامان وذهب الى محلة العدو ليخابر سابور عن شروط التسليم فقبض عليهِ ثم سلم اليهِ جيش الرومانيين اما سابور فتاه كبرًا اذ اسر امبراطورًا رومانيًا . فحملهُ اشد اهانة قيل انهُ كان يحضرهُ اذا اراد ان يعلو فرسهُ ويطرحهُ على الارض مستلقيًا فيطأ عنقهُ ويمتطي صهوة جوادهِ ثم زحف سابور الى سورية وغزاها وافتتح انطاكية احتيالاً واحرقها وغزا كيليكية ايضًا ثم عاد الى بلادهِ مؤيدًا منصورًا وقيل انهُ اجتاز ان يعين امبراطورًا لرومية

حرب الفرس

اودناتس كانة قد ساد عليها تمامًا وحدث وهو في اثناء طريقهِ الى سورية ان اودِناتُس والي تدمر بعث اليهِ وفدًا بهدايا سنية يهنئهُ بغلبتهِ على الرومانيين فلم يحفل سابور بالوفد بل اهانهم ورمى بالهدايا الى النهر قائلاً من هو اودناتس حتى يخابرني كانهُ ملك ليطعني كعبد . اه. فلما سمع اودناتس بذلك استفزهُ الغضب وعزم على اخذ الثار ثم لحق بسابور واوقع بهِ وحملهُ خسارة عظيمة فاشغلهُ عن غزو اطراف مملكة رومية فيما بعد . وكان اسر فاليريانس سنة ٢٦٠ ب.م

ملك غلينس وحلهُ سنة ٢٦٠ — ٢٦٨ ب.م

١٩. اما غلينس الذي استبد بالامبراطورية بعد اسر ابيهِ فكان ضعيفًا وكلاًّ فلم يتهيأ لهُ ضبط المملكة وصيانتها فكثر الخوارج عليهِ ونازعوهُ الملك فكان عددهم نحو الثلاثين ودعوا الطغاة اشارة الى الثلثين الذين حكموا في اثينا بعد الحروب البلبونيسية غير انهُ لم يثبت ان عدد الخوارج قد بلغ الثلثين في عهد غلينس على انهم كانوا متعددين فمنهم بستمس وفِكتُرينس في غاليا وسلْسس في افريقية وغيرهم ممن لا يسع المقام ذكرهم . اما اودناتس المار ذكرهُ فكان اعظمهم وقد فعل خيرًا بالرومانيين اذ منع غزوات سابور كما ورد فانعم عليهِ غلينس بلقب اوغسطس وسلم اليهِ ملك الشرق فاستبد بهِ الى ان قضى اجلهُ وخلفتهُ امرأتهُ زنوبيا كما سياتي

اما غاليا فاستقل بها بستمس المذكور وخلفهُ فيها فكتورينس ثم ماريوس ثم تترِقُس وبقيت غاليا مستقلة نحو سبع عشرة سنة وعجز غلينس عن اخضاعها ولم يثبت سيادتهُ الاَّ

على ايطاليا وفي سنة ٢٦٨ ب٠م٠ ادعى اوريولس قائد جيش نواحي الدانوب بالملك وشخص الى ايطاليا فلاقاهُ غليينس وحاصرهُ في ميلان حيث قام عليهِ بعض عسكره وقتلوهُ وفي ايامهِ حدث جوع شديد ووباء جارف امات الوفًا

٢٠. وكانت المملكة على غاية الضعف والذل حينئذٍ كما لا يخفى لكنها عزّت وتشددت بعد ذلك اذ قام فيها ملوك اشداء الباس دفعوا البرابرة واخمدوا الفتن في اطرافها

ملك كلوديوس سنة ٢٦٨— ٢٧٠ ب٠م

وبعد موت غليينس قام مرقس اوريليوس كلوديوس وكان من نسب خامل الذكر فارتقى لفضلهِ الى قيادة الجيش ثم ارتقى الى الامبراطورية ولما ملك سار الى ميلان وافتتحها وقتل اوريولس واستحيا تبعتهُ وكان عادلاً مستقيمًا سالكًا بالانصاف قيل ان امرأة اشتكت اليهِ وبينت لهُ انهُ اغتصب املاكها لما كان قائدًا فاقرَّ لها بحقها وردَّ عليها مالها ولما ملك كلوديوس عني بتهذيب العسكر اذ كان سلفهُ قد غفل عنهُ ولما تمكن من ضبطهم سار فيهم لمقاتلة الالمانيين الذين كانوا يغزون شمالي ايطاليا فهزمهم وطردهم ثم حمل على الغوثيين وقهرهم في ميسيا واكثر فيهم القتل ومات كلوديوس عقيب ذلك حتف انفهِ سنة ٢٧٠ ب٠م٠ وعين لوقيوس اوريليانس خليفة لهُ

ملك اوريليانس سنة ٢٧٠— ٢٧٥ ب٠م

٢١. وكان هذا ابن فلاح أليري انخرط في سلك الجندية واخذ يرتقي في معرج المعالي والرتب الى ان اصبح من اشد القواد واكثرهم حذاقةً فارجع المملكة الى مجدها وعظمتها السابقة ولما ملك شرع يقاتل الغوثيين الذين كانوا قد استثاروا اخوتهم وهم كثيرو العدد وقدموا وعبروا الدانوب فشبت لظى الحرب وحمي وطيسها واستمر القتال نهارًا كاملاً بدون نتيجة بينة لاحدى الفئتين فراى اوريليانس ان لا فائدة من هذه الحرب لانهُ اذا غلب الغوثيين يستنجدون اخوتهم ويعودون لمحاربتهِ فصالحهم على شرط ان يخلي لهم عن ولاية داسيا فيمتنعوا عن مهاجمة المملكة فرضوا بذلك وانصرفوا ثم تهيأ اوريليانس لمحاربة

امر زنوبيا

زنوبيا ارملة اودناثس المذكور التي خلفتهُ في ملكهِ واستقلت بالولاية دون رومية وغلظ امرها وعظم شانها فذاع صيتها وفشا خبرها في الافاق وكانت تضاهي سميرميس الاشورية فعالاً وكليوبطرا المصرية جمالاً وهي فريدة عصرها وحلية جيد دهرها بارعة في الذكاء والادب قرأت الفلسفة والعلوم على لونجينس اليوناني الشهير واتقنت اليونانية واللاتينية ولغات سورية ومصر وكان لونجينس وزيرها الاول فدبر امور السياسة على غاية ما يرام

ولم تشتهر زنوبيا في علمها وذكائها فقط بل كانت ذات باس في الحرب والصيد وكانت تسير في مقدمة جنودها ولم تكتفِ بما حصلتهُ من عظمة الملك والابهة والجبروت بل طمعت في ضمّ سورية وغيرها من املاك رومية ايضًا ولعلها قصدت اعادة المملكة السلوقية واحيائها في الشرق اذ حثها على ذلك لونجينس ورغَّبها فيهِ واذ علم اوريليانس بما كانت تتوق اليهِ بادر من فورهِ وجرى الى قتالها بعد ان مهد امور الغرب اما زنوبيا فلم تتربص منتظرة قدومهُ الى تدمر بل نهضت اليهِ وسارت في جنودها الى سورية فتواقعا قرب انطاكية وكانت الدائرة عليها فانهزمت وجرت معركة ثانية في ضواحي حمص فانهزمت زنوبيا فيها ايضًا ثم ولت الادبار قاصدة تدمر مدينتها العظيمة القديمة التي بناها سليمان وعظمت في ايام الرومانيين وزاد عمرانها وتشيدت اركانها وتعززت بالحصون والقلاع المنيعة فتعذر على الاعداء الوصول اليها لوقوعها في وسط مناوز متسعة صعبة المسالك قليلة المياه

افتتاح تدمر سنة ٢٧٣ ب.م — ٣٣. وكان اوريليانس مصرًّا على افتتاح تدمر فجد في اثر زنوبيا وحاصر عاصمتها لكنهُ لم ينل منها مناهُ الا بعد حصار طويل فان زنوبيا دفعتهُ ولم تسلم الا جوعًا لان المدينة وقعت في ضنك وضيقٍ من جرى نفاد القوت ولما ايقنت زنوبيا انهُ لا بد من التسليم للرومانيين افلتت من المدينة وهربت على جمل فارهٍ وجدَّت في المسير الى الفرات غير ان فرسان الرومانيين تأثروها وادركوها وعادوا بها الى تدمر فاستولى اوريليانس على المدينة ولم يضر باهلها لكنهُ اخذ شيئًا كثيرًا من كنوزها الثمينة

ولما حضرت زنوبيا لديهِ قيل انهُ سالها عن غايتها في مقاومتها اياهُ فقالت اني لم احسب غليينس اهلًا ان يكون امبراطورًا فاحتقرتهُ وأنفتُ من طاعتهِ واما انت فاني اطيعك لانك قد اظهرت نفسك امبراطورًا حريًّا بان تود وتطاع فابقى عليها اوريليانس وعفا عنها لحسن جوابها مع انهُ قتل مشيريها الذين منهم لونجينس المذكور فالتحف بقتلهِ عارًا لان فعلهُ لم يستوجب القتل وكان عالمًا حكيمًا جديرًا بالعفو

خيانة تدمر وخرابها — واقام اوريليانس حراسًا من عسكرهِ في تدمر ثم قفل راجعًا الى مركز المملكة وفي غضون غيابهِ عن تدمر قام اهلها على الحراس وقتلوهم جميعًا وكان الامبراطور قد بلغ بحر مرمرا لما اتصل اليهِ خبر الفتنة فاضطر ان يرجع على عقبيهِ ولما وصل اليها وكان الغيظ قد اخذ منهُ كل ماخذ ادرك ثار حرسهِ منها واحدًا بالف اذ اهلك اهلها ما عدا نفرًا

يسيرًا منهم واخربها ولا تزال آثارها الى هذا اليوم تشهد على عظمتها . اما زنوبيا فسار بها اوريليانس الى رومية ليزين بها احتفالهُ النصري. وكان ذلك سنة ٢٧٣ ب.م

خيانة فرمس ٢٣. وفي سنة ٢٧٤ ب.م. سار الى مصر لمقاتلة فرمس المصري الذي خرج عليهِ وافتتح الاسكندرية وادعى الملك فهزمهُ وقتلهُ ثم عاد الى رومية منصورًا وكان قد قهر اعداء المملكة في الجهات واعادها الى ما كانت عليهِ من القوّة والرونق والفخر فاحتفت بهِ المشيخة والناس عمومًا وكان احتفالهُ النصري فاخرًا جدًّا مشى فيهِ اسرى كثيرون من الغوثيين والاندال والسارماتيين والالمانيين والفرانكيين والغاليين والسوريين والمصريين وغيرهم ممن انتصر عليهم وفي جملتهم زنوبيا الزهراء وتترقس الغالي الذي تلقب بامبراطور الغرب على انهُ لم يتبوأ تلك السدة طوعًا بل اضطرارًا مراعاةً لميل عسكرهِ فلما راى شوكة اوريليانس سلم اليهِ بدون حرب فاستحياهُ وابقى على زنوبيا ايضًا واحسن اليهما بعد احتفالهِ المذكور

دخول اوريليانس رومية منصورًا سنة ٢٧٤ ب م

ترميم اسوار رومية ومن افعال اوريليانس الحميدة تحصينهُ رومية وترميمهُ اسوارها اذ كان حذرًا عليها من حملات البرابرة الذين هاجموا ثغورها حينئذٍ وكان طول الاسوار التي اقامها نحو اثني عشر ميلا. وفي ايامهِ حدثت فتنة شديدة في رومية هلك فيها خلق كثير وسبعة الاف من المقاتلة الكماة فاخمدها بالسيف وتسلط على المدينة بعد ان قتل كثيرين من اشرافها وكان عازمًا ان يضطهد المسيحيين الا انهُ سار في جنودهِ لمحاربة الفرس وعند وصولهِ الى بوغاز البوسفور قام عليهِ كاتب اسرارهِ وقتلهُ وكان ذلك سنة ٢٧٥ ب.م

ملك تستس سنة ٢٧٥ — ٢٧٦ ب.م ٢٤. وكان العسكر غير راضٍ بقتل اوريليانس الذي قتلهُ الكاتب لاغراضٍ شخصية وساءهم الامر كثيرًا وسئموا فعلتهُ المنكرة ولم يدعوا احد القوّاد ليسمو الى مقام الامبراطورية بل فوضوا الامر الى المشيخة فعجبت لذلك غاية العجب ولم تعتقد اخلاص نية العسكر وانما ظنت الامر حيلة منهُ لاهلاكها اذ لم يسبق لهُ مثال فابت المشيخة ان تنتخب امبراطورًا واحالت الامر الى العسكر اما هم فعادوا وردوهُ على المشيخة ايضًا وتردد الامر بين الفريقين حتى تحققت المشيخة صدق طوية العسكر فانتخبت احد اعضائها وهو تسِتُس وكان من افضلهم فاستبشر الناس بملكهِ غير انهُ لسوء الحظ هلك عقيب استوائهِ على العرش اذ سار لاسيا الصغرى لمحاربة قوم برابرة يسمون الالانيين ومات اثناء الحرب بعد ملك سنة او سبعة اشهر فقط وكان ذلك سنة ٢٧٦ ب.م

ملك بروبس سنة ٢٧٦—٢٨٢ ب٠م

٣٥٠ ولما مات تسنس ادعى الملك اخوهُ فلوريان اما جنود سورية فرقت بروبس قائدها ونادت بملكهِ ولما قدم لمقاتلة فلوريان قام عليهِ وقتلهُ فانفرد بروبس بالملك سنة ٢٨٦ ب٠م

٣٦٠ وكان بروبس حازمًا حاذقًا امينًا نصوحًا في الخدمة العسكرية ولما ملك جدَّ في ما يأول لخير المملكة في المهام الحربية والسياسية واذ انتظم امرها باشر حربَ الجرمانيين الذين اندفعوا على حدود المملكة افواجًا فهزمهم وطاردهم الى عبر الرين واثخن في بلادهم واسترد ما كان لرومية قديمًا في تلك الاطراف ونظم من شبان الجرمانيين في سلك جنوده كتائب اذ كانوا ذوي باس اما الرومانيون فكانوا قد فقدوا بعض شوكتهم القديمة وضعفوا ولم يقدروا على احتمال مشقات الحرب كاسلافهم٠ومن فعال بروبس ايضًا لصيانة المملكة اسكانهُ بعض قبائل البرابرة على حدودها قصد الدفاع عنها والمحافظة على ثغورها متى صارت لهم وطنًا فاذا اغارت قبائل اخرى على تلك الاطراف تصد غارتهم وتمنعهم من الايغال في اواسط المملكة فتقوّت رومية بمحالفتهم وجنت منها نفعًا جزيلاً وقد ابدى بروبس في هذا الامر حكمة سامية وامرًا سديدًا حريًّا بالذكر ولعل هذا التدبير من اقوى الاسباب التي اخرت سقوط رومية زمنًا

حرب الجرمانيين

مساعي الفرانكيين

٣٧٠ ومما يظهر حقيقة الحال حينئذٍ مع كثرة البرابرة الذين اندفعوا على المملكة بشدّة وجراءة مساعي الفرانكيين الخطيرة الذين نزلوا على شطوط البحر الاسود ثم استولوا على بعض سفن فركبوها واجتازوا البوسفور والدردنيل ونفذوا في الارخبيل الرومي وكانوا يغزون الشطوط اثناء سفرهم وينهبون ما طالت اليهِ ايديهم مما خف حملهُ وغلا ثمنهُ ثم توجهوا غربًا الى ان وصلوا الى ميناء سرقوسا فنهبوها واثخنوا في اهلها ثم اقلعوا منها وساروا غربًا ايضًا ولم يزالوا سائرين الى ان اجتازوا بوغاز جبل طارق وقطعوا البحر الكبير شمالاً فانتهوا الى شطوط جرمانيا وطنهم الاصلي وكان هذا السفر من اعظم اسفار تلك الايام

اخماد الفتن

٣٨٠ اما بروبس فبعد ان دفع اعداء المملكة في الجوانب الغربية واقام حاجزًا منيعًا بين نهري الرين والدانيوب لا يقوى البرابرة على خرقهِ واجتيازهِ الاّ بعناء وجهدٍ جهيدٍ توجّه الى الشرق واخمد ثورة في اسيا الصغرى ثم سار الى مصر ومهّد امورها وطرد قبيلة كوشية كانت تغزو فيها وبعد نجاز هذه المهام قفل الى الغرب واخمد نار فتنةٍ في غاليا ثم عاد الى رومية ودخلها بموكب نصري فعظم ذكرهُ وسما قدرهُ لانهُ قهر الاعداء في كل

ناحية وطلب الفرس محالفتهُ ومسالمتهُ ولما فرغ من حروبهِ شرع يشغل عسكرهُ بما يؤول الى تحسين امور الفلاحة واجادة تربة الاراضي واحياء الموات كانتزاف ماء المستنقعات وتطهير الاراضي الوخمة فضجر العسكر من ذلك وقتلوهُ سنة ٢٨٣ ب٠م

٣٩. ثم رقى العسكر بعدهُ كارُس رئيس الوزعة الذي اشرك ابنيهِ كارينُس ونوميريانس بالملك غير مكترث برضى المشيخة ولقب كلاًّ منهما قيصرًا واقام الاول على الاقطار الغربية من المملكة واستصحب الثاني في مسيرهِ لمحاربة الفرس واضطر قبل مسيرهِ الى مقاتلة السرماتيين الذين كانوا يغزون اليركون فاوقع بهم وهزمهم شرَّ هزيمة بعد ان قتل منهم نحو ١٦٠٠٠ مقاتل واسر ٢٠٠٠٠ ثم سار الى الشرق وكانت مملكة الفرس وقتئذٍ مشهدًا للقلاقل والاضطراب من جرى الفتن بين اهلها في ايام ملكهم بهرام الثاني فتقدم كارس في جنودهِ وغزا ما بين النهرين الى الدجلة وافتتح سلوقية وقطيسفون وعزم على المسير الى ما وراءها فجزع بهرام وطلب الصلح وبعث اليهِ وفدًا لذلك فوافاهُ الوفد وقت العشاء وكان كارس جالسًا على بساط الارض الاخضر يتبلَّغ بقليل من لحم الخنازير والجلبان اليابس ولم يتميز في ذلك عن سائر عسكرهِ فتعجب منهُ الفرس اذ لم ينتظروا رؤية امبراطور على هذه الهيئة ثم شرعوا بمكالمتهِ في امر الصلح فنزع قلنسوتهُ وكان اقرع وقال لهم اذهبوا الى سيدكم واخبروهُ انهُ ان لم يخضع لي لا اتخلى عن ارضهِ الى ان تخلو من الشجر كما يخلو راسي من الشعر ا ه. اما كارس فلم يتم وعيدهُ اذ هلك عقيب ذلك واختلف في موتهِ فقيل انهُ قُتل مصعوقًا وقيل لا بل قتلهُ بعض خاصتهِ وقيل انهُ مات حتف انفهِ والله اعلم وكان موتهُ سنة ٢٨٣ ب٠م

ملك كارس سنة ٢٨٢—٢٨٣ ب٠م

حرب السرماتيين

حرب الفرس سنة ٢٨٣ ب٠م

٤٠. ثم تشاءم العسكر من هذه الغزوة واجمع رايهم على الرجوع فرأَّسوا نوميريانس وجعلوهُ امبراطورًا مكان ابيهِ ثم جدوا في المسير الى مركزهم فقضى نوميريانس اذ بلغوا البوسفور والظاهر ان رئيس الوزعة المسمى اپير قتلهُ واسرَّ الامر ليدبر الخلافة فلما درى العسكر بموت نوميريانس نادوا بملك ديوقليثيانس احد قوادهم فقام على اپير وقتلهُ بيدهِ

ملك نوميريانس سنة ٢٨٣ ب٠م

اما كارينس فتولى الجهات الغربية واساء السيرة وانصبَّ على قضاء شهواتهِ الخبيثة ففتنتهُ رعيتهُ ولما سمع بما كان من امر اخيهِ سار في جنودهِ لمقاتلة ديوقليثيانس واشتد بينهما

ملك كارينس سنة ٢٨٣—

٢٨٤ ب.م القتال فانهزم ديوقليتيانس ثم عاد فانفرد بالملك اذ قام على كارينس احد خاصته وقتلهُ وكان ذلك سنة ٢٨٤ ب.م

الفصل التاسع

من تبوُّء ديوقليتيانس الى موت قسطنطين الاول وذلك من سنة ٢٨٤ الى سنة ٣٣٧ ب.م

ما تتضمنهُ هذه المدة ١. تتضمن هذه المدة امرين مهمين اولهما التغيير الذي ادخلهُ ديوقليتيانس في نظام الامبراطورية والثاني جعل الديانة المسيحية ديانة المملكة الرسمية في ايام قسطنطين الاول او الكبير وسنذكر تقدم هذه الديانة منذ نشأتها الى ان صارت ديانة المملكة في فصل مخصوص ان شاء الله

ملك ديوقليتيانس ٢. اما **ديوقليتيانس** فكان من اشهر الملوك لانهُ رقى المملكة بعد سقوطها وقواها بعد ضعفها كما مرَّ في الفصل الثامن وكان حكيمًا حازمًا فتمكن من ضبط السياسة وتنظيمها مع انهُ من اصلٍ دني قيل انهُ ابن عبد لبعض ايمة رومية غير ان هذا ليس بمثبت وكان وطنهُ ديوقليا في دالماتيا ومنها اشتق اسمهُ **ديوقليتيانس** انتظم في سلك العسكر في حداثتهِ وابدى من الباس والحذق ما حمل سيدهُ على ترقيتهِ فتعين واليًا لميسيا ثم قنصلاً ثم قائدًا ثم امبراطورًا بعد وفاة نوميريانس كما مرَّ

نظامهُ الجديد ٣. ولما ملك راى انهُ لا بد من تغيير نظام الامبراطورية اذ كانت قد اتسعت كثيرًا ولا يمكن لامبراطور واحد ضبطها بالحزم فعزم على تقسيمها الى اربعة اقسام يتولى كلَّ قسمٍ منها حاكمٌ على انهم لا يكونون مستقلين بل مرتبطين في مملكة واحدة يوازر بعضهم بعضًا فاختار ديوقليتيانس قائدًا اسمهُ مكسيميانس واشركهُ في الملك سنة ٢٨٦ ب.م. ولقبهُ **باوغسطس**

لهُ وعينهِ ثم عين قائدين اخرين برتبة قيصر وهي دون رتبة اوغسطس التي اتخذها لنفسهِ ولظهيرهِ المذكور اما اللذان خصهما برتبة قيصر فهما غليريوس وقسطنطيوس ورقاها سنة ٢٩٣ ب.م. ثم قسم المملكة كما ذكر فولى قسطنطيوس بريطانيا وغاليا واسبانيا ومكسميانس ايطاليا وافريقية وغليريوس نوركوم وبنونيا وميسيا واستاثر بثراكية ومكدونيا وبلاد اليونان ومصر والشرق وكان مفروضًا على قسطنطيوس ان يعتبر مكسميانس سيدًا له وعلى غليريوس ان يعتبر ديوقليتيانس كذلك ثم انهُ اذا مات احد الاوغسطسين او استعفى يرتقي القيصر الخاضع له الى مقامهِ ويختار لنفسهِ قيصرًا يخلفهُ

٤. هذه صورة النظام الذي نظمهُ ديوقليتيانس وكان الذين اشركهم في الملك مطيعين له يجرون ما يفرضهُ عليهم الا ان مكسميانس كان يحبُّ الارتقاء والسيادة فالقى الشغب والمشاكل في امور المملكة كما سترى وكان شرس الاخلاق غير مهذب الا فيما يتعلق بالقوانين العسكرية فانهُ اجرى احكامها بصرامة والتزم رفيقهُ ان يردهُ عن سبيل الظلم احيانًا واهمل ديوقليتيانس حقوق المشيخة والغاها ولم يقم برومية لا هو ولا رفيقهُ ايضًا فانحطَّ شانها ولم تعد عاصمة المملكة فاصبحت المشيخة بمنزلة مجلس مدينة رومية فقط وكان مركز المملكة او بالحري مراكزها متفرقة في ايام ديوقليتيانس وخلفائهِ فانهُ اتخذ نيكوميديا في اسيا الصغرى مركزًا له ومكسميانس ميلان في ايطاليا ولما بنى قسطنطين القسطنطينية اتخذها مقرًّا دون رومية فتاخرت هذه وشقيت ونزع ديوقليتيانس صولة الوزعة ايضًا فلم يبقَ لهم سطوة المسيطرين يتصرفون بالمملكة والامبراطور نفسهُ كالسابق وضعفت صولة العساكر اجمعين لانهم انقسموا الى اربعة اقسام لكل من الاوغسطسين والقيصرين قسمٌ فسكن الهيجان في المملكة ونتج عن هذا النظام الجديد نتائج مهمة كما رايت

(نتائج النظام الجديد)

٥. وحدث في نحو سنة ٢٨٧ ب.م. خيانة في بريطانيا اذ خرج قائد يسمى كاروسيوس كان اولاً في غاليا ثم عبر الى بريطانيا واستبد بها الى نحو سنة ٢٩٦ ب.م. حين اخضعهُ قسطنطيوس وكانت لمكسميانس حرب اخرى في غاليا انجزها بنجاح . وفي نحو سنة ٢٩٧ ب.م. هجم الالمانيون على اطراف غاليا وكانوا جمعًا كثيفًا فهزمهم قسطنطيوس وطردهم منها ثم نازع مكسميانس مختلس في افريقية واستولى على قرطاجنة وخرج عليهِ ايضًا اهل موريتانيا فظفر بهم واخضعهم جميعًا وثار المصريون ايضًا فسار ديوقليتيانس لاستئصال جرثومة القائمين بها ومحو اثارها فافتتح الاسكندرية بعد حصار طويل وعاقب اهلها عقابًا اليمًا اذ

(خيانة بعض اطراف المملكة)

حرب الفرس سنة ٢٩٦— ٢٩٨ ب.م

قتل منهم خلقًا كثيرًا وحارب الفرس ايضًا وكان الداعي لذلك ان الفرس غزوا ارمينية سابقًا واستولوا عليها ونجا ترداتيس ولي عهدها وهو صغير والتجأ الى الرومانيين فربوهُ الى ان بلغ اشدَّهُ فردهُ ديوقليتيانس الى بلادهِ سنة ٢٨٦ ب.م. فاستبشر اهلهُ برجوعهِ وملكوهُ ولما انسق لهُ الامر طرد الفرس من بلادهِ واثخن في املاكهم وكانت مملكة الفرس في هرج واضطراب عظيم وقتئذٍ من جرى الحروب الاهلية اذ تنازع الملك هرمسداس ونارسيس فلما استقام الامر اخيرًا بيد الاخير شن الغارة على ترداتيس المذكور وقهرهُ وطردهُ فاستصرخ ديوقليتيانس فبادر لنجدتهِ سنة ٢٩٦ ب.م

هزيمة غليريوس سنة ٢٩٦ ب.م

٦. فجهز غليريوس الى حرب الفرس والتقى الجمعان وتواقعا في ما بين النهرين وكان القتال شديدًا فانهزم غليريوس وانجفل الى انطاكية حيث كان سيدهُ فوبخهُ واهانهُ وعيرهُ بفشلهِ واجفالهِ فاحمر وجههُ خجلاً ثم هبت براسهِ النخوة فنهض ثانية وحشد جنودهُ وسار الى ارمينية ومنها الى بلاد اشور وكبس الفرس وهزمهم شرَّ هزيمة واستاق غنيمة وافرة واسر آل نارسيس وكان قد اعيا فطلب الصلح واسلم امرهُ الى ديوقليتيانس فعقد الصلح بشرط انهُ يتخلى لرومية عن ارمينية وبعض اقاليم شرقي دجلة ثم سار ديوقليتيانس الى رومية واحتفل فيها مع رفيقهِ احتفالاً عظيمًا لانتصاراتهما

اضطهاد المسيحيين

٧. ثم باشر الامبراطور امرًا لم ينجح فيهِ كما نجح في امور الحرب والسياسة وهو دعوة جميع الناس الى ديانة واحدة هي الوثنية فان المسيحيين كانوا قد كثروا جدًّا فساء الامبراطور نموهم وفلاحهم وعمد الى اضطهادهم ظانًا انهُ قادر على ارجاعهم الى الديانة القديمة قهرًا لكنهُ لم ينل غايتهُ اذ ثبت المسيحيون على ايمانهم ولم ينكرهُ الاَّ الضعيف فقط فخاب الامبراطور كما سيذكر ان شاء الله

ضيق الناس

٨. ويئست عامة الناس واشتد بهم العسر والضيق من جرى كثرة الرسوم والضرائب التي ضربت عليهم ايام ديوقليتيانس اذ انشيء في المملكة اربعة صروح واحدًا لكل من الاوغسطسين والقيصرين مع ما كان لهم من الحرس والحشم والحجاب وسائر المتوظفين فازدادت النفقة كثيرًا وبزيادتها اكثروا الرسوم والمكوس لسدها فلم يقدروا على جمعها الاَّ ظلمًا فثقلت على اصحاب المهن هذه المظالم وتاخرت التجارة وارتفعت الاثمان حتى كاد الفقير يهلك جوعًا لقلة اسباب المعيشة فعمد الامبراطور الى تحديد الاثمان وقصاص من يزيد عليها غير ان هذا لم يجدِ نفعًا اذ شوش امور التجارة وزادها ارتباكًا ولم يزد المملكة الاَّ

قلقًا وضيقًا

٩. اما ديوقليتيانس فاعتراهُ مرض شديد في نحو سنة ٣٠٤ ب.م فضعفت قواهُ واستثقل عبء امور السياسة فعمد الى الاستقالة من منصبهِ وامر مكسميانس ان يقتدي بهِ اذ كان قد حالفهُ على ذلك حين رقاهُ للملك ففعلهُ كرهًا لانهُ كان راغبًا في مقامهِ ومجدهِ وكانت استقالة الامبراطورين في آنٍ واحد كلٌّ في مقرهِ اي في نيكوميديا وميلان. ثم ارتقى القيصران الى مقام اوغسطس وخلفهما قيصران اخران وفقًا لنظام ديوقليتيانس غير انهُ خولف الترتيب اذ عين غليريوس القيصرين كليهما دون قسطنطيوس فكان لهُ حق تعيين واحد منهما فقط فنتج عن ذلك ان القيصرين كانا خاضعين لغليريوس فغدا متسلطًا على نحو ثلثة ارباع المملكة ورفيقهُ على الربع فقط

استعفاء الاوغسطين سنة ٣٠٥ ب.م

١٠. وبعد ما استعفى ديوقليتيانس ذهب الى دالماتيا وطنهِ وبنى لنفسهِ صرحًا عظيمًا وخلا بهِ متنحيًا عن كل امور العالم وانصب على الفلاحة والزراعة وما اشبه ذلك اذ سرَّ كثيرًا بهذه الامور. اما مكسميانس فسئم الخلوة والابتعاد عن السياسة والحرب وقيل انهُ راسل رفيقهُ يدعوهُ الى العودة الى الملك فاجاب ديوقليتيانس رسلهُ قائلاً قولوا لسيدكم لو رايتَ الكرنب الذي ربيتهُ في جنينتي لما طلبت مني ان اترك جنان سعادتي هذه لاجل اتعاب السلطنة .اهـ. وبقي يدأب في عملهِ سعيدًا الى ان حضرتهُ الوفاة غير انهُ حزن في اواخر ايامهِ لما راى ان النظام الذي سنهُ واجتهد فيهِ قد نسخ وكانت وفاتهُ سنة ٣١٤ ب.م

نهاية امر ديوقليتيانس

١١. اما القيصران اللذان عينهما غليريوس فهما مكسيمنس وسفيرُس واقطع الاول سورية ومصر والثاني ايطاليا وافريقية اما قسطنطيوس فاستبد بالملك الى حين موتهِ وكانت وفاتهُ سنة ٣٠٦ ب.م. وكان لهُ ابن يسمى قسطنطين من امرائهِ الاولى هيلانة التي التزم ان يطلقها حين ارتقائهِ الى رتبة قيصر لكي يتزوج بابنة مكسميانس وكان قسطنطين في خدمة ديوقليتيانس العسكرية وفي خدمة غليريوس ايضًا واشتهر وترقى لشدة باسهِ وشرف نفسهِ وفضلهِ ولما صار ابوهُ اوغسطسًا طلب من غليريوس ان يبعثهُ اليهِ فابى مدةً اذ اوجس من ذلك شرًّا ولكن لما الحَّ عليهِ اذن لهُ في الانصراف فلحق بابيهِ قبل موتهِ بقليل اذ خفَّ في السير ونجا من مكائد غليريوس وكان ابوهُ في غاليا متاهبًا للمسير الى بريطانيا لمقاتلة الكلدونيين فسارا معًا الى الجزيرة حيث توفي ابوهُ كما مرَّ فنادى العسكر

ترقية مكسيمنس وسفيرس وموت قسطنطيوس وترقية قسطنطين

بملك قسطنطين على الاثر ورقوهُ الى رتبة اوغسطس ولما اتصل الخبر الى غاليريوس حمي غضبهُ لانهُ كان ناويًا التسلط على المملكة كلها عند موت رفيقهِ لكنهُ كظم غيظهُ واقرّ قسطنطين على ولايتهِ وسلم بكونهِ قيصرًا فقط ورقى سڤيروس المذكور الى رتبة اوغسطس

ملك مكسنتيوس وابيهِ وموت الاخير سنة ٣١٠ ب.م

١٢. فلم يرضِ الرومانيين هذا النظام وحاولوا نقضهُ اذ راوا ان امور رومية قد صارت الى الذل والضياع فرفضوا سلطة سڤيرُس وعزت المشيخة وانتعشت وانتخبت مكسنتيوس بن مكسميانس امبراطورًا سنة ٣٠٦ ب.م واتى ابوهُ واتحد معهُ وعضد امرهُ . اما سڤيرُس فسار بجيشهِ الى رومية لمحاربتها فخذلهُ جندهُ وانحازوا الى العدو فانتحر حنقًا وكمدًا سنة ٣٠٧

اما غاليريوس فعين ليسنيوس اوغسطسًا وسار بجنودهِ الى ايطاليا لمقاتلة الخائنين واذ لم يقدر عليها تركها وكانا قد تحالفا مع قسطنطين وزوجهُ مكسميانس بابنتهِ فوستا. ثم اتخذ الثلثة لقب اوغسطس ولما الح مكسمينس على غاليريوس ان يرقيهُ الى تلك الرتبة رقاهُ ايضًا فصار ستة اوغسطسين يتسلطون على المملكة في وقت واحد غير ان هذه الحال لم تدم وقتًا طويلاً اذ تنازع مكسنتيوس وابوهُ وعضد الوزعة امر الاول فاضطر الاب ان يهرب الى غاليا حيث كان قسطنطين الذي خفرهُ اولاً على شرط ان يتخلى عن الملك ولكنهُ اثار فتنة عقيب ذلك واخذ يطيب قلوب العسكر في غياب قسطنطين ويستميلهم اليهِ فلما علم قسطنطين بذلك عاد مسرعًا فهرب حموهُ وقتل نفسهُ ممتثلاً امر صهرهِ سنة ٣١٠ ب.م

موت غاليريوس سنة ٣١١ ب.م

١٣. ثم مات غاليريوس سنة ٣١١ ب.م بداء عضال مقاسيًا عذابًا اليمًا ظنهُ المسيحيون عقابًا لظلمهِ وفرط جورهِ اذ زاد في اضطهادهم واقتسم ليسنيوس ومكسمينس املاكهُ بعد موتهِ فلم يبقَ سوى اربعة امبراطورين لم يسالم بعضهم بعضًا بل شنوا الغارة واثاروا الحروب فيما بينهم فانتشبت الحرب بين قسطنطين ومكسنتيوس وبين ليسنيوس ومكسميانس سنة ٣١٢ ب.م. اما مكسنتيوس فظلم اهل افريقية وايطاليا فاستعانوا بقسطنطين وبعثت المشيخة وفدًا يتوسل اليهِ ان ياتي ويعزل الظالم الذي اهان قسطنطين واساء اليهِ فزحف المشار اليهِ الى ايطاليا في نحو ٤٠٠٠٠ مقاتل وجهز خصمهُ عليهِ نحو ١٨٨٠٠٠ مقاتل انهزموا شرّ هزيمة ووقعت ايطاليا الشمالية بيد قسطنطين ثم قدم على رومية فاراد خصمهُ الامتناع بها اما اهلها فعيروهُ بجبانتهِ وحمسوهُ فبرز للجهاد وحارب عدوهُ على نحو ثلاثة

فراسخ منها وكانت الكرة عليهِ ايضًا فولى منهزمًا ودخل المدينة ولما وصل الى الجسر الذي كان على التيبر زحمهُ الناس فدُفع الى النهر وغرق فاصبح قسطنطين عظيم رومية وقيلها واهالك من كان ينتمي الى مكسنتيوس لكنهُ لم يؤْذِ غيرهم فرحبت بهِ المشيخة واكرمتهُ وصرف هناك فصل الشتاء يدبر امور المدينة والسياسة ونزع فرقة الوزعة كافةً فخلت رومية من الحرس والخفر واذلها فعلاً كما سياتي

هلاك مكسيمنس سنة ٣١٣ ب.م

١٤. وفي صدر سنة ٣١٣ب.م. اجتمع قسطنطين وليسنيوس في ميلان وعقدا معاهدة على مكسيمنس الذي سار لمقاتلتهما فتقدم ليسنيوس عليهِ وهزمهُ في نواحي بيزنتيوم ففر الى نيكوميديا واسرع في السير حتى انهُ قطع مسافة مائة وستين ميلاً بيوم واحد فكان نشاطهُ في العدو اشد منهُ في القتال ثم توجه الى طرسوس حيث هلك واستولى ليسنيوس على املاكهِ فلم يبقَ من الاباطرة الستة غير اثنين ولم يمكثا طويلاً حتى تنازعا في الملك واقتتلا سنة ٣١٤ ب.م. في اطراف بنونيا وانهزم ليسنيوس واستولى خصمهُ على كل ما كان لهُ في اوربا ما عدا ثراكية وعلى هذا عقد الصلح بينهما واستمر الامر على هذه الحال نحو تسع سنين اساء ليسنيوس فيها السيرة فنفرت منهُ قلوب الناس

الحرب بين ليسنيوس وقسطنطين وموت ليسنيوس سنة ٣٢٤ ب.م

اما قسطنطين فضبط السياسة وذب عن ثغور المملكة وحمى حوزتها وحارب الغوثيين وغلبهم سنة ٣٢٣ب.م. وتمكن من سلطنتهِ العظيمة . ثم عمد سنة ٣٢٣ الى محاربة ليسنيوس لما راى سوء سيرتهِ وعزم على عزلهِ فحشد الفريقان جنودهما واقتتلا قرب مدينة أدريانوبلس في ثراكية (وهي ادرنة) وكان جيش ليسنيوس نحو ١٦٥٠٠٠ مقاتل عدا سفنهُ التي كانت نحو ٣٥٠ سفينة اما جيش قسطنطين فكان نحو ١٢٠٠٠٠ مقاتل ولهُ ٢٠٠ سفينة فقط غير ان نظام جيشهِ الذي هذبهُ في حروب البرابرة بينما كان ليسنيوس متقاعدًا عن الحرب عاكفًا على اللهو والقصوف كان بغاية الاتقان والتدريب فلما جرى القتال دارت الدائرة عليهِ ايضًا وانهزم من وجه قسطنطين الذي ابدى من الباس والبسالة في تلك الوقعة ما حير النواظر واذهل العقول فصال وجال وسطا على الاعداء كالاسد الرئبال وهو في مقدمة الابطال ونازل الاقران في حومة الميدان وكافح وجاهد كاحسن خاصتهِ المدربين وفلّ جمع العدو وبدد شملهم فنسب الناس الغلبة الى شجاعتهِ وباسهِ. ومما يستحق الذكر انهُ في هذه الواقعة استجار على خصمهِ بالمسيح وكان قد تنصر اما ليسنيوس فاستجار بالالهة الوثنية اذ لم يزل على المذهب الوثني فاعتبر المسيحيون نصرة قسطنطين

نصرتهم ونصرة ديانتهم

وهلك من جنود ليسنيوس في تلك الواقعة نحو ثلاثة واربعين الفًا وفرّ الباقون واعتصم ليسنيوس ببيزنتيوم ولكن لما رأت سفنهُ هاربة ايضًا فرّ الى بثينية وحشد جيشًا اخر يبلغ نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل فطاردهُ قسطنطين وهزمهُ ثانيةً فلاذ بنيكوميديا وبالتالي أسلم امرهُ الى خصمهِ فعفّ عنهُ واستحياهُ مدةً اذ شفعت فيهِ امرأتهُ اخت قسطنطين ثم قتلهُ بعد ذلك بنحو سنة اذ اتهمهُ بالخيانة وكان موتهُ سنة ٣٢٤ ب.م فانفرد قسطنطين في الامبراطورية ولم يكن لهُ منازع وجمع بيدهِ السلطنة الرومانية كلها بعد ان قسمها ديوقليتيانس غير انهُ اشرك ابنيهِ في الملك برتبة قيصر مشترطًا عليهما الخضوع لهُ تمامًا

بناء القسطنطينية سنة ٣٢٤—٣٣٠ ب.م

١٥. ومن اهم اعمال قسطنطين بعد ذلك بناء القسطنطينية المسماة وقتئذٍ بيزنتيوم وكانت حصينة الّا انها سلمت لهُ عند خضوع ليسنيوس كما تقدم فلما رأى قسطنطين حسن موقعها عزم من يومهِ على اتخاذها مركزًا لسلطنتهِ وفي ذلك دل على حسن درايتهِ وبصيرتهِ اذ هي اكثر موافقة من رومية لتكون مركز مملكة متسعة شاملة الاملاك العظيمة في اوربا وآسيا وافريقية كما يتضح لكل من تدبر الامر بعين بصيرة. وذلك لحسن مركزها الجغرافي فانها واقعة على حدود قارتين والطبيعي لوقوعها على بوغاز موصل بين بحرين كبيرين وفي مركز ممالك العالم القديم فلو امكن اقامة مملكة عامة شاملة العالم كلهُ لكان هذا المركز انسب المراكز لهذه الغاية نظرًا الى موقعهِ من جهة البحر والبر ومرفأ المدينة على غاية من الجودة امين صالح للسفن الكبيرة والصغيرة وارضها مرتفعة قيل انها بنيت على سبع تلال بعدد تلال رومية ومنظرها جميل ولا سيما لمن يقبل عليها بحرًا وبدأ قسطنطين بتشييد مبانيها سنة ٣٢٤ ب.م. ولم يفرغ منهُ الى سنة ٣٣٠ ولما اتم بناءها احتفل لهُ احتفالاً فاخرًا دعا اليهِ السكان من جميع الآفاق وغمر بنوالهِ كل مهاجر اليها ومنح امتيازات لمن بنى فيها بيتًا ووهبهُ اراضي في سوادها فتقاطر الناس اليها افواجًا وعظم شانها وازهر عمرانها فانحطت رومية وذلت وزال رونقها وسمّى قسطنطين المدينة "رومية الجديدة" اما الناس فنسبوها الى اسم بانيها ولا يزال اسمها الى هذا اليوم

ترتيب السياسة

١٦. ورتب قسطنطين سياسة المملكة وقسمها الى اربعة اقسام كبرى وولى على كل منها واليًا يلقب في اللاتينية بريفكتُس وكان القسم الاول في الغرب اسبانيا وغاليا وبريطانيا ثم ايطاليا وافريقية ثم ما بين ايطاليا والبحر الاسود والارخبيل ما عدا تراكية ثم

املاك رومية في اسيا ومصر مع ثراكية في اوربا وانقسم كل من الاقسام الكبرى الى اقسام او ولايات وكان في المملكة كلها ١١٩ ولاية رأس على كل منها وازعًا دون البريفكتس المذكور وكان لرومية والقسطنطينية احكام خاصة بهما واقام على كل منهما بريفكتس كاقسام المملكة الكبرى وجعل قسطنطين رتبًا بين الناس كالاية والامراء وما اشبه ومنح كل رتبة امتيازات تتميز بها عما سواها ولا تزال ممالك اوربا تتداول هذه الرتب على نوع ما الى ايامنا هذه وكثّر قسطنطين عدد الكتائب بصنوفها في الجندية حتى بلغت ١٣٢ جوقًا غير انهُ قلل عدد الانفار في كل منها الى الف او الف وخمس مئة راجل واقام على الجنود قائدًا عامًّا للمشاة وآخر للفرسان . اما الرسوم والمكوس وما اشبه فلا يظن انهُ زادها كثيرًا الَّا انهُ كان يجبيها بكل دقة وقيل انهُ رسم ان تدفع نقودًا ذهبية وقول البعض انهُ ظلم الناس ليس بثبت بل الظاهر انهُ انصفهم وكثيرون لا يرضون بالانصاف وعدل في سياسته وضبطها غاية الضبط

اوصاف قسطنطين وقتله ابنه وامراته

١٧. اما اوصافهُ الشخصية الادبية فمنها ما يمدح ومنها ما يذم فكان شجاعًا حازمًا حكيمًا ذكيًا لكنهُ لم يخلُ من الشدة والاوهام الوثنية مع انهُ تنصر كما ذكر وسنفصّل ما وصلت اليهِ الديانة في ايامهِ في الفصل العاشر ان شاء الله . اما صرامتهُ فتظهر من معاملتهِ اقرباءهُ فكان لهُ اربعة بنين اكبرهم كِرِسْپُس رُزِقهُ من امرأتهِ الاولى التي طلقها لما تزوج بفوستا كما مر ورُزق من فوستا ثلاثة وهم قسطنطين وقسطنطيوس وقسطنْس وابنتان وهما قسطنطينا وهيلانة

وكان كرسپس حاذقًا كريم الاخلاق جريئًا وقد ابدى بسالةً وثباتًا في بعض الحروب فرقاهُ ابوهُ الى رتبة القيصرية كما فعل بسائر بنيهِ غير ان كرسپس اراد مقام اوغسطس فابى ابوهُ وربما ان كرسپس اغتاظ ونوى الخيانة غير ان هذا يحتاج الى الاثبات . اما ابوهُ فخاف منهُ شرًّا واقام الدعوى عليهِ وكانت محاكمتهُ سرية فلم يعلم هل تبرأ من تلك التهمة او لا الَّا ان اباهُ امر باخذهِ من المدينة تحت الحفظ وقتل خفيةً عقيب ذلك ويظن البعض انهُ كان مظلومًا والله اعلم وقتل في ذلك الوقت ابن ليسنيوس ثم لم يلبث قسطنطين حتى قتل امراتهُ فوستا وسبب ذلك فيما قيل ان هيلانة ام قسطنطين حنقت عليها لانها اغرت الامبراطور على قتل كرسپس فاتهمتها بالزنى مع بعض خدم الامبراطور فقتلها على انهُ لم يثبت بالبينة انها ارتكبت تلك الفاحشة. فكفانا ذلك دليلاً

على ان قسطنطين كان قاسيًا صارمًا حتى على آلهِ وعترتهِ

حرب الغوثيين سنة ٣٣٢ ب٠م

١٨٠ وكانت لقسطنطين حروب مع البرابرة في اواخر ملكهِ لانهم غزوا الاطراف الشمالية من المملكة وفي سنة ٣٣٢ ب٠م٠ قطع الغوثيون الدانيوب ودوخوا ميسيا فنهض الامبراطور على كبر سنهِ وسار لمقاتلتهم وقهرهم وطردهم الى عبر النهر وكان سبب هجوم الغوثيين حينئذٍ ان قسطنطين كان قد خفر امة السرماتيين اعداءهم فضايقهم الغوثيون ايضًا بعد رجوعهم الى بلادهم وطلبوا من الامبراطور ان يسكنهم في المملكة فقبلهم وانزلهم في پنونيا وثراكية ومكدونية وكان عددهم نحو ثلاث مئة الف فصاروا من تبعة المملكة سنة ٣٣٤ ب٠م

موت قسطنطين سنة ٣٣٧ ب٠م

١٩٠ وملك قسطنطين الى سنة ٣٣٧ ب٠م٠ وادركهُ الاجل في نيكوميديا لمضي ٣١ سنة من ملكهِ و٦٤ سنة من عمرهِ وزاد ملكهُ على كل من سبقهُ بعد اوغسطس ومن غرائب امورهِ انهُ لم يعتمد الى قرب موتهِ مع انهُ كان قد تنصر قبل ذلك بمدة مديدة وربما انهُ ارجأ ذلك لاعتقادهِ ان قوة سر المعمودية في تطهير القلب فظن ان معموديتهُ وهو مشرف على الموت تكسبهُ الطهارة فيدخل الى السعادة السموية لامحالة

وشهد قسطنطيوس وفاة ابيهِ وتلقى وصاياهُ وكان قد عين دالماتيوس وهنباليانُس ابني اخيهِ اولهما قيصرًا مع ابناء عمهِ وثانيهما ملكًا واقطعهم جميعًا ولايات المملكة ولكن لم تثبت وصيتهُ الاَّ قليلاً كما سنرى

الفصل العاشر

في تاسيس الديانة المسيحية في المملكة الرومانية ونجاحها حتى صارت ديانة المملكة كلها

اهمية هذا البحث

١. ان التاثير العظيم الذي احدثتهُ الديانة المسيحية في نظامات المملكة الرومانية وادابها هو من اهم الامور التي تستدعي التفات قراء تاريخها اليهِ واذ لا يتيسر ادراكهُ بدون الوقوف على كنه هذا الامر العجيب يليق بنا ان نبحث عنهُ بما يناسب المقام فنقول

لا يخفى ان هذه الديانة نشأَت من اصل زهيد في احوال حقيرة ولكنها نمت بالتدريج وتعاظمت حتى زعزعت اركان العرش الروماني واخضعتهُ لسطوتها الشديدة وذلك بغير الاستعانة بالسيف او الاستناد الى الحكومات البشرية (الى ايام قسطنطين) فغلبت على رغم القوات السياسية والوسائط المادية والموانع القوية التي عارضت سيرها وتصدت لمقاومتها وكثيرًا ما قامت عليها وقصدت ملاشاتها كما سترى فيظهر من هذا ان قوتها لم تكن قوة بشرية فالبحث عنها ضروريٌّ لشدة تعلقها بما نحن بصددهِ

٢ وليس قصدنا ان نذكر مبادئَ هذه الديانة وقوانينها فانها مفصلة في اعمال الرسل ورسائلهم ومن اراد الوقوف عليها فليراجعها في العهد الجديد اما ما يهمنا هنا فهو الالتفات الى علاقاتها الواردة في انباء رومية وقبل الشروع في ذلك نقول ان من اعظم اسباب تقدم الديانة المسيحية وانتشارها السريع فساد الاديان اليونانية والرومانية الوثنية التي كانت مشحونة بالاوهام والخرافات والحيل والاكاذيب المصنعة حتى ان من تامل بها قليلاً يمكنهُ ان يرى بطلانها فلا يعود يعتبرها ومنها ايضًا طهارة الحياة المسيحية واستقامة سيرة اتباعها الذين اضحوا عرضة لبغض المتصلفين وحقدهم عليهم لمجرد

اسباب تقدم الديانة المسيحية

طهارتهم ولما كان مذهب المسيحيين غير شرعي اثاروا عليهم اضطهادًا عنيفًا فلم يزدهم ذلك الاّ نموًّا ونشاطًا

اول ذكر امرهم في تاريخ رومية وهو ايام نيرو

٣. ولم يرد في انباء رومية ذكر المسيحيين بصراحة الى اخر ايام ملك نيرو الطاغية الذي قتل بولس الرسول ربما في السنة الاخيرة من ملكهِ اي سنة ٦٨ ب.م او قبل ذالك بسنتين او ثلاثة. اما ذكر المسيحيين ايام نيرو فجاء في تاريخ تسِتُس قولهُ ان نيرو اضطهدهم وعذبهم وقتلهم ليحوّل افكار الناس عنهُ اذ اتهموهُ باحراق رومية لكي يلهو بنظر لهيبها ويسمع صراخ اولئك المساكين كما مر في اخبارهِ فمن قول تسنس نستنتج ان هذا الاضطهاد لم يكن الاَّ في رومية فقط غير ان بعض المورخين يقولون انهُ امتد الى اطراف المملكة ايضًا وهذا دليل على ان المسيحيين كانوا قد نموا وكثروا حتى تحولت انظار الجميع اليهم

٤. ولما خربت اورشليم في ايام فسپاسيانس وتشتت اليهود في اقطار المسكونة تشدد المسيحيون وتشجعوا لان هذه الحادثة بينت لهم صدق اقوال المسيح الذي انبأهم بها في حياتهِ كما يتضح من البشائر فصار هذا الامر واسطة عظيمة لاقناع الناس بحقيقة الديانة المسيحية

الاضطهاد ايام دومتيانس

ثم اثير عليهم اضطهاد ثانٍ ايام دومتيانس الظالم المشهور بارتكاب الفواحش وقتل النفوس بدون جناية . وكان بغضهُ لليهود شديدًا واتهم المسيحيين بكونهم كفارًا مقتدين بعوائد اليهود لانهُ لم يعرف حقيقة امرهم فظنهم احد نحل اليهود الفاسدة غير ان هذا الاضطهاد لم يطل اذ صرم الله عمرهُ وكفى الناس شرهُ

حالة المسيحيين ايام تراجانس

٥. وما زال المسيحيون يتكاثرون ويزيدون اعتبارًا الى ملك تراجانس الذي كان على جانب عظيم من الفطنة والدراية وشدة الباس والمحافظة على سنن المملكة سواء كانت سياسية او دينية ومعاقبة من يخالفها بصرامة وكان من جملة هذه السنن منع الاجتماعات السرية لاي غاية كانت ولما كان المسيحيون مضطهدين ومعيرين وممقوتين من الناس لانهم نهوا عن عبادة الاوثان وقرّفوا تابعيها التزموا ان يخلوا بانفسهم عند اجتماعهم للعبادة ويختفوا حذرًا من هجوم الاعداء عليهم فوقعوا تحت طائلة التاديب لمخالفتهم السنة المذكورة فقاصهم تراجانس وتهددهم بالقتل اذا لم يرعوا عن ذلك بعد نصحهِ اياهم

امر بلينيوس

وحدث ان بلينوس الشهير في العلم والتأليف تعين واليًا على بيثينية وبنطس من اعمال

اسيا الصغرى سنة ١١٠ ب م وكان حليمًا عادلاً يميل الى الرحمة فلما شكي اليهِ على المسيحيين انهم يجتمعون سرًّا خلافًا للسنة لممارسة عبادة فاسدة واستعمال طقوس قبيحة كذبح الاطفال وما اشبه ذلك عمد الى البحث المدقق عن هذا الامر قبل اصدار الحكم بشانهِ فوجد ان اجتماعهم كان صحيحًا ولكن دعوى استعمالهم القبائح ليست الاَّ محض افتراء واذ كان بلنيوس مرتابًا في امرهم كتب الى الامبراطور يستشيرهُ بذلك ولاتزال رسالتهُ مع جواب الامبراطور باقية الى الآن اما فحوى الرسالة فهو هذا ان قومًا من المسيحيين اعتادوا ان يجتمعوا سرًّا قبل الفجر ويرتلوا ترنيمة او مزمورًا للمسيح الههم ثم يتحالفون ويتعاهدون على الامتناع عن السرقة والزنى وفعل المنكر ونكث العهود ثم بعد ان ياكلوا طعامًا بسيطًا ينصرفون . اه. ولربما اشار بالاكل البسيط هنا الى العشاء الرباني

فلنا من هذه الرسالة التي كتبها رجل وثني عديم المحاباة بعد التنقير والتدقيق برهان قاطع وحجة راهنة على ان مسيحيي ذلك الزمان كانوا منصبين على العيشة المسيحية تابعين شريعة الانجيل الطاهرة. فاجابهُ تراجانس بما مآلهُ ان لا يقبل الوشاية ولا الدعوى على المسيحيين ما لم يثبتها المدعي تحت امضائهِ وان لا يفتش عن المسيحيين ليقاصهم بل متى استحضر احدهم فليستنطقهُ فان اقرَّ بكونهِ مسيحيًّا فلا بد من قصاصهِ حتى يكرم الهة رومية

فيظهر من هذا ان تراجانس لم يتعمد اضطهاد المسيحيين بل قصد المحافظة على اجراء السنة فقط ولكن هذا فتح سبيلاً للولاة الذين كانوا يبغضونهم فاثاروا عليهم اضطهادًا عنيفًا

٦. ولما كان تراجانس مقيمًا في انطاكية شكي اليهِ على اغناطيوس الاسقف الشهير فحضر امامهُ قبل ان يطلبهُ وشهد ولم ينكر انهُ مسيحي فامر تراجانس باخذهِ الى رومية وطرحهُ في جب الاسود سنة ١١٥ ب م (امر اغناطيوس)

٧. وكان هادريانس بارعًا في العلوم والمعارف فاراد الوقوف على حقائق الدين المسيحي لغاية فلسفية فاستحضر بعضًا من المسيحيين لهم خبرة في مبادئهِ وبعد الاخذ والرد معهم حصل على بعض المعرفة وصار قادرًا على التمييز بين المسيحيين واليهود فاصدر امرًا بترك المسيحيين وشانهم في امر دينهم فامتنع الاضطهاد عنهم الاَّ في سورية واليهودية فانهم قاسوا ضيقات كثيرة حين خروج باركوكب المذكور الذي استدعاهم للتحزب معهُ على الرومانيين ولما ابوا سطا عليهم واكثر فيهم القتل (راحة المسيحيين ايام هادريانس الا في اليهودية وسورية)

٨. اما انطونينس فكان حليمًا رحيمًا وسمح لجميع رعاياهُ ان يتمتعوا بحريتهم الدينية

الاضطهاد ايام اوريليوس

فاستراح المسيحيون في ايامهِ غير ان خليفتهُ مرقس اوريليوس فكان شديد التمسك بفلسفة الرواقيين كما ذكر وحسب المسيحيين ذوي اوهام ردية متصلفين عنيدين لانهم رفضوا عبادة الالهة التي جعلها اوريليوس من الواجبات السياسية ومن رفضها يحسب خائنًا وكثرت في ايامهِ المصائب والحروب والاوبئة وما شاكل فنسب ذلك الى غضب الالهة لان عبادتهم قد اهملت واصدر الاوامر بتقديم عبادة خصوصية استعطافًا لهم ولا ريب ان المسيحيين ابوا تقديمها فوقعوا تحت قصاص الشريعة الامبراطورية فقتل منهم كثيرون لهذا السبب وفي ذلك الزمان هلك يوستينس الشهير بمصنفاتهِ الكثيرة وبولكاربس الشيخ الموقر اسقف ازمير وتلميذ يوحنا الرسول الذي لما وقف امام الوالي اراد ان ينقذهُ فتوسل اليهِ ان ينكر المسيح ويحيا فاجابهُ بوليكاربس قائلاً انني قد خدمت المسيح ست وثمانين سنة ولم يفعل بي الاَّ خيرًا فكيف يليق بي الان ان انكره وهو ملكي ومخلصي .اه. فاضطر الوالي ان يسلمهُ الى الموت فربطوهُ الى الوتد واحرقوهُ وهو يسبح الله ويمجدهُ اذ منحهُ اكليل شهيدٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٦٦ ب.م.

استشهاد يوستينس وبولكاربس

الاضطهاد في غاليا

وعانى المسيحيون صنوف البلايا والمحن في غاليا وسيقوا افواجًا افواجًا ليقاسوا انواع العذاب الاليم والقتل حتى ذهل مضطهدوهم من ثباتهم وتنصر كثيرون منهم لما راوا فيهم من علامات الفلاح والسرور الناشئة من شدة الايمان عند وقوعهم في اشد الضيق وهذا الفوز هو على الغالب نتيجة الاضطهاد كما يقال دم الشهداء بذار الكنيسة . ثم حصل المسيحيون على بعض الراحة في اواخر ملك اوريليوس ولعلهُ راى بطلان ما اصرَّ عليهِ اولاً فافرج عنهم

راحة المسيحيين ايام قمدس

٩٠ وحصل المسيحيون على الراحة في ايام قُمُدُس وذلك من سنة ١٨٠ الى سنة ١٩٢ ب.م. ومع انهُ كان شريرًا قاسيًا وظالمًا عاتيًا احسن اليهم واعزهم غاية الاعزاز قبل ان ما حملهُ على ذلك احدى سراريهِ المقربين التي كانت تميل اليهم فاكتسبت رضا مولاها عليهم غير ان بعض الولاة تمسكوا بالسنن القديمة فضايقوهم ولا سيما والي اسيا الذي اذاقهم امر العذاب فلما تحقق المسيحيون عزمهُ تقاطروا اليهِ افواجًا من تلقاء انفسهم لكي يشهدوا للحق واذ كلَّ الوالي وملَّ من تزايد عددهم انحلت عزيمتهُ واطلق سبيلهم فحصلوا على الراحة وهذا ما يبين نمو الكنيسة العظيم ونجاحها في اواخر القرن الثاني وثبات اعضائها ورغبتهم في اذاعة الحق

حالتهم ايام سفيرس الاول وخلفائه الى ايام ديسيوس

١٠. اما سفيرس الاول فمال الى المسيحيين واستخدم بعضهم وحدث انه لما مرض مرضاً شديداً دهنوهُ بالزيت المقدس فشفي الامبراطور ونسب شفاءهُ الى قوة سرية في الزيت فاعتبر المسيحيين واستخدمهم وكان معلم قرقلاً ومربيته منهم ولكن اذ راى ازديادهم ونموهم خاف واصدر امراً يمنع دخول الناس في دينهم فاحدث ذلك بعض الاضطهاد ثم هلك سفيرس وعادت الراحة الى مجراها فاخذوا بالتكاثر مدة نحو ٣٨ سنة اي من سنة ٢١١ الى سنة ٢٤٩ ب.م. ما عدا برهة قصيرة في ايام مكسيميلس البربري ورُخص لهم بتشييد المعابد لانهم كانوا يمارسون العبادة الى ذلك الحين سرًّا في بيوتهم وصاروا ينتخبون قسوسهم واساقفتهم علانيةً ويمارسون فرائض الدين جهاراً وارتقى بعضهم الى المناصب السامية واكتسبوا رضا الملوك ولا سيما الذين كان اصلهم من اسيا وحصل علماؤُهم على مزيد الاعتبار وقيل ان سفيرس الثاني اقام تمثال المسيح وتمثال ابرهيم في معبدهِ الخاص مع جملة الالهة وقيل ان فيلبس كان مسيحيًّا بالباطن

اضطهاد ديسيوس

١١. اما خليفتهُ ديسيوس فاضطهد المسيحيين اضطهاداً شديداً لرغبتهِ في ارجاع سياسة رومية الى حالتها القديمة وبذلك يعيد الديانة والعوائد الرومانية الى رونقها الاول وكان الدين المسيحي اعظم مانع في طريقهِ فحسبهُ فاسداً وعمد الى الاساقفة فقتل بعضاً وطرد بعضاً وعاملهم بكل صرامة ومقتهم وكره منظرهم حتى صار الخوارج والخائنون احب اليهِ من اساقفة المسيحيين

سلوك فاليريانس وغلينس لهم

اما فاليريانس فحنَّ اليهم في بداءة ملكهِ وضايقهم في نهايتهِ . اما غلينس فاطلق لهم الحرية الدينية واعترف بمقام الاساقفة وانزلهم منزلة شرعية في مملكتهِ فعمت الراحة كل المسيحيين مدة اربعين سنة الى اواخر ملك ديوقليتيانس وقد المعنا فيما سلف الى عمل هذا الامبراطور عندما قصد ابادتهم كافةً لانهُ كان شديد التعصب في الدين الوثنيّ ونيقن انهُ اذا استمر المسيحيون على ما كانوا عليهِ من النمو والنجاح استولوا يوماً على المملكة كلها فيقتضي صدهم والوقوف في طريقهم ووافقهُ على هذا الراي ذوو البصيرة من الوثنيين ومما غيظهم عند ما تاملوا في ان هذا المذهب الذي احتقروهُ هم واسلافهم قد غلبهم وغالب مذهبهم القديم الموقر وانهُ سيهدم اركان فلسفتهم التي افتخروا بها ويحط شان شعرائهم القدماء الذين وضعوا العقائد الوثنية وشادوا عليها صروحاً عظيمة من مصنفاتهم وان كل ما يخل بتلك العقائد يخل بشرفهم ايضاً فاجمعوا على ملاشاة المسيحيين وابادتهم

ان امكن

اوامر ديوقليتيانس في شان المسيحيين

١٢. وكان غليريوس ومكسيميانس اشد تعصبًا من رفيقيهما فلما عاد الاول من حرب الفرس ظافرًا منصورًا حث ديوقليتيانس على اثارة الاضطهاد فاصدر امرًا سنة ٣٠٣ ب.م بتخريب الكنائس في سائر انحاء المملكة ودكها دكًا والحكم بالموت على الذين يجتمعون سرًّا للعبادة وبتسليم الاساقفة والشيوخ كتبهم الدينية واحراقها علانيةً وبحجز اوقاف الكنائس وتسليمها لبيت المال وبعدم تقليد اي منصب كان لمن لم يترك المذهب المسيحي وتجريده من كل شرف ان كان حرًّا وبعدم اعتاقهِ ان كان عبدًا. هذا ما امر بهِ اولاً ثم لما حدث شغب في بعض الاماكن من جرى الاضطهاد عاد فزاد على ما سبق انهُ عزم على ابادة اسم المسيحيين عن وجه الارض فامر بالقبض على كل من يعلّم او يخدم الديانة فضاقت بهم السجون وامر القضاة والحكام ان يستخدموا كل واسطة لمنع العامة عن العبادة المسيحية واجبارهم على ممارسة العبادة الوثنية التي هي ديانة المملكة وان كل من يمد نحوهم يد المساعدة أو الحماية يعاقب عقابًا ثقيلاً فضاق المسيحيون ذرعًا واشتدت بهم الحال لكن كان دون انجاز مقاصد الامبراطور فدٌّ بُرُد يمنيَّة لانهُ وُجد قوم متمسكون بالتعليم الصحيح والحق القويم وايمانهم حي حقيقي فثبتوا في كل الاضطهادات والمحن فعجز الامبراطور عنهم وتخلى عن الملك عقيب ذلك كما ذكر وترك اتمام الامر لخلفائهِ من امبراطور وقيصر

تصرف قسطنطيوس

١٣. اما قسطنطيوس فلم يرتضِ باجرائهِ الاَّ على رغمهِ اذ كان ملتزمًا ان يخرب الكنائس مدة بقائهِ في رتبة قيصر امتثالاً لامر الامبراطور لكنهُ خفر المسيحيين بقدر امكانهِ ولما رقي الى رتبة اوغسطس نهى عن اخراب الكنائس في كل سلطنتهِ وحذا ابنهُ قسطنطين

حال المسيحيين في ايطاليا

حذوهُ حتى ان المسيحيين القاطنين في الولايات الغربية نجوا من غضب اعدائهم ايضًا. اما مسيحيو ايطاليا وافريقية فقاسوا عذابًا اليًا مدة جلوس مكسيميانس وسفيرس على سرير الملك ولكن مكسنتيوس اراحهم ورحمهم لانهُ رغب في مساعدتهم في الحرب مع غليريوس الذي كان يبغضهم بغضًا شديدًا وقتل منهم خلقًا كثيرًا في الشرق ولما راى ثباتهم وتمسكهم

تصرف غليريوس في امرهم

بعروة الايمان الوثقى ايقن ان كل ما فعلهُ عبثًا وان ابادتهم ضرب من المحال فتخلى عنهم وامر قبل حلول اجلهِ ان يرخص لهم بالاجتماع للعبادة وممارسة فرائضهم فانقطع الاضطهاد من كل المملكة وكان ذلك آخر العهد بهِ

١٤. اما قسطنطين فزاد على كل من تقدمهُ في حماية المسيحيين ولما قويت شوكتهُ

منشور ميلان ورؤية قسطنطين

في ايطاليا كتب منشورًا اطلق بهِ الحرية الدينية لجميع رعاياهُ على اختلاف قبائلهم والسنتهم بدون استثناء وهو المعروف بمنشور ميلان وكان هذا امرًا عجيبًا وحادثًا غريبًا لم يسبق لهُ مثيل في القرون الغابرة اذ كان مبدأ الاكثرين ولاسيما الحكام وجوب اكراه الناس واجبارهم على التدين بدينهم واستعمال السيف والقوة لاجرائهِ فادخل حرية الضمير في العقائد الدينية ونهى عن اتيان المنكر في العبادة الظاهرة ووافقهُ ليسنيوس على ذلك ايضًا غير ان قسطنطين هو مصدرهُ ومنشئهُ واختلف في انهُ كان مسيحيًا يومئذٍ اذ لم يتحقق زمن تنصرهِ وظن بعضهم انهُ تنصر قبل انتصارهِ على مكسنتيوس ومما يروى انهُ لما كان سائرًا لمحاربتهِ راى عند الضحى في الجو صليبًا لامعًا باهرًا مكتوبًا عليهِ بهذا تنتصر فاندهل قسطنطين جدًّا واخذ يتامل في هذه الرؤية العجيبة ثم راى في الليل يسوع المسيح واقفًا امامهُ ورافعًا الصليب بيدهِ قائلاً لهُ اتخذهُ رايةً في حروبك فتنتصر على اعدائك ففعل وانتصر وصار مسيحيًّا . هذه رواية يوسيبيوس المورخ الديني عن لسان قسطنطين نفسهِ غير انهُ لا يركن اليها كثيرًا والسبب ظاهر مما فعلهُ قسطنطين عقيب ذلك عند افتتاحهِ رومية وتقلدهِ منصب رئيس الكهنة في الديانة الرومانية الوثنية واتمامهِ فرائضها فلو كان مسيحيًّا حقيقيًّا ما أتى مثل ذلك ومما يدل ايضًا على فساد معتقدهِ تاخيرهُ المعمودية الى حين موتهِ . اما رؤية الصليب ففيها ريب لانهُ قيل انهُ ظهر لاعين كل العساكر لكن لم يخبر بهِ الاّ قسطنطين وهذا يخالف العقل ولا يوافق النقل ان الوفًا راوا منظرًا مدهشًا كهذا ولم تتناقلهُ الالسن والظاهر ان قسطنطين بقي مترددًا بين الديانة الوثنية والمسيحية ولم يعتمد على الاخيرة الى اواخر حياتهِ اما منشورهُ المذكور فلا يثبت كونهُ مسيحيًّا لان ليسنيوس الوثني وافقهُ عليهِ وفضلاً عن ذلك لا يميز فيهِ بين الاديان بل ينزّل الجميع منزلة واحدة غير ان اتخاذ قسطنطين الصليب رايةً في حروبهِ لا ريب فيهِ كما يتضح من نقودهِ وغيرها من آثارهِ وسماها (لابارُمًا) ووضع على راسها اكليلاً من الذهب ونقش فوقها الاحرف الاولية من اسم المسيح في اللغة اليونانية

اقامة الديانة المسيحية ديانة المملكة

١٥ . ولما انفرد قسطنطين بالملك بعد هزيمة ليسنيوس جعل الدين المسيحي ديانة المملكة لانهُ لما تغلب على خصمهِ الوثني نسب ذلك الى مساعدة الله اله المسيحيين لهُ فانتقاهُ دون غيرهِ واشعارًا بذلك اصدر منشورًا يذكر فيهِ ما اتاهُ الله على يدهِ من الفوز والغلبة ويدعو الناس جميعًا للخضوع لهُ تعالى والتدين بالدين المسيحي الذي جعلهُ ديانة المملكة

وتتيجة ذلك غير انهُ لم يكره احدًا عليها . ومع ان قسطنطين منح الناس حرية الضمير في امور الدين لم يرضَ الاَّ بالمسيحيين كما يتضح من افعالهِ وتصرفاتهِ فكان يخولهم المراتب السامية والمناصب العالية ويكرم مثواهم ويخصهم بالانعامات دون الوثنيين ففتح ذلك بابًا واسعًا لدخول الناس الى الديانة المسيحية رغبة في الارتقاء وحبًّا للامبراطور فهرعوا افواجًا افواجًا من جميع انحاء المملكة فحصلت على نفع جزيل واثر هذا في احوالها تاثيرًا مهمًّا لان اكثر الذين ارتقوا الى المناصب السياسية والحربية كانوا من افضل الناس سيرة واحسنهم ادبًا واشدهم دراية فاستفادت المملكة من استخدامهم بقدر ما تضررت الكنيسة من فساد الذين انضموا اليها لغايات عالمية اما ارضاء للامبراطور او طمعًا بالحصول على المراتب السامية فان تنصرهم كان رياء وما من داء عضال لافساد المبادئ الدينية اشد من الرياء فيشر الكنيسة التي يدخلها بالتاخر والسقوط كما ان اعظم اسباب تقدم الكنيسة في الاعصر الاولى خلوها منهُ لان الذين انضموا اليها استعدوا لقبول ما وُعدوا بهِ من الاضطهاد والضيق فلم يدخلوها الاَّ عن ايمان حي مخلصين النية ومن اعظم اسباب فساد الكنيسة المسيحية في الاعصر المتوسطة السلطة السياسية الزمنية مع الوسائط الروحية فذلك مكن الاشرار من نوال مآربهم الفاسدة بواسطة التظاهر بالدين والتقوى

هذا ما افضت اليهِ سياسة قسطنطين بجعلهِ الديانة المسيحية ديانة الولاة والحكام وبالحقيقة ان المنافع التي استاثرت بها المملكة في ايامهِ تستحق الالتفات لانهُ كان مشهورًا بكمال الشفقة منفردًا بالاوصاف الحميدة لا يغفل عن صوالح الحكومة واستجلاب رضا الامة وبالاجمال كان من الافراد الذين نالوا المقام الاول في تاريخ الرومانيين وحصلوا على الاعتبار لدى كل من طالع اخبارهم

الفصل الحادي عشر

في تاريخ رومية من موت قسطنطين الاول الى انقسام المملكة وذلك من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٩٥ ب.م

اقتسام المملكة بعد موت قسطنطين

١. ولما توفي قسطنطين كان ابنهُ قسطنطيوس حاضرًا وبعد دفنهِ بالاحتفال اللائق توجه الى القسطنطينية ولم يلبث ان اخذ يقتل ذويهِ فقتل عميهِ وسبعة من اقربائهِ منهم دالماتيوس وهنبا ليانس اللذان كان ابوهُ قد ولاها بعض ولايات المملكة ثم اقتسم بنو قسطنطين الثلاثة وهم قسطنطيوس وقسطنس وقسطنطين المملكة فاستولى الاول على الاطراف الشرقية والثالث على الاطراف الغربية وقسطنس على ايطاليا وافريقية ثم اضطر قسطنطيوس الى محاربة ملك الفرس سابور بن هرمز بن نارسيس الذي غزا النواحي الشرقية وكان شهمًا شجاعًا محبًّا للوقائع والغارات مولعًا بالفتوحات ثم عزم على استرجاع ما كان قد اخذهُ غاليريوس من سلفهِ كما تقدم ولكنهُ خشي قوة قسطنطين الاول وباسهُ فلم يجسر على حربهِ ولما سمع بوفاتهِ طفح السرور على فؤادهِ وجرد جيشًا جرارًا وشرع يغزو املاك خلفهِ فتجهز قسطنطيوس لمقاتلتهِ ولم يستطع الوقوف امامهُ ثم اذ بلغهُ وقوع القلاقل والاضطراب في المملكة ترك الحرب وقفل راجعًا الى الغرب

حرب الفرس

حرب قسطنطين الثاني لاخيهِ وقتله سنة ٣٤٠ ب.م

٢. وكان السبب في ذلك ان قسطنطين لم يقنع بما قسمهُ الله لهُ من الملك فطلب الى قسطنس اخيهِ ان يسلمهُ ملك افريقية ايضًا ولما ابى اشهر عليهِ الحرب ولكنهُ لم يبلغ مرامهُ اذ قتل فاستولى قسطنس على ما كان لهُ سنة ٣٤٠ ب.م. وبعد ان حكم مدة عشر سنين خرج عليهِ بعض خاصتهِ وقوادهِ وقام منهم رجل يسمى مغننتيوس ادعى الملك وقتل قسطنس سنة ٣٥٠ واستولى على مملكتهِ ثم خرج جيش البركون واقاموا قائدهم فيترانيو ملكًا فالت قسطنطينا ابنة قسطنطين الاول اليهِ ولما سمع قسطنطيوس بما جرى عاد من

قتل قسطنس

ملك قسطنطيوس وحدهُ سنة ٣٥٢ ب.م حرب الفرس وسار الى ايطاليا وعزل ڤيترانيو وقاتل مغنتيوس وهزمهُ فانتحر وكانت المعركة شديدة جدًّا فهلك فيها نحو ٥٤٠٠٠ رجل وانفرد قسطنطيوس في الملك سنة ٣٥٣ ب.م. وبعد سنة عشر سنة من وفاة ابيهِ

٣. وكان هذا الامبراطور ضعيف الهمة كلاًّ مدة ملكهِ فتراكمت عليهِ المصائب واحدقت بهِ النوازل وكان له ابنا عم ابقى عليهما رافة وذخرًا في صدر ملكهِ متوقعًا ان يخلفاهُ بعد وفاتهِ فارسلهما الى اثينا لكي يتهذبا في مدارس تلك المدينة الشهيرة وعند عودتهِ من حرب الفرس استدعى احدهما غَلُّس واقطعهُ الاقطار الشرقية من المملكة امر غلس وابقى اخاهُ يوليانس في اثينا . وكان غلس شريرًا سيءَ السيرة فاسرف في ظلم الرعية واذاقهم جهد البلاء وكانت امرأتهُ شقيقة الامبراطور اخبث منهُ نفسًا واضل سبيلاً فكانت تحركهُ على المغارم وانتهاك المحارم فتظلم الناس من شدتهِ الى الامبراطور فبعث اليهِ معتمدًا قصد ملافاة الامر واصلاح الحال بردعهِ فغدر بهِ غَلُّس وقتلهُ ثم جعل يخاتلهُ ويتملق لهُ بصنوف الحيل فدعاهُ اليهِ للمخابرة في مصالح الرعية فلبى دعوتهُ مسرعًا واذ كان في اثناء الطريق وثب عليهِ كمين عينهُ الامبراطور لهُ فقبض عليهِ وقتلهُ سنة ٣٥٤ ب.م

ملك يوليانس في غاليا سنة ٣٥٥ ب.م ٤. وكان يوليانس اخوهُ في اثينا منصبًّا على درس فلسفة القدماء فاولع بها واعتقد عقائدهم ورفض الديانة المسيحية التي نشأ عليها ودان بالوثنية عوضًا عنها الاَّ انهُ اخفى امرهُ خوفًا من الامبراطور وفي سنة ٣٥٥ ب. م. بعد ما قتل غلس استدعاهُ الامبراطور واكرمهُ اذ رضيت عنهُ الامبراطورة يوسيبيا فاقطعهُ غاليا والنواحي الغربية ورقاهُ الى مقام القيصرية وزوجهُ اختهُ هيلانة وكان يوليانس غير طامع بالملك فاقبل عليهِ كرهًا اذ كان طلبُ الفلسفة احب اليهِ منهُ ولما بدا امور الحرب بعيد جلوسهِ أعيتهُ معاناة شؤونها فصرخ قائلاً يا افلاطون يا افلاطون ان هذا ليس بدأب فيلسوف. على انهُ كان حاذقًا مجتهدًا مجيدًا في جميع امورهِ فهزم البرابرة الذين هاجموا غاليا ودحرهم فصانها من الاعداء وطيب قلوب العسكر فانعقدت قلوبهم على محبتهِ وطاعتهِ

حروب البرابرة والفرس ٥. اما قسطنطيوس فكان منهمكًا بحروبهِ في الشرق فقاتل البرابرة الذين عبروا الدانيوب واثخنوا في ميسيا ففل جمعهم وطردهم ثم دعتهُ الضرورة ان يسير الى الشرق لمحاربة سابور فانهُ كان قد عدا على املاكهِ وافتتح بعض حصونهِ فلم ينجح كثيرًا في هذه الحروب

ولما سمع بفتوحات يوليانس في الغرب واحتفاء عامة الناس بهِ التظى غيظًا وحسدًا واوجس منهُ سوءًا فعمد الى اذلالهِ وخضد شوكتهِ فبعث اليهِ يامرهُ ان يوجه اليهِ نخبة جنودهِ لمحاربة الفرس فاطاع يوليانس اولاً وامرهم بالمسير فابوا ذلك ورفضوا ولاية قسطنطيوس عليهم ونادوا بملك يوليانس والحوا عليهِ بان يخرج على الامبراطور وينبذ طاعتهُ فلم يرضَ يوليانوس بذلك بدون عرض الامر للامبراطور لعلهُ يرتضي بما طلبوهُ . فلما علم قسطنطيوس بما كان غضب وامر بوجوب ارسال النجدة اليهِ عاجلاً متهددًا اياهُ بالعقوبة ان لم يمتثل امرهُ حالاً فايقن يوليانس انهُ قد اضمر لهُ الشر ولا مندوحة لهُ من الحرب فعزم على المسير لمقاتلتهِ غير انهُ لم يجهر بامرهِ بل اسرَّ قصدهُ وبعث جنودهُ شطرين الى الشرق وامرهم ان يجتمعوا في مدينة سرميوم في بنونيا اما هو فسار في نحو ثلاثة الاف مقاتل في اطراف جرمانيا الجنوبية بين غاباتها وادغالها الكثيفة معتسفًا مسالكها ومجاهلها لا يشعر بهِ احدٌ ولم يزل سائرًا يقطع الانهر ويعلو الجبال الى ان وصل الى الدانيوب في نواحي فينا ثم ركب سفينة وسار بها على النهر الى قرب سرميوم حيث اجتمع بجنودهِ المذكورة ثم اسرع في سيرهِ الى غاليا وادرك غايتهُ قبل ان شعر بهِ احد وقبل ان شاع خبر رحلتهِ

اما قسطنطيوس فلما بلغهُ ما كان من امرهِ حيي غيظهُ وسار بجيشهِ لمنازلتهِ . وقال اني ذاهب في طلب الصيد والقنص يعني بذلك ان يوليانس سيقع فريسة لهُ لامحالة . وكان يوليانس يومئذٍ بانطاكية شاتيًا فمرض في اثناء الطريق وكانت منيتهُ قرب طرسوس سنة ٣٦١ ب.م. ختام الرابعة والعشرين من ملكهِ

امر يوليانس

٦. ثم تبوأ يوليانس سرير المملكة واطاعتهُ الرعية واحتفلت لهُ احتفالاً فاخرًا عند دخولهِ القسطنطينية وكان حاذقًا عادلاً خبيرًا في امور السياسة غير انهُ وثني كما تقدم فلما تثبت ملكهُ اظهر ما كان يخفيهِ قبلاً وشرع في إعادة الديانة الوثنية الى رونقها السابق لظنهِ امكان ذلك مع انهُ ضرب من المحال لان الديانة المسيحية كانت قد انغرست وتاصلت في قلوب الناس فصار قلعها من المستحيلات ولو بلغ يوليانس مرامهُ لاضر المملكة ضررًا عظيمًا كما لا يخفى ومما يجب الالتفات اليهِ انهُ لم يستعمل القساوة في دعوتهِ الناس الى الديانة الوثنية لانهُ كان فيلسوفًا عاقلاً وعلم ان استعمال القوة لا يفيد في امور الضمير وتحقق من تاريخ اسلافهِ ان الاضطهاد لم يزد المسيحيين الاَّ ثباتًا فاعرض عنهُ وركن الى الوسائط الادبية

ملك يوليانس ومساعيهِ في تغيير الديانة

والادلة العلمية فكتب عدة رسائل دينية فلسفية بيّن فيها فضل الديانة الوثنية واوهام الديانة المسيحية وعزل المسيحيين من المراتب السياسية ورقى الوثنيين اليها واظهر انهُ لا ينيل المناصب السامية سوى الوثنيين فنتج من ذلك ان الذين كانوا قد تنصروا سابقًا لغايات فاسدة رجعوا من فورهم فلم يضر هذا الامر بالكنيسة بل سبب لها خيرًا عظيمًا اذ تنقت من الرياء

امر هيكل اورشليم

٧. ولم يقتصر يوليانس على ذلك فشرع في ترميم هياكل الوثنيين واحياء عبادتهم واقامة الاحتفالات الباهرة والمواكب الدينية الفاخرة واكثار الذبائح وزد على ذلك انهُ اخذ يبني هيكل اليهود في اورشليم واجتهد في اعادة الطقوس اليهودية لكي يكذب قول المسيحيين ان خراب اورشليم واندثار هيكلها وتشتيت اليهود تتميم لكلام المسيح عليهم

ولم يدرك يوليانس ان نبوات المسيح قد تمت تمامًا عجيبًا فيما سبق . ومما يروى عن أميانس مارسلينس المورخ الوثني الذي عاش في ذلك العصر انهُ حدث امر عجيب في ترميم اورشليم . قال ان الفعلة امتنعوا عن العمل اذ انفجرت النيران من الارض واكلت بعضهم.اهـ. هذا ما رواهُ والعهدة عليهِ لانهُ لم يشاهد هذه المعجزة بنفسهِ غير انهُ ثبت ان غاية يوليانس لم تتم ولعل ذلك نتج من قصر مدة ملكهِ فانهُ لم يدم الاَّ نحو سنتين

حرب الفرس وموت يوليانس سنة ٣٦٣ ب.م

٨. وفي سنة ٣٦٣ ب.م. قصد يوليانس اخضاع الفرس فسار الى غزوهم وقسم جنودهُ الى قسمين ارسل احدهما وهو ٣٠٠٠٠ مقاتل الى ثغور ارمينية وامرهم ان ينضموا الى جيش تلك البلاد ويسيروا من هناك جنوبًا على جانب الدجلة الى قطيسفون . اما هو فسار بمن معهُ على طريق الفرات والنهر الملكي الى تلك المدينة ولما وصل اليها لم يرَ احدًا من الفرقة التي امر ان توافيهُ الى هناك فتعسَّر عليهِ افتتاحها اذ وجد جنودهُ عاجزة والمدينة في غاية الحصانة لكنهُ اقتحم امرًا خطرًا لانهُ احرق سفنهُ واخذ زاد عشرين يومًا وشرع يسير في ارض العدو متمثلاً باسكندر الكبير غير انهُ لم ينل حظ اسكندر اذ اخلى العدو البلاد من اماميهِ واحرق كل ما لم يقدر على حملهِ من القوت. اما الرومانيون فنفد قوتهم ورجعوا القهقرى الى الدجلة فقاتلهم الفرس وانكبوا عليهم كالجراد واوقعوا بهم ليلاً ونهارًا فاعدموهم الراحة وضايقوهم كل المضايقة حتى كلَّ الرومانيون من الحر والعطش والجوع ومع ذلك دفعوا الاعداء وحاربوهم ببسالة ونشاط واظهر يوليانس

في تلك المعارك قوة واقتدارًا وسطا على الاعداء سطوة جبار وما زال يقاتل في مقدمة جيشهِ ويحرضهم على الثبات الى ان اصيب بسهمٍ فغشي عليهِ ووقع عن فرسهِ وكان جرحهُ مميتًا فهلك في نفس تلك الليلة وهو يخاطب قوادهُ واتباعهُ خطبة نفيسة فلسفية مقتديًا بسقراط عند احتضارهِ وكان ذلك سنة ٣٦٣ ب.م

ملك يوفيانس سنة ٣٦٣–٣٦٤ ب.م

٩. وبعد وفاة يوليانس اجتمع القواد وانتخبوا كلوديوس يوفيانس امبراطورًا فقاد الجيش الى دجلة والفرس لا ينفكون عن اتباعهِ ومضايقتهِ ومع انهم لم يقدروا عليهِ اهلكوا كثيرًا من الرومانيين ولما رأى سابور انهم سيفلتون من يدهِ عرض عليهم الصلح تحت شروط ثقيلة وهي ان الرومانيين يتركون كل املاكهم شرقي دجلة ومملكة ارمينية وبعض حصون منها حصن نيسبس (نيصابة) فاجابوهُ الى ذلك اذ كانوا قد ملوا من الحروب ثم ساروا بدون معارضة من الفرس الى سورية وقاسوا مشقات عظيمة. اما يوفيانس فلم يملك الاسبعة اشهر ارجع فيها الديانة المسيحية الى رونقها الاول مراعيًا الحرية الدينية فلم يثر اضطهادًا على الوثنيين فسقط دينهم بلا مقاومة ولم يبقَ لهُ اثر ولا قوة في قلوب الناس

ملك فلنتنيانس وفالنس سنة ٣٦٤–٣٧٥ ب.م

١٠. وبعد وفاة يوفيانوس بقيت المملكة عشرة ايام بلا امبراطور فاجتمع القواد وذوو المراتب العالية في نيسيا وانتخبوا فَلَنْتِنيانس المسيحي وكان قائدًا شجاعًا ارتقى من عامة الناس الى العرش الامبراطوري لمجرد فضائلهِ واقتدارهِ وكان يوليانس مغتاظًا منهُ لانهُ رفض طلبهُ لما دعاهُ الى الوثنية . ولم يعزلهُ من منصبهِ نظرًا لحذاقتهِ وبسالتهِ غير انهُ كان شرس الاخلاق عاتيًا صارمًا شديد العقاب للمجرمين قيل انهُ اكثر فيهم صنوف القتل فجلد بعضًا وضرب اعناق بعض واحرق البعض احياء الى غير ذلك فوقع الرعب في قلوب الناس وخافتهُ الرعية ولما انتخب الى مقام الامبراطورية حملهُ القواد على ان يشرك فالنس اخاهُ في الملك فاقطعهُ الجوانب الشرقية من المملكة واعطاهُ القسطنطينية مركزًا اما هو فتولى الجوانب الغربية متخذًا ميلان قاعدة ملكهِ غير انهُ كان يقيم احيانًا في تريفس من ولاية غاليا وحارب البرابرة الذين هاجموا الاطراف الشمالية كالپِكْت والسكوت في بريطانيا والسكسونيين والفرنكيين والالمانيين في غاليا والكويديين في نواحي الدانيوب وهزم الالمانيين شر هزيمة وطاردهم الى عبر الرين وبنى على ذلك النهر حصونًا عديدة لكي يمنع غاراتهم المتواصلة وفوض امر برابرة بريطانيا الى ثيودوسيوس القائد الشهير فاخضعهم سريعًا

وفي سنة ٢٧٥ب . م . سار لمحاربة الكوديين الذين غزوا نواحي بنونيا ودوخوها وغنموا منها غنائم وافرة فهزمهم وطاردهم الى عبر الدانيوب واثخن في بلادهم ثم عاد ظافرًا منصورًا ولم يفقد احدًا من جنوده في تلك الحملة على ما قيل . وفي سنة ٣٧٤ب.م.سار احد قواده الى افريقية لمحاربة قائد يسمى فرمس خرج عن طاعته فاخضعهُ واخمد الفتن في نوميديا وموريتانيا ايضًا فافلح فالنتينيانس كل ايام ملكهِ ومات سنة ٢٧٥ ب . م . بعد ان اشرك ابنهُ غراتيانس في الملك سنة ٣٦٧ب . م

ملك فالنس سنة ٣٦٤—٣٧١ب.م ١١. اما فالنس اخوهُ فكان جبانًا ذليلاً سريع الانقياد جافي الطباع ظالمًا فلم يطل امرهُ حتى هيج على نفسهِ خيانة خطيرة سببها انهُ امر بقتل بروقوبيوس القائد الشهير بلا ذنب سوى انهُ كان من ذوي قربي بوليانس فبعث اليهِ السعاة ليقتلوهُ فنجا وهرب الى القرم وبقي مدة متنكرًا ثم رجع الى القسطنطينية بغتة في غياب فالنس وثار ثورة عظيمة فانتدب اليهِ الناس افواجًا وتزايد عدد جنده ولما قاتل فالنس هزمهُ فخاف فالنس على نفسهِ وعمد الى المصالحة لكن منعهُ قوادهُ الذين بذلوا جهدهم في ان غلبوا الخائن وقتلوهُ . ثم عاد لمحاربة الفيسغوث وهم قبيلة من القوثيين لانهم عاهدوا بروقوبيوس المذكور واذ لم يقدر فالنس على غلبتهم صالحهم سنة ٣٦٧ ب . م . وفق ما ارادوا وحارب سابور ملك الفرس ايضًا وكانت النتيجة غير مرضية ثم سطا على المملكة قوم اخرون من البرابرة لم يؤتَ بخبرهم فيما سبق وهم الهونيون الذين صارت لهم اليد الطولى في خراب مملكة الرومانيين كما سترى

امر الهونيين ١٢. تأكد سقوط المملكة الرومانية كما قال غبون المورخ الشهير من زمان فالنس لان البرابرة الذين ظهروا وتفتذي من الشمال الشرقي افواجًا لم يزالوا يعيثون في المملكة حتى اخربوها والظاهر ان الهونيين كانوا من السكيثيين كما دعاهم القدماء وقد ورد ذكرهم كثيرًا في هذا التاريخ ويظن ان من نسلهم التتر والمغول الذين اشتهروا ايام جنكيزخان وانتشر هذا الجيل في جوانب اسيا الشمالية وكثيرًا ما سطا بعض فروعهِ على ممالك اسيا واوربا وكانوا يمتازون قديمًا بالباس وشراسة الاخلاق وحب الفتوحات وهم من اشد الناس ميلاً الى الخراب فداسوا اكثر الديار ودوخوا غالب الاقطار واشبهوا بفعالهم النار الآكلة التي لا تبقي ولا تذر فدُهش منهم الناس وتحيروا في امرهم ووقعت هيبتهم في قلوب الجميع حتى عمد اهل الصين الى بناء ذلك السور العظيم الشهير

لكي يمنعوا هجماتهم عن الاطراف الشمالية فلم يغنِ ذلك شيئًا اذ تغروهُ ودخلوا البلاد واخربوا وافسدوا في مملكة الصين التي تمكنت اخيرًا من طردهم فاداروا رحى الحرب على جهة الغرب وقصدوا اوربا في زمان ڤالنس الذي نحن في صددهِ وبداوا بالغوثيين الساكنين شمالي الدانوب تجاه مملكة الرومانيين واشتد القتال بين الفريقين وكثر الغوثيون وانتشروا في الجوانب الشمالية حتى بلغوا بحر بلتيك ولم يكن لهم طاقة في نزال الهونيين فتضايقوا وتحيروا وارتعدوا اذ راوا كثرة عدد الاعداء وتزايد مددهم وان لا شيء يثبت امامهم اذ اصبحت ديارهم خرابًا ومساكنهم ردمًا وبلادهم قفرًا وايقنوا ان لا سبيل لهم الا الهرب فاجفلوا واستجاروا بعدوهم السابق ڤالنس متوسلين اليهِ ان يرخص لهم بعبور الدانوب والسكنى في اطراف مملكتهِ لكي ينجوا من عدوهم الجديد فقبلهم ڤالنس على شرط انهم يسلمون لهُ اسلحتهم ويعطونهُ اولادهم رهائن فاجابوهُ الى ذلك فاسكنهم ثراكية وامر باعالتهم الى ان يكونوا قد زرعوا لانفسهم وحصدوا ما يقتاتون بهِ وكانوا نحو الف الف نفس . اما وكلاء ڤالنس فلم يجمعوا اسلحة الغوثيين اذ رغبوا في الرشوة وطمعوا في المؤْنة المعينة لهم ايضًا فقدموا لهم شر الماكولات من لحوم نجسة او منتنة عوضًا عن الماكولات الجيدة وكانوا يبيعونها المساكين بثمن غالٍ فهاج الغوثيون وقاموا على ظالميهم وقهروهم ونهبوا ثراكية فحشد ڤالنس جنودهُ وقاتلهم في ظواهر ادرنه وانهزم شر هزيمة لان قتال الرومانيين كان في هذه الوقعة اشبه بقتال كني في حرب هنبال وهلك الامبراطور ولم يوقف لهُ على اثر قيل انهُ احترق في بيت لجأ اليهِ وكان ذلك سنة ٣٧٨ ب.م . اما الغوثيون فلم يتمكنوا من افتتاح ادرنه فتركوها وقدموا على القسطنطينية واذ لم يقدروا عليها ايضًا امسكوا عنها وتفرقوا في البلاد غير مبالين بجنود المملكة

مجي الغوثيين الى المملكة وفتنتهم

١٣ . تقدم الكلام ان غراتيانس شارك اباهُ في الملك سنة ٣٦٧ وبعد موت ابيهِ شارك اخاهُ ڤلنتنيانس الثاني في ملكهِ وكان غراتيانس رقيق الجانب لين العريكة ضعيف العزم سريع الانقياد وافلح في امورهِ واحسن السيرة في اوائل ملكهِ عند ما كان يسمع نصح معلميهِ الصالحين . وفي سنة ٣٧٨ ب.م. طرد الالمانيين الذين هاجموا غاليا ولما بلغهُ موت عمهِ ونكبة المملكة الشرقية بعث ثيودوسيوس بعد ان رقاهُ الى رتبة اوغسطس ليتولى امرها وكان رجلًا حاذقًا حازمًا فنظم امور الشرق سنة ٣٧٩ ب.م. واخذ يهذب عسكرهُ

ملك غراتيانس في الغرب سنة ٣٦٧—٣٨٣ ب.م

تولي ثيودوسيوس ملك الشرق سنة ٣٧٩ ب.م

وبرّبهم في فنون القتال لانهم كانوا قد فشلوا في محاربة الغوثيين ولم يباشر الحرب حالاً بل اعتصم في الحصون وكان يخرج لنزالهم حين سنوح الفرصة ويضرب منهم فرقة بعد اخرى ثم يرجع الى حصونهِ فتشدد عسكرهُ ولم يعودوا يرتعدون من هذا العدو وتفرق الغوثيون بعد ذلك لمشاجرة وقعت بينهم واستضعفوا فطلبوا اليهِ الامان وانتظموا في سلك طاعتهِ فاستراحت المملكة من شرهم وكان ذلك سنة ٣٨٢ ب.م. ثم اتى قوم اخرون منهم من عبر الدانيوب سنة ٣٨٦ ب.م.وغزوا اطراف البلاد فقتلهم وغلبهم ونقل الاسرى منهم الى اسيا الصغرى بعد ان ضم نحو اربعين الفًا من اشدهم باسًا الى جيشهِ

نهاية امر غراتيانس سنة ٣٨٣ ب.م

١٤. اما غراتيانس فساءت سيرتهُ وفسدت سريرتهُ لانهُ انقاد الى رياء المداسين وسلم ازمة السياسة الى خاصتهِ الاشرار المفسدين وتفرغ للصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص فضجر الناس منهُ واحتقروهُ واشتعلت نيران الفتن في املاكهِ وخرج عليهِ مكسمس قائد جنود بريطانيا وعبر البحر الى غاليا فقصد غراتيانس اخضاعهُ فابى عسكرهُ القتال فهرب الى ليون حيث لحقوا بهِ وقتلوهُ سنة ٣٨٣ ب.م.

ملك فالنتنيانس الثاني سنة ٣٨٣—٣٩٢ ب.م

١٥. اما ثيودوسيوس فاعترف بسيادة مكسمس على غاليا بشرط ان لا يعتدي على ڤلنتنيانس الثاني والي ايطاليا وافريقية غير ان مكسمس طمع فيهما وزحف الى ايطاليا سنة ٣٨٧ ب.م.وطرد ڤلنتنيانس فاستجار بثيودوسيوس فخفرهُ وتزوج اختهُ ثم سار لمحاربة مكسمس فهزمهُ واقام صهرهُ على تخت مملكتهِ سنة ٣٨٨ ب.م.

وكان ثيودوسيوس صاحب السياسة الحقيقي في كل المملكة واقام مدة في ميلان يسوي امور الغرب ثم ذهب الى رومية ودخلها باحتفال ورتب امورها سنة ٣٨٩ ب.م. ثم عاد الى ميلان واقام بها ايضًا ثم سار الى الشرق.اما ڤلنتنيانس فكان ضعيف العزم نظير اخيهِ فتسلط عليهِ خاصتهُ وسطا عليهِ رجل من جنس الفرنكيين يسمى ارْغُباسْتيس فعظم الامبراطور منهُ واراد عزلهُ وابعادهُ فقام على سيدهِ وقتلهُ سنة ٣٩٢ ب.م

ملك يوجينيوس سنة ٣٩٢—٣٩٤ ب.م

١٦. وبعدما قتل ارغباستيس سيدهُ اقام يوجينيوس مكانهُ اذ لم يجترىء ان يأخذ المقام لنفسهِ . فلم يسمح ثيودوسيوس بذلك بل احتدم غيظًا ولا سيما لما حرضتهُ امرأتهُ غلاَّ اخت القتيل ان ياخذ بثارها فحشد جيشًا جرارًا وسار بهِ لمقاتلة الخائن فنازلهُ عند مدينة اكْوِليَّا حيث قتل يوجينيوس ونجا ارغباستيس غير انهُ قتل عقيب ذلك سنة ٣٩٤ب.م

١٧. وبعد هذا انفرد ثيودوسيوس في الملك واستبد بهِ نحو سنة وهو اخر من ساد

على مملكة الرومانيين كلها اذ انقسمت بعد موتهِ ولم تعد تتحد ايضًا وكان سلطانهُ عظيمًا ولقب بالكبير وقد ذكرنا كيف تمكن من اخضاع الغوثيين بحسن تدبيرهِ وضبطهم كل مدة ملكهِ فكانت سياستهُ مستقيمة ثابتة غير انهُ تعرض لامور الدين واجبر الناس على اتباع معتقدهِ ونهى عن العبادة الوثنية وخرَّب هياكلها واستولى على اوقافها وعاقب من خالفهُ بالموت واضطهد المسيحيين الذين حسبهم هراطقة وكانت البدعة الاريوسية قد ظهرت في الكنيسة ايام قسطنطين الاول فجمع الاساقفة في مجمع نيسيا سنة ٣٢٥ حيث حرمت هذه البدعة فلم يوثر فيها هذا الحرم بل امتدت ونمت حتى اضطر ثيودوسيوس الى ازالتها وجمع مجمعًا اخر في القسطنطينية سنة ٣٨١ فحكم على الاريوسيين ايضًا واجبرهم الامبراطور على ترك كنائسهم واوقافها وسلمها الى بقية المسيحيين وعزل منهم ذوي الرتب الدينية ونهاهم عن الوعظ وعاملهم بالقساوة وابدى من سوء الخلق في غير هذه الامور ما شان صيتهُ كذبحهِ قومًا من اهل تسالونيكي لان بعضًا منهم قاموا على بعض مستخدميهِ في المدينة وقتلوهُ فلما سمع ثيودوسيوس بهذا الامر غضب واضمر لهم النقمة الشديدة وكان حينئذٍ في ميلان سنة ٣٩٠ ب م. فامر عسكرهُ في تسالونيكي بان يقتلوا جانبًا من اهلها عقابًا لما فعلوهُ وذلك بدون التفات الى المجرمين او غيرهم فدُعي الناس باسم الامبراطور الى الملعب العام وهم غير عالمين بشيءٍ فلما اجتمعوا احاط بهم العساكر من كل جانب وذبحوهم وكان المذبوحون خلقًا كثيرًا قيل انهم سبعة الاف وقيل خمسة عشر الفًا. اما الامبراطور فلم ينجُ من العقاب اذ لقي من ادبهُ على سوء فعلهِ الفظيع وهو امبروسيوس اسقف ميلان الطائر الصيت لقداستهِ وانصبابهِ على اتمام الواجبات وعدم محاباتهِ بالوجوه وشدة مقاومتهِ البدعة الحائز اعتبار الجميع والامبراطور نفسهِ فلما بلغ امبروسيوس خبر المقتلة اقشعر من ذلك واغتاظ كثيرًا وعزم على تاديبهِ فكتب لهُ كتابًا يوبخهُ فيهِ توبيخًا شديدًا فندم ثيودوسيوس على ما فرط منهُ وتاب اليهِ تعالى وذهب الى الكنيسة لتقديم العبادة وطلب المغفرة فواجههُ امبروسيوس عند الباب ونهاهُ عن الدخول او بتمم المفروض عليهِ من اعمال وفائية جهارًا امام كل الناس. فقال الامبراطور اني ارتكبت ذنبًا وقتلت وداود محبوب الله ارتكب القتل والزنا معًا. فاجابهُ امبروسيوس انك تمثلت بداود ذنبًا فتمثل بهِ توبةً فقبل بذلك واتضع وبقي ثمانية اشهر لم ينل الحل وغفران الكنيسة ثم عاد وقبلهُ اخيرًا

اقتدار ثيودوسيوس الكبير

تعرضهُ لامور الدين

مقتلة التسالونيكيين

وفاة ثيودوسيوس سنة ٣٩٥ ب.م

١٨. وبعد ان تمكن ثيودوسيوس من ضم كل اطراف المملكة تحت سلطنتهِ سنة ٣٩٤ب.م. كما تقدم راى ان هذه السلطنة المتسعة لا يقدر ان يحسن ادارتها امبراطور واحد فعمد الى قسمتها بين ابنيهِ هنوريوس واركاديوس قبل موتهِ فاقام الاول على الاقاليم الغربية بعد غلبة يوجينيوس ورأس الثاني على الاقاليم الشرقية لما شعر بقرب الوفاة وتوفي ثيودوسيوس في ميلان في ١٧ ك٢ سنة ٣٩٥ ب.م. في سن الخمسين بعد ان ملك ١٦ سنة

الفصل الثاني عشر

في المملكة الغربية منذ انفصالها عن الشرقية الى نهايتها وذلك من سنة ٣٩٥ ب م. الى سنة ٤٧٦ ب م.

١. ان بعد انفصال الجانب الغربي عن الجانب الشرقي من مملكة الرومانيين لم يعد يتحد الجانبان في مملكة واحدة وسُمي الجانب الشرقي المملكة الشرقية او مملكة الروم وكانت قاعدتها القسطنطينية واستمرت نحو الف سنة بعد انفصال الغربية عنها وحوادثها تتعلق بالتاريخ الحديث وقصدنا في هذا الكتاب التاريخ القديم فنضرب عنها صفحًا (مملكتا الشرق والغرب)

اما المملكة الغربية وهي املاك رومية غربي بحر ادريا فبقيت ٨١ سنة بعد موت ثيودوسيوس الكبير وتاريخها من مباحث هذا الكتاب فنذكره في هذا الفصل

٢. تقدم الكلام ان هنوريوس تولى ملك الغرب وهو ابن احدى عشرة سنة فقط فاعتنى بامور السياسة وزيرهُ استليخو ودبر مهامها بكل حذاقة وحكمة. اما روفينس وزير اركاديوس فكان شريرًا عاتيًا حرّض سيدهُ على التعدي على املاك اخيهِ فنشأت العداوة بين الاخوين واستحكمت الوحشة بين الوزيرين (وقوع الوحشة بين المملكتين)

٣. ورأس اركاديوس على جنود اليركون القائد الآرك الغوتي ورخص له بالغزو في املاك اخيهِ على ما ظن البعض لكي يمتنع عن غزوة الشرق وكان الارك شديد الباس مولعًا بالحرب والغزو والنهب ليس له نظير بين قواد الغوتيين فضايق رومية كثيرًا كما سترى وباشر الهجوم على ايطاليا سنة ٤٠٢ ب م. حين غزا الاطراف الشمالية منها بغتة فلم يكن استليخو متهيئًا لمقاومتهِ فاعتصم هنوريوس بحصن رافنّا على بحر ادريا ولحق استليخو بغاليا يجمع الجنود ثم عاد الى ايطاليا وحارب الآرك وهزمهُ واكثر القتل في عسكره اما (ظهور الارك)

الارك فنجا بفرقة من فرسانهِ وجد السير الى رومية لعلهُ يفاجئها ويفتحها عنوة فتبعهُ استلخو رضايقهُ فطلب الارك الصلح فصالحهُ استلخو لما راى من شدة باسهِ في ميدان القتال وانقذ البلاد من شرهِ سنة ٤٠٣ ب م

اقامة هنوريوس براڤنا

٤. اما هنوريوس فذهب الى رومية ودخلها باحتفال كانهُ انقذها من الخراب لكنهُ لم يجترئ ان يقيم بها فذهب الى راڤنا التي كانت على غاية من التحصين لوقوعها على شاطئ البحر من جهة ويحيط بها من جهة البر مستنقعات يتعذر على العدو قطعها وصارت هذه المدينة مركزًا لملوك المغرب

هجوم الفندال وغيرهم سنة ٤٠٥ ب م

٥ وفي سنة ٤٠٥ اتى ايطاليا قوم من برابرة الفندال وغيرهم وفي مقدمتهم قائد يسمى رادِغَسْت فدخلوا البلاد وعبروا البو وعلوا الابنين ونازلوا مدينة فلورَنسا في اتروريا وضايقوها شديدًا فجمع استلخو جنودهُ وسار اليهم وقتل قائدهم غيران قومًا منهم نجوا واتوا غاليا وغزوها وقتلوا ونهبوا واسروا اشراف البلاد والاساقفة والنساء واستاقوهم حيثما توجهوا في غزواتهم وانتهوا اخيرًا الى اسپانيا ودوَّخوها وسكن بعضهم فيها ثم عبر بعضهم ايضًا الى مورِتانيا وسكنوها

قتل استلخو

٦. اما الارك فضجر من اركاديوس ورفض خدمتهُ وعاهد استلخو بشرط ان يبقى مستوليًا على الِّيركون وكان يشتهي غزوة ايطاليا ايضًا وبذل استلخو جهدهُ ليصدهُ عنها ودفع اليهِ ما يساوي مئة وثلاث واربعين الف من الذهب لكي لا ينقض عهدهُ فامتنع عن غزوة رومية الى موت استلخو الذي قتلهُ هنوريوس ظلمًا اذ وشى عليهِ احد خاصتهِ وافسد فامر بقتلهِ وقتل رفقائهِ القواد واصحاب المناصب والرتب وكانوا اركان المملكة لان استلخو عيَّن ذوي الاهلية فقط فلما هلكوا لم يكن عندهُ من يسدُّ مسدَّهم ويردع الارك عن قصدهِ ففتحوا لهُ بسوء تصرفهم بابًا لغزوة ايطاليا ثانيةً

غزوة الارك الثانية سنة ٤٠٨ ب م

٧. وكان سبب ذلك ان جيش المملكة كان مؤلفًا وقتئذٍ من اولاد الوطن والبرابرة الذين احضروا نساءهم واولادهم واسكنوهم في ايطاليا فكان ذلك بمنزلة رابط يجلهم على الامانة والخضوع لهنوريوس اما خاصتهُ فسلكوا كالمجانين بعد هلاك استلخو اذ قتلوا النساء والاولاد فاستشاط البرابرة غيظًا وعمدوا الى اخذ الثار فحرضوا الارك ان يسير حالاً لغزوة رومية ففعل وقدم عليها سنة ٤٠٨ ب م وارسل الامبراطور يعرض عليهِ الصلح وحفظ العهد الذي عندهُ استلخو معهُ فحسب هذا مشيرو هنوريوس علامة خوف او

جبانة من ألارك فرفضوا طلبهُ فلما علم بذلك جدَّ السير الى رومية ناهبًا ومتلفًا في طريقهِ كل ما طالتهُ يدهُ ثم نازل رومية وضايق اهلها بالجوع فطلبوا منهُ الامان فوعدهم بشرط ان يعطوهُ كل ما يملكون من الذهب والفضة والجواهر الثمينة والحجارة الكريمة اي كل ما خفَّ حملهُ وغلا ثمنهُ وجميع العبيد الذين من جنس البرابرة . فقال لهُ المعتمدون الذين اتوا لمخاطبتهِ وماذا تترك لنا ايها الملك . فقال حياتكم . فعادوا الى اصحابهم مرتجفين بعد ان تقرر الاتفاق اخيرًا انهُ يكف عنهم اذا دفعوا لهُ ما يعدل مئة وثمانين اقة من الذهب والفًا وخمسًا وثمانين اقة من الفضة ما عدا الجواهر والثياب النفيسة ولما قبضها كف عن رومية وتوجه الى الشمال

٨ ثم عاد الارك وخاطب الامبراطور ثانيةً في شان الصلح فابى ايضًا اذ حرضهُ خاصتهُ على ذلك فحمي غضب الارك وادار رحى الحرب على رومية مرةً اخرى وافتتح اوستيا فرضتها وقطع عنها ورود الحبوب ثم امرها بالتسليم بدون شروط فلما رأت ان لا سبيل لها سواهُ سلمت فملكها الارك واقام عليها أتّلس امبراطورًا فانجز كل ما امرهُ بهِ وعينهُ قائد جنود المملكة. اما الارك فسئم سلوكهُ سريعًا وعزلهُ سنة ٤٠٩ ب.م

هجوم الارك على رومية ثانية وافتتاحها سنة ٤٠٩ ب.م

وفي السنة التالية طلب الاتفاق مع هنوريوس وانهُ يقرُّ بملكهِ ان ابقاهُ هنوريوس في مقامهِ فرضي هنوريوس بذلك الا ان خاصتهُ لم يقبلوا وحملوهُ على رفض اقتراح الارك فتجهز حالاً على رومية المرة الثالثة مصممًا النقمة الشديدة منها فلما نما الخبر الى رومية ايقن اهلها في الهلاك اذ علموا ان لا رجاء لهم من مساعدة الامبراطور ولا امل برحمة الارك فاستعدوا للمقاومة الا ان عبيدهم خانوهم اثناء الحصار وفتحوا الابواب لاخوتهم البرابرة فاستولى الارك وقومهُ على تلك المدينة الشهيرة الغنية التي سادت العالم وجمعت ثروتهُ وكنوزهُ فوطأتها ارجل البرابرة الذين كانت تحتقرهم فداسوها ونهبوها واكثروا القتل في سكانها فامتلأت المدينة جثثًا ومما زاد هذه التهلكة هولاً وجود اربعين الف عبد في رومية قاموا على مواليهم مبتغين اخذ ثارهم لما قاسوهُ سابقًا من الظلم والجور فابتهجوا في اهراق دماء مواليهم وما زال البرابرة يخربون ويقتلون وينهبون ستة ايام متوالية ثم ذهبوا بكل ما خفَّ حملهُ وغلا ثمنهُ وتوجهوا الى الجنوب حيث تنعموا بوفرة غنى تلك البلاد المخصبة التي لم تدسها اقدام العدو منذ قرون عديدة وحدث ذلك سنة ٤١٠ ب.م

الهجوم الثالث ونهب المدينة سنة ٤١٠ ب.م

موت الارك

٩. اما الارك فسار الى غزوة سيسيليا ومات في اثناء ذلك ودفنهُ اتباعهُ في مجرى نهر لكي لا يعلم العدو قبرهُ وقتلوا العبيد الذين حفروهُ لئلا يخبروا بموقعهِ وقيل انهم دفنوا معهُ كنوزًا كثيرة. وقام بعدهُ صهرهُ أَدَلْفُس الذي اتفق مع هنوريوس على انهُ يكون قائد جنود المملكة فاعطاهُ هنوريوس اختهُ پلاسِدِا زوجةً

امر ادلفس

وفي سنة ٤١٣ ب. م. توجه أَدلفس الى غاليا لاخماد بعض الفتن ولما تمكن من اخضاعها توجه الى اسبانيا ليحارب الفندال الذين سكنوها كما تقدم ذكرهُ وقُتل أَدلفس سرًّا سنة ٤١٥ ب.م. وتمم ثيودورِك خليفتهُ مقصدهُ وارجع الغوثيين الى غاليا حيث اعطاهم هنوريوس مساكن

انفصال بريطانيا غاليا عن المملكة

١٠. وفي نحو هذا الزمان انفصلت بريطانيا عن مملكة رومية اذ لم تقدر على ضبطها فاستقلت اما غاليا فارتحلت اليها جنود رادغَسْت بعد قتل قائدهم كما مر وكان منهم قوم يسمون البرُغَنديين حلوا في الجوانب الشرقية من البلاد وبقوا فيها

اما الغوثيون فتوجهوا الى غاليا واسبانيا واقاموا فيها واتخذوا جانبًا من الولايتين مملكةً تسمى مملكة الڤيسِغوث وحل الفندال في اسبانيا ايضًا قبل مجيء الغوثيين اليها ودُعي القسم الجنوبي منها باسمهم ڤندلوسيا ومن ثمَّ سماها العرب **الاندلس** وغزا الفرانكيون الجوانب الشمالية من غاليا وسكنوها واذ لم يستطع هنوريوس استرجاع تلك الاطراف استقلت غاليا ما عدا قسمًا منها

ثم قام في افريقية رجل موري اسمهُ جِلدو الذي خرج على هنوريوس سنة ٣٩٨ ب.م. وانهزم ثم خرج عليهِ رجل يدعى هراقليانس سنة ٤١٣ ب.م. ولقب نفسهُ امبراطورًا وحشد جنودًا وعبر البحر الى ايطاليا فانهزم في سواد رومية ورجع الى افريقية حيث قتلهُ بعض حاشيتهِ

موت هنوريوس سنة ٤٢٣ ب.م

١١. وازداد هنوريوس ضعفًا حتى لم يعد يقدر على ضبط المملكة وكان لهُ في غاليا قائد مقتدر يسمى قسطنطيوس فزوجهُ اختهُ پلاسدا ارملة أَدُلفس واشركهُ في الملك سنة ٤٢١ ب. م. لكنهُ مات بعد سبعة اشهر ثم مات هنوريوس ايضًا سنة ٤٢٣ ب. م. ولم يعين خليفةً لهُ

ملك يوحنا سنة ٤٢٣

١٢. وقام بعد موتهِ يوحنا كاتبهُ الاول وادعى الملك فلم يقر ثيودوسيوس الثاني ابن اركاديوس الذي خلف اباهُ على السلطنة الشرقية بملكهِ وكان لپلاسدا اخت هنوريوس

ابن من قسطنطيوس المذكور اسمهُ ڤلنتيانس فاقامهُ ثيودوسيوس على سلطنة الغرب وجهزهُ الى ايطاليا في جنود وبوارج فلما وصل الى راڤنّا خان عسكر يوحنا وفتحوا لهُ الابواب وسلموهُ يوحنا فقتلهُ سنة ٤٢٥ ب.م ٤٢٥ ب.م

١٣. وكان ڤلنتنيانس الثالث ابن ست سنين حين بلغ مقام الامبراطورية فتولت امهُ زمام الملك واستبدت بهِ نحو خمس وعشرين سنة وكانت المملكة يومئذٍ بغاية القلق والضيق من جرى الخصام بين اولياء الامور وهجمات الاعداء المتتابعة وكان بونفاسيوس والي افريقية امينًا جدًّا فحقد عليهِ أئيتيوس وزير بلاسدا ووشى بهِ اليها فاستدعتهُ الى دارها باعتبار انهُ خائن ملك ڤلنتنيانس الثالث وبلاسدا سنة ٤٢٥ — ٤٥٥ ب.م

اما أئيتيوس فبعث اليهِ يخبرهُ بنية بلاسدا وينصحهُ ان لا يفعل ذلك لكي يحملهُ على الخيانة بالفعل فنصح وشايتهُ الى بلاسدا فحدث كما اراد وخرج بونفاسيوس عن الطاعة واستنجد الڤندال الذين حلوا في اسبانيا وموريتانيا كما تقدم وكان ملكهم جنسرك بربريًّا اثيمًا دابهُ النهب والسلب ومهنتهُ شن الغارات ففرح لما استغاثهُ بونيفاسيوس واسرع لنجدتهِ فلما كشفت بلاسدا مكر وزيرها وتحققت براءة والي افريقية صالحتهُ فرجع الى طاعتها غير انهُ لم يستطع ارضاء جنسرك لما اراد صرفهُ فغزا جنسرك افريقية وسطا عليها على رغمهِ ولم يبقَ لبونيفاسيوس سبيل الّا الاعتصام بحصونهِ واستصرخ بلاسدا فامدتهُ ولما وقعت العين على العين انهزم بونيفاسيوس وهرب الى ايطاليا ودخل دار بلاسدا اما جنسرك فتسلط على افريقية نحو سنة ٤٢٩ الى سنة ٤٣٩ ب.م. ولما سمع أئيتيوس في غاليا بمجيء خصمهِ سار في جنودهِ الى ايطاليا وجرى بينهما قتال عنيف انهزم فيهِ بونيفاسيوس وقتل سنة ٤٣٢ ب.م امر جنسرك

١٤. اما المملكة الغربية فاخذت تتأخر وتنحط وخسرت اكثر املاكها حتى لم يبقَ لها الّا ايطاليا وڤنداليسيا وريتيا ودافع أئيتيوس عما بقي للمملكة في غاليا غير انهُ لم يكن خاضعًا لبلاسيدا ولم يحسب ولايتهُ من سلطنتها واستمر على هذه الحال الى نحو سنة ٤٥٠ ب.م. حين ظهر في غاليا عدوٌّ افظع من ألارِك وهو أتّلا ملك الهونيين الذي استنجدهُ أئيتيوس لما وقع النزاع بينهُ وبين بلاسدا وطردتهُ من دارها لمكرهِ ودهائهِ فامدهُ اتلا بنحو ٦٠٠٠٠ مقاتل ومكنهُ من بلوغ القصد من بلاسدا التي خضعت لهُ فتصرف كما شاء وتولى غاليا كما مرَّ. ثم في نحو سنة ٤٥١ حدثت مشاجرات بين زعماء تاخر المملكة امر أتلا

الفرنكيين سكان اطراف غاليا الشمالية فاستجار الفريق الواحد بالرومانيين والاخر بالهونيين فاجابوهم جميعًا وزحف اتلا بجيش عرمرم الى غاليا وقاتل الرومانيين بنشاط وبسالة اذ كان مغتاظًا منهم لانهُ ارسل فالنتنيانس يخطب اليهِ اختهُ هنوريا فابى اذ حسبهُ بربريًّا غير اهل لها فزادهُ ذلك رغبة في القتال ولما اتى نزل على مدينة اورليان وكاد يفتتحها غير ان أثيتيوس استغاث بثيودورك ملك الفسغوث فاجابهُ وانحاز اليهِ فلما اتحد

حرب شالون — الرومانيون والغوثيون وصاروا يدًا واحدة امسك اتلا عن المدينة واتخذ سهول شالون المتسعة للقتال فاقتتلوا هناك وحمي الوطيس ودارت عليهم رحى الحرب فهلك خلق كثير قيل مئة وستون الفًا وقيل ثلاث مئة الف ولم يفز احد الفريقين بالغلبة فارتد أتلاَّ بعد ذلك وعبر الرين عند ما يئس من النجاح بهذه الحرب فنجت غاليا من شرهِ لكنهُ لم يكف

غزوة ايطاليا — عن غزوة الرومانيين لانهُ طلب هنوريا مرةً ثانية ورُفض ايضًا فاستفزهُ الغضب وسار الى ايطاليا سنة ٤٥٢ طالبًا الانتقام فخرب ونهب وافسد في البلاد حتى ارتعد منهُ جميع الناس واقشعروا وقالوا فيهِ (انهُ حيثما وقع حافر فرسهِ لم ينبت في اثرهِ شيءٌ بعد). ولما لم يستطع الرومانيون قتالهُ التمسوا منهُ الصلح وكان احد الوفد الذين قدموا اليهِ البابا ليو فاحترمهُ اتلا اذ كان ذا هيبة عظيمة ووقورًا طلق اللسان وصالح الرومانيين على شرط انهم يزفون اليهِ هنوريا في وقت معين ويمهرونها مهرًا جليلاً متهددًا اياهم بالعقاب الشديد ان خالفوا شيئًا من امرهِ ثم افرج عنهم وسار الى الشمال وانفجر لهُ عرق في بعض ولائمهِ قبل ان زفت اليهِ هنوريا فصرم الله عمرهُ واراح العالم من شرهِ وكان موتهُ سنة ٤٥٣ ب.م

اخر امر فلتنيانس سنة ٤٥٥ ب.م وملك مكسمس — ١٥. اما فلنتنيانس فكان ضعيفًا شريرًا محتقرًا ومما يظهر ضعفهُ عدم اقتدارهِ على قصاص أثيتيوس جهرًا لخيانتهِ فقتلهُ غيلةً سنة ٤٥٤ ب.م. ومما يظهر شرهُ انهُ افسد امرأة احد ائمتهِ المسمى مكسمس فاستشاط منهُ غضبًا ودس عليهِ من قتلهُ سنة ٤٥٥ ب.م . ثم اختلس مكسمس الملك نحو ثلاثة اشهر واكره ارملة سلفهِ وكانت ابنة ثيودوسيوس الثاني على تزوجهِ فانفت من هذه الزيجة واستغاثت بجنسرك ملك الفندال سرًّا فاجابها بفرح

غزوة رومية من الفندال — اذ قصد غزوة ايطاليا واتى بسفنهِ من قرطاجنة ونزل في اوستيا ثم رحل قاصدًا رومية فخلع بها الرعب لقدومهِ وقام الناس على مكسمس وقتلوهُ ولما اقترب جنسرك في جنودهِ خرج اليهِ وفدٌ من اهل رومية وفي مقدمتهِ البابا ليو يشفع في العباد متوسلاً اليهِ انهُ يفرج عنهم ويرفق بهم فاجاب التماسهُ واعدًا اياهُ بالعفو عنهم وحقن دمائهم فدخل

المدينة ولم يفِ بوعده ولعله لم يقدر على ردع قومه البرابرة ورد جماحهم فعاثوا في رومية وافسدوا فيها ولم يزالوا ينهبون ويحرقون ويقتلون مدة خمسة عشر يوماً ثم عادوا الى افريقية وذهب جنسرك ببودكسيا قرينة الامبراطور التي استغاثت به ومعها كريمتاها واسلاب غنية وافرة

ملك افيتس سنة ٤٥٥–٤٥٦ ب.م

١٦. فذل الرومانيون من جرى هذه النكبة العظمى والطامة الكبرى ولم ينتخبوا امبراطوراً خلفاً لمكسمس ولما شاع خبر هذه الحوادث في غاليا قام أفيتس قائد الجيش وادعى الملك برضى العسكر واطاعهُ الفسغوث في غاليا واسبانيا وإيطاليا لكونهم من ابناء جلدته. اما الرومانيون فسلموا بذلك كرهاً وكان على جنود رومية المستاجرة قائد غوثي يدعى ريسمر وهو ذو صولة عظيمة وباس وحمية فلم يرض امبراطوراً لم يكن لهُ يد في نصبه فعزل افيتس سنة ٤٥٦ بعد ان ملك نحو سنة واقام مكانهُ رجلاً يسمى مجوريانس اذ لم يجسر ان يتخذ الملك لنفسه ليكون بربري الجنس وايقن ان الرومانيين ينفرون من دولة اجنبية وتابى نفوسهم الابية الرضوخ لاحكامها

ملك مجوريانس سنة ٤٥٦–٤٦١ ب.م

١٧. اما مجوريانس فكان حاذقاً قويم السيرة مجدّاً في حرب الفندال الذين لم يزالوا يغزون اطراف ايطاليا فطردهم منها ثم عمد الى شن الغارة عليهم في افريقية ايضاً فحشد جيشاً وجهز بوارج في قرطاجينا احدى مرافئ اسبانيا وكان مزمعاً ان يسير بحراً الى افريقية واذ بلغ جنسرك قصدهُ بعث من قبله قوماً فاضرموا النار بسفنه فاحترقت وكان هذا سنة ٤٦٠ ب.م. فضعفت قوة مجوريان بعد حلول هذه النازلة به فاكرههُ ريسمر على الاستقالة من منصبه سنة ٤٦١ ب.م

ملك سفيرس وريسمر سنة ٤٦١–٤٦٧ ب.م

١٨. ثم نصب ريسمر امبراطوراً اخر يسمى سفيرس فكان خاضعاً لهُ طوع امره فتحكم به كيفما اراد فكان يدبر الامور بأسره لا غيره واستمر على ذلك نحو اربع سنين ثم مات سفيرس ولم يعين ريسمر خليفة لهُ بل استاثر نفسهُ بالخلافة اذ ظن انهُ قادر على اخضاع الرومانيين وان كان غريب الجنس الاّ انهُ لم يلقب نفسهُ امبراطوراً ولم يلبث طويلاً حتى غزتهُ قبائل الفندال بجموعهم الكثيفة وضايقوهُ جداً فسطوا على البحر من جبل طارق الى الاطراف الشرقية وكانوا ينزلون على شطوط ايطاليا يسلبون وينهبون واحتج جنسرك انهُ قد فعل ما فعلهُ لاجل بودكسيا المذكورة التي كانت في حوزته وتعلل بانهُ قاصد ان يجلسها على عرش مملكة الرومانيين وغزا ايضاً شطوط ايطاليا حاكم دالماتيا

والعلهُ كان مواطئًا مع جنسرك على ذلك وتضايق رسمر من جرى عدم طاعة قائد الرومانيين لهُ في غاليا ايضًا فاضطر ليو ان يستصرخ امبراطور السلطنة الشرقية فاجابهُ على شرط ان يسلم لهُ امرهُ تمامًا ففعل واقام ليو رجلا يسمى انثيميوس امبراطورًا على المملكة الغربية سنة ٤٦٧ ب.م وخضع لهُ رسمر وتزوج ابنتهُ

ملك انثيميوس ومحاربة الفندال

١٩. فعقد ليو عزمهُ على محاربة الفندال الطغاة الذين وقعت رغبتهم في قلوب الجميع فتعاهد ليو وانثيميوس ومرسلينس حاكم دالماتيا على محاربتهم فجهزوا سفنًا كثيرة الى افريقية قبل ١١١٣ سفينة وفيها نحو ١٠٠٠٠ نفر وسارت تلك البوارج قاصدة قرطاجنة وقد خرج بوارج اخر من مصر وغزت نواحي طرابلس الغرب اما الذين هاجموا قرطاجنة فلم يبلغوا المرام واخفق سعيهم اذ احتال عليهم جنسرك متظاهرًا بالمصالحة وبعث معتمدين الى بَسِلِسكُس قائد البوارج يلاعبهُ ويوالسهُ فثبطه عن العمل حتى تمكن من اضرام النار بسفنهِ فاحترق اكثرها وفشل اصحابها وكان هذا سنة ٤٦٨ ب.م. ثم تقدم جنسرك واستولى على سردينيا وسيسيليا وضايق ايطاليا اكثر من السابق

٢٠. ثم تشاجر رسمر وانثيميوس فافترقا فاقام انثيميوس برومية واعتزل رسمر الى ميلان ومن ثم كان يخابر البرابرة في اسبانيا وغاليا وبنونيا فهرعوا لنجدتهِ افواجًا فزحف بهم على رومية وافتتحها عنوة وقتل انثيميوس واقام مكانهُ رجلاً يسمى اولبريوس سنة ٤٧٢ ب.م. وهو الامبراطور السادس في مدة ست عشرة سنة ولم يملك اولبريوس الا ثلاثة اشهر ومات ومات رسمر ايضًا قبلهُ وخلفهُ في قيادة الجنود بربريٌّ اخر يسمى غندُبالد اقام رجلاً يسمى غِلِسيريوس على تخت المملكة بعد موت اولبريوس اما ليو فلم يرضَ بهِ فعزلهُ واقام رجلاً يسمى نِيبُس مكانهُ سنة ٤٧٤ ب.م. ولكن لم يستقر هذا في مقامهِ حتى قام اورَستِيس قائد العساكر المستاجرين ونادى بملك ابنهِ المسمى روملس اوغسطس ولقبهُ الناس **اوغسطلس** وهو تصغير اوغسطس تحتيرًا لهُ لهوانهِ وخسة اخلاقهِ وهو اخر امبراطوري رومية ولم يتمتع بما كان عليهِ الا نحو عشرة اشهر اي من ٢١ ت ٢ سنة ٤٧٥ الى ٢٣ آب سنة ٤٧٦ ب.م. وعلة ذلك ان المستاجرين الذين سطوا على البلاد وعاثوا فيها حينئذٍ طلبوا ثلث ارض ايطاليا ملكًا لهم ولما رُفض طلبهم خرجوا على مولاهم وكان المقدم عليهم قائد الماني يسمى اودواسر وهو الذي قتل اورستيس المذكور وعزل ابنهُ اوغسطلس وملك مكانهُ غير انهُ لم يلقب نفسهُ امبراطورًا بل ملكًا وهو اول من ملك ايطاليا من

ملك اولبريوس ٤٧٢ ب.م

ملك غلسيريوس ونيبس وروملس اوغسطس

دولة البرابرة وبتبوّئه انقرضت دولة امبراطوري رومية وكان ذلك سنة ٤٧٦ ب . م

٢١. وكانت مدة الدولة الامبراطورية ٥٠٧ سنين اي من سنة ٣١ ق . م الى سنة ٤٧٦ ب . م . وامبراطوريها ٧٧ اولهم اوغسطس واخرهم اوغسطلس بلفظ التصغير كما مرّ وكان اسمهُ روملس ايضًا وهذا اسم من بنى رومية وملك فيها اولاً حسب اخبارهم فجمع في اسمهِ اول ملك واول امبراطور لرومية وقد راينا ان دولة الامبراطورين امتدت سلطتها حين زهوها من بحر الاتلنتيك الى ما وراء الدجلة ومن بريطانيا الى صحارى افريقية ثم تناصت ظلالها الوارفة وضاق نطاق حدودها الشاسعة ورجعت القهقرى وانحط شانها وانحصرت سلطتها في ايطاليا وكان لسقوطها وانحطاطها سببان اولها فساد سياستها وادابها فسرى فيها الضعف شيئًا فشيئًا حتى فقدت نخوتها ولم يبقَ فيها قوة ولا نشاط وثانيهما غزوات البرابرة المتعاقبة عصورًا متعددة فافضت بها الى الدمار وانتهت باستيلاءهم عليها وابتلاعها ولو لم يخامرها الفساد لكانت دافعت عن حوزتها وردعت البرابرة عنها او حملتهم على الخضوع لها والاتحاد معها وبذلك اكسبتهم تمدنًا وزادوها قوة كما فعلت رومية عند زهوها وشدتها وما نتعلمهُ من التامل في تاريخها ان الفساد يؤثر في الممالك والدول كما في الافراد ونتيجتهُ الضعف وضيقة الاحوال واخيرًا السقوط فننصح للدول والافراد ونحذرهم سوء عقبى الغفلة والغرور ونحرضهم على السلوك في جادة الحق ورعاية العدل والسداد في القول والعمل فالمملكة التي يتوغل اربابها في الفساد يحل بها العقاب عاجلًا او اجلا وقد ضل من زعم ان الدول لا تعاقب معاقبة الافراد وان طال عليها الامد (فالله ابقى واحكامهُ اثبت)

مدة بقاء هذه الدولة وسبب سقوطها

القسم الثاني

في تاريخ فرتيا

حدود المملكة واتساعها

١. كانت مملكة فرتيا تشتمل على الجوانب الشرقية من مملكة اسكندر الكبير وامتدت حين زهوها من نهر الفرات الى الهند ومن نهر جيحون والرس وبحر الخزر الى خليج العجم وبحر الهند وكان معظم طولها نحو الف وتسع مئة ميل وعرضها نحو الف ميل ومساحتها نحو الف الف ميل مربع

وقطائع هذه المملكة كثيرة منها ما بين النهرين وبعض ارمينية وبلاد مادي وفارس وفرتيا وهركانيا ومرْجيانا وبكتريا واريا وارخوسيا وغدروسيا وكرمانيا ويقابلها الآن جانبٌ من مملكة الترك الحالية ومملكة ايران وافغانستان وبلوخستان وجانبٌ من كرجستان

اوائل المملكة وملك ارساكيس الاول سنة ٢٥٠—٢٤٨ ق٠م

٢. اما بلاد فرتيا القديمة فكانت قطيعة من مملكة الفرس ممتدة من بحر الخزر الى سمرقند ومن نهر جيحون الى صحراء ايران ولما استولى اسكندر الكبير على مملكة الفرس وحصلت فرتيا بيده دان اهلها لهُ واطاعوا خلفاءهُ ملوك سورية من بعدهِ الى نحو سنة ٢٥٠ ق٠م٠ في ايام انطيوخس الثاني ملك سورية الذي نبذوا طاعتهُ اذ خرج عليهِ البكْتريون ايضًا فاستقلوا بامرهم وكان قائد الفرتيين حينئذٍ رجل يسمى ارساكيس وكان اصلاً من قبيلة اسكيثية تسمى الداهيين وكانوا قد ارتحلوا الى فرتيا قبل العهد المشار اليهِ واتحدوا معهم٠ وفاق قائدهم عظماء الفرتيين وكان الاسبق في الخروج عن طاعة الدولة السلوقية كما مر وملك ارساكيس نحو سنتين اي من سنة ٢٥٠ ق٠م٠ الى سنة ٢٤٨ ق٠م٠

فتسلط على الفرتيين بكلّ السطوة والشوكة ويلوح انهُ مات قتيلاً في بعض حروبهِ

٣. ثم خلفهُ اخوهُ ترداتيس ولقب بارساكيس الثاني لان جميع ملوك فرتيا اتخذوا هذا اللقب وملك ترداتيس نحو ٣٤ سنة اي من سنة ٢٤٨ او ٢٤٧ الى سنة ٢١٤ ق.م. ولما انتظم لهُ الامر في توسيع نطاق سلطنتهِ واستولى على هركانيا فشق ذلك على سلوقس الثاني ملك سورية وديودوتس ملك بكتريا فاتحدا معًا على مقاومتهِ وسار سلوقس بجيش سنة ٢٣٧ ق.م. لمحاربتهِ فجزع ترداتيس وفرّ الى بلاد السكيثيين

ملك ترداتيس سنة ٢٤٨—٢١٤ ق.م

اما ديودوتس فقضى نحبهُ بعد ذلك بمدة وجيزة ولم يكن ابن المتوفى بودّ ملك سورية بل كان يصبو الى موالاة ترداتيس لمحالفته وكان المشار اليهِ قد قفل راجعًا الى بلادهِ واثار الحرب على سلوقس وكانت شديدة دامية فانهزم سلوقس وعظم شان ترداتيس فاستبد بالولاية فخلا لهُ المكان وصفا لهُ الزمان

٤. وبعد وفاة ترداتيس خلفهُ ابنهُ الملقب ارساكيس الثالث سنة ٢١٤ ق.م. واقتفى اثار ابيهِ فاغار على بلاد مادي وافتتحها ولما علم انطيوخس الثالث ملك سورية بما كان نهض اليهِ في عسكرهِ فلقيهُ ونازلهُ وتغلب عليهِ وتعقبهُ الى بلادهِ وافتتح هكتمپلس عاصمتهُ ثم طاردهُ الى هركانيا حيث اقتتلا على ان نتيجة القتال غير مقررة لدينا والاظهر ان انطيوخس لم يفز بالغلبة عليهِ تمامًا اذ صالحهُ بعد ذلك على ان يستاثر بولاية فرتيا وهركانيا وربما تعهد ارساكيس بان يقدم لانطيوخس عسكرًا في بعض حروبهِ ولا يعرف شيء من امرهِ بعد ذلك ويظن انهُ ملك الى سنة ١٩٦ ق.م

ارساكيس الثالث سنة ٢١٤—١٩٦ ق.م

٥. وخلفهُ رجل يسمى پرياپاتيوس ويلقب بارساكيس الرابع اما اخبارهُ فغير معروفة وكان ملكهُ من نحو سنة ١٩٦ الى ١٨١ ق.م. والظاهر انهُ كان ضعيفًا جبانًا فلم يثر حربًا مدة ملكهِ ثم خلفهُ ابنهُ فرآتيس ويلقب بارساكيس الخامس الذي اخضع قبيلة المرديين القاطنة في جبال البرز جنوبي بحر الخزر واستبد بالملك الى حين موتهِ في نحو سنة ١٧٤ ق.م. وعند وفاتهِ عهد بالملك الى اخيهِ مثرداتيس مع انهُ كان كثير الاولاد

ارساكيس الرابع سنة ١٩٦—١٨١ ق.م

٦. ولُقب مثرداتيس بارساكيس السادس وكان ملكًا عظيم الشان وسّع تخوم المملكة كما سترى وافتتح اعمالهُ الخطيرة بفتح بلاد بكتريا الواقعة شرقي مرو وكان ملوكها يونانيين من عهد اسكندر الكبير والظاهر ان ملوك فرتيا كانوا يراعون حرمتهم خشية من باس ملوك سورية اما مترداتس فشن الغارة على بكتريا وسلبها بعض املاكها ثم توجه

ارساكيس السادس سنة ١٧٤—١٣٦ ق.م

حرب بكتريا وغيرها — بعد وفاة انطيوخس الرابع ملك سورية الى الغرب واخضع بلاد مادي ثم غزا فارس وسوسيانا وبابل حتى بلغ الفرات ثم عاد فغزا بكستريا واباد دولتها واستولى عليها باسرها فاستصرخ جالية اليونان اخوتهم في سورية فلبى ديمتريوس طلبهم ونهض في عسكر كثيف لكنهُ انهزم ووقع اسيرًا سنة ١٤٠ ق.م . ومكث في الاسر عدة سنين (راجع اخبار الدولة السلوقية)

اتساع المملكة ونظامها — ٧. فغلظ امر مثرداتيس واشتدت وطأتهُ وامتدت سلطتهُ من الفرات الى نواحي الصين ولم تزد سلطة خلفائهِ بعدهُ الاَّ قليلاً وكان يلقب نفسهُ بملك الملوك اذ اخضع عدة ملوك لسيادتهِ لكنهُ اقرهم في مقامهم على شرط ان يؤدوا لهُ الجزية ويمدوهُ بالجند عند الطلب وتلقب خلفاؤُهُ بلقبهِ من بعدهِ كما هو ظاهر من نقوش نقودهم

اما نظام المملكة الاساسي فلم يجز الملك السلطة المطلقة في ادارة المهام وتصريف الامور بل كان للمملكة مجلسان شوريان عليهِ ان يستشيرها ويعمل برايها في الامور المهمة وكانت اعضاء احدهما من السلالة الملكية والاخر من الاشراف والاعيان المتقدمين في الرتب الدينية وكان لهم حق في انتخاب الملك على شرط كونهِ من عشيرة الارساكيين وقد نحل الاشراف ان لهم حقًا ثانيًا يخولهم عزل الملك ان لم يسلك حسب النظام غير ان

عوائدهم — هذا لم يسلم بهِ الملوك وكانت صفة المدنية في الفرثيين خارجية فقط فكانوا مولعين بالحرب والغزوات وتقلدوا بعض عوائد الفرس القدماء ولا سيما ملوكهم في تزيين دورهم وزخرفتها وكانوا ينتقلون من محل الى اخر حسب تقلب فصول السنة لكي يتمتعوا بالهواء المعتدل على مدار السنة غير انهم لم يستغرقوا اسباب الترف والرغد والتصوف كالفرس اما مسكوكاتهم فكانت على مثال النقود اليونانية وكذلك صور نقوشها وعباراتها واستمروا على هذه الحالة من عهد مثرداتيس الى نهاية دولتهم

ارساكيس السابع (فرآتيس) سنة ١٣٦—١٢٧ ق.م — ٨. ومات مثرداتيس سنة ١٣٦ ق.م. وكان ملكهُ ٣٨ سنة وخلفهُ ابنهُ فرآتيس ويلقب بارساكيس السابع وملك مدة بسلام وصفاء وكان ديمتريوس المذكور اسيرًا في دارهِ وفي نحو سنة ١٢٩ ق.م . قدم انطيوخس السابع اخو ديمتريوس قاصدًا الافراج عنهُ وتخليصهُ من الاسر والاعتقال . فسار فرآتيس في جنودهِ لملاقاتهِ فاقتتلا ثلاث دفعات انهزم فيها ملك فرثيا فحنقت عليهِ العامة ونفرت قلوبهم منهُ وهمَّ بعض حاشيتهِ بالخروج عليهِ فاطلق ديمتريوس اسيرهُ وجهزهُ الى سورية قاصدًا استرضاء انطيوخس لعلهُ يعطف اليهِ

ويكف عنهُ ويرد عليهِ ما اغتصبهُ ثم استدعى قوماً من البرابرة الشماليين من جنس الطورانيين لنجدتهِ ولكنهُ قبل مجيئهم هاجم انطيوخس في مشتاهُ وقهرهُ وقتلهُ ثم عوَّل على غزوة سورية غير ان الطورانيين اخذوا يغزون بلادهُ اذ قصد ان يردهم الى الوطن لما استغنى عن مساعدتهم اما هم فلم يرضوا ذلك بل افسدوا باملاكهِ فعاد لمحاربتهم واشتدت عليهِ الحرب ولم ينجح فانهزم وقتل سنة ١٢٧ ق م. وكان ملكهُ نحو تسع سنين

ارساكيس الثامن (ارتبانس) سنة ١٢٧—١٢٤ ق م

٩. وخلفهُ أرتبانس عمهُ وهو ارساكيس الثامن ولم يقدر ان يحارب سورية اذ استمر البرابرة المذكورون يغزون املاكهُ وكانت اوطانهم في ما وراء النهر وكان قوم منهم يسمون التوخاريين قد هاجموا فرتيا حينئذٍ فقاتلهم ارتبانس وقتل في الحرب سنة ١٢٤ بعد ملك ثلث سنين

ارساكيس التاسع (مثرداتيس الثاني) سنة ١٢٤—٨٦ ق م

١٠. وخلفهُ مثرداتيس ابنهُ الثاني ويلقب بارساكيس التاسع او مثرداتيس الكبير لاعمالهِ العظيمة فانهُ هزم البرابرة الشماليين واخضعهم لسطوتهِ ووسع نطاق مملكتهِ اذ غزا كثيراً وهاجم ارمينية والزم ملكها ان يصالحهُ على شروط اقترحها عليهِ واخذ ابنهُ تيغرانيس الى دارهِ رهيناً ولما طلب اليهِ ان يرجعهُ ويسلطهُ على ارمينية فعل وسلم اليهِ جانباً من املاكهِ وكان ذلك في نحو سنة ٩٦ ق م. على ان تيغرانيس نكث عهدهُ وحال عن مودتهِ فخرج عليهِ واستفحل امرهُ واسترد ما سلمهُ اليهِ وغزا بعض املاكهِ الخاصة في مادي وفيما بين النهرين ولم يقدر عليهِ مثرداتيس الى حين موتهِ وكان ذلك في نحو سنة ٨٩ ق م. بعد ملك نحو خمس وثلثين سنة وفي ايامهِ كان بدء التآمر بين الفرتيين والرومانيين اذ تشاور سلا معتمد رومية واوربازس معتمد مثرداتيس في امور المملكتين

ارساكيس الحادي عشر سنة ٧٦—٦٩ ق م

١١. ولا يعرف من كان خليفة مثرداتيس فكانت المملكة مضطربة وسياستها غير منتظمة بضع سنين وبعد هذه الفترة الغامضة الانباء ملك سنتْريسيس ويلقب ارساكيس الحادي عشر واستولى على المملكة في نحو سنة ٧٦ اذ عضدهُ قوم من الطورانيين ولم يملك سوى سبع سنين واخبارهُ سقيمة والظاهر انهُ حارب تيغرانيس المذكور وكان موتهُ سنة ٦٩ ق م وعمرهُ ٨٧ سنة

ارساكيس الثاني عشر

١٢. ثم خلفهُ ابنهُ فراتيس الثالث الملقب بارساكيس الثاني عشر وثيوس ايضاً اي الاله وكانت لظى الحرب مستعرة حينئذٍ بين رومية وملك بنطس (راجع اخبار بنطس

(فرآتيس الثالث) سنة ٦٩—٦٠ ق.م

ف ٥ من ك٣) وكان كل من الفريقين يطلب محالفة فراتيس اما هو فلبث على الحيادة ليرى من يوتى النصر ويفوز بالغلبة فلما تعين پمپيوس لقيادة جنود رومية مال الى حزبهِ وحالفهُ سنة ٦٦ ق.م. وشن الغارة على تيغرانيس ملك ارمينية حليف ملك بنطس واعان پمپيوس فهزم مثرداتيس كما ذكر في محلهِ ولكنهُ لما فرغ من امرهِ لم يجازِ فرآتيس بالخير بل بالشر اذ ظاهر ملك ارمينية كي يسترد ما كان فرآتيس قد اغتصبهُ ولم يصغ پمپيوس الى تشكياتهِ فاضطر ان يصالح ملك ارمينية ثم مات سنة ٦٠ ق.م. ويظن ان ابنيهِ قتلاهُ سمًّا وفي ايامهِ تجاورت رومية وفرثيا فنتج من ذلك حروب كثيرة

ارساكيس الثالث عشر

١٣. ثم ارتقى مثرداتيس الثالث احد ابنيهِ الى الملك ويلقب ارساكيس الثالث عشر واثار الحرب على ارمينية واسترد الاملاك التي اغتصبها پمپيوس من ابيهِ وضمها الى ارمينية اما بقية اخبارهِ فسقيمة وقام عليهِ بعض اشرافهِ وعزلوهُ ثم قتلوهُ سنة ٥٥ ق.م

ارساكيس الرابع عشر (اورود يس ٥٥—٣٧ ق.م

١٤. ثم خلفهُ اورود يس اخوهُ الملقب بارساكيس الرابع عشر وهو اول من بدأ الرومانيون بمحاربتهِ لان پمپيوس انجد ملك ارمينية فقط في الحرب التي مر ذكرها ولما اختبر الرومانيون قوة ملوك فرثيا وامتداد سلطتهم تاقوا لغزوتهم لانهم لم يطيقوا احدًا يناظرهم في المجد والفخار فاثاروا الحرب على الفرثيين سنة ٥٥ ق.م. تحت قيادة قرسس

الحروب بين الرومانيين والفرثيين

الذي انهزم في ما بين النهرين وقتل كما ذكر في تاريخ رومية (راجع ف٥ رقم ٤٤ منهُ) وفي سنة ٥٣ ق.م. جهز اورود يس ابنهُ پاكورُس وارسلهُ الى سورية لينتقم من الرومانيين فغزا ونهب وعاث في سورية وكيليكية وهزم قواد رومية الاَّ قسيوس فلم يقدر عليهِ ثم عاد قبل ان اكمل مساعيهُ اذ شك ابوهُ في امانتهِ وبقي عدة سنين لم يهاجم املاك رومية وفي ذلك الوقت ابتدات المنازعات الاهلية بين پمپيوس ويوليوس قيصر ففرح اورود يس بذلك وقيل انهُ راسل پمپيوس يعرض عليهِ التحزب معهُ غير انهُ لم يحارب الرومانيين الى سنة ٤٠ ق.م. حين قدم عليهِ القائد لابيينس الروماني وكان قد فرَّ من اعدائهِ وحرَّضهُ على مهاجمة املاك رومية ففعل وارسل ابنهُ ايضًا الى سورية فهزم عسكر رومية وافتتح انطاكية وصيدا وعكا وغيرها ثم استولى على اورشليم ونهبها واقام أنتغنس واليًا عليها (راجع ف ٤ رقم ٣٦ من ك ٣) وبعد ما اخضعوا سورية وفلسطين خلا صور عمد الى غزوة اسيا الصغرى ففرقوا عسكرهم فيها وحاربوا كيليكية وپمفيلية وليكية وكاريا وغيرها وتسلطوا عليها نحو سنة فأتى فنتديوس في جيش روماني وهزم لابيينس سنة ٣٩ ق.م. ثم قدم على پاكورس وانتصر

عليهِ في السنة التالية ايضًا فاخلى الفرتيون سورية ولم يعودوا اليها فيما بعد

١٥. ومات اوروديس سنة ٣٧ ق.م. ولا يعلم هل مات حزنًا على موت پاكورس بكرهِ او قتلهُ فرآتيس الذي خلفهُ وهو الرابع بهذا الاسم والخامس عشر من الارساكيين وفي ايامهِ هاجم انطونيوس عظيم رومية فرتيا كما ذكر في اخبارهِ (راجع ف ٥ رقم ٦٦ من اخبار ورمية) ولم ينل مرادهُ منها فكان من الخاسرين وبقيت فرتيا على قوتها وامتداد سلطتها

وبعد هذا خرج على فرآتيس رجل يسمى تِرداتيس وطردهُ من مملكتهِ فاستجار بالسكيثيين فاجاروهُ وارجعوهُ الى ملكهِ وبقي عليهِ الى حين وفاتهِ اما ترداتيس فهرب الى اوغسطس قيصر فحماهُ ثم تبعهُ احد ابناء ملك فرتيا ايضًا واذ طالبهُ ابوهُ الى القيصر اشترط عليهِ ان يسلم الرايات التي اخذها سلفهُ من قرسس فاجابهُ الى ذلك وعقد معهُ صلحًا الى حين موتهِ مسمومًا سنة ٢ ق.م. وكان ملكهُ ٣٥ سنة وخلفهُ ابنهُ فرآكتيس الذي سقاهُ السم ارساكيس الخامس عشر (فرآتيس الرابع) سنة ٣٧–٢ ق

١٦. وبقيت امور فرتيا بعد موتهِ قليلة الاهمية اكثر من مئة سنة اي الى اواخر ملك ترجانس امبراطور رومية وفي هذه المدة لم تنشب الحرب بين الرومانيين والفرتيين راسًا ولكن كان كل من الفريقين يتعرض لامور ارمينية ويطلب التسلط عليها واخذ الرومانيون يدسون على ملوك فرتيا ويطلبون عزلهم وبهذا اقلقوهم كثيرًا ولا حاجة الى ذكر امورهم بالتفصيل بل نكتفي بسرد اسماء ملوكهم مع سني ملكهم كما يظهر من هذا الجدول ملوكهم من سنة ٢ ق.م الى سنة ١٠٨ ب.م

فرآكتيس بن فرآتيس (ارساكيس السادس عشر) ملك من سنة ٢ ق.م. وقُتل سنة ٤ ب.م

اوروديس الثاني (ارساكيس السابع عشر) ملك بضعة اشهر وقتل سنة ٥ ب.م

ڤونونيس (ارساكيس الثامن عشر) ملك من سنة ٥ الى سنة ١٦ ب.م. وعُزل

ارتبانس (ارساكيس التاسع عشر) ملك من سنة ١٦ الى سنة ٤٢ ب.م. غير انهُ طرد من المملكة مدةً اذ قام عليهِ ترداتيس وعزلهُ وملك مكانهُ ثم عاد ارتبانس الى ملكهِ ثم طرد ثانية ثم استرجع ملكهُ ايضًا وفي ايامهِ خرج يهود بابل فاخضعهم وقتل نحو خمسين الفًا منهم

ڤُرْدانيس ابن ارتبانس (ارساكيس العشرون) ملك من سنة ٤٣ الى سنة ٤٦ ب.م. نازعهُ اخوهُ في الملك وقتلهُ وملك مكانهُ وهو

غورتازيس (ارساكيس الحادي والعشرون) ملك من سنة ٤٦ الى سنة ٥١ ب.م

ڤونونيس الثاني (ارساكيس الثاني والعشرون) ملك بضعة اشهر فقط

ڤولوجيسيس الاول (ارساكيس الثالث والعشرون) ملك من سنة ٥١ الى سنة ٧٨ ب.م. وعمد الى اقامة اخيهِ على تخت ارمينية فلم يرضَ صاحب رومية بذلك فالزمهُ بالخضوع لهُ

پاكورس (ارساكيس الرابع والعشرون) ملك من سنة ٧٨ الى نحو سنة ١٠٨ ب.م. وقلَّما عرف من امرهِ غير ان المملكة في ايامهِ كانت بغاية الاضطراب

كسرى (ارساكيس الخامس والعشرون) ملك من سنة ١٠٨ الى سنة ١٣٠ ب.م. وفي ايامهِ هجم ترجانس على المملكة فزادت امورها وضوحًا

اخبار كسرى (ارساكيس الخامس والعشرون) سنة ١٠٨–١٣٠ ب.م

١٧. ولما ملك كسرى واستقام لهُ الامر شرع بعد صولتهِ في ارمينية فعزل ملكها واقام ابن اخيهِ مكانهُ ولما بلغ ترجانس هذا الامر اغتاظ وعزم على غزوة فرثيا فسار في عسكرهِ وحارب كسرى وجرى بينهما ما مرَّ ذكرهُ في اخبارهِ (راجع ف٧ رقم ١٦ من تاريخ رومية) ولما عاد الى بلادهِ اقام رجلًا يسمى پرثامسپاتيس ملكًا في قطيسفون وابقى بعض عسكرهِ للمحافظة في بلاد اشور وارمينية وبين النهرين

اما خلفهُ هادريانس فاسترجع العسكر واخلى تلك المقاطعات للملك فرثيا اذ ايقن عجزهُ في المدافعة عنها فاسترد كسرى مملكتهُ بعد قفول ترجانس بدون نزاع ولم يفقد شيئًا من املاكهِ واستمر على مودة هادريانس الى حين موتهِ في سنة ١٣٠ ب.م

ڤولوجيسيس الثاني (ارساكيس السادس والعشرون)

١٨. ثم خلفهُ ڤولوجيسيس الثاني (ارساكيس السادس والعشرون) والظاهر انهُ لم يكن الوريث الشرعي بل مغتصبًا ولم يكن ملكهُ معتبرًا اذ غزاهُ قوم من البرابرة يسمون الالانيين فصرفهم بعطايا وافرة وبقي على مودة الرومانيين ولهُ مخاطبات ودادية مع الامبراطور انطونينس بيوس ومات ڤولوجيسيس في سنة ١٤٨ ب.م. بعد ملك ١٨ سنة

ڤولوجيسيس الثالث (ارساكيس

١٩. وخلفهُ ڤولوجيسيس الثالث وهو (ارساكيس السابع والعشرون) ويظن انهُ ابن السابق بقي على مصالحة الرومانيين كل حياة انطونينس المذكور ولكن بعد موتهِ واقامة مرقس اوريليوس خلفًا لهُ شن الغارة على ارمينية التي كانت تحت حماية الرومانيين

(السابع والعشرون) سنة ١٤٨— ١٩٠ ب٠م

واستولى عليها ثم قدم الى كبدوكية وقاتل والي رومية هناك وقتلهُ ثم تقدم وغزا سورية فقام عليهِ الرومانيون وطردوهُ واستاثروهُ الى بابل وسلوقية وقطيسفون عاصمتهِ واحرقوها وكان هذا سنة ١٦٥ ب٠م٠ فطلب ملكُ فرتيا الصلح وسلم للرومانيين الجانب الغربي ما بين النهرين اي الخابور والفرات ورجعت ارمينية الى خفارة رومية كالسابق ولم يعد يحارب رومية الى موتهِ سنة ١٩٠ او ١٩١ ب٠م

ڤولوجيسيس الرابع (ارساكيس الثامن والعشرون) سنة ١٩١— ٢٠٩ ب٠م

وخلفهُ ڤولوجيسيس الرابع وهو (ارساكيس الثامن والعشرون) تحزب لرجلٍ سوري يسمى نيجر عصا امبراطور رومية فحاربهُ سڤيرس الامبراطور وهزمهُ سنة ١٩٤ ب٠م٠ ثم توجّه الى املاك ڤولوجيسيس وغزاها انتقامًا منهُ كما ذكر في اخبارهِ (راجع ف ٨ رقم ٥ من تاريخ رومية) فالتزم ملك فرتيا ان يسلم لهُ مقاطعة أَدِيابِينه وهي القسم الشمالي من اشور وكان هذا فيما بين سنة ١٩٧ وسنة ١٩٩ ب٠م٠ واما اخبارهُ بعد ذلك فمجهولة ومات في سنة ٢٠٨ او ٢٠٩ ب٠م

ڤولوجيسيس الخامس (ارساكيس التاسع والعشرون) سنة ٢٠٩— ٢١٥ ب٠م

٣٠٠ وبعد موتهِ تنازع ابناهُ ڤولوجيسيس وارتبانس الملك فتسلط الاول مدةً وهو الخامس بذلك الاسم وارساكيس التاسع والعشرون وكان في ايام قرقلا امبراطور رومية الذي ابتغى حربهُ فطلب منهُ رجلين كانا قد هربا والتجأا اليهِ فابى فولوجيسيس اولاً ولكن لما علم بقدوم قرقلا عليهِ سلم سنة ٢١٥ ب٠م

ارتبانس الثالث (ارساكيس الثلاثون) سنة ٢١٥— ٢٢٦ ب٠م

وفي هذه الاثناء لا نعلم هل مات او عزل لان ملك فرتيا الذي حاربهُ قرقلا سنة ٢١٦ ب٠م٠ يسمى ارتبانس وهو الثالث بهذا الاسم والثلاثون من الارساكيين وآخرهم واذ كان قرقلا يريد اشهار الحرب عليهِ كما مرَّ بعث يطلب اليهِ ابنتهُ زوجةً فابى فاغتاظ قرقلا وسار وقطع ما بين النهرين ثم عبر دجلة وافتتح اربيلا وطرد الفرتيين الى الجبال ثم عاد الى بلادهِ ناويًا ان يسير اليهم في السنة التالية لكنهُ قتل كما ذكر في اخبارهِ

واستمر مقرينس قاتلهُ يحارب ارتبانس مدة لكنهُ انهزم مرتين فصالحهُ ودفع اليهِ جميع ما كان للرومانيين شرقي الفرات ومبلغًا وافرًا من الدراهم فوق ذلك فعادت سلطة الفرتيين الى زهوها الاول واستولى ارتبانس على ارمينية ايضًا واقام اخاهُ ملكًا عليها فغلظ امرهُ وعظم شانهُ غيرانهُ في اثناء ذلك خرج الفرس عليهِ تحت قيادة أَرْتزركسيس بن ساسان بعد ان خضعوا نحو اربع مئة سنة فسار ارتبانس لقتالهم فهزموهُ وانتصروا عليهِ في ثلاث مواقع واخيرًا قتلوهُ واستولى ارتزركسيس على مملكتهِ فانقرض ملك الفرتيين بغتةً

بعد ان دام نحو اربع مئة وخمس وسبعين سنة وذلك من سنة ٢٥٠ ق.م. الى ٢٢٦ ب.م.
وقامت مقامه الدولة الساسانية الشهيرة واذ كان تاريخها يتعلق بالتاريخ الحديث
فلا حاجة الى بيان قيامها وسقوطها والنصر لله يوتيه من يشاء
له العزة وله الملك وهو
على كل شيء
قدير

فهرس المواضيع

س ش

ش

ش ص ض ط

ص

ض

ط

ط ع

ع

ك

ك ل

ل

ل م

م